



كتاب الشعب

نفسية القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

٧٠٠-٥٧٧٤ هـ

تحقيق

عبد العزيز غنيم

محمد أحمد عاشور

د. محمد إبراهيم البنا

المجلد الخامس

الشعب

١٩٨٠ هـ - ١٩٨١ م
طبعة ١٩٨٠ م

تفسير سورة الاسراء

وهي مكية

قال الإمام البخاري : حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد ، سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل ، والكهف ، ومريم : إني من الميثاق الأول ، وهذا من بلادي (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد بن زيد ، عن مَرْوَانَ بْنِ أَبِي لَيْثَةَ ، سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهيم حتى تقول : ما يريد أن يُغَطِرَ ، ويغَطِرُ حتى تقول : ما يريد أن يهيم ، وكان يقرأ كل ليلة : « بني إسرائيل ، والزمر » (٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَبْحَثُ الَّذِي أَمَرَنِي بِعِبَادَةِ اللَّهِ مَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِنَّهُ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْقَابِلِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)

معبود تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقد برهه على مالا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره ، (الذي أمرى بعبده) ، يعنى محمداً - صلوات الله وسلامه عليه - (ليلا) ، أى : في جُنتِ الليل ، (من المسجد الحرام) ، وهو مسجد مكة ، (إلى المسجد الأقصى) ، وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء (٣) ، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل ، ولهذا جُمِعوا له هنالك كلهم ، فمآثمهم في مَحَلَّتِهِمْ ودارهم ، فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ؛

وقوله : (الذي باركنا حوله) ، أى : في الزروع والثمار ، (ثريه) ، أى : محمداً ، (من آياتنا) ، أى : المعظم ، كما قال تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (٤) .

وستذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه ، صلوات الله عليه وسلامه .

(١) الميثاق : جميع حقيق ، والحقق : التديم . وأراد بالميثاق الأول : السور التي أنزلت أولاً بمكة ، وأنها من أول ما تعلمه صلى الله عليه وسلم من القرآن . وهذا معنى قوله عليه السلام أيضاً : « ومن من ثلاثي » ، فالتاليه هو التديم أيضاً . هذا واحد من أخرجه البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل : ١٠٣/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٨٩/٦ .

(٣) إيلياء والقدس : إسمان لمسى واحد ، وهو للمدينة التي بها المسجد الأقصى .

(٤) سورة النجم ، آية ١٥ .

وقوله : (إنه هو السميع البصير) ، أى : السميع لأقوال عبياده ، مؤمنهم وكافرهم ، مصادقهم ومكذبهم ، البصير بهم ، فيعطى كل ما يستحقه في الدنيا والآخرة .

ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء ، رواية أنس بن مالك

[قال الإمام أبو عبد الله البخارى : حدثني عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك ابن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك [يقول : ليلة أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر ، قيل أن يرحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خلوا خيرهم . فكانت تلك الليلة ، فلم يرحم حتى أتوه ليلة أخرى فيها يرى قلبه ، وتنام عيناه (١) ولا ينام قلبه -- وكذلك الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم - فلم يكتسوه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق جبريل ما بين لحيته إلى لحيته (٢) ، حتى فترغ من صدره وجوفه ، ففصله من ماء زمزم بيده ، حتى أتى جوفه . ثم أتى بطنه من ذهب فيه تور (٣) من ذهب محشواً إيماناً وحكمة ، فحشأ به صدره ولغادينه - بنى عروق حلقه - ثم أطبقه . ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فضرب باباً من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ فقال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : معي محمد . قالوا : وقد بعث إليه ؟ (٤) قال : نعم . قالوا : مرحباً (٥) به وأهلاً به ، يستبشر به أهل السماء ، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم .

ووجد (٦) في السماء الدنيا آدم ، فقال له جبريل : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه . فسلم عليه ، ورد عليه آدم فقال : مرحباً وأهلاً بابني ، نعم الابن أنت . فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يتطردان (٧) ، فقال : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذا النيل والفرات عَصْرُهُمَا (٨) . ثم مضى به في السماء ، فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فاذا هو مسك أذفر (٩) ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي يحبب لك ربك .

ثم عرج إلى السماء الثانية ، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحباً وأهلاً وسهلاً (١٠)

(١) كذا لفظ خطوطة الأزهر ، وفي الصحيح : « وتنام عينه » .

(٢) الآية - بفتح اللام - : موضع النحر .

(٣) التور - بفتح فسكون - : إناث .

(٤) لفظة « إليه » ليست في الصحيح .

(٥) لفظ الصحيح : « فرحياً » . بالفاء .

(٦) لفظ الصحيح : « فوجد » .

(٧) أى : مجريان .

(٨) المنصر ، بضم الميم وفتح الصاد ، وقد تسم : الأصل .

(٩) مضى تسميم حله الكلمة في : ٤/٢٢٢ .

(١٠) كلمة « وسهلاً » ليست في الصحيح .

ثم صرح به إلى السماء الثالثة ، فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية : ثم صرح به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك . ثم صرح به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك . ثم صرح به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك : ثم صرح به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك . كل مياه فيها أنبياء . قد سباهم ، قد وهبته (١) منهم إدريس في الثانية ، وهارون في الرابعة ، وأختر في الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة بتفصيل كلام الله - فقال موسى : « رب لم أظن أن يرفع عليّ أحد » : ثم علا به فوق ذلك ، بما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه فيما يوحى : خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة . ثم هبط به حتى بلغ موسى ، فاحبسه موسى فقال : يا محمد ، ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة . قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك ربك وعندهم . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ، كأنه يستشير به في ذلك ، فأشار إليه جبريل : « أن نعم ، إن شئت . فعلا به إلى الجبار تعالى [فقال] وهو في مكانه : « يارب ، خفف عنا ، فإن أمتي لا تستطيع هذا » . فوضع عنه عشر صلوات . ثم رجع إلى موسى فاحبسه ، فلم يزل يردده موسى [إلى ربه] حتى صارت إلى خمس صلوات . ثم احبسه موسى عند الخمس فقال : يا محمد ، والله لقد راودت بني إسرائيل قوتى على أدنى من هذا ، فضعموا فركوه ، فأمتك أضعت أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً ، فارجع فليخفف عنك ربك ، ككل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليخبر عليه ، ولا يكره ذلك جبريل ، فرمعه عند الخامسة فقال : « يارب ، إن أمتي ضيعوا أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم ، فخفف عنا ، فقال الجبار : يا محمد : قال : ليك وسعديك » . قال : إنه لا يُبدل القول لك » ، كما فرضت عليك في أم الكتاب : « كل (٢) حنة بعشر أمثالها ، فهي خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك » فرجع إلى موسى فقال : كيف فعلت ؟ فقال : خفف عنا ، أعطانا بكل حنة عشر أمثالها . فقال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل [على] أدنى من ذلك فركوه ، فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا موسى ، قد - والله - استحييت من ربي عما أخطف (٣) إليه ، قال : فاهبط باسم الله . فاستيقظ (٤) وهو في المسجد الحرام »

هكذا ساقه البخاري في « كتاب التوحيد (٥) » ، ورواه في « صفة (٦) النبي صلى الله عليه وسلم » : عن إسماعيل ابن أبي أريس ، عن أخيه أبي بكر عبد الحميد ، عن سليمان بن بلال . ورواه مسلم ، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن سليمان - قال : « فراد ونقص ، وقدم وأخر (٧) » ،

(١) لفظ الصحيح : « فأوحيت إليهم » وفي رواية : « فوحيت إليهم » .

(٢) لفظ الصحيح : « قال : فكل حنة » .

(٣) أي : أفرد عليه .

(٤) لفظ الصحيح : « قال : واستيقظ » .

(٥) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله : « وكل من الله موسى تكليماً » : ١٨٢/٩ - ١٨١ .

(٦) البخاري ، كتاب الألقاب ، باب « صفة النبي صلى الله عليه وسلم » : ٢٢٢/٤ .

(٧) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم » : ١٠٢/١ .

وهو كما قاله مسلم رحمه الله : فإن شريك بن عبد الله بن أبي تسيار اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظه ولم يقبضه ، كما سيأتي بيانه في الأحاديث الأخر .

ومتهم من يجعل هذا تمامًا توطئة لما وقع بعد ذلك ، والله أعلم .

[وقد قال الحافظ أبو بكر (١)] البيهقي : في حديث « شريك » زيادة تفرد بها ، على مذهبه من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ، يعني قوله : « ثم دنا الجبار ربّ العزة فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » - قال : وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة - في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل - أصبح (٢) .

وهذا الذي قاله البيهقي هو الحق في هذه المسألة ، فإن أبا ذر قال : يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ قال : نورا . أنى أراه . وفي رواية : رأيت نورًا . أخرجه مسلم (٣) رحمه الله .

وقوله : « ثم دنا فتدلى » ، إنما هو جبريل عليه السلام ، كما ثبت ذلك في الصحيحين ، عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود ، وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهم ، ولا يعرف لهم مخالفت من الصحابة في تفسير هذه [الآية] بهذا (٤) .

[وقال] الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت . فأتاني جبريل بآتاه من خمر وإتاه من لبن ، فاخترت اللبن - قال جبريل : أصبت الفطرة . قال : ثم عرج بي إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ [قال : قد أرسل إليه (٥)] . ففتح لنا ، فاذا أنا بأدم ، فرحب ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه . ففتح لنا فاذا أنا بأبي الخالة يحيى وعيسى ، فرحبا بي ودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ فقال : محمد . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه . ففتح لنا ، فاذا أنا بيوسف ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب ودعا لي بخير .

(١) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي مخطوط بدار الكتب رقم ٧٠١ حديث ، الجزء الثاني ، ووقته : ١٩٩ .

(٣) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « في قوله عليه السلام : نور أنى أراه » : ١١١/١ .

(٤) ينظر البخاري ، تفسير سورة التنجيم : ١٧٦/٦ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « في ذكر مدة المصطفى » : ١٠٩/١١ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من مخطوطة الأزهري ، أثبتناه من المصنف .

ثم صرَّح بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : قد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث (١) إليه . ففتح الباب فاذا أنا بآدم ، فرحب ودعا لي بخير ، ثم قال (٢) [يقول الله : (وولعناه مكانا عليا) .

ثم صرَّح بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل ، فقيل : من معك ؟ قال : محمد . فقيل : قد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فاذا أنا بهارون ، فرحب ودعا لي بخير ؛

ثم صرَّح بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فاذا أنا بموسى ، فرحب ودعا لي بخير ؛

ثم صرَّح بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فاذا أنا بإبراهيم ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يسودون إليه .

ثم ذهب لي إلى سدة الملتقى ، فاذا ورقها كأذان القبلة ، وإذا ثمرها كاللؤلؤ (٣) ؛ فلما خشيت أن أمر الله ما خشيتها تخيَّرت ، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسناتها - قال : فأوحى الله إليّ ما أوحى ، وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فترت حتى انتهيت إلى موسى - قال : ما فرض ربك على أمك ؟ قال : قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة - قال : أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمك لا تطيق ذلك ، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخيَّرتهم . قال : فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب ، خفف عن أمي ، فحط حتى حسا . فرجعت إلى موسى فقال : ما فعلت ؟ قلت : قد حطَّ حتى حسا . قال : إن أمك لا تطيق ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ، وحطَّ حتى حسا حسا حتى قال : يا محمد ، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة ، فإن عملها كتبت عشرا . ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة . فترت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال : أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ؛ فإن أمك لا تطيق ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت (٤) .

ورواه مسلم (٥) عن شيخان بن قرقوش ، عن حماد بن سميكة بهذا السياق ، وهو أصح من سياق شريك ؛ قال البيهقي : وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس (٦) ، وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية .

(١) لفظ المسند : « قال : قد أرسل إليه » .

(٢) ما بين القوسين عن المسند .

(٣) معنى تفسير هذه الكلمة في : ٣٧٨/٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٤٨/٣ .

(٥) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم » : ١٩٩ - ١٠١ .

(٦) دلائل النبوة ، غطوة دار الكتب ، ورقة : ١٢٠ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مُسْتَرْجِعًا ملجأ لركبه ، فاستصحب عليه ، فقال له جبريل : ما يحملك على هذا ؟ فوالله ما ركبك قط أكرم حل الله منه : قال : فارفض حرًا (١) .

ورواه الترمذي ، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرزاق ، وقال : « غريب لا نعرفه إلا من حديثه » (٢) .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخرج في ربي عز وجل ، مروت يقوم لم أخفار من نحاس ، يحمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » (٣) . وأخرجه أبو داود ، من حديث صفوان بن عمرو ، به . ومن وجه آخر ليس فيه أنس (٤) ، فالحق أعلم .

وقال أيضًا : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروت ليلة أسرى في علي موسى عليه السلام قائمًا يصلي في قبره » (٥) .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن سليمان بن مطر عن النعمي وثابت البناني ، كلاهما عن أنس (٦) . قال النسائي : وهذا أصح من رواية من قال : سليمان عن ثابت ، عن أنس .

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد ، عن التيمي ، عن أنس قال : أخبرني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مَرَّ على موسى وهو يصلي في قبره .

وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم بن محمد بن حمزة ، حدثنا محمر ، عن أبيه قال : سمعت أنسًا : أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مَرَّ بموسى وهو يصلي في قبره - قال أنس : ذكر أنه حمل على البراق ، فأوقف الدابة - أو قال : الفرس - قال أبو بكر : صفها لي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي كذه وذو (٧) » فقال : أشهد أنك رسول الله ، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد رآها (٨) .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [بينا أنا نائم] إذ جاء جبريل عليه السلام ، فوكر بين كفتي ، فقامت لي شجرة فيها كوكبي الطير ، فعدت في أحدهما

(١) مسند الإمام أحمد : ١٦٤/٣ . ورفض حرًا : جرى مره وسال .

(٢) تحفة الأحوف : تفسير سورة الإسراء الحديث ١٣٨ : ٥٦٢/٨ . ٥٦٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٢٤/٣ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في القبية » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢٠/٣ .

(٦) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب « من فضائل موسى عليه السلام » : ١٠٢/٧ .

(٧) كذا في الخصائص الكبرى السيوطي ، والطبعات السابقة . وفي خطوطة الأثر سكان « هي كذه وذو » وذكر كلمة .

(٨) أخرجه السيوطي في الخصائص الكبرى ، عن أبي يعلى والبيهقي : ٢٨٦/١ .

وقعدت في الآخر ، تَسَمَّتْ وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أتلب طرفي ، ولو شئت أن أمس السماء لمست ، فالتفت إلى جبريل عليه السلام كأنه حلس (١) لاء ، فرغت فقبل علمه بالله على ، وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب رفرف النور والياقوت ، وأوصى إلى ما شاء الله أن يوصي - ثم قال : هذا الحديث لا نعلم رواه إلا أنس ، ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث بن عبيد ، وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة .

ورواه الحافظ البيهقي في « الدلائل » عن أبي بكر القاضي ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن دُحَيْم ، عن محمد ابن الحسين بن أبي الحسن ، عن سعيد بن منصور ، فذكر بسنده مثله ، ثم قال : وقال غيره في هذا الحديث في آخره : « وُلِّطَ دُونِي - » أو قال : دون الحجاب رفرف النور والياقوت : ثم قال : هكذا رواه الحارث بن عبيد ، ورواه حماد ابن سلمة ، عن أبي عمران الجوني ، عن محمد بن عمر بن عمارد : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملاين أصحابه ، فجاءه جبريل ، فنكت في ظهره ، فلهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكري الطير ، فعدد في أحدهما وقعد جبريل في الآخر ، فتَنَسَّاتَ (٢) بنا حتى بلغت الأفق ، فلوسطت يدي إلى السماء لثنتها ، فقل بسببها وهبط النور ، فوقع جبريل مفشياً عليه كأنه حلس ، فرغت فقبل خطبته على خشي . فأوصى إلى : نيبا ملكا أو نيبا عينا ؟ وإلى الجنة ما أنت (٣) ؟ فأوما إلى جبريل وهو مضطجع : أن تواضع - قال قلت : لا بل نبياً عبداً (٤) .

قلت : وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الإسراء ، فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ، ولا الصمود إلى السماء ، فهي كاتفة غير ما نحن فيه ، والله أعلم .

وقال البزار أيضاً : حدثنا عمرو بن عيسى ، حدثنا أبو جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه : أن عمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل : هذا غريب .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم بن حنيفة بن أبي وقاص ، عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها أمرت (٥) ذنبها ، فقال لما جبريل : مه يا براق ، فواجه إن (٦) أركبك مثله وسار

(١) الحلس - بكسر فسكون - : الكساء الذي يلى ظهر البعير تحت الكتف . ولد بالأمر يلهط لئلاً : لزمه . والعرج لقيه بالحلس إذا أريد الدلالة على لزوم الأمر وعدم مفارقتها ، ومنه قوله عليه السلام : « كونوا أسلاسل بيوتكم » أي الزموها . وقول أبي بكر : « كن حلس بيلك » أي لزمه ، وقول بني فزارة لأبي بكر : « نحن أسلاسل الخيل » ، يريدون : ملازميتهم لظهورها ، والمعنى : أن جبريل عليه السلام لزّم مكانه ، وكان مثله مثل الكساء الذي يلى ظهر البعير . فهو ملتصق ، لا يدرقه . (٢) أي : ارتفعت .

(٣) أي : أوتقتت بهم .

(٤) لفظ الدلائل : « أو إل » يذكر هزة الاستفهام .

(٥) دلائل النبوة البيهقي ، خطوط يدار الكتب برقم ٧٠١ حديث : الجزء الثاني ، ورقة : ١١١ .

(٦) كلما في خطبته الأخر ، ومنه في دلائل النبوة البيهقي . وفي تفسير الطبري : « ضربت بلنبا » . ومعنى « أمرت ذنبها » : لونه . زمة قيل « لشمس » ، وهو من يلقى البكرة الصعبة ليقلها : « أمرها بذنبها » ، أي صرفها شفاً لشق ، حتى يذللها بذلك ، فإذا ذلت بالأمراء أرسلها إلى الرافض . فكانت قد كان من البراق مثل هذه الحركة في ذيلها ذات الجبين وذات النبال .

(٧) يعني : ما ركبك مثله . فإن : فعاد نبي .

ورسل الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو (١) بجزوز على جانب الطريق ، فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال : سر يا محمد ، قال : فسار ما شاء الله أن يسير ، فاذا هي يدعوه منتحيا عن الطريق يقول : هكُم يا محمد . فقال له جبريل : سريا يا محمد ، فسار ما شاء الله أن يسير ، قال : فلقية حنكن من الحنكن (٢) فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاضر ، فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد . فرد السلام ، ثم لقية الثانية فقال : له مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك ، حتى انتهى إلى بيت المقدس : فعرض عليه الماء والخمر واللبن ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ولو شربت الماء لفرقت وغرقت أمك ، ولو شربت الخمر لفوتت ولغوتت أمك ، ثم بيحث له آدم فرج دونه من الأكتياء عليهم السلام ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق ، فلم يبق من الدنيا إلا ما بيني (٣) من عمر تلك العجوز : وأما الذي أراد أن تميل إليه ، فذاك عبدو الله إبليس ، أراد أن تميل إليه . وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام (٤) .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة » من حديث ابن وهب ، وفي بعض ألفاظه تكرار وخراطة (٥) .
طريق أخرى من أنس بن مالك ، وفيها خراطة وتكرار جذا ، وهي في سنن النسائي المجتبى ، ولم أرها في الكبير قال : أخبرنا عمرو بن هشام ، حدثنا ميمون - هو ابن الحسن - عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثنا يزيد بن أبي مالك ، حدثنا أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتيت بلداً فوق الحمار ودون البغل ، فخطوها عند منتهى طرفها ، فركبت معي جبريل عليه السلام ، فسررت فقال : انزل فصل . فصليت ، فقال : أتدري أين صليت ؟ [صليت بطيبة وإليها المهاجرون (٦)] . ثم قال : انزل فصل . فصليت ، فقال : أتدري أين صليت ؟ (٧) [صليت بطور سيناء ، حيث كلم الله موسى . ثم قال : انزل فصل . فصليت ، فقال : أتدري أين صليت ؟ صليت ببيت لحم ، حيث ولد عيسى عليه السلام . ثم دخلت بيت المقدس فجمعت إلى الأكتياء عليهم السلام ، فقد منى جبريل حتى أمستهم [ثم صعدني إلى السهال الدنيا ، فاذا فيها آدم عليه السلام (٨)] ، ثم صعدني إلى السهال الثانية فاذا فيها ابنا الخالة : عيسى ويحيى عليهما السلام . ثم صعدني إلى السهال الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام . ثم صعدني إلى السهال الرابعة فاذا فيها هارون عليه السلام . ثم صعدني إلى السهال الخامسة فاذا فيها إدريس عليه السلام . ثم صعدني إلى السهال السادسة فاذا فيها موسى عليه السلام . ثم صعدني إلى السهال السابعة ، فاذا فيها إبراهيم عليه السلام . ثم صعدني فوق سبع سموات ، وأتيت سدرة المنتهى ، فغشيته شجيرة فخرت ساجداً ، فقبلني : إني يوم خلقت السموات والأرض ، فرضت

(١) لفظ الطبري : « فاذا هو بجزوز ناه عن الطريق ، أي على جنب الطريق » قال أبو جعفر : ينبغي أن يقول « نال » ، ولكن أسقط منها الثالث . وكان ابن كثير قد اختصر ذلك .

(٢) كذا في خطوط الأثر ، ومثله في دلائل النبوة للبيهقي ، وفي تفسير الطبري : « خلق من الخلاق » .

(٣) لفظ الطبري : « إلا بقدر ما بيني » .

(٤) تفسير الطبري : « ١٥/٥٠ » .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ، خطوط دار الكتب - الجزء الثاني ، ورقة : ١٠٧ .

(٦) المهاجرين - بلطح الجيم - : يعني المهاجرة . وطية : هي المدينة .

(٧) ما بين القوسين سقط من خطوط الأثر ، ولعلته من سنن النسائي .

عليك وعلى أمك خمسين صلاة ، قم بها أنت وأمتك [فرجعت إلى إبراهيم فلم يسألني من شيء] ثم أتيت موسى فقال : كم فرض الله عليك وعلى أمك ؟ [(١) قلت : خمسين صلاة] قال : فالك لا تستطيع أن تقوم بها ، لا أنت ولا أمك ، فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف : فرجعت إلى ربي فخففت عني حشراً ثم أتيت موسى فأخبرته بالرجوع ، فرجعت فخففت عني عشرين ، ثم رُدَّتْ إلى خمس صلوات : قال : فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف ، فإنه قد ركب على بني إسرائيل صلاتين ، فاقاموا بهما : فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف ، فقال : إلى يوم خلقته السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة ، فخمسين بنعمين ، قم بها أنت وأمتك وعرفت أنها من الله عز وجل منبري (٢) ، فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال : أرجع : فعرفت أنها من الله منبري - يقول : أحم حقن - فلم أرجع (٣) .

طريق أخرى ، وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا خاله بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، أتاه جبريل بداية فرق الحمار ودون البئيل ، حملة جبريل عليها ، ينتهي خطها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له : باب محمد صلى الله عليه وسلم ، أتى إلى الحجر الذي تسمه ، فندسه جبريل بأصبعه فقبه ، ثم ربطها . ثم صعد فلما استوى في صرحه (٤) المسجد ، قال جبريل : يا محمد ، هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال : نعم . فقال : فانطلق إلى أولئك النسوة ، فسكنن عليهن وهنَّ جلوس عن يسار الصخرة ، قال : فأتيتهن فسلمت عليهن ، فرددنَّ عليَّ السلام ، وقلتن : من أنتن ؟ قلتن : نحن عبيرات حسان ، نساء قوم أبرار ، فكُنَّ (٥) فلم يدرنَّوا ، وأقاموا فلم يظننوا ، وعطنوا فلم يموتوا : قال : ثم انصرفت ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع لاس كثير ، لم أذن مؤذن ، وأقيمت الصلاة - قال : فقمنا صفواً ننتظر من يؤمنا : فأخذ يبدي جبريل عليه السلام ، فقدمي فصليت بهم . فلما انصرفت قال جبريل : يا محمد ، أتدري من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا : قال : صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل .

قال : ثم أخذ يبدي جبريل فصعدني إلى السماء ، فلما انتهيت إلى الباب استفتح فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . قال : فتحتوا له وقالوا : مرحباً بك ومن معك . قال : فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم ، فقال لي جبريل : يا محمد ، ألا تسلم على أبيك آدم ؟ قال : قلت : بلى . فأنيته فسلمت عليه ، فرد عليَّ وقال : مرحباً بابني والنبي الصالح . قال : ثم عرج في إلى السماء الثانية فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . فتحتوا له وقالوا : مرحباً بك ومن معك : فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام : قال : ثم عرج في إلى السماء الثالثة فاستفتح ،

(١) ما بين القوسين سقط من خطوطة الأثر ، والمكتبة من سنن الترمذي .

(٢) صرى - بكسر الصاد المهملة ، وفتح اللام المشددة : آخرها ألف متصورة - أي : حزيمة باقية لا تقبل السبع .

(٣) من الناس : كتاب الصلاة ، باب فرض الصلاة ، واختلاف الثقاتين في إسناد حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

والمختلف أنما عليهم فيه : ٢٢١/١ - ٢٢٢ .

(٤) صرح المسجد : ساحته .

(٥) الله : ظهره .

قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل : قالوا : ومن مملك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وعن مملك . فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم خرج في إلى السماء الرابعة فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن مملك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وعن مملك . فإذا فيها إدريس عليه السلام - قال : فخرج في إلى السماء الخامسة فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن مملك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وعن مملك . فإذا فيها هارون عليه السلام . قال : ثم خرج في إلى السماء السادسة فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن مملك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا وقالوا : مرحباً بك وعن مملك . فإذا فيها [موسى عليه السلام : ثم خرج في إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن مملك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحباً بك وعن مملك . فإذا فيها] إبراهيم عليه السلام . فقال جبريل : يا محمد ، ألا تسلم على أبيك إبراهيم ؟ قال : قلت : بلى . فأنبت فسلمت عليه ، فرد على السلام ، وقال : مرحباً بك يا بني ، والهي الصالح .

ثم انطلق في على ظهر السماء السابعة ، حتى انتهى في إلى نهر عليه خيام الباقوت واللؤلؤ والزبرجد ، وعليه طير خضر ، أنعم طير رأيت . قلت : يا جبريل ، إن هذا الطير لنام ؟ قال : يا محمد ، آكله أنعم منه . ثم قال : يا محمد ، أتدري أي نهر هذا ؟ قال : قلت : لا . قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه . فإذا فيه آية الذهب والفضة ، يجري على رصراض (١) من الباقوت والزمرّد ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن . قال : فأخلفت منه آية من الذهب ، فاخترت من ذلك لئلا فشربت ، فإذا هو أحل من الصل ، وأشد راحة من المسك . ثم انطلق في حتى انتهت إلى الشجرة ، ففشيئني بحابة فيها من كل لون ، فرفضني (٢) جبريل ، وغررت ساجدا لله عز وجل ، فقال الله لي : يا محمد ، إن يوم خلقت السموات والأرض فرغت عليك وحل أمك حسين صلاة ، فم بها أنت وأمتك . قال : ثم أجمعت عني السحابة وأخذ بيدي جبريل ، فانصرفت سريعاً فأنبت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، ثم أنبت على موسى ، فقال : ما صنعت يا محمد ؟ قلت : فرض ربّي علىّ وعلى أمّي حسين صلاة . قال : فلن تستطيعي أنت ولا أمتك ، فارجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عنك . فرجيت سريعاً حتى انتهت إلى الشجرة ، ففشيئني السحابة ، ورفضني جبريل ، وغررت ساجدا ، وقلت : ربّ ، إنك فرغت علىّ وعلى أمّي حسين صلاة ، ولن أستطيعها أنا ولا أمّي ، فخفف عا . قال : قد وضعت عنكم عشرا . قال : ثم أجمعت عني السحابة ، وأخذ بيدي جبريل وانصرفت سريعاً ، حتى أنبت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً . ثم أنبت على موسى فقال لي : ما صنعت يا محمد ؟ قلت : وضع ربّي عني عشرا . فقال : أريهم صلاة ! لن تستطيعي أنت ولا أمتك ، فارجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عنكم - ففكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات ، وخمس خمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأل الخفيف ، قلت : إنّي قد استحييت منه تعالى .

(١) الرصراض : الحصى الصغير .

(٢) أي : تركني .

قال : ثم انحدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : مالي لم آت هل ساءه إلا رحوا في وضحكوا إلى ،
غير رجل واحد ، فسلمت عليه فرد على السلام فرحب في ولم يضحك إلى ، قال : يا محمد ، فذاك مالك خازن جهنم ،
لم يضحك منذ خلق ، ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك .

قال : ثم ركب منصرفا ، فبينما هو في بعض طريقه مرّ بمبر لقريش يحمل طعاما ، منها جمل عليه غراراتان :
غرامة سوداء ، وغرامة بيضاء ، فلما حاذى بالمبر نفرت منه واستدارت ، وصرع ذلك المبر وانكسر .

ثم إنه مضى فأصبح ، فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أباهم فقالوا : يا أبا بكر ، هل لك في صاحبك ؟
يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ، ثم رجع في ليلته . فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن كان قاله فقد صدق ، وإن
لنصدقه فما هو أبعد من هذا ، نصدقه على خير النباه

فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما علامة ما تقول ؟ قال : مررت بمبر لقريش ، وهي في مكان
كلنا وكلنا ، فنفرت المبر منا واستدارت ، ولها [مبر عليه] غراراتان : غرامة سوداء ، وغرامة بيضاء ، فصرع
فانكسر .

فلما قلعت المبر سألوهم ، فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك سمي أبو بكر :
الصادق .

وسأله وقالوا : هل كان ملك قمين حضر موسى وعيسى ؟ قال : نعم . قالوا : فصفهم : قال : نعم ، أما موسى
فرجل آدم ، كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجل ربة ، سبط ، تملوه حمرة ، كأنما يتحادر من شعره الجمان (١) .
هذا سياق فيه غرائب عجيبة .



رواية أنس رضي الله عنه ، عن مالك بن صعصعة ، قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا هشام قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك : أن مالك بن صعصعة حدثه : أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به ، قال : بينا أنا في الحطيم - وربما قال قتادة : في الحجير - مضطجعا ،
إذ أتاني آت - فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة - قال : فأتاني ففك - وسمعت قتادة يقول : فشق - ما بين هذه
إلى هذه - وقال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعني ؟ قال : من ثقرة تحره إلى شمرته ، وقد سمعته
يقول : من قصته (٢) إلى شمرته - قال : فاستخرج قلبي - قال : فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة ،
ففسل قلبي ثم حشيت ، ثم أعيد . ثم أتيت بداية دون البعل وفوق الجمار أبيض - قال قتادة الجارود : وهو البراق يا أبا
حمزة ؟ قال : نعم ، يقع خطوه عند أقصى طريقه - قال : فحملت عليه ، فاطلقت في جبريل عليه السلام ، حتى أتى به

(١) الجمان : الأول . والحديث أخرجه السيوطي في التمهيد الكبير عن ابن أبي حاتم : ٢٨٧ - ٢٨٨/١ .

(٢) كلما ، ومثله في المتمدن . وفي النهاية لابن الأثير : وفي حديث الميت : (أتاني آت ففك من قصي إلى شرق) ، انقص
والقصص : علم الصدر المنقوش فيه شرايف الإصلاح في وسطه ، وهذا ولم نجد قصة ، والله أعلم بالصواب . ومن نفسه .

إلى السماء الدنيا ، فاستفتح فقبل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . فقيل : مرحباً به ، ولنعم المجدى جاء . قال : ففتح فلما خلصت فلذا فيها آدم عليه السلام ، فقال : هذا أيوك آدم ، فسلم عليه . فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقبل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم المجدى جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت ، فلذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا لئلاء ، قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما . قال : فسلمت فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح ، فقبل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم المجدى جاء . قال : ففتح فلما خلصت فلذا يوسف (١) عليه السلام ، قال : هذا يوسف . قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح فقبل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم المجدى جاء . قال : ففتح ، فلما خلصت فلذا إدريس ، قال : هذا إدريس [فسلم عليه (٢)] قال : فسلمت عليه . فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، فقبل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم المجدى جاء . قال : ففتح (٣) ، فلما خلصت فلذا هارون عليه السلام ، قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح ، فقبل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم المجدى جاء . ففتح ، فلما خلصت فلذا أنا موسى قال : هذا موسى عليه السلام [فسلم عليه (٤)] . فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح - قال : فلما تجاوزته بكى . قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاماً بعث بعدى ، يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمي .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح ، فقبل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، ولنعم المجدى جاء . قال : ففتح فلما خلصت فلذا إبراهيم عليه السلام ، فقال : هذا إبراهيم فسلم عليه . قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

(١) في المخطوطة : ولما خلصت فلذا إدريس عليه السلام - قال : هذا إدريس ، وعمل هاشبا ، له لعله يوسف .
والصواب : يوسف ، كما في المتن .

(٢) ما بين التوسعين من مسند الإمام أحمد .

قال : ثم رفعت إلى صدره المتني ، فإذا تبعتها مثل قلال (١) حَجَرٍ ، وإذا ورقها مثل آذان القيلة ، فقال : هذه صدره المتني . قال : وإذا أربعة أُنْجَارٍ : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

قال : ثم رُفِعَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ .

قال قتادة : وحدثنى الحسن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون فيه .

ثم رجع إلى حديث أنس [قال : ثم] أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل - قال : فأخطت اللبن ، قال : هذه القطرة ، وأنت عليها وأمتك .

قال : ثم فرضت الصلاة لحسين صلاة كل يوم - قال : فتولدت حتى انتهيت إلى (٧) موسى ، قال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قال : قلت : خمسين صلاة كل يوم - قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإني قد عبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف عن أمتك - قال : فرجعت فوضع عني عشرا قال : فرجعت إلى موسى ، قال : قلت : بأربعين صلاة كل يوم - قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإني قد عبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال : فرجعت فوضع عني عشرا آخر . فرجعت إلى موسى فقال : هم أمرت ؟ قلت : أمرت بثلثين صلاة . قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، وإني قد عبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرا آخر ، فرجعت إلى موسى فقال : هم أمرت ؟ قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم - قال : إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم ، وإني قد عبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فوضع عني عشرا آخر ، فرجعت إلى موسى فقال : هم أمرت ؟ قلت : أمرت بعشر صلوات في كل يوم . فقال : إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم ، وإني قد عبرت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك . قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : هم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . فقال : إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات [كل يوم] ، وإني قد عبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك . قال : قلت : لقد سألت ربي حتى استحييت [منه] ولكني أرضى وأسلم . فنزلت ، فنادي مناد : قد أمضيت برؤسني ، غشقت عذى حادى (٨) .

وأخرجاه في الصحيحين ، من حديث قتادة ، بنحوه (١) .

• ❁ ❁ ❁

روایۃ انس عن ابی ذر : قال البخاری : حدثنا یحیی بن بکیر ، حدثنا الیث ، عن یونس ، عن ابن شہاب ، عن انس بن مالک قال : کان أبو ذر رضی اللہ عنہ یحدث أن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال : « فرج سفوف »

(١) مضمون تفسير هذه الكلمة في : ٣٧٨/٤ .

(۲) لفظ المسند : « قال : فرجعت فردت على موسى عليه السلام ، قال : ماذا أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة كل يوم » .

(۳) مسجد الإمام أحمد : ۲۰۸٪ ± ۲۱۰ .

(٤) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب «ذكر الملائكة»: ١٣٣/٤ - ١٣٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب «الإسراء»

رسول الله صلى الله عليه وسلم : وفريش الصلوات : ١/١٢ - ١٠٠ .

بني وأبا بمكة ، فتوك جبريل فرج [صدى ، ثم ضله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب بمثل حكمة وإعانة ، فأفرغه [في صدى ، ثم أطبقه . ثم أخذ يبنى فترج في إلى السماء ، فلما جئت إلى السماء [الدنيا (١)] قال جبريل تخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل ملك أحد ؟ قال : نعم ، مئى عبد . قال : أرسل إليه ؟ قال : نعم . فلما فتح عكونا السماء الدنيا وإذا رجل قاعد على يمينه أسودة (٢) وعلى يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبيل شماله بكى . فقال : مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله تسم (٣) بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التى من شماله أهل النار : فإذا نظر من يمينه ضحك ، وإذا نظر من شماله بكى .

ثم خرج إلى السماء الثانية فقال تخازنها : افتح . فقال له خازنها مثل ما قال له الأول ، ففتح - قال أنس : المذكور أنه وجد في السموات آدم ، وإدريس ، وموسى ، وهيسى ، وإبراهيم ، ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة - قال أنس : فلما مر جبريل (٤) بالنبى صلى الله عليه وسلم بإدريس قال : مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ فقال : هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : موسى . ثم مررت بهيسى فقال : مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال عيسى ابن مريم . ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم - قال الزهرى : فأنشبر في ابن حزم : أن ابن عباس وأبا حنيفة الأنصارى كانا يقولان : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ثم خرج في حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام - قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ففرض الله على أمى حسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال : ما فرض الله على أمك ؟ قلت : فرض حسين صلاة . قال : فارجع إلى ربك ، فإن أمك لا تعلق ذلك . فرجعت [فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى ، قلت : وضع شطرها . فقال : ارجع إلى ربك ، فإن أمك لا تعلق : فرجعت فوضع شطرها . فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك ، فإن أمك لا تطيق ذلك . فراجعت (٥)] فقال : هي خمس وهي حسون ، لا يبدل القول لدى . فرجعت إلى موسى فقال : ارجع إلى ربك . قلت : قد استحييت من ربي . ثم انطلق في حتى انتهى إلى سبورة المشهى ، فمشىها ألوان لا أدري ما هي . ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبابدة

(١) ما بين القوسين من الصحاح .

(٢) أسودة : جميع سواد ، وهو : كل شخص من إنسان وغيره .

(٣) في الخطوط : « ومن شماله نطف بنيه » . والمثبت من الصحاح . والنتم - بنفحتين - : جميع لسة ، وهي النفس .

(٤) هذا لفظ البخارى ، ولفظ مسلم : « فلما مر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس » . ومعنى لفظ البخارى :

« فلما مر جبريل مع النبى صلى الله عليه وسلم على إدريس » . فالجاء بمعنى « مع » .

(٥) ما بين القوسين سقط من الخطوط ، والمثبت من البخارى .

القول: (١) ، وإذا تراها للملك :

هذا لفظ البخاري في « كتاب الصلاة » (٧) ، ورواه في ذكر بني إسرائيل ، وفي الحج ، وفي أحاديث الأنبياء من طرق آخر ، عن يونس ، به . ورواه مسلم في صحيحه في « كتاب الإيمان » منه ، عن حرسلة ، عن ابن وهب ، عن يونس ، به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفان ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته . قال : وما كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأى وبه ؟ فقال : إني قد سألت فقال : إني قد رأيته نوراً أتى أراه (٣) .

هكذا قد وقع في رواية الإمام أحمد : وأخرجه مسلم في صحيحه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق : [عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : نور أتى أراه .

وعن محمد بن بشر ، عن معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق (٤) قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته . فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله : هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألت فقال : رأيت نوراً (٥) .

رواية أنس ، عن أبي بن كعب الأنصاري رضى الله عنه ، قال حدثنا الله بن الإمام أحمد : حدثنا محمد بن إسماعيل ابن محمد السبيعي ، حدثنا أنس بن عياض ، عن يونس بن يزيد (٦) قال : قال ابن شهاب : قال أنس بن مالك : كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرج سقف بيتي وأنا عكة » فترك جبريل ففترج صدرى لم يخله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب بمثل حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري لم يلبث أن أمد يدي ففترج بي إلى السماء . فلما جاء الماء الدنيا [فافتتح فقال : من هذا ؟ قال : جبريل] قال : هل ملك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد . قال : أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فافتح . فلما علونا السماء الدنيا (٧) إذا رجل عن يمينه أسود ، وعن يساره أسود ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبله مال بهكي (٨) . قال : مرحبا بالنبي الصالح

(١) كذا في غلطية الأزهري ، وهو موافق لفظ مسلم ، وفي البخاري : « حيايل القول » . والجواب - كما في التباية - جمع جبلنة ، وهي : القبة . وقال ابن الأثير في مادة جبل : « وفي صفة الجنة : فإذا فيها حيايل القول » هكذا جاء في البخاري ، والمروث و « جناب القول » ، فإن صحت الرواية فيكون أراد به مواضع مرتفعة كجبال الرمل . كأنه جمع حيايل ، وسهالة جمع جبل ، وهو جمع حل غير قياس .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : كيف فرضت الصلوات في الإسراء : ٩٧/١ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الإسراء : ١٠٣/١ ، ١٠٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٤٧/٥ .

(٤) ما بين القوسين سقط من غلطية الأزهري . والمثبت عن الطبعات السابقة .

(٥) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : « نور أتى أراه » : ١١١/١ .

(٦) في المسند : « يونس بن زيد » . وهو خطأ ، والصواب ما هنا . وينظر ترجمة « يونس بن زيد » في التذييل : ١١/١٠٠ .

(٧) ما بين القوسين المقوفين سقط من تفسير ابن كثير ، أثبتناه عن مسند الإمام أحمد ، وهو سقط نظر .

(٨) لفظ المسند : « وإذا نظر قبل يمينه يسم » وإذا نظر قبل يساره يكي .

والابن الصالح : قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله تسمُّ بنيه ، فأهل اليمن هم أهل الجنة ، والأشودة التي عن شماله هم أهل النار : فإذا نظر قبيل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى - قال : ثم خرج بي جبريل حتى أتى المياه الثانية ، فقال لخازنها : افتح . فقال له خازنها : ما قال خازن السماء الدنيا ففتح له - قال أنس : فذكر أنه وجد في السموات : آدم ، وإدريس ، وموسى ، وعيسى ، وإبراهيم ، ولم يُكَبِّتْ في كَيْفَتِ منازلهم ؟ غير أنه ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السابعة - قال أنس : فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس قال : مرحبا بالثني الصالح والأخ الصالح . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إدريس : قال : ثم مررت بموسى ، فقال : مرحبا بالثني الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال : مرحبا بالثني الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ابن مريم : قال : ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحبا بالثني الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم - قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم : أن ابن عباس وأبا حبيبة الأنصاري كانا يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم خرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقدام . قال ابن حزم وأنس ابن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرض الله على أمي خمسين صلاة : قال : فرجعت بذلك حتى أمرني موسى ، فقال موسى : ماذا فرض ربك على أمك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة . فقال لي موسى : راجع ربك ، فإن أمك لا تطيق ذلك . قال : فراجعت ربي . فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك ، فإن أمك لا تطيق ذلك ، فرجعت فقال : هي خمس وهي خمسون . لا يبدل القول لدى . قال : فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك . فقلت : قد استحييت من ربي . قال : ثم انطلق في حتى أتى سدرة المنتهى ، قال : ففتشها ألوان ما أدري ما هي ؟ قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جَنَابَد اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك .

هكذا رواه عبد الله بن أحمد بن مسند (١) أبيه : وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس ، عن الزهري ، عن أبي زر ، مثل هذا السياق سواء ، فالحق أعلم .

رواية بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب الأَسْلَمِي ، قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبد الرحمن بن المزركل ويعقوب بن إبراهيم واللفظ له - قال : حدثنا أبو ثُمَيْلَةَ ، أخبرنا الزبير بن جندة ، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما كان ليلة أُسْرِى به قال : فأتى جبريل الصخرة التي بيئت المقدس ، فوضع إصبعه فيها فخرتها ، فشدَّ بها البراق » .

ثم قال البزار : لا تعلم رواه عن الزبير بن جندة إلا أبو ثُمَيْلَةَ ، ولا أعلم هذا الحديث إلا عن بُرَيْدَةَ . وقد رواه الرملى في التفسير من جماعه ، عن يعقوب بن إبراهيم النخعي ، به ، وقال : غريب . (٢)

رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله يحدث : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما كَذَبَتْني

(١) مسند الإمام أحمد : ١٤٢/٥ ، ١٤٤ .

(٢) تحفة الأوسى ، تفسير سورة بني إسرائيل : ٥ ، الحديث ٥١٣٩ ، ٥٦٥/٨ .

قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحِجْر فجلّى الله لي بيت المقدس ، فطيفت أنحرم عن آياته وأنا أنظر إليه (١) .

أنحرجاه في الصبحين من طرق ، عن الزهري ، به (٢) .

وقال البيهقي : أخبرنا أحمد بن الحسن القاضى ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن همد الدؤوبى ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهى إلى بيت المقدس ، لقي فيه إبراهيم وموسى وعيسى ، وله أنبياء بلذخج ، قدسح من لبن وقدسح خر ، فنظر إليهما ، ثم أخذ لفح اللبن ، فقال جبريل : أصبت ، هديت للظفرة لو انخرت انخرت لفتوت أمك . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فلنبر أنه أسرى به ، فافتق ناس كثير كانوا قد صلوا معه .

قال ابن شهاب : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : فتجهز — أو كلمة نحوها — ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ! قال أبو بكر : أوكاك ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : فأشهد أن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إنى أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخير السماء . قال أبو سلمة : فيها سمى أبو بكر الصديق .

قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما كتبني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحِجْر ، فجلّى الله لي بيت المقدس ، فطيفت أنحرم عن آياته وأنا أنظر إليه (٣) .



رواية حليفة بن اليان رضى الله عنه ، قال الإمام أحمد : ثنا أبو النضر ، ثنا شيان ، عن عاصم ، عن زوّ بن حُبَيْش قال : أتيت على حليفة بن اليان وهو يحدث عن ليلة أسرى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول : فانطلقنا حتى أتينا بيت المقدس . فلم يدخله — قال قلت : بل دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتند وصلّى فيه : قال : ما اسمك يا أصلع ، فإني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك ؟ قال قلت : أنا زوّ بن حُبَيْش . قال : فما علمك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فيه ليتند ؟ قال قلت : القرآن يخبرني بذلك . قال : من تكلم بالقرآن فكسح (٤) ، اقرأ : قال فقلت : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) . قال : يا أصلع ، هل تجد وصلّى فيه ؟ قلت : لا . قال : والله ما صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتند ، ولو صلى فيه لكتب عليكم صلاة فيه ، كما

(١) مستد الإمام أحمد : ٣٧٧/٣ .

(٢) البخارى ، تفسير سورة يونس إسرائيل ٦/١٠٤ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم

١٠٨ / ١ .

(٣) دلائل النبوة البيهقي ، مخطوط بدار الكتب برقم ٧٠٦ حديث ، الجزء ثلثان ، ورقة : ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٤) أي : غلب . ولفظ التملص : ومن أحجج بالقرآن فقد ألحق — قال شيان : يقول : قد أحجج ، ودعا قال : قد لُجج .

كتبه عليكم صلاة في البيت العتيق ، والله ما زايلا الرائق حتى فصحت لها أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ووعدا الآخرة
أجمع ، ثم حادوا عودها (١) على بينهما . قال : ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال : وتحدثوا أنه ربطه لما يفر منه (٢) ،
وإنما سخره له علم النبي والشهادة : قلت : أبا عبد الله ، أي دابة الرائق ؟ قال : دابة أبيض طويل هكذا ، يخطوه
مكة البصر (٣) .

ورواه أبو داود الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، به : ورواه الترمذي والتسائي في التفسير ، عن
حديث عاصم - وهو ابن أبي التَّجُود - به ، وقال الترمذي (٤) : حسن صحيح .

وهذا الذي قاله حليفة رضي الله عنه نفي ، وما أتبعه غيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربط الدابة بالحلقة
ومن الصلاة بالبيت المقدس ، مما سبق وما يلقى مقدم على قوله (٥) ، والله أعلم بالصواب .

رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخفري ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب « دلائل النبوة » :
أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو بكر يحيى بن أبي طالب ،
حدثنا عبد الرهاب بن همام ، أخبرنا أبو محمد راشد الحماني ، عن أبي هارون التميمي ، عن أبي سعيد الخفري
رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له أصحابه : يا رسول الله ، أخبرنا عن ليلة أسرى بك فيها ،
قال : قال الله عز وجل : (سبحانه الذي أسرى بيمينه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ،
لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) ، قال : فأخبرهم فقال : « فينا أنا تأم شفاء في المسجد الحرام ، إذ أتاني آت
فايقظني ، فاستيقظت فلم أر شيئا ، وإذا أنا بكهينة خيال ، فأبصته بصرى حتى خرجت من المسجد ، فإذا أنا بدابة أدنى
في شبهة بدوابكم هذه ، بظالمك هذه ، مضطرب الأذنين ، يقال له : الرائق . وكانت الأنبياء تركبه قبلي ، يقع حافره
عند مكة بصره ، فركبته . فينا أنا أسير عليه ، إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد ، انظرني أسألك ، يا محمد ، انظرني
أسألك . فلم أجبه ولم أقم (٦) عليه ، [فينا أنا أسير عليه ، إذ دعاني داع عن يساري : يا محمد ، انظرني أسألك ،
فلم أجبه ولم أقم عليه] . فينا أنا أسير ، إذ أنا امرأة حاسرة من ذراعها ، وعليها من كل زينة خطفها الله ، فقالت :
يا محمد ، انظرني أسألك . فلم ألتفت إليها ولم أقم عليها ، حتى أتيت بيت المقدس ، فأولفت دابتي بالحلقة التي كانت
الأنبياء توثقها بها . فأتاني جبريل عليه السلام يئامنين : أحدهما خر ، والآخر لين ، فشربت اللبن ، وتركتم الحمر ، فقال
جبريل : أصبت القطرة . فقلت : الله أكبر ، الله أكبر . فقال جبريل : ما رأيت في وجهك (٧) هذا ؟ قال : فقلت :
يئنا أنا أسير ، إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد ، انظرني أسألك . فلم أجبه ولم أقم عليه . قال : ذلك داعي اليهود ،
أما إنك لو أجبت - أو : وقت عليه - لتهددت أمك . قال : فينا أنا أسير ، إذ دعاني داع عن يساري قال : يا محمد ،

(١) يقال : « رجع عوداً على يده ، وعوده على يده » أي : لم يقطع ذهابه حتى وصله يرجوه .

(٢) نطق المسند : « ويحدثون أنه لربطه ليفر منه » . ولفظ الترمذي : « ويحدثون أنه ربطه لما يفر منه » .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٨٧/٥ . ويظهر أيضاً المسند : ٣٩٢/٥ ، ٣٩٤ .

(٤) تحفة الأحوص : تفسير سورة بني إسرائيل . الحديث : ٥١٥٥ / ٨ - ٥٨٢ / ٨ - ٥٨٤ .

(٥) هذا المصنف لبه الحافظ أبو اللؤلؤ البغهي ، ينظر تحفة الأحوص : ٥٨٤ / ٨ .

(٦) يقال : « قام للذن على الشيء » : إذا نهت عليه وتمسك به . يروى : لم ألتفت في مكان منته .

(٧) لوجه هنا يعني الجهة والخاصية .

انظرني أسألك . ثم أنفت إليه ولم أقم عليه : قال : ذاك داعي التصاري ، أما إنك لو أجيته لتصرت أمك . قال :
 فيها أنا أسير إذا أنا امرأة حاسرة من ذراعيها ، عليها من كل زينة خلقها الله تعالى تقول : يا محمد ، انظرني أسألك .
 فلم أجبها ولم أقم عليها . قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أجيته أو أنفت عليها ، لا اختبرت أمك الدنيا على الآخر .
 قال : ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، ففعل كل واحد منا وكثير .

ثم أتيت بالمعراج الذي تخرج عليه أرواح بني آدم ، فلم ير خللاق أحسن من المعراج ، أما وأيت الميت حي
 يُشَقُّ بصره طامعا إلى السماء ، فاما يُشَقُّ بصره طامعا إلى السماء حُجْبُهُ بالمعراج ، قال : فصعدت أنا وجبريل :
 فإذا أنا بملك يقال له : « إسماعيل » ، وهو صاحب مياه الدنيا ، ويده يديه سبعون ألف ملك ، مع كل ملك جُنْدُهُ
 مائة ألف ملك . قال : وقال الله : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) - فاستفتح جبريل باب السماء ، قيل : مع هذا ؟
 قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم ، فإذا أنا بآدم كهيته يوم خلقه الله
 تعالى على صورته ، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين ، فيقول : روح طيبة ، ونفس طيبة ، اجعلوها في جليل .
 ثم تعرض عليه أرواح ذريته النجباء ، فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة ، اجعلوها في سجين .
 ثم مضيت هنيئة ، فإذا أنا بأشوة (١) عليها سلم مشرق ، ليس يقربا أحد ، وإذا [أنا] بأشوة أخرى عليها
 سلم قد أُرِجَ وأُنِنَ ، عندها أناس يأكلون منها ، قلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمك ، يتركون الحلال
 ويأثرون الحرام .

قال : ثم مضيت هنيئة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت ، كلما نفث أحدهم عَرَّ يقول : اللهم ، لا تُعَمِّ الساحة
 - قال : وهم على سابلة آل فرعون ، قال : فتبىء السابلة فطوهم ، قال : فسمعتهم ينجون إلى الله عز وجل ،
 قال : قلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمك (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي
 يتخبطه الشيطان من المس) .

قال : ثم مضيت هنيئة فإذا أنا بأقوام مشافهم كشافر الإبل - قال : ففتح على أفراهم ويلقون من ذلك
 الحمر ، ثم يخرج من أسافلهم . فسمعتهم ينجون إلى الله عز وجل . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء
 من أمك (الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيبضون سيرا) - قال : ثم مضيت
 هنية فإذا أنا بنساء يملتن بشد يمين ، فسمعتهم ينجون إلى الله عز وجل . قلت : يا جبريل ، من هؤلاء النساء ؟
 قال : هؤلاء الزناة من أمك .

قال : ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم ، فيلقونوه ، فيقال له : كل كما كنت تأكل
 من لحم أخيك . قلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجازون من أمك اللمازون .

قال : ثم صعدنا إلى السماء الثانية ، فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل ، قد قَسَلَ الناس في الحسن كالقمر
 لية البدر على سائر الكواكب . قلت : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا أنوك يوسف ومعه نمر من قومه ، فسليت
 عليه وسلم على .

(١) يمدح في قذائل ، وهي الخوان الملقاة التي يؤكل عليها

ثم صعدت إلى السماء الثالثة ، فإذا أنا بآدمي وعيسى عليهما السلام ، ومعهما نفر من قومهما ، فسلمت عليهما وسلمنا علي^١ .

ثم صعدت إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بآدمي قد ردفه الله مكاناً علياً ، فسلمت عليه وسلمت علي^٢ . قال : ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا بهارون ، ونصف لحيته يضاء ونصفها سوداء ، تكاد لحيته تصيب سريره من طولها ، قلت : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا المحبب في قومه ، هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي^٣ .

ثم صعدت إلى السماء السادسة ، فإذا أنا بموسى بن عمران ، رجل آدم كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان لثقله شره دون القميص ، فإذا (١) هو يقول : يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا ، بل هذا أكرم على الله تعالى مني . قال : قلت : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا أشوك موسى بن عمران عليه السلام ، ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي^٤ .

ثم صعدت إلى السماء السابعة ، فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن سائداً ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال ، قلت : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا أبوك خليل الرحمن ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلمت علي^٥ ، وإذا [أنا] بأبني شطرين ، شطر عليهما ثياب بيض كأنها القرامطيس ، وشطر عليهما ثياب رُمَدٌ . قال : فدخلت البيت المعمور ، ودخل معي الذين عليهما الثياب البيض ، وحجبت الآخرون الذين عليهما ثياب رُمَدٌ ، وهم على حجر . فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ومن معي — قال : والبيت المعمور يُصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يحدون فيه إلى يوم القيامة .

قال : ثم دُفعت في سكرة المنهى ، فإذا كل ورقة منها تكاد أن تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها حين تجري يقال لها : سلسيل ، فينشق منها نهران ، أحدهما : الكوثر ، والآخر يقال له : نهر الرحمة . فاغتسلت فيه ، فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

ثم إنني دُفعت إلى الجنة ، فاستقباني جارية ، فقلت : إن أنت يا جارية ؟ فقالت : لزيد بن حارثة ، وإذا [أنا] بأنهار من [ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار (٢) من] حسل مصفى ، وإذا رمانها كأنه اللؤلؤ (٣) عظماء ، وإذا أنا بطيرها كأنها بختيكم (٤) هذه — فقال عندها صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى قد أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

قال : ثم عرضت علي النار ، فإذا فيها غضب الله وزجره وتقمته ، لو طُرِح فيها الحجارة والحديد لأكلتها . ثم أظفقت دوني^٥ .

ثم إنني دُفعت إلى سدرة المنتهى ، فتشافى (٥) فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى — قال : وتزل على كل ورقة ملك من الملائكة قال : وفُرضت على حسن . وقال : لك بكل حسنة عشر ، إذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك عشرين . وإذا هممت بالسئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء ، فإن عملتها كتبت عليك سئة واحدة .

(١) لفظ الدلائل : « لقد شره دون القميص إذا وهو يقول » ، وضبط لفظ الإله حكماً ، بكسر المعزة وتقديده الدال .

(٢) ما بين القوسين من الدلائل .

(٣) اللؤلؤ : جميع دلو .

(٤) البختي : جمل طويل اللق .

(٥) لفظ الدلائل : « فغفر لي » .

ثم دُعِيتُ إِلَى موسى فقال : مِمَّ أَمْرُكَ بِكَ ؟ قلت : غُتِّسِينَ صَلَاةً ، قال : ارجعْ إِلَى ربِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمْرِكَ ، فَإِنَّ أَمْرَكَ لَا يَطْبِقُونَ ذَلِكَ ، وَمَعْنَى لَا [تَطْلِقُهُ] تَكْفُرُ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، خَفِّفْتَ عَنْ أُمَّتِي ، فَأَنَّا أَضَعَفُ الْأَمَمَ . فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، وَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ : لَمَّا زِلْتُ أَنْخَلِفُ بَيْنَ موسى وَرَبِّي ، كَلِمًا أَتَيْتُ عَلَيْهِ قَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَتِهِ ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي : مِمَّ أَمْرُت ؟ فَقُلْتُ : أَمْرُتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ : قَالَ : ارجعْ إِلَى ربِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمْرِكَ . فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ : أَيُّ رَبِّ ، خَفِّفْتَ مِنْ أُمَّتِي فَأَنَّا أَضَعَفُ الْأَمَمَ ؟ فَوَضَعَ عَنِّي خَمْسًا ، وَجَعَلَهَا خَمْسًا ، فَتَادَانِي مَلَكًا عَنْدهَا : تَمَتَّتْ فَرِيضَتِي ، وَخَفَّفَتْ عَنْ حِبَادِي ، وَأَصْلَحَتْهُمْ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرًا أَمْثَلَهَا .

ثم رَجَعْتُ إِلَى موسى فقال : مِمَّ أَمْرُت ؟ فَقُلْتُ : غُتِّسَ صَلَوَاتٍ : قَالَ : ارجعْ إِلَى ربِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّهُ لَا يَتَّبِعُوه شَيْءًا ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمْرِكَ : فَقُلْتُ : رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَجِيبَتْ ، ثُمَّ أَصْبَحَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُم بِالْأَعْلَاجِيَةِ : إِنِّي أَتَيْتُ الْبَارِحَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَخَرَجْتُ فِي إِلَى السَّمَاءِ ، وَرَأَيْتُ كَلَامًا وَكَلَامًا : فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ — يَعْنِي ابْنَ هِشَامٍ — : أَلَا تَتَجَبَّوْنَ مِمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ آتَى الْبَارِحَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ أَصْبَحَ فِينَا : وَأَحْدَنَا يُضْرَبُ مِطْبَعُهُ مِصْبَعُهُ شَهْرًا وَمِصْبَعُهُ شَهْرًا ، فَهَذَا مَسِيرَةُ شَهْرَيْنِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ! قَالَ : فَأَخْبَرْتُهُمْ بِعِزِّ قُرَيْشٍ : لَمَّا كُنْتُ فِي مِصْبَعِي رَأَيْتُهَا فِي مَكَانٍ كَلَامًا وَكَلَامًا ، وَأَنَّا نَفَرْتُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ رَأَيْتُهَا عِنْدَ الْعُقْبَةِ : وَأَخْبَرْتُهُمْ بِكُلِّ رَجُلٍ وَبِعِزِّهِ كَلَامًا وَكَلَامًا ، وَمَتَاعَهُ كَلَامًا وَكَلَامًا : فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : يُخْبِرُنَا بِأَشْيَاءَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَيْفَ بَنَاؤُهُ ؟ وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ ؟ وَكَيْفَ قُرْبُهُ مِنَ الْجَبَلِ ؟ [فَإِنَّ بَيْنَكَ وَحَمِيدَ صَادِقًا فَسَأْخُجْكُمْ ، وَإِنَّ بَيْنَكَ وَكَاذِبًا فَسَأْخُجْكُمْ . فَجَاءَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَأَخْبِرْنِي : كَيْفَ بَنَاؤُهُ ؟ وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ ؟ وَكَيْفَ قُرْبُهُ مِنَ الْجَبَلِ (١) ؟] قَالَ : فَرَفَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مِنْ مَقْعَدِهِ ، فَظَنَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرَ أَحَدُنَا إِلَى بَيْتِهِ : بَنَاؤُهُ كَلَامًا وَكَلَامًا ، وَهَيْئَتُهُ كَلَامًا وَكَلَامًا ، وَقُرْبُهُ مِنَ الْجَبَلِ كَلَامًا وَكَلَامًا . فَقَالَ الْآخَرُ : صَدَقْتَ . فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : صَدَقَ مُحَمَّدٌ فِيمَا قَالَ — أَوْ نَحْوُ هَذَا الْكَلَامِ (٢) .

وَكَلَّمَ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ جَرِيرٍ بِطَوْلِهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ — وَعَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ ، بِهِ ، وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي رُوحُ بْنُ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ ، بِهِ نَحْوُ سِيَاقِهِ الْمُتَقَدِّمِ (٣) . وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِدَّةٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، فَلَذَكَرَهُ بِسِيَاقِ طَوِيلٍ حَسَنٍ أَتَيْنَ ، أَجُودَ مِمَّا سَاقَهُ غَيْرُهُ ، عَلَى غَرَابَةِ وَمَا فِيهِ مِنَ التَّكَوُّرَةِ .

ثُمَّ ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ (٤) أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ نُوحِ بْنِ قَيْسٍ الْحُدَّائِيِّ وَهَشِيمٍ وَمَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ — وَاسْمُهُ عِمَارَةُ ابْنُ جُبَيْرٍ — وَهُوَ مُتَضَعَّفٌ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ .

(١) مَا يَمِينُ الْقُرْآنِيِّينَ مِنَ الدَّلَائِلِ .

(٢) دَلَالُ النَّبِيِّ الْبَيْهَقِيُّ ، ضَلُوطُ بَدَارِ الْكُتُبِ بِرَقْمِ ٧٠٩ حَفِيفُ ، الْجُزْءُ الثَّانِي ، وَوَقْتُ : ١٢١ - ١٢٦ .

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ١٠/١٥ - ١٢ .

(٤) دَلَالُ النَّبِيِّ الْبَيْهَقِيُّ ، الْجُزْءُ الثَّانِي ، وَوَقْتُ : ١٣١ .

وإنما سقنا حديثه هاهنا لما في حديثه من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقي :

أخبرنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن ، أنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البرقي ، حدثنا أبو حاتم ابن بلال ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا يزيد بن أبي حكيم قال : رأيت في النوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله ، رجل من أمته يقال له «سفيان الثوري» ، لا بأس به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا بأس به» - حدثنا عن أبي هارون المدي ، عن أبي سعيد الخدري ، عنك ليلة أمرت بك ، قلت : «رأيت في السماء ...» ، فحدثتني بالحديث ؟ فقال لي : «لم ؟ قلت له : يا رسول الله ، إن ناسا من أمته يحدثون عنك في السري بمجانبه ؟ فقال لي : قل ذلك حديث القصص .



رواية شككاد بن أوس ، قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء ابن الضحاك الزبيدي ، حدثنا عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم الأشعري ، عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ، حدثنا الوليد بن عبد الرحمن ، عن جهم بن نفي ، حدثنا شككاد بن أوس قال : قلنا : يا رسول الله ، كيف أمرى بك ؟ قال : صليت لأصحاب صلاة النعمة بمكة معيا - قال : فأتاني جبريل عليه السلام بداية أبيض - أو قال : يبيض - فوق الحمار ودون البئر ، فقال : اركب : فاستصمبت على ، فركبها (١) بأذنها ، ثم حملني عليها . فانطلقت تبوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ، حتى بلغنا أرضاً ذات نخل ، فأنزلني فقال : صل . فصليت ، ثم ركبنا فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم . قال : صليت يثرب ، صليت بطنية . فانطلقت تبوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها . ثم بلغنا أرضاً فقال : انزل : [فتركت] ، ثم قال : صل . فصليت ، ثم ركبنا فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم . قال : صليت عديد ، صليت عند شجرة موسى . ثم انطلقت تبوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ، ثم بلغنا أرضاً ، بدت لنا قصور ، فقال : انزل : فتركت ، فقال : صل . فصليت ، ثم ركبنا فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم . قال : صليت بيت لحم حيث ولد عيسى المسيح ابن مريم . ثم انطلق في حتى دخلنا المدينة من بابها الباني ، فأتى قبله المسجد ، فربط فيه دابته ، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر ، فصليت من المسجد حيث شاء الله ، وأدخلني من المظن أشد ما أدخلني ، فأتيت بانامين ، في أحدهما ابن وفي الآخر عسل ، أرسل إليهما جميعاً ، فدخلت إليهما ، ثم هداني الله عز وجل ، فأخذت اللبن فشربت حتى قترعت (٣) به جبين ، وبين يدي شيخ متكئ على مائة (٤) له ، فقال : أخذ صاحبك القطرة ، إنه ليهدي . ثم انطلق في حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة ، فإذا جهم [تنكشف] عن مثل الزراني (٥) ، قلت : يا رسول الله ، كيف وجدتها ؟ قال : مثل

(١) أي : اختبرها . يقال : «وزت ما عند فلان» ، إذا اختبرته وامتحنته ، لأعرف هل يخاف لايمى إذا يمشى منه أم لا ؟

(٢) أي : وازنت بينهما .

(٣) أي : شربت به جبين ، وهذا كناية عن شرب جميع ما فيه .

(٤) كلاً في مخطوطة الأزهر . وفي الدلائل «مئراً» . وفي النسخ الكبري قصوي . «مئير» .

(٥) كلاً في مخطوطة الأزهر ، ومثله في الدلائل .

الحَسَمَةُ السُّخْنَةُ (١). ثم انصرف بي ، فرودنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيرا لهم ، قد جمعه فلان ، فسلمت عليهم ، فقال بعضهم : هذا صوت محمد . ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة ، فأتاني أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، أين كنت الليلة ؟ فقد اجتمعنا في مكانك : فقال : علمت أنه أتيت بيت المقدس الليلة ؟ فقال : يا رسول الله ، إنه مسيرة شهر فصفه لي . قال : فتشج لي صراط كأتى أنظر إليه ، لا يسألني عن شيء إلا أتيته به . قال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله . فقال المشركون : انظروا إلى ابن أبي كيثة ، يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة - قال : فقال : إن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيرا لهم ، فجمعه فلان ، وإن مسيرهم يتزلون بكذا ثم بكذا ، ويأتونكم يوم كذا وكذا ، يقتلهم جمل آدم ، عليه مسح أسود وغرارات سوداوان . فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون ، حتى كان قريب من نصف النهار ، حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمال ، الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هكذا رواه البيهقي من طريقين ، عن أبي إسحاق الترمذى ، به : ثم قال بعد تمامه : « هذا إسناد صحيح ، وروى ذلك مفرقا في أحاديث غيره ، ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله ما حصرنا (٢) » : ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث . وقد روى هذا الحديث عن « شداد بن أوس » بطوله الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره ، عن أبيه ، عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الربيدى ، به : ولا شك أن هذا الحديث - أهى الحديث للمروى عن شداد بن أوس - مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ، ومنها ما هو منكرو ، كالصلاة في بيت لحم ، وسؤال الصليبي من تمت بيت المقدس ، وغير ذلك والله أعلم .

رواية عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال الإمام أحمد :

حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن قايوس ، عن أبيه قال : حدثنا ابن عباس قال : ليلة أمرى بنى الله صلى الله عليه وسلم دخل (٣) الجنة ، فسمع في جانبها وجسا (٤) فقال : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤمن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء إلى الناس : قد أطلع بلال ، قد رأيت له كذا وكذا - قال : فلقبه موسى عليه السلام فرحب به ، وقال : مرحبا بالنبي الأمي ، قال : وهو رجل آدم طويل ، سبط (٥) شعره مع أذنيه أو فوقهما ، فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسى . قال : ففضى ، فلقبه عيسى فرحب به ، وقال : من هذا جبريل ؟ قال : هذا عيسى ، قال : [(٦) فضى ، فلقبه شيخ جليل مكشوب (٧) فرحب به وسلم عليه ، وكلهم يسلم عليه ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ونظر في النار ، فإذا قوم يأكلون الجيف ، قال : من

(١) الحمة - يفتح الميم وتشديد الميم - : حين ما حار .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ، خطوط بدار الكتب برقم ٧٠١ حديث ، الجزء الثاني ، ورقة : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) في المسند : « ودخل » .

(٤) في المطبوعة : « فسمع في جانبها وغشا » . وهو خطأ ، والصواب من المسند . وقال ابن الأثير في النهاية - وذكره - : « الرجس : الصوت الخفى » ولو جس بالفتح : أحس به فسمع له » .

(٥) السبط من الشعر : المتوسط المسترسل .

(٦) ما بين القوسين سقط من تفسير ابن كثير . وقد أئتمناه من المسند .

(٧) لفظ المسند : « مكشوب » .

هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس . ورأى رجلا أحمر أزرق جدا ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا حافر الناقة : قال : فلما (١) أتى النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قام يصلي ، [فالتفت ثم التفت (٢)] فإذا النبيون أجمعون يصلون معه ، فلما انصرف جئ به بكتفين ، أحدهما من اليمين والآخر عن الشمال ، في أحدهما لبن وفي الآخر حسل ، فأخذ اللبن فشرب منه ، فقال الذي كان معه القُدح : أصبت الفِطْرَةَ (٣) . إسناده صحيح ، ولم يخرجوه .

طريق أخرى : وقال الإمام أحمد :

حدثنا حسن ، حدثنا ثابت أبو زيد ، حدثنا هلال ، حدثني هكرمة ، عن ابن عباس قال : أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بحسبه وبعلامته بيت المقدس وبغيرهم ، فقال ناس : نحن لا نصدق محمدا بما يقول ! فارتدوا كفارا ، فضرب الله رقابهم مع أبي جهل . وقال أبو جهل : يخوفنا محمد بشجرة الزقوم ، هاتوا تمرا وزبدا فتترقموا (٤) . ورأى الدجال في صورته رؤيا حين ليس برؤيا ماثم ، وعيسى وموسى وإبراهيم ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال ، فقال : رأيت قِيلَيبًا (٥) أقمر هيجانا ، إحدى عينيه قائمة (٦) كأنها كوكب دُرِّي ، كان شعر رأسه أغصان شجرة : ورأيت عيسى أبيض ، جعد (٧) الرأس ، حديث البصر ، مبتلي الخلق ، ورأيت موسى أسحمت (٨) آدم ، كثير الشعر ، شديد الخلق . ونظرت إلى إبراهيم فلم أنظر إلى إزب منه (٩) إلا نظرت إليه مني ، حتى كأنه صاحبكم - قال جبريل : سلم على مالك . فسلمت عليه (١٠) .

ورواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن يزيد ، عن هلال - وهو ابن خثيَّاب - به ، وهو إسناده صحيح (١١) .

طريق أخرى : وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر الشافعي ، أنبأنا إصحاق بن الحسن ، حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا شيخان ، عن قتادة ، عن أبي العالية قال : حدثنا ابن عسَمَ نبيكم صلى الله عليه وسلم ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أسرى في موسى بن عمران ، رجلا طويلا جعدا ، كأنه من رجال شثونة ، ورأيت عيسى ابن مريم ، مربوع الخلق ، إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس . وأرى مالكا خازن جهنم

(١) لفظ المستند : فلما دخل النبي

(٢) ما بين القوسين سقط من تفسير ابن كثير ، وقد أجبناه عن المستند .

(٣) مستند الإمام أحمد : ٢٥٧/١ .

(٤) أي : كلوا .

(٥) القيلاب - يفتح الفاء واللام بينهما ياء ساكنة : العظيم البنية ، والقيلماني : منسوب إليه زيادة الألف والثون والبالغة . والآخر : الشديد البياض . والهجبان : الأبيض .

(٦) العين القائمة : هي الباقية في موضعها صحيحة ، وإنما ذهب نظرها وإصغارها .

(٧) أي : جعد الشعر ، وهو ضد البسط المسترسل . والمبطن : الضامر الباطن .

(٨) الأسحمت : الأسود ، وهو الآدمي .

(٩) الإزب - بكسر فسكون - : القموص ، وجمعه آراب . ولفظ المستند : فلا أنظر إلى إزب من آراه .

(١٠) مستند الإمام أحمد : ٣٧٤/١ .

(١١) وقمت هذه الفقرة ، من قوله : ورواه النسائي في خطبة الأزهري في غير موضعها ، وذلك بعد الحديثين التاليين من البيهقي ، وقبل حديث مستند الإمام أحمد ، فألفقتهما بهذا الموضع . وهي كذلك في الطبقات السابقة على الصواب .

والرجال ، في آيات أراهن الله إياه ، قال : (فلا تكن في مرة من لقاءه) - فكان فتادة يفسرها : أن نبي الله قد لقي موسى ، (وجعلناه هدى لئلي إسرائيل) - قال : جعل الله موسى هدى لئلي إسرائيل .

رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد ، عن يونس بن محمد ، عن شيان ، وأخرجاه من حديث شعبة ، عن فتادة مخرصاً (١)

طريق أخرى ، قال [البيهقي (٢)] : أخبرنا علي بن أحمد بن حنبل ، أن أبانا أحمد بن حنبل ، حدثنا دؤيب بن المذلج ، حدثنا حنبل قال : حدثنا [حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصرى بي ، مررت في رائحة طيبة ، فقلت : ما هذه الرائحة ؟ قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها ، فقالت : باسم الله . فقالت ابنة فرعون : أئي ؟ قالت : وفي وربك ورب أبيك . قالت : أولك رب خير أئي ؟ قالت : نعم ، وفي وربك ورب أبيك الله : قال : فلماذا فقال : أنك رب خيرى ؟ قالت : نعم ، وفي وربك الله عز وجل . قال : فأمر ينكره من نحاس فأحسيت ، ثم أمر بها لتلقى فيها ، قالت : إن لي [إليك] حاجة . قال : ماهي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع : قال : ذلك لك ، لما لك علينا من الحق . قال : فأمرهم فالتقوا واحداً واحداً ، حتى يكفّر غصباً فيهم ، فقال : يا أمه ، فجي ولا تفكاهن . فذلك على الحق . قال : وتكلم أربعة وهم صغار : هلد ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم عليه السلام (٣) .

إسناد لا بأس به ، ولم يخرجوه .

طريق أخرى ، وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وروح المني قالوا : حدثنا حوف ، عن زؤارة بن أوفى ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا كان ليلة أصرى بي وأصبحت (١) بمكة ، فظلمت [بأمرى (٥)] وعرفت أن الناس مكلفي » . فقدم مبتزلاً حزياً ، فر به نحو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كاستهزئ : هل كان من شيء ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : وما هو ؟ قال : إني أصرى في الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهورائنا ؟ قال : نعم . قال : فلم يره أنه يكلمه عافاة أن يحجده الحديث إن دعا قومه إليه . فقال : أرايت إن دعوت قومك أمحلهم بما حدثني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : هيا مشري كعب بن لؤي . قال : فانتضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما . قال : حدثت قومك بما حدثني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أصرى في الليلة . فقالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قالوا : ثم أصبحت بين ظهورائنا ؟ قال : نعم . قال : فمن بين مصفّق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكلب - زعم - قالوا : وتستطيع أن تمت [لنا] المسجد - وفى القوم من

(١) دلائل النبوة البيهقي ، مخطوط يدار الكتب رقم ٧٠١ حديث ، الجزء الثاني ، ورقة : ١٢٥ .

(٢) ما بين القوسين من الدلائل .

(٣) دلائل النبوة ، الجزء الثاني ، ورقة : ١٢١ .

(٤) في المخطوطة : « فأصبحت » . والمثبت من المتن : « والآية لابن الأثير » .

(٥) ما بين القوسين من المتن . ومعنى « ظلمت بأمرى » : اشتد على وجهي .

قد سافر إلى ذلك البلد وروى المسجد - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فليجت أنت ، فما زلت أنت حتى التبت على بعض التبت - قال : فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه ، حتى وضع دون دار عقيل - أو : عقال - فتحت ، وأنا أنظر إليه - قال : وكان مع هذا تلم لم أظفله - يقول حوف (١) - قال : فقال القوم : أما التبت فوفاة لقد أصاب (٢) ، وأخرجه النصاب من حديث حوف [بن أبي جميلة - وهو الأعرابي - به . ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة ، عن حوف (٣)] وهو ابن أبي جميلة الأعرابي ، أحد الأئمة الثقات (٤) ، به .

رواية عبد الله بن معمر وروى الله عنه ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عبد الله همد بن يقوب ، حدثنا السري بن عزيمة ، حدثنا يوسف بن جلول ، حدثنا عبد الله بن نعيم ، عن مالك بن مخلوف ، عن الزبير بن عدي ، عن طلحة بن مصرف ، عن مرة الحمداقي ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشئ إلى سدة المنهى ، وهي في الساء السادسة ، وإليها ينتهي ما يصعد به حتى يقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط [به] من فوقها حتى يقبض [منها] ، (إذ يقبض السدة ما يقبض) - قال : غشياً فراش من ذهب ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ، وخواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لا يشرك بالله المقسمات ، يعني الكفار .

ورواه مسلم في صحيحه ، عن محمد بن عبد الله بن ثمر وزهير بن حرب كلاهما ، عن عبد الله بن نعيم ، به . ثم قال البيهقي : وهذا الذي ذكره عبد الله بن مسعود طرّف من حديث المراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك ابن حصمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم من أبي زر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رواه مرة مرسل دون ذكرهما (٥) . ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تكدر .

قلت : وقد روى عن ابن مسعود بأبسط من هذا ، وفيه غرابة ، وذلك فيما رواه « الحسن بن عرفة » في جزئه (٦) المشهور . حدثنا مروان بن معاوية ، عن قنكان بن عبد الله التهمي ، حدثنا أبو ظبيان الجبتي قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله - يعني ابن مسعود - ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وهما جالسان ، فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة : حدثنا عن أبيك ليلة أسرى محمد صلى الله عليه وسلم . فقال أبو عبيدة : لا ، بل حدثنا أنت عن أبيك . فقال محمد : لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ! قال : فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل بلذبة فوق الحمار ودون البقل ، فحملني عليه ، ثم انطلق بجوى بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كل ذلك مع يديه ، وإذا هبط استوت يده مع رجليه ، حتى مررنا برجل طووك سبط آدم ،

(١) كلما في مخطوطة الأثر . ولطيف الدلائل : « لست لم أظفله حوف » .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/١٠٩ .

(٣) ما بين القوسين من الطبقات السابقة .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ، الجزء الثاني ، ورقة : ١٠٨ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ، الجزء الثاني ، ورقة : ١١٢ ، ١١٣ .

(٦) هو أبو عبد الله الحسن بن عرفة المدي البغدادي المذهب . سمع إسماعيل بن عياض وطريقه ، كان يقول : « كتب من خمسة قرون » . وقد صبر طويلاً ، توفي سنة ٢٥٧ هـ عن ١٠٧ سنين ، قال عنه السلفي : لا بأس به . وأما جزءه فذكر أنه فيه حديثه عن شيوخه . ينظر فهرسة ابن خثير ١٧٧ .

كأنه من رجال أزدشومة ، وهو يقول لفرع صوته يقول - : أكرمته ، وفضله . قال : فذكرنا (١) إليه فسلمنا عليه ، فرد السلام ، فقال : من هذا ملك يا جبريل ؟ قال : هذا أحمد . قال : مرحباً بالنبي الأبي العربي ، الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته . قال : ثم اتلفنا قتل : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسى بن هرون . قال قلت : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ! قلت : فبرع صوته على ربه ؟ قال : إن الله قد عرف له حديثه ، قال : ثم اتلفنا حتى مورنا بشجرة كأن ثمرها السراج (٢) فاحتها شيخ وعياله ، قال فقال لي جبريل : أحمد ! إلى أيك إبراهيم ؟ فلفنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام ، فقال إبراهيم : من هذا ملك يا جبريل ؟ قال : هذا ابنك أحمد . قال : فقال : مرحباً بالنبي الأبي ، الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، يا بني ، إنك لآق ربك الليلة ، وإن أمك آخر الأكم وأضيها ، وإن استلمت أن تكون حاجتك أو جئت في أمك فافعل . قال : ثم اتلفنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى ، فزلت فربطت الدابة بالحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنياء تربط بها . ثم دخلت المسجد فمرت التين من بين راعك وقائم وسابد - قال : ثم أتيت بكأسين من صل ولبن ، فأخلفت اللبن فشربت ، فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال : أصبت القطرة ورب أحمد - قال : ثم أقيمت الصلاة فأنهتهم ، ثم انصرفنا فأتينا : »

إسناد غريب ولم يفرجه ، فيه من الغرائب : سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ، ثم سؤاله عنهم بعد الصراخ ، والمشهور في الصحاح كما تقدم : أن جبريل كان يعلمهم أولاً ليسلم عليهم سلام معرفة . وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه ، وصلى بهم فيه ، ثم إنهم ركب البراق وكر راجعاً إلى مكة ، والله أعلم .

طريق أخرى ، قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، أخبرنا العوام ، عن جُبَيْكَةَ بن سُهَيْمٍ ، عن مَوْلَى بن عَكَّازة ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لقيت ليلةً أمراً في إبراهيم وموسى وعيسى ، فقلنا كروا أمر الساحة - قال : فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال : لا علم لي بها . فردوا أمرهم إلى موسى فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى عيسى فقال : أما وتجيئونها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، وفيها عهد إلى ربي أن اللجال خارج - قال : ومضى قضيتان ، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه الله إذا رآني ، حتى إن الحبر والشجر يقول : يا مسلم ، إن تحي كافر ، فقال فاقطعه - قال : فيهلكهم الله ، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم - قال : فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطرون بلادهم ، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرّون على ماء إلا شربوه - قال : ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم ، فأدعو الله عليهم ، فيهلكهم ويميتهم ، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم - أي : تنتن - قال : فيزل الله المطر ، فيجرف أجسادهم حتى يلقنهم في البحر .

(١) أي : ذهبتنا إليه . ومنه : دفع من مرقات ، أي : ابتداء السير ، ودفع لقسمتها ونحائها ، أو دفع لثقتها وحملها حل السير .

(٢) كذا في خطوطة الأثر : « السراج » بالهم . ولعله جمع سراج - بكسر السين - وهو المصباح الزاهر الذي يبرج بالليل ، ويجمع على سراج ، بضم السين والراء . وإنما كانت « السراج » ، بالغاء المهمله المفتوحة والسين الساكنة ، فهو شجر كبار نظام طوال لا ترقى ، وإنما يستظل به ، له ثمر أصفر ، ويكون للتقدير : « كان ثمرها ثمر السراج » والله أعلم .

فَقِيَا عَهْدَ إِلَى يَوْمِئِذٍ : أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ أَنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُسْتَمِ ، لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَجُوزُهُمْ بِوِلَادَتِهَا ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا (١) .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، عَنْ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشَب (٢) .

رواية عبد الرحمن بن قُرْطُ ، أُمِّي عبد الله بن قُرْطُ الثُمَالِي ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ : حَدَّثَنَا مَسْكِينُ بْنُ مَيْمُونٍ مَوْلَى مَسْجِدِ الرَّمْلَةِ ، حَدَّثَنِي هُرَيْرَةُ بْنُ رُوَيْمٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قُرْطُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً أَمَرَنِي بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، كَانَ بَيْنَ زَمَزَمَ وَالْمَقَامِ ، جَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَعُطَّرَا بِهِ حَتَّى بَلَغَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى . فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ : سَمِعْتُ تَسْبِيحًا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى مَعَ تَسْبِيحِ كَثِيرٍ ، سَبَّحَتِ السَّمَوَاتُ لِلْعَلِيِّ مِنْ ذِي الْعُلُوِّ بِمَا عَلَا ، سَبَّحَانَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى ، سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى (٣) .
وَيَذْكُرُ هَذَا الْحَدِيثَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ : (تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ) ... الْآيَةُ .

رواية عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا أُسُودُ بْنُ عَامِرٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي سَنَانٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ أَدَمَ وَأَبِي مَرْيَمَ وَأَبِي شُعَيْبٍ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ بِالْحَبَابَةِ ، فَلَذَكَرَ فَتَحَّ يَدَايِهِ لِلْقُدْسِ - قَالَ : قَالَ أَبُو سَلَمَةَ (٤) : فَحَدَّثَنِي أَبُو سَنَانٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ أَدَمَ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِكُتَيْبٍ : أَيْنَ تَرَى أَنْ أَمْلَأَ ؟ قَالَ : إِنْ أَتَيْتَ عَتَّى صَبَّحْتَ خَلْفَ الصُّخْرَةِ ، فَكَانَتْ الْقُدْسُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ - فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ضَاهِيَتِ الْيَهُودِيَّةُ ، [لَا (٥)] وَلَكِنْ أَصْلِي حَيْثُ صَبَّحْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَضِمَ إِلَى الْقَبِيلَةِ فَصَلَّيَ ، ثُمَّ جَاءَ فَيَسُطُ رِدَاءَهُ ، وَكُنَسَ الْكِنَاسَةَ فِي رِدَاءِهِ ، وَكُنَسَ النَّاسَ (٥) .

فَلَمْ يَعْظُمِ الصُّخْرَةَ تَعْلِيْقًا (٦) يَصِلُ وَرَاءَهُمَا وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، كَمَا أَشَارَ بِهِ كُتَيْبُ الْأَحْبَارِ ، وَهُوَ مِنْ قَوْمِ عَظُمُونَهَا حَتَّى جَمَلُوهَا قَبْلَتَهُمْ . وَلَكِنْ مَنََّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ ، فَهَدَى إِلَى الْحَقِّ . وَهَذَا لَمَّا أَشَارَ بِذَلِكَ قَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : « ضَاهِيَتِ الْيَهُودِيَّةُ » ، وَلَا أَهَانًا إِهَانَةَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا قَدْ جَمَلُوهَا مَرْبُوعَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا قِبْلَةُ الْيَهُودِ ، وَلَكِنْ أَمَّا طِ الْأَذَى ، وَكُنَسَ عَنْهَا الْكِنَاسَةَ بِرِدَائِهِ . وَهَذَا شَيْءٌ بَعْدَ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي مَرْثَدَةَ الْغَنَوِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ ، وَلَا تَصَلُّوا إِلَيْهَا » (٧) .

(١) تقدم الحديث عند الآية ١٥٩ من سورة النساء ، وخرجناه هناك ، وخرجناه فريه . ينظر : ٤٠٩/٣ ، ٤١٠ .

(٢) أخرجه الطبراني ، كما سيأتى عند قوله تعالى : (تسبح له السموات السبع) ، الآية : ٤٤ من هذه السورة . وقد ساق ابن الأثير هذا الحديث في ترجمة عبد الرحمن بن قُرْطُ ، ينظر أسد الغابة : ٩٠/٣ ، بصحيفتنا .

هذا وقد كان في الخطوط : « من بين زَمَزَمَ وَالْمَقَامِ » . فَأَثْبَتْنَا « كَانَ » موضع « من » ، وذلك من أسد الغابة . والسيالة الثانية لهذا الحديث .

(٣) أبو سلمة هو : حماد بن سلمة .

(٤) ما بين القوسين من مسند الإمام أحمد .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٨/١ .

(٦) هذا نص الطبعات السابقة . وللفظ بخطوط الأثر بعد حديث المسند : « الصخرة تعظيماً » وقرئ كلمة « تعظيماً »

ومسند الشيخ : « حتى » .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب : « النبي من الجلوس على القبر والصلوة إليه » : ٦٢/٣ .

رواية أبي هريرة رضى الله عنه ، وهى مطولة جداً ، وفيها غرابة ، قال الإمام أبو جعفر بن جرير فى تفسيره :
 « سورة سبحان » :

حدثنا على بن سهل ، حدثنا حجاج ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرابعى ، عن أبي هريرة - أو غيره ، شك أبو جعفر - فى قول الله عز وجل : (سبحان الذى أسمى بهينه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذى باركنا حوله ، لئله من آياتنا ، إنه هو السميع العليم) - قال : جاء جبريل [إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل ، فقال جبريل (١) لميكائيل : اتنى بطست من ماء زمزم ، كفا أظهر قلبه وأشرح له صدره . قال : فشئت عنه بطنة ، فضله ثلاث مرات ، واختطف إليه ميكائيل ثلاث طيباس (٢) من ماء زمزم ، فشرح صدره ونزع ما كان فيه من غل ، ومأله حلاً وعلماً ، وإيماناً وقيئناً وإسلاماً ، وغنم بين كتفيه بخاتم النبوة .

ثم أتاه بفرس فحمل عليه ، كل خطوة منه انتهى بصره - أو : أقصى بصره - قال : فسار وسار معه جبريل عليهما السلام ، قال : فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : هؤلاء للمجاهدون فى سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة بسببالة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو خلفه ، وهو خير الرازقين .

ثم أتى على قوم ترصع رءوسهم بالصخر ، كلما رصعفت عادت كما كانت ، ولا يفتقر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة لئلا يكتوبوا .

ثم أتى على قوم على أعقابهم رفاق وعلى أديابهم رفاق ، يسرحون كما ترحح الإبل والنعم ، ويأكلون الشربيع (٣) والزقوم ورمضف جهنم وحجارها ، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئاً ، وما الله بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم آخر نسي في قدر نحيث ، فجعلوا يأكلون من الذى انخيث ويذعن النضيج الطيب ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هذا الرجل من أمك ، تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتى امرأة غيبية فيبيت عندها حتى يصبح ، [والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً ، فتأتى رجلاً غيبياً فتبيت معه حتى تصبح (٤)] .

قال : ثم أتى على خشبة على الطريق ، لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمك ، يعملون على الطريق يقطعونه ، ثم تلا : (ولا تقموا بكل صراط توعلون)

(١) ما بين القوسين سقط من مخطوطة الأزهر ، وقد أبيتاه عن تفسير الطبرى .

(٢) طيباس : جمع طسة .

(٣) الشربيع : نبت بالجهاز له شوكة كبار . أما الزقوم فهو ما وصف الله فى كتابه العزيز فقال : (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم - طلمها كأنه رموس الشياطين) .

(٤) سقط من مخطوطة الأزهر ، أبيتاه عن تفسير الطبرى .

قال : ثم أتى على رجل قد جمع حُرْمَةً [حطب] عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا الرجل من أمّتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أداها ، وهو يريد أن يحمل (١) سائها .
ثم أتى على قوم تفرّضوا استسهم وشفاهم بمقايض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت ، لا يفتقر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء غطباء القنينة (٢) .

ثم أتى على جحر صغير يخرج منه نور عظيم ، فجعل النور يريد أن يرجع من [حيث] (٣) خرج ، فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها .

ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة ، وريح مسك ، وريح صونا ، فقال : يا جبريل ، ما هذه الريح الطيبة الباردة ؟ وما هذا المسك ؟ وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : يا رب ، آتني ما وعدتني فقد كثرت شرقي ، وإستبرئ وحريري وستمنني ، وحقيري (٤) ولؤلؤي ومرجاني ، وفضتي وزهبي ، وأكوابي وصحافي وأباريق ومرامكي (٥) ، وعسل زمامي وخرى ولبن قاتني ما وعدتني . فقال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن به وبرسول وعمل صالحاً ولم يشرك بهي ، ولم يتخذ من دونه أنداداً . ومن خشعني فهو آمن . ومن سألني أعطيت ، ومن أرضعني جزيت ، ومن توكّل على كفيته ، إني أنا الله ، لا إله إلا أنا ، لا أخطف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين . قالت : قدر ضيقت .

قال : ثم أتى على واد سمع صوتاً منكراً ، ووجد ريحاً متنة ، فقال : ما هذه الريح يا جبريل ؟ وما هذا الصوت ؟ فقال : هذا صوت جهنم ، تقول : يا رب ، آتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسل وأغلال ، وسعيري وحميمي ، وضريبي ، وضغائتي وعذابي ، وقد بعدت قمرى واشتد حرى ، فأتني كل ما وعدتني . فقال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل حيث وخيفة . وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت : قدر ضيقت .

قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فترك فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصل مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل ، من هذا ملك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قالوا : أوقد أرسل محمد ؟ قال : نعم . قالوا : حيّاه الله من أعز ومن خليفه ، فتم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المهيء جاء .

قال : ثم أتى لرواح الأنبياء ، فأنشأ على ربه . فقال إبراهيم : الحمد لله الذي أنقذني خيلاً ، وأعطاني ملكاً عظيماً ، وجعلني أمّة قانتاً يؤتّم بي ، وأنقذني من النار ، وجعلها على برداً وسلاماً . ثم إن موسى عليه السلام أتني على ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليماً ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي ، وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أتني على ربه فقال : الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً ، وعلمني الزبور ، وألآن لي الحديد ، وسرّ لي الجبال يسبحن والطير ، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن سليمان عليه السلام

(١) لفظ الطبري : « وهو يزيد عليها » ويريد أن يحملها . « وما في اليد المشطور السيوطي : ١٤٤/٤ » موافق لما هنا .

(٢) بهذه في تفسير الطبري : « يقولون سائاً فيملون » .

(٣) لفظ الخطوبة الأزهري : « من موضح . خرج » . ولا يستقيم مرية . والمثبت من تفسير الطبري .

(٤) الميموني : « الدجاج » . وقيل : « البسط الموشية » .

(٥) في تفسير الطبري : « ولوا كهي » . والمثبت من الخطوبة والدر المشطور : ١٤٤/٤ .

أنى على ربه فقال : الحمد لله الذى نصر لى الرياح ، ونصر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محارِب وتمايل ، وجفان كالجبواب (١) وقدر رسايات ، وعلمنى متلق الطير ، وآتانى من كل شىء فضلا ، ونصر لى جنود الشياطين والإنس والعر ، ونضائى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتانى ملكا عظيما لا ينبئ لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكا طيبا ليس فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أنى على ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته ، وجعل ملى مثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له « كن » فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخلق من الطين كهنية الطير فأضع فيه فيحون طيرا بأذن الله ، وجعلنى أبصر الآكة والأبرص وأبصر الموتى بإذنه ، ورفعى وظهرنى ، وأعاضنى وأبى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل . قال : ثم إن عمدا صلى الله عليه وسلم أنى على ربه عز وجل فقال : فكلكم أنى على ربه ، وإنى ممن على ربى فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة الناس بشرا ونبيرا ، وأزل على الفرقان فيه بيان لكل شىء ، وجعل أمى خبر أمة أخرجت للناس ، وجعل أمى أمة وسطا ، وجعل أمى هم الأولين وهم الآخرين ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاعلا وخاتما . فقال إبراهيم : هذا فشكركم عمدا صلى الله عليه وسلم .

قال أبو جعفر الرازى : خاتم النبوة ، فاتح بالشفاعة يوم القيامة .

ثم أتى بأية ثلاثة مغفلة أتواها ، فأتى بإناء منها فيه ماء قليل : اشرب : فشرب منه يسيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقبل له : اشرب . فشرب منه حتى روى . ثم دفع إليه إناء آخر فيه خر قليل له : اشرب . فقال : لا أريده قد رويت . فقال له جبريل : أما إنها مستحرم على أمك ، ولو شربت منها لم يتبعك من أمك إلا قليل .

قال : ثم صد به إلى السماء فاستفتح ، فقيل : من هذا يا جبريل ؟ فقال : محمد . قالوا : أوقد أرسل ؟ قال : نعم . قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فتم الأخ وتم الخليفة ، وتم الملقى جاء . فدخل فإذا هو يرجل تام الخلق ، لم ينقص من خلقه شىء كما ينقص من خلق الناس ، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة ، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة ، إذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر إلى الباب الذى عن يساره بكى وحزن ، فقلت : يا جبريل ، من هذا الشيخ التام الخلق الذى لم ينقص من خلقه شىء ؟ وما هذان البابان ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة ، إذا نظر إلى من يدخل من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذى عن شماله باب جهنم ، إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن .

ثم صد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح ، فقيل : من هذا معك ؟ فقال : محمد رسول الله . قالوا : أوقد أرسل محمد ؟ قال : نعم . قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فتم الأخ وتم الخليفة ، وتم الملقى جاء . قال : فدخل ، فإذا هو يشاهد فقال : يا جبريل ، من هذان الشابان ؟ قال : هذان عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا ، ابنا أمانة عليهما السلام .

(١) الجواب : الحياض الكثيرة ، سميت بذلك لأن الماء يحيى فيها ، أى : يحيى .

قال : فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل : قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل ؟ قال : نعم : قالوا : حياة الله من أخ ومن خليفة ، فتم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجدى جاء . قال : فدخل فلذا هو برجل قد فضّل على الناس في الحسن ، كما فضّل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قال : من هذا يا جبريل الذى فضّل على الناس في الحسن ؟ قال : هذا أخوك يوسف عليه السلام .

قال : ثم صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل : قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل ؟ قال : نعم : قالوا : حياة الله من أخ ومن خليفة ، فتم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجدى جاء . قال : فدخل ، فلذا هو برجل ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إدريس ، رفعه الله مكاناً علياً .

ثم صعد به إلى السماء الخامسة فاستفتح ، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل ؟ قال : نعم : قالوا : حياة الله من أخ و [من] خليفة ، فتم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجدى جاء . ثم دخل فلذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم ، قال : من هذا يا جبريل ؟ ومن هؤلاء حوله ؟ قال : هذا هارون الخبيب [في قومه] ، وهؤلاء بنو إسرائيل .

ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل : فقالوا : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل ؟ قال : نعم : قالوا : حياة الله من أخ ومن خليفة ، فتم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجدى . فلذا هو برجل جالس ، فجاوزه فبكى الرجل ، فقال : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : موسى . قال : فما باله يبكى ؟ قال : زعم بنو إسرائيل أني أكرم بنى آدم على الله عز وجل ، وهذا رجل من بنى آدم قد خطفني في الدنيا ، وأنا في أخرى ، فلو أنه بنفسه لم أبال ، ولكن مع كل بهي أمه .

قال : ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح ، فقيل له : من هذا ؟ قال : جبريل : قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : أو قد أرسل ؟ قال : نعم : قالوا : حياة الله من أخ ومن خليفة ، فتم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجدى . جاء : قال : فدخل ، فلذا هو برجل أحمط^(١) جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القرامطين^(٢) ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغسلوا فيه فخرجوا وقد غلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغسلوا فيه ، فخرجوا وقد غلص [من] ألوانهم [شيء] ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغسلوا فيه ، فخرجوا وقد غلصت ألوانهم^(٣) [فبصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجعوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : يا جبريل ، من هذا الأحمط ؟ ثم من هؤلاء البيض الوجوه ؟ ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ؟ وما هذه الآثار التي دخلوا فيها فجعوا وقد صكّت ألوانهم ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، أول من شتمط على الأرض ،

(١) أي : أذهب ، والغطط - ينتحيز - أي يمشي الرأس يتألم سواده .

(٢) يشبه بالقرمطين في بياضه ، ومنه قولهم : دابة قرمطى ، إذا كان أبيض بياضاً لا يتألم فيه . ويقال للجارية البيضاء المدينة القامة : قرمطى .

(٣) ما بين القوسين عن الطهات السابقة وتفسير الطبري ، على أن عبارة الطبري : « فخرجوا وقد غلص من ألوانهم شيء » ، صادرة .

وأما هؤلاء البيض الوجه فقوم لم يكسروا إيمانهم بظلم : وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فقوم غلطوا عملا صالحا وأتوا سيئا ، فتأبوا فتاب الله عليهم . وأما الأجر فأولها رحمة الله ، والثاني نعمة الله ، والثالث سقام دهم شرابا طهورا .

قال : ثم انتهى إلى السدرة قليل له : هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمته على مستك : فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لثايبين ، وأنهار من حلل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها مبرين عاما لا يقطعها ، والورقة منها منقطة للأمة كلها — قال : ففشيها نور الخلاق حز وجل ، وخشيها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة ، قال : فكله تعالى عند ذلك ، قال له : سل . قال : إنك اتخذت إبراهيم خليلا ، وأعطيت ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وألنت له الحديد ، وسخرت له [الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا ، وسخرت له الجن والإنس والشياطين ، وسخرت له] [١] الرياح ، وأعطيت ملكا عظيما لا ينبي لأحد من بعده . وعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته نبيا آتيا والأبرص ويعيى الموتى بإذنك ، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليها سبيل . فقال له ربه حز وجل : وقد اتخذت خليلا وهو مكتوب في التوراة : حبيب الرحمن — وأرسلت إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك . وولمت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرك مبي . وجعلت أمك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمك أمة وسطا ، وجعلت أمك هم الأولين والآخرين ، وجعلت أمك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت من أمك أقواما قلوبهم أناجيلهم ، وجعلت أول اثنين خلقا وآخرهم نبيا ، وأوهم يقضى له . وأعطيتك سبعا من المثاني لم يطها نبي قبلك ، وأعطيتك خواتم سورة البقرة من كثر تحت العرش لم أعطها نيا قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم : الإسلام ، والحجرة ، والجهاد ، والصلوة ، والصوم ، ورمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وجعلتك فاتحا وخاتما . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قُضِيَ ربي يست : أعطاني فواتح الكلام وخواتمه ، وجوامع الحديث ، وأرسلني إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا . وقلفت في قلوب عدوئى الرعب من مسيرة شهر ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لي الأرض كلها طهورا ومسجدا .

قال : وفرض عليه خمسين صلاة . فلما رجع إلى موسى قال : بم أمرت بأعمد ؟ قال : بخمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمك أضعف الأمم ، فقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه حز وجل فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا . ثم رجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : بأربعين . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا . فرجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بثلاثين . فقال له موسى : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا . فرجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : أمرت بمشرين .

(١) ما بين القوسين سقط من خطرة الأثر : أئنتاه عن الطيمات السابقة .

قال : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف ، فإن أمّتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه فأسأله التخفيف ، فوضع عنه حثرا . فرجع إلى موسى فقال : بكم أمّرت ؟ قال : أمّرت بعشر . قال : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف ، فإن أمّتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال : فرجع إلى ربه ، فأسأله التخفيف فوضع عنه خمسا . فرجع إلى موسى فقال : بكم أمّرت ؟ قال : بـخمسة . فقال : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف ، فإن أمّتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : قد رجعت إلى ربي حتى استجيت ، فما أنا راجع إليه ، قبل : أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات ، فلأنّهم يجزيّن عنك خمسين صلاة ، فإن كل حصة بعشر أمثالها ، قال : فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضا . قال : وكان موسى عليه السلام من أشدّهم عليه حين مر به ، وغيرهم له حين رجع إليه (١) .

ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أو غيره - شك أبو جعفر - عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره معناه (٢) .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد الماليني ، عن ابن عدى ، عن محمد بن الحسن السكوني البالسّي بالرملة ، حدثنا علي بن سهل . . . فذكر مثل ما رواه ابن جرير ، عنه . وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد الله رواه عن إسحاق بن محمد بن الفضل بن محمد الشمراني ، عن جده ، عن إبراهيم بن حمزة الزبيري ، عن حاتم بن إسحاق ، حدثني عيسى بن ماهان - يعني أبا جعفر الرازي - عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر أبو زرعة ، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا عيسى بن عبد الله التميمي - يعني أبا جعفر الرازي (٤) - عن الربيع بن أنس البكري ، عن أبي العالية أو غيره - شك عيسى - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [قال] الله : (سبحانه الذي أسرى بعبدته ليلا من المسجد الحرام) ۞ فذكر الحديث بطوله كنحو ما سقناه .

قلت : « أبو جعفر الرازي » ، قال فيه الحافظ أبو زرعة . « الرازي يهيم في الحديث كثيرا » . وقد ضعفه غيره أيضا ، ووثقه (٥) بعضهم . والأظهر أنه مائة الحفظ ، فمما نفرد به نظر . وهذا الحديث في بعض أقواله غريبة ونكارة شديدة ، وفي شيء من حديث الثمام من رواية سمرة بن جندب في الثمام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعا من أحاديث شتى ، أو ثمام وقصة أخرى غير الإسرار ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ١٥/٦ - ١٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٥/١٠ .

(٣) دلائل النبوة ، خطوط يدار الكتب برقم ٧٠٩ حديث ، للجزء الثاني ، ورقة : ١٢٦ - ١٣٠ .

(٤) هو عيسى بن عبد الله بن ماهان التميمي أبو جعفر الرازي . ينظر ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٨٠/١٠٢ .

(٥) ينظر ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي : ٣/٣١٩ ، ٣٢٠ .

وقد روى البخارى ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، أنبأني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم حين أسرى به : لقيت موسى ، قال : فَنَجَّيْتَهُ ، فإذا رجل حبسه قال :- مضطرب ، زجل الرأس ، كأنه من رجال شجرة قال : ولقيت عيسى - فَجَنَنْتَهُ النبي صلى الله عليه وسلم - ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس - يعني حِصَام - قال : و رأيت إبراهيم ، وأنا أشبه ولده به ، قال : وأتيت بانيامين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر ، قيل لي : خذ أيها شئت : فأخذت اللبن فشربت ، فقيل لي : هكبت الفطرة - أو : أصبت الفطرة - أما إنك لو أخذت الخمر هَوَّزَت أمتك . وانعرجاه من وجه آخر ، عن الزهري ، به نحوه (١)

وفي صحيح مسلم ، عن محمد بن رافع (٢) ، عن حُصَيْن بن الحنفى ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن عبد الله بن الفضل الماشنى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيته في الجبجر وقريش تسألني عن مشركي ، فسألوني عن أشباه من بيت المقدس لم أثبتها (٣) ، فكُتِبَتْ كَرَبًا (٤) ما كُتِبَتْ مثله قط . فرمعه الله لي أنظر إليه ، فمأسأوني عن شيء إلا أنبأهم به : وقد رأيته في جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم يصلي ، وإذا رجل شرب (٥) جمد كأنه من رجال شتومة ، وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به فيها حروء ابن مسعود التقى ، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الثامن به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأمتمهم ، فلما فرغت قال قائل : يا بعدد ، هذا مالك صاحب النار ، [فسلم عليه] (٦) فالضمت إليه ، فبدأني بالسلام (٧) ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حل بن زيد ، عن أبي الصلت عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة أسرى به ما أُنشِئْتُ إلى السماء السابعة ، فظنرت فوق فإذا رعد و برق وصواعق - قال : وأتيت حل قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تَرى من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلكم الربا . فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا برهيج ودخان وأصوات ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يُحرقون حل أي بني آدم أن لا يشكروا في ملكوت السموات والأرض ، ولولا ذلك لأرأوا المصائب »

ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان ، كلاهما عن حماد بن سلمة (٨) ، به ورواه ابن ماجه من حديث حماد ، به .

- (١) تقدم الحديث عند الآية ١٥٩ من سورة النساء ، ينظر : ١٨/٢ . وخرجناه هناك وخرجنا غريبه .
- (٢) كلما في خطوطة الأزهر ، وفي صحيح مسلم : « زهير بن حرب » . مكان « بعد بن رافع » . والله في التلخيص ١٦١/٩ ، ٢١٩/٢ أن بعد بن رافع يروى عن حسين بن الحنفى . فائدة أبلغ .
- (٣) أي : لم أحفظها ولم أصطبها ، لا لضعف بأم منها .
- (٤) لفظ مسلم : « كُتِبَتْ كَرَبًا » .
- (٥) الشرع من الرجال - يفتح فسكون - ، التلخيص العلم المشرك .
- (٦) ما بين القوسين عند مسلم .
- (٧) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : في ذكر المسح ابن سريج والمسح النجاء : ١٠٨/١ ، ١٠٩ .
- (٨) تقدم حديث الإمام أحمد عند تفسير الآية ١٨٥ من سورة الأعراف : ٥١٩/٢ ، وشرح غريبه هناك ، وتلك ابن كثير معقبا : « حل بن زيد بن جندب » ، له منكرات . ولما حديث ابن ماجه فهو في كتاب التيارات ، باب : التلخيص في الربا : ٢٢٧٢ ، ٧٩٢/٢ .

رواية جماعة من الصحابة عن تقدم وغيرهم، قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله، بنى الحاكم، أخبرنا هيدان بن يزيد بن يعقوب الدقاق بمسكان، حدثنا إبراهيم بن الحسين اللخمي، حدثنا أبو محمد هو إسماعيل بن موسى الفزاري - حدثنا حمز بن محمد التميمي، من بني قنسر بن قنن، حدثني عبد العزيز، وليث بن أبي سليم وسليمان الأعمش، وعطاء بن السائب - بعضهم يزيد في الحديث على بعض - عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس - ومحمد بن إسحاق ابن يسار، عن حدثه عن ابن عباس - وعن سلم بن (١) مسلم القيلي، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن مسعود - وجوير، عن الضحاك بن مزاحم قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ واقفاً، وقد صلى العشاء الآخرة - قال أبو عبد الله الحاكم: قال لنا هذا الشيخ... وذكر الحديث، فكتب المتن من نسخة مسبوحة منه، فذكر حديثاً طويلاً، يتكرر فيه جدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء منها في قلعة الله إن صحت الرواية.

قال البيهقي: فما ذكرنا قبل في حديث أبي هارون العبدلي في إثبات الإسراء والمعراج كفاية، وبالله التوفيق (٢).

قلت: وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة المفسرين، ورحمة الله عليهم أجمعين.

* * *

رواية حاشية أم المؤمنين رضى الله عنها، قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني مكرم (٣) بن أحمد القاضي، حدثنا إبراهيم بن المهدي البجلي (٤)، حدثنا محمد بن كثير المصنف، حدثنا محمد بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن حاشية رضى الله عنها قالت: لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس من كانوا آمنوا به وصدقوه، واستحووا بذلك إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس؟ فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لكن كان قال ذلك، لقد صدقوا قالوا: تصدقه أنه ذهب [إلى] بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إلى لأصدقته بما هو أبعد من ذلك، أصدقته غير السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر: الصديق، رضى الله عنه (٥).

* * *

رواية أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها، قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن السائب (٦) الكلبي، عن أبي صالح باذان (٧)، عن أم هانئ بنت أبي طالب في منسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول: ما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي، نائم عندي تلك الليلة، فصل العشاء الآخرة ثم نام ونحنا، فلما كان قبيل الفجر أيقظنا (٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى الصبح وصلياً معه قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الراي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترون (٩).

(١) في الدلائل: وعن سلم أو مسلم.

(٢) دلائل النبوة البيهقي، مخطوط بدار الكتب رقم ٧٠١ حديث الجزء الثاني: ورقة ١٣٠ و ١٣١.

(٣) في الدلائل: وأخبرني أبو مكرم. ولم نجد له ترجمة.

(٤) في المخطوطة: إبراهيم بن المهدي البكري. والصواب من الدلائل والبابية: ٧٤١/١.

(٥) دلائل النبوة البيهقي، الجزء الثاني، ورقة ١٠٦.

(٦) في المخطوطة: حدثني محمد بن محمد السائب. وهو خطأ. ينظر ترجمة محمد بن السائب في التلخيص: ١٧٨/٩.

(٧) يقال: باذان، وبادان، بالنون والميم. ينظر التلخيص: ٤١٦/١.

(٨) أي: أيقظنا.

(٩) سيرة ابن هشام: ٤٠٢/١. وتفسير الطبري: ٣٤١٥.

الكلي؛ مثوكة بمكة ساقط؛ لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري، عن شعبة بن ربيعة، عن يحيى بن أبي عمرو السنياني، عن أبي صالح، عن أم هانئ بأوسط من هذا السياق، فليكتب هانئ - وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المسكور، عن عكرمة، عن أم هانئ قالت: بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به في بيتي، ففتنكته من الليل، فامتنع من النوم خوفاً أن يكون عرض له بعض قريش، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذ يدي فأخرجني، فإذا على الباب [حالة] دون البعل وفوق الحمار، فحملني عليها ثم انطلق حتى انتهى إلى بيت المقدس، فأراني إبراهيم يشبه خنكته خنكته، وشبه خلقه خلقه، وأراني موسى آدم طويلاً سبط الشعر، شبهته بجمال آزاد شونة^(١)، وأراني عيسى ابن مريم ربة أبيض يضرب إلى الحمرة، شبهته بعروة بن مسعود الثقفي؛ وأراني الدجال مسح العين اليمنى، شبهته بقتل بن هيد الغزي - قال: وأنا أريد أنا أخرج إلى قريش، فأخبرهم بما رأيت؛ فأخذت يديه قتل؛ إلى أذكر كرك الله، إنك تألف قوماً يكذبونك وينكرون مقاتلك، فأخاف أن يسبوا بك؛ قالت: ففرب توبه من يدي، ثم خرج إليهم فاتهم وهم جلوس، فأخبرهم ما أخبرني. فقام جبريل^(٢) بن مطعم فقال: يا عاهد؛ لو كنت شاباً كما كنت، ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهراني؛ فقال رجل من القوم: يا عاهد، هل مررت بابل لنا في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، والله قد وجدتهم أضلوا بعيرا لهم، فهم في طلبه؛ قال: فهل مررت بابل لبي فلان؟ قال: نعم، ووجدتهم في مكان كذا وكذا، وقد انكسرت لهم ناقة حمراء، وعندهم قصعة من ماء، فشربت ما فيها؛ قالوا: فأخبرنا عديتها وما فيها من الرعاة؛ قال: قد كنت عن عديتها مشغولا؛ فقام فأتى الإبل فلما علم ما فيها من الرعاة^(٣)؛ ثم أتى قريشاً فقال لهم: سأفوتني من إبل بني فلان، فهي كذا وكذا، وفيها من الرعاة فلان وفلان؛ وسأفوتني من إبل بني فلان، فهي كذا وكذا، وفيها من الرعاة ابن أبي حنيفة وفلان وفلان، وهي مصبيحتكم من الغداة على الثنية؛ قال: فقمنا على الثنية ينظرون أضدكهم ما قال؛ فاستقبلوا الإبل فسألوهم: هل ضل لكم بعير؟ قالوا: نعم؛ فسألوا الآخر: هل انكسرت لكم ناقة حمراء؟ قالوا: نعم. قالوا: فهل كان عندكم قصعة؟ قال أبو بكر: أنا والله وضعتها فما شربها أحد، ولا أهرأوه في الأرض، فصدقه أبو بكر وآمن به، فسمى يومئذ الصديق^(٤).

فصل

وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعفها، يحصل مضمون ما انفقت عليه من مسرى وصول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في آدائه، أو زاد بعضهم أو نقص منه، فإن الخطأ جاز على من علنا الأنياء عليهم السلام. ومن جعل من الناس كل رواية مخالفة الأخرى مرة على حدا، فأثبت إسماء متعددة، فقد أبعد وأغرب. وهرب إلى غير مهترع، ولم يحصل على مطلبه.

(١) فقد كانوا طوالا.

(٢) أتى في الخصائص الكبرى للسيوطي أنه: مطعم بن عاص.

(٣) ما بين القومين سبط من غطوة الأثر؛ أئتمناه من الخصائص الكبرى للسيوطي.

(٤) الخصائص الكبرى للسيوطي ١: ٤٩١ - ٤٩١. وفي هذا الأثر مخالفات كثيرة.

وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أصرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء : وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد غفر ببشئ يخص به من الإشكالات . وهذا بعيد جدا ، ولم ينقل هذا من أحد من السلف ، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ، ولنقلته الناس على التعدد والتكرار .

قال موسى بن حنيفة ، عن الزهري : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ؛ وكذا قال عروة .

وقال السدي : بسنة عشر شهرا

واضح أنه عليه السلام أصرى به بقطة لامتناه من مكة إلى بيت المقدس ، ركباً البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط المائدة عند الباب ، ودخله فعلى في قبلته تحية المسجد ركعتين . ثم أتى المراح - وهو كالمسلم ذو رَجٍ يرى فيها - فصعد فيه إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السموات السبع ، فلقاه من كل مهاب مفرّبوها ، وسلم عليه الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مرّ بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ، ثم جاوز منزلها صلى الله عليه وسلم وعليها وعلى سائر الأنبياء ، حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صرير الأقدام ، أي : أفلام القدر بما هو كائن ، ورأى مدرة المنهى وغشيتها من أمر الله تعالى عظيمة عظيمة ، من فرائس من ذهب ، وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ، ورأى هناك جبريل حل صورته ، له سبالة جناح ، ورأى رفراً أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور ، وإبراهيم الخليل باثي الكعبة الأرضية مستنداً ظهره إليه ، لأنه الكعبة الميادية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه هناك الصلوات خمسين ، ثم خففها إلى خمس ، رحمة منه ولطفاً بعباده ؛ وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها . ثم هبط إلى البيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء فعلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يؤمّن : ومن الناس من يزعم أنه أسهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه : والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ، لأنه لما مرّ بهم في منازلهم نجعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً ، وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناح العلوي ، ليفرض عليه وعلى أمته [ما يشاء الله تعالى] ثم لما فرغ من الذي أريد به ، اجتمع هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقدمه في الإمامة ، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك . ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق ، وعاد إلى مكة بقلنس ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما عرض الآية عليه من النبي والنسل ، أو النبي والخمر ، أو النبي والماء ، أو الجميع - فقد ورد أنه في البيت المقدس ، وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا ، لأنه كالصياغة للقادم ، والله أعلم .

ثم اختلف الناس ؛ هل كان الإسراء بيده عليه السلام وروحه ؟ أو بروحه فقط ؟ هل قولن ، فالأكثر من العلماء على أنه أصرى بيده وروحه بقطة لا متناه ، ولا يُبكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك متناه ، ثم رآه بعده بقطة ؛ لأنه عليه السلام كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله : (سبحانه الذي أصرى بعبده) ، فالصبح إذاً يكون عند الأمور العظام ، ولو كان متناه لم يكن فيه كبر شيء . ولم يكن مستظلاً ، ولما بادرت كنار قريش إلى تكليمه ، ولما ارتد جماعة عن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العهد عبارة

عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال : (أسرى بيمه ليلا) ، وقد قال تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (١)) - قال ابن عباس : حى رؤيا عين ، أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم : رواء (٢) البخارى ، وقال تعالى : (ما زناغ البصر وما طغى (٣)) ، والبصر من آلات الذات لا الروح . وأيضا فإنه حمل على البراق ، وهو دابة يضاء برأيه لما لمعان ، وإنما يكون هذا اللبدن لا لروح ، لأنها لا تحتاج فى حركتها إلى مركب تركب عليه ، والله أعلم .

وقال آخرون : بل أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده - قال محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئِلَ عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

وحدثني بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول : ما فكَّد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أسرى بروحه .

قال ابن إسحاق : فلم يُسَكَّر ذلك من قولنا ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ، ولقول الله فى الخبر عن إبراهيم : (إني أرى فى المنام أنى أذنبك ، فانظر ماذا ترى) ، لم معنى حى ذلك . فعرفت أن الرعى باقى للأتية من الله أيقاظا ونياما .

لكن (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تمام حينئذى ، ولقى يقظان : والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعابن فيه من الله ما عابن ، على أى حالاته كان ، نائما أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق : انتهى كلام ابن إسحاق (٥) .
وقد تقيع أبو جعفر بن جرير فى تفسيره بالرد والانتكار والتشجيع ، بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن ، وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم (٦) ، والله أعلم .

ثالثة حسنة جليلة

روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني فى كتاب « دلائل النبوة (٧) » ، من طريق محمد بن عمر الوالدى : حدثني مالك بن أبى الرجال ، عن عمرو بن عبد الله [عن ، محمد] بن كعب القرظى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة إلى قيصر - فلذكر وزوده عليه وتقدمه إليه ، وفى السياق دلالة عظيمة على وقور عقل هرقل - ثم استدعى من بالشام من التجار ، فجاءه أبى سفيان صخر بن حرب وأصحابه ، فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التى رواها البخارى ومسلم ، كما سبأق بيانه ، وجعل أبو سفيان يبضد أن يحقر أمره ويصغر شأنه - فاك فى هذا السياق ، عن أبى سفيان : والله ما يعتنى أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه إلا أنى أكره أن أكتبه عنده كناية بأهلها على ،

(١) سورة الإسراء : آية ٦٥ .

(٢) البخارى ، تفسير سورة الإسراء : ١٠٧/٦ ، ١٠٨ .

(٣) سورة التيج : آية ١٧ .

(٤) هذا من كلام ابن إسحاق . وانتهى قبله أثر الحسن .

(٥) سيرة ابن هشام : ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ . وتفسير الطبرى : ١٣٧/١٥ .

(٦) تفسير الطبرى : ١٣٧/١٥ ، ١٤ .

(٧) لم نجد هذا الأمر فى طبعة حيدرآباد ، ولعله ما سقط فى طبعة الطبعة ، والله أعلم .

ولا يصلني شيء. قال : حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به ، قال : قلت : أيها الملك ، ألا أجبرك خبراً تعرف أنه قد كتب ؟ قال : وما هو ؟ قال : قلت : إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة ، فجاء بمسجد كم هذا مسجد إيلياء ، ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح : قال : وبطريق إيلياء عند رأس قيصر ؟ قال : بطريق إيلياء ، قد حملت تلك الليلة ؟ قال : فنظر قيصر وقال : وما حملك على هذا ؟ قال : إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلّيت ، فاستعنت عليه بمعدى ومن يحضرني كلهم فمالجهم فغلّيت ، فلم نستطع أن نحركه ، كأنما تزاول به جبلا . فدعوتُ إليه التجاورة فنظروا إليه [فقالوا] : إن هذا باب بمقط عليه النجاف (١) والبيان ، ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى : قال : فرجعت وتركت البابين مفتوحين ، فلما أصبحت غلّوتُ عليهما ، فإذا الحجر الذي في زاوية (٢) المسجد مقرب ، وإذا فيه أثر مربوط للذابة . فقال قلت لأصحابي : ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلى (٣) الليلة في مسجدنا ... وذكر تمام الحديث

فائدة

قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه : التنوير في مولد السراج المنير - وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس ، وتكلم عليه فجاد وأفاد - ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب ، وعلى ، وابن مسعود ، وأبي ذر ، ومالك بن صعصعة ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وابن عباس ، وشداد بن أوس ، وأبي بن كعب ، وعبد الرحمن بن قيس ، وأبي خبة وأبي ليلى الأنصاريين ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبي أيوب ، وأبي أمامة ، وسمرة بن جندب ، وأبي الحمر ، وصهيب الرومي ، وأم هانئ ، وعائشة وأمهات النبي - صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنهم أجمعين : منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره على ما وقع في السانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة ، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون ، وأعرض فيه الزنادقة للهلون ، (يريدون ليعفوا نورا الله بأنواعهم ، والله ممن نوره ، ولو كره الكافرون) .

وَأَيُّهَا مُوسَى الْكَاتِبُ وَجِئْتُكَ هَذِهِ لِيُحْيِيَ لِي فِي هَذِهِ الْأَنْفُسِ مِنْ دُونِي رَيْبًا ۖ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلِنَا
مَعَ نُوْحٍ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا جَهَنَّمَ شَاكِرِينَ ۖ

لما ذكر تعالى أنه أسرى ببيده محمد - صلوات الله وسلامه عليه - عطف بذكر موسى عبده وكنيته أيضاً ، فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى وعبد عليهما السلام ، وبين ذكر التوراة والقرآن ، ولهذا قال بعد ذكر الإسراء : (وأتينا موسى الكتاب) ، يعني التوراة ، (وجعلناه) ، أي : الكتاب (هدى) ، أي : هادياً (لبني إسرائيل) ، ألا يتخلوا (١) : أي : لا يتخلوا ، (من نونى وكيل) ، أي : وليا ولا نصيراً ولا معيوداً دونى ، لأن الله تعالى أول كل حل كل نبي أرسله أن يبعده وحده لا شريك له .

- (١) النجاف - بكر النون - : أمكه الباب ، وهي عتبة . والنجاف أيضاً : أمل الباب . وهو المقصود هنا .
- (٢) في المخطوطة : « التي من وراء المسجد » . والثبت عن الطبعات السابقة .
- (٣) في المخطوطة : « وقد وصل الليلة » . والثبت أيضاً من الطبعات السابقة .
- (٤) كذلك في مخطوطة الأثر : (يتخلوا) ، بالياء . يقول أبو حيان في السير المحيط ٧/٦ : « وقرأ ابن عباس ، ومجاهد ، وقناة ، ومضى ، وأبو رجا ، وأبو عمرو من السبعة : (يتخلوا) ، بالياء على التثنية ، ويقال السبعة بناء المخطوط » .

قال الطبرانی : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبي حنبلين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعد بن مسعود الثقفي قال : « إنما سمى نوح عبدًا شكورًا ، لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله »
وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أنس
ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب
الشربة ، فيحمد الله عليها » (١) .

وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا سيده الناس يوم القيامة — بطوله ، وفيه - : فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد مكلمك الله بهذا شكرا ، اشفع لنا إلى ربك » : وذكر الحديث بتمامه (٣) .

[illegible]

يقول تعالى : إنه قضى إلى بنى إسرائيل في الكتاب ، أي : تقدم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم : أنهم سيستبشرون في الأرض مرتين ويعلمون حلوا كبيرا ، أي : يتجبرون ويفتخرون ويفجرون على الناس ، كما قال تعالى : (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحهن (٤)) ، أي : نقلنا إليه وأخبرناه بذلك ، وأعلمناه به .

(١) مستند الإمام أحمد: ١١٧/٣ .

(٢) **سليم** : كتاب الذكر : **يايه** : استحباب محمد الله تعالى بهد الأكل والشرب : ٨٧٢/٨ . وثيقة الأحرفي : **أبو**
الاسمة ، **يايه** : في الحيد على الطعام إذا فرغ منه : ١٤٦٦ : ١٨٧٦ : ٣٦٦/٥ : ٥٣٧ - وقال الترمذي : **يايه** : حنا حديث حسن .
البحاري : كتاب التفسير : تفسير سورة يونس إسرائيل : ١٥٠٦ : ١٥٠٦ : **يايه** : قول الله تعالى :

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ...) : ١٦٢/٤ • ١٦٤ •

(٤) سورة الحجر، آية ٨٦.

وقوله : (فاذا جاء وعد أولاهما) ، أي : أولى الإنسانين ، (بعتا عليكم حياتنا أولى بأس شديد) ، أي : سلطنا عليكم حياتنا من خلقنا أولى بأس شديد ، أي : قوة وعدة وسلطة شديدة ، (فجاوسا خلال الديار) ، أي : تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم ، أي : بينها ووسطها ، وانصرفوا ذاهبين وجائين ، لا يخافون أحدا ، (وكان وعدنا مفعولا) .

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء السلاطين عليهم : من هم ؟ فمن ابن عباس وقتادة : أنه جالوت الجعزى وجنوده ، سَلَطَ عليهم أولا ، ثم أُهْلُوا عليه بعد ذلك ، وقتل داود جالوت ، ولهذا قال : (ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (١)) .

وعن سعيد بن جبْرِ : أنه ملك الموصل ستجاريب وجنوده . وعنه أيضاً ، وعن غيره : أنه مختصر ملك بابل .

وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة صبية في كيفية تركيهِ من حال إلى حال ، إلى أن ملك البلاد ، وأنه كان قبرا مغطىاً ضعيفاً يسطى الناس ويستطعمهم ، ثم آل به الحال إلى ما آل ، وأنه سار إلى بلاد بيت المقدس ، فقتل بها خلقاً كثيراً من بني إسرائيل .

وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حليقة مرفوعة مطولا (٢) ، وهو حديث موضوع لا محالة ، لا يزيه في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث ! ! والصَّحْبُ كُلُُّ المَجْبُوبِ كيف راج عليه مع إمامته وجلالة قدره ! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزني رحمه الله بأنه موضوع مكلوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب ،

وقد وودت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ، لأن منها ما هو موضوع ، من وضع زنادقتهم ، ومنها ما قد يحصل أن يكون صحيحاً ، ونحن في غنى عنها ، وقد الحمد . ولما قص الله تعالى علينا في كتابه طنية مما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يُحَوِّجْنَا الله ولا رسوله إليهم . وقد أخبر الله تعالى أنهم لما بقوا وطغوا سلط عليهم جلودهم ، فاستباح بيضتهم ، وسلك خلال بيوتهم وأظلم قلوبهم ، جزاء وفاقا ، وما وليك بظلام للعبيد ، فإنهم كانوا قد غمدوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء .

وقد روى ابن جرير - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سفيان بن بلال ، عن يحيى ابن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر مُخْتَصَرٌ على الشام ، فخرّب بيت المقدس وقتلهم . ثم أتى دمشق فوجد بها دما يظن على كعب (٣) ، فسأله : ما هذا الدم ؟ فقالوا : أخرجنا أبائنا على هذا ، وكلما ظهر عليه الكعب ظهر د قال : فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين (٤) وغيرهم ، فسكن .

(١) تفسير الطبري : ٢٢/١٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧/١٥ - ١٨ .

(٣) الكعب - بكسر الكاف - : الكتانة ، وجهه أبيض .

(٤) يني بالمسلمين هنا : مؤمن بالله .

وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب ، وهذا هو المشهور ، وأنه قل أشراهم وعلمهم ، حتى إنه لم يبق [من] يحفظ التوراة ، وأخذ معه خلقاً منهم أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم ، وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها . ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه ، ليجز كتابته وروايته ، والله أعلم .
لم قال تعالى : (إن أحسنتم أحسنتم لأفئسكم وإن أسأتم ظها) ، أى : فليها . كما قال تعالى : (من حل صالها فلفسه ، ومن أساء فليها (١)) .

وقوله : (فإذا جاء وعد الآخرة) ، أى : المرة الآخرة ، أى : إذا أضدتم المرة الثانية وجاء أعداؤكم ، (ليسوحوا وجوههم) ، أى : يبتسحوا ويغسحوا ، (وليدخلوا المسجد) ، أى : بيت المقدس ، (كما دخلوه أول مرة) ، أى : في التي جاسوا فيها خلال الليل ، (وليتبرأوا) ، أى : يلبرأوا ويغربوا (ما علوا) ، أى : ما ظهوروا عليه (يتبرأه عسى ربيكم أن يرحمكم) ، أى : فيصرفهم عنكم ، (وإن عدتم عدنا) ، أى : متى عدتم إلى الإفساد (عدنا) إلى الإذلة عليكم في الدنيا ، مع ما نلخه لكم في الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال : (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) ، أى : مستقراً ومحصراً وسجناً لا متحيداً لم عنه .
قال ابن عباس : (حصيراً) ، أى : سجيناً .

وقال مجاهد : يحصرون فيها . وكلما قال غيره :

وقال الحسن : فراش ومهاد .

وقال قتادة : قد حاد بنو إسرائيل ، فسلط الله عليهم هذا الحى ، محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بأعدائهم منهم الجزية عن يده وهم صاغرون (٢) .

إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَيُذَكِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣﴾

مدح تعالى كتابه العزيز الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن ، بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ، (ويذكر المؤمنين) به ، (الذين يعملون الصالحات) على مقتضاه ، (أن لهم أجراً كبيراً) ، أى : يوم القيامة ، (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة) ، أى : ويذكر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن (لهم عذاباً أليماً) ، أى : يوم القيامة ، كما قال تعالى : (فيشرهم بعذاب أليم (٣)) .

وَيَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ بِمَا كُنتَ دَعَاةً بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عُجُولًا ﴿٤﴾

نحبر تعالى عن حجة الإنسان ، ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله (بالشر) ، أى : بالموت أو الهلاك والدمار واللذات ونحو ذلك ، فلو استجاب له ربه لمالك بدعائه ، كما قال تعالى : (ولو يعجل الله للناس الشر

(١) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

(٢) ينظر هذه الآثار جميعاً في تفسير الطبري : ٣٥/١٥ - ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٢٦ .

استعجالهم بالخبر لقضى إليهم أجلهم (١) ، وكلما فرسه ابن عباس ، وبجاهد ، وقادة : وقد تقدم في هذا الحديث :
 « لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم ، أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها (٢) » .
 وإنما جعل ابن آدم على ذلك صلاته وقلقه ، ولهذا قال تعالى : (وكان الإنسان عجولاً) .

وقد ذكر سلمان القارسي وابن عباس رضي الله عنهما هاهنا قصة آدم عليه السلام ، حين همّ بالتهوض قائماً قبل أن تصيب الروح إلى رجليه ، وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه ، فلما وصلت إلى دماغه عطس ، فقال : الحمد لله .
 فقال الله : يرحمك ربك يا آدم : فلما وصلت إلى عينيه فتحتهما ، فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه ، فهمّ بالتهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، وقال : يا رب ، عجل قبل الليل (٣) .

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ مَّحْرُومَةً آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّيَتَبَيَّنُوا فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا
 عِلَّةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْحِسَابِ وَلَمْ تَكُنْ فِي قَوْمِكُمْ فَفَصَّلًا مِّنْ تَفْصِيلٍ ﴿١٠﴾

عن تعالى حل خلقه بآياته العظام ، فنها خالفته بين الليل والنهار ، ليسكنوا في الليل ويتشرفوا في النهار ، للمعاش
 والصناعات والأعمال والأشغال ، وليعلموا عدد الأيام والجمع والتهور والأعوام ، ويعرفوا مَصْرِفَ الأجل المضروبة
 للديون والعبادات والمعاملات والإجراءات وغير ذلك ، ولهذا قال : (ليتبينوا فضلاً من ربكم) ، أي : في معاشكم
 وأسفاركم ونحو ذلك ، (ولتعلموا عدد السنين والحساب) ، فإنه لو كان الزمان كله تساقاً واحداً وأسلوباً متساوياً ،
 لما عُرِفَ شيء من ذلك ، كما قال تعالى : (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله
 بأنكم بضياء ؟ أفلا تسمعون) . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله بأنكم باليل
 تسكنون فيه ؟ أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٤) ،
 وقال تعالى : (يبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً متبراً . وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً
 لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً (٥)) . وقال تعالى : (وله اختلاف الليل والنهار (٦)) ، وقاله : (يكرر الليل
 على النهار ويكرر النهار على الليل ، ويحرف الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٧)) . وقال
 تعالى : (فائق الإصباح وجاعل (٨) الليل سكناً والشمس والقمر حسياباً ، ذلك تقدير العزيز العليم (٩)) ، وقال تعالى :
 (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون : والشمس تجري لسقر لما ذلك تقدير العزيز العليم (١٠)) .

(١) سورة يونس : آية ١١ .

(٢) تقدم هذا الحديث عند الآية ١١ من سورة يونس : ١٨٨ ، وخارجاً هناك .

(٣) تفسير الطبري : ٣٧/١٥ ، ٣٨ .

(٤) سورة القصص ، الآيات ٧١ - ٧٣ .

(٥) سورة الفرقان ، آية ٦١ ، ٦٢ .

(٦) سورة المؤمنون ، آية ٨٠ .

(٧) سورة القمر ، آية ٥ .

(٨) كذا في غزوة الأحرار ، وهي قرأة واحدة لجعلنا عليها في سورة الأنعام : ٢٩/٢٤ .

(٩) سورة الأنعام ، آية ٩٦ .

(١٠) سورة يس ، آية ٣٧ ، ٣٨ .

ثم إنه تعالى جعل الليل آية ، أى : علامة يعرف بها ، وهى الظلام وظهور القمر فيه ، وهى النهار وظهور الشمس النيرة فيه ، وفاتوت بين ضياء القمر وبرهان الشمس يعرف هذا من هذا ، كما قال تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق) ، إلى قوله : (لايات لقوم يعقلون (١)) ، كما قال تعالى : (يسألونك عن الأهلة ، قل : هى مواقيت للناس والحج (٢)) ، الآية .

قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير فى قوله : (فحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة) ، قال : ظلمة الليل وسُدْفَةٌ (٣) النهار .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد : الشمس آية للنهار ، والقمر آية الليل — (فحونا آية الليل) ، قال : السواد الذى فى القمر ، وكذلك خلقه الله تعالى .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس : كان القمر بضئ كما تضىء الشمس ، والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، (فحونا آية الليل) : السواد الذى فى القمر .

وقد روى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة : أن ابن الكوّاء سأل على بن أبى طالب فقال : يا أمير المؤمنين ، ماهذه القطعة التى فى القمر ؟ فقال : وعيك : أما قرأ القرآن ؟ فحونا آية الليل ، فهذه مسخوّه .

وقال قتادة فى قوله : (فحونا آية الليل) : كنا نُحَدِّثُ أن عوآية الليل : سواد القمر الذى فيه (وجعلنا آية النهار مبصرة) ، أى : منيرة ، وخلق الشمس أنوار من القمر وأهبط .

وقال ابن أبى تيج ، عن ابن عباس : (وجعلنا الليل والنهار آيتين) ، قال : ليلا ونهارا ، كذلك خلقهما الله عز وجل (٤) .

وَكُلِّ لَإِنْسَانٍ أَلْمَنَتْهُ طَائِفَةٌ مِّنْ حُنْفِهِ ۚ وَخَرَجْنَا لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿٦٠﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَتَبْنَا بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ طَائِفًا مِّنْ حَسْبِكَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى بعد ذكر الزمان ، اذكر [ما يقع فيه من أعمال بنى آدم : وكل إنسان ألزمناه طائفة فى صفه) ، وطائره : هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : من خير وشر ، يُكْرَمُ به ويجازى عليه — (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٥)) ، وقال تعالى : (عن اليمين وعن الشمال قعيد •

(١) سورة يونس ، آية : ٦٤ •

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٨٩ •

(٣) تفسير الطبرى : ٣٨/١٥ . هذا والسنة المراد بها هنا : النفس ، وهى كذلك فى لغة تميم ، وأما فى لغة تميم فهى الظلمة ، فى من الأضداد .

(٤) ينظر هذه الآثار فى تفسير الطبرى : ٣٨/١٥ •

(٥) سورة الزلزلة ، آية : ٧ • ٨ •

ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد(١) ، وقال تعالى : (وإن عليكم حافضين . يعلمون ما تعملون ، إن الأبرار لآتي نعيم . وإن التجار لدى حميم(٢)) . وقال : (إنما يتركون ما كنتم تعملون(٣)) ، وقال : (من يعمل سوءا يجز به(٤)) .

والقصد أن عمل ابن آدم محفوظ عليه ، قليله وكثيره ، ويكتب عليه ليلا ونهارا ، صاحبا ومساء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتية ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لتطأ كل إنسان في حقه . قال ابن هبة : يعني البقرة(٥) .

وهذا القول من ابن هبة في تفسير هذا الحديث ، غريب جدا ، والله أعلم .

وقوله : (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) ، أي : نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة ، إما يمينه إن كان سعيدا ، أو بشماله إن كان شقيا . (منشورا) ، أي : مفتوحا يقرؤه هو وغيره ، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره . (يأتى الإنسان يومئذ بما قدم وأخره . بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره(٦)) ، ولهذا قال تعالى : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ، أي : إنك تعلم أنك لم تنظم ولم يكتب عليك غير ما عملت ، لذلك ذكرت جميع ما كان منك ، ولا ينسى أحدا شيئا مما كان منه ، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأنى .

وقوله : (أئزمناه طائره في حقه) ، إنما ذكر العنق ، لأنه عضو لا نظير له في الجسد ، ومن أئزم بشئ عليه فلا يحيد له عنه ، كما قال الشاعر(٧) :

أذهبَ بها ، أذهبَ بها طوقها طوق الحماة

قال قتادة ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا عدوى ولا طيرة » ، وكل إنسان أئزمناه طائره في حقه . « كلما رواه ابن جرير(٨) » .

(١) سورة ق : آية : ١٧ ، ١٨ .

(٢) سورة الانفطار : الآيات : ١٠ - ١٤ .

(٣) سورة الطور : آية : ١٦ .

(٤) سورة النساء : آية : ١٢٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣/٣٦٠ .

(٦) سورة القيامة : الآيات : ١٣ - ١٥ .

(٧) هو أبو أحمد بن جش ، من السابقين إلى الإسلام والمجرة . وقد ذكر البيت ابن إسحاق ، في أبيات أسمر . ينظر صيرة ابن هشام : ١/٥٠٠ .

ويقول البيهقي في الأرواح الأنف : ١٤/٢ ، ١٥ : « وقوله لأين متيان : « طوقها طوق الحماة » ، منزه من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من نصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين » . وقال : « طوق الحماة » ؛ لأن طوقها لا يفارقها ولا تلتقي من نفسها أبدا ، كما يفعل من لبس طوقا من الآحسين . ففى هذا البيت من البساطة وحلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة مالا مزيد عليه » .

(٨) تفسير القرطبي ١/٣٩١ .

وقد رواه الإمام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده متصلا ، فقال : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن طيبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طبر كل عبد في عهده » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله ، حدثنا ابن طيبة ، حدثني يزيد : أن أبا الخير حدثه : أنه سمع سقة بن عامر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس من عمل يوم إلا وهو يُختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة : يا ربنا ، عبدك فلان ، قد حبستنه ؟ فيقول الرب جل جلاله : اخموا له على مثل عمله ، حتى يبرأ أو يموت (١) » .

إسناد جيد قوى ، ولم يخرجوه .

وقال معمر ، عن قتادة : (أئتمناه طائره في عهده) ، قال : عمله — (ونخرج له يوم القيامة) ، قال : نخرج ذلك العمل (كتابا يلقاه منشورا) — قال معمر : وتلا الحسن البصري : (عن اليمين وعن الشمال قعيد) ، يا ابن آدم ، بسلت لك صحيفة ، ووسَّلَ لك ملكا كرعان ، أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك ، فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت ، أقل أو أكثر ، حتى إذا مت طويت صحيفةك فجعلت في حشرك معك في قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا ، (اقرأ كتابك - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ، قد عدل — والله — طيلك ، من جعلك حسيب نفسك (٢) .

هذا من حسن كلام الحسن ، رحمه الله .

مِنْ أَهْلِئِنَّ، فَلَمَّا كُنْ يَتَبَدَّى لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يُضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَكَانَ ظُهُورُهُمْ

حَتَّىٰ نُبْعَثَ رَسُولًا ﴿٥﴾

خبر تعالى أن من اعتدى واتب الحق واقتفى آثار النبوة ، فاما يُحْصَلْ عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ، (ومن ضل) ، أى : عن الحق ، وراخ عن سبيل الرشاد ، فلما ينجى على نفسه ، ولما يعود وبال ذلك عليه :

ثم قال : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، أى : لا يحمل أحد ذنب أحد ، ولا يثني جان إلا على نفسه ، كما قال تعالى : (وإن تدح مشقة إلى حملها لا يحمل منه شيء (٣)) .

ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى : (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (٤)) ، وقوله : (ومن أوزار الذين يضلونهم پير علم (٥)) : ، فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم ، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ، ولا يحملوا عنهم شيئا : وهذا من عدل الله ورحمته بعباده :

(١) مسند الإمام أحمد : ٤/١٤٦ .

(٢) تفسير البغوي : ٤٠ ، ٣٩/١٥ .

(٣) سورة فاطر ، آية : ١٨ .

(٤) سورة المائدة ، آية : ١٣ .

(٥) سورة النحل ، آية : ٢٥ .

وكذا قوله : (وما كنا معذبين حتى نبث رسولا) : إخبار عن عذله تعالى ، وأنه لا يُعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسول إليه ، كما قال تعالى : (كلما أتى فيها فوج سالم خزنتها ألم بأنكم نذير . قالوا : بلى ، قد جئنا نذير ، فكلمنا فقلنا : ما تزل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير (١)) ، وكذا قوله : (وسيت اللين كفروا إلى جهنم زمراً ، حتى إذا جاعوها ففتحت أبوابها ، وقال لم خزنتها : ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينزلونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (٢)) ، وقال تعالى : (وهم يصطرون فيها : ربنا أنشجنا لعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نمركم ما يتذكر فيه من نذركم وجاءكم التلويح ؟ فلو فوها لفلان من نصير (٣)) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ومن ثم "لمن جماعة من العلماء في القطة التي جاءت مُحَصَّنة في صحيح البخاري ، عند قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) :

حدثنا عبيد الله بن سعد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن الأخرج باستاده إلى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال : « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحداً ، وإنه ينشئ النار خلقا فيلقون فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ ثلاثا » وذكر تمام الحديث (٤) .

فإن هذا إما جاء في الجنة لأنها دار فضل ، وأما النار فلأنها دار عذله ، لا يدخلها أحد إلا بعد الإحلال إليه ، وقيام الحجة عليه . وقد تكلم جماعة من (٥) الحفاظ في حله القطة ، وقالوا : لعله انقلب على الراوي ، بتدليل ما أنشجناه من الصبيح - والفظ البخاري - من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجاجت الجنة والنار » ، فذكر الحديث إلى أن قال : « فأما النار فلا تمتلئ حتى يفسح فيها قلمه ، فتقول : قَلْبًا ، قَلْبًا ، فهتالك تتلوه ويترَوِي بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فينشئ الله فيها خلقا (٦) » .

بني هاهنا مسألة قد اختلفت الأمة رحمهم الله تعالى فيها ، قد بينا وحديثنا ، وهي الولدان اللين ماتوا وهم صغار وآبائهم كفار ، ماذا حكمهم ؟ وكذا المجنون والأحم والشيخ الخرف ، ومن مات في الفترة ولم تبلغه الدعوة . وقد رددت شأنهم أحاديث أنا ذكرها لك بحون الله وتوفيقه ، ثم نذكر فصلاً ملخصاً من كلام الأمة في ذلك ، والله المستعان .

الحديث الأول من الأسود بن سريح ، قال الإمام أحمد :

(١) سورة الملك : آية ٨ ، ٩ .

(٢) سورة الزمر : آية ٧١ .

(٣) سورة ناز : آية ٤٤ .

(٤) البخاري : كتاب التوحيد ، باب ما جاء في حق الله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) : ١٦٤/٩ .

(٥) يعقوب بن عيسى : ١٧٣/٣٣٩ .

(٦) البخاري : تفسير سورة ق : ٥ ، ١٧٣/٩٦ . ومسلم : كتاب الجنة : باب : النار يدخلها الجبارون . والجنة يدخلها

المسلمون : ١٨١/٨ .

حدثني علي بن عبد الله ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن الأحنف بن قيس ، عن الأسود بن صريح أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة يخرجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة : فأما الأصم فيقول : رب ، قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب ، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذونني (١) بالبر ، وأما الهرم فيقول : رب ، قد جاء الإسلام وما أحقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ، ما أتاني لك رسول . فيأخذ مواليقهم ليطيمنته فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوللى نفس محمد بيده ، لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً (٢) .

وبالإستناد عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، مثل هذا الحديث غير أنه قال في آخره : « من دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب إليها » .

وكذا رواه إسحاق بن راهويه ، عن معاذ بن هشام ، ورواه البيهقي في كتاب الاحتقار ، من حديث حنبل (٣) بن إسحاق ، عن علي بن عبد الله المدني ، به وقال : هذا إسناده صحيح . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة كلهم يندى على الله صيحة ، فذكر نحوه » ورواه ابن جرير ، من حديث معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، فذكره موقوفاً ، ثم قال أبو هريرة : أقرأوا إن شئتم : (وما كنا ملعين حتى تبعث رسولاً) (٤) .

وكذا رواه معمر ، عن عبد الله بن طلوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة موقوفاً .



الحديث الثاني عن أنس بن مالك ، قال أبو داود الطيالسي :

حدثنا الربيع ، عن يزيد بن أبان قال : قلنا لأنس : يا أبا حمزة ، ما تقول في أطفال المشركين؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكن لهم سيئات فيعملوا بها ، فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة ، هم من خدم أهل الجنة » .

الحديث الثالث عن أنس أيضاً ، قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن عبد الوارث عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمرلود ، والمختوة ، ومن مات في الفترة ، والشيخ الفاني [الحميم] (٥) ، كلهم يتكلم بحجته ، فيقول الرب تبارك وتعالى لأمته (٦) : [من النار] : ابرؤ ، ويقول لهم : إني كنت أبث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ، ادخلوا هذه : قال : فيقول من كتب عليه الشقاء : يارب ، أتني تدخلها ومنها كنتا نفر ؟ قال : ومن كتبت [عليه] السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، قال : فيقول الله تعالى : أتم رسلي أشد تكليفاً ومعصية . فيدخل هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار .

(١) أي : يضرهونى به .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤٤/٤ .

(٣) كذا في ضلوة الأثر ، ولم نجد لحنبل هذا ترجمة .

(٤) تفسير الطبرى : ٤١/١٥ .

(٥) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٩٨/٤ .

(٦) تقدم تفسير هذه الكلمة أيضاً في : ٤٢٤/٤ .

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن يوسف بن موسى ، عن جرير بن عبد الحميد ، بإسناده مثله .

الحديث الرابع عن البراء بن عازب رضى الله عنه ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده أيضاً : حدثنا القاسم بن أبي حبة ، حدثنا عبد الله - يعنى ابن داود - عن عمر بن خر ، عن يزيد بن أمية ، عن البراء قال : [مثل] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المسلمين ، قال : هم مع آبائهم . وسئل عن أولاد المشركين فقال : هم مع آبائهم . قيل : يا رسول الله ، ما يعملون ؟ قال : الله أعلم بهم .

ورواه عمر بن خر ، عن يزيد بن أمية ، عن وجيل ، عن البراء ، عن عائشة ، فذكره .

الحديث الخامس عن ثوبان ، قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار فى مسنده : حدثنا إبراهيم ابن سعيد الجوهري ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا عباد بن منصور ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أمية ، عن ثوبان : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم عظم شأن المسألة ، قال : إذا كان يوم القيامة ، جاء أهل الباهلية يحملون ثوبانهم على ظهورهم ، فيسلمهم بهم ، فيقولون : ربنا لم ترسل إلينا رسولا ، ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولا لكتنا أطوع عبادة ، فيقول لهم بهم : لرأيت إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون : نعم . فيأمرهم أن يعملوا إلى جهنم فيدخلوها ، فيبتلقون حتى إذا دنوا منها وجنوا لها تغيظاً وجزعاً ، فرجسوا إلى بهم فيقولون : ربنا أخرجك أو : أخرجنا منها ، فيقول لهم : ألم ترعوا أنى إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم . فيقول : اعملوا إليها ، فادخلوها . فيبتلقون حتى إذا رأوها فترجسوا ، فقالوا : ربنا فترقتنا منها ، ولا نستطيع أن ندخلها . فيقول : ادخلوها داخلين . فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برحاً وسلاماً . ثم قال البزار : ومن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه ، لم يروه عن أيوب إلا عباد ، ولا عن عباد إلا عثمان بن سعيد .

قلت : وقد ذكره ابن حبان فى كتابه . وقال يحيى بن معين والنسائى : لا بأس به ، ولم يرضه أبو داود . وقال أبو حاتم : شيخ لا بأس به ، يكتب حديثه ولا يحصى به .

الحديث السادس ، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى ، قال الإمام محمد بن يحيى اللؤلؤ (١) :

حدثنا سعيد بن سليمان ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المالك فى الفترة والموتور والمولود ، يقول المالك فى الفترة : لم يأتى كتاب . ويقول الموتور : رب ، لم تجعل فى حقنا أحق به غيرا . ولا شرا . ويقول المولود : رب ، لم أدرك العقل . فرفع لهم نارا فيقال لهم : ردوها ، قال : فرددنا من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها [من كان] فى علم الله شقيئا لو أدرك العمل . فيقول : لىأى عصيم ، فكيف لو أن رسلنا أتكم ؟ .

(١) كان أحد الأئمة الأعلام ، سمع عبد الرحمن بن مهدي وطبقته ، وأكثر الترحال ، وصنف التصانيف ، وكان الإمام أحمد يحله ويمنه . يقول أبو حاتم : « كان إمام أهل زمانه » . وقال أبو بكر بن أبي داود : « هو أمير المؤمنين فى الحديث » . وهو الذى جمع حديث الزهري . وقد روى عنه أنه قال : « ألقيت على العلم مائة وخمسين ألفا » . ومن مصنفاته : « كتاب حلى حديث الزهري » . ونظر أمير المؤمنين ١٧/٢ ، وفهرمة ابن خزيمة ٢٠٣ ، والخلاصة .

وكذا رواه الزوار ، عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي ، عن حيد الله بن موسى ، عن فضيل بن مرزوق ، به .
ثم قال : لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه ، عن عطية ، عنه وقال في آخره : « فيقول الله : إياي عصمتم ، فكيف يرسل بالنيب ؟ »

الحديث السابع ، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال هشام (١) بن عمار ، وعبد بن المبارك الصوري (٢) :
حدثنا عمرو بن واقد ، عن يونس بن حكيم ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن معاذ بن جبل ، عن أبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلا ، وبالمالك في القفرة ، وبالمالك صغيراً ، فيقول المسوخ : يا رب ، لو آتيتني عقلاً ما كان من آيتي عقلاً بأسد مني - وذكر في المالك في القفرة والصغير نحو ذلك - فيقول الرب عز وجل : إني آسرك بأمر فتطيعوني ؟ فيقولون : نعم . فيقول : اذهبوا فادخلوا النار - قال : ولو دخلوها ما ضرهم - فخرج عليهم قواضب ، فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء ، فيرجعون سراخاً ، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون [كذلك] ، فيقول الرب عز وجل : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم حاملون ، وعلم علمي خلقكم ، وإلى علمي تصبرون ، فسميهم فتأطعهم النار »

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضى الله عنه : قد تقدم روايته متدرجة مع رواية الأسود بن سريع رضى الله عنه .
وفي الصحيحين ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء (٣) ؟
وفي رواية قالوا : يا رسول الله ، أفرأيت من موت صغيراً ؟ قال : الله أعلم بما كانوا حاملين (٤) .
وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن حازم ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت ، عن عطاء بن ثمر ، عن عبد الله ابن ضمرة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - فيما أعلم - شك موسى - قال : ذكركم للمسلمين في الجنة ، يكفلهم إبراهيم عليه السلام (٥) .

وفي صحيح مسلم ، عن عياض بن حمار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الله عز وجل أنه قال :
« إني خلقت عبادي حنكاً (٦) - وفي رواية لغيره : مسلمين .

-
- (١) هو أبو الوليد هشام بن عمار السلمي ، غلبت صفته وتلقبها وتلقبها زوى عن مالك ومطايه . وله مسند . توفي في الحرم سنة ٢٤٥ هـ . ينظر البحر المحيي : ١/٤٤٥ و فهرسة ابن خبير : ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن المبارك الصوري الحافظ ، قال يحيى بن معين : كان شيخ مشفق به في سمر . توفي سنة ٢١٥ هـ .
(٣) تقدم الحديث في سورة النساء ، هذه الآية : ١١٩ ، وخرجناه هناك وخرجناه فريه . ينظر : ٢/٣٦٨ .
(٤) مسلم ، كتاب القدر ، باب : متى كل مولود يولد هل الفطرة ؟ : ٨/٥٢ .
(٥) مسند الإمام أحمد : ٢/٣٢٦ .
(٦) تقدم الحديث في سورة النساء ، هذه الآية : ١١٩ ، وخرجناه هناك . ينظر : ٢/٣٦٨ .

الحديث التاسع من سورة رضى الله عنه ، رواه الحافظ أبو بكر البزارى (١) في كتابه « المستخرج حل البخارى » من حديث عوف الأخرى ، عن أبي ربيعة المقرئى ، عن سمرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مولود يولد على الفطرة . فناداه الناس : يا رسول الله ، ولولاد للمشركين ؟ قال : ولولاد للمشركين .

وقال الطبرانى : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا حفصة بن مكرم القصبى ، عن عيسى بن شعيب ، عن عطاء ابن منصور ، عن أبي ربيعة ، عن سمرة قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال للمشركين فقال : هم خدم أهل الجنة .

الحديث العاشر ، عن حم حنابلة ، قال أحمد :

[حدثنا (٢) إسحاق ، ينى الأزرق] أخبرنا روح ، حدثنا عوف ، عن حم حنابلة بنت معاوية ، عن نبي صرم قالت : حدثني حمى قال : قلت : يا رسول الله ، من فى الجنة ؟ قال : النبي فى الجنة ، والشهيد فى الجنة ، والمولود فى الجنة ، والريد فى الجنة (٣) .

فإن العلماء من ذهب إلى التوقف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لم بالجنة ، لحديث سمرة بن جندب فى صحيح البخارى : أنه عليه الصلاة والسلام قال فى جملة ذلك المنام ، حين مرَّ على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان ، فقال له جبريل : هلا إبراهيم عليه السلام ، وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين ، قالوا : يا رسول الله ، أولاد المشركين ؟ قال : نعم ، وأولاد للمشركين .

ومنهم من جزم لم بالنار ، لقوله عليه السلام : هم مع آبائهم .

ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة فى الصِّرات ، فإن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار خائراً ، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة .

وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صرح به الأحاديث المتقدمة المتأخدة الشاهد بعضها لبعض ، وهذا القول هو الذى حكاه الشيخ أبو الحسن حل بن إسحاق الأضرى رحمه الله ، عن أهل السنة والجماعة : وهو الذى نصره الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله فى « كتاب الاحتقاد » ، وكذلك غيره من مُعْتَمِدِ العلماء والحفاظ النقاد .

وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر الشَّعْرَى بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ، ثم قال : وأحاديث هذا الباب ليست قوية ، ولا تقوم بها حجة ، وأهل العلم ينكرونها ، لأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل ولا ابتلاء ، وكيف يكلّفون دخول النار وليس ذلك فى وسع الخلقين ، والله لا يكلّف نفساً إلا وسعها ؟ !

(١) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمى الفقيه الشافعى . كان ثباتاً ورواه ، صنف مصنفاً غصته ما اشتمل عليه الصيحيان وقد ذكر هذا المصنف ابن خبير فى فهرسته ، فقال : « كتاب فيه الأحاديث العوالى من المسند الصحيح ، عمل فسط كتاب البخارى ومسلم ، عاونه فى الكتابين أو أسعدها » . توفى رحمه الله سنة ٢٥٠ هـ ، ينظر المعبر للقدمى : ١٠٦/٣ .

(٢) مابن القوسين سقط من نص ابن كثير ، ولا بد منه . وقد أئتمناه من مسند الإمام أحمد ، وأمد النافذة : ترجمة حم حنابلة بنت معاوية المصرية : ٣٤١/١ ط الزهرية .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٥٨٤/٥ .

والجواب عما قال : أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح ، كما قد نص على ذلك غير واحد من أئمة العلماء ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متعادلة على هذا النقط ، أفادت الحجة عند الناظر فيها . وأما قوله : « إن الآخرة دار جزاء » ، فلا شك أنها دار جزاء ، ولا يتنافى التكليف في حرمتها قبل دخول الجنة أو النار ، كما حكاها الشيخ أبو الحسن الأشعري عن ملهبة أهل السنة والجماعة ، من امتحان الأطفال ، وقد قال الله تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون (١)) ، وقد ثبتت السنة في الصباح وغيرها : أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة ، وأما المنافق فلا يستطيع ذلك ويعود ظهره طيقاً (٢) [واحداً] كلما أراد السجود خسر لفقاه .

وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها : أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه ، ويتكرر ذلك مراراً ، ويقول الله تعالى : يا ابن آدم ، ما أؤذرك ! ثم يأذن له في دخول الجنة (٣) .

وأما قوله : وكيف يكلفهم دخول النار ، وليس ذلك في وسعهم ؟ ، فليس هذا بمال من صفة الحديث ، فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط ، وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق والكرام وكأجاويد الخليل والركاب ، [ومنهم] السامعون ومنهم المائمين ، ومنهم من يحب حياء ، ومنهم المكذوبون (٤) على وجهه في النار (٥) وليس ماورد في أولئك بأعظم من هذا ، بل هذا أظم وأعظم . وأيضاً فقد ثبت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشربيه أحدهم من الذي يرى أنه نار ، فإنه يكون عليه برداً وسلاماً ، فهذا نظير ذلك ، وأيضاً فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم ، فقتل بعضهم بعضاً حتى قتلوا فيما قيل في خذاة واحدة سبعين ألفاً ، يقتل الرجل أباه وأمه ، وهم في عصاية حمامة أرسلها الله عليهم ، وذلك حقيرة لم على عبادتهم العجل ، وهذا أيضاً شاق على النفوس جداً لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور ، والله أعلم .

فصل

فاذا تقرر هذا ، فقد اختلفت النام في ولدان المشركين على أقوال :

أحمد : أنهم في الجنة . وإحساناً بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع إبراهيم أولاد المسلمين وأولاد المشركين وجاء تقدم في رواية أحمد ، عن حسنة ، عن حماد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والبرود في الجنة » . وهذا استدلال صحيح ، ولكن أحاديث الامتحان أنقص منه ، فن علم الله أنه يطع جبل روحه في البرزخ مع إبراهيم

(١) سورة التلم : آية ٤٢ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة (٥) والتلم : ١٩٨ ، وكتاب التوحيد : ١٥٩/٩ .

والثاني - يفتحين : قنار التهر ، واحتما طيق ، يريد أنه صار قنارهم كله كالقنارة الزاحنة ، فلا يتقدمون على السجدة .

(٣) البخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل السجود : ١٠٥/١ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً : ١١٩/١ ، ١٢٠ .

(٤) المكشوف : المظروء ، ويروى المكشوف - بالسين - ، وهو : المكشوف .

(٥) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٥٩/٩ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة في : ١٠٥/١ .

وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجيبه ، فأمره إلى الله تعالى ، ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ، ونقله الأشعري عن أهل السنة ، ثم من هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة من يجعلهم مستقلين فيها ، ومنهم من يجعلهم خدماً لهم ، كما جاء في حديث علي بن زيد ، عن أنس ، عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف ، والله أعلم .

القول الثاني : أنهم مع آبائهم في النار ، واستدل عليه [بما رواه] الإمام أحمد بن حنبل ، عن أبي المغيرة : حدثنا حنبة بن سفيان بن حبيب ، حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى عتيق ، أنه أتى عائشة فسأها عن ذكري الكفار فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم تبع لأبائهم ؟ قلت : يا رسول الله ، بل هل ؟ فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين (١) .

وأخرجه أبو داود من حديث محمد بن حرب ، عن محمد بن زياد الألهاني ، سمعت عبد الله بن أبي قيس ، سمعت عائشة تقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذكري المؤمنين ، قال : هم من آبائهم ؛ قلت : فلراي المشركين ؟ قال : هم من آبائهم ؛ قلت : بل هل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين (٢) .

ورواه أحمد أيضاً ، عن وكيع ، عن أبي عتيق يحيى بن المشوكل - وهو مبروك - عن مولاه جبة ، عن عائشة أنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين فقال : إن شئت أسمعتك تصاغيتهم (٣) في النار (٤) .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، عن محمد بن فضيل بن غزوان ، عن محمد بن عثمان بن زاذان ، عن علي بن رضى الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لما ماتا في الجاهلية ، فقال : هما في النار ، قال : فلما رأى الكراهية في وجهها [قال] : لو رأيت مكانهما لأبغضتهما ؛ قالت : فولدئ منك ؟ قال : في الجنة ؛ قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) : [إن للمؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن للمشركين وأولادهم في النار ، ثم قرأ : (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم (٦) بإعان [ألحقنا بهم ذرياتهم (٧)] .

وهذا حديث غريب ، فإن محمد بن عثمان هنا مجهول الحال ، وشيخه زاذان لم يدرك علياً ، والله أعلم .

وروى أبو داود من حديث ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الوالدة والمومة في النار ، ثم قال الشعبي : حدثني [به] علقمة ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود (٨) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٨٤/٦ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في ذكري المشركين ، ٤٧١٢ : ٤٧١٤ .

(٣) أي : صياغتهم ويصاغونهم .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٠٨/٦ .

(٥) ما بين القوسين من مسند الإمام أحمد .

(٦) كلما في خطبة الأخر ، وفي قراءة ثالثة عن أبي عمرو ، ينظر البحر المحيط لأبي حيان : ١٤٩/٨ . وما بين القوسين

من مسند الإمام أحمد .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١٣٤/١ .

(٨) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في ذكري المشركين ، الحديث ٤٧١٧ : ٤٧٢٠ .

وقد رواه جماعة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبي صلى الله عليه وسلم قلنا : إن أماناتك في الجاهلية ، وكانت تكثري القيف وتصل الرحم ، وأنها وأدت أختنا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحديث (١) . فقال : الوائدة والمعوذة في النار ، إلا أن تترك الوائدة الإسلام ، فتسلم ، وهذا إسناده حسن .

والقول الثالث : التوقف فيهم ، واعتصموا على قوله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم بما كانوا عاملين » ، وهو في الصحيحين من حديث جعفر بن أبي إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . [وكذلك هو في الصحيحين ، من حديث الزهري ، عن عطاء بن يزيد - وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه سئل عن أطفال المشركين ، فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين »] .

ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف . وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة ، لأن الأعراف ليس دار فرار ، ومأل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في « سورة الأعراف » ، والله أعلم .

المحل

وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء - كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي ، عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة ، وهذا هو المشهور بين الناس ، وهو الذي قطع به إن شاء الله عز وجل . فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد بقر ، عن بعض العلماء : أنهم توقفوا في ذلك ، وأن الولدان كلهم تحت شجرة الله عز وجل - قال أبو عمر : ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الثقة والحديث منهم : حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإصحاق بن راهويه وغيرهم ، قالوا : وهو يشبه ما رسم مالك في مؤلفه في أبواب القدر ، وما أورده من الأحاديث في ذلك ، وعلى ذلك أكثر أصحابه : وليس عن مالك فيه شيء متصوص ، إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة ، وأطفال المشركين خاصة في المشيمة . انتهى كلامه ، وهو غريب جداً .

وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتاب « التذكرة » (٢) « نحو ذلك أيضا ، والله أعلم .

وقد ذكروا في ذلك حديث عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله ، طوبى له عصفور من عصفائر الجنة . لم يحمل السوء ولم يتركه ، فقال : أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه (٣) .

(١) أي : الإدراك .

(٢) التذكرة في أحوال الموق وأمر الأئمة للقرطبي : ٥١١ - ٥١٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٥١/٦ ، ٢٠٨ . ومسلم : كتاب القدر ، باب « مع كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موث أطفال الكفار وأطفال المسلمين » : ٥٤/٨ ، ٥٥ . وسنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب « في ذراري المشركين » ، الحديث ٤٧١٣ ، ٢٢٩/٤ . والتمثال ، كتاب الجنائز ، باب « الصلاة على الصبيان » : ٧/٧ . وسنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب « في القدر » الحديث ٨٢ ، ٢٢٢/١ .

ولما كان الكلام في هذه المسألة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة ، وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارح ، كره جماعة من العلماء الكلام فيها ، روى ذلك عن ابن عباس ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد ابن الحنفية وغيرهم ؛ وأخرج ابن حبان في صحيحه ، عن جرير بن حازم : سمعت أبا رجاء العطاردي ، سمعت ابن عباس وهو على المنبر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال أمر هذه الأمة موالياً - أو : مقارباً - ما لم يتكلموا في الولدان والقتل .

قال ابن حبان : يعني أطفال المشركين .

وهكذا رواه أبو بكر البزار ، من طريق جرير بن حازم ، به : ثم قال : وقد رواه جماعة عن أبي رجاء ، عن ابن عباس موقوفاً .

وإذا أنزلنا قوله : **ففسقوا فيها** فليحقق عليها **القول** فذكرها **لها** **تدبيراً**

اختلف القراء في قراءة قوله : (**أمرنا**) - فالشهور قراءة التثنية . واعطت المفسرون **معناه** : **أقبل** : معناه **أمرنا** متريفاً ففسقوا فيها **أمرنا** قدرياً ، كقوله تعالى : (**أناها أمرنا** ليلاً أو نهاراً) - فإن الله لا يأمر بالفسق ، قالوا : **معناه** أنه سخرهم إلى فعل الفواحش ، فاستحقوا العذاب .

وقيل : **معناه** **أمرناهم** بالطاعات ففعلوا الفواحش ، فاستحقوا العقوبة ؛ رواه ابن جرير عن ابن عباس (١) ، وقاله سعيد بن جببر أيضاً .

وقال ابن جرير : **وقد يحتمل أن يكون معناه** : **جعلناهم أمراء** .

قلت : إذا جيء هذا على قراءة من قرأ (**أمرنا** متريفاً) ، قال علي بن طلحة ، عن ابن عباس قوله : (**أمرنا** متريفاً ففسقوا فيها) ، يقول : سلطاناً أشرارها ففصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب ، وهو قوله : (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمسكوا فيها) - وكلما قال أبو العالية ، ومجاهد ، والربيع بن أنس :

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا متريفاً ففسقوا فيها) ، يقول : أكثرنا عددهم (١) ، وكذا قال حكيمه ، والحسن ، والضحاك ، وقنابة : وعن مالك ، عن الزهري : (**أمرنا** متريفاً) : أكثرنا .

وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا روح بن عيادة ، حدثنا أبو توبة عدي بن عدي ، عن مسلم بن عبد الله ، عن إياس بن زهير ، عن سويد بن غبيرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **«نبي مآل امرئ به مهرة مأمورة ، أو سكة مأبورة»** (٢) .

(١) تفسير الطبري : ٤٢٪١٥ .

(٢) مستدرك الإمام أحمد : ١٧٠٪٥ . وقد تقدم الحديث في سورة آل عمران : منه تفسير الآية ١٠١ ، ينظر : ١٧٪٢ .

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب : للمأمورة كثيرة النسل : والسكة : الطريقة المصطفة من النخلة والمأمورة من التأخير ، وقال بعضهم : إنما جاء هذا متناسبا كقوله : « ما زورات غير مأجورات (١) » .

وَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوْحٍ وَكُنْ مِنْ رِبِّكَ بِذُنُوبٍ عِمَادِهِ خَيْرًا يَصِيرُ ۝١٧

يقول تعالى متفرقا كقوله فريش في تكذيبهم رسوله صعدا صلى الله عليه وسلم ، بأنه قد أهلك إنما من المكذبين للرسول من بعد نوح ، وذلك هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام ، كما قاله ابن عباس : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام » .

ومعناه أنكم أيها المكذبين لستم أكرم على الله منهم ، وقد كتبتم أشرف الرسل وأكرم الخلق ، لعقوبتكم أولى وأحرى .

وقوله : « وكن يربك بذنوب عباده خيرا بصيرا » ، أي : هو عالم بجميع أعمالهم ، خبرها وشرها ، لا يخفى عليه منها عافية .

مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْعَاجِلَةَ جَئَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ يَرْيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ رِجْسًا يَلْبَسُهُ صَلَواتُ الْمَلَكُوتِ ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝١٩

غير تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعم يحصل له ، بل إنما يحصل لمن أراد الله ما يشاء .

وهذه مقبلة لإطلاق ماسواها من الآيات ، فإنه قال : « جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم » ، أي : في الدار الآخرة ، (بصلاها) ، أي : يدخلها حتى تفره من جميع جوانبه ، (ملحوما) ، أي : حال كونه ملحوما على سوء تصرفه وصنيعه ، إذا اختار الثاني على الباقي ، (ملحورا) ، مبدأ مقصبا حقيرا ذليلا مهانا .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا ذؤيد ، عن أبي إسحاق ، عن زرعة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا دار من لا دار له ، وما من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له (٢) » .

وقوله : « ومن أراد الآخرة » ، أي : أراد الدار الآخرة وما فيها من النعم والسرور (وسعى لها سعيها) ، أي : طلب ذلك من طريقه ، وهو متابعة الرسول ، (وهو مؤمن) ، أي : وقلة مؤمن ، أي : مصدق بالتواب والجزاء ، (فأولئك كان سعيهم مشكورا) .

(١) يريد أن يقول : إن الأصل فيها مؤنثة . - بهم الميم ، وسكون الهزة ، وفتح الميم - اسم مقول من آخر ، فأتجرة مأبورة ، فأنزاه به حل وزن مقولة ، تزوجا للفتن . والازدواج عادة عربية ، مثل قوله عليه السلام : « أرحم من مأزورات غير مأجورات » ، وإنما هو مؤجورات ، بالواو ، فأبدلوا الواو هزة ليردج الفتحة مع (مأجورات) .

كَلَامُ مَنْ لَا يَهْدِيهِ اللَّهُ وَخَلَقَ لَهُمُ عَذَابًا عَظِيمًا وَمَا كُنْتَ عَطَا رَبِّكَ حِطًوًّا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۝ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ حِجَابًا مَّا تَرَى تَفْضِيلًا ۝

[يقول تعالى (١) : (كلام) ، أى : كل واحد من الفريقين اللذين أودوا الدنيا والذين أراحوا الآخرة ، نعلم فيما فيه (من) عطاه ربك) ، أى : هو المتصرف الحاكم الذى لا يجور ، فيعطى كلاً ما يستحقه من السعادة والشقاوة ، فلا راد لحكمه ، ولا مانع لما أعطى ، ولا مغير لما أود : (وما كان عطاه ربك محظوراً) ، أى : لا يمنه أحد ولا يردعه راد ، قال قتادة : [(وما كان عطاه ربك محظوراً) ، أى : مقوصاً (٢)] وقال الحسن وغيره : أى منحوا .

ثم قال تعالى : (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) ، أى : فى الدنيا ، فلهم النى والتقدير وبين ذلك ، والحسن والفتح وبين ذلك ، ومن يموت صبراً ، ومن يُمسَر حتى يبنى شيخاً كبيراً ، وبين ذلك ، (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) ، أى : ولتفاوتهم فى اللز الآخرة أكبر من الدنيا ، فإن منهم من يكون فى الدرجات فى جهنم وسلسلها وأغلظها ، ومنهم من يكون فى الدرجات المكنى ولعيمها ومسورها ، ثم أهل الدرجات يتفاوتون فيما هم فيه ، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون ، فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . وفى الصحيحين : (أن أهل الدرجات المكنى لبرون أهل جنتين ، كما ترون الكوكب النابى فى أفق السماء (٣)) — ولهذا قال تعالى : (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) .

وفى الطبرانى ، من رواية زاذان ، عن سلمان مرفوعاً : (ما من عبد يريد أن يرتفع فى الدنيا درجة فاولتفع إلا وضعه الله فى الآخرة أكبر منها) ، ثم قرأ : (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً (٤)) .

لَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْإِيمَانِ مَكْفَافًا ۝

يقول تعالى : والمراد المكفون من الأمة ، لا يجعل أبها المكلف فى حبادك وبك له شريكاً ، (فتقدم معلوما) على إشارتك (مخلولا) ، لأن الرب تعالى لا يصرك ، بل يملك إلى الذى عبتك معه ، وهو لا يملك لك ضرباً ولا فلماً ، لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده ، لا شريك له ، وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو أسعد الزبيري ، حدثنا بشر بن سلمان (٥) ، عن سيّار بن الحكم (٦) ، عن طلوق بن شهاب ، عن

(١) سقط تفسير حاتين الآيتين من غزوة الأحره ، وقد احتسبنا فى التحقيق على الطبعات السابقة .

(٢) تفسير الطبرى : ٤٥١/١٥ .

(٣) تقدم هذا الحديث عند تفسير الآية ٦٩ من سورة النساء ، وخرجناه هناك ، وخرجنا غريبه . ينظر : ٣١٢/٢ .

(٤) لك هنا يثنى السند .

(٥) بعده فى السند : (وكان ينزل مسجد المطورة) .

(٦) فى متن أبى دارود : (سيار أبى حمزة) . وفى التلخيص : ٢٩٣/٤ فى ترجمة سيار : أنه أبو حمزة . وذكر الحافظ أن به نعى عن سيار هذا بشر بن إسماعيل ، وأنه كان يقول فيه : «أبو الحكم» ، قال الحافظ : وهو وهم . خلا وصواب أن يقال فى «بشر» : أنه «أبو إسماعيل» ، لا ابن إسماعيل ، وأسميه غطاء وقع فى التلخيص من تناقض أو الطابع . فهو بشر بن سلمان ، وكنيه أبو إسماعيل ، وقد نهى عن ذلك أيضا الحافظ أبو المثل ، صاحب نسخة الأسوسى .

عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصابته قاتة فأثرها بالناس (٧) لم تسد قاتته ، ومن أثرها بالله أوشك الله له بالنبي ، إما أجبل » [عاجل (٧)] وإما غني عاجل (٧) .

ورواه أبو داود ، والترمذي من حديث بشر بن سلمان ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح [غريب (٤)] .

﴿ وَفَضِّلْ رِبْكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَلْعَنُ عَنْكَ الْكَبِيرُ لِحَدَّثَنَا أَبُو كَلَّابٍ قَالَ تَقُولُ لَهَا أَفَ وَلَا تَنْهَرُهَا وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ اللَّيْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝﴾

يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له ، فإن القضاء هامنا بمعنى الأمر .

قال مجاهد : (وفَضِّلْ) ، يعنى : وصى . وكلنا غرأ ذلك أبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، والضحك من مزاحه (ووصى ربك أن لا تعبدا إلا إياه) ، ولهذا قرن بعبادته ير الوالدين فقال : (وبالوالدين إحسانا) ، أى : وأمر بالوالدين إحسانا ، كما قال فى الآية الأخرى : (أن اشكركم والوالدك إلى المصير (٥)) .

وقوله : (إِمَّا يَلْعَنُ عَنْكَ الْكَبِيرُ لِحَدَّثَنَا أَبُو كَلَّابٍ) ، فلا تقل لها : (أف) ، [أى : لا تسمعهما قولا سيئا . حتى ولا التأنيث الذى هو أذى مراتب القول السيئ] ، (ولا تنهرهما) ، أى : ولا يصبر منك إليهما فعل فيج ، كما قال عطاء بن أبى رباح فى قوله : (ولا تنهرهما) ، أى : لا تَنْفُضْ (٦) يدك على والديك .

ولما نهى عن القول القبيح والفعل القبيح ، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن ، فقال : (وقل لها قولا كريما) ، أى : ليثا طيبا حسنا بأدب وتوقير وتعظيم .

(وأخفِضْ لَهَا جَنَاحَ اللَّيْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ) ، أى : تواضع لها بفعلك ، (وقل : رب ارحمهما) ، أى : فى كبرهما وعند وفاتها (كما ربباني صغيرا) .

قال ابن عباس : ثم أنزل الله : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي (٧)) .

(١) أى : مرعها عليهم وأظهرها ، بطريق الشكاية لهم ، وطلب لإزالة فائته منهم .

(٢) مابين التوسين من مسند الإمام أحمد . ولفظ سنن أبى داود : « إما يموت أجبل » وهى رواية وردت فى المسند أيضا ٤٤٢/١ ، وقد قيل فى شرحه : « يموت قريب له فى غيره »

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٠٧/١

(٤) سنن أبى داود ، كتاب الزكاة ، باب فى الاستغفار ، الحديث ١٦٤٥ : ١٢٢/٢ . وتحفة الأحرفى ، أبواب الزهد ، باب « ما جاء فى هم الدنيا وحسبها » ، الحديث ٢٤٢٨ : ٦١٧/٦ - ٦١٩

(٥) سورة لقمان ، آية : ١٤ .

(٦) تفسير الطبري : ٤٨/١٥ . ولفظ : « لا تنفض » ، يأتين المجبة ، ويبدو أن الصواب بالقاء ، فالنفض أهم فى الدلالة على الحركة ؛ ذلك أن النفض قاصر على حركة الرأس .

(٧) تفسير الطبري : ٥٠٢/١٥ .

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة ، منها الحديث المروي عن طرق عن أنس وغيره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصعد المنبر قال : « آمين ، آمين ، آمين . فقالوا : يا رسول الله ، علام أمئت ؟ قال : أتاني جبريل فقال : يا محمد ، رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ ذُكِرَتْ عَتَهُ فلم يَصِلْ طَبْلِكَ ، قل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يُغْفَرْ له ، قل : آمين . فقلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أَنْفُ امرئٍ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخله الجنة ، قل : آمين . فقلت : آمين . »

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا علي بن زيد ، أخبرنا زوارة بن أوفى ، عن مالك بن الحارث - رجلكم منهم - أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من ضم بَنيَّا بينَ أيَّوينَ مسلمينَ إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه ، وجبت له الجنة الآتية . ومن أعطي امرأ مسلماً كان فكأكته من النار ، يجرى بكل عضو منه عضواً منه » .

ثم قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت علي بن زيد - فذكر معناه ، إلا أنه قال : عن رجل من قومه يقال له : مالك أو ابن مالك ، وزاد : ومن أدرك والديه أو أحدهما ، فدخل النار ، فأبده الله (١) .

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا علي بن زيد ، عن زوارة بن أوفى ، عن مالك بن عمرو القشيري : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحق رقبة مسلمة ، فهي فدأؤه من النار ، مكان كل عظم من عظامه مُحَرَّرَه يعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له ، فأبده الله عز وجل . ومن ضم بَنيَّا بينَ أيَّوينَ مسلمينَ إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله ، وجبت له الجنة (٢) . »

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج وعبد بن جعفر قالوا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعت زوارة ابن أوفى يحدث عن [أبي بن] مالك القشيري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك ، فأبده الله وأصغفه (٣) » .

ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة ، به وفيه زيادات أخرى .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو حوالة ، حدثنا سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي - هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رَغِمَ أَنْفُ ، ثم رَغِمَ أَنْفُ ، ثم رَغِمَ أَنْفُ رجل أدرك والديه ، أحدهما أو كلاهما عند الكبر ، ولم يدخل الجنة (٤) . »

صحيح من هذا الوجه ، ولم يخرج به سوى مسلم ، من حديث أبي حوالة وجرير وسليمان بن بلال ، عن سهيل ، به (٥) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٤٤/٤ ، ٢٩/٥ ،

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٤٤/٤ ،

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٤٤/٤ ، ٢٩/٥ ،

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٤٦/٢ ،

(٥) مسلم ، كتاب النذر ، باب « رَغِمَ أَنْفُ من أدرك أبويه » ، ٥/٨ ، ٦ ،

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إبراهيم — قال أحمد : وهو أنس إسماعيل بن عبيد ، وكان يُقَصِّلُ على أخيه — عن عبد الرحمن بن إسماعيل ، عن سعيد بن أبي سعيد (١) ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذَكَرْتُ عَهْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَى رَغِمِ أَنْفِ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرٌ وَمَضَى ، فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يَفْرَ لَه ! وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَحْدَرَ عَنْهُ أَبْوَاهَ الْكَبَرِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةُ — قَالَ رُبِّي : لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا (٢) » .

ورواه الترمذى ، عن أحمد بن إبراهيم الدؤوبى ، عن ربيعي بن إبراهيم ، ثم قال : غريب من هذا الوجه (٣) .

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن القاسم ، حدثنا أسيد بن علي ، عن أبيه علي بن عبيد ، عن أبي أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال : بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، هل بيني وبين علي من بر أبي شيء بعد موتها أبرهما به ؟ قال : نعم ، خصال أربع : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقتهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما ، فهو الذي بيني عليك بعد موتها (٤) من برهما .

ورواه أبو داود وابن ماجه ، عن حديث عبد الرحمن بن سليمان — وهو ابن الغسيل — به (٥) .

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن معاوية بن جهممة السلمي : أن جاءته جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أردت الخزو ، وحبكت أستشيرك ؟ فقال : فهل لك من أم ؟ قال : نعم . فقال : الزمها (٦) ، فإن الجنة تحت رجلها ، ثم الثانية ثم الثالثة ، في مقاعد شتى ، كمثل هذا القول (٧) .

ورواه النسائي وابن ماجه ، عن حديث ابن جريج ، به .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عياش ، عن بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، عن خالد ابن معدان ، عن المقدام بن معد يكرب الكندي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يورثكم بآبائكم ، إن الله

(١) في مسند الإمام أسيد : « عن سعيد ، عن أبي سعيد » . والصواب ما في تفسير ابن كثير ، وهو : سعيد بن أبي سعيد المقبري ، يكنى أبا سعيد ، يروى عن أبي هريرة . وقد ورد على الصواب أيضا في مسند الترمذى .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٥٤/٢ .

(٣) تحفة الأعراف ، أبواب اللغات ، الحديث ٣٦١٣ / ٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، وقال الحافظ أبو المثل صاحب تحفة الأحرف : « وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٩٧/٢ ، ٤٩٨ .

والمقصود بالصلاة على الوالدين في هذا الحديث الدعاء لهما .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في بر الوالدين . وسنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « من كان أبوك يمسك » .

الحديث ٣٦٦٤ : ٣٦٨/٢ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ .

(٦) يبدو أن أمه كانت في حاجة إلى رعاية ، لمريض أو شيخوخة .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤٢٩/٣ .

يُوصِيكُمْ بِأَمْهَاتِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأَمْهَاتِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأَمْهَاتِكُمْ ، يَنْتَهِي عَنْكُمْ بِالْأَقْرَبِ بِالْأَقْرَبِ (١) ،
وقد أخرجه ابن ماجه ، من حديث ابن عباس ، به (٢) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا أبو عوانة ، عن الأشعث بن سلم ، عن أبيه ، عن رجل
من بني يربوع قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة وهو يكلم الناس يقول : يد المظي [العليا] . أمك وأباك ،
وأعجك وأخطاك ، ثم أدناك أدناك (٣) .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده : حدثنا إبراهيم بن المستر
المرؤقي ، حدثنا عمرو بن سفيان ، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن ليث بن أبي سليم ، عن علقمة بن مرثد ، عن
سليان بن بريدة ، عن أبيه : أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم : هل
أديت حقها ؟ قال : لا ، ولا بفرقة واحدة ، أو كما قال . ثم قال البزار : لا نعلم يروى إلا من بهذا الوجه .
قلت : والحسن بن أبي جعفر ضعيف ، والله أعلم .

وَبِكْرُكُمْ إِذَا فِي نَفْسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿٥٨﴾

قال سعيد بن جبر : هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبيه ، ونى نيته وقلبه أنه لا يورثك به . وفي رواية :
لا يريد إلا الخير بملك - فقال : (ربيكم أعلم بما في نفوسكم (١)) :

وقوله : (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا) - قال قتادة : للمطيعين أهل الصلاة ،

وهو ابن عباس : المسيحين - وفي رواية عنه : للمطيعين المحسنين .

وقال بعضهم : هم الذين يصلون بين المشايخ : وقال بعضهم : هم الذين يصلون الضعفاء :

وقال شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله : (وَكَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا) ، قال : الذي يصيب
الذئب ثم يتوب ، ويصيب الذئب ثم يتوب (٢) .

وكذا رواه عبد الرزاق ، عن الثوري ومعر ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، به . وكلنا قال عطام
ابن يسار .

وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير : هم الراجعون إلى الخير :

- (١) مسند الإمام أحمد : ١٣٣/٤ .
- (٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « ير الوالدين » ، الحديث ٣٦٦١ : ٢/١٢٠٧ ، ١٢٠٨ .
- (٣) مسند الإمام أحمد : ٦٤/٤ ، ٦٥ .
- (٤) تفسير الطبري : ١٥/٥٠ ، ٥١ .
- (٥) تفسير الطبري : ١٥/٥١ ، ٥٢ .

وقال مجاهد ، عن عبيد بن حمير في قوله : (إنه كان للأوابين غفورا) ، قال : هو الذى يذكر ذنوبه في الخللاء ، ليستغفر الله منها . ووافقه على ذلك مجاهد .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن صمير في قوله : (فإنه كان للأوابين غفورا) ، قال : كنا نعد الأواب الحفيظ ، أن يقول : اللهم اغفر لي ما أصبت في مجملتي هذا (١) .

وقال ابن جرير : والأولى في ذلك قول من قال : هو التائب من الذنب ، الراجع عن المصيبة إلى الطاعة ، مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه (٢) .

وهذا الذى قاله هو الصواب ، لأن الأواب مشتق من الأوب ، وهو الرجوع ، يقال : آب فلان إذا رجع ، قال الله تعالى : (إن لنا لبأسهم) (٣) ، وفي الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال : «أيون تائبون عابدون ، لربنا حامدون (٤)» .

وَأَمَّا ذَلِكَ الْقَرْبُ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمَلْأِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿١٨﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَنْتَعَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ فَقُلْ لَكُمْ قَوْلًا مُبِينًا ﴿١٩﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين ، عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، كما تقدم في الحديث : «أهلك وأهلك» ثم أدناك أدناك ، وفي رواية : «ثم الأقرب فالأقرب» .

وفي الحديث : «من أحب أن يسطر له رزقه ويسأله في أهله ، فليصل رحمه (٥)» .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عباد بن يقوب ، حدثنا أبو يحيى التيمي ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : لما نزلت هذه الآية : (وأت ذا القربى حقه) ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فأعطاهما «فذلك» (٦) . ثم قال : لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي ، وحמיד بن حماد ابن أبي الخويلد .

(١) تفسير الطبري : ٥٢/١٥ .

(٢) سورة القاشية الآية : ٢٥ .

(٣) البخاري ، أبواب العمرة ، باب «مايقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الفز» : ٨/٣ . ٩ . ومسلم ، كتابه الحج ، باب «مايقول إذا قفل من سفر الحج وغيره» . ١٠٥/٤ . وسنن أبي داود ، كتاب الحج ، باب «مايقول الرجل إذا سافر» ، الحديث ٢٥٩٩ : ٣٣/٣ . وصند الإمام أحمد : ٥٦/١ .

(٤) البخاري ، كتاب البرج ، باب «من أحب البسط في الرزق» : ٧٣/٣ . ومسلم ، كتاب البر ، باب «صلة الرحم وتحريم قطيعتها» : ٨/٨ .

وقد تقدم تفسير كلمة «فأ» في ٢١٧/١ .

(٥) ذلك - يفتح الفاء ، ولذلك - : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، أقامها هل وسره عليه السلام صلما ، فيها عين فوارة ونخل . وهي التي قالت فيها فاطمة رضي الله عنها : إن رسول الله لعنني . فقال أبو بكر : أريد لك شهيدا .

وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده ، لأن الآية مكية ، وقد كذبت لنا فتحت مع خبر سنة سبع من الهجرة ، فكيف يلتزم هنا مع هذا .

وقد تقدم الكلام على المساكين وابن السبيل في «سورة برائة» بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : (ولا تبلر تبليرا) ، لا أمر بالإتفاق نهى عن الإصراف فيه ، بل يكون وسطا ، كما قال في الآية الأخرى : (والذين إذا أفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (١)) .

ثم قال مضرا عن التبليز والسرف : (إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين) ، أى : أشباههم في ذلك .

وقال ابن مسعود : التبليز الإتفاق في غير حق . وكذا قال ابن عباس .

وقال مجاهد : لو أفق إنسان ماله كله في الحق ، لم يكن مبشرا . ولو أفق مُدًّا في غير حقه كان تبليزا .

وقال قتادة : التبليز الثقة في مصيبة الله ، وفي غير الحق وفي القساد (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا ليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أنس ابن مالك أنه قال : أت رجل من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني ذو مال كثير ، وذو أمل وولد وحاضرة (٣) ، فأخبرني : كيف أففق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تخرج الزكاة من مالك ، فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباك ، وتعرف حق المسائل والجار والمساكين . فقال : يا رسول الله ، أفلل لي ؟ فقال : (قات ذا القربى حقه والمساكين وابن السبيل ولا تبلر تبليرا) ، فقال : حسبي يا رسول الله ، إذا أدبت الزكاة إلى رسولك قد برئت منها إلى الله وإلى رسوله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم إذا أدبتك إلى رسولك قد برئت منها ، فلك أجرها ، وإثمها على من بدلها (٤) » .

وقوله : (إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين) ، أى : في التبليز والسرف ، وترك طاعة الله وإرتكاب مصيبة ؛ ولهذا قال : (وكان الشيطان لربه كفورا) ، أى : جحودا ، لأنه أنكر نعمة الله عليه ، ولم يعمل بطاعته ، بل أقبل على مصيبته وغافلته .

وقوله : (ولما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ، قل لهم قولا ميسورا) ، أى : وإذا سألَكَ أئامك ومن آمنَكَ بإصطلاحهم ، وليس عندك شيء ، وأعرضت عنهم لفقد الثقة ، (قل لهم قولا ميسورا) ، أى عدمهم وعدا بسهولة ولين ؛ إذا جاء رزق الله فستصلحكم إن شاء الله . هكذا فسر قوله : (قل لهم قولا ميسورا) بالوعد - مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبتر ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد .

(١) سورة الفرقان ، آية : ٦٧ .

(٢) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ٥٤ ، ٥٣/١٥ .

(٣) الحاضرة هنا بمعنى : القرابة .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٣٦/٣ .

وَلَا يَجِلُّ بِكَ مَغْلُوبَةٌ إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ فِيكَ لَبِئْسَ الْبُزْءَ
لِمَنْ يَسَاءُ وَيَقْدِرُ ۖ إِنَّكَ كَانَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٦٨﴾

يقول تعالى أمراً بالاعتصام في العيش ، ذاماً للبخل ، ناهياً عن السرف : (ولا يجبل بك مغلوبة إلى عنقك) ،
أى : لا تكن مغلباً منوعاً ، لا تعطى أحدا شيئاً ، كما قالت اليهود عليهم لعائنُ الله : (يد الله مغلوله) (١) ، أى : نسروه
إلى البخل ، تعالى وتقدس الكريم الوهاب .

وقوله : (ولا تبسطها كل البسط) ، أى : ولا تصرف في الإنفاق ، فتعطى فوق طاقتك ، وتخرج أكثر من دخلك ،
فتقعدَ ملوماً محسوراً

وهذا من باب الف والنشر ، أى : فتقعد إن غلبت ملوما ، يملك الناس ويلعنوك ويستنون عنك ، كما قال زهير
ابن أبى سلمى في المعلقة : (٢)

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَيَبْخُلْ بِمَالِهِ حَكِ قَوْمِي يَسْتَفْتِنُ عَنْهُ وَيَلْعَمُ

ومنى تبسط بك فوق طاقتك ، قلعت بلا شيء تنفقه ، فتكون كالحسبر — وهو : الدابة التى قد عجزت
عن السير ، فوقفت ضعفاً وعجزاً ، فلها تسمى الحسبر ، وهو مأخوذ من الكلال ، كما قال تعالى : (فارجع البصر
هل ترى من لظور . ثم ارجع البصر كرتين ، ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حير (٣)) ، أى : كليل عن أن يرى
حياً . هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف — ابن عباس ، والحسن ، وقاعدة ، وابن جرير ، وابن زيد ،
وغیرهم .

وقد جاء في الصحيحين ، من حديث أبى الزناد ، عن الأخرج ، عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : مثل البخيل والمتفق ، كمثل رجلين عليهما جبينان من حديد ، من لدببتهما إلى تراقيهما (٤) . فاما المتفق
فلا ينفق إلا سبغت — أو : وفرت (٥) — على جلده ، حتى تخفى بناته وتمشوا (٦) أثره . وأما البخيل فلا يريد
أن ينفق شيئاً إلا لقرقت كل حلقة مكانها ، فهو يؤتمرها فلا تفسح (٧) .

هذا لفظ البخارى في الزكاة .

(١) سورة المائدة ، آية : ٦٤ .

(٢) ديوانه : ٣٠ ، ورواية الطبر الأول فيه .

• ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله •

أما رواية الأعلام فى •

• ومن يك ذا مال فيبخل بماله •

(٣) سورة الملك : •

(٤) التراقي : جمع ترقوة ، وهى العظم الذى بين ثغرة الصدر والمناق ، وهما ترقوتان من الجبين .

(٥) أى : كلت والامت .

(٦) أى : تمس أثر مشيته وتلبسه ، لغسلها عن قلته .

(٧) أخرجه في كتاب الزكاة : البخارى ، باب : مثل المتصدق والبخيل • ١٤٣/٢ . ومسلم ، باب : مثل المتفق والبخيل •

وفي الصحيح ، من طريق هشام بن عروة ، عن زوجته فاطمة بنت المنذر ، عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنفق هكلا وهكلا وهكلا ، ولا تؤعى فيوعى (١) الله عليك ، ولا تؤكج فيؤكج الله عليك » - وفي لفظ : « ولا تحصى فيحصى الله عليك (٢) » :

وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن حماد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قال في أنفق أنفق عليك (٣) » :

وفي الصحيحين من طريق معاوية بن أبي مزرعة ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يزلمان من السماء ، يقول أحدهما : اللهم أعط مفضلنا حسنة ، ويقول الآخر : اللهم أعط مسكنا حسنة (٤) » .

وروي مسلم ، عن قتادة - عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعا : « ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبداً بقول إلا حسناً ، ومن تواضع لله رضي الله (٥) » :

وفي حديث أبي كثير ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعا : « إياكم والشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، أنرمه بالبخل فبئخوا ، وأنرمه بالقسوة فقتلوا ، وأنرمه بالقبور ففسدوا (٦) » .

وروي البيهقي من طريق معدان بن نصر (٧) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يخرج رجل صدقة ، حتى يترك لحيتي مبهين شيطاناً (٨) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو حنيفة الخلد ، حدثنا سكين بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم المجبري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حال من اقتصد (٩) » ،

(١) الإيحاء : جعل الشيء في الوجود ، والمراد به : منع الفضل عن اقتصر إليه . وانظر معنى الإيحاء في : ١٧٧/٣ ، ٨٥/٤ . ومعنى : فيحصى الله عليك ، ويوعى عليك : يمتلك فضله ويقتدر عليك ، كما منعت وقدرت .

(٢) البخاري ، كتاب الحية ، باب « هبة المرأة لغير زوجها » : ٢٠٧/٣ ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء » : ٩٢/٣ ، ٩٣ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « الحث على الزكاة » وتفسير المصنف بالخلف : ٧٧/٣ .

(٤) أخرجه في كتاب الزكاة : البخاري باب قول الله تعالى : (فأما من أعطى واتقى) . ١٤٢/٢ . ومسلم ، باب « وفي المذنب والمسلم » : ٨٣/٣ ، ٨٤ .

(٥) مسلم ، كتاب البر ، باب « استحباب البقر والواضع » : ٢١/٨ . ولفظ مسلم : « وما تواضع أحد لله إلا ربه الله » .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٥٩/٢ ، ١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ .

(٧) هو معدان بن نصر البغدادي ، يروي عن أبي معاوية الضرير ، وسفيان بن عيينة . مترجم في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٩٠/١ ، ٢٩١ .

(٨) معنى تفسير « الحى » في : ٤٥١/٣ ، ٥١٢ .

(٩) مسند الإمام أحمد : ٤٤٧/١ .

وقوله : (إن ربك يسقط الرزق لمن يشاء ويقدر) : إخبار أنه تعالى هو الرزاق ، القابض الباسط ، المصرف في خلقه بما يشاء ، فيغيث من يشاء ويفقر من يشاء ، بما له في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال : (إنه كان عباده ظاهرا بغيره) ، أى : خبير بغيرهم بمن يستحق الثنى ومن يستحق الفقر ، كما جاء في الحديث : « إن من عباده من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه . وإن من عباده من لا يصلحه إلا الثنى ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه » .

وقد يكون الثنى في حق بعض الناس استلزاما ، والفقر عقوبة ، عابذا بالله من هلا هلا .

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِبُوا لَهُمْ نَزْزِقَهُمْ وَإِنَّا لَفَاتِكُمْ بِأَنْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ كَثِيرًا ۖ

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحمُ عباده من الوالد بولده ، لأنه ينهى عن قتل الأولاد ، كما أوصى بالأولاد في الميراث ، وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ، بل كان أحدُهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر حيلته (١) ، فنهى الله عن ذلك فقال : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) ، أى : خوف أن تفتقروا في تالي الحال ، ولهذا قدم الأهمام برزقهم فقال : (نحن نرزقهم ولياكم) ، وفي الأنعام : (ولا تقتلوا أولادكم من إِمْلَاقٍ) ، أى : من فقر ، (نحن نرزقكم ولياكم) (٢) .

وقوله : (إن قتلهم كان خطئا كبيرا) ، أى : ذنبا عظيما ،

وقرأ بعضهم (كان عسفا كبيرا) ، وهو بمعنى (٣) .

وإن الصحيحين من عبد الله بن مسعود قلت : يا رسول الله ، أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم منك . قلت : ثم أى ؟ قال : أن ترائى بحيلة جارك (٤) .

وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَهُمْ لِيَسْهَبَ وَهَبًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا مُنْهَكِينَ مِنْهَا ۚ

يقول تعالى نهايا عباده عن الزنا وعن مقاربتهم ، وهو مخالطة أسبابه ودواحيه : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة) ، أى : ذنبا عظيما ، (وساء ميلا) ، أى : وبس طريقا ومسلكا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا جرير ، حدثنا سالم بن عامر ، عن أبي أمامة قال : إن في شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أئذني يا بائرا . فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه . فقال : أدنه . فلما منه قريبا ، فقال : اجلس . فجلس ، قال : أتدنيه لأملك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

(١) تقدم تفسير « العيلة » ق : ٣٢٧/٣ .

(٢) آية : ١٥١ .

(٣) هذه القراءة نسبها الطبري إلى بعض قراء أهل المدينة ، ينتسب أثناءه والهاء : ٥٧/١٥ . وانظر القراءات أيضا في البحر المحيط لأبي حيان : ٣٢/٦ .

(٤) تقدم تفريع الحديث في سورة الأنعام : ٣٥٦/٢ .

قال : ولا الناس يحبون لهمهم . قال : أنتحب لابتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبون لبناتهم ، قال : أعجب لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبون لآخراهم . قال : أنتحب لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبون لهمهم . قال : أنتحب لخالتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبون لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم ، اغفر ذنبه ، وطره قلبه ، وحسن فرجه قال : فلم يكن بعد ذلك الفتي يلتفت إلى شيء (١) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عمار بن نصر ، حدثنا بقر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك (٢) الطائي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من ذنب بالشرك أعظم عند الله من نطقة وضعا رجل في رجليه لا يحل له » .

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي أُسْرِمَ اللَّهُ إِلَيْهَا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَتَرَفُّ فِي الْقَتْلِ إِنْ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعي ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بأحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المضغن ، والبارك لدينه المفارق للجماعة (٣) .

وفي السنن : ثروال الدنيا أهون عند الله من قتل مسلم :

وقوله (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) ، أى : سلطة على القاتل ، فإنه بالخيار فيه ، إن شاء قتله قَتَوًا ، وإن شاء عفا عنه على الدية ، وإن شاء عفا عنه بجانا ، كما ثبت السنة بذلك . وقد أخذ الإمام الحنبل ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة ، وأنه سيملك ، لأنه كان ولي عثمان ، وقد قُتل عثمان مظلوماً رضى الله عنه . وكان معاوية يطالب علياً رضى الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتل منهم ، لأنه أموى ، وكان على رضى الله عنه يستمهاه في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ، ويطلب على من معاوية أن يسلمه الشام ، فأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتل ، وأبى أن يبيع علياً هو وأهل الشام ، ثم مع المطالبة تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما تقابل ابن عباس واستنيط من هذه الآية الكريمة . وهذا من الأمر المصعب . وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال :

حدثنا يحيى بن عبد الباقي ، حدثنا أبو عمير بن الاحساس ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شَرِذْب ، عن مطر الوراق ، عن زهْدَم اجترى قال : كنا في سر ابن عباس فقال : إني محذركم حديثاً ليس بسر ولا لائنة ، إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان - يعني عثمان - فأتى لعل : اجترى ، فلو كنت في جحر طربت حتى تُستخرج - فعضاني -

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٥٦/٥ ، ٣٥٧ .

(٢) الهيثم بن مالك الطائي . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسل . مترجم في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٨٠/٢/٤ . والتبذير : ٩٨/١١ ، ٩٩ .

(٣) تقدم تخريج الحديث في سورة الأنعام : ٣٥٧/٣ ، ٣٥٨ .

وَأَمَّا اللَّهُ لِيَتَأَمَّرَ عَلَىٰكُمْ مَعَاوِيَةُ ، وذلك أن الله تعالى يقول : (ومن قتل مظلوماً ، فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل) ... الآية ، وليجعلكم قرش على سنة فارس والروم وليقين (١) عليكم التصاري واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ، ومن ترك وأنتم تاركون كنتم كفرون من القرون ، هلك فيمن هلك .

وقوله : (فلا يسرف في القتل) ، قالوا : معناه : فلا يسرف الولي في قتل القتال ، بأن يمثل به ، أو يقتل من غير القتال .

وقوله : (إنه كان منصورا) ، أي : إن الولي منصور على القتال شرها ، وغالباً قدرأ .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٢)
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزَنًا بِالْمُسْقَلِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣)

يقول تعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) ، أي : لا تنصرفوا له إلا بالقبطة (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حريباً كبيراً (٢)) و [لا تأكلوها (٣)] إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً فليستغنى ، ومن كان فقيراً فليأكل قليلاً بالمعروف (٤)) .

وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : « يا أبا ذر ، إنني أراك ضعيفاً ، وإنني أحب لك ما أحب نفسي : لا تأمرن على اثنين ، ولا تأكلن مال يتيم (٥) » .

وقوله : (وأوفوا بالعهد) ، أي : الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها ، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ، (إن العهد كان مستولاً) ، أي : عنه .

وقوله : (وأوفوا الكيل إذا كنتم) ، أي : من غير تطفيف ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم »

(وزنوا بالقسطاس) : قريء بضم القاف وكررها كالقسطاس ، وهو : الميزان . وقال مجاهد : هو العدل بالرومية (٦) .

وقوله : (المستقيم) ، أي : الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب .

(ذلك خير) ، أي : لكم في معاشكم ومعادكم ، ولهذا قال : (وأحسن تأويلاً) ، أي : مآلاً ومقرباً في آخرتكم .

قال سعيد ، عن قتادة : (ذلك خير وأحسن تأويلاً) ، أي : خير ثواباً وعاقبة . [وأخبرنا أن (٧) ابن عباس كان يقول : يا معشر الموالى ، إنكم ولّيتهم أمرين هما هلك الناس قبلكم : هلك المكيل ، وهذا الميزان - قال : وذكر لنا

(١) في المخطوطة : « وليتين » . والمثبت من الطبعات السابقة .

(٢) سورة النساء ، آية : ٢ .

(٣) مابين القوسين زيادة لا بد منها .

(٤) سورة النساء ، آية : ٦ .

(٥) تقدم تفريع الحديث في سورة النساء : ١٩١/٢ .

(٦) تفسير الطبري : ٦١/١٥ .

(٧) مابين القوسين من تفسير الطبري . ومكانه في المخطوطة : « ولما » .

أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: « لا يقدرُ رجلٌ على حرامٍ ثم يدعه ، ليس به إلا خائفة الله ، إلا أبدله الله في حاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك » :

وَلَا تَقْبَلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٢٠﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يقول : لا تقبل ،

وقال العوفي عنه : لا تقبل أحكماً بما ليس لك به علم :

وقال محمد بن الحنفية : يعنى شهادة الزور ،

وقال قتادة : لا تقبل رأيت - ولم تر ، وصمت - ولم تسمع ، وعلمت - ولم تعلم ، فإن الله سائلك عن ذلك

كلمة (١) .

ومضمون ما ذكره أن الله تعالى نهي عن القول بلا علم ، بل بالنظر الذي هو التوهم والخيال ، كما قال تعالى : (اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم (٢)) ، وفي الحديث : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث (٣) » ، وفي سنن أبي داود : « بش مطية الرجل : زعموا (٤) » ، وفي الحديث الآخر : « إن أقرى القبري أن يرى حينه ما لم تره (٥) » . وفي الصحيح : « من تحلم حلماً كُتِفَ يوم القيامة أن يعقد بين شيعرتين ، وليس . بعقد (٦) » .

وقوله : (كل أولئك) ، أى : هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ، (كانت مسئولا) ، أى : مسئالا العبد عنها يوم القيامة ، ونسأل عنه وعما عمل فيها . ويصح استعمال « أولئك » مكان « تلك » ، كما قال الشاعر (٧) :

ذُمُّ الْمَنَازِلِ بَعْدَ مَنَازِلَةِ الْقَوَى • وَالْحَيْشُ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْآيَاتِ

(١) تفسير الطبري : ٦٢/١٥ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٢ .

(٣) البخاري ، كتاب النكاح ، باب « لا يضبط على غلبة أخيه » : ٢٤/٧ . وسلم ، كتاب البر ، باب « تحريم الظن

والجسس » : ١٠/٨ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « قول الرجل زعموا » ، الحديث ٤٩٧٢ : ٢٩٤/٤ .

(٥) البخاري ، كتاب التعبير ، باب « من كذب في حلمه » : ٥٤/٩ .

(٦) البخاري ، الكتاب والباب المختصان : ٥٤/٩ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « ماجاء في الرؤيا » ، الحديث ٣٠٦٤ : ٣٠٦/٤ . ونسخة الأحوصي ، أبواب الرؤيا ، باب « ماجاء في القنى يكذب في حلمه » ، الأحاديث ٢٣٨٣ - ٢٣٨٥ : ٥٦١/٦ ، ٥٦٢ . وابن ماجه ، كتاب تمييز الرؤيا ، باب « من تحلم حلماً كاذباً » ، الحديث ٣٩١٦ : ١٢٨٩/٢ . وسند الإمام أحمد : ٢١٦٦/١ ، ٢٤٦ ، ٣٥٩ ، ٥٠٤/٢ .

والمنى : أنه يكلف مقد الشيعرتين ، وهو غير ممكن ، فهو يذهب ليفعل ذلك ، ولا يمكنه فعله . وهذا كناية من دوام تعليمه .

(٧) هو جرير ، والبيت في ديوانه ط بيروت : ٤٥٢ . والرواية فيه : « بعد أولئك الأقوام » . ولكن كلمة وردت الرواية في تفسير الطبري : ٦٢/١٥ ، والمقتضب للمبرد : ١٨٥/١ ، وشرح شواهد النكافية : ١٦٧/٤ . يقول البهائي : « قال المين : « الأوام » بدل « الأيام » . ويشتد لاشاهد فيه . وزعم ابن حنبل أن هذه الرواية - ينسب - بعد أولئك الأقوام - هي الصواب ، وأن الطبري غلط إذ أنشد « الأيام » . وأن الزجاجة اتبته في هذا الغلط . وسنن البيت أنه يتألف من منزله بالوى - وهو مكان - وأيام مضت له فيه ، وأنه لم يبق بين يمشي تلك الأيام ، ولا راق له منزل .

وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٦٨﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سِيْرُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٦٩﴾

يقول تعالى ناهياً عباده عن التَّجَبُّر والتَّعَبُّر في المشية : (وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) ، أى : متعبراً متباًلاً
مضى التَّجَبُّرَيْنِ ، (إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ) ، أى : لن تقطع الأرض بعشيك ، قاله ابن جرير ، واستشهد عليه
يقول رُوَيْبَةُ بْنُ الْعَجَّاج (١) :

• وَكَانِمِ الْأَحْصَاكُ عَاوَى الْمُخَفَّرِ •

وقوله : (وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) ، أى : بِنَائِكَ وفخرِكَ وإصْبَابِكَ بنفسك ، بل قد يجازى فاعل ذلك بتقريب
قصده ، كما ثبت في الصحيح : « بِنَا وَجَلَّ عِشَى فِيمَن كَانَ قَبْلَكُمْ ، وعليه بردان يتعبر فيهما ، إِذْ خَصَّصَ بِهِ
الْأَرْضَ ، فهو يتجلبلج (٢) فيها إلى يوم القيامة (٣) » .

وكذلك أخبر الله عن قارون أنه خرج على قومه في زينة ، وأنَّ الله تعالى خَسَفَ به وبدارَه الأرض ، وفي الحديث :
« مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ اللهُ ، فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استَكْبَرَ وَضَعَهُ اللهُ فهو في نفسه كبير وعند الناس
حقير ، حتى لو أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكَلْبَةِ أَوْ الْخَيْتِرِ » :

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب « الخمول والتواضع » : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا حجاج
ابن محمد ، عن أبي بكر الملقب قال : بَيْنَا نَحْنُ مَعَ الْحَسَنِ ، إِذْ مَرَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْأَهِمِّ — يريد المنصور — وعليه جِيبَانِ
شَرَّ قَدْ تَشَبَّهَ بَعْضُهُمَا فَوْقَ بَعْضٍ عَلَى سَاقِهِ ، وَانْفَرَجَ عَنْهَا قِبَاؤُهُ ، وَهُوَ عِشَى وَتَجَبَّرَ ، إِذْ نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ نَظْرَةً
فَقَالَ : أَفْ أَفْ ، شَامِخٌ بِأَنْفِهِ ، ثَانٍ عَطْفُهُ ، مَصْرَعُهُ ، يَنْظُرُ فِي عَطْفِهِ ، أَيْ حَمِيْقٍ يَنْظُرُ فِي عَطْفِهِ لَنَعْمَ
غَيْرِ مُشْكُورَةٍ وَلَا مَذْكُورَةٍ ، غَيْرِ الْمَأْخُوذِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَا الْمُرْدِي حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا ! وَاللَّهِ إِنْ عِشَى أَحْلَمَ طَبِيعَتَهُ
يَتَلَجَّلَجُ لَتَلَجَّلَجَ الْمُجْتَنُونَ ، فِي كُلِّ حَضَرٍ مِنْهُ نَعْمَةٌ ، وَلِلشَّيْطَانِ بِهِ لَعْنَةٌ : فَسَمِعَهُ ابْنُ الْأَهِمِّ فَرَجَعَ يَتَلَبَّرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :
لَا تَتَلَبَّرْ إِلَيَّ ، وَتَبَّ إِلَيَّ رَيْكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : (وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ
وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) .

(١) الأرجوزة في أراجيز العرب للبكري ٢٢-٣٨ . وغزاة الأدب للبندادى ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٧٨ - ٩٣ .
وانظر البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦١ .
و « قَامَ » : من القمة - وهي الذبذبة إلى الحفرة . و « الْأَعْمَاقُ » : جمع عمق - ففتح العين وضمتها - وهو ما بعد من أطراف
المفاضة . و « الْخَارِجُ » : الخلال . و « الْخَتَرُ » : مكان الاعتراق . وأصله من « خَرَّتْ الْقَيْصُ » : إِذَا قَلَعَتْهُ . وقد استعملوا
قِيلَ الْمَلَاةُ ، قِيلَ : خَرَّتْ الْأَرْضُ : إِذَا جَبَّتْهَا . وهذا معنى قول الطبري ١٥/٦٣ : « بَنَى بِالْفَتْحِ الْمَقْطَعُ » ، أى :
مَكَانَ الْقَطْعِ .

(٢) أى : يفرض في الأرض حين يمشى به .

(٣) مسلم ، كتاب الباس ، باب « تحريم التعبر في المشي مع إصباحه بئياه » ٦ : ١٤٨ ، ١٤٩ . ومسنَد الإمام أحمد من
أبي هريرة : ٢٢٢/٢ ، ٢٦٧ ، ٣١٥ .

ورأى البصري العابد رجلاً من آل علي بن أبي طالب وهو يخطب في مشيئة ، فقال له : يا هذا ، إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيئة ! قال : فتركها الرجل بعد .

ورأى ابن عمر رجلاً يخطب في مشيئة ، فقال : إن للشياطين إخوانا .

وقال خالد بن معدان : إياكم والخطب ، فإن الرجل (را) يبدؤه من سائر جسده . رواه ابن أبي الدنيا .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، عن يحنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مشى أمي المظيطاء (٢) ، وخدمتهم فارس والروم ، سلب بعضهم على بعض » .

وقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ ظُلُمَةٌ ﴾ كان سيئته عند ربك مكروهاً — أما من قرأ (سيئة (٣)) ، أي : فاحشة : فعناه عنده : كل هذا الذي نهينا عنه ، من قوله : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » إلى هاهنا ، فهو سيئة مؤاخذ عليها (مكروهاً) عند الله ، لا يجه ولا يرضاه .

وأما من قرأ (سيئة) على الإضافة فعناه عنده ، كل هذا الذي ذكرناه من قوله : (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) إلى هاهنا فسيئته ، أي : فقيحه مكروه عند الله ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله (٤) .

ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٥﴾

يقول تعالى : هذا الذي أمرك به من الأخلاق الجميلة ، ونهيتك عنه من الصفات الذميمة ، مما أوحينا إليك يا محمد ، لتأمر به الناس :

(ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقي في جهنم ملوماً) ، أي : تلومك نفسك والخلق ، (مدحوراً) — قال ابن عباس وقتادة : مطروداً (٥) .

والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم .

أَفَاصْفِرُكُمْ بِرُءُوسِكُمْ بِالْبَنِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ مِنَ الْمَلَكِئَةِ إِنَّا إِنَّا لَنُفَوِّضُكُمْ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٦﴾

يقول تعالى راداً على المشركين الكاذبين الزاعمين — عليهم لعائن الله — أن الملائكة بنات الله ، فاجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ، ثم عيبرهم فاعطوا في كل من المقامات الثلاث خطأ عظيماً ،

(١) في المخطوطة بكلمة « الرجل » فراجع بكلمة .

(٢) المظيطاء : مشية فيها تبحر ومد اليدين .

(٣) لسبب العبثية هذه القراءة إلى عامة قراء أهل المدينة واليسرة . وبعض قراء الكوفة

(٤) اختار الطبري قراءة الإضافة وقال ٦٤/١٥ : « وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ : (كل ذلك كان سيئة) ، على إضافة « البنى » إلى « المله » ، بمعنى : كل الذي عدنا من (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ، كان سيئة ، لأن في ذلك أمراً منها عبداً ، وأموراً مأموراً بها ، وابتداء الرخصة والعهود من ذلك الموضع ، دون قوله : (ولا تقتلوا أولادكم) ، قائماً هو صلب من ما تقدم من قوله : (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) .

(٥) تفسير الطبري : ٦٤/١٥ .

قال تعالى منكرًا عليهم : (أفأصفاكم ربكم بالبنين) ، أى : خصصكم بالذكر (وانشأ من الملائكة إناثًا) ، أى : واختار لنفسه على زعمكم البنات ٢ . ثم شدد الإنكار عليهم فقال : (إنكم لتقولون قولًا عظيمًا) ، أى : فى زعمكم أن لله ولدا ، ثم جعلكم ولده إناث التي تأفرون أن يكنَّ لكم ، وربما قتلتموهنَّ بالوآد ، فذلك إذا قسمة ضيزى . وقال تعالى : (وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئاً إداً . تكاد السموات يظطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبتى للرحمن أن يتخذ ولدا . إن كل من فى السموات والأرض إلا آلى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عداً . وكلهم آتية يوم القيامة فرداً (١)) .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ①

يقول تعالى : (ولقد صرَّفنا فى هذا القرآن ليدَّكروا) ، أى : صرَّفنا فيه من الوعيد لهم ليدَّكروا ما فيه من الحجج والبيانات والمواظع ، فيترجروا عاصم فيه من الشرك والظلم والإفك ، (وما يزيدهم) ، أى : الظالمين منهم (إلا نفورًا) ، أى : عن الحق ، وبعداً منه .

قُلْ لَوْ كَانَتْ مَعَهُ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَخَوُّوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ② سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ ③

يقول تعالى : قل يا محمد لحوالء المشركين اتر اعبن أن لله شريكا من خلقه ، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلقى ؛ لو كان الأمر كما يقولون ، وأن معه آلهة تعدُّ لتقرب إليه وتشفع لديه- لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويقرَّبون إليه ويتفنون إليه الوسيلة والقرية ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبد من تدَّعون من دونه ، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه ، فإنه لا يجب ذلك ولا يرضاه ، بل يكبره ويأباه . وقد نبى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبيائه .

ثم زره نفسه الكريمة وقدسها فقال : (سبحانه وتعالى عما يقولون) ، أى : هؤلاء المشركون المحدثون الظالمون فى زعمهم أن معه آلهة أخرى ، (صلُّوا كبرا) ، أى : تعالوا كبرا ، بل هو الله الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ④ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيبًا غُفُورًا ⑤

يقول تعالى : تدَّسه السموات السبع والأرض ومن فيهن ، أى : من المخلوقات ، وتزهره وتعظمه وتجَّبه وتكبره . عما يقول هؤلاء المشركون ، وتشهد له بالوحداية فى ربيوبية والإيهية :

فَسُبِّحْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ . تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

كما قال تعالى : (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال حمداً . أن دعوا الرحمن ولدا) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا مسكين بن محبوب مؤذن مسجد الرملة ، حدثنا هروية بن زويم ، عن عبد الرحمن بن قريط : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى ، كان (١) بين المقام وزمزم ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فطارا به حتى بلغ السموات السبع ، فلما رجع قال : سمعت نبيهما في السموات اللئ مع تسبيح كثير : سبحت السموات اللئ من ذى الهابة ، مشفات للئ العلوما علما ، سبحان اللئ الأعلى ، سبحانه وتعالى .

وقوله : (وإن من شئ إلا يسبح بحمده) ، أى : وما من شئ من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ، (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ، أى : لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس ، لأنها بخلاف لتفهم . وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد ، وهذا أشهر القولين ، كما ثبت في صحيح البخارى ، عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل (٢) .

وفي حديث أبي ذر : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات ، فسَمِعَ من تسبيح كحيتن النحل . وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان ، رضى الله عنهم ، وهو حديث مشهور في المسانيد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زيان ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مرَّ على قوم وهم عتوق على دواب لم يروحل ، فقال لهم : اركبوها سائمة وودعوها سائمة ، ولا تتخلوها كرامى لأحاديثكم في الطرق والأسواق ، فرب مركوبة خير من راكبة ، وأكثر ذكرا لله تعالى منه (٣) .

وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال : سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الغنم ، وقال : تقيها تسبيح .

وقال قتادة ، عن عبد الله بن بابي (٤) ، عن عبد الله بن عمرو : أن الرجل إذا قال « لا إله إلا الله » ، فهي كلمة الإخلاص التى لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها . وإذا قال « الحمد لله » ، فهي كلمة الشكر التى لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها . وإذا قال « الله أكبر » ، فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال « سبحان الله » ، فهي صلاة الملائكة التى لم يدع الله أحدا من خلقه إلا قرَّره بالصلاة والتسبيح . وإذا قال « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، لم يأسم على واستسلم (٥) .

(١) لفظ المخطوطة : « إلى المسجد الأقصى ، فلما رجع كان بين . . . وهذه الزيادة غير ثابتة في النسخة الأولى عند أول السورة ، ولا في أحد النسخة .

(٢) البخارى ، كتاب المناقب .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٢٩/٣ .

(٤) في المخطوطة : « بين يدي » بالنون . والمكتبة عن ترجمته في البحر المحمود : ١٢/٢/٢ ، والنهلب : ١٥٢/٥ . وفي التفسير الطبرى : « ابن أبي » وحظه في الطبعات السابقة من تفسير ابن كثير . وهو خطأ .

(٥) تفسير الطبرى : ٦٥/١٥ .

وقال قتادة في قوله : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ، قال : كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه .

وقال الحسن ، والضحك في قوله : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ، قال : كل شيء فيه الروح .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قال : حدثنا جرير أبو الخطاب قال : كنا مع يزيد الرقاشي ، ومعه الحسن في طعام ، فقلعوا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي : يا أبا سعيد ، يسبح هذا الخوان ؟ فقال : كان يسبح مرة (١) .

قلت : الخوان هو المائدة من الخشب . فكان الحسن ، رحمه الله ، ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه نخضرة ، كان يسبح ، فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه . وقد يستأنس لهذا القول حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقرين فقال : « إنها ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر (٢) من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة ، فشقها نصفين ، ثم غرز في كل فرع واحدة ، ثم قال : « لعله يخفف عنها ما لم ييبس » . أخرجاه في الصحيحين (٣) .

قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء : إنما قال : « ما لم ييبس » لأنها يسبحان ما دام فيها نخضرة ، فإذا يبسا انقطع تسبيحها ، والله أعلم .

وقوله : (إنه كان حليبا غفورا) ، أي : أنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، بل يؤجله وينظره ، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر ، كما جاء في الصحيحين : « إن الله يملئ قظامه ، حتى إذا أخذه لم يفلته » . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (٤)) الآية ، وقال تعالى : (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ثم آخذناها إلى المصير (٥)) . ومن أفلح عما هو فيه من كفر أو عصيان ، ورجع إلى الله وتاب إليه ، تاب عليه ، كما قال تعالى : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستنصر الله بجد الله غفورا رحيا (٦)) .

وقال ها هنا : (إنه كان حليبا غفورا) ، كما قال في آخر فاطر : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده ، إنه كان حليبا غفورا) ، إلى أن قال : (ولو يراخذ الله الناس بما كسبوا ، ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا (٧)) .

(١) تفسير الطبري : ٦٥/١٥ .

(٢) كذا في المخطوطة ، ومثل في البخاري في كتاب الوضوء والجنائز ، وورد في رواية أخرى في كتاب الوضوء : « يستتر » . وفي رواية لاسلم : « يستتر » .

(٣) البخاري ، كتاب الوضوء ، باب « من التكبائر أن لا يستتر من بوله » : ٦٤/١ . وكتاب الجنائز ، باب « الجريدة على القبر » : ١١٩/٢ ، ١٢٠ . ومسلم ، كتاب الطهارة ، باب « الدليل على نجاسة البول وجوب الاستبراء منه » : ١٦٦/١ .

(٤) تقدم تخرجه الحديث في سورة هود ، عند الآية ١٠٢ : ٢٧٨/٤ : ٢٧٩ .

(٥) سورة الحج ، آية : ٤٨ .

(٦) سورة النساء ، آية : ٦١٠ .

(٧) سورة فاطر ، الآيات : ٤١ - ٤٥ .

وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٦٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّثُوا وَأُولَا عَلَى أُنُفُسِهِمْ نُفُورًا ﴿٦٦﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا قرأت - يا محمد - على هؤلاء المشركين القرآن ، جعلنا بينك وبينهم حجاباً مستوراً ،

قال قتادة ، وابن زيد : هو الأكنة على قلوبهم ، كما قال تعالى : (وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ، وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب) ، أى : مانع حائل أن يصل إلينا مما نقول شئ ؛

وقوله : (حجاباً مستوراً) ، أى : بمنى ساتر ، كيمون ومشنوم بمنى يأمن وشام ، لأنه من يمتنهم وشامهم (١) .

وقيل : مستوراً عن الأبصار فلا تراه ، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الملقى ، ومال إلى ترجيعه ابن جرير رحمه الله .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو موسى المروى إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا سفيان ، عن الوليد بن كثير ، عن يزيد (٢) بن تميم ، عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت : لما نزلت (نبت بدا أبى لهب) ، جاءت النوراء أم جميل ولما ولوة ، وفي بعدها فيهر (٣) وهى تقول : مَدَّ مَدَّ أُنَيْتَا - أُو : أُنَيْتَا ، قال أبو موسى : الشك منى - ودينه قليلا ، وأمره عصينا . ورسول الله جالس ، وأبو بكر إلى جنبه - أو قال : معه - قال : فقال أبو بكر : لقد أقيمت هذه وأنا أعاف أن تراك ، فقال : إنها لن ترانى ، وقرأ قرآنا اختصم به منها : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) . قال : فجاءت حتى قامت على أبي بكر ، فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا أبا بكر ، بلغنى أن صاحبك هجانى . فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجانك (٤) ، قال : فانصرفت وهى تقول : لقد حملت قريش أبى بنت سيلها .

وقوله : (وجعلنا على قلوبهم أكنة) : جمع «كنان» ، الذى يفضى القلب ، (أن يفقهوه) ، أى : لتلا يفهموا القرآن ، (وفي آذانهم وقراً) ، وهو الثقل الذى بمنعهم من سماع القرآن سماعاً يفهمهم ويهتدون به .

وقوله : (وإذا ذُكرت ربك في القرآن وحده) ، أى : إذا وحلت الله في تلاوتك ، وقلت : « لا إله إلا الله » ، (ولولا) ، أى : أدبروا راجعين (على أدبارهم نُفُوراً) - ونفور : جمع نافر ، كنفود جمع قاعد . ويجوز أن يكون

(١) نقل هذا الخبر من بعض نحوي البصرة : ٦٦/١٥ .

(٢) لم نجد - يزيد بن تميم - هذا ، ولعلنا لم نلوه كذا به .

(٣) الفهر - يكسر فسكون - الحبر على الكف . . وقيل : الحبر مطلقاً .

(٤) الحديث أخرجه المصنف في جميع الزوائد ، تفسير سورة : نبت : ١٤٤/٧ عن ابن عباس ، وفيه : « قالت : يا أبا بكر

أين صاحبك ؟ هجانى . قال : ما يقول الشعر . قالت : أنت مصدق مناهى » .

مصدرا من غير الفعل (١) ، والله أعلم - كما قال تعالى : (وإذا ذكره وحده ، اهتزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستهترون (٢))

قال قتادة في قوله : (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ، ولوا على أديابهم نفورا) : إن المسلمين لا قالوا « لا إله إلا الله » ، أنكروا ذلك للمشركين ، وكبرت عليهم ، وضاقوا (٣) إيليس وجنوده ، فأبى الله إلا أن يعضيها وينصرها ويخلصها ويظهرها على من ناولها ، إنها كلمة من خاصم بها فليج ، ومن قاتل بها نصر ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التي يقطعها الراكب في ليال قلال ، ويسير الدهر في فظام (٤) من الناس ، لا يعرفونها . ولا يقرؤون بها (٥) .

قول آخر في الآية :

روى ابن جرير : حدثني الحسين بن محمد اللارع ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في قوله : (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أديابهم نفورا) : هم الشياطين (٦) :

وهذا غريب جدا في تفسيرها ، وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن ، أو نودي بالأذان ، أو ذكر الله ، انصرفت

مَنْ أَعْلَمُ عَمَّا يَسْمَعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ مَجْئُونَ إِذْ يَقُولُ الْفَظْلِيُّونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا
(٧) أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٨)

غير تعالى نبيه - صلوات الله عليه - بما تناجى به رؤساء كفار قريش ، حين جاءوا يستمعون قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا من قومهم ، بما قالوا من أنه رجل مسحور ، من السحر على المشهور ، أو من « السحر » ، وهو الرق ، أي : إن تتبعون - إن اتبعتم محمدا - (إلا بشرا) يأكل ، كما قال الشاعر (٩) :

فَكِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ قَرَأْنَاكَ • حَصَافِيرَ مِنْ هَذَا الْإِنَامِ الْمَسْحُورِ (٩)

وقال الرازي : (٩) .

، وَتُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ • (١٠)

(١) حجارة ابن جرير أرضهم من هذه ، قال ٦٧/١٥ : « جازئ أن يكون مصدرا أخرج من غير لفظه ؛ إذا كان (ولوا) بمعنى : « نفروا » ، فيكون معنى الكلام : « نفروا نفورا » .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٤٥ .

(٣) كذا في خطوطة الأثر ، وفي تفسير الطبري : « فصافها » .

(٤) معنى تفسير هذه الكلمة في : ١٧٦/٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٦٦/١٥ .

(٦) تفسير الطبري : ٦٧/١٥ .

(٧) هو لبيد بن ربيعة ، والبيت في ديوانه ط الكويت : ٥٦ .

(٨) حصافير : صغار ضفاف ، أي : نحن أولاد قوم قد ذهبوا . والمسحر : المال بالطمع والشراب

(٩) هو امرؤ القيس . والعرج في اللسان : مادة : سحر .

(١٠) في الخطوطة : « مسحر » . والمثبت من اللسان .

أَي : نَحَدَّثُ . وقد صوب هذا القول ابن جرير . وفيه نظر ، لأنهم إنما أرادوا هامة أنه مسحور له ركنى يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يطلوه . ومنهم من قال « شاعر » ، ومنهم من قال « كاهن » ، ومنهم من قال « مجنون » ، ومنهم من قال « ساحر » ، ولهذا قال تعالى : (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) ، أَي : فلا يبتدون إلى الحق ، ولا يجلدون إليه مخلصا .

قال محمد بن إسحاق في السيرة : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بن زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم مكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع النجور تفرقوا : حتى إذا جمعتهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تودوا ، فلو رأيكم بعض سفهاكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع النجور تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع النجور تفرقوا ، فتجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نصاد لا نعود ، فتصادوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رايك فيما سمعت من محمد ؟ قال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يُبرأ بها ، وسمعتُ لشيء ما عرفتُ معناها ، ولا ما يبرأ بها . قال الأخنس : وأنا والذي حكمت به . قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فنخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاوزنا على الركب ، وكنا كفرس رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فقل ندرلكم ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه (١) .

وَقَالُوا أَإِذَا ضَآءًا عَظَمًا أَذُنًا لَّمْ يَسْمَعُوا خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٨﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَابًا أَوْ حَذِيذًا ﴿٤٩﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّنْ يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مِمَّنْ يَعْبُدُنَا قُلِ الَّذِينَ فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَضْحَكُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مِمَّنْ هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٠﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ لِمَحْمَدٍ ه وَتَقُولُونَ إِنَّ لِيْئِمًّا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥١﴾

يقول تعالى خبرا عن الكفار المستعدين وقوع المعاد ، القائلين استفهام إنكار منهم لذلك : (أنذا كنا عظاما ونفاتا) ، أَي : ترى : قاله مجاهد (٢) .

(١) سيرة ابن هشام : ٣١٥/١ ، ٣١٦ . وقد تقدم هذا الأثر في سورة الأنعام عند الآية ٣٣ : ٢٤٩/٣ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٨/١٥ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : خبارا

(أنا الميرون) ، أي : يوم القيامة (خلقاً جديداً) ، أي : بعد ما بليتنا وصرتنا عدما لا يذكر . كذا أخبر عنهم في الموضع الآخر : (يقولون : أنا مردودون في الحفرة . ألكنا عظاما مخرة . قالوا : تلك إذاكرة خاسرة (١)) . قال تعالى : (ضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (٢) .

وهكذا أمر رسوله هاتنا أن يحييهم فقال : (قل كونوا حجارة أو حديدا) ، وهما أشد امتناعا من العظام والرفات ، (أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) :

قال ابن إسحاق عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : سألت ابن عباس عن ذلك فقال : هو الموت :

وروى عطية ، عن ابن عمر أنه قال في تفسير هذه الآية : لو كنتم مرنى لأحييتكم . وكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك

ومعنى ذلك : أنكم لو فرضتم أنكم لو صيرتم مرنى (٣) الذي هو ضد الحياة ، لأحياكم الله إذا شاء ، فإنه لا يمنع عليه شيء إذا أراد :

وقد ذكر ابن جرير حديث : « يجاء بالمرت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . ثم يقال : يا أهل النار ، أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار ، خلود بلا موت (٤) » .

وقال مجاهد : (أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) ، يعني : السماء والأرض والجهال :

وفي رواية : ما شئتم فكونوا ، فسيبذكم الله بعد موتكم :

وقد وقع في التفسير المروي عن الإمام مالك ، عن الزهري في قوله : (أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) ، قال : النبي (٥) صلى الله عليه وسلم قال مالك : ويقولون : هو الموت .

(١) سورة النازعات ، الآيات : ١٠ - ١٢ .

(٢) سورة « يس » ، آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) هذا لفظ غلطوة الأثر . وهو مقتبس من قول ابن جرير ٦٨/١٥ ، قال : « واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله « (أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) » ، فقال بعضهم : حق به الموت ، وأريد به : أو كونوا الموت ، فإنكم إن كنتموه أبتكم ، ثم يبتكم بعد ذلك يوم البعث » . وقد تصرف في نص ابن كثير في الطبقات السابقة ، فأصبح : « لو صرتم إلى الموت » .. وهذا الأمر الذي يسوقه ابن كثير بعد من العبارة يلزم لفظ غلطوة الأثر .

(٤) تفسير الطبري عن عبد الله بن عمر : ٦٩/١٥ .

(٥) كذا ، ولم نجد هذا الأثر ، وصلى أن تستلزمه فيما بعد .

وقوله : (فيقولون من يعبدنا) ، أى : من يعبدنا إذا كنا حجارة أو حديدًا أو خلقًا آخر شديدًا ، (قل الذى فطركم أول مرة) ، أى : الذى خلقكم ولم تكونوا شيئًا مذكورًا ، ثم صرتم بشرًا تنتشرون ، فإنه قادر على إعادةكم ولو صرتم إلى أى حال ، (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (١)) :

وقوله : (فينفضون إليك دعوسهم) - قال ابن عباس وقفاة : يحركونها استهزاء (٢) .

وهذا الذى قالاه هو الذى تنهيه العرب من لغائها ، لأن « الإنفاض » هو : التحرك من أسفل إلى أعلى ، أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظلم - وهو ولد النعامة - « نفضًا » لأنه إذا مشى حَجَلٌ في مِشْبَةٍ وحركه رأسه ؛ ويقال : « تَنَفَضَتْ سِنَّهُ » إذا تحركت وارتفعت من مِشْبَتِهَا ؛ قال الرازي (٣) :

« وَتَنَفَضَتْ مِنْ هَرَمِ اسْتِهَا » .

وقوله : (ويقولون : متى هو) ، إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك ، كما قال تعالى : (ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٤)) ، وقال تعالى : (يستحيل بها الدين لا يؤمنون بها (٥)) .

وقوله : (قل : صبي أن يكون قريباً) ، أى : احذروا ذلك ، فإنه قريب إليكم ، سيأتيكم لا محالة ، فكل ما هو آتٍ آتٍ :

وقوله : (يوم يدعوكم) ، أى : ثوب تعالى - (إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون (٦)) ، أى : إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يَخْتَلَف ولا يَمَانَع ، بل كما قال : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٧)) ، (إنما قولنا لشيء إذا أردناه : أن نقول له : كن ، فيكون (٨)) وقال : (فانما هي زجرة واحدة - فلذا هم بالساهرة (٩)) ، أى : إنما هو أمر واحد بانتهاز ، فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ، كما قال : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) ، أى : تقومون كلكم لإجابة لأمره وطاعته لإرادته .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، (فتستجيبون بحمده) ، أى : بأمره . وكذا قال ابن جريج .
وقال قتادة : بحمده وطاعته .

وقال بعضهم : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) ، أى : وله الحمد في كل حال ؛ وقد جاء في الحديث : « ليس على أحد - لا إله إلا الله » وحشة في قبورهم ، وكأنى بأهل « لا إله إلا الله » يقومون من قبورهم ينفضون

(١) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٩/١٥ ، ٧٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٠/١٥ ، غير منسوب .

(٤) سورة الملك ، آية : ٢٥ .

(٥) سورة الشورى ، آية : ١٨ .

(٦) سورة الروم ، آية : ٢٥ .

(٧) سورة القمر ، آية : ٥٠ .

(٨) سورة النحل ، آية : ٤٠ .

(٩) سورة التازعات ، آية : ١٣ ، ١٤ .

أَتَرَابِ عَنْ رُؤُوسِهِمْ ، يَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَفِي رِوَايَةٍ يَقُولُونَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْكَ الْحَزْنَ (١)) ، وَسَيَأْتِي فِي سُورَةِ فَاطِر .

وَقَوْلُهُ : (وَتَقْنُونَ) ، أَيْ : يَوْمَ تَقُومُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ (إِنَّ لَيْثَكُمْ) فِي الدَّارِ الدُّنْيَا (إِلَّا قَلِيلًا) ، وَكَمَا قَالَ : (كَانَهُمْ يَوْمَ يُرَوَّحُونَ بِأَيْدِيهِمْ أَوْ ضَحُكُهُمْ أَوْ ضُجَعُهُمْ) (٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : (يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْثُمْ إِلَّا عَشْرًا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ، إِذْ يَقُولُ أَغْلَظُهُمْ طَرِيقَةُ : إِنْ لَيْثُمْ إِلَّا يَوْمًا (٣)) ، وَقَالَ تَعَالَى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، كَذَلِكَ كَانُوا يُفْكَوْنُ (٤)) ، وَقَالَ تَعَالَى : (قَالَ : كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدُدِ سَنِينَ ؟ قَالُوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَجَاءَ الْمَعَادِينُ . قَالَ : إِنَّ لَيْثَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٥)) .

وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّذِي أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٦﴾
يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ يَقُولُوا فِي غَطَابَتِهِمْ وَمَخَاطَرَتِهِمْ الْكَلَامَ الْإِحْسَنَ وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْمَلُوا ذَلِكَ ، نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ ، وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ إِلَى الْعَمَالِ ، وَوَقَعَ الشَّرَّ وَالْخَاطِئَةَ وَالْمَقَاتِلَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ حَدَوِ لَادَمَ وَذَرِيَّتِهِ مِنْ حَيْثُ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ ، فَعَلَاوَتُهُ ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ ، وَلِهَذَا نَبَى أَنْ يَشِيرَ الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِعِدْلَةٍ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَجَّحُ فِي يَدِهِ ، أَيْ : فَرِمًا أَصَابَهُ بِهَا .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مُعَمَّرٌ ، عَنْ هَمَامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَشِيرَنَّ (١) أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ نَعْلَ الشَّيْطَانِ أَنْ يَتَرَجَّحَ (٢) فِي يَدِهِ ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنْ نَارٍ (٣) » .

أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (٤) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَفَّانٌ ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ ، أَنَّنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَكْبَةَ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي أَرْفَلَةٍ (١) مِنَ النَّاسِ ، فَصَمِعْتُهُ يَقُولُ : لِلْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَنْظِلُهُ

(١) سُورَةُ فَاطِر ، آيَةُ : ٣٤ .

(٢) سُورَةُ النَّازِعَاتِ ، آيَةُ : ٤٦ .

(٣) سُورَةُ طه ، الْآيَاتُ : ١٠٢ - ١٠٤ .

(٤) سُورَةُ الرُّومِ ، آيَةُ : ٥٥ .

(٥) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ، الْآيَاتُ : ١١٢ - ١١٤ .

(٦) لَفْظُ الْمُسَدِّ : « لَا يَشِيرَنَّ أَحَدُكُمْ » .

(٧) يَمْنَى : يَمْنَى فِي يَدِهِ وَيَمْتَقُّ شَرِبَتَهُ وَرَمِيَتْهُ .

(٨) مُسَدَّدُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ ، مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ ٣١٧/٢ .

(٩) الْبَيْهَقِيُّ ، كِتَابُ الْفَتَنِ ، بَابُ « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا » : ٦٢/٩ . وَمُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْبِرِّ ، بَابُ « النَّهْيُ

عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسَّلَاحِ » : ٣٤/٨ .

(١٠) أَيْ : جَمَاعَةٍ . وَفِي الْمَخْطُوطَةِ : « وَهُوَ فِي رَفْلَةٍ » . وَالصَّوَابُ مِنَ الْمُسَدِّ .

ولا يخله، التقوى هامة - [قال حماد : وقال يده (١) إلى صدره - وما نود وجلان في الله فطريق بينهما إلا بحديثه
 بحديثه أحدهما (٢) | ، والحديث شرّ ، والحديث شرّ ، والحديث شرّ (٣)] .

وَبُكَرَ أَعْلَمُ بِكَ إِنَّ يَسِيرَ سِرِّكَ أَوْ أَنْ يَسَّ عَيْتُكَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠ وَدَبُّكَ أَهْلُ فِي
السَّنُونُ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَجَلْنَا بَعْضَ الْبَيْتِ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَهَاتَيْنَا دَاوُدَ وَهَارُونَ ۝١١

يقول الله تعالى : (وكنم أعلم بكم) أيما الناس ، من يستحق متكم المخلية ومن لا يستحق ، (إن يشأ برحميمك) بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه ، (أو أن يشأ بعذبكم) وما أرسلناك عليهم وكيلًا) أي : إنما أرسلناك للغيراء ، فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار .

وقوله : (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) ، أى : عبادتهم في الطاعة والمعصية : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) ~ كما قال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) (١)

وهذا لا يثنى ما في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقبلوا دين الأنبياء» (٥) ، وإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد الشبهة والمصيبة ، لا بمقتضى الدليل ، [فإذا خلت الدليل على شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولى العزم منهم أفضلهم ، وهم الخمسة المذكورون نعماً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم (٦)) ، وفي الثوري : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن اتقوا الدين ولا تنفروا فيه (٧)) . ولا خلاف أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضلهم ، ثم بعده إبراهيم ، ثم موسى على المشهور ، وقد بسطنا هذا بدلالة في غير هذا الموضع والله الموفق ،

وقوله : (وآتينا داود هزبوراً) : تنبيه على فضله وشرفه ،

قال البخاري: حدثنا إسحاق بن نصر، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنَ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابْتِهِ تَنْسُجُ، فَكَانَ يَقْرَأُ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ» يعني القرآن (٨) .»

(١) أى : أشار إليه . وانظر أيضاً : ١٧٧/٣ ، ٢٢٩ ، ٤٦٠ ، ٤٩٤ .

(٢) ما بين القوسين سقط من مخطوطة الأزهر، أبقناه من المخطوطة.

(۳) مسند الإمام أحمد : ۷۱/۵ .

(٤) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(هـ) البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وإن يؤمنن من المرسلين) : ١٩٤/٤ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ،

باب ۱۰۱/۷ من فضائل موسى ؑ

(٦) سورة الأحزاب ، آية : ٧ .

(٧) سورة الشورى ، آية : ١٣ .

(٨) البخاري ، تفسير سورة بني إسرائيل : ١٠٧/٦ . وقد مضى الحديث في سورة الرعد : ١٠/٣٨٧ .

قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٢﴾

يقول تعالى : (قل) يا محمد هؤلاء للمشركين الذين جحدوا غير الله : (ادعوا الذين زعمتم من دونه) من الأصنام والأنداد ، فادعوا إليهم ، فإنهم (لا يملكون كشف الضر عنكم) ، أى : بالكلية ، (ولا تحويلا) ، أى : أن يحولوه إلى غيركم .

ولمضى : أن الذى يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذى له الخلق والأمر .

قال القرطبي ، عن ابن عباس فى قوله : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) ، قال : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة والمسيح وهزيرا ، وهم الذين يدعون ، يعنى الملائكة والمسيح وهزيرا (١) . وقوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) - روى البخارى ، من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي ميمر ، عن عبد الله فى قوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) ، قال : ناس من الجن ، كانوا يبتدون ، فأسلموا (٢) : - وفى رواية قال : كان ناس من الإنس ، يبتدون ناسا من الجن ، فأسلم الجن وتسلم هؤلاء يبتدئهم .

وقال قتادة ، عن معبد بن عبد الله الرزائي (٣) ، عن عبد الله بن حنبل عن مسعود ، عن ابن مسعود فى قوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) ، قال : نزلت فى نفر من العرب ، كانوا يبتدون نفرا من الجن ، فأسلم الجيئون ، والإنس الذين كانوا يبتدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية (٤) .

وفى رواية عن ابن مسعود : كانوا يبتدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن (٥) فذكره .

وقال السلي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس فى قوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) ، قال : عيسى وآله ، وهزير .

وقال مقبرة ، عن إبراهيم ، كان ابن عباس يقول فى هذه الآية : هم عيسى ، وهزير ، والشمس ، والقمر ؛ وقال مجاهد : عيسى ، والهمزير ، والملائكة ،

(١) تفسير الطبرى : ٧٢/١٥ .

(٢) البخارى ، تفسير سورة ينى إسرائيل : ١٠٧/٦٦ .

(٣) فى المخطوطة : « الرزائي » . والمثبت من تفسير الطبرى . وفى المخطوطة للخبز : ٣٣٣ : « الرزائي » ، « بزى مكسورة » . ولم نجد معبد بن عبد الله الرزائي . ولكن حكاه ورد فى تفسير الطبرى : ٧٢/١٥ . وفى رواية أخرى ٧٢/١٥ : « عبد الله ابن معبد الرزائي » . وحده مترجم له فى كتب الرجال ، ينظر الخلاصة ، وميزان الاعتدال : ٥٠٧/٢ .

(٤) تفسير الطبرى : ٧٢/١٥ .

(٥) تفسير الطبرى : ٧٢/١٥ .

واختار ابن جرير قول ابن مسعود ، لقوله : (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) ، وهذا لا يعبره عن اللامى (١) ،
فلا يدخل فيه عيسى والعزير - قال : والوسيلة هي القرية كما قال قتادة ، ولهذا قال : (أجمع أقرب) ،
وقوله : (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) : لآتم العبادة إلا بالثبوت والرجاء ، فيالثبوت ينكت عن اللامى
وبالرجاء ينبعث على الطاعات .
وقوله : (إن عذاب ربك كان محذورا) : أى : ينبئ أن يحذر منه ، ويحذر من وقوعه وحصوله ، حافيا
بالله منه .

وَأِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ آلِ يَاقُوتَ أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٧﴾
هذا اخبار عن الله بأنه قد حتم وقضى بما قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ : أنه ما من قرية إلا سيهلكها ، بأن
يبدل أهلها جميعهم أو يعذبهم (عذابا شديدا) ، إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء ، ولما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وظلماهم .
كما قاله عن الأمم لما مضى : (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) (٢) : وقال تعالى (وكان من قرية عتت عن أمر ربها
ورسله ، فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فلذاقت وبكال أمرها ، وكان عاقبة أمرها خسرا) (٣) .

وَمَا مَعْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَلَّمَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا نُوحًا الْآثَاةَ مُصَدِّقَةً فَبَطَّلُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَحْوِيغًا ﴿١٨﴾

قال سَئِد ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبَر قال : قال المشركون : يا محمد ، إنك ترم
أنه كان ليالك أنبياء ، فنهض من سخرت له الريح ، ومنهم من كان يحيى الموتى ، فإن سرك أن نؤمن بك ونصدقك ،
فادع ربك أن يكون لنا الصفا خيرا . فأوحى الله إليه : إني قد سمعت الذى قالوا ، فإن شئت أن تفعل الذى قالوا ،
فإن لم يؤمنوا نزل العذاب ، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن تستأني بقومك استأنت بهم ؟ قال :
يا رب ، استأني بهم (٤) .

وكذا قال قتادة ، وابن جرير ، وغيرهما ،

قال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبَر ،
عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا خيرا ، وأن ينحى الجبال عنهم فيزدعوا (٥)

(١) قال ابن جرير ٧٣/١٥ : وأول الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود ، الذى رويته عن أبي عمر
منه ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يذمونه المشركون أنه أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ومسلمون أن هزيرا ، لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه السلام ، فيبتغى إلى ربه الوسيلة ، وأن عيسى كان قد رفع ، ولما ينص
إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله ، ويتقرب إليه بالصالح من الأعمال

(٢) سورة هود آية ١٠١ .

(٣) سورة الطلاق : آية ٧ : ٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٧٤/١٥ .

(٥) في المسند : فيزدعوا .

قيل له : إن شئت أن نؤتيهم الذي سألو ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من كان قبلهم من الأمم ، قال : لا ، بل نستان بهم ، وأئزل الله : (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا نمود لقناة مبصرة (١)) ، ورواه السائي [من حديث] جرير ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سكّمة بن كهيل ، عن عمران بن حكيم (٢) عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك [أن] يجعل لنا الصفا ذهباً ، ونؤمن بك : قال : وتعلمون ؟ قالوا : نعم : قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعلمه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة : فقال : بل باب التوبة والرحمة (٣) .

وقال الحافظ أبو يعلى بن مسنن : حدثنا محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري ، حدثنا خلف بن عيسى ، عن عبد الجبار بن عمر الأيلي ، عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم ، عن جده لم عطاء مولا الزبير بن العوام قالت : سمعت الزبير يقول : لما نزلت : (وأنزل عشرينك الآخرين) ، صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي قبيس : يا آل هبمنا ، إلى ليل ! فجاهته قريش ، فحلروهم وأنلروهم ، فقالوا : ترم أنك نبي يؤمى إليك ، وأن سليمان مسخر له الريح والجبال ، وإن موسى مسخر له البحر ، وأن عيسى كان يحيى الموتى ، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ، ويغير لنا الأرض أنهاراً ، فتدخلها عمارت ، فتزوع وتأكلي ، وإلا فادع الله أن يحيى لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا ، وإلا فادع الله أن يصبر لنا هذه الصخرة التي تحتك ذهباً ، فتفتح منها ، وتضئنا من رحلة الشتاء والصيف ، فإنيك ترم أنك كميهم ! قال : فينا نحن حوله ، إذ نزل عليه الوحي ، فلما سرى عنه قال : والذي نفسي بيده ، لقد أعطاني ما سألتهم ، ولو شئت لكان ، ولكنه خيّرني بين أن تدخلوا باب الرحمة ، فيؤمن مؤمنكم ، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم ، ففضلوا عن باب الرحمة ، فلا يؤمن منكم أحد ، فاخترت باب الرحمة ، فيؤمن مؤمنكم . ولعبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم ، أنه يعذبكم عذاباً لا يعذب به أحداً من العالمين . ونزلت : (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) حتى قرأ ثلاث آيات ، ونزلت : (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى (٤)) ... الآية .

ولما قال تعالى : (وما معنا أن نرسل بالآيات) ، أي : نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك منك ، فإنه سهل علينا يسر لدينا ، إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها ، وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم لا يؤخرون إذا كذبوا بها بعد نزولها ، كما قال تعالى في المائدة : (قال الله : إني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبها عذاباً لا أعذب به أحد من العالمين (٥)) . وقال تعالى عن نمود ، حين سألوا آية : ناقة تخرج من صخرة حيّوها ، فدعا صالح ربه ، فأخرج له منها ناقة على ما سألوها ، (فظلموا بها) أي : كفروا بمن خلقها ، وكذبوا رسوله وعفروا ناقة فقال : (تتعصوا

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٥٨/١ .

(٢) كذا في خطوطة الأهر ، وفي المسند : « عمران بن الحكم » . ولم نجد عمراناً هكذا .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٤٢/١ .

(٤) سورة الرعد : آية : ٣١ .

(٥) سورة المائدة : آية : ١١٥ .

في ذابركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكشوف) ولهذا قال تعالى (وآتينا نوحاً الناقة مبصرة) أي : دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها ، (فظلموا بها) ، أي : كفروا بها ومنعوا شربها وقتلوا ، فأبادهم الله عن آخرهم ، واتقمت منهم ، وأحلهم لحد هزير مقتدر .

وقوله : (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) — قال قتادة : إن الله يخوف الناس بما يشاء من آياته ، لعلمهم بعثرون ويلكرون ويرجعون ، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود ، فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم يستعجبكم ، فأخبروه (١) . وهكذا روى أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب مرات ، فقال عمر : أهدئتم ، والله لئن عادت لأهلن لأهلن ولاهلن ، وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وإنهما لا ينكسلان لموت أحد ولا لحياة ، ولكن الله عز وجل يرسلها يخوف بها عباده ، فإذا رأيت ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره » ثم قال : يا أمة محمد ، والله ما أحد أخير من الله أن يزيي عبده أو تزيي أمته ، يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً (٢) .

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَادٌ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أُرِيَنَّكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ قَلِيلًا يَزِيدُهُمْ إِلَّا ظُلْمًا كَبِيرًا ﴿٥﴾

يقول تعالى لرسولنا صلى الله عليه وسلم عرضنا له على إبلاغ رسالته ، وغبرا له بأنه قد عصمته من الناس ، فإنه القادر عليهم ، وهم في قبضته ونحت قهره وخطبه .

قال مجاهد ، وحرورية بن الزبير ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم في قوله : (وإذ قلنا لك إن ربك أحاد بالنااس) ، أي : عصمك منهم .

وقوله : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) — قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان عن عمرو ، عن حكرمة ، عن ابن عباس : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) — قال : هي رؤيا حين أربأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ، (والشجرة الملعونة في القرآن) : شجرة الزقوم (٣) .

وكذا رواه أحمد ، وعبد الرزاق ، وغيرهما ، عن سفيان بن عيينة به . وكذا رواه العوفي ، عن ابن عباس : وهكذا فسّر ذلك بإيلة الإسراء : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومسروق ، وإبراهيم ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد ، وغير واحد . وقد تقدمت أحاديث الإسراء في أول السورة مستقصاة ، والله الحمد والمنة . وتقدّم أن ناساً رجعوا عن دينهم

(١) تفسير الطبري : ٧٥/١٥ . ومعنى ويستعجبكم فأخبروه ، أي : يطلب منكم الرجوع عن الإساءة واستغفاره ، فأبلغوا ذلك .

(٢) البخاري ، كتاب الكسوف ، باب « الصدقة في الكسوف » : ٤٢/٢ ، ٤٣ ، وباب « خطبة الإيمان في الكسوف » : ٤٣/٢ ، ٤٤ ، وباب « لا تنكس الشمس لموت أحد ولا لحياة » : ٤٨/٢ . ومسلم ، باب صلاة الكسوف : ٢٧/٣ — ٢٩ .

وسنن ابن ماجه ، كتاب الإقالة : باب « ما جاء في صلاة الكسوف » : الحديث ١٢٦٣ : ٤٠١/١ . ومسنن الإمام أحمد : ٨٧/٦ ، ١٦٨ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة بني إسرائيل : ١٥٧/٦ ، ١٥٨ .

بعد ما كانوا على الحق ، لأنه لم تجعل قلوبهم وعقولهم ذلك ، فكلبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وجعل الله ذلك ثباتا وبقينا لآخرين ، ولهذا قال : (إلا فتنة) ، أى : اختباراً وامتحاناً . وأما « الشجرة الملعونة » ، فهى شجرة الزقوم ، كما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة والنار ، ورأى شجرة الزقوم ، فكلبوا بذلك حتى قال أبو جهل لعنه الله : هاتوا لنا تمرًا وزيتًا ، وجعل يأكل هذا بهنا ، ويقول : تَزَقَّمُوا ، فلا تعلم الزقوم غير هذا (١) .

حكى ذلك ابن عباس ، ومسروق ، وأبو مالك ، والحسن البصرى ، وغير واحد : وكل من قال : إنها ليلة الإسماء ، فسره كذلك بشجرة الزقوم .

وقد قيل : المراد بالشجرة الملعونة : « بنو أمية » . وهو غريب ضعيف :

قال ابن جرير (٢) : حدثت عن محمد [بن الحسن] بن زبالة ، حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، حدثني أبي ، عن جدي قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فلان يترون على سريره نزول القرد ، فسأه . ذلك فما استجبع ضاحكا حتى مات — قال : وأنزله الله في ذلك : (وما جعلنا الرؤيا التى أرى لك إلا فتنة للناس) ... الآية .

وهذا السند ضعيف جدا ، فإن « محمد بن الحسن بن زبالة » مسروك ، وشيخه أيضا ضعيف بالكلية . ولهذا اختار ابن جرير : أن المراد بذلك ليلة الإسماء ، وأن الشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم ، قال : لإجتماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، أى : فى الرؤيا والشجرة .

وقوله : (ونحوهم) ، أى : الكفار بالوحيد والمذاب والنكال ، (فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) ، أى : تماديا فيها هم فيه من الكفر والضلال . وذلك من خلال الله لهم .

وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اٰمِنُوْا اٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّا اِبٰلِيسَ قَالَ ؕ اٰمُرُّدۡ لِمَنْ خَلَقْتُ طٰٓغِيًا ۝۱۱۱ قَالَ اَرۡءٰى يَتَكَ هٰذَا الَّذِى كَرَّمْتُ عَلَىٰ لَئِنۡ اٰخَرْتَنۡ اِلَآ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَآخُتَنَّ ذُرِّيَّتُهُۥ اِلَّا قَلِيْلًا ۝۱۱۲

يذكر تعالى عداوة إبليس — لعنه الله — لأدم ، عليه السلام ، ودريته ، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم ، فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود ، فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له ، افتخارا عليه واحتقارا له ، (قال : أأسيء لمن خلقت طيئا) . كما قال فى الآية الأخرى : (أنا خير منه ، خلقتى من نار وخلقته من طين (٣)) .

وقال أيضا : (أرايتك) ، يقول للرب جرأة وكفرا ، والرب يعلم وينظر ، (قال : أرايتك هذا الذى كرمته على ، لئن أخرتن إلى يوم القيامة ، لأختنك ذريته إلا قليلا) .

قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يقول : لأستوين (٤) على ذريته إلا قليلا .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٧٤/١ . وتفسير الطبري : ٧٨/١٥ .

(٢) سابق ابن جرير هذه الرواية بعد قوله ٧٧/١٥ : « وقال آخرون — من قال : هى روبا مثام — : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه قوما يملون منبره » . ولم يصرح فى هذا القول بأن المقصود بهم بنو أمية .

(٣) سورة الأعراف : آية : ١٢ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٠/١٥ .

وقال مجاهد : لأحويين : وقال ابن زيد : لأضلهم .

وكلمها متفاربة ، والمعنى انه يقول : أرايتك هذا الذي شرفته وعظمته علي ، أن أنظرني لأضلن ذريته إلا قليلا

منهم !

قَالَ أَذْهَبَ لَنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ بَرَأؤُكَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴿٣٧﴾ وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَجَلَ لَكُمْ فِي الْأُمُورِ وَأَوَّلَتْ لَكُمْ بَعُوثُ رَعَبِهِمْ وَالشَّيَاطِينُ إِلَّا فِي رِئَاسِهِ ﴿٣٨﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَذَّبُوا بِرَبِّكَ وَفُجِّرُوا ﴿٣٩﴾

لا سأل إبليس النظرة قال الله له : (اذهب) ، فقد أنظرتك : كما قال في الآية الأخرى : (قال : فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم (١)) ثم أوعده ومن تبعه من ذرية آدم جهنم ، فقال : (فن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) ، أى : على أعمالكم ، (جزاء موفورا) .

قال مجاهد : واقرأ . وقال قتادة : مؤقراً عليكم ، لا يقص لكم منه .

وقوله : (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) ، قيل : هو الغناء . قال مجاهد : بالهو والغناء ، أى : استغفهم بذلك .

وقال ابن عباس في قوله : (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) ، قال : كل دأع دعا إلى معصية الله عز وجل ، وقاله قتادة ، واختاره ابن جرير (٢) .

وقوله : (وأجلب عليهم بخبرك ورجلك) ، يقول : وأحمل عليهم بخبرك وخبرائهم (٣) ورجلهم ، فإن « الرجل » جمع « راجل » ، كما أن « الركب » جمع « راكب » و« صحب » جمع « صاحب » .

ومعناه : تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه . وهذا أمر قدري ، كما قال تعالى : (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٤)) ، أى : تزجهم إلى المعاصي لإزعاجها ، وتسوقهم إليها سوقا . وقال ابن عباس ، ومجاهد في قوله : (وأجلب عليهم بخبرك ورجلك) ، قال : كل راكب وماش في معصية الله .

وقال قتادة : إن له خيالا ورجالا من الجن والإنس ، وهم الذين يطيعونه .

وتقول العرب : « أجلب فلان على فلان » : إذا صاح عليه . ومنه : « نبى في المسابقة عن الجكّيب والجكّيب (٥) » ومنه اشتقاق « الجلبة » ، وهى ارتفاع الأصوات .

(١) سورة الحجر : آية : ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٨٠ / ١٥ ، ٨١ .

(٣) التيسارة : أصحاب الخيول .

(٤) سورة مريم : آية : ٨٣ .

(٥) الجلب في السباق : أن يتع الرجل فرسه فيزجره ، ويجلب عليه ويصحح حثا له على الجرى . والجنب : أن يجنب فرسا إلى فرسه الذى يسابق عليه ، فإذا تفر المركوب نحوك إلى الجنوب .

وقوله : (وشاركهم في الأموال والأولاد) ، قال ابن عباس ومجاهد : هو ما أمرهم به من إنفاق الأموال في معاصي الله :

وقال عطاف : هو الربا : وقال الحسن : جمعها من خيبت ، وإنفاقها في حرام . وكلنا قال قتادة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أما مشاركته إياهم في أموالهم ، فهو ما حرموه من أنعامهم ، يعني من البعائر والسواجِب ونحوها : وكلنا قال الضحاك وقاتادة .

قال ابن جرير : والأولى أن يقال : إن الآية تم ذلك كله ،

وقوله : (والأولاد) ، قال العوفي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : يعني أولاد الزنا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سَفَهًا بغير علم .

وقال قتادة ، عن الحسن البصري : قد والله شاركهم في الأموال والأولاد ، مَجَسَّوْا ومَتَوَدَّوا [وتَصَبَّروا] وصَبَّغُوا غير صبغة الإسلام ، وجَزَّؤْا من أموالهم جزءا للشياطين (١) ، وكلنا قال قتادة سواء .

وقال أبو صالح ، عن ابن عباس : هو تسميتهم أولادهم « عبد الحارث » « عبد حمس » « عبد فلان » .

قال ابن جرير : وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : كل مولود ولدته أنثى ، حُصِيَ الله فيه ، بتسميته ما يكرهه الله ، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله . أو بالزنا بأمه ، أو بقتله ووأده ، وغير ذلك من الأمور التي يعصي الله بفعله [به] أو فيه ، فقد تدخل في مشاركة إبليس فيه مَنْ وَلَدَ ذلك الولدَ له أو منه ، لأن الله لم يخصص بقوله : (وشاركهم في الأموال والأولاد) معنى الشركة فيه بمعنى دُون معنى ، فكل ما حُصِيَ الله فيه أو به ، وأُلْحِقَ فيه الشيطان أو به ، فهو مشاركة .

وهذا الذي قاله مُتَّبِعُه ، وكلٌّ من السلف رحمهم الله قَسَرَ بعض المشاركة ، فقد ثبت في صحيح مسلم ، عن عباس بن حنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحَرَمْتُ عليهم ما أَحَلَّ لَهُمْ (٢) » .

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال : باسم الله ، اللهم جَنِّبْنَا الشيطان وجَنِّبِ الشيطان ما رَزَقْتَنَا ، فإنه إن يُقَدَّرَ بينهما ولد في ذلك ، لم يَضُرَّهُ الشيطان أبداً (٣) » .

وقوله : (وهدم وما بهدم الشيطان إلا غرورا) ، كما أخبر تعالى عن إبليس (٤) أنه يقول إذا حصص (٥) الحق

(١) تفسير الطبري : ٨٢/١٥ .

(٢) تقدم الحديث في تفسير سورة النساء : الآية ١١٩ ٢ ٣٦٨/٢ ، وشرحنا غريبه هناك .

(٣) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « صفة إبليس وجنوده » : ١٤٨/٤ ، ١٤٩ . ومسلم ، كتاب النكاح ، باب « ما يستحب أن يقوله عند الجماع » : ١٥٥/٤ .

(٤) في المخطوطة : « عن سلف إبليس » والخبر عن الطيمات السابقة .

(٥) أي : ظهر ويان .

يوم يقضى بالحق : (إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي : فلا تلموني ولو ما أنفسم ، ما أنا بمصرخكم ، وما أنتم بمصرخي^(١)) الآية .

وقوله : (إن عادى ليس لك عليهم سلطان) : إختيار بتأليه تعالى عباده المؤمنين ، وحفظه لإيادهم ، وحراسته لهم من الشيطان الرجيم : ولهذا قال : (وكني بربك وكيلاً) ، أى : حافظاً وموئداً وناصراً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن طيبة ، عن موسى بن وركان ، عن ابن هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المؤمن ليُنْضِي شياطينه ، كما يُنْضِي أحدكم بعبيره في السفر »^(٢) .
ينضى : أى : يأخذ بتأصيله ويقهره^(٣) .

رَبُّكَ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكَ الْغُلَّكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً

يُزَيِّجُ تعالى عن لطفه مخلقه في تسخير له عباده الغللك في البحر ، وتسهيلها لمصالح عباده ، لا ابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم . ولهذا قال : (إنه كان بكم رحيماً) ، أى : إنما فعل هذا بكم ، من فضله عليكم ، ورحمته بكم .

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُنا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً

يُخبر تعالى أنه إذا مس الناس ضر ، دعوه منيدين إليه ، عائلين له الدين . ولهذا قال : (وإذا مسكم الضر في البحر ، ضل من تدعون إلا إياه) ، أى : ذهب عن قلوبكم كل ما تعملون غير الله ، كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة ، فذهب هارباً ، فركب في البحر لينخل الخبيثة ، فجاءتهم ريح عاصف ، فقال القوم بعضهم لبعض : إنه لا يبقئ عنكم إلا أن تدعوا الله وحده . فقال عكرمة في نفسه : والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره ، فإنه لا ينفع في البر غيره . اللهم لك على عهد ، لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن^(٤) يدي في يديه ، فلأجدنه ردوفا رحياً . فخرجوا من البحر ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه^(٥) : رضى الله عنه وأرضاه .

وقوله : (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) ، أى : نسيت ما عرفتم من توحيد الله في البحر ، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له .

(وكان الإنسان كفوراً) ، أى : سَجِيَّتُهُ هذا ، ينسى النعم ويجهلها ، إلا من عصم الله .

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٢٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٨٠/٧ .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية : « أى : يزيله ويحمله نضواً . والنضو : الدابة التي أحزمتها الأمطار » .

(٤) أخرجه أبو يعل في مسنده . ينظر أمه القناية ، الترجمة ٣٧٣ : ٧٠/٤ ، ٧١ ، بتحقيقنا .

أَفَلَمْ نَمَنَّ أَنْ يَخْشَفَ بِكُمْ حَتِيبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى : [مخرجكم] (١) إلى البر آمنتم من انتقامه وعلاجه !
(أن يخسف) (٢) بكم جانب البر ، أو تُرْسِلَ عليكم حاصبا ، وهو : المطر الذي فيه حجارة : قاله مجاهد ،
وضر واحد : كما قال تعالى : (إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر (٣)) ، وقد قال في الآية الأخرى :
« وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٤) » ، وقال : (آمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور » أم آمنتم
من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ؟ فستعلمون كيف نذير (٥) » .
وقوله : (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) ، أي : ناصرا ، يرد ذلك عنكم ، وينقذكم منه .

أَمْ آمَنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كَرْبِيهَ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِهِ
تَنْبِيهًا ﴿٥٧﴾

يقول تعالى : (أم آمنتم) ، أيها المضرعون هنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر ، وخرجوا إلى البر ، (أن نجيدكم
في البحر مرة ثانية) ، (فيُرْسِلَ عليكم قاصفاً من الريح) ، أي : ينصف الصوارى ويفرق المراكب .
قال ابن عباس وغيره : القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتفرقها .
وقوله : (فنغرقكم بما كفرتم) ، أي : يسبب كفركم وإلحادكم عن الله تعالى .
وقوله : (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيهاً) — قال ابن عباس : نصيراً .
وقال مجاهد : نصيراً تائراً . أي : يلغى بئركم بعدكم .
وقال قتادة : ولا تخاف أحداً يتبيناً بشئ من ذلك (٦) .

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رَزَقْنَاهُمْ مِمَّا الْطَيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ

خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٥٨﴾

يجبر تعالى عن تشريفه لبني آدم ، وتكرمه لإياهم ، في خلقه لهم على أحسن الميثاق وأكملها ، كما قال : (لقد خلقنا
الإنسان في أحسن تقويم) (٧) ، أي : بمشي قائماً منتصباً على رجليه ، ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات بمشي على

- (١) ما بين القوسين من الطبعات السابقة ، ومكمله في مخطوطة الأزهر : « أن نخرجكم » .
- (٢) كذا وردت هذه الأصول في هذه الآية وآتي عليها ، في مخطوطة الأزهر ، بالنون ، وهي قراءة ثابتة في السبعة ، قال
أبو حيان في البحر المحيط ٦١/٦ : « وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (خسف) و (أرسل) و (أن نجيدكم) » و (فرسل)
و (فغرقكم) ، حسبها بالنون . وبأبي السبعة ياء التثنية » .
- (٣) سورة القمر ، آية : ٣٤ .
- (٤) في الأصل من طون ، وليست آية . ولعله يعني آية التاويات ٣٣ : « نرسل عليهم حجارة من طين » أو آية هود ٨٢ :
« وأمطرنا عليها حجارة من سجيل » ، أو آية الحجر ٧٤ : « وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » .
- (٥) سورة الملك ، آية : ١٦ ، ١٧ .
- (٦) تفسير الطبري : ٨٥/١٥ .
- (٧) سورة التين ، آية ٤ .

أربع ، وبأكل بقمه - وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً ، يفقه بذلك كله ويتشبع به ، ويشرق بين الأشياء ، ويعرف منافعه وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية :

(وحملناهم في البر) ، أى : على الدواب من الأتنام والحيل والبغال ، (وفي البحر) أيضاً على السفن الكبار والصغرى (ورزقناهم من الطيات) ، أى : من زروع وثمار ، ولحوم وألبان ، من سائر أنواع الطعوم والألوان ، المشتهية اللذيذة ، والمتناظر الحسنة ، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع ، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها ، مما يصنعونه لأنفسهم ، وينجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والتواحي :

(وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) ، أى : من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات .

وقد استدل بهذه الآية على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة ، قال عبد الرزاق :

أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قالت للملائكة : ياربنا ، إنك أعطيت بنى آدم الدنيا ، يأكلون منها ويتعمون ، ولم تعطنا ذلك فأعطاه في الآخرة . فقال الله : وعزى وجلالى لا أجعل صالح ذرية من خلقت ييئى ، كمن قلت له : كن ، فكان .

وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روى من وجه آخر متصلاً

وقال الحافظ أبو التماس الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ، حدثنا حجاج بن محمد . حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة قالت : ياربنا ، أعطيت بنى آدم الدنيا ، يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ، ونحن نسيح محمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فأجعل لنا الآخرة . قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقت ييئى ، كمن قلت له : كن ، فكان » ،

وقد روى ابن عساکر من طريق محمد بن أيوب الرازي ، حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علق ، سمعت عروة بن رُويم اللخمي ، حدثني أنس ابن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة قالوا : ربنا ، خلقتنا وخلقنا بنى آدم ، فجعلتهم يأكلون الطعام ، ويشربون الشراب ، ويلبسون الثياب ، ويتزوجون النساء ، ويكرمون الدواب ، ينامون ويسرعون ، ولم نجعل لنا من ذلك شيئاً فأجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة . فقال الله عز وجل : لا أجعل من خلقت ييئى ، ونسخت فيه من روحي ، كمن قلت له : كن ، فكان »

وقال الطبراني : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا عمر بن سهل ، حدثنا عبيد الله بن تمام ، عن خالد الحذاء ، عن بشر بن شفاف عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شيء أكرم حل الله يوم القيامة من ابن آدم . قيل : يارسول الله ، ولا الملائكة ؟ قال : ولا الملائكة ، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر » ، وهذا حديث غريب جداً .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِيَّ كِتَابُهُ رَبِّمَنِيهِ ۖ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۚ
وَمَنْ كَانَ فِي مِلَّةٍ غَيْرِي فَأَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

غير تبارك وتعالى عن يوم القيامة : أنه يحاسب كل أمة بإمامهم .
وقد اختلفوا في ذلك ، فقال مجاهد وقطادة : أى بينهم . وهذا كقولهم : (لكل أمة رسول ، فإذا جاء رسولهم
قضى بينهم بالقيسط وهم لا يظلمون) (١) .
وقال بعض السلف : هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث ، لأن إمامهم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن زيد : يكتايبهم التي أنزل على نبيهم ، من التشريع .
واختره ابن جرير ، وروى عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد أنه قال : يكتبهم (٢) . فيحتمل أن يكون أراد هذا ،
وأن يكون أراد ما رواه الموق في ابن عباس في قوله : (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) ، أى : يكتايب أممهم ،
وكذا قال أبو العالية ، والحسن ، والضحك . وهذا القول هو الأرجح ، لقوله تعالى : (وكل شيء أحصيناه في إمام
مبين) (٣) . وقال تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون : يا ويلتنا . ما لهذا الكتاب
لا يفاد صغرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ركب شيئاً) (٤) .
وقال تعالى : (وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم يحزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق

عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) (٥)
وهذا لا ينال أن يسجد بالنبي إذا حكم الله بين أمته ، فإنه لا بد أن يكون شاهداً عليها بأعمالها ، كما قال : (وأشرقت
الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب ، وحي بالنتين والشهادة) (٦) ، وقال : (فكيف إذا جثنا من كل أمة بشهيد
وجثنا بك على هؤلاء شهداء) (٧) .

ولكن المراد هاهنا بالإمام هو : كتاب الأعمال ، ولهذا قال تعالى : (يوم ندعو كل أناس بإمامهم ، فمن أوتى كتابه
ييمينه فأولئك يقرعون كتابهم) ، أى : من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح ، يقرؤه ويحب قراءته ، كما قال
تعالى : (فأما من أوتى كتابه ييمينه فيقول : هاؤم اقروا كتابيه . إني ظننت أننى ملاق حسابه) إلى أن قال : (وأما
من أوتى كتابه بشماله فيقول : ياليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابه) (٨) .

وقوله : (ولا يظلمون شيئاً) ، قد تقدم (٩) أن « التثنية » هو الخط المستطيل في شق النواة ،

(١) سورة يونس ، آية : ٤٧ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٨/١٥ .

(٣) سورة « يس » ، آية : ١٢ .

(٤) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٨ ، ٢٩ .

(٦) سورة الزمر آية : ٦٩ .

(٧) سورة النساء آية : ٤١ .

(٨) سورة الحاقة ، الآيات : ١٩ - ٢٦ .

(٩) ينظر تفسير الآية ٤٩ من سورة النساء : ٢٩٢/٢ .

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً في هذا فقال : حدثنا محمد بن يعمر ، وعبد بن عثمان بن كرامة قالا : حدثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله : (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) قال : يدعى أحدهم فيُعطى كتابه يمينه ، ويمدّ له في جسمه ، ويُبَيِّضُ وجهه ، ويَجْعَلُ على رأسه تاج من لؤلؤة تتلألأ ، فيُطْلَقُ إلى أصحابه فيروته من بعيد ، فيقولون : اللهم [اتنا] (١) بهذا ، وبارك لنا في هذا . فيأتيتهم فيقول لهم : أبشروا ، فإن لكل رجل منكم مثل هذا . وأما الكافر فيُسَوِّدُ وجهه ، ويمدّ له في جسمه ، ويراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من هذا - أو : من شر هذا - اللهم لا تأتنا به : فيأتيهم فيقولون : اللهم اخره . فيقول : أبعدكم الله . - فإن لكل رجل منكم مثل هذا (٢) .

ثم قال البزار : لا يروى إلا من هذا الوجه .

وقوله : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : (ومن كان في هذه) ، أى : في الحياة الدنيا (أعمى) من حجب الله وآياته وبيئاته ، (فهو في الآخرة أعمى) ، أى : كذلك يكون ، (وأضل سبيلاً) ، أى : وأضل منه ، كما كان في الدنيا ، حياذاً بالله من ذلك ،

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِينَ أُوحِيَ إِلَيْكَ لَتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلاً ﴿١٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرَكُنَّ الْيَسِمَ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِذَا لَا ذِفْنَكَ ضَعْفَ الْحَبْوَةِ وَضَعْفَ الْمَمَاعِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴿١٢﴾

يُخبر تعالى عن تأييد رسوله - صلوات الله عليه وسلامه - وتبليغه ، وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالى هو المتولى أمره ونصره ، وأنه لا يتركه إلى أحد من خلقه ، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظهره ، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه ، في مشارق الأرض ومغاربها ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٣﴾ مُسِنَّةً مِنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِنُسُتِنَا مَحْوِيلاً ﴿١٤﴾

قيل : نزلت في اليهود ، إذ أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسكنى بلاد الأنبياء ، وترك سكنى المدينة ، وهذا القول ضعيف ، لأن هذه الآية مكية ، وسكنى المدينة بعد ذلك .

(١) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، والترمذي . ومكانه في المخطوطة : أمريتنا .

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٩٤/٤ عن الترمذي ، والبزار ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، وإسحاق ، وابن مردويه ، كلهم عن أبي هريرة .

هذا وقد أخرج الترمذي هذا الحديث عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن موسى ، بإسناده . وقال : هذا حديث حسن صحيح . ينظر نسخة الأصفهاني ، تفسير سورة بني إسرائيل ، الحديث ١٤٤ : ٨٠٧٠ - ٥٧٢ .

وقيل : إنها نزلت بنبوك : وفي صته نظر .

قال البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار المعتكفي ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الحميد ابن هرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم : إن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بهالوا ، يا أبا القاسم ، إن كنت صادقاً أنك نبي ، فالحق بالشام ، فإن الشام أرض المشرق وأرض الأنبياء . فصدق ما قالوا ، ففرا غروة تبوك ، لا يريد إلا الشام . فلما بلغ تبوك ، أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما نحت السورة : (وإن كادوا يستفتونك من الأرض ليخرجوك منها) إلى قوله ، (تحيلاً) ، فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها عيبك ومهلك ، ومنها تبث .

وفي هذا الاستاد نظر : والأظهر أن هذا ليس بصحيح ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفر تبوك عن قول اليهود ، إنما غرلها امتناعاً لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) (١) ، وقوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين آوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (٢) . وغرلها ليقص ويقتصر عن قتل أهل موته ، من أصحابه ، والله أعلم . ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم ، عن حفص بن محمد ، عن سفيان بن عمار ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة : مكة ، والمدينة ، والشام » قال الوليد : يعني بيت المقدس . وتفسير الشام بنبوك أحسن مما قال الوليد : إنه بيت المقدس . والله أعلم .

وقيل : نزلت في كفار قريش ، هوذا يخرج الرسول من بين أظهرهم ، فهو علم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً . وكذلك وقع ، فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم ، بعدما اشتد أذاهم له ، إلا سنة ونصف . حتى جمعهم الله وإياه بدر على غير ميدان ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرفهم ، وصبي سرائهم . ولهذا قال : (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) ، أي : هكذا حدثنا في الذين كفروا برسولنا وأذوهم : يخرج الرسول من بين أظهرهم ، ويأتيهم العذاب . ولولا أنه عليه السلام رسول الرحمة ، لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به . ولهذا قال تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معهم وهم يستفرون) (٣) .

أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُنْكَ أَتَشْمِسُ لَكَ غَسَقُ اللَّيْلِ وَقُرْءَانُ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٣٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ

فَتَسْبُحُهُ ۖ هَـ نَافِلَةٌ لِّكَ عَبَسَ أَنْ يَبَينَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٣٩﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها : (أقم الصلاة لدنوك الشمس) ، قبل لغروبها . قاله ابن مسعود ، وجاهد ، وابن زيد .

وقال هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن ابن عباس : (دنوكها) : زوالها . (٤) ورواه تافع ، عن ابن عمر . ورواه مالك في تفسيره ، عن الزهري ، عن ابن عمر . وقاله أبو بزة الأسلمي وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود ،

(١) سورة التوبة : آية : ١٢٣ .

(٢) سورة التوبة : آية : ٢٩ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٣٣ .

(٤) تفسير الطبري : ٩١/١٥ .

وجاهد : وبه قال الحسن ، والفحاح ، وأبو جعفر الباقر ، وقاعدة : واختاره ابن جرير ، وما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد ، عن الحكم بن بشير ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن ابن أبي ليلى ، [عن رجل] عن جابر بن عبد الله قال : دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عتلى ، ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اخرج يا أبا بكر ، فهنا حين دلت الشمس (١) ،

ثم رواه عن سهل بن بكر ، عن أبي حوالة ، عن الأسود بن قيس ، عن نعيم المزي ، عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحوه . فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلاة الخمسة فن قوله : (لدلوك الشمس إلى ضيق الليل) - وهو : ظلامه ، وقيل : غروب الشمس - أخذ منه الظهور والنصر والغرب والمشاء ، وقوله : (وقرآن الفجر) ، يعني : صلاة الفجر .

وقد ثبت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواترا من أقواله وأفعاله ، بضاميل هذه الأوقات ، عمل ما عليه عمل أهل الإسلام اليوم ، مما تلقوه خلفا عن سلف ، وقرنا بعد قرن ، كما هو مقرر في مواضعه ، والله اعلم .

(إن قرآن الفجر كان مشهوداً) ، قال الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود - وعن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) ، قال : تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار (٢) .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة - وسعيد ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر - ويقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - وحدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً) قال : تشهد ملائكة الليل ، وملائكة النهار (٤) .

ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، ثلاثتهم عن أسباط بن محمد ، عن أبيه ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح (٥) .

وفي لفظ في الصحيحين ، عن طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيخرج

(١) تفسير الطبري : ٩٣/١٥ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٤/١٥ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة بني إسرائيل : ١٠٨/٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٧٤/٢ .

(٥) تحفة الأحرفي ، تفسير سورة بني إسرائيل ، الحديث ٥١٤٢ : ٥٦٩/٨ ، ٥٧٠ . وسن ابن ماجه ، كتاب الصلاة ، باب : وقت صلاة الفجر ، الحديث : ٦٧٠ : ٢٢٠/١ .

الذين باتوا فيكم فيسلم - وهو أعلم بكم - : كيف تركتم حياتي؟ فيقولون : أتيناكم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون ، (١) »

وقال عبد الله بن مسعود : يجتمع الحرسان في صلاة الفجر ، فيصعد هؤلاء ويقعد هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وثقافة ، وغير واحد في تفسير هذه الآية :

وأما الحديث الذي رواه ابن جرير هاتنا - من حديث الليث بن سعد ، عن زيادة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي النضر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديث التزول وأنه تعالى يقول : « من يستعصرني أغفر له ، من يسألني أعطه ، من يدعني فاستجب له حتى [يطلع] الصبح » . فلذلك يقول : (وقرآن التجر إن قرآن التجر كان مشهوراً) ، فيشهد الله ، وملائكة الليل ، وملائكة النهار (٢) - فإنه تفرد به زيادة ، وله بهذا حديث في سنن أبي داود .

وقوله : (ومن الليل تهجد به نافلة لك) : أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة ، كما ورد في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : صلاة الليل (٣) .

ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل ، فإن « التهجد » : ما كان بعد نوم . قاله حلقة (٤) ، والأسود ، وإبراهيم النخعي ، وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب . وكذلك ثبت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان يتهجد بعد نومه ، عن ابن عباس ، وحاشة ، وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم ، كما هو مبسوط في موضعه ، والله الحمد والمآلة .

وقال الحسن البصري : هو ما كان بعد المشاء . ويجعل على ما بعد النوم .

واختلف في معنى قوله : (نافلة لك) ، فقيل : معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحلك ، فاجعلوا قيام الليل واجباً في حقك دون الأمة . رواه العري عن ابن عباس ، وهو أحد قولي العلماء ، وأحد قولي الشافعي رحمه الله ، واختاره ابن جرير .

وقيل : إنما جعل قيام الليل في حق نافلة على الخصوص ، لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل للذنوب التي عليه ، قاله (٥) مجاهد ، وهو في المسند عن أبي أمامة الباهلي ، رضي الله عنه (٦) .

(١) البخاري ، كتاب الموائت ، باب « فضل صلاة العصر » : ١٤٥/١ ، ١٤٦ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « فضل صلاة الصبح والعصر والمحافظة عليهما » : ١١٣/٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٤/١٥ .

(٣) مسلم ، كتاب الصوم ، باب « فضل صوم المحرم » : ١٦٨/٣ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٦/١٥ .

(٥) في المخطوطة : « قل » . وأثر مجاهد - كما في تفسير الطبري ٩٦/١٥ - : « النافلة لئني صلى الله عليه وسلم خاصة » من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، (١) حل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة ، من أجل أنه لا يصل ذلك في كفارة للذنوب ، فهي نوافل وزائدة . والثاني يصلون ما سوى المكتوبة للفرحهم في كفارتها . فلهست للناس نوافل » .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٥٥/٥ ، ٢٥٦ .

وقوله : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) ، أى : أفضل هذا الذى أمرك به ، لتقيمك يوم القيامة مقاما محمودا فيه الخلاق كلهم وخلائقهم ، تبارك وتعالى .

قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذى يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة الشفاعة للناس ، ليرحمهم رحمة من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن صليبة بن ذؤنر ، عن حذيفة قال : يجمع الناس في صعيد واحد ، يسمعون الداعي وينفذهم البصر ، حفاة صرّاة كما خلقوا [قياما] ، لا تكلم نفس إلا بإذنه ، ينادى بأعمد ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك ، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانه رب البيت . فهذا المقام المحمود الذى ذكره الله عز وجل (١) .

ثم رواه عن بندار (٢) ، عن غندر ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، به : وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري ، عن أبي إسحاق ، به (٣) .

وقال ابن عباس : هذا المقام المحمود مقام الشفاعة . وكذا قال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد - وقاله الحسن البصري .

وقال قتادة : هو أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذى قال الله : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) .

قلت : لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، تشريفات لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد ، فهو أول من تنشق عنه الأرض ، ويبعث راجعا إلى الخضر ، وله اللواء الذى آدم من دونه تحت لوائه ، وله الخضرى الذى ليس في الوقت أكثر وأردأ منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله لىأتى انفصل القضاء بين الخلائق ، وذلك بعد ما سأل الناس آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ، فكل يقول : « لست لها » ، حتى يأتوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : « أنا لها ، أنا لها » ، كما ستذكر ذلك مفصلا في هذا الموضع إن شاء الله تعالى . ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أُمِر بهم إلى النار ، فرددون عنها . وهو أول الأنبياء يقضى بين أمته ، وأولهم إجازة على الصراط بأمره . وهو أول شفيع في الجنة ، كما ثبت في صحيح مسلم . وفي حديث الصور : أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته . وهو أول داخل إليها وأمرته قبل الأمم كلهم . ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم . وهو صاحب الوسيلة التى هى أعلى منزلة في الجنة ، لاتبليق إلا له . وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فيشفع هو في خلائق لا يتعلم عنهم إلا الله ، ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك . وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب « السيرة » في باب الخصائص ، والله الحمد والمنة .

(١) تفسير الطبري : ٩٧/١٥ .

(٢) الرواية الثالثة - كما في تفسير الطبري ٩٧/١٥ - عن محمد بن الحنفى ، عن محمد بن جعفر ، وبندار ، هو محمد

ابن بشار ، وغندر هو : محمد بن جعفر .

(٣) تفسير الطبري : ٩٨/١٥ .

ولذلك الآن الأحاديث الواردة في المقام المحمود ، وبالله المستعان ، قال البخاري :

حدثنا إسماعيل بن أبيان ، حدثنا أبو الأحوص ، عن آدم بن علي ، سمعت ابن عمر [يقول] : إن الناس يصومون يوم القيامة جئاً ، كل أمة تتبع نبيا ، يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعث الله مقاما محموداً (١) .

ورواه حمزة بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن جرير : حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا شعيب بن الليث ، حدثني الليث ، عن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال : سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس لتدنو حتى يبلغ المرقع نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استنابوا بآدم ، فيقول : لست صاحب ذلك ، ثم موسى فيقول كذلك ، ثم محمد فيشفع بين الخلق ، فيمضي حتى يأخذ بحلق باب الجنة ، فيومثل ببعثه الله مقاما محموداً (٢) .

وهكذا رواه البخاري في « الزكاة » عن يحيى بن بكير وعبد الله بن صالح (٣) ، كلاهما عن الليث بن سعد ، به : وزاد : « فيومثل بعث الله مقاما محموداً ، يحمد أهل الجمع كلهم (٤) » .

قال البخاري : وحدثنا علي بن عتيق ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم ، رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته - حلت له شفاعتي يوم القيامة (٥) » . انفراد به دون مسلم .

• • •

حديث أبي ، وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي كعب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة ، كنت إمام الأنبياء وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم غير فخر (٦) » .

وأخرجه الترمذي ، عن حديث أبي عامر عبد الملك بن عمرو العنكبي ، وقال : « حسن صحيح » . وابن ماجه ، عن حديث عبد الله بن محمد بن عقيل (٧) . به . وقد قدمت في حديث « أبي بن كعب » في قراءة القرآن على سبعة أحرف ،

(١) البخاري ، تفسير سورة بني إسرائيل : ١٠٨/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٨/١٥ .

(٣) للفظ صلوة الأجر : « عن يحيى بن بكير وعلقمة بن عبد الله بن صالح » . ولم نجد علقمة هذا . والمثبت من صحيح البخاري ، وعبد الله بن صالح هذا هو أبو صالح الجبلي المصري ، كاتب الليث . ينظر التلخيص : ٢١٦/٥ .

(٤) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب « من سأل الناس تكشيراً » : ١٥٣/٢ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة بني إسرائيل : ١٠٨/٦ .

(٦) سنن الإمام أحمد : ١٣٧/٥ .

(٧) تحفة الأحوسى ، أبواب المناقب ، الحديث ٣١٩٢ : ٨١/١٠ وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « ذكر الشفاعة » ، الحديث ٤٣١٤ : ١٤٤٢/٢ .

قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم في آخره : فقلت : اللهم ، اغفر لأمي ، اللهم اغفر لأمي ، وأخبرت الثالثة ليوم يَرْحَبُ إلى فيه الخلق ، حتى لإبراهيم عليه السلام (١) .

• • •

حديث أنس بن مالك ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا سعيد بن أبي عتوبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجتمع للمؤمنون يوم القيامة ، فيلهمون ذلك فيقولون : لو استشفعنا على ربنا ، فأرحنا من مكاننا هذا . فيأتون آدم فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، وأمسك لك ملائكة ، وعلمك أسماء كل شيء » ، فاشفع لنا إلى ربك (٢) . حتى يرحبنا من مكاننا هذا . فيقول لهم آدم : « لست هناكم » ، ويذكر ذنبه الذي أصاب ، فيستحي ربه عز وجل من ذلك ، ويقول : ولكن اتوا نوحا ، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول : « لست هناكم » ، ويذكر خطيئة (٣) سؤاله ربه ما ليس له به علم ، فيستحي ربه من ذلك ، ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأثرونه فيقول : « لست هناكم » ، ولكن اتوا موسى ، عبدا كلمه الله ، وأعطاه التوراة . فيأتون موسى فيقول : « لست هناكم » ، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس ، فيستحي ربه من ذلك ، ولكن اتوا عيسى عبدا لله ورسوله ، وكلمته وروحه . فيأتون عيسى فيقول : « لست هناكم » ، ولكن اتوا محمدا عبدا لله [الله] له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتوني — قال الحسن هذا الحرف : « فأقوم فأمشي بين سباطين (٤) من المؤمنين » — قال أنس : حتى أستاذن على ربي ، فإذا رأيت ربي وقعت له — أو : خَرَرْتُ — ساجدا لربي ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني — قال : ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه : فأرفع رامي ، فأحمده بتحميد يُعَلِّمُنِيهِ ، ثم أشفع فيحذل حدا ، فأدخلهم الجنة . ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت — أو خَرَرْتُ — ساجدا لربي ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني : ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رامي فأحمده بتحميد يُعَلِّمُنِيهِ ، ثم أشفع فيحذل حدا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أعود في الثالثة ، فإذا رأيت ربي وقعت — أو : خَرَرْتُ — ساجدا لربي ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رامي فأحمده بتحميد يُعَلِّمُنِيهِ ، ثم أشفع فيحذل حدا فأدخلهم الجنة . ثم أعود في الرابعة فأقول : يارب ، ما بقي إلا من حبسه القرآن — فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فيخرج من النار من قال : « لا إله إلا الله » ، وكان في قلبه من الخير مايزن شجرة ، ثم يخرج من النار من قال : « لا إله إلا الله » ، وكان في قلبه من الخير مايزن برّة . ثم يخرج من النار من قال « لا إله إلا الله » ، وكان في قلبه من الخير مايزن ذرة » (٥)

أخرجنا من حديث سعيد ، به (٦) . وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بطوله (٧) .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٢٧٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) لفظ المسند : « فاشفع لنا إلى ربنا عز وجل يرحبنا » .

(٣) لفظ المسند : « ويذكر لهم خطيئته وسؤأله ... » .

(٤) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٣٧٤/٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١١٦/٣ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة البقرة : ٢١/٦ ، ٢٢ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « أدنى أهل الجنة منزلة » : ١٢٥/١ .

وقد تقدم الحديث في سورة البقرة : ١٠٤/١ ، ١٠٥ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٧٤٤/٣ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري ، عن النضر بن أنس ، عن أنس قال : حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني لقائم أنتظر أمي تبر الصراط ، إذ جاني عيسى عليه السلام فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد ، يسألون - أو قال : يجتمعون إليك - ويكذِّعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله ، لحقَّ ما هم فيه ، فأنطق مُلجَمُونَ (١) بالعرق - فأما للؤمن فهو عليه كازْكَمَة ، وأما الكافر فيعشاه الموت - فقال (٢) : أنتظر حتى أرجع إليك . فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش ، فلقي مالم يلق منك مصطفي ولا نبي مرسل : فأوحى الله عز وجل إلى جبريل : أن اذهب إلى محمد ، وقل له : « ارفع رأسك ، وصل طعنه ، واشفع تشفع » : فشفت في أمي : أن أخرج من كل سمعوتسمين إسانا واحداً . فما زلت أتردد إلى ربِّي عز وجل ، فلا أقوم منه مقاماً إلا شفت ، حتى أعطاني الله من ذلك ، أن قال : يا محمد ، أدْخِلْ [من أمتك] من خلقت الله عز وجل منْ شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً خلاصاً ، ومات على ذلك (٣) .

• • •

حديث بريدة رضي الله عنه ، قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا الأسود بن عامر ، أخبرنا أبو إسرائيل ، عن الحارث بن حصيرة ، عن ابن بريدة ، عن أبيه : أنه دخل على معاوية ، فإذا رجل يتكلم ، فقال بريدة : يا معاوية ، تأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم - وهو يرى أنه يتكلم بمثل ما قال الآخر - فقال بريدة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة حنَّاء ماحلي الأرض من شجرة ومدرة (٤) . قال : أخرجوها (٥) أنت يا معاوية ، ولا يرجوها على رضي الله عنه ؟ ! (٦) .

• • •

حديث ابن مسعود ، قال الإمام أحمد : حدثنا حارم بن (٧) الفضل ، حدثنا سميد بن زيد ، حدثنا علي بن الحكم البُشَافِي ، عن عثمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : جاء ابننا مَسِيكَة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا : « إِنْ أَمْسَأَ [كانت] (٨) تكرم الزوج ، وتطف على الولد قال : وذكر الضيف - غير أنها كانت وأدت في الجاهلية ؟ فقال : أمكنا في النار : قال : فأديرا والسوء (٩) يرى في وجوههما ، فأمر بهما فرداً ، فرجما

(١) تقدم تفسير هذه الكلمة في ٤ : ٣٩٩ .

(٢) لفظ المست : « فيعشاه الموت » قال قال : عيسى ، أنتظر ... » .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣ : ١٧٨ .

(٤) المعر - يتخمين - : قطع الطين اليابس واحد - مدرة .

(٥) في المخطوطة : « فخرجوها » . دون هزة الاستفهام . والميتة هي مسند الإمام أحمد .

(٦) مسند الإمام أحمد ٥ : ٣٤٧ .

(٧) في المخطوطة : « حدثنا حارم بن الفضل ، حدثنا سميد بن زيد ، حدثنا علي بن الحكم البُشَافِي ، عن عثمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : جاء ابننا مَسِيكَة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا : « إِنْ أَمْسَأَ [كانت] (٨) تكرم الزوج ، وتطف على الولد قال : وذكر الضيف - غير أنها كانت وأدت في الجاهلية ؟ فقال : أمكنا في النار : قال : فأديرا والسوء (٩) يرى في وجوههما ، فأمر بهما فرداً ، فرجما » . وفي مسند الإمام أحمد ط الحلي : « حدثنا حارم بن الفضل ، حدثنا أبو سميد ، حدثنا ابن زيد ، وكلاهما خطأ . والميتة من الميتة ط دار المأوى ، تحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، الحديث ٣٧٨٧ : ٢٩٧/٥ . وقد نفي ما وقع من اللحن في ط الحلي . وينظر التباين ٩٠٢/٩ ، ترجمة حارم ، وهو : محمد بن الفضل ، فهو يروي عن سميد بن زيد بن حوهم .

(٨) ما بين القوسين من المسند .

(٩) في المسند : « والله » .

والسرور يرى في وجوههما ؛ رجاء أن يكون قد حدث شيء ، قال : أبي مع أمكا : فقال وجل من المنافقين : وما يغني هذا عن أمه شيئا ! ونحن نعلم حقيقته . فقال رجل من الأنصار — ولم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه — يا رسول الله ، هل وعلك ذلك فيها أو فيها ؟ قال : فظن أنه من شيء قد سمعه ، قال : ما سألتك (١) ربى ، وما أطمعني فيه ، وإنى لأقوم المقام المحمود يوم القيامة . فقال الأنصارى : يا رسول الله ، وما ذلك للمقام المحمود ؟ قال : ذاك إذا جئ به بكم حفاة حفاة غرلا (٢) ، فيكون أول من يكسى لإبراهيم عليه السلام ، فيقول : اكسوا خليلي فيوثق بربطتين (٣) يعضاوين ، فيلبسهما ثم يقعد على مستقبل العرش ، ثم أوثق بكسوتي فألبسها ، فأقوم عن عيته مقاما لا يقومه أحد ، فيقبطني (٤) فيه الأولون والآخرون . ويفتح نهر (٥) من الكوثر إلى الحوض . فقال المناقون : إنه ما جرى ماء قط إلا على حال أو رضر (٦) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حاله المسك ، وضراره التثوم (٧) . [قال المناق : لم أسمع كاليوم . قلنا جرى ماء قط على حال أو رضر ، إلا كان له نبتة . فقال الأنصارى : يا رسول الله ، هل له نبت ؟ قال : نعم ، قضبان الذهب (٨)] . قال المناق : لم أسمع كاليوم ، فإنه قلما ينبت قضيب إلا أورق ، وإلا كان له ثمر ! قال الأنصارى : يا رسول الله ، هل له ثمرة (٩) ؟ قال : نعم ، ألوان الجهر ، وماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، من شرب منه شربة (١٠) لا يظمأ بعدها ، ومن حرمه لم يبرؤ بعده (١١) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه ، عن أبي الزهراء ، عن عبد الله قال : ثم يأتى الله عز وجل في الشفاعة ، فيقوم روح القدس جبريل ، ثم يقوم إبراهيم خليل الله ، ثم يقوم هيسى أو موسى — قال أبو الزهراء — لا أدري أيهما — قال : ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم رابعا ، فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفّع ، وهو المقام المحمود الذى قال الله عز وجل : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) .

• • •

حدث كعب بن مالك رضى الله عنه ، قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثني محمد بن حبيب ، عن حدثنا الزبيدى ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله [بن كعب] بن مالك ، عن كعب بن مالك أن رسول الله

(١) في المخطوطة : « وما شاء الله ربى » . واللهيت عن المسند .

(٢) تقدم تفسير هذه الكلمة في ٢٢٨/٣ .

(٣) تقدم تفسير هذه الكلمة في ٤١٨/٤ .

(٤) لفظ المسند : « لا يقوم أحد غيره ، يفيطني به » .

(٥) في المخطوطة : « ويخرج لهم من الكوثر » . والمثبت عن المسند .

(٦) تقدم تفسير « الحال » في ٢٢٧/٤ ، وأما الرضر فمفعول المصراع .

(٧) التوم — يعض التواء — العذر .

(٨) ما بين التورسين عن مسند الإمام أحمد .

(٩) لفظ المسند : « حل له من ثمر » .

(١٠) لفظ المسند : « إن من شرب منه مشربا » .

(١١) مسند الإمام أحمد ٣٩٨/٩ ، ٣٩٩ .

صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأنتى على تل ويكسوفى ربي عز وجل حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك للقام المأمود (١) » .

• • •

حديث أبي الدرداء رضى الله عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه ، فانتظر إلى ما بين يدي ، فأعرف أمتي من بين الأمم ، ومن خلفي مثل ذلك ، وعن يميني مثل ذلك ، وعن شمالي مثل ذلك . فقال رجل : يا رسول الله ، كيف تعرف أمتك من بين الأمم ، فيا بين نوح إلى أمك ؟ قال : « هم عتر (٢) مُحَجَّلُونَ ، من أثر الوضوء ، ليس أحد كلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيامهم ، وأعرفهم نسي بين أيديهم ذريتهم (٣) » .

• • •

حديث أبي هريرة رضى الله عنه : قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا أبو حبيبان ، حدثنا أبو زهرة بن عروة بن جابر ، عن أبي هريرة قال : أنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهم ، فَرُفِعَ إليه الدراع - وكانت تعبته - فَتَنَسَّ (٤) منها نَهْشَةً ، ثم قال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مِمَّ ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يُسَبِّحُهُمُ الداهي وَيُضَلِّهُمُ (٥) البصر ، ولدنون الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يظفون ولا يحتملون ؟ فيقول بعض الناس لبعض : [ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم ، ألا تنتظرون من يشفع لكم إلى ربكم عز وجل ؟ فيقول بعض الناس (٦) لبعض] : أبوكم آدم !

فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعدي مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعميتُهُ ! نفسى ، نفسى ، نفسى ! انهبروا إلى غبرى ، انهبروا إلى نوح =

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وميك الله هبداً شكروا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعدي مثله ، وإنه كانت لي دعوة على قومى : نفسى ، نفسى ، نفسى ! انهبروا إلى غبرى ، انهبروا إلى إبراهيم .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٠٦/٣ . وما بين القوسين منه .

(٢) نفسى . تفسير : الفرائدين ، ق : ٤٥٢/٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٩٩/٥ .

(٤) أى : أعطى بمقدم أسنانه سباً .

(٥) تقدم تفسير هذه الكلمة ق : ٤٧٨/٤ .

(٦) ما بين القوسين سقط من النسخة ، والمكتبة عن المسند .

فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ، أنت نبى الله وخليفه من أهل الأرض ، [اشفع لنا إلى ربك] (١) ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول : إن ربى قد غشيب اليوم غُشْباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، فذكر كذبكم (٢) . نفسى ، نفسى ، نفسى ! [اذهبوا إلى خيرى] (٣) ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله ، اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لم موسى : إن ربى قد غشيب اليوم غُشْباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها . نفسى ، نفسى ، نفسى ! اذهبوا إلى خيرى ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله ، وكلمته أتناها إلى مريم ، وروح منه ، قال : هكذا هو ، وكلمت الناس فى المهد ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لم عيسى : إن ربى قد غشيب اليوم غُشْباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، اذهبوا إلى خيرى . اذهبوا إلى محمد .

فيأتون فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، ونعمت الأنبياء ، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فألقى تحت العرش ، فألق سجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على ، ويكلمنى من عمامه وحسن اللثام عليه ما لم يفتح على أحد قبل . فيقال : يا محمد ، لو لم يرسلك ، ولم يعطه ، واشفع تُشَفِّع . فأقول : يارب ، أمتى أمتى . يارب ، أمتى أمتى . يارب ، أمتى أمتى ! فيقال : يا محمد ، أذْخِلْ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيها سواء من الأبواب . ثم قال : والذى نفس محمد بيده لمتما بين مصرعين من مصارع الجنة كما بين مكة وجهنم (٤) ، لو كما بين مكة ويصُرى (٥) لخرجاه فى الصحيحين (٥) .

وقال مسلم رحمه الله : حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا هُشَلُّ بْنُ زِيَاد ، عن الأوزاعي ، حدثني أبو حمزة ، حدثني عبد الله بن قُتَيْبَةَ ، حدثني أبو خزيمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مُشَفِّع » (٦) .

(١) ما بين التوسين من المسند .

(٢) كذباته ، أى قوله لقومه (إلى متى) . وقوله : (بل فعله كبيرهم) . وقوله لفرعون من امر الله : « إني أمتى » . ولكل منها خرج معقول عنه العلماء .

(٣) هجر : مدينة هى قاعدة البحرين . وقيل : ناسية البحرين كلها هجر . وقيل : الهجر بـ هـ أى : لفظ البشارى : « ما بين مكة وحجير » . وما فى مسلم مثل المسند .

وأما « يصرى » - بضم فسكون - فهى نصبة كورة حوران بالشام ، وهى التى وصل إليها النبى صلى الله عليه وسلم للتجارة .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٣٥/٢ ، ٤٣٦ .

(٥) البخارى ، تفسير سورة بنى إسرائيل : ١٠٥/٦ - ١٠٧ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها : ١٢٧/١ - ١٢٩ .

(٦) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب تفصيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق : ٥٩/٧ .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن داود بن يزيد الزعفراني ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) ، سئل عنها فقال : هي الشفاعة (١) .

رواه الإمام أحمد عن وكيع وعبد (٢) بن صبيد ، عن داود ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) ، قال : هو للمقام الذي أشفع لأمتي فيه (٣) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة ، مد الله الأرض مدّة الأدم ، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قلعه - قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأكون أول من يدعى ، وجبريل من بين الرحمن ، والله ما وآله قبلها ، فأقول : ربّ ، هذا أخبرني أنك أرسلته إلى فيقول الله تبارك وتعالى : صدق ، ثم أشفع . فأقول : يا رب ، عباده عبدوك في أطراف الأرض . قال : فهو المقام المحمود (٤) » : وهذا حديث مرسل :

وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقِي وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقِي وَأَجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٥٠﴾ وَقُلْ جَاءَ لِي الْحَقُّ وَوَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٥١﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالمهاجرة ، فأنزله الله : (وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لئلك سلطاناً نصيراً (٥)) .

وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما اتهموا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه ، وأراد الله تعالى أهل مكة ، فأمره أن يخرج إلى المدينة ، فهو الذي قال الله عز وجل : (وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق (٦)) .

وقال قتادة : (وقل رب ادخلني مدخل صدق) ، يعني المدينة ، (وأخرجني مخرج صدق) ، يعني مكة (٧) .

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : وهذا القول هو أشهر الأقوال .

وقال العوفي عن ابن عباس : (ادخلني مدخل صدق) ، يعني الموت ، (وأخرجني مخرج صدق) ، يعني الحياة بعد الموت : وقيل غير ذلك من الأقوال (٧) : والأول أصح ، وهو اختيار ابن جرير .

(١) تفسير الطبري : ٩٨/١٥ .

(٢) في المخطوطة : « عن وكيع عن محمد بن حبيب » . ورواية الإمام أحمد عن محمد بن حبيب عن أبيه . ولم تقع لنا روايته عن وكيع .

(٣) رواية الإمام أحمد عن محمد بن حبيب في المسند : ٤٤١/٢ ، ٥٢٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٩/١٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٢٣/١ .

(٦) تفسير الطبري : ١٠٠/١٥ ، ١٠١ .

(٧) تفسير الطبري : ١٠١/١٥ .

وقوله : (واجعل لى من لذك سلطاناً نصيراً) — قال الحسن البصرى فى تفسيرها : وعلمه وبه ليرى من ملك فارس ، وعز فارس ، ولجعلته له ، وملك الروم ، وعز الروم ، ولجعلته له : وقال قتادة فيها : إن نبى الله صلى الله عليه وسلم ، علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله وخلقوه الله ولترافى الله وإقامة دين الله ، فإن السلطان رحمة من الله جلله بين أظهر عباده ، أولاً ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدتهم ضيقهم (١) .

وقال مجاهد : (سلطاناً نصيراً) : حجة بينة .

واختار ابن جرير قول الحسن و قتادة ، وهو الأرجح ، لأنه لا يدع مع الحق من قهر ابن عاداه وتاواه ، ولهذا قال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأتزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، ولعلم المقمن ينصره ورسله بالغيب) (٢) وفى الحديث : « إن الله ليترجى بالسلطان ما لا يترجى بالقرآن » (٣) أى : لينص بالسلطان عن ارتكاب التواشى والآثام ، ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن ، وما فيه من الوحيد الأكيد ، والتهديد الشديد ، وهذا هو الواقع .

وقوله : (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) : تهديد ووعد لكفار قريش ، فإنه قد جاءهم من الله الحق الذى لا مزية فيه ولا تمل لهم به ، وهو ما بهت الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع ، وزهق باطلهم ، أى : اضمحل وهاك ، فإن الباطل لا يثبت له مع الحق ولا بقاء ، (بل تقلب بالحق على الباطل فيلحقه ، فلما هو زاهق) (٤) .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ابن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة ثعبان (٥) ، فجعل يطعنهم بعود فى فيه ، ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً) ، جاء الحق وما يندى الباطل وما يمد (٦) .

وكذا رواه البخارى (٧) أيضاً فى خبر هذا الموضع ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، كلهم من طرق عن سفيان ابن عيينة ، به .

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير ، حدثنا شيبان ، حدثنا المفيرة ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول البيت ثلاثمائة وستون ثعباناً يعبون من دون الله ، فأمر جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكتب لوجهها ، وقال : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

(١) تفسير الطبري : ١٠٢/١٥ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٥ .

(٣) هذا النص ورد عن عمار بن عثمان بن عفان وليس بمحدث مرفوع إل الله صلى الله عليه وسلم وإلى فى سنن البيهقى الكبرى : ٥٠٠ .

(٤) بالسلطان أكثر من يترجى بالقرآن . وقد سكاه صاحب كنز العمال ج ٩ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ١٨ .

(٦) المراد بها : ما ينصب ليعبد من دون الله .

(٧) البخارى : تفسير سورة بنى إسرائيل : ١٠٨/٩ .

(٨) البخارى : كتاب الطام ، باب « هل تكسر الدنان التى فيها النقر ؟ » : ١٧٨/٢ . ومسلم : « كتاب الجهاد » ، باب « إزالة الأسمان من حول الكعبة » : ١٧٣/٥ . وتحفة الأوصى : تفسير سورة بنى إسرائيل ، الحديث ١٤٦ : ٥٧٢/٨ .

٥٧٤ ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » . وصلة الإمام أحمد : ٣٧٧/١ ، ٣٧٨ .

وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى خبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم - وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكم حميد - أنه (شفاء ورحمة للمؤمنين) ، أى : ينهب مافي القلوب من أمراض ، من شك ونفاق ، وشرك وزيف وميل ، القرآن يشفي من ذلك كله . وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقته وآتبعه ، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة . وأما الكافر الظالم نفسه بذلك ، فلا يزيده سماعه القرآن إلا [بهداً] (١) . وتكليفاً وكفراً . والآفة من الكافر لا من القرآن ، كما قال تعالى : (قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) (٢) ، وقال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فهم من يقول : أيكم زادته هذه إيماناً ؟ فأما الذين آمنوا فزادهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم وامتنوا وهم كافرون) (٣) ... والآيات في ذلك كثيرة :

قال قتادة في قوله : (ونزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) : إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ، (ولا يزد الظالمين إلا خساراً) ، إنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يسمعه ، فإن الله جعل هذا القرآن شفاءً ، ورحمة للمؤمنين (٤) .

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَفْصَحُ ﴿٥٧﴾ قُلْ كُلُّ يَحْمِلُ عَلَىٰ شَاكِلِيهِ ۖ قُرْبَكُمْ أَطْمَ مِنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٥٨﴾

يخبر تعالى عن نقص الإنسان من حيث هو ، إلا من عصم الله تعالى في حالتي سرائه وضراره ، بأنه إذا أنعم الله عليه مال وعافية ، وفتح ورزق ونصر ، ونال ما يريد ، أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه . قال مجاهد : يبعد حثاً .

قلت : وهذا كقول تعالى : (فلما كشفنا عنه ضره ، مر كأن لم يدعنا إلى ضره) (٥) ، وقوله : (فلما نجاهم إلى البر أعرض) (٦) .

وبأنه إذا مسه الشر - وهو المصائب والحوادث والنوائب - (كان يفصحاً) ، أى : قسط أن يعود بحصل له بعد ذلك خبر ، كما قال تعالى : (ولئن أدقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليغص بكور . ولئن أدقناه نعماء بعد

(١) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، ومكانه في المخطوطة : « هذا » يفتح الماء والهاء .

(٢) سورة فصلت ، آية : ٤٤ .

(٣) سورة النجدة ، آية : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) تفسير الطبري : ١٥ / ١٠٣ .

(٥) سورة يونس ، آية : ١٢ .

(٦) سورة الإسراء ، آية : ٦٧ .

ضراء مسته ، ليقولنَّ ذهب الميتات عني لانه انرح فخور • إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ، أولئك لم مغفرة وأجر كبير (١) .

وقوله تعالى : (قل : كل يعمل على شاكلته) - قال ابن عباس : على ناحيته : وقال مجاهد : على حدته وطبيعته • وقال قتادة : على نيئته : وقال ابن زيد : دينه (٢) .

وكل عليه الأقوال متقاربة في المعنى . وهذه الآية - والله أعلم - تهديد للمشركين ووعيد لهم • بقوله تعالى : (وقال للذين لا يؤمنون : اعملوا على مكانتكم إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون) (٣) : ولما قال : (قل : كل يعمل على شاكلته ، فربكم أعلم بمن هو أهدى ميلا) ، أي : منا ومنكم ، وسيجزي كل حامل بعمله ، فإنه لا نقي عليه تخافية .

وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن حلقة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود ، رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث في المدينة ، وهو متوكئ على عصيب (٤) ، فر يقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح : فقال بعضهم : لا تسألوه : قال : فسألوه عن الروح : فقالوا : يا محمد ، ما الروح ؟ فإنا لك متوكئ على العصب ، قال : فظننت أنه يوحى إليه ، فقال : (ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم لا تسألوه (٥) :

وهكذا رواه البخاري ومسلم ، من حديث الأعمش ، به : ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية ، عن عبد الله بن مسعود قال : بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث ، وهو متوكئ على عصيب ، إذ مر اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما رأيكم (٦) إليه : وقال بعضهم : لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه : فقالوا : سلوه فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يرد عليه (٧) شيئا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقلت مقاي ، فلما نزل الوحي قال : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) (٨) ... الآية .

(١) سورة هود ، الآيات ٩ - ١١ .

(٢) الآثار في تفسير الطبري ٢ : ١٥ % ١٠٤ .

(٣) سورة هود ، آية : ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) أي : جريفة من الخنظل ، وهي الصفة ما لا ينبت عليه الخوص .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٨٩/١ ، ٤٤٥ ، ومن روايه أخرى : ٤١٠ % ١ .

(٦) كلما ، ومثله في البخاري ، وفي رواية أخرى : « ما رأيكم إليه » . ومعنى « ما رأيكم إليه » : ما دعاكم إلى سؤال تشعرون حاجته بأن يستقبلكم بشيء تكرهونه .

(٧) كلما ، ومثله في إحدى روايتي الصحيح ، وفي الأخرى : « فلم يرد عليهم » .

(٨) البخاري ، تفسير سورة بني إسرائيل : ١٠٨/٦ ، ١٠٩ ، ورواه البخاري أيضا في كتابه التوحيد : ١٦٦/٨ .
ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب « سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح » ، ١٢٨/٨ .

وهذا السياق يقتضي قبحاً يظهر بادي الرأي : أن هذه الآية مدنية ، وأنها إنما أنزلت حين سأل اليهود عن ذلك بالمدينة ، مع أن السورة كلها مكية : وقد يجاب عن هذا بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه وحى بأنه يجيبهم صمّاً سألوا بالآية المتقدمة لئلا يزلوا عليه ، وهي [هذه الآية (ويسألونك عن الروح) ، وما يدل على نزول] هذه الآية بمكة ما قال الإمام أحمد :

حدثنا قتيبة : حدثنا يحيى بن زكريا عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل : فقالوا : سلوه عن الروح : فسألوه ، فترلت : (ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) : قالوا : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتى التوراة فقد أوتى غيراً كثيراً : قال : وأنزل الله : (قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بحممه مدداً) (١) .

وقد روى ابن جرير ، عن محمد بن المنفى ، عن عبد الأهل ، عن داود ، عن عكرمة قال : سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله : (ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) ، فقالوا : يزعم أننا لم نؤمن من العلم إلا قليلاً ، وقد أوتينا التوراة - وهي الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى غيراً كثيراً) ؟ قال : فترلت : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر بحمد من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) ، قال : ما أوتيتم من علم ، فتجاسم الله به من النار ، فهو كثير طيب ، وهو في علم الله قليل (٢) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أخبار يهود : وقالوا : يا محمد ، ألم يبلغنا عنك أنك تقول : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) ؟ أفتتخذه أم حنيت قولك ؟ فقال : كلا قد حنيت : قالوا : إنك تتلو أنا أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كل شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي في علم الله قليل ، وقد آتاكم ما إن علمتم به استقمتم (٣) ، وأنزل الله : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر بحمد من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم) (٤) .

وقد اختلفت المفسرون في المراد بالروح هاهنا على أقوال ، أحدها : أن المراد أرواح بني آدم ،

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (ويسألونك عن الروح) : : الآية ، وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا عن الروح ، وكيف تملأ الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يجبر إليهم شيئاً : فأنه جبريل فقال له : (قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) ، فأخبرهم النبي

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٥٥/١ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٤/١٥ .

(٣) كذا في خطوطة الأثر ، وفي تفسير الطبري : « انتقم » .

(٤) تفسير الطبري : ١٠٥/١٥ ، ١٠٦/٤ .

صلى الله عليه وسلم الملك : فقالوا : من جارك بهذا ؟ فقال : جارك به جبريل من عند الله ؟ فقالوا له : والله ما قاله لك إلا عبد علونا : فأمر الله : (قل : من كان علوا لجبريل ، فإنه نزل على قلبك بإذن الله) : الآية (١) .

وقيل : المراد بالروح هاهنا جبريل : قاله قتادة : قال : وكان ابن عباس يكتمه .

وقيل : المراد به هاهنا ملكك عظيم بقدر الاختلافات كلها : قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (ويسألونك عن الروح) ، يقول : الروح ملك .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله بن حرس المصري ، حدثنا وهب بن روق أبو هيرة ، حدثنا بشر بن بكر ، حدثنا الأزاعي ، حدثنا عطاء ، عن عبد الله بن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله ملكا ، لو قيل له : اتق السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة » ، لفعل ، تسيحه : سبطانك حيث كنت » وهذا حديث غريب ، بل منكر .

وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثني علي ، حدثنا عبد الله ، حدثني أبو عمران (٢) يزيد بن سمرة صاحب قيسارية ، عن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في قوله : (ويسألونك عن الروح) ، قال : هو ملك من الملائكة ، له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها [سبعون] ألف لغة ، يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسيحة ملكا بطير مع الملائكة إلى يوم القيامة (٣) .

وهذا أثر غريب عجيب ، والله أعلم .

وقال السهيلي : روى عن (٤) أنه قال : هو ملك ، له مائة ألف رأس ، لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف لم ، في كل لم مائة ألف لسان ، يسبح الله بلغات مختلفة

قال السهيلي : وقيل المراد بذلك : طاقة من الملائكة على صور بني آدم .

وقيل : طاقة يرون للملائكة ولا تراهم ، فهم الملائكة كالملائكة لبني آدم .

وقوله : (قل الروح من أمر ربي) ، أي : من شأنه ، وما استأثر بعلمه دونكم ، ولهذا قال : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ، أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل ، فإنه لا يعط أحد شيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى . والمعنى : أن علمكم في علم الله قليل ، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح ما استأثر به تعالى ، ولم يطلعكم عليه ، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى : وسيتأتى إن شاء الله في قصة موسى والخضر : أن الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة ، ففرق في البحر نفقة ، أي : شرب منه بمقتضاه ، فقال : يا موسى ، ما علمي وعلمك

(١) تفسير الطبري : ١٥/١٥٥ .

(٢) كذا في المخطوطة . وفي تفسير الطبري : أبو مروان . وقد وجدنا في الجرح لابن أبي حاتم ٢٦٨/٢٤٤ : يزيد بن سمرة ، أبو حزان الرهاوي . فهل هو ؟ الله أعلم .

(٣) تفسير الطبري : ١٥/١٥٥ .

(٤) أحاديث قسبيل عن الروح والنفس في الروح الألف : ١٩٧ - ١٩٩ .

وعلم الخلائق في حلم الله إلا كما أخذ هذا الصنف من هذا البحر . أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه : ولما قال تبارك وتعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وقال السهيلي : قال بعض الناس : لم يجهم مما سألوا ، لأنهم سألوا على وجه التعت : وقيل : أجهم ، وهو كالمهمل على أن المراد بقوله : (قل الروح من أمر ربي) ، أي : من شرعه ، أي : فادخلوا فيه ، وقد علم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة ، وإنما يُقال من جهة الشرع . وفي هذا المسلك الذي طرقة وسلكه نظر ، والله أعلم .

ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس ، أو غيرها ، وقرر أنها ذات لطيفة كالنفوس ، ساوية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر : وقرّر أن الروح التي ينفخها للملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن ، واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم ، فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء . قال : كما أن الماء هو حياة الشجر ، ثم يكتسب بسبب اختلاطه معها أصبا خاصا ، فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار إصبا مضطارا (١) أو خرا ، ولا يقال له : ماء ، حيث لا على سبيل اللجاز وهكذا لا يقال للنفس : روح ، إلا على هذا النحو ، وكذلك لا يقال للروح نفس ، إلا باعتبار ما تزكوا إليه : فحاصل ما يقول أن الروح أصل النفس ومادتها ، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن ، فهي هي من وجه لا من كل وجه ، وهذا معنى حسن ، والله أعلم .

قلت : وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها وصفتها في ذلك كتابا ، ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منته ، في كتاب سمعناه في : الروح .

وَلَمَّا شَتَا نَحْنُ بِاللَّيْلِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَمْ يَجِدْ لَكَ بِهِ عَيْنًا وَكِيلًا ﴿١٠٠﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ لَكَبِيرًا ﴿١٠١﴾ قُلْ إِنِّي أَجْتُمِعُ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٠٣﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ، فيا أوحاه إليه من القرآن المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تتولى من حكم حميد :

قال ابن مسعود رضي الله عنه يطرُق الناس ريح حمراء - يعني في آخر الزمان - من قبل الشام ، فلا يبقى في مصنف وجل ولا قلبه آية ، ثم قرأ ابن مسعود : (ولئن شئت لننلن باللي أوحينا إليك) (٢) ... الآية .

(١) المسطر - يضم الميم - : المراد المدينة المختارة العلم والريح . وقال الأزهري : « والمسطر : من أبه المر إلى انحصرت من أبكار النوب ، بلغة أهل الشام ، قال : وأراه روميا ، لأنه لا يشبه أبنية كلام العرب » . ويقال : المسطر ، والسين ، قال الأخطل : ديوانه ٨٧ :

تلى ، إذا طنوا فيها جالفة • فوق الزجاج ، حقيق خير مسطر

الجالفة : الطعة التي تبلغ الجوف ، والعتيق : القديم . يصف الأخطل دن المر إذا ثقت بأنه يسيل معها حل زجاج الكأس ، ويقول : إنها تدمية خير حديثة .

(٢) تفسير الطبري : ١٥٦/١٠ .

وقد روى محمد بن إسماعيل عن محمد بن أبي عماد ، عن سعيد [بن جبير] أو عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود ، جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : إنا نأثيك بمثل ما جئتنا به ، فأثول الله هذا الآية(١) .

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنْجِيَنَا مِنَ الْأَرْضِ بِقُوَّةٍ ۖ أَوْ تُكُونُ لَكَ جُنَّةٌ مِنْ تُحِيلُ وَحِينَ فَتَنْجِيَنَا مِنْهُمُ يَضْلَتْنَا فِتْنِيًّا ۖ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِبَفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَكُ قَبِيلًا ۖ أَوْ يُكُونُ لَكَ يَوْمَ مِنْ نُزِفُ أَوْ تُرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُوحِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا نَارَغَمٍ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ

(١) تفسير الطبري ١: ١٥/١٠٦ : ١٠٧ .

(٢) أي : حتى تقسموا العار فيه ، فلا تلامون حل ما يكون بينكم وبينه بعد لقائكم هذا .

(٣) أي : ظهر لهم ما لم يكن ظهراً أولاً ، بأن تحولوا عن موقفهم من رسول الله . هكذا ظن عليه السلام .

(٤) المنة : ما يشق على الإنسان فعله .

الحديث تطلب به مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا ، سؤدناك
هلعنا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي بأهلك بما بأهلك زكيا تراهُ قد غلب عليك - كانوا
يسمون التابع من الجن : الرقي - فرعا كان ذلك ، بلدنا أموالنا في طلب الطب ، حتى نرلك منه ، أو نعدرك فيك ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما في ما تقولون ، ما جيشكم بما جيشكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن [الله] يعنى إليكم رسولا ، وأئزل على كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فيبلغكم رسالة ربى ، ونصحت لكم ، فإن قبلوا ما منى ما جيشكم به ، فهو حطكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أمسبر لأمرى) الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما .

قَالُوا يَا عِمْدُ ، فَإِنْ كُنْتَ خَيْرَ قَابِلٍ مَنَا مَا عَرَضْنَا عَلَيْكَ ، فَقَدْ حُلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَصْبَقَ بِإِلَادَا وَلَا أَكْلَ مَالَا وَلَا أَشَدَّ حَيْفًا مِنَّا ، فَاسْأَلْنَا ، رَبَّكَ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَا بِحُكْمِكَ بِهِ ، فَلْيَسِّرْ عَلَيْنَا هَذِهِ الْجِبَالِ الَّتِي قَدْ غَمِضَتْ عَلَيْنَا ، وَكَلِّمْهُمْ (٢) فِيهَا أَنْهَارُ كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَلْيُبَيِّنْ لَنَا مَن مَضَى مِنْ آبَائِنَا وَلْيُكَلِّمِ فِيمَنْ يَبُغُّ لَنَا [مِنْهُمْ] قُصَى بَنِ كَلَابِ ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا صِدْقًا ، فَاسْأَلْنَا عَمَّا يَقُولُ ، حَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ ؟ فَإِنْ صَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ وَصَدَّقُوكَ ، صَدَقْنَاكَ ، وَوَعَدْنَا [بِ] مَرَاتِلَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ رَسُولُكَ يَقُولُ : !

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا جِئَا بِكُمْ عَنْ عِنْدِ اللَّهِ بِأَمْرٍ ، قَدْ بَلَغْتُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ [إِلَيْكُمْ] ، فَإِنْ تَهَلَّوْهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرَدَّدَوْهُ عَلَى أَصْبَرِ الْأُمَرَاءِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنَا هَذَا فَخُذْ لِنَفْسِكَ ، فَسَأَلُ رَبِّكَ أَنْ يَعْثُورَ مَلَكًا يَصْدُقُكَ بِمَا تَقُولُ ، وَيرَاجِعُنَا عَنْكَ ، وَتَسْأَلُهُ فَيُجِيبُكَ لَكَ جَنَانًا ، وَكَتُورًا وَقَصُورًا مِنْ ذَهَبٍ وَفُفَّةً ، وَيُفِيضُ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي ، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَمْوَاقِ ، وَتُلْتَمِسُ الْعَاشِي تَحْتَ لَتَمْسَهُ ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَ مِثْلِكَ مِنْ رَبِّكَ ، إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَتَا بِأَلَى يَسْأَلُ رِبَهُ هَذَا : وَمَا بَعَثَ إِلَيْكَ هَذَا : وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَانْظُرُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حُكْمُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرَدُّوْهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ .

قَالُوا : فَأَسْقِطْ السَّمَاءَ ، كَمَا زَعَمْتَ أَنْ رَبِّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَاثْنَا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ .

فقالوا يا يعقوب ، أما علم ربك أنا من مجلس ملك ، ونسألك عما سألتك عنه ، وطلب منك ما تطلب فيقدم إليك [ويعلمك] ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل بالجماعة ، يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أحلرنا إليك يا يعقوب ، أما والله لا نتركك .

(١) في الخطوة : « أصبر لحكم الله » ، والثلث من تفسير الطبري ، وسيرة ابن هشام .

(٢) في الحكومة : وليجر فيها أمهارة ، والمثبت من المرجعين السابقين .

وما فعلت بنا حتى تهلك أو تهلكنا : وقال قائلهم : نحن نعيد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عَصْمَر بن عَزُوم ، وهو ابن عمته ، ابن عاتكة ابنة عبد المطلب ، فقال : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا ، فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليصرفوا بها مترلك من الله ، فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تصجل ما تحضرهم به من العذاب ، فوافقه لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السياء سلعاً ، ثم ترق فيه ، وأنا أنظر حتى تأتيها ، وتأتى مملكة بنسخة منشورة ، مملكة أربعة من الملائكة ، يشهدون لك أنك كما تقول : وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته ، بما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من ميعادتهم أيامه (١) .

وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي ، عن ابن إسحاق ، حدثني بعض أهل العلم ، عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ، فلذكر مثله سواء .

وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له ، لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيابا إليه ، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كتمراً وعناداً ، قيل لرسول : إن شئت أعطيتهم ما سألوها ، فإن كفروا عذبهم عذاباً لا أعليه أحدكم المالين ، وإن شئت فمحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة : كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزيبر بن العوام أيضاً ، عند قوله تعالى : (وما منمت أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً (٢)) . وقال تعالى : (وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ؟ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً . أو يلقى إليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون : إن تبجون إلا رجلا مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويجعل لك قصوراً . بل كذبوا بالساعة وأعدت لنا لمن كلب بالساعة صغيراً (٣)) .

وقوله تعالى : (حتى تضرع لنا من الأرض ينزعنا) - النبيوع : العن الجارية ، سألوه أن يجري لهم صنعا ميعنا (٤) في أرض الحجاز هاهنا وهاهنا ، وذلك سهل يسير على الله تعالى ، لو شاء لتعلمه ولأجابه إلى جميع ما سألوا وطلبوا ، ولكن علم أنهم لا يهتدون ، كما قال تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون : ولو جاءهم كل آية حتى

(١) تفسير الطبري : ١١٠ / ١١١ . وسيرة ابن هشام : ٢٩٥ / ٢٩٨ .

(٢) الآية : ٥٩ من طه السورة .

(٣) سورة الفرقان ، الآية من : ٧ - ١١ .

(٤) أي : جارية ، يقال : صنع الماء ، إذا جرى .

حتى يروا العذاب الأكبر) (١) : وقال تعالى : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموت ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون) (٢)

وقولهم (أو تسقط السماء كما سعت) ، أي : إنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق [فيه] السماء وتبقي (٣) ، وتذكرني أطرافها ، فصجل ذلك في الدنيا ، وأسقطها كسقطها [أي : قطعاً] ، كقولهم : (اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) (٤) : الآية ، وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا : (أسقط علينا كسفاً) من السماء ، إن كنت من الصادقين (٥) ، فعاقبهم الرب بطلب يوم الظلة ، إنه كان حلاب يوم عظيم . وأما نبي الرحمة ، ونبي التوبة البعوث رحمة للعالمين ، فسأل إنتظارهم وتأجيلهم ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يمهده لا يشرك به شيئاً ، وكذلك وقع ، فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وتحسن إسلامه ، حتى «عبد الله ابن أبي أمية» (٦) الذي تبع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قال ، أسلم إسلاماً تاماً ، وأتانا إلى الله عز وجل .

(أو يكون لك بيت من زخرف) — قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقناة : هو الذهب ؛ وكذلك هو في قراءة ابن مسعود : (أو يكون لك بيت من ذهب) (٧) ، (أو ترقى في المياه) ، أي : تصعد في سلم ونحن ننظر إليك ، (ولن نؤمن لريقك حتى تتول علينا كتاباً نقرؤه) — قال مجاهد : أي مكتوب فيه إلى كل واحد واحد صحيفة : هذا كتاب من الله لقائل بن فلان ، تصيح موضوعة عند رأسه .

وقوله : (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) ، أي : سبحانه وتعالى وتقدس أن يقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته ، بل هو الفعال لما يشاء ، إن شاء أجابكم إلى مسألتكم ، وإن شاء لم يجبكم ، وما أنا إلا رسول إليكم ، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم ، وقد فطنت ذلك ، وأمركم فيما سألتكم إلى الله عز وجل .

قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن حبيد الله ابن زحشر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «عزس ربي عز وجل ليجهل لي بطلحاه مكة ذهباً ، فقلت : لا يارب ، ولكن أشيع يوماً وأجوع يوماً — أو نحو ذلك — فإذا جُمْتُ نضرت إليك وذكرتك ، وإذا هبمت حملتك وشكرتك» (٨) .

ورواه الترمذي في «الزهد» (٩) ، عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، به وقال : هذا حديث حسن . وعلى ابن يزيد يثبت في الحديث .

(١) سورة يونس ، آية : ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١١١ .

(٣) أي : تسقط .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٣٢ .

(٥) سورة الشعراء ، آية : ١٨٧ .

(٦) ينظر ترجمته في أمه القنابة ، وهي برقم ٢٨١٨ : ١٧٧/٣ : ١٢٨ بتحقيقنا .

(٧) تفسير البكري : ١٠٩/١٥ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٢٥٤/٥ .

(٩) حقه الأسخري ، أبواب الزهد ، باب : ما جاء في الكفائف والصبر عليه ، الحديث ٢٤٥١ : ١٤/٧ ، ١٥ .

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مُلْكٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى : (وما منع الناس) ، أى : أكثرهم ، (أن يؤمنوا) ويتابعوا الرسل ، إلا استعجابهم من بعثه البشر وسلا ، كما قال تعالى : (أكان للناس حجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ، وبشر الذين آمنوا) (١) وقال تعالى : (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، فقالوا : أبشر بجهنم فكفروا وتولوا واستغنى الله ، والله غنى حميد (٢)) . وقال فرعون وملؤه : (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٣) ؟) . وكذلك قالت الأمم لرسلهم : (إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأنتونا بسلطان (٤)) ، والآيات في هذا كثيرة :

ثم قال تعالى منها على لطفه ورحمته بعباده : أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ، ليفقهوا عنه ويفهموا منه ، فيمكنهم من معاملته ومكالمته ، ولر بعث إلى البشر رسولا من لئلا يكتفوا ما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه ، كما قال تعالى : (لقد مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ (٥)) ، وقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفُسِكُمْ (٦)) وقال : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ، ينلو عليكم آياتنا ويزكركم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (٧)) . ولهذا قال هاهنا : (قل لو كان في الأرض ملأئكة يسبحون مطمئنين) ، أى : كما أنتم فيها ، (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) ، أى من جنسهم ، ولما كنتم أنتم بشرا ، يفتا فيكم رسلنا منكم لطفاً ورحمة .

قُلْ كُنْ مِنْ أُمَّةٍ قَدِ انْقَضَتْ عَنْهَا آلُهَا وَمِثْلُهَا وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾

يقول تعالى مرشداً نبيه إلى الحجة على قومه ، في صدق ما جاءهم به : أنه شاهد على وعليكم ، عالم بما جئكم [به] ، فلو كنت كاذبا انتقم مني أشد الانتقام ، كما قال تعالى : (ولو نقول طبعا بعض الأكابر : لأخذا منه باليمين ، لم نطعنا منه الوتين (٨)) .

-
- (١) سورة يونس ، آية : ٢
 - (٢) سورة التين ، آية : ٩
 - (٣) سورة المؤمنون ، آية : ٥٧
 - (٤) سورة إبراهيم ، آية : ١٠
 - (٥) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤
 - (٦) سورة القصص ، آية : ٢٨
 - (٧) سورة البقرة ، آية : ١٥١ ، ١٥٢
 - (٨) سورة الحاقة ، الآية : ٤٤ - ٤٦

وقوله : (إنه كان عباده خيرا بصيرا) ، أى : علم بهم بن يستحق الإنعام والإحسان والمداية ، ممن يستحق الشفاء والإضلال والإزاحة ، ولهذا قال :

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقَبْرِ عَلَى أَعْيُنِهِمْ
عَمِيًّا وَبَصَحْمًا وَهُمْ كَمَا تَنْتَبِهُ زَيْنُهَا سَجَرًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى خيرا عن نصرته في خلقه ، وتفوذ حكمه ، وأنه لا محقق له ، بأنه من يهده فلا مضل له ، (ومن يضل فلن يجد لهم أولياء من دونه) ، أى : يهونهم ، كما قال : (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن يجد له وليا مرشدا (١)) .

وقوله : (ويحشرهم يوم القيامة على وجوههم) - قال الإمام أحمد :

حدثنا ابن نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن نعيم قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل ! يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : الذى أشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (٢) . وانرجاه في الصحيحين (٣) .

وقال الإمام أحمد أيضا : [حدثنا يزيد (٤)] حدثنا الوليد بن جهمم القرشي ، عن أبيه ، حدثنا أبو الطفيل عامر ابن وائل ، عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال : يا بني غفرنا ، قولوا ولا تخلفوا (٥) ، فإن الصادق المصدق حدثني : أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج : فوج راكبين طامعين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم للملاكمة على وجوههم ويحشرهم إلى النار : فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما ، فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال : يأتي الله عز وجل الآفة على الظهر ، حتى لا يبي ظهر ، حتى إن الرجل لتكون له الحديقة للمسجة ، فيعطيها بالشارف (٦) ذات القتب ، فلا يقدر عليها (٧) .

وقوله : (عيا) ، أى : لا يبصرون ، (ويطا) ، أى : لا ينطقون ، (وصيا) ، لا يسمعون ، وهذا يكون في حال دون حال ، جزاء لهم ، كما كانوا في الدنيا يكتا وعيا وصيا عن الحق ، فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج

(١) سورة التكهت ، الآية : ١٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٦٧/٤ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة الفرقان : ١٢٧/٦ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب : يحشر الكافر على وجهه : ١٣٥/٨ .

(٤) مابن القريش من المحدث . ويزيد هذا هو ابن هارون ، يروي عن الوليد بن عبد الله بن جهمم ، الذى يروي عن أبي الطفيل . وقد كان في تفسير ابن كثير أيضا : [حدثنا الوليد بن جهمم القرشي ، عن أبيه ، حدثنا أبو الطفيل] . وهو خطأ .

ينظر التهذيب : ٨٧/٥ ، ١١/١٣٨ .

(٥) في المسند : ٥٥٠ ولا تخلفوا .

(٦) الشارف : ثلاثة المسنة . والقتب الجير : فيه الرجل .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١٦٥/٥ ، ١٦٥ .

ما يحتاجون إليه ، (ملأهم) ، أى منقلبهم ومصيرهم (جهنم) ، كلما خبت ، قال ابن عباس : سكنت : وقاد بجاهد : طفت - (زدناهم سعيراً) ، أى : لهما ووهجاً وجعراً ، كما قال : (خلوقوا غنن يزيدكم إلا عبداً) (١) .

ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفُقًا أَنَا لَمَجُوعُونَ خَلَقْنَا السَّابِقِينَ ﴿١٠﴾ وَالْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّأَرَبِّ فِيهِ قَاتِيَ الْظَّالِمُونَ
إِلَّا كُفُورًا ﴿١٢﴾

يقول تعالى : هذا الذى جازيتهم به ، من البعث على العمى واليكم والصمم ، جزاءهم الذى يستحقونه ، لا لهم كذبوا (بآياتنا) ، أى : بأدلتنا وحججنا ، واستعملوا وقروا البعث ، (وقالوا : أننا كنا عظاماً ورفاقاً) بالية متخثرة ، (أننا لمجوعون خلقاً جديداً) ، أى : بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والملاكمة ، والتفريق واللغاب فى الأرض لعماد مرة ثانية ٢ . فاحتج تعالى عليهم ، ولتبهم على قدرته على ذلك ، بأنه خلق السموات والأرض ، وقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك ، كما قال : (لَخَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) (٢) ، (وقال : أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعنى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ، بلى ، إنه على كل شئ قدير (٣) .) وقال : (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى ، وهو الخلاق العظيم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسيحان الذى بيده ملكوت كل شئ ، وإليه ترجعون (٤)) .

وقال هاهنا : (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) أى : يوم القيامة . يعيد أبنائهم ويشتقهم نشأة لغيرى ، ويعيدهم كما يدهم .

وقوله : (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) ، أى : جعل لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلاً مضروباً ومدة مقدرة لا بد من انقضاءها ، كما قال تعالى : (وما نؤخره إلا لأجل معلود (٥)) .

وقوله : (فأن الظالمون) ، (أى : بعد قيام الحجة عليهم) [إلا كفوراً] ، إلا تمادياً باطلهم وضلالهم .

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿١٣﴾

يقول تعالى لرسوله - صلوات الله عليه وسلامه - قل لهم : يا محمد ، لو أنكم - أيها الناس - تعلمون الخزائن التى فى خزائن الله ، لأمسكتم خشية الإنفاق .

(١) سورة النبا : آية : ٣٠ .

(٢) سورة غافر : آية : ٥٧ .

(٣) سورة الأحقاف : آية : ٣٣ .

(٤) سورة يس : آية : ٨١ ، ٨٢ .

(٥) سورة هود : آية : ١٠٤ .

قال ابن عباس ، وقادة : أى القدر (١) ، أى : خشية أن تلهبوها ، مع أنها لا تكف عن ولا تنفد أبداً ، لأن هدا من طابعكم وسجاياكم ، ولهذا قال : (وكان الإنسان نفورا) - قال ابن عباس ، وقادة : أى غيلا منوعا (٢) ، وقال الله تعالى : (أم لم نصيب من الملك فإذا لا يوتون الناس نقيرا (٣)) ، أى : لو أن لم نصيبا من ملك الله لما أعطوا أحدا شيئا ، ولا مقدار نقير ، والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو ، إلا من وقفه وهداه ، فإن البخل والجزع والملع [صفة له] ، كما قال تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا للمصلين (٤)) ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز ، ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه ، وقد جاء في الصحيحين : « يد الله ملائ ، لا يفضها نفقة ، سبحانه الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يتعسر ما في عينه » (٥) .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَعَلَّ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِذَا جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يُمُوجِنُ مَسْحُورًا ﴿١٠٠﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَتَزَلُ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارٌ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُفْرَعُونَ مَجْبُورًا ﴿١٠١﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِعَهُمْ مِنَ الْآرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ رَجَبًا ﴿١٠٢﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُونُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٣﴾

يُخبر تعالى أنه بعث موسى بنسب آيات بينات ، وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به من أرسله إلى فرعون ، وهى : العصا ، واليد ، والسنين ، والحيور ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وآيات مفصلات : قاله ابن عباس (٩) .

وقال محمد بن كعب : هى اليد ، والعصا ، والخمس فى الأعراف ، والطمسمة (٦) والحجر .

وقال ابن عباس أيضا ، ومجاهد ، وعكرمة والشبي ، وقادة : هى يده ، وعصاه ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

وهذا القول ظاهر على حسن قوى . وجعل الحسن البصرى « السنين ونقص الثمرات » واحدة ، وعنده أن التاسعة هى : تلف العصا ما يأكون . (فاستكبروا وكانوا فوجا مجرمن (٧)) ، أى : ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها ، كفروا بها وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، وما تسببت فيهم ، وكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا

(١) تفسير الطبرى : ١١٤/١٥ .

(٢) سورة النساء : آية ٥٣ .

(٣) سورة المارج : الآيات ١٩ - ٢٢ .

(٤) تقدم الحديث فى سورة المائدة ، عند الآية ٦٤ ، وخرجناه هناك وشرحنا غريبه . ينظر : ١٣٨/٢ ، ١٣٩ .

(٥) تفسير الطبرى : ١١٤/١٥ .

(٦) يعنى قوله : (رينا اطمس على أموالهم) ، سورة يونس آية ٨٨ .

(٧) سورة الأعراف : آية ١٢٣ .

منك ما سألوا ، وقالوا : (إن تؤمن لك حتى تفشجر لنا من الأرض ينبوعا) :: إلى آخرها ، لا استجابوا ولا آمنوا ، إلا أن يشاء الله ، كما قال فرعون لموسى - وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات - قال : (إني لأظنك يا موسى مسحورا) ، قيل : بعمى سحر - والله تعالى أعلم .

فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المراتدة هاهنا ، وهي للمعينة في قوله تعالى : (وألق عصاك ، فلما رآها تهتر كأنها جان ولي مديرا ولم يعقب ، يا موسى ، لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون : إلا من ظلم ثم يذكر حسنا بعد سوء فإني خفور رحيم . وأدخل يديك في جيبك فخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه ، إنهم كانوا قوما فاسقين (١)) ، فذكر هاتين الآيتين : العصا واليد ، وبين الآيات الباقيات في « سورة الأعراف » وفصلها :

وقد أوتى موسى عليه السلام آيات أكثر كثيرة ، منها : ضربته الحنجر بالعصا ، وخرج الأجر منه : ومنها تظليلهم النمام ، وإزالة النمل والسملوى ، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر هاهنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر ، وكانت حجة عليهم فخالقوها وعاندوها كفرا وجحودا ، فأما الحديث الذي رواه الإمام :

حدثنا يزيد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث ، عن صفوان بن حسنة المرادي رضى الله عنه قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) . فقال : لا تقل له : نبي ، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين (٢) : فسأله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تشركو بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسحرُوا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تحشوا برىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولا تغفلوا بحصنة - أو قال : لا تفروا من الزحف - شعبة الشاك - وأنتم يا يهود ، عليكم خاصة أن لا تعملوا في السبت : فقبلا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبي : [قال : فاعينكما أن تتبعاني ؟ قال لأن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي (٣)] ، وأنا نحشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود (٤) » :

فهذا الحديث رواه هكلنا الترمذى (٥) ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن جرير في تفسيره من طرق ، عن شعبة ابن الحجاج ، به : وقال الترمذى : حسن صحيح :

(١) سورة النمل : الآيات ١٥ - ١٢ .

(٢) أى : يسر فبذلك هذا النبي مرورا بمدينة الباصرة ، فيزداد به نوراً على نور ، كنى حينئذ أصبح يصير بأديمه ، قال القرطبي بمدينة الباصرة ، كما أن أهم والخزن يمل بها ، ولذا يقال لمن أسلمت به الحوم : أظلمت عليه الدنيا .

(٣) ما بين القوسين سقط من خطورة الأثر ، أئنه من المست

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٣٩/٤

(٥) تحفة الأسماء ، أبواب الاستئذان ، باب « ماجاء في قبلة اليد والرجل » ، أظنبت ٢٨٢٦ : ٢٨٢٥/٧ - ٥٢٨/٧ وأخرجه الترمذى أيضا في تفسير سورة بن إسرائيل ، الحديث ٥١٥٢ : ٥٨٠/٨ . والنسائى ، كتاب التحريم ، باب « السحر » ١١١/٧ . وابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « الرجل يقبل يد الرجل » ، الحديث ٣٧٠ : ١٧٢١/٢ . وتفسير الطبري :

وهو حديث مشكل ، « وعبد الله بن سلمة » في حفظه شيء ، وقد تكلموا فيه ، ولعله اشبه (١) عليه التسع الآيات بالعرش الكلمات ، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجية على فرعون ، والله أعلم .
ولمَّا قال موسى لفرعون : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) ، أي : حجبنا وأدلة على صدق ما جعلك به ، (وإنّي لأظنك يا فرعون متبوراً) ، أي : هالكا ، قاله مجاهد وقناة ، وقال ابن عباس : « ملعنوا » وقال أيضا هو والفسحاك : (متبوراً) ، أي : مغلوبا ، والهاك - كما قال مجاهد - يشمل هذا كله ، قال عبد الله بن الزبير :

إِذْ أَجَارَى الشَّيْطَانُ فِي سَنَنِ النَّبِيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَسْبُورٌ (٢)

وقرأ بعضهم يرفع الهمزة من قوله : (علمت) ورؤي ذلك عن علي بن أبي طالب . ولكن قراءة الجمهور بفتح الهمزة على الخطاب لفرعون ، كما قال تعالى : (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا : هذا صر مدين . وجتحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عقوبة الفاسقين) (٣) .

فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا ، واليد ، والسنب ، ونقص من الثمرات ، والظوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم : التي فيها حجيح وبراهين على فرعون وقومه ، وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود القاعل المختار الذي أرسله . وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث ، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجيح على فرعون وقومه ، وأى مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ؟ وما جاء هذا الرم إلا من قبل « عبد الله بن سلمة » ، فإن له بعض ما يُنكر : والله أعلم . ولعل ذنبك اليهوديين إنما سالا من العشر الكلمات ، فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات ، فحصل وهم في ذلك ، والله أعلم

وقوله : (فأراد أن يستغفر من الأرض) ، أي : يغلبهم [منها] ويذلهم عنها ، (فأفرقاه ومن معه جميعاً : وقتلنا من بعدهم) إسرائيل (استكنوا الأرض) ، وفي هذا إشارة لحمد صلي الله عليه وسلم بفتح مكة مع أن هذه السورة نزلت قبل الهجرة ، وكذلك وقع ، فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها ، كما قال تعالى : (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً : سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لستنا نبهولا) (٤) ولمَّا أوثق الله رسوله مكة ، فدخلها عنوة على أشهر القومين ، وقهر أهلها ، ثم أطلقهم حليماً وكرماً ، كما أوثق الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها ، وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم (وكنوزهم) ، كما قال : (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) (٥) ، وقال هاهنا : (وقتلنا من بعدهم) بني إسرائيل : استكنوا الأرض ، فإذا جاء وعد الآخرة جنتا بكم ليغيا ، أي : جميعكم إنتم وعدوكم .

- (١) قال الحافظ أبو المصنف صاحب تحفة الأحرار ٥٢٦/٧ : (لا تحركوا) : كلام معانف ، ذكره حبيب الجواب ، ولم يذكر الجواب استثناء ما في التوراة أو غيره .
- (٢) البيهقي في تفسير الطبري : ٩١٦/٢٥ . في سيرة ابن هشام : ٤١٩/٧ ، وأمد الثانية : ٢٢٩/٣ بتحقيقنا .
- (٣) سورة النمل : آية ١٤ .
- (٤) تقدمت الآيات في هذه السورة : ٧٧ ، ٧٨ .
- (٥) سورة الشعراء : آية ٥٩ .

قال ابن عباس ، وعاصم ، وقتادة ، والضحاك (اتيفاً) ، أى : جميعاً (١) .

وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٥﴾ وَقُرْءَانًا قُرْآنُهُ يُتْقَرَأُ عَلَى النَّاسِ عَلَى كُرْسِيِّ وَتَزَلَّجَتْ تَزِيلًا ﴿٢٦﴾

يقول تعالى خبراً عن كتابه العزيز ، وهو القرآن المجيد ، أنه بالحق نزل ، أى : متضمناً للحق ، كما قال تعالى : (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنه بالحق أنزله بعظمه (٢)) ، أى : متضمناً علم الله الذى أراد أن يُطْلِعَكُم عليه ، من أحكامه وأمره ونهيه .

وقوله : (والحق نزل) ، أى : ووصل إليك — يا محمد — محفوظاً محروساً ، لم يُشَبَّ بخبره ، ولا زيد فيه ولا نُقص منه ، بل وصل إليك بالحق ، فانه نزل به شديد القوى ، الأمين المكتن بالمطاع فى الملأ الأعلى .

وقوله : (وما أرسلناك) ، أى : يا محمد [إلا مبشراً ونذيراً] : مبشراً لمن أطاعك من المؤمنين ، ونذيراً لمن عصاك من الكافرين .

وقوله : (وقرآناً فرقناه) ، أما قراءة من قرأ بالتحفيف ، فلهنا : فصلناه من اللوح المفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفترقا منجماً على الوقائع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة . قاله حكيمه عن ابن عباس .

وعن ابن عباس أيضاً أنه قرأ (فرقناه) ، بالشديد (٣) ، أى : أنزلناه آيةً آيةً ، مبتا مفسراً ، ولهذا قال : (لتقرأه على الناس) ، أى : لتبلغه الناس وتتلوه عليهم (على مكث) ، أى : مَهَل ، (وتزلناه تزيلاً) ، أى : شيئاً بعد شيء .

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ حَبْطًا ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٢٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ حَبْطًا كَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم : (قل) يا محمد ، لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم : (آمنوا به أولا تؤمنوا) ، أى : سواء آمنتم به أم لا ، هو حق فى نفسه ، أنزله الله وتوَّه بذكره فى صالغ الأزمان فى كتبه الملتزمة على رسله ، ولهذا قال : (إن الذين أُوتوا العلم من قبله) أى من صالح أهل الكتاب الذين يُمَسِّكُونَ بكتابهم ويقيمونه ، ولم يبدوه ولا حَرَفُوهُ (إذا يلى عليهم) هذا القرآن ، (يخرُّون للأذنان) ، جمع ذقن ، وهو أسفل

(١) تفسير الطبري : ١١٨/١٥ .

(٢) سورة النساء : آية : ١٦٦ .

(٣) تفسير الطبري : ١١٨/١٥ ، ١١٩ .

الوجه (سجداً) ، أي : لله عز وجل شكراً على ما أنعم به عليهم ، من جملة إيمانهم أهلاً ، أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه الكتاب ، ولهذا يقولون : (سيحان ربنا) ، أي : تعظيماً وتقديراً على قدرته العظيمة ، وأنه لا يخلف الوعد الذي وعدهم على أسنة الأنبياء [المؤمنين من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قالوا : (سيحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) ،

وقوله : (ويغفرون للأذناب يكون) ، أي : خضوعاً لله عز وجل وإيماناً وتصديقاً بكتابه ورسوله ، ويؤيدهم الله خضوعاً ، أي : إيماناً وتسليماً كما قال : (والذين احتملوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم (١)) .

وقوله : (ويغفرون) ، غفط صفة على صفة لا غفط سجد على سجود ، كما قال الشاعر :

إلى الملك التكرم وابن الميام • وكثرت الكتبية في المزدحم (٢)

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعَاؤَ الرَّحْمَنِ أَيُّهَا مَدْعُوهُ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِك وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ۝﴾

يقول تعالى : قل يا محمد ، هؤلاء المشركين للذين صفة الرحمة لله عز وجل ، للذين من تسميته بالرحمن : ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، أي : لا تفرق بين دعائكم له باسم «الله» أو باسم «الرحمن» ، فإنه ذو الأسماء الحسنى ، كما قال تعالى : (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) إلى أن قال : (له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٣)) .

وقد روي مكحول (٤) : أن رجلاً من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في سجوده : «يا رحمن يا رحيم» ، فقال : إنه يزعم أنه يدعو واحداً ، وهو يدعو اثنين . فأنزل الله هذه الآية . وكذا روي عن ابن عباس ، ورواه ابن جرير :

وقوله : (ولا تجهر بصلواتك) :::: الآية ، قال الإمام أحمد :

حدثنا هشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية [ورسول الله صلى الله عليه وسلم (٥)] متوازي بكعة ، (ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها) — قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته

(١) سورة محمد ، آية : ١٧

(٢) تقدم لبيت في ١٧/٦٧ ، ٤٣٣

(٣) سورة الحشر ، الآيات : ٢٢ — ٢٤ .

(٤) كلما نسب ابن كثير هذا الأمر لمكحول ، وأثره كما في تفسير الطبري ١٥/١٢١ : «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتجد بكعة ذات ليلة ، يقول في سجوده : يا رحمن ، يا رحيم . فسمعه رجل من المشركين ، فلما أصبح قال لأصحابه : انظروا ما قال ابن أبي بكشة . يدعو الهيلة الرحمن التي بالهيماء — وكان بالهيماء رجل يقال له : «الرحمن» ، فزلت : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) ، أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) .

(٥) ما بين المؤمنين من المستد ومكانه في الخطورة : «وهو» .

بالقرآن ، فلما سمع ذلك للمشركون سيوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به : قال : فقال الله تعالى (لنبيه) : (ولا تجهز بصلاتك) ، أى : بقرامتك ، فيسمع للمشركون فيسيروا القرآن ، (ولا تأت بها) من أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه منك ، (وابتغ بين ذلك ميلا (١)) .

لنرجاه في الصحيحين (٢) من حديث أبي بشر جعفر بن إياس ، به : وكلنا روى الضحاك عن ابن عباس ، وزاد . فلما هاجر إلى المدينة ، سقط ذلك ، فبطل أثر ذلك شاء (٣) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني دلود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهز بالقرآن وهو يصلي ، تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي ، استرق السمع دونهم فتركا منهم ، فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ، ذهب غشية أذهام ، فلم يستمع . فإن خفض صوته صلى الله عليه وسلم لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئا ، فانزل الله : (ولا تجهز بصلاتك) فيضرقوا عنك ، (ولا تخافت بها) فلا تسمع من أراد أن يسمعهما عن يترقى ذلك (دونهم) ، لعله يرمو إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به ، (وابتغ بين ذلك ميلا (٤)) .

وهكذا قال عكرمة ، والحسن البصري ، وكثادة : نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة .

وقال شعبه عن [ثعلب (٥) بن] سليم ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله بن مسعود : لم يخافتها من شيء سمع أذنيه (٦) .

قال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علكية ، عن سلمة بن (٧) حلقمة ، عن محمد بن سيرين قال : نبت أن أبا بكر كان إذا صلى قرأ ختم قصص صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، قيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجي ربي عز وجل ، وقد علم حاجتي . فقيل : أحسنت . وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان ، وأوقف الوسمان (٨) ، قيل : أحسنت . فلما نزلت : (ولا تجهز بصلاتك ولا تخافت بها) ، وابتغ بين ذلك ميلا ، قيل لأبي بكر : ارفع شيئا ، وقيل لعمر : انخفض شيئا (٩) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٣/١ ، ٢١٥ .

(٢) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (أنزله بملأه والملائكة يشجعون) : ١٧٤/٩ ، ١٧٥ . وباب قوله الله تعالى : (وأسرنا قولكم أو أجهروا به) : ١٨٨/٩ . وباب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (للملأ بالقرآن مع الكرام البررة) : ١٩٤/٩ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسراء » إذا خافت من الجهر لمسه : ٣٤/٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢٣/١٥ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٣/١٥ ، وما بين القوسين منه .

(٥) ما بين القوسين من تفسير الطبري . ومكانه في المخطوطة : « ألي » .

(٦) تفسير الطبري : ١٢٥/١٥ .

(٧) في تفسير الطبري : « سلمه من حلقمة » . وهو خطأ . ينتظر ترجمة سلمة بن حلقمة في التلخيص : ١٥٨/٤ .

(٨) الوسمان : الثام ، الذي ليس يستغرق في نومه .

(٩) تفسير الطبري : ١٢٤/١٥ .

وقال أشعث بن سوار ، عن حكرمة ، عن ابن عباس : نزلت في الدعاء (١) : وكلذا روى الثوري ، ومالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : نزلت في الدعاء : وكلذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو عبيد ، ومكحول ، وعروة بن الزبير .

وقال الثوري عن [ابن] عياش العامري ، عن عبد الله بن شداد قال : كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا إيلاءاً ولداً . قال : فترلت هذه الآية : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) .

قول آخر ، قال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : نزلت هذه الآية في التشهد : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) ،

وبه قال حفص ، عن أشعث بن سوار ، عن حماد بن سيرين ، مثله (٢) ،

قول آخر ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) ، قال : لا تصل امرأة الناس ، ولا تدعها تخافة الناس (٣) : وقال الثوري ، عن منصور ، عن الحسن البصري : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) ، قال : لا تحسن علانيتها وتسمى سريرتها . وكلذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، به . وعشيم ، عن عوف ، عنه به . وسعيد ، عن قتادة ، عنه كذلك ،

قول آخر ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (وابنم بين ذلك ميلا) ، قال : أهل الكتاب يخافون ، ثم يجهر أحدهم بالعرف فيصبح به ، ويصيحون هم به وراعه ، فنهاه أن يصيح كما يصيح هؤلاء ، وأن يخافت كما يخافت الأقوم ، لم كان السبيل الذي بين ذلك ، الذي سن له جبريل من الصلاة .

وقوله : (وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) ، لا أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى ، نزه نفسه عن النقائص فقال : (وقال : الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك) ، بل هو الله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

(ولم يكن له ولي من الدن) ، أي : ليس بليل فيحتاج أن يكون له وكيل أو وزير أو مشير ، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده ، لا شريك له ومقدرها ومديرها بمشيئته وحده ، لا شريك له .

قال مجاهد في قوله : (ولم يكن له ولي من الدن) : لم يُحَالِف أحدًا ولا يعتق نصر (٤) أحد .
(وكبره تكبيرا) ، أي : عطبه وأجله عما يقول الظالمون لئلا يحسنوا كبراً .

(١) تفسير الطبري : ١٢٢/١٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١٢٤/١٥ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢٥/١٥ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٦/١٥ .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن القُرظي أنه كان يقول في هذه الآية :
(وقال : الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) ... الآية ، قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً وقال العرب :
[لبيك] لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لك
فأنزل الله هذه الآية : (وقال : الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدنـ^{يا}
وكبره تكبيراً (١)) .

وقال أيضاً : حدثنا بشر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه
الآية : (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدنـ^{يا} ، وكبره تكبيراً) ،
الصغير من أهله والكبير .

قلت : وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماها آية العز : وفي بعض الآثار : أنها ما قرئت
في بيت في ليلة فيصبيه سرقة أو آفة . والله أعلم .

وقال الخافظ أبو بعل : حدثنا بشر بن سفيان البصري ، حدثنا حرب بن ميمون ، حدثنا موسى بن هبة
الربيعي ، عن محمد بن كعب القُرظي ، عن أبي هريرة قال : خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ویدی
في يده ، فأتى على رجل رث الهيئة ، فقال : أي فلان ، ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : السقم والسقم يا رسول الله ؟ قال :
ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والقر ؟ قال : لا ، قال : ، ما يسرك بها أن شهنت معك بدوا أو أحدا ؟ قال :
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : وهل يدرك أهل بدر ولعل أحدا يدرك الفقير القانع ؟ قال : فقال
أبو هريرة : يا رسول الله ، إياي فعلمني . قال : قل يا أبا هريرة : توكلت على الله لا يموت ، الحمد لله الذي
لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدنـ^{يا} ، وكبره تكبيراً : قال : فأتى حكي رسول الله
وقد حسنت حاله ، قال : فقال لي : منهم (٢) . قال قلت : يا رسول الله ، لم أزل أقول الكلمات التي علمتني (٣) ،

استأذه ضعيف ، وفي مثله تكرار .

[آخر تفسير سورة الاسراء]

(١) تفسير الطبري : ١٥٠/١٢٦ .

(٢) أي : ما أدرك وشافك . وهي كلمة يمانية .

(٣) أخرجه الميمني في صحيح الزوائد وقال : « رواه أبو بعل ، وفيه موسى بن هبة الربيعي ، وهو ضعيف » . ينظر التفسير
سورة الاسراء : ٧/٢٧ .

تفسير سورة الكهف

وهي مكية

ذكر ما ورد في فضلها ، والعشر الآيات من أولها وآخرها ، وأنها حصمة من الدجال
قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : قرأ رجل
الكهف ، وفي الدار دابة ، فبجعت تنفر ، فنظر فإذا ضبابية — أو : صابة — قد خشيت ، فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال : « اقرأ فلان » ، فلما السكينة نزلت عند القرآن ، أو نزلت للقرآن (١) .
أخرجاه في الصحيحين (٢) ، من حديث شعبة ، به . وهذا الرجل الذي كان يتلو هو : أسيد بن الحنظير ، كما
تقدم في تفسير [سورة] البقرة (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام بن يحيى ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ بن
أبي أبي طلحة ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ،
حصم من الدجال (٤) .

رواه مسلم (٥) ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي من حديث قتادة ، به ولفظ الترمذي : « من حفظ الثلاث
الآيات من أول الكهف (٦) » ، وقال : حسن صحيح .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معاذ بن
عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف حصم من فتنة الدجال (٧) .
ورواه مسلم (٨) أيضاً والنسائي ، من حديث قتادة ، به . وفي لفظ للنسائي : « من قرأ عشر آيات من الكهف » ،
فذكره .

حديث آخر وقد رواه النسائي في « اليوم والليلة » عن محمد بن عبد الأعلى ، عن خالد ، عن شعبة ، عن قتادة ،
عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ العشر الأواخر من سورة
الكهف ، فإنه حصمة له من الدجال » — فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٨١/٤ .

(٢) البخاري ، كتاب المناقب ، ٢٤٥/٤ . ومسلم ، باب نزول السكينة لنزول القرآن ، ١٩٣/٢ ، ١٩٤ .

(٣) ينظر : ٥٢/١ ، ٥٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٩٦/٥ .

(٥) مسلم ، فضل سورة الكهف وآية الكرسي : ١٩٩/٢ . وسنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب « خروج الدجال » ،

الحديث ٤٣٢٣ : ١١٧/٤ . ونسخة الأحمدي ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الكهف » ، الحديث ٣٠٤٧ .

١٩٦/٨ ، ١٩٦ .

(٦) كذا ، ولفظ الترمذي : « من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف » .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤٤٦/٦ . ولفظ المسند : « من قرأ عشر آيات من آخر الكهف . . . » .

(٨) مسلم ، فضل سورة الكهف : ١٩٩/٢ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبائن بن فايد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها ، كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه : ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض إلى السماء » انفرد به أحمد (١) ولم يخرجوه .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بإسناد له غريب ، عن خالد بن سعيد بن أبي مريم ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة ، سطع له نور من تحت قدمه إلى عتبان السماء ، يضيء له يوم القيامة » وعُنفَر له ما بين الجمعةين » .

وهذا الحديث في رفعه نظر ، وأحسن أحواله الوقف .

وهكذا روى الإمام : « سعيد بن منصور » في سننه ، عن هشيم بن بشير ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجلز ، عن قيس ابن عباد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة ، أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق » .

وهكذا وقع موقوفاً : وكذا رواه الثوري ، عن أبي هاشم ، به ، عن حديث أبي سعيد الخدري :

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه ، عن أبي بكر محمد بن بن المؤمل : حدثنا الفضيل بن محمد الشعرائي ، حدثنا شعيب بن حماد ، حدثنا هشيم ، حدثنا أبو هاشم ، عن أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة ، أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعةين » . ثم قال : هذا حديث صحيح بإسناد ، ولم يخرجاه (٢) .

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه ، عن الحاكم ، ثم قال البيهقي : ورواه يحيى بن كثير ، عن شعبة ، عن أبي هاشم بإسناد أنه النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة » .

وفي « المختارة » للحافظ الضياء المقدسي من حديث عبد الله بن مصعب بن منظور بن زيد بن خالد الجهني ، عن ابن الحسين ، عن أبيه ، عن علي مرفوعاً : « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة ، فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة » ، وإن خرج المجال خصم منه .

❖ ❖ ❖

(١) سنن الإمام أحمد : ٤/٣٩٩ ، والله : « ما بين السماء والأرض » .

(٢) المستدرک ، تفسير سورة الكهف : ٢/٤٦٨ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

أَتَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ① قِيَمًا يَتَّبِعُونَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ② مَّا كُنْ فِيهِ أَبَدًا ۖ ③ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا أَتُعْزِ
دُ اللَّهُ وَلَدًا ۖ ④ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ⑤

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقلعة عند فواتح الأمور وخواتيمها ، فإنه الممود على كل حال ،
وله الحمد في الأولى والآخرة : ولهذا حمّد نفسه على إزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه
عليه ، فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض ، إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور ، حيث جعله كتاباً مستقياً
لا اعوجاج فيه ولا زيغ ، بل يهدي إلى صراط مستقيم ، بينا واضحا جلياً ، تليدراً للكالرين وبشيراً للمؤمنين . ولهذا
قال : (ولم يجعل له عوجاً) ، أي : لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً ، بل جملة معتدلاً مستقياً : ولهذا قال :
(قياً) ، أي : مستقياً :

(ليتلر بأساً شديداً من لدنه) ، أي : أن خالفه وكلبه ولم يؤمن به ، يتلره بأساً شديداً ، حقوة عاجلة في الدنيا
وأجلة في الآخرة ، (من لدنه) ، أي : من عند الله الذي لا يُعَدَّبُ عليه أحد ، ولا يوتى وثاقه أحد :
(ويبشّر المؤمنين) ، أي : بهذا القرآن الذين صدّقوا بإيمانهم بالعمل الصالح ، (أن لهم أجراً حسناً) ، أي : ثوبة
عند الله جميلة ، (ماكنين فيه) ، في ثوابهم عند الله ، وهو الجنة ، خالدين فيه ، (أبداً) ، دائماً لا زوال له ولا انقضاء :
(وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) - قال ابن إسحاق : وهم مشركو العرب في قولهم : نحن نعبد الملائكة ، وهم
بنات الله (١) :

(ما لهم به من علم) ، أي : بهذا القول الذي افتروه واتفكوه من علم ، (ولا لآبائهم) ، أي : لآلئهم :

(كبرت كلمة) : نصب على التمييز ، تقديره : كبرت كلمتهم هذه كلمة :

وقيل : على التعجب ، تقديره : أصعكم بكلمتهم كلمة ، كما تقول : أكرم يزيد رجلاً : قاله بعض البصريين .
وقرأ ذلك بعض قراء مكة (كبرت كلمة) ، كما يقرأ : « عظم قولك » ، و« كبر شألك » :
والمنعنى على قراءة الجمهور أظهر ، فإن هذا يشيع لمآلئهم واستعظام لآلئهم ، ولهذا قال : (كبرت كلمة تخرج
من أفواههم) (٢) ، أي : ليس لها مستند سوى قولهم ، ولا دليل لهم عليها إلا كلبهم وأثراؤهم : ولهذا قال :
(إن يقولون إلا كذبا) :

وقد ذكر محمد بن إسحاق سببه نزول هذه السورة الكريمة ، فقال : حدثني شيخ من أهل مصر ، قدم علينا منذ
بضع وأربعين سنة ، عن حكومة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وحقبة بن أبي معيط ،

(١) تفسير الطبري : ١٢٨/١٥ . وقول ابن إسحاق فيه تخصيص من غير شخص ، وإلحق أن الآية عامة في إنذار كل من ادعى
هذه الدعوى ، يستوى في ذلك المشركون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى .

(٢) ذكر الطبري هاتين القراءتين ، واستصوب قراءة الجمهور ، وينظر : ١٢٩/١٥ .

إلى أخبار اليهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، واخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء : فخرجوا حتى قدام المدينة ، فسألوا أخبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا : قال : فقالت (١) لهم : سلوه عن ثلاث تأمركم بهن [فإن] أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مشفقك فترؤا (٢) فيه رأيكم : سلوه عن فتية ضلوا في البحر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنهم قلنا كذا فلم يحدث عجيب . وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان تنبؤه ؟ وسلوه عن الروح ، ما هو . (٣) ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فأتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متول ، فاصبروا في أمره ما بدا لكم :

فأنزل النضر وعقبة حتى قدام على قريش ، فقالوا : يامعشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أمور ، فاستخبروهم بها ، فاجأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا به فسألوهم عما أمرهم به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبركم غدا بما سألتكم عنه : ولم يستن (٤) ، فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ، لا يتحدث الله إليه في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها ، لا يخبرنا بشيء مما سألتناه عنه . وحتى أحرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة » ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معانيه إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل : (ويسألونك عن الروح ؟ قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً (٥)) .

فَلَمَّا كَانَ بَيْتُكَ نَفْسَكَ عَلَى أَنْتَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا نَارًا وَخِزْيَانًا لَهَا لَسَبُلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٧﴾ وَإِنَّا جَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُؤًا ۖ ﴿٨﴾

يقول تعالى مسلماً رسوله صلى الله عليه وسلم في حزنه على المشركين ، تركهم الإيمان وبعدمه عنه ، كما قال تعالى : (فلا تدعب نفسك عليهم حسرات (٦)) ، وقال : (ولا تحزن عليهم (٧)) ، وقال : (لملك بائع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين (٨)) .

بائع ، أى : مهلك نفسك بحزنك عليهم . ولهذا قال : (فلعلك بائع نفسك على آفهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) ، يعنى : القرآن . (أسفاً) ، يقول : لا تهلك نفسك أسفاً :

(١) لفظ الطبرى : « فقالت لهم أخبار يهود » .

(٢) روا : « نمل أمر من رأى » ، مستند إلى واد الجاهة .

(٣) ما بين التوسين سقط من خطورة الأثر ، وقد أجهتاه من تفسير الطبرى .

(٤) أى : لم يقل : « وإن شاء الله » .

(٥) تفسير الطبرى : ١٥ / ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٦) سورة فاطر ، آية : ٨ .

(٧) سورة النحل ، آية : ١٢٧ .

(٨) سورة الشعراء ، آية : ٣ .

قال قتادة : **قَاتِلْ نَفْسَكَ غَضِبًا** وحزنًا عليهم . وقال مجاهد : جزاء () . والمعنى [مقاروب ، أي : لا تأسف عليهم ، بل أبلغهم رسالة الله ، فن أهدى نفسه ، ومن ضل فإلما بفضل عليها ، فلا تنهب نفسك عليهم حسرات . ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا داراً فانية ، مَرْيَّةَ بَرِيَّةَ زَالَّةَ . وإلما جعلها داراً اختيار لا دار قرار ، فقال : **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يُولَاهُ** أجمعين () .
 قال قتادة : عن أبي نصر ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فأنظر ماذا تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » (٢) .
 ثم أخبر تعالى يزولها وفاتها ، وفراغها وانتفاضها ، وذهابها وتخربها ، فقال : **(وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا)** ، أي : وإلما لميسروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار ، فنجعل كل شيء عليها هالكا (صعيداً جزراً) ، لا يثبت ولا يثبت به ، كما قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : **(وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا)** ، يقول : يهلك كل شيء عليها ويبعد . وقال مجاهد : (صعيداً جزراً) : بلقما .
 وقال قتادة : الصعيد : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات .

وقال ابن زيد : الصعيد الأرض التي ليس فيها شيء ، ألا ترى إلى قوله تعالى : **(أُولَئِكَ يَرْجُونَ أَلْفَاظًا يَصْرُونَ)** .
 وقال محمد بن إسحاق : **(وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا)** ، يعني الأرض ، إن ما عليها لفان وبالد ، وإن المرجع إلى الله ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى (٣) .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ فَفَرَضْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ فِي هَؤُلَاءِ أَوْيَاتِهِمْ لِئَازِجِيَهُمْ لِيَسْأَلُوا بِمَا لَبِئُوا أَلَمْ تَكُنْ مِنْ رَاغِبِينَ

هذا إخبار عن قصة أصحاب الكهف ، على سبيل الإجمال والاختصار ، ثم بسطها بعد ذلك فقال : **(أَمْ حَسِبْتَ)** ، يعني يا عمدة ، **(أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)** ، أي : ليس أمرهم عجباً في قدرتنا وسلطاننا ، فإن خلقنا السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وتسخير الشمس والقمر والكواكب ، وغير ذلك من الآيات العظيمة البالغة على قدرة الله تعالى ، وأنه على ما يشاء قادر ، ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف ، كما قال ابن جرير ، عن مجاهد : **(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)** ، يقول : قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك !

(١) تفسير الطبري : ١٢٩/١٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ومسلم بإسنادهما عن أبي مسلمة ، عن أبي نضرة ، عن الحسن ، عن مسلم ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبين الفتنة بالنساء : ٨٩/٨ .

(٣) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ١٣٠/١٥ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا) ، يقول : الذي أتيتك من العلم والسنة والكتاب ، أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقم (١) .

وقال عماد بن إصحاق : ما أظهرت من حجبى على العباد ، أصعب من شأن أصحاب الكهف والرقم .
[وأما « الكهف » فهو : الغار في الجبل ، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون ، وأما « الرقم » : فقال العوفي ، عن ابن عباس : هو واد قريب من أيلة (٢) . وكلنا قال عطية العوفي ، وقتادة .

وقال الضحاك : أما « الكهف » فهو : غار الوادي ، و « الرقم » اسم الوادي .

وقال مجاهد : « الرقم » : كان بنيانهم (٣) ، ويقول بعضهم : هو الوادي الذي فيه كهفهم .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله « الرقم » ، قال : يزعم كعب أنها القرية .

وقال ابن جريج ، عن ابن عباس : « الرقم » : الجبل الذي فيه الكهف .

وقال ابن إصحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن [مجاهد ، عن] ، ابن عباس قال : اسم ذلك الجبل بنجلوس (٤) .
وقال ابن جريج : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي : أن اسم جبل الكهف بنجلوس ، واسم الكهف حيزم ، والكلب حمران .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : القرآن أعلمه إلا حساناً ، والأواه ، والرقم .

وقال ابن جريج : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ما أدري ما الرقم ؟ أكتاب أم بنيان ؟ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الرقم الكتاب . وقال سعيد بن جبير : [الرقم] لوح [من] حجارة ، كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرقم الكتاب . ثم قرأ : (كتاب مرقوم) .

وهذا هو الظاهر من الآية ، وهو اختيار ابن جرير قال : « الرقم » فعل بمعنى مرقوم ، كما يقال المرقول ، قتل ، والممروح : جريح . والله أعلم .

وقوله : (إذ أوى الفتية إلى الكهف ، فقالوا : ربنا آتنا من لئلك رحمة ، وهتيء لنا من أمرنا رشداً) .
يُخبر تعالى عن أولئك الفتية ، الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنهم عنه ، فهُرَبُوا منهم فَتَجَسَّسُوا إلى غار في

(١) تفسير الطبري : ١٣١/١٥

(٢) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم - البحر الأحمر - ما يلي الشام . قيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . وهي مدينة اليهود الذين اعتادوا في القسمة .

(٣) كلما في غسولة الأثر . وفي تفسير الطبري : ١٣١/١٥ : « كتاب بنيانهم » .

(٤) تفسير الطبري : ١٣٢/١٥ ، وما بين القوسين عنه .

جبل ليخطوا من قومهم ، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم : (ربنا آتنا من لذك رحمة) ،
 أى : حب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومتنا ، (وهى) لنا من أمرنا رشداً ، أى : يقدر لنا من
 أمرنا هذا رشداً ، أى : اجعل عاقبتنا رشداً ، كما جاء فى الحديث : « وما قضيت لنا من قضاء ، فاجعل عاقبتنا رشداً » ،
 وفى المسند من حديث يسر بن أبى أرطاة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : « اللهم ، أحسن عاقبتنا
 فى الأمور كلها ، وأجبرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة (١) » .

وقوله : (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً) ، أى : ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف ، فناموا
 سنين كثيرة . (ثم بصرناهم) ، أى : من رقتهم تلك ، وخرج أحدهم يدرهم معه ليشترى لهم بها شيئاً يأكلونه ،
 كما سيأتى بيانه وتفصيله ، ولهذا قال : (ثم بصرناهم لنعلم أى الحزبين) ، أى : المختلفين فيهم ، (أحسن لا لبوا أمداً) ،
 قيل : هل عدداً ؟ وقيل : غاية ، فإن الأمد الغاية [كقوله (٢)] .

• سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ •

ثُمَّ نَقَصَ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا
 وَيَسَّرَ اللَّهُ الْأَرْضَ لِزَيْنَبُوعَ وَهَارُونَ وَكَانَ رَبُّهُمُ غَفُورًا رَحِيمًا (٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ الْأَنْفُسُ الَّتِي افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَإِذَا غَضِبْنَا عَلَيْهِمْ
 قَالَ اللَّهُ فَادْعُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا (٦)

من هاهنا شرع فى بسط القصة وشرحها ، فذكر تعالى أنهم فتيه - وهم الشباب - وهم أقبلُ الحق ، وأهدى
 للسبيل من الشيوخ ، الذين قد حقنوا (٣) وحسبوا فى دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شباباً . وأما المشايخ
 من قريش ، فعلمتهم بقوا على دينهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا
 فتيه شباباً •

قال مجاهد : بلى أنه كان فى آذان بعضهم القبرطة (٤) يعنى الخلق ، فأنفهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم . فناموا
 برجمهم ، أى : أضربوا له بالوحداية ، وشهدوا أنه لا إله إلا هو .

(وزدناهم هدى) : لستل هذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخارى وغيره ، من ذهب إلى زيادة
 الإيمان وتفاضله ، وأنه يزيد وينقص . ولهذا قال تعالى : (وزدناهم هدى) ، كما قال : (والذين احتملوا زادهم هدى

(١) مسند الإمام أحمد : ١٨١/٤ .

(٢) هو النابتة للبيان ، والبيت فى ديوانه ، صنعة ابن السكيت : ١٤ ، وتفسير البغوى ١٥/١٣٧ . وطره الأول :

• إِلَّا لَمْ يَكُنْ أَوْ مِنْ أُنْتِ حَابِقَةٍ •

(٣) يقال فشيخ إذا ولد وكبر : هنا يحرمها ، وحسبوا ، بطله .

(٤) القبرطة - بكسر قاف - جمع قربة ، بضم فسكون : وهو ما يملق فى الأذن من الذهب والفضة .

وَأَتَاهُم مَّقَرُّهُمْ (١) ، وقال : (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ، فَرَاغَهُمْ إِيَّانَا) (٢) ، وقال : (لِيُزَادُوا إِيَّانَا مَعَ إِيَّائِهِمْ) (٣) .
إلى غير ذلك من الآيات البالغة على ذلك (٤) .

وقد ذكر أنهم كانوا على دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، والله أعلم — والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلاية ، فإنه لو كانوا على دين النصرانية ، لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم ، لمبايئتهم لهم ؛ وقد تقدم عن ابن عباس : أن قريشا بنوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيبشروا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء ، وعن خبر نبي القرين ، وعن الروح ، فدلّ هذا على أن هذا أمر عفو عن كتب أهل الكتاب ، وأنه متقدم على دين النصرانية ، والله أعلم .

وقوله : (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ، فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، يقول تعالى : وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغد والسعادة والنعمة ؛ فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم ، وأنهم خرجوا يوما في بعض أمجاد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ، ويعبدون لها ، وكان لهم ملك جبار حينئذ يقال له « دليانوس » ، وكان يأمر الناس بملك ويخضعهم عليه ويدعوهم إليه ؛ فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك ، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بين يديهم ، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينفي ، إلا الله الذي خلق السموات والأرض ؛ فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه ، ويتحاز منهم ، ويتبرّز عنهم ناحية ؛ فكان أول من جلس منهم أحدهم ، جلس تحت ظل شجرة ، فجاء الآخر فجلس عنده ، وجاء الآخر فجلس إليهما ، وجاء الآخر فجلس إليهم ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر ، ولا يعرف واحد منهم الآخر ، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقا ، من حديث يحيى بن سعيد ، عن حمزة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » (٥) « أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث سهيل [عن أبيه] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم » (٦) ؛

والناس يقولون : الجنسية هلة الضم :

والفرض أنه جعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه ، خوفاً منهم ، ولا يلري أنهم مثله ، حتى ناك أحدهم : تعلمون — والله يا قوم — أنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم ، إلا شيء ؛ فليظهر كل واحد منكم

(١) سورة محمد : آية ١٧ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٢٤ .

(٣) سورة القصص : آية ٤ .

(٤) ينظر صحيح البخاري ، أول كتاب الإيمان : ٨/١ . كما ينظر تفسير الآية ١٢٤ من سورة التوبة فيما تقدم : ١٧٥/٤ .

(٥) البخاري ، كتاب الألقاب ، باب « الأرواح جنود مجنّدة » : ١٦٢/٤ .

(٦) مسلم ، كتاب الجبر ، باب « الأرواح جنود مجنّدة » : ٤١/٨ . وما بين القوسين سقط من تفسير ابن كثير وقد أبعثناه

عن صحيح مسلم . وينظر ترجمة سهيل بن أبي صالح في التهذيب : ٢٦٢/٤ .

ما بأمره : فقال آخر : أما أنا فإني والله [رأيت ما قوبى عليه ، فعرفت أنه باطل ، وإنما الذي يستحق أن يعبد] وحده [ولا يشرك به شيء ، هو الله الذي خلق كل شيء : السموات والأرض وما بينهما . فقال الآخر : وأنا والله وقع لي كذلك . وقال الآخر كذلك ، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة ، فصادوا يداً واحدة وإخواناً صديق ، فالتفتوا لهم مبعيداً يبعثون الله فيه ، فعرف بهم قومهم ، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم ، فاستحضرهم بين يديه ضالماً عن أمرهم وما هم عليه ، فأجابوه بالحق ، ودعوه إلى الله عز وجل ، ولما أخبر تعالى عنهم بقوله : (وربنا على قلوبهم إذ قاموا ، وقالوا : ربنا رب السموات والأرض ، إن ندعو من دونه إلهاً) - ولن : لنفي التأييد ، أي : لا يقع منا هذا أبداً ، لأننا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً ، ولما قال عنهم : (لقد قلنا إذا شططاً) ، أي : باطلاً وكلها وبهتاناً .

(هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلها فلو لا يؤتون عليهم بسلطان بين) ، أي : هؤلاء أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحا صحيحاً ؟! (فن أظلم عن أقرى على الله كلبا) ، يقولون : بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك ، فيقال : إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله ، أتى عليهم ، وتهكدهم وتوعدهم ، وأمر بتزج لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم ، وأجلبهم لينظروا في أمرهم ، لعلمهم يرجعون دينهم الذي كانوا عليه . وكان هذا من لطف الله بهم ، فلهم في تلك النظرة توصلوا إلى المغرب منه ، والقرار بدينهم من الفتنة .

وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس ، أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه ، كما جاء في الحديث : « يوشك أن يكون خير مال أحكم غنماً يتخمس بها شتت الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن (١) » ، ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ، ولا تشرع فيها هذا ، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع .

فلما وقع مزهمهم على الذهاب والحرب من قومهم ، واختار الله لهم ذلك ، وأخبر عنهم بذلك ، في قوله : (وإذا امتزجتم وما يبعثون إلا الله) ، أي : وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ، فارقوهم أيضاً بأديانكم ، (فاولوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) ، أي : ييسط عليكم رحمة يسركم [بها] من قومكم ، (ويحييهم لكم من أمرهم) الذي أنتم فيه ، (مرقحاً) ، أي : أمراً ترفقون به . فعند ذلك خرجوا هرباً إلى الكهف ، فأودوا إليه ، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم ، وتسلط عليهم الملك فيقال : إنه لم ينظر بهم ، وعسى الله عليهم خبيرهم : كما فعل بنيه صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق ، حين لجأ إلى غار ثور ، وجاء المشركون من قريش في الطلب ، فلم يجئوا إليه مع أنهم يحرون عليه ، وعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى جتر الصديق في قوله : « يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قلبي لبصرنا » ، فقال : « يا أيها بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » وقد قال تعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن ، إن الله معنا : فأنزل الله مكيته عليه ، وأيده بنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم (٢)) - فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأصعب من قصة أصحاب الكهف .

(١) تقدم الحديث في سورة براءة ، عند تفسير الآية ١١٧ ، وخرجناه هناك وشرحنا غريبه . ينظر : ١٥٧/٤ .

(٢) سورة براءة ، آية ٤٠ . وقد تقدم معنا حديث الهجرة ، وخرجناه هناك من مسند الإمام أحمد والمصنفين . ينظر :

وقد قيل : إن قومهم ظفروا بهم ، وقفوا على باب النار الذى دخلوه ، قالوا : ما كنا نريد منهم من العوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم . فأمر الملك بردهم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ، ففعل ذلك : وفى هذا نظر ، ولقد أعلم ، فإن الله تعالى أخبر أن الشمس تدخل عليهم فى الكهف بكرة وعشية ، كما قال تعالى :

﴿ وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوْهُنَّ حَكَّيْنَهُنَّ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّهُنَّ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُنَّ فِي شَجَرَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ الْغَافِلِينَ ۝ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْسِدًا ۝ ١٧ ﴾

هذا دليل على أن باب هذا الكهف من نحو الشمال ، لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تَرَوْهُنَّ (ذات اليمين) ، أى : بقلص القىء بمكة ، كما قال ابن عباس ، وسعيد بن جبيرة ، وقطادة : (تزاور) ، أى : تميل (١) . وذلك أنها كلما ارتفعت فى الأفق تكتسب شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال فى مثل ذلك المكان . ولهذا قال : (وإذا غربت تعرضهن ذات الشمال) ، أى : تدخل إلى غارهن من شمال بابه ، وهو من ناحية المشرق ، فدل على صحة ماقلناه ، وهذا يبين لمن تأمله وكان له علم بحركة لميعة ، وسير الشمس والقمر والكواكب ، ويبان أنه لو كان باب النار من ناحية المشرق لا تدخل إليه منها شيء عند الغروب ، ولو كان من ناحية القبلة لا دخله منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ، ولا تزاور التيء بينا دلا شيئا ، ولو كان من جهة الغرب لا دخلته وقت الطلوع ، بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب ، فحين ما ذكرناه والله الحمد .

قال ابن عباس ، وجاهد ، وقطادة : (تعرضهن) : تركهن (٢) .

وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف فى أى البلاد من الأرض ، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعى . وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا ، فقدم من ابن عباس أنه قال : [هو] قريب من أيلة . وقال ابن إسحاق : هو عند نينوى . وقيل : ببلاد الروم . وقيل : ببلاد البقاء . والله أعلم بأى بلاد الله هو . ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تركت شيئا يقرىكم لى [الجنة (٣)] ويباعدكم من النار ، إلا وقد أعلمتكم به » . فاعلمنا تعالى بصفته ، ولم يعلمنا بمكانه ، فقال : (ورى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهن) - قال مالك ، عن زيد بن أسلم : تميل (ذات اليمين) ، وإذا غربت تعرضهن ذات الشمال ، وهم فى فجوة منه) ، أى : فى متسع منه دخلا ، بحيث لا تسهم ، إذ لو أحباهم لأحرقنا أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس .

(ذلك من آيات الله) ، حيث أرشدنا تعالى إلى هذا النار الذى جعلهم فيه أحياء ، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتنبئ أبدانهم ، ولهذا قال : (ذلك من آيات الله) .

(١) تفسير الطبرى : ١٣٩/١٥ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٤٠/١٥ .

(٣) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، ومكانه فى غلطة الأثر : راقه .

ثم قال : (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) ، أى : هو الذى أرشد هؤلاء الفئة إلى الهداية من بين قومهم ، فإنه من هداه الله اهتدى ، ومن أضله فلا هادى له .

وَنَحْسِبُهُمْ إِنْ قَاعًا وَهُمْ يَقُوذُونَ وَقُلْ لَهُمُ الذِّكْرُ ثَقُلَتْ فَأُولَئِكَ كَانُوا فِي سَعْيٍ كَثِيرٍ
وَنَحْسِبُهُمْ إِنْ قَاعًا وَهُمْ يَقُوذُونَ وَقُلْ لَهُمُ الذِّكْرُ ثَقُلَتْ فَأُولَئِكَ كَانُوا فِي سَعْيٍ كَثِيرٍ

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم ، لم تنطق أعينهم ، لتلا يسرح إليها البلى ، فلذا بقيت ظاهرة لاهواه كان أبى لها . ولذا قال تعالى : (ونحسبهم أيقاظا وهم رقود) ، وقد ذكر من اللب أنه ينم فيطبق حيناً ويفتح حيناً ، ثم يفتح هذه ويطلق هذه وهو راقد ، كما قال الشاعر (١) :

يَنَامُ بِإِحْدَى مَقَلَّتَيْهِ وَيَفْتَحُ بِأُخْرَى الرَّكَبَا ، فَهَوَّ يَطْفُلَانِ نَائِمِ

وقوله تعالى : (وتقلبه ذات اليمين وذات الشمال) - قال بعض السلف : يقلبون في المنام مرتين .

قال ابن عباس : لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض .

وقوله : (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) - قال ابن عباس ، وقادة ومجاهد ، وسعيد بن جبير : الوصيد القناه (٢) .

وفال ابن عباس : بالباب . وقيل : بالصيد ، وهو الراب . والصحيح أنه بالقناه ، وهو الباب ، ومثله قوله تعالى : (إنها عليهم مؤصلة (٣)) ، أى : مطبقة مطبقة . ويقال : «وصيد» «وأصيد» (٤) .

ربض كلهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب .

قال ابن جرير : يحرس عليهم الباب . وهذا من سمجته وطبيعته ، حيث يربض ببابهم كأنه محروسهم ، وكان جلوسه خارج الباب ، لأن للملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب - كما ورد في الصحيح - ولا صورة ولا جنب ولا كافر ، كما ورد به الحديث الحسن (٥) . وثلث كلهم بركتهم ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال . وهذا فائقة صعبة الاختيار ، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وغيره وشأن .

(١) هو سعيد بن نوح . والبيت في ديوانه : ١٠٤ . من قصيدة مبيتة ، فرواية مصرامه الثاني :

« بأخرى الأمدى فهو يقظان حليج »

(٢) تفسير الطبري : ١٥٠/١٤١ .

(٣) سورة المزة ، آية : ٨ .

(٤) قال الطبري في تفسيره ١٥٠/١٤٢ : « وأول الأتوال في ذلك بالصواب قول من قال : الوصيد : الباب » أو قناه الباب ، حيث يلقى الباب . وذلك أن الباب يوصد ، وإيصاده : إبطائه وإغلاقه ، من قول الله عز وجل : (إنها عليهم مؤصلة) وفيه لسان : « الأصيد » وهي لغة أهل نجد ، « الوصيد » ، وهي لغة تيملة .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في الجنب يؤخر التسلل ، الحديث ٢٢٧/٥٨١ ، وكتابته الهباس ، بابه « في الصور » ، الحديث ٤١٥٢ : ٧٢/٤ ، ٧٣ ، والثاني ، كتاب الطهارة ، باب « في الجنب إذا لم يتوضأ » : ١٤١/١ .
ومستند الإمام أحمد من حديث أبيه عنه : ٨٠/١ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ١٣٩ ، ١٥٠ .

وقد قيل : إنه كان كلب صيد لأحدكم ، وهو الأخبى - وقيل : كان كلبه طباط الملك ، وكان قد وافقهم على الدين (١) فصعبه كلبه ، فأنشأه أعلم .

وقد روى الحافظ ابن سحاصر في ترجمة «حام بن الوليد النحشي» : «حدثنا صليقة بن عمر التميمي ، حدثنا حماد المقرئ ، سمعت الحسن البصري رحمه الله يقول : كان اسم كبش إبراهيم : جرير ، واسم لهده سليمان : عنز ، واسم كلب أصحاب الكهف : قطير ، واسم رجل بنى إسرائيل الذي حبسه : يهوذا ، وعبط آدم عليه السلام : الهناء ، وحواء حمدة ، وإليxis بخت بيسان ، وألحبة : أصهبان .

وقد تقدم عن شعيب الجبائي أنه مياه حمران .

و اختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها ، ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ، ولا حاجة إليها ، بل هي مما ينبغي حتم
قرآن مستندها ورجم بالغيب .

وقوله تعالى : (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) ولعلنا منهم (حيا) ، أى : إنه تعالى أنى عليهم الهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا باهم ، لما أبصروا من الهابة واللاحر ، لئلا يدنو منهم أحد ولا تسهم يد لاسم ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، وتنتضى رقدتهم الى شاء تبارك وتعالى فيهم ، لما له قه ذلك من الحجة والحكمة البالغة ، والرحمة الواسعة .

وَكُلَّامِكَ مَعْنَاهُمْ لِيَسْأَلُوا رَبَّهُمْ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَذِبٌ ۖ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَبْرَأُ الْوَحْيَ لَقَالُوا أَكْثَرُ عِلْمٍ ۚ لَقَدْ كُنْتُمْ فِئْتًا أَهْلَكَ بِوَعْدِ اللَّهِ الْعَذِيبَةِ ۚ لَقَدْ ظَنَبْنَا عَلَىٰ أَرْسِنِهَا لَكُمْ بَرَكًا مِّنْهُ وَلِيُظَلِّفَ وَلَا يُسْعَرَ بِكَ أَحَدًا ۖ ۞ لَّئِمٌّ إِن يَنْظُرُوا عَلَيْكُمْ يُعْرَبُوا ۖ وَأُوْعِدُونَكُم فِي مَا هُمْ وَفِيهِ أَتَابًا ۖ ۞

يقول تعالى : **وَكَأَازْدَانَهُمْ بَعَثْنَاهُمْ صَاحِبَةً أَبْدَانَهُمْ وَأَسْخَارَهُمْ** ، لم يبقوا من أمّ وألم وهياهم شيئا ، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ، ولهذا تساءلوا بينهم : (كم لبثتم ؟) ، أى : كم قدّمتم ؟ قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم) .-- كأنه كان دخولهم إلى الكهف فى أول نهار ، واستيقاظهم كان فى آخر نهار ، ولهذا استدلوا فقالوا : (أو بعض يوم . قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم) ، أى : الله أعلم بأمركم ، وكأنه حصل لهم نوع تَرَدُّد فى كُترة نومهم ، فأنه أعلم ، ثم عدلوا إلى الأهم فى أمرهم إذذاك ، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب ، فقالوا : (فابنوا أجدكم يورثكم) . (أى : فبنيكم هذه . وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دَرَاهِمَ من منازلهم لحاجتهم إليها ، فتصدقوا منها وبقي منها فلبثوا قالوا : (فابنوا أجدكم يورثكم هذه إلى المدينة) ، أى : مدينتكم التى خرجتم منها : والآيت واللام لله .

(١) يعني أن الذي والقهم على الدين هو الطباخ .

(فلينظر أيها الرزقي طعاماً) ، أى : أطيب طعاماً ، كقوله : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، ما زكي منكم من أحد أبداً) (١) ، وقوله : (قد أفلح من تزكى) (٢) ، ومنه الزكاة التى تطيب المال وتطهره . وقيل : أكثر طعاماً ، ومنه زكاة الزروع إذا كثر ، قال الشاعر (٣) :

فَبَلَّغْنَا صَبِيحَ وَأَتَمَّ شُكْرَكَ وَكَسْبُكَ أَرْسَى مِنْ ذَلَالٍ وَأَطْيَبُ

والصحيح الأول ، لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال ، سواء كان قليلاً أو كثيراً .

وقوله : (وليتطفت) ، أى : فى خروجه وذهابه ، وشرائه وإيابه ، يقولون وَلْيَتَخَفْ : كل ما يقدر عليه ، (ولا يشعرن) ، أى : يلمن (يكملن) إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم) أى : إن علموا بمكانكم ، (يرموكم أو يمدوكم فى ملتهم) ، يعنون أصحاب دقيانوس ، يخافون منهم أن يظلموا على مكانهم ، فلا يزالون يلبسونهم بأنواع العذاب إلى أن يمدوهم فى ملتهم إلى هم عليها أو يعوتوا ، وإن واقفهم على الصدق فى الدين فلا فلاح لكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولهذا قال : (ولن تفلحوا إذا أبداً) .

وَكَذَلِكَ أَهْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُحِبُّوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتَنَا رَبُّهُمْ أَظْهَرَ بَرْهًا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَمْرِهُمْ لَنُتَحَدَّنَّ عَلَيْهِمْ مُسْجِدًا ۖ

يقول تعالى : (وكذلك أهترونا عليهم) ، أى : اطلعنا عليهم الناس ، (ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة

لا ريب فيها) :

ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة

وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا : تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد . بعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك :

وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة ، فى شراء شيء لم يأكلوه ، تنكر وخرج يمشى فى غير الجادة ، حتى انتهى إلى المدينة ، وذكروا أن اسمها دقوس ، وهو يقطن أنه قريب العهد بها ، وكان الناس قد تبدلوا قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، وتغيرت البلاد ومن عليها ، كما قال الشاعر :

لَمَّا لِلدَّيَارِ تَغَيَّرَتْهَا كَدَّ يَارِهِمْ وَلَرَى رِجَالُ الْحَيَى غَيْرَ رِجَالِهِ

فجعل لا يرى شيئاً من معالم البلد التى يعرفها ، ولا يعرف أحداً من أهلها ، لا خواصها ولا عوامها ، فجعل يتحير فى نفسه ويقول : لعل لى جنونا أو مساً ، أو أنا حالم ، ويقول : والله ما فى شيء من ذلك ، وإن عهدى بهذه البلدة هشة أمس على غير هذه الصفة ، ثم قال : إن تعجبل الخروج من هاهنا لأولى لى . ثم حسد إلى رجل من بيع الطعام ،

(١) سورة النور ، آية ٢١ .

(٢) سورة الأهل ، آية ١٤ .

(٣) البيت فى تفسير الطبرى : ١٥ / ١٤٨ فى متسرج .

فلطم إليه مامعه من النفقة ، وسأله أن يبيعه بها علما : فلما رآها ذلك الرجل أنكروها وأنكر شربها ، فطلمها إلى جاره ، وجعلوا يتداولوها بينهم ويقولون : لعل هذا قد وجد كثيرا : فسألوه عن أمره ، ومن أين له هذه النفقة ؟ لعله وجدها من كثر ، ومن أنت ؟ فجعل يقول : أنا من أهل هذه المدينة ، وعهدت بها حشية آمن وفيها ديار آمن . ففسره إلى الجنون ، فحملوه إلى ولي أمرهم ، فسأله عن شأنه وعن أمره ، حتى أخبرهم بأمره ، وهو متعبر في حاله . وما هو فيه : فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف : متوكلين البلد وأهلها ، حتى انتهى بهم إلى الكهف ، فقال : دعوني حتى أقدمكم في النحوى لأعلم أصحابي ، فيقال : إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه ، وأخني الله عليهم خبره . ويقال : بل دخلوا عليهم ، ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتقهم ، وكان مسلما فيما قيل ، واسمه تيدوسيس ، ففرحوا به وأسروه الكلام ، ثم ودعوه وسلموا عليه ، وعادوا إلى مضاجعهم ، وتوفاهم الله عز وجل ، فآله أعلم .

قال قتادة : فرأى ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فرأوا بكهف في بلاد الروم ، فرأوا فيه عظاما ، فقال قائل : هذه عظام أهل الكهف ؟ فقال ابن عباس : لقد بليت عظماهم من أكثر من ثلاثمائة سنة : رواه ابن جرير (١) . وقوله : (وكلكت أمثرا علينا عليهم) أي : كما أرقدناهم وأيقظناهم بآتهم ، أعلمنا عليهم أهل ذلك الزمان ، (ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم) ، أي : في أمر القيامة ، فمن ثبت لها ومن منكر ، فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم . (فقالوا : ابنوا عليهم بيتا ، ربهم أعلم بهم) ، أي : سددوا عليهم باب كهفهم ، وذرّوهم على حالهم ، (قال الذين غلبوا على أمرهم : لننخلن عليهم مسلجا) : حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين ، أحدهما : أنهم المسلمون منهم : والثاني : أهل الشرك (٢) منهم ، فآله أعلم .

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ : ولكن هل هم عمودون أم لا ؟ فيه نظر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتفعلوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد (٣) » ، يحلر ما فعلوا ، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق ، أمر أن يغني عن الناس ، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده ، فيها شيء من اللامح وغيرها .

سَبِقُوا لَوْنًا رَأَيْتَهُمْ كَلْبَهُمْ وَيَقُولُونَ مَسْجِدُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجَعْنَا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَابَتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَأَيْتُمْ أُعْلِمُ يَوْمَئِذٍ مَا يُعْلِمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْ فِيهِمْ وَلَا مَرَأَةً ظَنُّرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝

يقول تعالى غير آخر عن اختلاف الناس في حدة أصحاب الكهف ، فحكى ثلاثة أقوال ، فدل على أنه لا قال بربع ، ولا صنف القولين الأولين بقوله : (رجعا بالغيب) ، أي : قول بلا علم ، كن يرى إلى مكان لا يمر له فإنه لا يكاد

(١) تفسير الطبري : ١٤٣/١٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١٤٩/١٥ .

(٣) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور : ١١١/٢ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب ما انتهى من بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها .. : ٦٧/٢ .

يصيب ، وإن أصاب قبل قصد : ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله : (وثامنهم كليهم) - دلّ على صحته ، وأنه هو الواقع في نفس الأمر :

وقوله : (قل رب أعلم بعبدهم) لإشادة إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام ردّ العلم إلى الله تعالى ، إذ لا احتياج إلى الغرض في مثل ذلك بلا علم ، لكن إذا أطلعتنا على أمر قلنا به ، وإلا وقفنا حيث وقفنا .

وقوله : (ما يعلمهم إلا قليل) ، أي : من الناس . قال قتادة : قال ابن عباس : أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل ، كانوا سبعة . وكذا روى ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عنه ، أنه كان يقول : أنا ممن استثنى الله ، ويقول : عندهم سبعة :

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا إسرائيل ، عن مياك ، عن حكرمة ، عن ابن عباس : (ما يعلمهم إلا قليل) ، قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة (١) .

فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس : أنهم كانوا سبعة ، وهو موافق لما قلناه :

وقال محمد بن إسماعيل بن يسار عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حدائنه سنة وفتح الورك (٢) . قال ابن عباس فكانوا كذلك ليلتهم ونهارهم في عبادة الله ، يكون ويستطيئون بالله ، وكانوا ثمانية نفر : مكسيميتا (٣) ، وكان أكبرهم وهو الذي كلم الملك عنهم وجسيميلينا (٤) ونغيخا ، ومرطوس ، وكشطونس ، وبيرونس وديموس ، ويطوس قالوش (٥) .

هكذا وقع في هذه الرواية ، ويحمل هذا من كلام ابن إسحاق ، أو من يتيه ويبيته ، فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة ، وهو ظاهر الآية . وقد تقدم عن شعيب الجبائي أن اسم كليهم حمران . وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كليهم نظر في صحته ، والله أعلم ، فإن غالب ذلك متكلف من أهل الكتاب ، وقد قال تعالى : (فلا تمار فيهم إلا مراة ظاهرا) ، أي : سهلا هيّئا ؛ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ، (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ، أي : فانهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجما بالغيب ، من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، فهو المقدم الحاكم على كل ما نقله من الكتب والأقوال .

(١) تفسير الطبري : ١٥٠/١٥ .

(٢) لفظ الطبري : « من حدائنه أسنانه » . والوضع - يفتحون - : البياض . والورك : القبة .

(٣) في المخطوطة : مكسيميتا . والمثبت من الطبري ، والله للثور : ٢١٧/٤ .

(٤) كذا في مخطوطة الأثر . وفي تفسير الطبري : بإلحاق مكان الجيم .

(٥) في المخطوطة : « وقابوس » ، بالواو . وهي غير ثابتة في الطبري ، وإلحاقها بيني أنهم تسعة .

وَلَا تَقْرَأُ لِلَّذِينَ أُقْرِضُوا إِلَيْ قَاعِلَ ذَلِكَ عَذَابٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ وَأَذْكَرُكَ بِكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبِّي إِلًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا رَسُودًا ﴿١١﴾

هذا إرشاد من الله لرسوله (١) - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الأدب فيما إذا حزم على شيء ليفعله في المستقبل ، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل ، علام الغيوب ، الذي يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه : « قال سليمان ابن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية : تسعين امرأة - وفي رواية : مائة امرأة - ستلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله . فقيل له - وفي رواية : فقال له الملك : قل : إن شاء الله - فلم يقل ، فطأته جميع فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - والذي نفسي بيده ، لو قال : « إن شاء الله » ، لم يبعث ، وكان ذكرا لحاجته » وفي رواية : « ولتأتوا في سبيل الله فرسانا أجمعون (٢) » .

وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي صلى الله عليه وسلم ، لما سئل عن قصة أصحاب الكهف : « غدا أجيبكم » . فتأخر الوحي خمسة عشر يوما ، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة ، فأقضى عن إعادته . وقوله : (واذكر ربك إذا نسيت) قيل : معناه : وإذا نسيت الاستثناء ، فاستثنى عند ذكره له ، قاله أبو العالية ، والحنس البصري (٣) .

وقال هشيم ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في الرجل يخلع ؟ قال : له أن يستنوي ولو إلى سنة - وكان يقول : (واذكر ربك إذا نسيت) في ذلك . قيل للأعمش : سمعته من مجاهد ؟ قال : حدثني به لهب بن أبي سليم ، يرى ذهب كسائي (٤) . هذا .

ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، به .

ومعنى قول ابن عباس : « أنه يستنوي ولو بعد سنة » ، أي : إذا نسي أن يقول في حلقه أو كلامه « إن شاء الله » ، وذكر ولو بعد سنة ، فالسنة له أن يقول ذلك ، ليكون آتيا بسنة الاستثناء ، حتى لو كان بعد الحنث ، قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك ، لا أن يكون رافعا لحنث اليمين ومستقلا للكمارة . وهذا الذي قاله ابن جرير - رحمه الله - هو الصحيح ، وهو الأقبح يحمل كلام ابن عباس عليه ، والله أعلم . وقال حكيمه : (واذكر ربك إذا نسيت) ، أي : إذا غصبت . وهذا تفسير بالآثار .

(١) في المخطوطة : « من الله إلى رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الأدب » . فاستبدلنا « إلى » بـ « إلى » ، واللام . ليستقيم السياق .

(٢) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « كيف كان بين النبي صلى الله عليه وسلم » ١٦٢/٥ ، ١٦٣ ، وكتابه اللغات باب « الاستثناء في الإيمان » ١٨٢/٥ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الاستثناء » ٨٧/٥ . والدرك - يفتحين - : « السابق والوصول إلى الشيء » .

(٣) تفسير الطبري : ١٥١/١٥ .

وقد قال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى الخوافي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، عن صباد بن العوام ، عن سفيان ابن حسين ، عن يعل بن مسلم ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت) أن تقول : إن شاء الله .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحارث الجبيلي ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد العزيز ابن حصين ، عن ابن أبي نجيح ، عن جاهد ، عن ابن عباس في قوله : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) واذكر ربك إذا نسيت) أن تقول : إن شاء الله .

ويروى عن علي بن أبي حمزة عن ابن عباس في قوله : (واذكر ربك إذا نسيت) الاستثناء ، فاستثنى إذا ذكرت • وكان من خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس لأحد منا أن يستثنى إلا في صلة من بينه • لم قال : تفترد به القليل ، عن عبد العزيز بن أبي ربيعة .

ويروى في الآية وجه آخر • وهو أن يكون الله عز وجل قد أرشد من لشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه من الشيطان ، كما قال في موسى : (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) (١) ، وذكر الله تعالى يطرده الشيطان ، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ، فذكر الله تعالى سبب للذكر ، ولهذا قال : (واذكر ربك إذا نسيت) •

وقوله : (قل : عسى أن يبدلين ربي لأقرب من هذا رشداً) ، أي : إذا سئلت عن شيء لا تعلمه ، فاسأل الله فيه ، وتوجه إليه أن يوفقك للصواب والرشد ، وقيل غير ذلك في تفسيره والله أعلم .

وَلْيَتُوبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿١٠٠﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنْ يُصَرِّهَ وَأَتَّخِصَ مَا هُمْ مِنْ دُونِهِ • وَلَوْ لَا يُسْرِكُ فِي حُجَّتِهِ أَحَدًا ﴿١٠١﴾

هذا خبر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بمثل ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم ، منذ أرقدهم الله إلى أن يبعثهم وأمر عليهم أهل ذلك الزمان ، وأنه كان مقداره ثلاثمائة وتسع سنين بالهالية ، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية ، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمريّة إلى الشمسية ثلاث سنين ، فلهذا قال بعد الثلاثمائة : (وازدادوا تسعا) .

وقوله : (قل الله أعلم بما لبثوا) ، أي : إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله عز وجل ، فلا تتقدم فيه بشيء ، بل قل في مثل هذا : (الله أعلم بما لبثوا) له غيب السموات والأرض ، أي : لا يعلم ذلك إلا هو أو من أطلعه الله عليه من خلقه ، وهذا الذي قلناه ، عليه غير واحد من علماء التفسير كجاهد ، وغير واحد من السلف والخلف :

وقال قتادة في قوله : (وليثروا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً) : هذا قول أهل الكتاب ، وقد رده تعالى بقوله : (قل : الله أعلم بما لبثوا) ، قال : وفي قراءة عبد الله : (وقالوا : وليثروا) ، يعنى أنه قاله الناس (١) ، وهكذا قال - كما قال قتادة - مطّرف بن عبد الله .

وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر ، فإن الذي يأبى أهل الكتاب أنهم ليثروا ثلاثمائة سنة من غير نصح ، يعنون بالشمسية ، ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال : (وازدادوا تسماً) ، وظاهر الآية إنما هو من إخبار الله ، لا حكاية عنهم : وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود مقطعة ، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتاج بها ، والله أعلم .

وقوله : (أبصر به وأسمع) ، أى : إنه أبصر بهم سمعهم ولم

قال ابن جرير : وذلك في معنى المبالغة في المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه ، وتأويل الكلام : فلا أبصر الله لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه من ذلك شيء (٢) .

ثم روى عن قتادة في قوله : (أبصر به وأسمع) ، فلا أمد أبصر من الله ولا أسمع .

وقال ابن زيد : (أبصر به وأسمع) ، يرى أعمالهم ، ويسمع ذلك منهم سمياً بصيراً .

وقوله : (ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً) ، أى : إنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر ، الذي لا محتب حكاه ، وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير ، تعالى وتقدس .

وَأَمَّا مَا نُنشِئُ لَكَ مِنْ حِجَابٍ رَبِّكَ لَا مَبْذُلَ لِكَلِمَتِهِ وَأَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُسْتَحَدًا ۖ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْثِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ حِسَابَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُطِيعُ مَنْ أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِ نَاوَأْتِجْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ

يقول تعالى أمراً رسولاً بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس : (لا مبدل لكلماته) ، أى : لا مغير لما ولا محرف ولا مؤول (٣) .

وقوله : (ولن نجد من دونه مستهداً) - قال ابن جرير : يقول : إن أنت يا همد لم تنل ما أوصى إليك من كتاب ربك ، فإنه لا ملجأ لك من الله (٤) . كما قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فلا بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (٥)) ، وقال تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) (٦) ، أى : سائلك عما فرض عليك من إيلاف الرسالة :

(١) تفسير الطبري : ١٥٢/١٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١٥٣/١٥ ، ١٥٤ .

(٣) في التلخيص السابقة : « ولا مزيل » مكان : « ولا مؤول » .

(٤) تفسير الطبري : ١٥٤/١٥ .

(٥) سورة المائدة : آية : ٦٧ .

(٦) سورة القصص : آية : ٨٥ .

وقوله : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) ، أي : اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ، ويمجدونه ويسبحونه ويكبرونه ، ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله ، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أحرار أو صفاة ؛ يقال : إنها تولت في أشراف قریش ، حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب [وخباب] وابن مسعود ، ولينرد أولئك يجلس على حدة ؛ فنهاه الله عن ذلك ، فقال : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) ... الآية ، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء ، فقال : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (١) .

فإن مسلم في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، عن إسرائيل ، عن المقدام ابن شريح ، عن أبيه ، عن سعد - هو ابن أبي وقاص - قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر ، فقال للمشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا . قال : وكنت أنا وابن مسعود ، ورجل من هذيل ، وبهلاء ، ورجلان سميت اسميهما (٢) : فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع ، فحدث نفسه ، فأنكر الله عز وجل : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) . انفرد بإخراجه مسلم (٣) دون البخاري :

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي التياح قال : سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي أمامة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص ، فأمسك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقص ، فكان أتمد غدوة إلى أن تشرق الشمس ، أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب (٤) .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا هاشم ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت كردوس بن قيس - وكان قاص العامة بالكوفة - يقول : أعبرني رجل من أصحاب بدر : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لأن أتمد في مثل هذا المجلس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب . قال شعبة : فقلت : أي مجلس (٥) ؟ قال : كان قاصا (٦) .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا محمد ، حدثنا يزيد بن أبيان ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أحب إلى من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل ، دينة كل

(١) سورة الأنعام ، آية : ٥٢ .

(٢) كلما في المخطوطة ، وفي صحيح مسلم : « لست أسبغها » .

(٣) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : « في فضل سعد بن أبي وقاص » : ١٢٧/٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٦١/٥ ، ولحديث تكله نغشي أن تكون قد سقطت من تفسير ابن كثير ، وهي : « وبعد العصر حتى تقرب الشمس ، أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب » .

(٥) لفظ المسند : « فقلت : أي مجلس تقي ؟ » .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤٧٤/٣ .

واحد منهم اثنا عشر ألفاً : فحسبنا دينهم ونحن في مجلس أنفس ، فلبثت ستة وتسعين ألفاً ، وهاهنا من يقول : « أربعة من ولد إسماعيل » ، والله ما قال إلا ثمانية ، حبة كل واحد منهم اثنا عشر ألفاً .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن علي بن الأكرم ، عن الآخر أبي مسلم - وهو كوفي - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ سورة الكهف ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم سكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم » .

هكذا رواه أبو أحمد ، عن عمرو بن ثابت ، عن علي بن الأكرم ، عن الآخر مرسلًا : وحدثناه يحيى بن اللؤلؤ ، عن منصور ، حدثنا محمد بن الصلت ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن علي بن الأكرم ، عن الآخر أبي مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل يقرأ سورة الحجرات أو سورة الكهف ، فسكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم » (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا يميون المكي ، حدثنا يميون بن سبابة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من قوم اجتمعوا يذكر الله ، لا يريدون بذلك إلا وجهه ، إلا ناداهم من السماء : أن قوموا مغفورا لكم ، قد بددت سيئاتكم حسنت (٢) ، تفرد به أحمد رحمه الله .

وقال الطبراني : حدثنا إسماعيل بن الحسن ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في بعض آياله : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) ، فخرج يلتمسهم ، فوجد قوماً يذكر الله ، منهم ثائر الرأس ، وجامع الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رأهم جلس معهم وقال : الحمد لله الذي جعل ما في أنفس من أمر الله أن أصبر نفسي معهم .

عبد الرحمن هذا ، ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة (٣) : ولما أبوه فن سادات الصحابة رضي الله عنهم . وقوله : (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) - قال ابن عباس : « ولا تجاوزهم إلى غيرهم » (٤) ، يعني : تطلب بهم أصحاب الشرف والثروة .

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) ، أي : شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ، (وكان أمره فرطاً) ، أي : أعماله وأفعاله سته ، وتفرط وضيع ، ولا تكن مطمئناً له ولا عينا لطريقته ، ولا تعقبه بما هو فيه ، كما قال تعالى : (ولا تحزن عيناك إلى ما متاع به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ، لنفتنهم فيه ، وورق يترك خيراً وأبقي) (٥) .

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن البزار : ٢١٩/٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٤٢/٣ .

(٣) لعبد الرحمن ترجمة في أسد الغاية : ٥٧/٣ ، بتحقيقنا ، وقال ابن الأثير : « ذكره ابن أبي ذرارة في الصحابة ، ولا يصح » . وإنما الصحيحة لأبيه وأخيه أبي أسامة ، وله رواية . وذكر ابن الأثير الحديث المروي هنا .

وقد أخرجه الطبري أيضاً عن الربيع بن سليمان ، عن ابن وهب ، بإسناده ، ينظر ١٥٥/١٥ .

(٤) تفسير الطبري : ١٥٥/١٥ .

(٥) سورة طه ، آية ١٣١ .

وَأَمَّا الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثِبُوا أَهْلَ السُّورَةِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١) يَتَّبِعُ أَهْلَ السُّورَةِ يُؤْتِي السُّورَةَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا (٢)

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد للناس : هذا الذي جئتمكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ، (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) : هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ، ولهذا قال : (إنا أعتدنا) ، أى : أروصدنا (للظالمين) ، وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه (ناراً أحاط بهم سرادقها) ، أى : صورها :

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن طيمية ، حدثنا دراج ، عن أبي الطيمية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس أدق النار أربعة جُدُر ، كثافة (١) كل جدار مثل مسافة (٢) أربعين سنة (٣) » :

وأخرجه الترمذي في « صفة النار » ، وابن جرير في « تفسيره » ، من حديث دراج أبي السَّمْع ، به (٤) :

[وقال ابن جرير : قال ابن عباس : (أحاط بهم سرادقها) ، قال : أحاط من نار]

قال ابن جرير : حدثني الحسن بن نصر والعباس بن محمد قالا : حدثنا أبو حاصم ، عن عبد الله بن أمية ، عن حدثني محمد بن يحيى بن يعلى ، عن صفوان بن يعلى ، عن يعلى بن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البحر هو جوفهم قال : فقل له : فكيف ذلك ؟ ، فتلا هذه الآية - أو : قرأ هذه الآية - : (ناراً أحاط بهم سرادقها) ، ثم قال : والله لا أدخلها أبداً ، أو : ما حدثت حياً - ولا يصيبني منها قطرة (٥) .

وقوله : (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) بس الشراب ، وماءت مرافقاً - قال ابن عباس : « المهل » : ماء غليظ مثل درى الزيت (٦) .

وقال جماعة : هو كالدسم والقيح ، وقال عكرمة : هو الشيء الذى انتهى حره : وقال آخرون : هو كل شيء أذيب .

وقال قتادة : أذاب بن مسعود شيئا من الذهب في أخذوه ، فلما انما وأزيد قال : هذا أشبه شيء بالمهل :

وقال الصحاح : ماء جهنم أسود وهى سوداء وأهلها سود .

(١) لفظ المسند والترمذي : « كتف » - بكسر فتح .

(٢) لفظ المسند : « مثل مسيرة » . و « مثل » خير ثابتة في الترمذي .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٩/٣ .

(٤) نسخة الأضوى : أبواب صفة جهنم ، باب « ما جاء في صفة شراب أهل النار » ، الحديث ٣٧١٠ : ٣٠٥/٧ - ٣٠٧ .

وتفسير الطبري : ١٥٧/١٥ .

(٥) تفسير الطبري : ١٥٧/١٥ .

(٦) تفسير الطبري : ١٥٨/١٥ .

ولهذه الأنعام ليس شيء منها ينبي الآخر ، فإن الملأ يجمع هذه الأوصاف الرقبلة كلها ، فهو أسود منين^١ ، حليظ حار ، ولهذا قال : (يشوى الوجوه) ، أى : من حره ، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه ، شواه حتى يسقط جلد وجهه فيه ، كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ، بإسناده المتقدم فى سترادى النار ، من أن سيد الخلدوى ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماء كالمهل - قال : كم تكثر الزيت فإذا قرب به إليه ، سقطت فروة وجهه فيه (١) » وهكذا رواه الترمذى فى « صفة النار » من جامع ، من حديث زهدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن حجاج ، به : ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث زهدين^٢ ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه (٢) . وهكذا قال ، وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم من حسن الأسيب ، عن ابن أبي عمير ، عن دراج ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك ، وبقية بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الله بن بشار ، عن أبي أمامة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) ، قال : « يقرب إليه » فيكثره ، فإذا قرب منه شوى وجهه ووقمت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه ، يقول الله تعالى : (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ، يشوى الوجوه بئس الشراب (٣)) .

وقال سعيد بن جبير : إذا جاع (٤) أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها فاشتعلت جلود وجوههم ، فلو أن ماراً من جهنم [يبرفهم] ، لعرفت جلود وجوههم فيها : ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون ، فيثألون بماء كالمهل ، وهو الذى قد انتهى حره ، فإذا أذنه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم إلى قد سقطت عنها الجلود (٥) .

ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات التبيحة : (بئس الشراب) ، أى : بئس هذا الشراب ، كما قال فى الآية الأخرى : (وسعوا ماء حمياً قطع أمعاءهم (٦)) ، وقال تعالى : (لئس من حين آية (٧)) ، أى : حارة ، كما قال : (ويوحى حميم آن (٨)) .

(وساعت مرتفقا) ، أى : وساعت النار لا تترلا ومكبلا وعجمها وموضعا للارتفاق ، كما قال فى الآية الأخرى : (إنها ساعت مستقرا ومقاما (٩)) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٧٠/٣ ، ٧١ .

(٢) للفظ الترمذى - كما فى تحفة الأوحى - : « وفى زهدين بن سعد مقال » . وقد سبق تفريع حديث الترمذى من قريب .

(٣) تقدم الحديث فى سورة إبراهيم ، عند تفسير الآية ١٧ ، وخارجناه هناك ، ينظر : ٤٤/٤ ، ٤٥ ، كما ينظر لتفسير الطبرى : ١٥٨/١٥ .

(٤) نطق الطبرى : « إذا جاء » .

(٥) تفسير الطبرى : ١٥٨/١٥ ، ١٥٩ .

(٦) سورة محمد ، آية : ١٥ .

(٧) سورة النافىة ، آية : ٥ .

(٨) سورة الرحمن ، آية : ٤٤ .

(٩) سورة الفرقان ، آية : ٦٦ .

لَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ جَنَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَعْدَادِ يَتَخَفَتُهُمُ النَّارُ وَجَسَتْ مِنْ تَفَعُّفٍ ﴿٥٢﴾

لما ذكر تعالى حال الأتقياء ، نرى بذكر السعداء ، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به ، وعملوا بما أمرهم به من الأعمال الصالحة ، فلهم (جنت حدن) ، والحدن : الإقامة .

(تجرى من تحتهم الأنهار) ، أى : من تحت غرفهم ومنازلهم ، قال فرعون : (وهذه الأنهار تجري من تحتي) (١) .

(يحلون) ، أى : من الحلية (فيها من أساور من ذهب) ، وقال في المكان الآخر : (ولولوا وبأسنهم فيها حرير) (٢) ، وفصله هاهنا فقال : (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) ، فالسندس : لباس رفاق راق كالقمصان وما جرى مجراها ، وأما الإستبرق فليظ البديع وفيه بريق .

وقوله : (متكئين فيها على الأرائك) ، الأرائك قيل : الاضطجاع ؛ وقيل : التربع في الجلوس ؛ وهو أشبه بالمراد هاهنا ، ومنه الحديث الصحيح : « ما أنا فلا أكل متكئا » (٣) ، وفيه القولان .

والأرائك : جمع أريكة ، وهى السرير تحت الحنجلة ، والحنجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالاشخاناء (٤) ، والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة : (حل الأرائك) ، قال : هى الحبال - قال معمر : وقال غيره : السرر في الحبال .

يقوله : (لهم الثواب وحسنت مرفقا) ، أى : لعبت الجنة ثوابا حل أعلمهم ، وحسنت مرفقا ، أى : حسنت متولا ومقيلا ومقاما ، كما قال في الثار : (بسى الشراب وساعت مرفقا) ؛ وهكذا قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله : (إنها ساءت مستقرا ومقاما) (٥) ، ثم ذكر صفات المؤمنين فقال : (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها نجمة وسلاما ؛ خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) (٦) .

(١) سورة الزخرف : آية : ٥١ .

(٢) سورة فاطر : آية : ٣٣ .

(٣) البهائى : كتاب الأضمة ، باب : الأكل متكئا ؛ ٩٣/٧ . وسبق أبى داود ، كتاب الأضمة ، باب : « ما جاء في الأكل متكئا » ، الحديث ٣٧٩٩ : ٣٤٨/٣ . ونجدة الأخرى أبواب الأضمة ، باب : « ما جاء في كراهية الأكل متكئا » ، الحديث ١٩٨٠ : ٥٥٧/٥ ، ٥٥٩ ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » . وابن ماجه في كتاب الأضمة ، باب : « الأكل متكئا » ، الحديث ٣٣٦٢ : ١٠٨٦/٢ . ومسنند الإمام أحمد : ٣٠٨/٤ ، ٣٠٩ .

(٤) وتعرف في زماننا هذا بالنومرية .

(٥) سورة الفرقان : آية : ٦٦ .

(٦) سورة الفرقان : آية : ٧٥ ، ٧٦ .

﴿ وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿١٥﴾ وَكُنَّا الْجَنَّتَيْنِ مِثْقًا لَهَا وَلَهُمْ مِنْهُ تَطْلُمٌ ۖ وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا ﴿١٦﴾ وَكَانَ لَهُمْ تِمْرٌ فَقَالَ لِيُصْبِحَهُ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١٧﴾ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿١٨﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿١٩﴾ ﴾

يقول تعالى بعد ذكر المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء وللساكين من المسلمين ، واقتضوا عليهم بأموالهم وأحسابهم ، فضرِب لهم مثلاً برجلين ، جعل الله لأحدهما جنتين (أى : بستنتين من أعناب ، وحففتين بالنخل المحلقة في جنباتها ، وفي خلالها الزروع ، وكل من الأشجار والزروع مثمر مُقبل في غاية الجودة ، ولهذا قال : ﴿ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ مِثْقًا لَهَا ﴾ أى : أخرجت ثمرها ، ولم تظلم منه شيئاً) ، وأى : ولم تنقص منه شيئاً ، (وفجَّرنا خلالها نهراً) ، أى : والأنهار تتخرق فيها هاهنا وهاهنا .

(وكان له ثمر) ، قيل : المراد به المال . روى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقطادة . وقيل : الثَّار (١) وهو أظهر هاهنا ، ويؤيده القراءة الأخرى : (وكان له ثَمَرٌ) بضم التاء ونسكين الميم ، فيكون جمع نَسْرَةٍ كخشبة وعُشْبٍ (٢) ، وقرأ آخرون (نَسْرٌ) — بفتح التاء والميم (٣) .

قال ، أى صاحب هاتين (الجنتين) (لصاحبه وهو مجاوره) ، أى : يجادله ويخاصمه ، يفتخر عليه ويترأس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) ، أى : أكثر خلدما وحشياً وولداً .

قال قطادة : تلك — والله — أمنية الفاجر « كثرة المال وحرارة الثمر » (٤) .

وقوله : (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) ، أى : يكفره ونمرده وتكبره وتجبره وإنكاره للمعاد ، (قال : ما أظن أن تبديد هذه أبداً) ، وذلك اختصار منه ، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جواربها وأرجائها ، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ، وذلك لقلة عقله ، وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، ولهذا قال : (وما أظن الساعة قائمة) ، أى : كائنه ، (ولئن رددت إلى ربِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) ، أى : ولئن كان معادٌ ورجعة ومرة إلى الله ، ليكوننَّ لي هناك أحسن من هذا لأنى مُحْطِنٌ (٥) عند ربِّي ، ولولا كرمي عليه ما أعطاني هذا ، كما قال في الآية الأخرى : (ولئن رجعت إلى ربِّي لإني عنده لمصئوف) (٦) ، وقال :

(١) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ١٦٠/١٥ ، ١٦١ .

(٢) في اللسان : الخشب : ما غلظ من القيدان ، والجمع عُشْب ، مثل : شجرة وعُشْب ، وعُشْب [يئى بضمين] ، وعُشْب [بضم فسكون] ، وعُشْبَان [بضم فسكون كذلك] .

(٣) ينظر القراءات في البحر المحيط لأبي حيان : ١٢٥/٦ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦١/١٥ .

(٥) في الخطوط : « لاني عُشِي » ، بالضاد . ولعل الصواب ما أثبتناه . وفي اللسان : « أحطيت فلاناً حل فلان » .

الخطوة والتفصيل ، أى : فضله عليه .

(٦) سورة فصلت : آية ٥٥ .

(أعربت الذي كفر بآياتنا وقال : لأتوين مالا وولدا) (١) ، أى : فى الدار الآخرة ، تنال على الله عز وجل . وكان مبعوث نزلوا فى العاص بن وائل ، كما سيأتى بيانه ، فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة :

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : يَا أَكْفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَفْثَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ
وَرَبُّكَ لَا تُشْرِكُ بِهِ لَعَنَّا ۖ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرْنَ أَنَا أَقْلُ مِنْكَ
مَالًا وَوَلَدًا ۖ فَصَبْرٌ وَفِي أَنْ يَفْرُغَ خَيْرٌ مِنْ جَهَنَّمَ ۚ وَرَسُولٌ عَلَيْهَا حَسْبَانَا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصَبِّحُ سَعِيدًا زَلْفًا ۖ
لَوْ نَصَبَّحُ مَا نَهَا خَيْرًا فَلَنْ نَسْتَبِيحَ لَهُ طَلِبًا ۖ

يقول تعالى خبرا عما أجابه به صاحبه المؤمن ، واعتظا له وزجرا عما هو فيه من الكفر بالله والافتراء : (أكفرت بالذي خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم سواك رجلا) ؟ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحوده به ، الذى خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين ، وهو آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، كما قال تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ، ثم يحييكم (٢)) ، أى : كيف تجحدون ربكم ، ودلالته عليكم ظاهرة جليلة ، كل أحد يعلمها من نفسه ، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد ، وليس وجوده من نفسه ولا مستندا إلى شئ من المخلوقات ، لأنه بمثابة ، فكلب إسناد إيجاده إلى خالقه ، وهو الله ، لا إله إلا هو ، خالق كل شئ ، ولذا قال : (لكننا هو الله ربى) ، أى : أنا لا أقول بمثالك ، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية ، (ولا أشرك بربى أحدا) ، أى : بل هو الله المعبود وحده لا شريك له :

ثم قال : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) : هذا تمهيد وحش على ذلك ، أى : هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك ، وأعطاك من المال والولد ما لم يحط بهرك ، وقلت : (ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله) ، ولذا قال بعض السلف : من أعجبه شئ من حاله أو ولده أو ماله ، قليل ، (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) . وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة ، وقد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الوصفى فى مسنده :

حدثنا جرّاح بن مَخْلَد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عيسى بن عون ، حدثنا عبد الملك بن زُرارة ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد ، فيقول : (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فبرى فيه آفة دون الموت . وكان يتأول هذه الآية : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) » :

قال الحافظ أبو الفتح الأذرى : عيسى بن عون ، عن عبد الملك بن زُرارة ، عن أنس ! لا يصح حديثه :

(١) سورة مريم ، آية : ٧٧ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وحجاج ، حدثني شعبة ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبيد مولى أبي رهم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة ؟ لا قوة إلا بالله » . تفرد به أحمد (١) .

وقد ثبت في الصحيح ، عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله (٢) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بكر بن عيسى (٣) ، حدثنا أبو حوانة ، عن أبي بكّج ، عن عمرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة : قال لي نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ، أدلك (٤) على كثر من كنوز الجنة تحت العرش ؟ قال : قلت : نعم ، فذاك أبي وأبي . قال : أن تقول : لا قوة إلا بالله — قال أبو بكّج : وأحسب أنه قال : فإن الله يقول : أملم عبدي واستسلم . قال : قلت لعمرو — قال أبو بكّج : قال عمرو : قلت لأبي هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال : لا ، إنها في سورة الكهف : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله (٥)) .

وقوله : (فعسى ربّي أن يوتيّن خيرا من جنتك) ، أي : في الدار الآخرة ، (ويرسل عليها) ، أي : على جنتك في الدنيا التي ظننت [أنها] لا تزيد ولا تنقص ، (حسبانا من السماء) — قال ابن عباس ، والضحاك ، وقناة ، ومالك عن الزهري : أي هدانا من السماء .

والظاهر أنه مطر عظيم مزعج ، يقلع زرعها وأشجارها ، ولهذا قال : (فتصبح صعيدا زلقا) ، أي : بلقعا ترابا أملس ، لا يثبت فيه قدم .

وقال ابن عباس : كالجرى ، الذي لا يثبت شيئا (٦) .

وقوله : (أو يصبح ماؤها غورا) ، أي : غائرا في الأرض ، وهو ضد التابع الذي يطلب وجه الأرض ، فالغائر يطلب أسفلها ، كما قال تعالى : (قل : أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا ، فمن يأتكم بما معين (٧)) ، أي : جار وسائق . وقال حاشا : (أو يصبح ماؤها غورا فمن تستطيع له طلبا) ، والغور : مصدر بمعنى غائر ، وهو أبلغ منه ، كما قال الشاعر (٨) :

تَظَلَّ جِيَادَهُ تَوَحُّا عَلَيْهِ • تَعَلَّكُهُ أَعْنَتُهُ صَبُورًا

بمعنى : تألمات عليه .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢/٦٩٩ .

(٢) البخاري ، كتاب الدعوات ، باب : الدعاء إذا علا مقبة : ٨/١٠١ ، ١٠٢ . ومسلم ، كتاب الذكر ، باب : استحباب خفض الصوت بالذكر : ٨/٧٣ .

(٣) في المسند : « بكير » . والمثبت من مخطوطة الأزهر ، وإتلاصة .

(٤) في المخطوطة : « ألا أدلك » . ر « ألا » غير ثابتة في المسند . والسياق يقتضي بملفها .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢/٣٣٥ .

(٦) تفسير الطبري : ١٥/١٦٣ .

(٧) سورة الملك ، آية : ٣٠ .

(٨) البيت في تفسير الطبري : ١٥/١٦٣ .

وَأَحْبَبُ إِلَيْهِمْ ، فَأَصْبَحَ يَغْلِبُ قَلْبُهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي
أَهْلًا ۖ وَلَمْ تُكَنَّ لَهُ رُحْمَةً يُصْرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٠٠﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٠١﴾

يقول تعالى : (وأحب إلىهم) ، بأمواله ، أو بثماره على القول الآخر : والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان
يحذر ، مما خوّفه به المؤمن من إرسال الحسيان على جنته ، التي اغتر بها وألتهه من الله عز وجل ، (فأصبح يغلب قلبه كفيه
على ما أنفق فيها) - قال قتادة : يَصْمَتُ كفيه متأسفاً متهللاً على الأموال التي أذهبها عليها . (ويقول : ياليتني لم أشرك
بربّ أحد) ولم تكن له ثمة) ، أي : عشيّة أو ولد ، كما اتفخر بهم واستعز ، (ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً
هنالك الولاية لله الحق) - اختلف القراء هاهنا ، فمنهم من يقف على قوله : (وما كان منتصراً هنالك) ، أي :
في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله ، فلا منقل له منه ، ويبتدئ : (الولاية لله الحق) ، لومهم من يقف على :
(وما كان منتصراً) ، ويبتدئ بقوله : (هنالك الولاية لله الحق) ؛

ثم اختلفوا في قراءة (الولاية) ، فمنهم من فتح الواو ، فيكون المعنى : هنالك الموالاة لله ، أي : هنالك كل
أحد من مؤمن أو كافر ، يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب ، كقوله : (فلما رأوا بأسنا ،
قالوا : آمنا بالله وحده ، وكفرت بما كنا بمشركين) (١) ، وكقوله إنذاراً عن فرعون : (حتى إذا أدركه الفرق
قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين • آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) (٢) .

ومنهم من كسر الواو من (الولاية) ، أي : هنالك الحكم لله الحق ؛

ثم منهم من رفع (الحق) ، على أنه نعت للولاية ، كقوله تعالى : (الملك يومئذ الحق الرحمن ، وكان يوماً على
الكافرين عسيراً) (٣) .

ومنهم من خفض القاف ، على أنه نعت لله عز وجل ، كقوله : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم ،
وهو أسرع الحاسبين) (٤) ولهذا قال تعالى : (هو خير ثواباً) ، أي : جزاء (وخير عقاب) ، أي : الأعمال التي
تكون لله عز وجل ثواباً خير ، وعاقبتها حميلة رشيدة ، كلها خير .

(١) سورة خافر ، آية : ٨٤ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٩٠ ، ٩١ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٢٦ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٦٢ .

وَأَشْرَبَ لَمْ يَمُتْ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْطَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَيْبًا وَكَرِهَهُ
الرِّثْيَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٥٠﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ
رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا ﴿٥١﴾

يقول تعالى : (واشرب) يا محمد للناس (مثل الحياة الدنيا) ، في زوالها وفنائها وانقضائها ، (كما أنزلناه من السماء) فاختلط به نبات الأرض فأصبح شيباً (واشرب) أي : ما فيها من الحسب ، فشب وحسن ، وعلاه الزهر والتور والفضة ، ثم بعد ذلك (أصبح شيباً) أي : ما فيها من الرخا ، (تلبوه الرياح) ، أي : تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال ، (وكان الله على كل شيء مقتدراً) ، أي : هو قادر على حله الحال وهذه الحال ، وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما في سورة يونس : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) : الآية (١) وقال في سورة الزمر : (لم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فسلكه ينابيع في الأرض ، ثم يخرج به زحاً غظفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يجعله حطاباً ، إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب) (٢) وقال في سورة الحديد : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ، وقهان مبينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار بغاه ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاباً ، وفي الآخرة عذاب شديد ، ومفراً من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (٣) وفي الحديد الصحيح : (الدنيا حلوة خضرة) (٤) .

وقوله : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ، كقوله : (زين للناس حب الشهوات ، من النساء والبنين ، والتناظر المقنطرة من الذهب والفضة ، والتخليل المسمومة والأثام والحرف) ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآل) (٥) وقال تعالى : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم) (٦) ، أي : الإقبال عليه والضرغ لعباده ، غير لكم من اشتغالكم بهم ، والجمع لهم ، والشفقة المفرطة عليهم ، ولهذا قال : (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) - قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف : (الباقيات الصالحات) : الصلوات الخمس .

وقال عطاف بن أبي رياح ، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (الباقيات الصالحات) : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (٧) .

(١) سورة يونس ، الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٥٠ .

(٤) تحفة الأحدي ، أبواب الفتن ، باب : ما أجبر الله على عمله وأمره ما هو كان إلى يوم القيامة ، أغدبت ٢٢٨٩ : ٤٢٨/٩ - ٤٢٢ ، وقال القرطبي : هذا حديث حسن . . وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب : فتنة النساء ، الحديث ٤٠٠٠ : ١٣٢٥/٢ . ومسنود الإمام أحمد : ٧/٣ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٦٢ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٤ .

(٦) سورة الطعين ، آية : ١٥ .

(٧) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ١٥٩/١٥ .

وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن (الباقيات الصالحات) ، ما هي ؟ قال : هي لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . رواه الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا حيو ، أنبأنا أبو عقيل ، أنه سمع الحارث مولى عثمان رضى الله عنه يقول : جلس عثمان يوماً وجلسنا معه ، فجاءه المؤمن ، فدعا بجاء في إناء ، أظنه أنه سيكون فيه مد ، (١) ، فتوضأ ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ، ثم قال : من توضأ وضوئى هذا ، ثم قام فصلى صلاة الظهر ، اغتسل له ما كان بينها وبين الصبح ، ثم صلى العصر غتسل له ما بينها وبين الظهر ، ثم صلى المغرب غتسل له ما بينها وبين العصر ، ثم صلى المشاء غتسل له ما بينها وبين المغرب ، ثم لعله بيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غتسل له ما بينها وبين صلاة المشاء ، وهى الحسنات بلحين السيئات . قالوا : هذه الحسنات ، فما الباقيات الصالحات بأعشان ؟ قال : هي لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، تفرد به (٢) :

وروى مالك ، عن حمارة بن عبد الله بن صياد ، عن سعيد بن المسيب قال : (الباقيات الصالحات) : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) .

وقال محمد بن حجلان ، عن حمارة قال : سألت سعيد بن المسيب عن (الباقيات الصالحات) ، فقلت : الصلاة والصيام . قال : لم تصب . فقلت : الزكاة والحج . فقال : لم تصب ، ولكنهن الكليات الخمس : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (٤) :

وقال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس ، أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن (الباقيات الصالحات) ، قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن جريج : وقال عطاء ابن أبي رباح مثل ذلك :

وقال حماد : (الباقيات الصالحات) : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر [:

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : (الباقيات الصالحات) ، قال : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، هن الباقيات الصالحات .

قال ابن جريج : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزار ، عن أبي نصر التمار ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن محمد بن حجلان ، عن سعيد المقرئ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، من الباقيات الصالحات) (٥) .

(١) الله - يسم الميم - كليل ، وهو وطن وثلاث عند أهل الحجاز .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٧١/١ . ورواه الطبري عن ابن حنبل ، عن عبد الله بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ ، بإسناده .

تفسير الطبري : ١٥/١٦٥ : ١٦٦ .

(٣) تفسير الطبري : ١٥/١٦٦ .

(٤) تفسير الطبري : ١٥/١٦٧ .

(٥) تفسير الطبري : ١٥/١٦٦ .

قال : وحديثي يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، أن ذرّاجاً أباً السمح حدثه ، عن أبي المنيم ، عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : استكثروا من الباقيات الصالحات : قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : اللذة . قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : التكبر ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (١) ، وهكذا رواه أحمد ، من حديث ذرّاج ، به (٢) :

وبه قال ابن وهب : أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن ، مولى سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي ، فقال : قل له : التقى عند زاوية القبر ، فإن لي إليك حاجة : قال : فالتفتا ، فسلم أحدهما على الآخر ، ثم قال سالم : ما تمد الباقيات الصالحات ؟ فقال : لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ ؟ قال : ما زلت أجعلها : قال : فراجعه مرتين أو ثلاثا ، فلم يترع ، قال : فأنيت (٣) : قال سالم : أجل فأنيت ، فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « خرج بي إلى السماء فأريت إبراهيم عليه السلام ، فقال : يا جبريل ، مع هذا معك ؟ فقال : محمد . فرحب بي وسهّل ، ثم قال : مر أمّك فلتكثّر من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة » فقلت : وما غراس الجنة قال : لا حول ولا قوة إلا بالله (٤) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، حدثني رجل من الأنصار ، من آل النجاشي بن بشير ، عن النجاشي بن بشير ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن في المسجد بعد صلاة المشاء ، فرجع بصره إلى السماء ثم خفض ، حتى ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ، ثم قال : أما إنه سيكون بدمي أمراه ، يكذبون ويظلمون ، فمن صدقهم بكتبهم ومآلهم على ظلمهم ، فليس مني ولا أنا منه ، ومن لم يصدقهم بكتبهم ولم يمانعهم ، فهو مني وأنا منه . ألا وإن سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر « هُنَّ الباقيات الصالحات » (٥) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبان ، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد ، عن أبي سلام (٦) ، مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخ بخ لخمس ما أظنهن في الميزان : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والولد الصالح يتوفى فيحسبه والده . وقال : يخ بخ لخمس ، من لقي الله مستيقنا بهن ، دخل الجنة : يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، والجنة والنار ، وبالبعث بعد الموت ، وبالْحَسَاب (٧) »

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا الأزاعي ، حدثنا حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس رضى الله عنه [في سفر] فزل مترلا ، فقال للامه : « اثنتا بالشفرة تعبت بها » . فأنكرت عليه ، فقال : ما تكلمت بكلمة منذ

(١) تفسير الطبري : ١٦٧/١٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٧٥/٣ .

(٣) في الخطوط : « فأنيت » ، باباء والياء . وثبتت من الطبري .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٧/١٥ . وقد أخرج الإمام أحمد ما رواه سالم عن أبي أيوب الأنصاري ، المسند : ٤١٨/٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٦٧/٤ ، ٢٦٨ .

(٦) ما بين القوسين من المسند .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢٢٧ .

أسلمت إلا وأنا أنخطمها وأزمتها غير كلمتي هذه : فلا تحفظوها علي ، واحتفظوا ما أنقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كثرت الناس اللعيب والقفصة فاكثروا هولاء الكليات : ألهمهم إلى أسالك الثبات في الأمر ، والمزعة على الرشد ، وأسالك شكر نعمتك ، وأسالك حسن عبادتك ، وأسالك قلباً سليماً ، وأسالك لساناً صادقاً ، وأسالك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب » (١) .

ثم رواه أيضاً والشافعي ، من وجه آخر ، عن شداد ، بنحوه .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن ناجية ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثني أبي ، حدثنا حمى الحسين ، عن يونس ابن تقيع الجدل ، عن سعد بن جنادة رضى الله عنه قال : كنت في أول من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف ، فخرجت من أهل من السراة غلوة ، فأبيت منى عند النضر ، فصاعدت في الجبل ثم هبطت ، فأبيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، وعلني : « قل هو الله أحد » ، و « إذا زلزلت » ، وعلني هولاء الكليات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وقال : « من البائيات الصالحات » . وهذا الإسناد : « من قام من الليل فتواضاً ومضمض فاه ، ثم قال : سبحان الله مائة مرة ، والحمد لله مائة مرة ، والله أكبر مائة مرة ، ولا إله إلا الله مائة مرة - شُفرت قنوبه إلا الدماء فإنها لا تبطل » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والبائيات الصالحات » ، قال : هي ذكر الله ، قول : لا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وأستغفر الله ، وصلى الله على رسول الله ، والصيام ، والصلاة ، والحج ، والصدقة ، والحق ، والجهاد ، والصلة ، وجميع أعمال الحسنات . ومن البائيات الصالحات ، التي ينبغي لأهلها في الجنة ، ما فاءت السموات والأرض (٢) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هُنَّ الكلام الطيب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها . واختاره ابن جرير رحمه الله .

وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَهَرِضُوا عَنْ رَبِّكَ صَبًا
لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ جَعْلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَذَرَى الْمُعْرِبُونَ
مُشْفِقِينَ ۖ فَمَا فِيهِ يَبْقَوْنَ يُزِيلُنَا ۖ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صُفِيرَةً وَلَا نُفِيرَةً إِلَّا أَحْصَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَنْظُرُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝

يُخبر تعالى عن احوال يوم القيامة ، وما يكون فيه من الأمور العظام ، كما قال تعالى : (يوم نحور السماء مورا - وتسير الجبال سيراً) (٣) ، أى : تلعب من أماكنها وتزول ، كما قال : (وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمر مر السحاب) (٤)

(١) تقدم الحديث في سورة برائة ، عند تفسير الآية ٣٤ ، ينظر ٨٢/٤ ، وقد خرجناه هناك ، وشرحنا غريبه .

(٢) تفسير الطبري : ١٦٧/١٥ .

(٣) سورة الطور ، آية : ٩ ، ١٠ .

(٤) سورة النمل ، آية : ٨٨ .

وقال تعالى : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) (١) ، وقال : (وسألوك عن الجبال قتل : ينسفها ربي نسفاً • فيجعلها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً) (٢) ، يقول تعالى : إنه تلعب الجبال ، وتتساقط للمهاد ، وتنبعث الأرض (قاعاً صفصفاً) ، أى : سطحاً مستويلاً عوج فيه ، (ولا أمناً) ، أى : لا وادئ ولا جبل • ولهذا قال تعالى : (وترى الأرض بارزة) ، [أى : بادية ظاهرة ، ليس فيها مستقيم لأحد ولا مكان يوارى أحداً ، بل الخلق كلهم ضاحون لرؤسهم لا ينجي عليهم خافية .

قال مجاهد ، وقناة : (وترى الأرض بارزة لا غمر) (٣) فيها ولا غيبة - قال قتادة : لا بناء ولا مستجير . (٤) وقوله : (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) ، أى : وجمعناهم ، الأولين منهم والآخرين ، فلم نترك منهم أحداً ، لا صغيراً ولا كبيراً ، كما قال : (قل : إن الأولين والآخرين : لجموعون إلى ميقات يوم معلوم) (٥) ، وقاله : (ذلك يوم يجمعون له الناس وذلك يوم مشهود) (٦) .

وقوله : (وهرضوا على ربك صفوا) ، يحتمل أن يكون المراد : أن جميع الخلائق يقومون يومئذى الله صفواً واحداً ، كما قال تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) (٧) ، ويحتمل أنهم يقومون صفواً صفواً ، كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (٨) .

وقوله (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) : هذا تقرير للمتكبرين للمعاد ، وتوبيخ لهم على دعوى الشهاد ، ولهذا قال غطاباً لهم : (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) ، أى : ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ، ولا أن هذا كان .

وقوله : (ووضع الكتاب) ، أى : كتاب الأعمال ، الذى فيه الجليل والحقير ، والقبيل (٩) والقصير ، والصغير والكبير ، (فترى الجحيم مشفين بما فيه) ، أى : من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ، (ويقولون : يا ويلتنا) ، أى : يا حسرتنا وويلتنا على ما فرطنا في أعمالنا ، (ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) ، أى : لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر ، (إلا أحصاها) ، أى : ضبطها وحفظها .

وروى الطبراني ، بإسناده المتقدم فى الآية قبلها ، إلى سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزول القرآن ، نزلنا قفراً من الأرض ، ليس فيه شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اجتمعوا ، من وجد صوحاً

(١) سورة القارعة : آية ٥ .

(٢) سورة طه : آية ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) والمرع - بفتح الخاء والميم - : كل ما ترك من شجر أو بناء أو غيره . و « النياية » : الجلب والواوى ، ويقال :

« ووقفوا فى غيبة من الأرض » ، أى : فى منبسط منها .

(٤) تفسير الطبرى : ١٥ / ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٥) سورة الواقعة : آية ٩ ، ١٠ .

(٦) سورة هود : آية ٦٣ .

(٧) سورة النبا : آية ٣٨ .

(٨) سورة النجم : آية ٢٧ .

(٩) تقدم تفسير الظهير فى : ٤ / ٣٧١ ، « والنديل » : ما يكون فى شق النواة . وهذا تمثيل لصغير الأعمال .

فليأت به ، ومن وجد حطباً أو شئنا فليأت به قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركعاً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
أبرون هذا ؟ كذلك تجتمع التوبة على الرجل منكم كما يجتمع سم هذا ، فليق الله رجلاً ولا يلذب صغيرة ولا كبيرة ،
فلما مضى عليه »

وقوله : (ووجدوا ما عملوا حاضراً) ، أي : من غير أو شر ، كما قال تعالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت
من غير محضراً ، وما حملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) (١) ، وقال تعالى : (ينبت الإنسان يومئذ
بما كنتم وأمر) (٢) ، وقال تعالى : (يوم تلبى السرار) (٣) ، أي : تظهر الخفيات والضياع .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو الوليد : حدثنا شعبة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به (٤) .

أخرجاه في الصحيحين ، وفي لفظ : يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة [عندئذ يستقر عند ربه ، يقال : هذه
عندة فلان بين فلان (٥)] .

وقوله : (ولا يظلم ربك أحداً) ، أي : فيحكم بين عبادك في أعمالهم جميعها ، ولا يظلم أحداً من خلقه ، بل يفرق
ويصنف ويرحم ، ويصلب من يشاء ، بقدرته وحكمته وعدله ، ويأخذ النار من الكفار وأصحاب المصاعب ، ثم ينجي
أصحاب المصاعب ، ويصلب فيها الكافرون ، وهو الحاكم الذي لا يجوز ولا يظلم ، قال تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة
وإن لك حسنة بضاعتها ويوت من لذه أجر أعظم) (٦) ، وقال : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) (٧) ، والآيات في هذا كثيرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا همام بن يحيى ، عن القاسم بن عبد الواحد المكي ، عن عبد الله بن همد
ابن عقال ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فأشريت بغيري ثم شددت عليه رحلي ، فسرت عليه (٨) شهراً ، حتى قدمت عليه النعام ، فإذا عبد الله بن أنس . فقلت
للرباب : قل له : جابر على الباب . فقال : ابن عبد الله ؟ فقلت : نعم . فخرج يعلأ ثوبه ، فاعتنقني واعتنقته ،
فقلت : حديث بلغني [عنك] أنك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصص ، فضحيت أن تموت أو أموت
قبل أن أسمعته . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يسحفر (٩) الله عز وجل الناس يوم القيامة

(١) سورة آل عمران ، آية : ٣٠ .

(٢) سورة القيامة ، آية : ١٣ .

(٣) سورة الطارق ، آية : ٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٤٢/٣ .

(٥) تقدم تفريغ الحديث عن الصحيحين في سورة التبتل ، عند الآية : ٣٧ . ينظر : ٨٦/٤ ، وفيه عندها ذلك .

(٦) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

(٧) سورة الأنبياء ، آية : ٢٧ .

(٨) في المسند : « فسرت إليه » .

(٩) في المسند : « يسحفر الناس يوم القيامة » .

— أو قال : العباد — عُرَاةٌ غُرُلًا بُهْمًا — قلت : وما بُهْمًا (١) ؟ قال : ليس معهم شيء — ثم يتناديهم بصوت يسمعه (٢) من بعد ، كما يسمعه من قَرَب ، أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ، وله عند أحد من أهل الجنة حق ، حتى أُنْقَضَ (٣) مه : ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، وله عند رجل من أهل النار حق ، حتى أُنْقَضَ مه ، حتى القطعة . قال قلنا : كيف ، وإنما (٤) نأتي الله عز وجل عُرَاةٌ غُرُلًا بُهْمًا ؟ قال : بالحنثات والسيئات (٥) .

وعن شعبة ، عن العوام بن مزاحم ، عن أبي عثمان ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الجِسماءَ تفتن من القترناه يوم القيامة (٦) : رواه عبد الله بن الإمام أحمد : وله شواهد من وجوه أخر ، قد ذكرناها عند قوله : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا (٧)) ، وعند قوله تعالى : (إلا أئام أئامكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يحشرون (٨)) .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

يقول تعالى منها بنى آدم على حداوة إبليس لم ولا يهيم من قبلهم ، ومقرها لمن اتبعه منهم وحالفه خاله ومولاه ، الذى أنشأه وابتداه ، وبأنطاف رزقه غذاه ، ثم بعد هذا كله ولئى إبليس وحادى الله ، فقال تعالى : (وإذ قلنا للملائكة) أى : لجميع الملائكة ، كما تقدم تقريره فى أول (٩) سورة البقرة .

(اسجدوا لآدم) ، أى : سجدوا تشرىف وتكرام وتعظيم ، كما قال تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (١٠))

وقوله : (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) ، أى : حاله أصله ، فإنه خلق من مارج من نار ، وأصل خلق الملائكة من نور ، كما ثبت فى صحيح مسلم ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ

(١) فى السنة : « عُرَاةٌ غُرُلًا بِهْمًا » قال : قلنا : وما بهما ؟

(٢) هنا وقع سقط فى المسند ، واللفظ : « بصوت يسمعه من قريب »

(٣) أى : حتى أمكنه من أحد القصاص ، وهو أن يفعل به مثل فعله .

(٤) لفظ المسند : « وإنما إنا نأتى » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٩٥/٣ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٢/١ . وقد مضى تفسير « الجداء » فى : ٢٩٨/٢ .

(٧) هذه الآية من سورة الأنبياء : ٤٧ .

(٨) سورة الأنعام : آية ٣٨ . وينظر فيما تقدم : ٢٤٩/٣ : ٢٥٥ .

(٩) ينظر : ١٠٧/١ - ١٠٩ .

(١٠) سورة الحجر : آية ٢٨ : ٢٩ .

من نور ، وحُكِّيتْ إِبْلِيسَ (١) من نار ، وحُكِّيتْ آدَمَ ما وصف (٢) لكم : فبعد الحاجة تَضَعُ كُلَّ وِجْهٍ تَأْتِيهِ ، وَجْهَهُ الْوَجْهَ جِدَّةَ الْحَاجَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّطَ بِأَفْصَالِ الْمَلَائِكَةِ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ ، وَتَعِدَّ وَتَنَسَّكَ ، فَهَلْهَذَا دَخَلَ فِي خُطَابِهِمْ ، وَصَحِيحُ الْإِثْبَاتِ ؟

وَبِهِ تَمَالَى هَامَتَا عَلَى أَنَّهُ (مِنْ الْجَنِّ) ، أَيْ : إِنَّهُ خُلِقَ مِنْ نَارٍ ، كَمَا قَالَ : (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، خُلِقْتُ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَتْهُ مِنْ طِينٍ) (٣) .

قَالَ لِسْنُ الْبَصْرِ : مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرَفَةً حِينَ قُتِلَ ، وَإِنَّ لِأَصْلِ الْجَنِّ ، كَمَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْلُ الْبَشَرِ ، دَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِإِسْتِثْنَاءِ صَحِيحٍ (٤) .

وَقَالَ الضَّحَّاكُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَانَ إِبْلِيسُ مِنْ حَيٍّ مِنْ أَجْيَاءِ الْمَلَائِكَةِ ، يُقَالُ لِلْحَيِّ « الْحَيَّ » (٥) ، خُلِقُوا مِنْ نَارٍ السَّمُومِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ - قَالَ : وَكَانَ اسْمُهُ الْخَارِثُ ، وَكَانَ خَازِنًا مِنْ خَزَائِنِ الْجَنَّةِ . . . وَخُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ غَيْرِ هَذَا الْحَيِّ - قَالَ : وَخُلِقَتْ الْجَنِّيَّةُ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (٦) . وَهُوَ لِسَانُ النَّارِ الَّذِي يَكُونُ فِي طَرَفِهَا إِذَا اتَّهَيْتْ ؟

وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ أَشْرَفِ الْمَلَائِكَةِ وَأَكْرَمِهِمْ قَبِيلَةً ، وَكَانَ خَازِنًا عَلَى الْجَنَّةِ ، وَكَانَ لَهُ سُلْطَانُ الدُّنْيَا وَسُلْطَانُ الْأَرْضِ ، وَكَانَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ ، مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ أَنَّهُ رَأَى أَنَّ لَهُ بِذَلِكَ شَرْفًا عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ ، فَوَفِعَ مِنْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ كِبَرًا لَا يَمْلِكُهُ إِلَّا اللَّهُ . فَاسْتَخْرَجَ اللَّهُ ذَلِكَ الْكِبَرَ مِنْهُ حِينَ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، (فَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَقَوْلُهُ : (كَانَ مِنَ الْجَنِّ) ، أَيْ : مِنْ خَزَائِنِ الْجَنَّةِ ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَكِي ، وَمَنْطَرُ ، وَبُضْرَى ، وَكَوْفَى (٧) - وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، نَحْوَ ذَلِكَ (٨) .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : هُوَ مِنْ خَزَائِنِ الْجَنَّةِ ، وَكَانَ يَدْبِرُ أُمُورَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا (٩) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، بِهِ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : كَانَ رَأْسُ مَلَائِكَةِ سَمَاءِ الدُّنْيَا .

(١) لَفْظُ مُسْلِمٍ : « وَخُلِقَ الْجَانُّ » .

(٢) مُسْلِمٌ ، كِتَابُ الزَّهْدِ ، بَابُ « فِي أَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةٍ » : ٢٢٦/٨ وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَافِلَةٍ : ١٥٣/٦ ، ١٩٨ .

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : آيَةٌ ١٢ ، وَ « ص » آيَةٌ ٧٦ .

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ١٥ / ١٧٠ .

(٥) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « الْجَنِّ » ، بِالْجِيمِ . يُنْظَرُ : ١٥٧/١ ، فِي تَهْلِيْقِ رَقْمِ ١ .

(٦) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ١٥ / ١٦٩ . وَقَدْ مَضَى هَذَا الْأَثَرُ بَيَانَهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ١٥٧/١ ، ١٥٨ .

(٧) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ١٥ / ١٧٠ .

(٨) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ١٥ / ١٦٩ .

(٩) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ١٥ / ١٦٩ .

وقال ابن إسحاق، عن خلاد بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قاله : كان إبليس - قبل أن يركب المصيبة من الملائكة، اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض : وكان من أشد الملائكة اجتهداً وأكثرهم علماً، فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حى يسمون حنذاً :

وقال ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نسير، أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض : فمضى، فسطط الله عليه، فسحقه شيطاناً رجياً - لئله الله - مسوخاً، قال : وإذا كانت خطيئة الرجل في كثير فلا ترجع، وإذا كانت في معصية فارجه .

وعن سعيد بن جبهر أنه قال : كان من الجنائين، الذين يعملون في الجنة :

وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بما كان كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه مخالفته الحق الذي يأيدنا، وفي القرآن غشيةٌ عن كل ماعدا من الأخبار المتقدمة، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المختارين الذين يتشؤون عنها تحريف الغالب وانتحال المبطلين، كما لهذه [الأمة من] الأئمة العلماء، والسادة الأقياء، والأبرار النجباء، من الجهادة النقاد، والحفاظ الجياد، الذين دوتوا الحديث وحذروه، ودينوا صحيحه من حسنه، من ضميمه، من منكره وموضعه، ومنروكه ومكذوبه، وصرفوا الرضا عن الكاذبين والمجهولين، وغير ذلك من أمانات الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي، خاتم الرسل، وسيد البشر أن ينسب إليه كلب، أو يحدث عنه ما ليس [منه]، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل .

وقوله : (فسحق من أمر به)، أى : فخرج عن طاعة الله، فإن الفسق هو الخروج، يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها، وفسقت الفأرة من جحرها : إذا خرجت منه الميت والنسار .

ثم قال تعالى مفرحاً وموثقاً بن أتبعه وأطاعه : (أفتتخلونه وخرية أولياء من دوني)، أى : بدلا حى . ولهذا قال : (يئس للظالمين بدلا) .

وهذا المقام كقول بعد ذكر القيامة وأهلها ومصير كل من الفريقين السعداء والأشقياء سورة يس : (وما تواتروا اليوم أبهاً للمجرمون . ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان، إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني، هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) (١) :

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُنْظِرَ الْمُضِلِّينَ ﴾ (٢)

يقول تعالى : هؤلاء الذين اتخذوهم أولياء من دوني عبيدٌ أمثالكم، لا يملكون شيئاً، ولا أشهدتهم خلقي السموات والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين، يقول تعالى : أنا المستقلّ بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحاشى، ليس معى في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير، ولا نظير، كما قال : (قل : ادعوا الذين زعمتم من دون الله، لا يملكون

مخال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولملم فيها من شرك وما له منهم من ظهير • ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له (١) :: الآية ولهذا قال : (وما كنت متخذ للمشركين عضداً) - قال مالك : أعوانا (٢) .

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَذَعَبُوهُمْ فَسَجُّوا هَلْ يَعْلَمُ لِمُؤْتَايَهِمْ مَوْعِدُهُمْ الَّذِي وَعَدُوهُمْ أَلَيْسَ فِي عَذَابِهِمْ عَذَابٌ ۚ وَرَبُّهُمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٠﴾ وَرَبُّهُمُ الْعَلِيمُ ﴿٢١﴾

يقول تعالى خبراً عما يخطيب به المشركين يوم القيامة على رموس الأشهاد ، تقريباً لهم وتوبيخاً : (نادوا شركائى الذين زعمتم) أى : في الدار الدنيا ، ادعواهم اليوم ، يقدونكم بما أنتم فيه ، كما قال تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركمنا معاتلناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد قطع بينكم وصل عنكم ما كنتم توعدون) (٢) .

وقوله : (فدعواهم فلم يستجيبوا لهم) ، [كما قال : (وقيل : ادعوا شركاءكم : فدعواهم ، فلم يستجيبوا لهم) ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهللون (٤) : وقال : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون : وإذا حشر الناس كانوا لم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين) (٥) : وقال تعالى : (واغفلوا من دون الله لئلا يكونوا لهم حزا • كلا سيكفرون بعبادتهم ويكرهون عليهم ضداً) (٦) :

وقوله : (وجعلنا بينهم موبقاً) - قال ابن عباس ، وقتادة ، وغير واحد : مهلكاً : وقال قتادة : ذكر لنا أن حمراً البكالى حدث عن عبد الله بن عمرو قال : هو واد حميق ، فُرق به يوم القيامة بين أهل المنى وأهل الضلالة .

وقال قتادة : (موبقاً) : وادياً في جهنم .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سنان القزاز ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا يزيد بن درهم ، سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالى : (وجعلنا بينهم موبقاً) ، قال : واد في جهنم ، من قيع ودم .

وقال الحسن البصري : (موبقاً) : حلاوة (٧) .

(١) سورة سبأ : آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) كلما في خطوطة الأزر والخطبات السابقة . ولم نجد هذا الأثر منسوباً إلى مالك . وهو في تفسير الطبري : ١٧١/١٥ مروي من قتادة . وأخرجه السيوطي في الدر المنثور : ٢٢٨/٤ من قتادة ورجاه .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٩٤ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٦٤ .

(٥) سورة الأحقاف ، آية : ٦٥ .

(٦) سورة مريم ، آية : ٨١ ، ٨٢ .

(٧) تنظر هذه الآيات في تفسير الطبري : ١٧٢/١٥ . وله كان في الخطوطة : « يزيد بن درهم » . والمثبت من تفسير الطبري ،

والظاهر من السابق هاتان : أنه المهلك ، ويجوز أن يكون واديا في جهنم أو غيره ، إلا أن الله تعالى أخبر أنه لا سبيل لمولاه المشركين ، ولا وصول لهم إلى آلتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا ، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة ، فلا خلاص لواحد من الفريقين إلى الآخر ، بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير .

وأما إن جعل الضمير في قوله : (بينهم) ، عائداً إلى المؤمنين والكافرين ، كما قال عبد الله بن عمرو : إنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به ، فهو كقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون) (١) ، وقال : (يومئذ يصدّ صون) (٢) وقال تعالى : (وامتأزوا اليوم أيها المجرمون) (٣) ، وقال تعالى : (ويوم نحشرهم جميعاً ، ثم نقول للذين أشركوا : مكانكم أنتم وشركاؤكم . فزينا بينهم وقال شركاؤهم : ما كنتم إيانا تعبدون ، فكني بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لنافلين . هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ، وردوا إلى الله مولاهم الحق وفضل عنهم ما كانوا يفترون) (٤) .

وقوله : (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) ، أي : إنهم لما عينوا جهنم حين جئهم بها تكادُ بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك ، (فلما رأى المجرمون النار) ، تحقّقوا لا هالة أنهم مواقعوها ، ليكون ذلك من باب تعجيل ألم والحزن لهم ، فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه ، عذابٌ ناجز .

(ولم يجدوا عنها مصرفاً) ، أي : ليس لهم طريق يهلك بهم عنها ، ولا يذهب منها .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الكافر يرى جهنم ، فيظن أنها مواقفه من مسيرة أربعين سنة (٥) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن طيبة حدثنا درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينصب للكافر مقدار خمسين ألف سنة ، كما لم يعمل في الدنيا : وإن الكافر يرى جهنم ، ويظن أنها مواقفه من مسيرة أربعين سنة (٦) » .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَفِيٍّ وَجَدَلًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى : ولقد بينا للناس في هذا القرآن ، ووضعتنا في الأمور ، وفصلناها ، كيلا يشلوا عن الحق ، ويخرجوا عن طريق الهدى . ومع هذا البيان وهذا القرآن ، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل ، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة .

(١) سورة الروم : آية : ١٤ .

(٢) سورة الروم : آية : ٤٣ .

(٣) سورة يس : آية : ٥٩ .

(٤) سورة يونس ، الآيات : ٢٨ - ٤٠ .

(٥) تفسير الطبري : ١٥ / ١٧٣ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٧٥ / ٣ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليان ، أخبرنا شبيب ، عن الزهري ، أخبرني علي بن الحسين ، أن حسين بن علي أخبره ، أن علي بن أبي طالب أخبره ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة و فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ، فقال : ألا تصلين ؟ قلت : يا رسول الله ، إنما أبتسأ بيد الله ، فإذا شاء أن يمشيتكما ، فأنصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إلي شيئاً ، ثم سمعته وهو مولى يضرب فخلده [يقول] : (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) (١) ، أخرجه في الصحيحين (٢) .

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَوْ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ أَلْعَذَابُ أَقْبَلُكُمْ ۖ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَلْبَابِهِمْ لِيُدْخِلُوا فِي الْخُلُقِ ۚ وَالْخُلُقُ آيَاتِي وَمَا تُدْرِكُهُمْ هُزُوًا ۚ

يُخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه ، وتكذيبهم بالحق بين الظاهر ، مع ما يشاهدون من الآيات ، والدلالات الواضحات ، وأنه ما منهم من أتباع ذلك إلا طغيهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدها به عياناً ، كما قال أولئك لنبيهم : (فامسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) (٣) ، وآخرون قالوا : (انتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) (٤) . وقالت قريش : (اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمسق علينا حجارة من السماء أو انتنا بعذاب أليم) (٥) ، وقالوا : يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون . لو ما تأتينا باللائكة إن كنت من الصادقين (٦) إلى غير ذلك [من الآيات البالغة على ذلك] .

ثم قال : (إلا أن تأتيتهم سنة الأولين) ، من غشيتهم بالعذاب ، وأخذهم عن آخرهم ، (أو تأتيتهم العذاب قلاً) ، أي : يرونه عياناً مواجهة [ومقابل] ، ثم قال : (وما ترسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) ، أي : قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ، ومنذرين من كذبهم وخالفهم .

ثم أخبر عن الكفار بأنهم يجادلون بالباطل (ليدحضوا به) ، أي : ليضعفوا به (الحق) الذي جاءهم به الرسل ، وليس ذلك بجاصل لهم . (واقتلوا آياتي وما أنزلوا هزواً) ، أي : اقتلوا الحسب والبراهين وغرائب العادات التي بها الرسل وما أنزلوهم وخبروهم به من العذاب (هزواً) ، أي : خبروا منهم في ذلك ، وهو أشد التكليب .

(١) مسند الإمام أحمد : ١١٢/١ .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : وتحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والدخول من غير إيجاب : ٦٢/٢ ، وتفسير سورة الكهف : ١١٠/٦ ، وكتاب الاعتصام ، باب قوله تعالى : (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) ، ١٢١/٩ ، وكتاب التوحيد : ١٩٨/٩ . ومسلم : كتاب المساقين ، باب : ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح : ١٨٧/٢ . ومعنى : « طرفة فاطمة » : أي : أنما من الليل . ومعنى : « يمشيتكما » : يوقظكما .

(٣) سورة الشعراء : آية : ١٨٧ .

(٤) سورة التكاوير : آية : ٢٩ .

(٥) سورة الأنعام : آية : ٣٢ .

(٦) سورة الحجر : آية : ٩٥ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُرِّيَّتَيْ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
وَفِي أَعْيُنِهِمْ غَشِيَةً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿١٠﴾ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْتِيهِمُ
مِمَّا كَسَبُوا لَعَجَلُ لَكُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَمْ يَمُودُنَّ يَسْأَلُونَ مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿١١﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا
عَلِمُوا وَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ مَوَدًّا ﴿١٢﴾

يقول تعالى : ولئن عباد الله أظلم من ذُكر آيات الله فأعرض عنها ، أى : تناساها وأعرض عنها ، ولم يصع
لها ، ولا ألقى إليها بالا ، (ونسى ما قدمت يدها) ، أى : من الأعمال السيئة والأعمال القبيحة : (إنا جعلنا على
قلوبهم) ، أى : قلوب هؤلاء (أكنت) ، أى : أغطية وغشاوة ، (أن يفقهوه) ، أى : لتلا يفهموا هذا القرآن
والبيان ، (وفي آذانهم وقرًا) ، أى : صمم معنى عن الرشد ، (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) .

وقوله : (وربك الغفور ذو الرحمة) ، أى : ربك - يا محمد - غفور ذو رحمة واسعة ، (لو يراهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب) ، كما قال : (ولو يراهم الله الناس بما كسبوا ، ما ترك كل ظهرا من دابة (١)) ، وقال : (وإن
ربك للو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب) (٢) . والآيات في هذا كثيرة .

ثم أخبر أنه يعلم ويستر ويفكر ، وربما هدى بعضهم من النقي إلى الرشد ، ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه
الوليد ، وتضع كل ذات حمل حملها . ولهذا قال : (بل لم يمدن يديهم من دونه مولانا) ، أى : ليس لهم حنة عياد
ولا عيص ، ولا ممدل .

وقوله : (وتلك القرى أهلكناهم لظلموا) ، أى : الأمم الساقطة والقرى الخالية أهلكتهم بسبب كفرهم وعنادهم ،
(وجعلنا للمكفر مودعا) ، أى : جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين ، لا يزيد ولا ينقص ، أى : وكذلك أنتم أيها
المشركون ، احلروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ، ولستم بأحر علينا منهم ، فاحلروا
عذابنا وتلد .

(١) سورة طه : آية ٤٥ .

(٢) سورة الزمر : آية ٦٤ .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحَ حَتَّى أَبْلُغَ جَمْعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوبَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَرِيبًا ﴿٢﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلُهُ إِتَيْنَا عَادًا نَارَ لَقَيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَسِيْنَا ﴿٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِيَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٤﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْبَدْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَهُنَّ رَحْمَةً مِنْ هَنَئِلنا وَعِلْمُنَّ مِنْ لَدُنَّا عَلَيْهِ ﴿٦﴾

سَبَبُ قول موسى لقائه - وهو : يُوشَعَ بن نُون - هذا الكلام : أنه ذُكر له أنَّ عبدا من عباد الله مَجْمَع البحرين ، عنده من السلم مالم يحط به موسى ، فحبب اللهاب إليه ، وقال لقائه ذلك (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) ، أي : لا أزال سائرا حتى أبلغ هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين ، قال الفرزدق (١) :
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى تَهَادَتْ نِكَاحُهُمْ بِبَيْتِهَا ذِي قَار ، عِيَابُ الطَّالِبِ (٢)

قال قتادة وغير واحد : وهما بحر فارس بما على المشرق ، وبحر الروم بما على المغرب .
وقال محمد بن كعب القرظي : مجمع البحرين عند طنجة ، يعني في أقصى بلاد المغرب ، والله أعلم .
وقوله : (أو أمضي حُقُبًا) ، أي : ولو آتَى أَسِير خطي من الزمان .
قال ابن جرير رحمه الله : ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحُقُب في لغة قبس سعة . ثم قد روي عن عبد الله ابن عمرو أنه قال : الحُقُب ثمانون سنة . وقال جاهد : سبعون خريفا . وقال علي بن أبي طلحة : س ابن حبس فوله : (أو أمضي حُقُبًا) ، قال : دهر . وقال قتادة ، وابن زيد ، مثل ذلك (٣) .

(١) ديوانه ، ط بيروت : ١٧٧/٢ ، وتفسير الطبري : ١٧٦/١٥ .
(٢) « ذوقار » : ما لهي بكر بن وائل قريب من الكوفة ، بينها وبين واسط . و « عياب » : آة واحدة : جبهة . وهي : ما جعل فيه الثياب وغيرها . و « الباطم » : الواحدة : اطمة . وهي : المسك .
وهذا التوجيه الذي ذكره ابن كثير يكون غير « لا أبرح » و « جاورا » والنحويون يمتحنون ذلك ، ينظر البحر المحيط : ١٤٣/٦ ، والمقتضب للبريد : ١١٨/٤ ، ١١٩ .
هذا وقد قال الطبري : « وكان بعض العرب يوجه تأويل قوله : (لا أبرح) ، أي : لا أزل ، ويستشهد الملك بيت الفرزدق وذكر البيت . وهذا التفسير ، وهو أن (لا أبرح) بمعنى لا أزل ، تكون « أبرح » تامة ، وممنا أنه مقيم على سفره لا يتحول عنه إلى غيره .

وقد نقل أبو عبيد الحري في الفريدين : ١٥٠/١ من الأزهري صاحب « التلخيص » أنه لا يجوز هذا المعنى الذي ذكره الطبري ، قال الأزهري : « هو مثل قوله : (لن نبرح عليه حاكفين) ، ما يعني : لا أزال ، ولا يجوز أن يكون معنى : لا أزل . ولم يرد بقوله (لا أبرح) : لا أفارق مكانا ، وإنما هذا معنى قوله (ظن أبرح الأرض) ، هذا إثم ذاك ذهاب .
ثم قال أبو عبيد : « وقال غيره : (لا أبرح) : أي لا أفارق سيري » وهذا رد على الأزهري ، فقد فهم الإثابة فيها حسبا ، وإنما لابد أن تكون في مكان ، وليس هناك ما يمنع أنه مقيم على حالته التي هو عليها وهي حالة السفر ، لا يفارقها ولا يتحول عنها .

(٣) تنظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ١٧٦/١٥ .

وقوله : (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) ، وذلك أنه كان قد أمر جندل حوث ملوح معه ، وقيل له : متى فقدت الحوت فهو تسعة (١) : فسارا حتى بلغا مجمع البحرين ، وهناك حين يقال لما : « عرج الحياة » ، فاما هناك ، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء ، فاضطرب ، وكان في مكثل مع يوشع ، وطفق من المكثل إلى البحر ، فاستيقظ يوشع عليه السلام ، وسقط الحوت في البحر وجعل يسبح فيه ، ولما له مثل الطاق لا يلتزم بعده ، ولهذا قال : (واتخذ سيبله في البحر صرعا) ، أي : مثل السرب في الأرض .

قال ابن جرير : قال ابن عباس : صار أثره كأنه حجر .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : جعل الحوت لا يمن شيئا من البحر إلا ببني ، حتى يكون صخرة .

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن أبي بصير : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين ذكر حديث ذلك : ما أنجابه (٢) ماء منذ كان الثامن غيره ، لك مكان الحوت الذي (٣) فيه ، فأنجاه كالكرة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه ، قال : (ذلك ما كنا لبني) . (٤)

وقال قتادة : سرب من البئر ، حتى أفضى إلى البحر ، لم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا ، إلا جعل (٥) ماء جامدا .

وقوله : (فلما جاوزا) ، أي : المكان الذي نسيا الحوت فيه ، وتسمى النسيان إليهما وإن كان يوشع هو الذي نسيه ، كقوله تعالى : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) (٦) ، وإنما يخرج من المالح في أحد القولين .

فلما ذهبوا عن المكان الذي نسيه فيه متحركا (قال موسى : لفتنا : آتنا خداهما ، لقد قمنا مع سفرنا هذا) ، أي : الذي جاوزا فيه المكان (نصبا) ، يعني تمبا : (قال : رأيت إذ أوتينا إلى الصخرة ، فلق نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) — قال قتادة : وقرأ ابن مسعود : [وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان] (٧) : ولهذا قال : (واتخذ سيبله) ، أي : طريقه (في البحر صرعا : قال : ذلك ما كنا لبني) ، أي : هذا الذي نطلبه ، فارتدنا ، أي : رجعا (على آثارهما) ، أي : طريقهما (قصصا) ، أي : يقصان أثر مشيهم ، ويقفون أثرهما .

(فوجدنا صيدا من عبادنا أكثناه رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما) ، وهذا هو المختصر عليه السلام ، كما ذكر عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : بذلك قال البخاري :

(١) أي : في هذا المكان .

(٢) أي : ما جمعه وصار جامدا .

(٣) في المخطوطة : « مكان الحوت الكرى فيه » ، والمثبت من تفسير الطبري

(٤) تفسير الطبري : ١٥ / ١٧٩ .

(٥) أي : صار ماء جامدا .

(٦) سورة الرحمن ، آية : ٢٢ .

(٧) مابن القوسين من تفسير الطبري : ١٥ / ٧٨ . ومكافه في تفسير ابن كثير : « قال قتادة : وقرأ ابن مسعود : أن أذكره إلا الشيطان » ولم نجد هذه القراءة ، وفي البحر المحيط لأبي حيان ١٤٧ / ١ : « وفي مصحف عبد الله قرأته : (أن أذكره إلا الشيطان)

حدثنا الجعفي ، حدثنا مقيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، أخبرني سعيد بن جبيرة قال : قلت لابن عباس : إن نوحا البلكاني يرمي أن موسى صاحبه الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس : كذب عدو الله ، حدثنا أن بن كعب روى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس أحلم ؟ فقال : أنا . فكتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه : إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أحلم منك . فقال موسى : يارب ، وكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتا ، فيجعله بمكمل ، فحيما فقدت الحوت فهو ثم . فأتاه حوتا ، فجعله بمكمل ، ثم انطلق وانطلق معه يفتاه يوفيه بين ثون عليهما السلام ، حتى إذا أتيا الصخرة وضما رؤوسهما لثاما ، واضطرب الحوت في المكمل ، فخرج منه ، فسقط في البحر ، واتخذ سبيله في البحر سرياً ، وأمسك الله عن الحوت جريئة الماء ، فصار عليه مثل الطاق . فلما استيقظ تسمى صاحبه أن يخرج به بالحوت ، فانطلقا بقية يومهما وليتهما ، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفته : (آتتا غدا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) . ولم يجد موسى الشهاب حتى جاوزا المكان الذي أمره الله به . قال له فاه : (أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فلقن نسيه الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر سجيا) . قال : فكان للصوت سرياً ولموسى وقاه سجيا ، فقال : (ذلك ما كنا نبغي ، فارتدا على آثارهما قصصا) . قال : فرجما بقصص آثارها ، حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مستجى (١) يثوب ، فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنتي بأرضك السلام ! ، قال : أنا موسى ، قال : موسى بن إسرائيل ؟ قال : نعم ، أتيتك لتعلمي ما علمت رشدا . قال : إنك لن تستطيع معي صبرا) ، يا موسى ، إني على علم من علم الله علميه ، لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمته الله لا أعلمه . فقال موسى : (يستعجلني إن شاء الله صابرا ، ولا أعصي لك أمرا) . قال له الخضر : (فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) .

فانطلقا عشرين على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلهم (٢) أن يحملوه ، فمروا الخضر ، فحملوه (٣) بغير نول (٤) ، فلما زكيا في السفينة لم يتكسبا إلا والخضر قد قتلح لوحا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قد حسمونا بغير نول ، فعدلت إلى سفيتهم فخرقتها ، اتغرق أهلها ؟ . لقد جئت شيئا إمرأ . قال : ألم أقل : إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ قال : لا تؤجلني بما ليس ، ولا ترهقني من أمرى صبرا) . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت الأولى من موسى نسيانا . قال : وجاء عصفور فتلوا (٥) على حرف السفينة ، ففقر في البحر تكثرة ، فقال له الخضر : ما علمي وحلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر .

ثم خرجا من السفينة ، فيبناهما عشرين على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه ، فاقبله بيده فقتله ، فقال له موسى : (أتقتل نفسا زكية بغير نفس) . لقد جئت شيئا نكرا . قال : ألم أقل لك :

(١) أي : ملقى

(٢) كلما في المخطوطة وفي الصحيح : « فكلهم أن يحملوه » .

(٣) في الصحيح : « فحملوه » . وفي رواية : « فحملوه » .

(٤) أي : بغير أجهزة .

(٥) في الصحيح : « فوقع على حرف » .

إنك لن تستطیع معی صبراً) ١ قال : وهذه أشد من الأولى - قال : إن ما أتتك من شيء بعد ما فلا تصاحبي ، قد بلغت من لدني علماً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض ، قال : ما لي . فقال الخضير بيده (١) فأقامه ، قال موسى : قوم أتيانكم فلم يطعنوا ولم يضيفوا ، لو شئت لاختلعت عليه أجراً ٢ قال : هذا فراق بني وبينك ، سأبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وددت أن موسى كان صبراً حتى يقص الله علينا من خبرهما»

قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ : (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة شهاباً) ، وكان يقرأ : (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) (٢)

ثم رواه البخاري عن قتبية ، عن سفیان بن عيينة : فذكر نحوه ، وفيه : « فخرج موسى ومعه شاة يؤشع ابن ثؤن ، ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة ، فترلا عندها - قال : فوضع موسى رأسه ثام - قال سفیان : وفي حديث غير محرو قال : وفي أصل الصخرة حين يقال لها « الحياة » ، لا يصيب من مائها شيء إلا حيي ، فأصابه الحوت من ماء تلك العين ، قال : فحرك والناس من المكمل (٣) ، فدخل البحر ، فلما استيقظ قال موسى لفته : (آ لنا عدلمان) . كذا قال ، وساق الحديث : « ووقع حصفور على حرف السفينة ، ففمس مقارء في البحر ، فقال الخضر لموسى : ما علمي وعلمك وعلم الخلاق في علم الله إلا مقارء ما غمس هذا الصفور مقارء (٤) » وذكر نحوه بنحوه

وقال البخاري أيضاً : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا هشام بن يوسف ، أن ابن جريج أخبرهم قال : أخبرني يعلى بن مسلم وعمر بن دينار ، عن سعيد بن جبير - يزيد أحدهما على صاحبه - وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد ابن جبير قال : إنا لعند ابن عباس في بيته ، إذ قال : صلوة : قلت : أي أبا عباس (٥) ، جعلني الله فداك ، بالكوفة رجل قاص ، يقال له « نوف » ، يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل - أما محرو فقال لي : قال : كتب عندو الله : وأما يعلى فقال لي : قال ابن عباس : حدثني أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (موسى رسول الله ، ذكر الناس يوماً ، حتى إذا فاضت البيوت ، ووقفت القلوب ، ولي ، فأحركه رجل فقال : أي رسول الله ، حل في الأرض [أحد] أعلم منك ؟ قال : لا : فعتب الله عليه ، إذ لم يرده العلم إلى الله ، قيل : بلى ؟ قال : أي رب ، وأين ؟ قال : بجميع البحرين . قال : أي رب ، اجعل لي حكماً أعلم ذلك به - قال لي : صبروا : قال : حيث يفارقك الحوت . وقال لي يعلى : خذ حوتاً ميتاً حيث يتخفى فيه الروح ، فأخذ حوتاً فضله في المكمل ، فقال لفته : لا أكلفك إلا أن تخبرني حيث (٦) يفارقك الحوت ، قال : ما كنت كفيراً . فلذلك قوله : (وإذ قال موسى

(١) القول قد يطلق على جميع الأسماء ، والمسمى هنا : فأقامه الخضر بيده . وفي رواية في الصحيح : « قام الخضر فأقامه بيده » .

(٢) البخاري : تفسير سورة الكهف : ١١٠/٦ - ١١٢ .

(٣) في المخطوطة : « من تلك المكمل » . وأثبتنا ما في الصحيح .

(٤) البخاري : تفسير سورة الكهف : ١١٥/٦ - ١١٦ .

(٥) كان عبد الله بن عباس يكنى « أبا عباس » ، بابه النسي ، وهو أكبر ولده . ينظر أسد الناية : ٢٩٠/٢ .

(٦) كذا في المخطوطة ، وفي الصحيح : « بحيث » .

لقتاه (يوشع بن نون) ، لبست عن ساعد (١) بن جبر - قال : فيتنا هو في ظل صخرة في مكان ثريان ، إذ تشرَّب (٢) الحوت ومومي نائم ، فقال قتاه : لا أوظفه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ، وتشرَّب الحوت حتى دخل البحر ، فأمسك الله عنه جريرةً للماء حتى كان أثره في حَجَرٍ : [قال : فقال لي عمرو : هكذا كان أثره في حجر] ، وحلَّش بك إسماعيل والي تليهما - (لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) - قال : « وقد قطع الله عنك النصيب » لبست هذه عن سعيد - أخبره ، فرجعا فرجدا غصبرا ، قال : قال عثمان بن أبي سليمان : حلَّ طينسكة خضراء على كبِد (٣) البحر . قال سعيد بن جبر : مُسَجَّى يوثب ، قد جعل طرفه تحت رجله ، وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه وقال : هل بأرض من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى : قال : موسى بن إسرائيل ؟ قال : نعم : قال : فما شأنك ؟ قال : جئتكم لعلني مما علمت وشدا : قال : يكتيك التوراة بينك (٤) ، وأن الوحي يأتيك : يا موسى ، إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه . فأخذ طائر بمنقاره من البحر : قال : والله ما علمني وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر ، حتى إذا ركبا في السفينة وجدنا معابر صخرًا (٥) ، نحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر حرفوه ، فقالوا : عبد الله الصالح ؟ - قال : قلنا لسعيد : غصبر ؟ قال : نعم - لا نحمله بأجر : فخرقها ، وتكدَّ فيها وكدا . قال موسى : (أخرقها ليعرق أهلها) ، لقد جئت شيئاً إسرًا - قال بجاهد : منكراً - قال : (لَمْ أَلْ) ، إنك لن تستطيع معي صبراً ، كانت الأولى لسياناً ، والوسطى شرطاً ، والثالثة عمداً : قال : لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري صبراً ، فانطلقت حتى قُتيا غلاماً فقتله - قال يعلى : قال سعيد ، وجد غلاماً يلمون ، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ، ثم دُعه بالسكبر ، فقال : (أفتلت نفساً زكية) لم تعمل بالحنث ، وابن عباس قرأها (زكية) = (زاكية) : مُسَلِّمة (٦) كقولك : غلاماً زكياً ، فانطلقا ، فوجدوا جدلاً يريد أن ينقض فأقامه ، قال [سعيد (٧)] بيده هكذا ، ورفع يده فاستقام - قال يعلى : حسب أن سعيداً قال : فسحه بيده فاستقام - قال : (لو شئت لأخملت عليه أجراً) ، قال سعيد : أجراً ناكلاً (٨) : (وكان وراعهم ملك) : وكان أمامهم ، قرأها ابن عباس : (أمامهم ملك) ، يزعمون عن

(١) القائل : « لبست عن ساعد » ، هو ابن جريج . ومراذه : أن تسمية اللقي لبست عنه في رواية سعيد بن جبر . ينظر فتح الباري ١ : ٢٨٨/٨ .

(٢) يقال : مكان ثريان ، ولوغس ثريا : إذا كان في تراها بال ولدى . و« تشرَّب » : اضطرب وحرك .

(٣) أي وسطه .

(٤) لفظ الصحيح : « أما يكليك أن التوراة بينك » .

(٥) قوله : « وجدنا معابر » هو تفسير لقوله : « ركبا في السفينة » ، لأن تولد « وجدا » جواج « إذا » : لأن وجودهما المعابر كان قبل ركوبهما السفينة .

(٦) قوله : « زاكية مسلمة كقولك : غلاماً زكياً » : هو تفسير من الراوي . ويشير إلى القراءتين : أي : إن قراءة ابن عباس بصيغة المبالغة (زكية) ، والقراءة الأخرى باسم الفاعل بمعنى مسلمة . وقد اختلف في ضبط مسلمة ، فالكثير يسكون السين وكسر اللام ، ول بعضهم يفتح السين وتشد اللام المفتوحة .

(٧) ما بين القوسين من الصحيح .

(٨) أي : فأكل به .

غير سعيد أنه هُذِرُ بن بُدَدَ، والخلام للقتول اسمه - يرمون - جيسور (ملك يأخذ كل سفينة غصباً) ، فأردت إذا هي مرت به أن يدعها ببنيها ، فإذا جاوزه أصلحوها فأنضروا بها ، ومنهم من يقول : سلوها بقارورة ، ومنهم من يقول : بالقارور (كان أبواه مؤمنين) ، وكان كافراً ، (ففحقنا أن يرهقهما طغياناً وكفراً) ، أن يجعلهما حبة على أن يتابعاه على دينه (فأردنا أن يسلخا رهبما خيراً منه ذكاة) كقولہ : (أقتلت نفساً زكية) ، (وأقرب رُحماً) ، هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضير ، ولزم غير سعيد بن جبير أنهما أبداً جارية ، وأما داود بن أبي عامر فقال عن خير واحد : إنها جارية (١) ،

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : خطبني موسى عليه السلام بنى إسرائيل فقال : ما أجد أعلم بالله وبأمره مني : فأنسرت أن يلقى هذا الرجل ، فذكر نحو ما تقدم زيادة ونقصان (٢) ، والله أعلم

وقال محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن حمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير قال : جلست عند ابن عباس ، وعنده نفر من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس ، إن نوحاً بن لؤي امرأة كعب يرم من كعبه ، أن موسى النبي الذي طلب العالمين إنما هو موسى بن ميثا ؟ قال سعيد : فقال ابن عباس : أتوئله يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوحاً يقول ذلك : قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال قلت : لم ؟ قال : كلبت نوحاً ، ثم قال ابن عباس : حدثني أبي عن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن موسى بنى إسرائيل ساك ربه فقال : أي رب ، إن كان في عبادة أحد هو أعلم مني ، فدلني عليه : فقال له : نعم ، في عبادة من هو أعلم منك ؟ ثم تعت له مكانة وأذن له في لُكْبته : فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه حوت مكسب (٣) ، قد قيل له : إذا حتي هذا الحوت في مكان ، فصاحبك هناك ، وقد أدركت حاجتك : فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فصار حتي جهده السير ، وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء ، وذلك الماء ماء الحياة ، من شرب منه خلد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا حتي : فلما نزلوا ومن الجبوت الماء حتي (فاتخذ سيبله في البحر مرباً) : فانتطلقا فلما جاوزا مُنْشَكَبته (٤) قال موسى لفتاه : (آتنا خدامنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) قال الفتى - وذكر - : (أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة ، فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) واتخذ سيبله في البحر حبياً - قال ابن عباس : فظهر موسى على الصخرة حتى انتهى إليها ، فإذا رجل متلفف في كساء له ، فلم موسى ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : ما جاء بك إن كان لك في قولك لشغل ؟ قال هو موسى : جئتكم لتعلمن مما جعلتكم رسلنا : (قال : إنك لن تستطيع معي صبراً) - وكان رجلاً يعلم علم الغيب ، قد صلّم ذلك - فقال موسى : بلى : قال : (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) ؟ أي : إنما تعرفت ظاهراً ما ترى من الملئ ، ولم تحط من علم الغيب بما أعلم ؟ (قال : ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) ، وإن رأيت ما يخالفني ، قال : (فإن آتيتني فلا تسأني عن شيء) - وإن أنكرته فلا -

(١) البخاري ، تفسير سورة : الكهف ١١٢/٦ - ١١٥ .

(٢) ينظر تفسير الطبري : ١٧٩/١٥ ، ١٨٠ .

(٣) أي : ملوج .

(٤) في المخطوطة : « جاوزا منقلبه » ، والمثبت من الطبري .

(حتى أحدث الله منه ذكرا) . فانطلقا عشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس ، يتلصقان من بعضهما ، حتى مررت بهما سفينة جديدة وكبيرة ، لم ير بها شيء من السفن أحسن ولا أكمل (١) ولا أوثق منها . فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنأا فيها وكسجت (٢) بهما مع أهلها ، أخرج مقاراً (٣) له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية منها فغضب فيها بالمشرق حتى خرقتها ، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها : فقال له موسى - وزأى أمراً فقطع (٤) به - : (أخرقتها لتفرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ) قال : ألم أقل : إنك لن تستطيع معي صبرا . قال : لا تؤاخذني بما نسيت ، و آخري : ما تركت من عهدك ، (ولا ترهقني من أمري صبرا) : ثم خرجنا من السفينة فانطلقا ، حتى أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان يلعبون خلفها ، فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أعزف منه ولا أثنى ولا أوضأ منه ، فأخذه بيده وأخذ حجرا فغضب به رأسه حتى ذمته (٥) قتله ، قال : فرأى موسى أمراً فظلم لا صبر عليه ، صبي صغير قتله لا ذنب له ، قال : (أقتلت نفسا زاكية) ، أي : صغيرة (بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع معي صبرا . قال : إن سألتك من شيء بعد فلا تصاحبني ، قد بلغت من لدني حذرا) ، أي : قد أصدرت في شأني : (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جدارا يريد أن يتنصص) ، فهدمه ثم قعد بينيه ، فتعجب موسى مما يراه يصنع من التكليف ، وما ليس له عليه صبر ، فقال : (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) ، أي : قد استطعناهم فلم يطعمونا ، وضغناهم (٦) فلم يضيفونا ، ثم فعلتَ تعمل من غير صنعة ، ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله ؟ قال : (هذا فراق بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا . أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ، فأردت أن أحييها وكان وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) - وفي قراءة أبي ابن كعب : (كل سفينة صالحة) - وإنما حيتها لأرده عنها ، فسلمت حين رأى العيب الذي صنعت بها : (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين ، فخشيت أن يرقمهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمري) ، أي : ما فعلته عن نفسي ، (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) . وكان ابن عباس يقول : ما كان أكثر إلا حلما (٧) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس قال : لما ظهر موسى وقومه على مصر ، أنزل قومه ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل الله : أن ذكرهم بأيام الله : فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون ، وذكرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم الله في الأرض ، وقال : كلم الله نبيكم تكليفا ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل

(١) كذا في المخطوطة . وفي تفسير الطبري : « ولا أجمل » .

(٢) أي : دخلت اللجة ، وهي : سطم البحر .

(٣) المنقار : حديد كالفأس ينقر بها .

(٤) أي : اشتد عليه .

(٥) أي : أصابت حماقه .

(٦) أي : نزلنا عليهم صيوفا .

(٧) تفسير الطبري : ١٨٥ - ١٨٢ .

حلّ حجة منه ، وآتاكم الله من كل ما سألتموه ، فتبكم أفضل أهل الأرض ، وأنتم تقرأون التوراة ، فلم يترك نعمة أنعمها عليهم إلا وصرفهم إليها : فقال له رجل من بني إسرائيل : هم كذلك يا نبي الله ، قد عرفنا الذي تقول ، فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال : لا ، فبعث الله جبرائيل إلى موسى عليهما السلام ، فقال : إن الله يقول : وما يدريك أين أضاع علمي ؟ بل : إن حل شط البحر رجلا هو أعلم منك . قال ابن عباس : هو الخضر - فسال موسى : وبه أن يريه إياه ، فأوحى إليه : أن اتب البحر ، فإنك تجد على شط البحر حوتا ، فخذ فادفعه إلى فتاك ، ثم ازم شط البحر ، فإذا نسيت الحوت وحلك منك ، فسمّ "بجد" المبدء الصالح الذي تطلب : فلما طاك مسكرو موسى نبي الله وتعب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه : (أ رأيت إذ أوتينا إلى الصخرة ، فإنك نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) لك ، قال النبي : لقد رأيت الحوت حين أخذ سيده في البحر سقرا فأتعجب ذلك (موسى) ، فرجع حتى أتى الصخرة ، فوجد الحوت ، فجعل الحوت بضربه في البحر وبنيته موسى ، وجعل موسى يقدم حصاه يكتسح بها عنه لئلا يقع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يمس ، حتى يكون صخرة . فجعل نبي الله يعجب من ذلك ، حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلي الخضر بها فسلم عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام . وأنى يكون السلام بهذه الأرض ؟ ومن أنت ؟ قال : أنا موسى : فقال الخضر : أصحاب بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، فرحب به وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتكم (حل أن تعلمني ما علمت رشدا . قال : إنك لن تستطيع معي صبرا) ، يقول : لا تطيق ذلك : قال موسى : (مستجلبا) إن شاء الله فأصا روا ولا أخصي لك أمرا) : قال : فاطلق به ، وقال له : لا تسألني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأله ، فذلك قوله : (حتى أحدث لك منه ذكرا) (١) .

وقال الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تخارى هو والخضر (٢) بن قيس ابن حصين الفزاري في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خضر . فرجما إلى بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تخاريتُ أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السيل إلى لُغْيَةٍ ، فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأله ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (بينا موسى - عليه السلام - في مكان من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان رجل أعلم منك ؟ قال : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى ، عبدا مختصرا . فسال موسى السيل إلى لُغْيَةٍ ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فككت الحوت فارجع ، فإنك ستلقاه . فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر . فقال نبي موسى لموسى : (أ رأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) : قال موسى : (ذلك ما كتبا نبي ، فارتدنا على آثارهما قصصا) . فوجدنا عبدا مختصرا ، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه (٣) .

(١) تفسير الطبري : ١٨٢/١٥ .

(٢) كان الخمر من القراء ، وكانت له منزلة عند هر بن الخطاب . ينظر جبهة أنساب العرب ، النشر : الثانية : ٢٥٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٨٣/١٥ .

قَالَ لَمْ يُؤْمِرْ بِهِ لَنْ أَتَيْتُكَ عَنْ أَنْ تَعْلَمَ بِمَا عَمِلْتَ رُشْدًا ﴿١٠﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١١﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا كُنْتَ تُخِطُّ بِهِ خَيْرًا ﴿١٢﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٣﴾ قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١٤﴾

غير تعالى عن قبل موسى عليه السلام لذلك العالم ، وهو الخضر ، الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى ، كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر ، (قال له موسى : هل أتيتك) ، سؤال بتلطف ، لا على وجه الإلزام والإجبار ، وهكذا ينبغي أنه يكون سؤالاً للتعلم من العالم ، وقوله : (أتيتك) ، أي : أمدحتك وأراقفك ، (على أن تعلمني بما علمت رشداً) ، أي : بما علمك الله شيئا ، أسترشد به في أخرى ، من علم نافع وعمل صالح . فعندها (قال) الخضر لموسى : (إنك لن تستطيع معي صبرا) ، أي : أنت لا تقدر [تصاحبي] ، لما ترى من الأفعال التي تخالف شريعته ، لأنني على علم من علم الله ، ما علمك الله ، وأنت على علم من علم الله ، ما علمني الله ، فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه ، وأنت لا تقدر على صحبتي . وكيف تصبر على ما لم يحط به خبرا ، فانا أعرف أنك مستنكر حتى ما أنت ملمور فيه ، ولكن ما أعلمت على حكمته ومصلحته الباطنة التي أعلمت أنا عليها دونك (قال) له موسى : (ستجدني إن شاء الله صابرا) ، أي : على ما أرى من أمورك ، (ولا أعصي لك أمرا) ، أي : ولا أخالفك في شيء . فبعد ذلك شرطه الخضر (قال : فإن أتيتني فلا تسألني عن شيء) ، أي : ابتداء (حتى أحدث لك منه ذكرا) ، أي : حتى أبداك أنا به قبل أن تسألني .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن هارون بن حنيفة (١) ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأله موسى ربه عز وجل ، فقال : ربه ، أي عبادك أحب إليك؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال : فتأني عبادك أقضى ؟ قال : الذي يقضي بالحق ولا يتبع لغوي . قال : أي ربه ، أي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبين علم الناس إلى علمه (٢) ، حتى أن يصيب كلمة تهدي إلى الهدى ، أو ترده عن ردى . قال : أي ربه ، فهل في أرضك أحد أعلم مني ؟ قال : نعم . قال : فمن هو ؟ قال : الخضر . قال : فأين أطليه ؟ قال : على الساحل عند الصخرة ، التي ينفلت عندها الخوت . قال : فخرج موسى يطلبه ، حتى كان ما ذكر الله ، وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلم كل واحد منهما على صاحبه . فقال له موسى : إني أريد أن تصحبني . قال : إنك لن تطيق صحبتي . قال : بلى . قال : فإن صحبتي (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) ، قال : فصار به في البحر حتى انتهى إلى مجمع البصور ، وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه . قال : وبعد الله الخطاف (٣) ، فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقال لموسى : كم ترى هذا الخطاف ركزا من هذا الماء ؟ قال : ما أقل مازكا ! قال : يا موسى ، فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقي

(١) في المخطوطة : « هارون بن حنيفة » . والصواب من الطبري : وترجمة هارون في البحر لابن أبي حاتم : ٩٢/٢٤ .

(٢) في الطبري : « إل علم نفسه » .

(٣) الخطاف : المصغور الأسود ، وهو الذي تدموه العامة : مصغور الجنة .

هذا الخطف من هذا الماه . وكان موسى قد حدث نفسه ان ليس احد اعلم منه ، أو تكلم به ، فن تم أمر ان يأتي الخضر (١) . وذكر تمام الحديث في حرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإصلاح الجدار ، وتفسيره له ذلك .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١٧٩﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَقُولُ
إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٨٠﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿١٨١﴾

يقول تعالى عبرا عن موسى وصاحبه ، وهو الخضر ، انهما انطلقا لما توافقا واصطحبا ، واشترط عليه ان لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذى يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه ، فركبا في السفينة . وقد تقدم في الحديث كيف ركبوا في السفينة ، وأنهم عرفوا الخضر ، فحماوهما بغير تول ، بنى بغير أجرة ، تكمة للخضر . فلما استطلت بهم السفينة في البحر ، ولجبت أى دخلت اللجة ، قام الخضر فخرقها ، واستخرج لوحا من ألواحها ، ثم رفعها ، فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه : (أخرقتها لتغرق أهلها) . وهذه اللام العاقبة لا لام التعليل ، كما قال الشاعر (٢) :

لِدُّوا لِلْمَوْتِ وَأَبْشُرُوا الْخَرَابِ •

(لقد جئت شيئا إمرأ) — قال مجاهد : منكرا . وقال قتادة : عجا (٣) — فنعلمنا قال له الخضر منكرا بما تقدم من الشرط : (ألم أقل : إنك لن تستطيع معي صبرا) ، يعنى وهذا الصنيع فعلته قصدا ، وهو من الأمور التى اشترطت منك أن لا تنكر على فيها ، لأنك لم تحط بها خبرا ، ولما دأخل هو مصلحة ، ولم تعلمه أنت : (قال) ، أى موسى : (لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا) ، أى : لا تضيق على وتشدد . ولما تقدم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كانت الأولى من موسى نسيانا » .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِنَفْسِكَ بِمَا كُنْتُمْ بِهِ ظَالِمِينَ * قَالَ أَرَأَيْتَ
أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٨٠﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنِ
لَدُنِّي عُذْرًا ﴿١٨١﴾

يقول تعالى . (فانطلقا) ، أى : بعد ذلك ، (حتى إذا لقيا غلاما قتلته) . وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى ، وأنه عد إليه من بينهم ، وكان أحسنهم وأجملهم وأواضاهم (٤) ، فقتله ، فروى أنه احتر رأسه ، وقيل : رخصه (٥) بحجر . وفي رواية : اقتطفه بيده : فآله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ١٧٩/١٥ .

(٢) أبو المتاعية : ديوانه ط بيروت : ٤٦ ، وصحبه ٢

• فكلكم يصير إلى تهاب •

(٣) تفسير الطبري : ١٨٤/١٥ .

(٤) في المخطوطة : « وأواضاهم » . والصواب ما أثبتناه ، وينظر أثر حيد الرزاق المتقدم . والوضادة الحسن والنظافة .

(٥) الرضخ : كسر الرأس .

فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول ، وبادر فقال : (أنثنت تقسا زاكية) ، أي : صغيرة لم تحمل الحديث ، (١) ولا حملت إنما بعد ، ففتنته ؟ (بغير نفس) ، أي : بغير مُسْتَكِد لقتله ، (لقد جئت شيئا نكراً) ، أي : ظاهر النكارة . (قال : ألم أقل لك : إنك لن تستطيع معي صبرا) ، فأكد أيضا في التذكار بالشرط الأول ، فلهذا قال له موسى : (إن سألتك عن شيء بعدها) ، أي : إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة ، (فلا تصاحبي) ، قد بلغت من لكى حلرا) ، أي : قد أهدرت إلى مرة بعد مرة .

قال ابن جرير : حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا ، فلهذا له ، بدأ بنفسه ، فقال ذات يوم : ورحمة الله علينا وعلى موسى ، لو لبت مع صاحبة لأبصر العنكب ، ولكنه قال : (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبي) قد بلغت من لكى حلرا [مقالة (٧)] .

قَاتِلْنَا حَتَّى إِذَا أَنَا فِي قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبْرَأَ أَنْ يَضِيفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَفُتِنْتَهُمَا عَلَيْهِمَا **فِي** ذَلِكَ يَوْمٍ لَفُتْنَاهُمَا فَرَأَوْهُمَا بِقِيٍّ وَيَبْنِي سَانِيَةً بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

يقول تعالى صبرا عنهما ، إنما (انطلقا) بعد للزمت الأولين ، (حتى إذا أتيا أهل قرية) - روى ابن جرير ، عن ابن سيرين أنها الأيلة (٣) وفي الحديث : (حتى إذا أتيا أهل قرية لتأما (٤)) ، أي : غلّاء ، (فأبوا أن يضيفوها ، فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض) ، إسناد الإرادة هاهنا إلى الجدار حل سبيل الاستعارة ، فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الليل ، والالفاظ هي : السقوط .

وقوله : (فأقامه) ، أي : قرّده إلى حالة الاستقامة . وقد تقدم في الحديث أنه رده بيديه ، ودعّمه حتى رده مبله . وهذا خارق ، فبعد ذلك قال موسى له : (لو شئت لاغتلط عليه أجرا) ، أي : لأجل أنهم لم يضيفونا ، كان ينبغي أن لا تعمل لهم عانا . (قال : هلأ فراق بيني وبينك) ، أي : لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبي ، فهو فراق بيني وبينك أ ، (سألتك بتأويل) ، أي : يتفسير (ما لم تستطع عليه صبرا) .

(١) الحديث : الإثم والمصيبة .

(٢) ما بين القوسين من تفسير الطبري : ١٨٦/١٥ . وهو ثابت في الطبقات السابقة . ويصو قوله : مقالة : تشبيه التوف في لفق . وبعضهم قرأها بالتخفيف . ينظر البحر المحيط لأبي حيان : ١٥١/٦ .

(٣) تفسير الطبري : ١٨٦/١٥ . وأيلة - كما في مرصاد الاطلاح - : مدينة حل ساحل بحر القلزم - البحر الأحمر - ما بين الشام . قيل : هي آخر الحجاز وأول الشام ، وهي مدينة اليهود الذين اعتدوا في السبت .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١١٩/٥ .

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْسَلْنَا أَنْ أَمِيرَهُمْ وَكَانَ قَائِمًا عَلَى سَفِينَةٍ خَصِيصَةٍ ﴿١٧﴾

هذا تفسير ما لشكل امرء على موسى عليه السلام ، وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر عليه السلام على باطنه ، فقال : إن السفينة إنما عرقناها لأحبينا ، [لأنهم كانوا يعرون بها على ملك من الظلمة ، (يأخذ كل سفينة) صالحة ، أى : جيدة (غضبا) ، فأردت أن أعيبتها] ، لأرده عنها لميها ، فيضع بها أصحابها من المساكين الذين لم يكن لهم شيء يتسعون به غيرها ، وقد قيل : إنهم إيتام .

وروى ابن جريج ، عن وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبالي : أن اسم ذلك الملك « هُدُودُ بْنُ بُدْدَةَ » (١) ، وتقدم أيضا في رواية البخارى ، وهو مذكور في التوراة في خربة « العيص » (٢) بن إسحاق ، وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة ، والله أعلم .

وَأَمَّا الْفُلُّ فَأَمَرَ أَبُوهُ مَوْمِنِينَ يُخَشِفُونَ فِئَافَهُمَا فَعِثْنَا أَنْ يَرَهُمَا فَنفَيْتَاهُمَا وَأَكْفَرَا ﴿١٨﴾ فَأَرْسَلْنَا زَيْدًا مِنْهُمْ خَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَكَانَ زَوْقُهُمْ عَلَى الْكَلْبِ ﴿٢٠﴾

قد تقدم أن هذا الفلام كان اسمه جَبَسُور . وفي الحديث عن ابن عباس ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الفلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا » : رواه ابن جرير من حديث ابن عباس ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، به (٣) . ولهذا قال : (فكان أبواه مؤمنين ، فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) ، أى : بعملهما حُبْنَهُ على متابته على الكفر .

قال قتادة : قد فرح به أبواه حين ولد ، وحرّنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرٌ له من لقائه فيما يحب .

وصح في الحديث : لا يقضى الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له (٤) . وقال تعالى : (وصلى أن تكفروا شيئا وهو خير لكم (٥)) .

وقوله : (فأرسلنا أن يدللنا رجعا خيرا منه زكاة وأقرب رحما) ، أى : ولدا أذكى من هذا ، وهما أرحم به منه . قاله ابن جريج .

وقال قتادة : أبر بوالديه ،

وقد تقدم أنهما بُدِّلَا جارية : وقيل : لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بفلام مسلم : قاله ابن جرير (٦) .

(١) تفسير الطبري : ٣/١٦ .

(٢) هو : « عيسو » أو « عيساب » . ينظر جبهة أنساب العرب لابن حزم ، للنشرة الثانية : ١١٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٣/١٦ ، ٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك : ٣/١١٧ ، ١٨٤ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢١٦ .

(٦) نظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ٣/١٦ ، ٢٠٠ .

وَأَمَّا الْيَهُودُ فَكَانَ هُنَاكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْأَمْنَةِ وَكَانَ يَحْتَمُّ كُتُبَهُمَا وَكَانَ يَوْمَ صَلَاحِهِمَا أَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَفْئِدَتَهُمَا وَيَعْتَصِرَ بِمَا كُنَّا نَمُوتُ فِيهِ وَنَكْنُحُ مِنْهُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿١٨٢﴾

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة ، لأنه قال أولا : (حتى إذا أتيا أهل قرية) ، وقال هاهنا : (فكان للغلامين يتيمين في المدينة) ، كما قال تعالى : (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) (١) ، (وقالوا : نولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٢) ، يعني مكة والطائف .

ومعنى الآية : أن هذا الجدار إنما أصلحه لأنه كان للغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كثرهما قال حكيمه ، وقناة ، وغير واحد ، كان تحته مآك مدفون لها ، وهذا ظاهر السياق من الآية ، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله .

وقال العوفي ، من ابن عباس : كان تحته كثر علم ، وكذا قال سعيد بن جبير ، وقال مجاهد : صحفت فيها علم . وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوى ذلك ، قال الحافظ أبو بكر أحمد بن حنبل بن حيد الخالق البراري في مسنده المشهور : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا بشر بن المنذر ، حدثنا الحارث بن عبد الله البصري ، عن عياش ابن عباس القتيبي ، عن حنيفة (٣) عن أبي ذر رضي الله عنه - قال - : إن الكثر الذي ذكر الله في كتابه ، لوح من ذهب مصبت مكتوب فيه لا ، صجبت لمن يؤمن بالقدر ، لم نصيب ؟ وصجبت لمن ذكر النار ، لم غشيتك ؟ وصجبت لمن ذكر الموت ، لم غشك ؟ لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

بشر بن المنذر هذا يقال له : قاضى المصيصية ، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي : في حديثه (٤) وهم وقد روى في هذا آثار عن السلف ، فقال ابن جرير في تفسيره : حديثه يعقوب ، حديثه الحسن بن حبيب بن نديبة . حدثنا سلمة ، عن نعيم النخعي - وكان من جلساء الحسن - قال : سمعت الحسن - يعني البصري - يقول في قوله : (وكان تحته كثر لها) ، قال : لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، صجبت لمن يؤمن بالقدر ، كيف يحزن ؟ وصجبت لمن يؤمن بالموت ، كيف يفرح ؟ وصجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها ، كيف يطمئن إليها ؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وحديثه يونس ، أنصرا ابن وهب ، أنصرا عبد الله بن عياش ، عن حمزة مولى عتبة (٥) قال : إن الكثر الذي قال الله في الصورة التي يذكر فيها الكهف : (وكان تحته كثر لها) ، قال : كان لوحا من ذهب مصبت ، مكتوبا

(١) سورة هود : آية ١٧ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٣١ .

(٣) في المخطوطة : ه أبو حميرة . وهو أبو عبد الله عبد الرحمن بن حميرة أنطوناني المصري ، يروى عن أبي ذر . ينظر ترجمته في التلخيص : ١٦٥/٦ .

(٤) ميزان الاحتيال للخبز : ٢٢٥/١ .

(٥) هو حمزة بن عبد الله الملقب بأبي حمص ، أدرك ابن عباس . مترجم في التلخيص : ٦١٧/٧ . وفي المخطوطة : ه حمير موك مقربة . وهو خطأ .

فيه ؟ بسم الله الرحمن الرحيم، حَسْبِيَ مَنْ حَرَفَ النَّارَ ثُمَّ ضَحَّكَ ! حَسْبِيَ مَنْ أَقْبَنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ تَصَبَّحَ ! حَسْبِيَ مَنْ أَقْبَنَ بِالْمَوْتِ ثُمَّ آمَنَ ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وحدثني أحمد بن حازم الغفاري ، حدثنا هنادة مالك الشيباني قالت : سمعت صاحب حماد بن الوليد الثقفي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى : (وَكَانَ نَحْتُهُ كَثْرًا لَهَا) ، قال : سطران ونصف ، لم يَمِ الثَّالِثُ ! عجبت للموقن بالرزق كيف يصعب ؟ وعجبت للموقن بالحساب كيف يفتل ؟ وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح ؟ وقلة قال تعالى : (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا) ، وكفى بنا حاسبين . قالت : وذكر أنها حُفِظَتْ بِصِلَاحِ أَبِيهَا ، ولم يذكر منها صِلَاح ، وكان بينها وبين الأب الذي حُفِظَ به سبعة آباء ، وكان نصاباً (١) :

وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ، وورد به الحديث المتقدم وإن صبح ، لا ينافي قولَ حكيمته : إنه كان مالا ، لأهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب ، وفيه مالٌ جزيل ، أكثر ما زادوا أنه كان مودعاً فيه علم ، وهو حكم ومواعظ ، والله أعلم .

وقوله : (وَكَانَ أَبُوهَا صَالِحًا) فيه دليل على أن الرجل [الصالح] يحفظ في ذريته ، وتشمل بركة عبادته لهم (٢) في الدنيا والآخرة ، بشفاهته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة تُقَرَّرُ حينئذ بهم ، كما جاء في القرآن ووردت السنة به ، قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : حُفِظَ بِصِلَاحِ أَبِيهَا ، ولم يذكر (٣) لها صِلَاح : وتقدم أنه كان الأب السابع (٤) .

وقوله : (فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَفْعَاهَا وَيُسْخَرَاكَ بَرِئًا) ، هاهنا أسند الإرادة إلى الله تعالى ، لأن بلوغها الحلم لا يتبدل عليه إلا الله ، وقال في الغلام : (فَارَدْنَا أَنْ يَبْلُغَا رَجُلًا نَجِيًّا) ، وقال في السفينة : (فَارَدْتُ أَنْ أَصِيبَهَا) ، فإله أعلم .

وقوله : (رَحِمَةً مِنْ رَبِّكَ ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) ، أي : هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة ، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة ، ووالدَي الغلام ، ووالدَي الرجل الصالح ، (وما فعلته عن أَمْرِي) ، لكنني أُمِرْتُ به ووُكِّفْتُ عليه ، وفيه دلالة على أن قال نبوة الخضر عليه السلام ، مع ما تقدم من قوله : (فوجدنا عبداً من عبادنا) ، آتيناها رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً) :

وقال آخرون : كان رسولاً وقيل : بل كان ملكاً : نقله للوردى في تفسيره .

وذهب كثير من أنَّهُ لم يكن نبياً ، بل كان ولياً : فإله أعلم .

وذكر ابن قتيبة في المعارف : أن اسم الخضر بكياً بن مكيك بن قانع بن غابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام (٥) .

-
- (١) تنظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ١٦ / ٦ .
- (٢) كلما في الطبقات السابقة . وفي غسوة الأثر : « وتشمل بركة عبادته أم في الدنيا والآخرة » . ويبدو أن هناك سقطاً .
- (٣) لعل السبب في أنه تعالى لم يذكر لها صِلَاحاً ، أنه تحدث عنها قبل الحلم ، بدل من وصفها بالبر . والإنسان إنما يوصف بهذا الوصف قبل بلوغه الحلم .
- (٤) ظاهر الآية أن المراد بالأب هو الأب المباشر ، وليس الأب السابع . ولا يدل من هذا الظاهر إلا بدليل لا سبيل لك الشك فيه . وهو غير مرجح .
- (٥) المعارف لابن قتيبة : ٤٢ .

قالوا : وكان يكنى أبا العباس ، ويقبض بالخنصر ، وكان من أبناء الملوك ، ذكره التورى في تهنيت الأسماء ، وحكى
هو وغيره أن كونه باقيا إلى الآن لم إلى يوم القيامة قولين ، ومال هو وابن الصلاح إلى بقاءه ، وذكروا في ذلك حكايات
وأكثرا عن السلف وغيرهم . وجاء ذكره في بعض الأحاديث . ولا يصنع شيء من ذلك ، وأشهرها أحاديث التزيية ،
وإسناده ضعيف .

ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) (١)
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم يدر : اللهم ، إن تهلك هذه العصابة : لأُعبد في الأرض (٢) ، وبأنه
لم يزل إلى يومنا هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خضر عنه ، ولا قال منه ، ولو كان حيا لكان من أتباع
النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، لأنه عليه السلام كان مبعوثا إلى جميع القلتين : الجن والإنس ، وقد قال : لو كان
موسى وعيسى حيين ماوسعهما إلا أباي ، وأخبر قبل موته بقايل : أنه لا يبقى من هو على وجه الأرض إلى مائة سنة
من ليته لك حين تعرف ، إلى غير ذلك من الدلائل .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام بن منبته ، عن أنس بن خزيمة رضى
الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (في الخنصر ، قال : إنما سمي «خنصرا» لأنه جلس على قنوة بيسان ، فإذا
حي تحته : لا يقرأ خضره (٣)) .

ورواه أيضا عن عبد الرزاق (٤) : وقد ثبت أيضا في صحيح البخارى ، عن همام ، عن أنس بن خزيمة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : إنما سمي الخنصر لأنه جلس على قنوة ، فإذا حي جثث (من خلفه) خضره (٥) ،

والمراد بالقنوة هاهنا : الحشيش اليابس ، وهو الخشيم من الثبأت ، قاله عبد الرزاق (٦) ، وقيل : المراد بذلك وجه
الأرض .

وقوله : (ذلك لأوّل ما لم تسطع عليه صبرا) أى : هذا تفسير ما فتت به فرحا ، ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء
ولا أن فسر له ، وبينه ، وفسحه ، وأزال للمشكل ، قال : (تسلم) ، وقبل ذلك كان الإشكال قويا قليلا ، فقال : (سأنبئك
بأوّل ما لم تسطع عليه صبرا) ، هاهنا الأتقى بالقتل ، والأخف بالأخف ، كما قال تعالى : (لما استأصموا أن يظهره) ،
وهو الصعود إلى أعلاه ، (وما استأصموا له قويا) (٧) ، وهو أشت من ذلك : تقابل كلاما يتناسب لفظا ونعنى ، والله أعلم .

- (١) سورة الأنبياء : آية ٣٤ .
- (٢) مسلم ، كتاب الجهاد ، باب : الإمداد بالملاكة في قنوة بدر وإيالة النمام : ١٥٦٥٠ . ومسنود الإمام أحمد
من عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ٣٤٠ / ٣٤ .
- (٣) مسند الإمام أحمد : ٢٩٤ / ٢٩٤ . وما بين التوسيق من المسند .
- (٤) المسند : ٣٩٨ / ٢ .
- (٥) البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب : حديث أنكر مع موسى عليه السلام : ١٩٠٤٤ .
- (٦) في المسند : ٣١٨ / ٢ . يند أن ساق الإمام أحمد حديث أنس بن خزيمة : القنوة : الحشيش الأبيض وما يشبهه . قال فيه أنه
[يعنى ابن الإمام أحمد] : أن هذا تفسيراً من فيه للرزاق .
- (٧) سورة الكهف : آية ٩٧ .

فإن قيل : فما بالك في موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ قال جواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر ، وذكر ما كان بينهما . وفي موسى معه تيم : وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصباح وغيرها أنه يوشع بن نون ، وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسى عليها السلام . وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثني ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمار ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : قيل لابن عباس : لم تسمع لقبي موسى بلكر من حديث وقد كان معه ؟ فقال ابن عباس فبا بلكر من حديث القتي ، قال : شرب القتي من الماء [فخلد ، فأخلده] (١) العالم ، فطابق به سفينة ثم أرسله في البحر ، فلما توج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب (٢) :

إستاد ضعيف ، والحسن متروك ، وأبو هريرة معروف .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ^{مَّا} إِنَّا مَكَّالُهُ فِي الْأَرْضِ وَهُمْ أَتَيْنَهُ مِنْ كَرْنٍ

سَبِيلًا

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ويسئلونك عن ذي القرنين) يا محمد (عن ذي القرنين) أي : عن خبره . وقد قدما أنه بحث كتاب مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : سلوه عن رجل طواف في الأرض . وعن فتية لا يدري ما صنعوا ، وعن الروح : فترت سورة الكهف : (٣) .

وقد أورد ابن جرير هاتين ، والأخوى في مغازيه ، حديثاً أسنده وهو ضعيف ، عن حقة بن حار ، أن نفراً من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، فأخبرهم بما جاءوا له ابتلاء ، فكان فيما أخبرهم به : « أنه كان شاباً من الروم ، وأنه بنى الإسكندرية ، وأنه علا به ملك في السماء ، وذهب به إلى السد ، ورأى أنوما وجوههم مثل وجوه الكلاب » . وفيه طول وتكرار ، ورفضه لا يصح ، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل : والعجب أن أبازره البرازي ، مع جلالة قدره ، ساقه بنامه في كتابه دلائل النبوة ، وذلك غريب منه ، وفيه من التكرار لا أنه من الروم ، وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني بن فيليب المقدوني ، الذي تورخ به الروم ، فأما الأول فقد ذكره الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به وأتبعه ، وكان معه الخضر عليه السلام : وأما الثاني فهو إسكندر بن فيليب المقدوني اليوناني ، وكان وزيره أرسطاطليس [الفيلسوف] المشهور ، والله أعلم : وهو الذي تورخ به من ملكته ملة الروم . وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثة سنة ، فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل ، كما ذكره الأزرقي وغيره ، وأنه طاف مع الخليل بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام وقرب إلى الله قربانا ، وقد ذكرنا طرفاً من أخباره في كتاب « البداية والنهاية » (٤) ، بما فيه كفاية ، والله الحمد .

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري ، ومثله في قدر المتنور السويطي : ٢٣٩/٤ . ومكانه في المخطوطة : « فساد » .

(٢) تفسير الطبري : ١٨٢/١٥ .

(٣) ينظر : ١٣٧/٥ .

(٤) ينظر البداية والنهاية : طبعة بيروت : ١٩٢/٢ - ١٩٩ ، ومرجع الذهب للمصنف : ٢١٦/١ ، ١٢٧ .

قال وهب بن مَسْبُة : كان ملكا ، وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحي رأسه كانتا من نحاس ؛ قال : وقال بعض أهل الكتاب : لأنه ملك الروم وفارس ؛ وقال بعضهم : كان في رأسه شبه القرنين ؛ وقال سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل قال : سئل عن رضى الله عنه عن خلق القرنين ، فقال : كان عبداً ناصحاً لله عز وجل فناصره ، دحا قومه إلى الله ففسر بوه على قرنه قات ، فأحياه الله ، فلحا قومه إلى الله ففسروه على قرنه قات ، فسمى ذا القرنين ، وكذا رواه شعبه ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، سمع علياً يقول ذلك .

ويقال : وإنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب ، من حيث يطلع قرن الشمس ويفرب (١) . وقوله : (إنما مكانا له في الأرض) ، أى : أعطيتاه ملكاً عظيماً متمكناً ، فيه له من جميع ما يورث الملوك ، من العسكر والجنود ، وآلات الحرب والحصارات ؛ ولهذا ملكك المشارق والمغارب من الأرض ، وحدث له البلاد ، وخضعت له ملوك العباد ، وخضعت الأمم ، من العرب والمجم ؛ ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس مشرقها ومغربها .

وقوله : (وآتيناه من كل شيء سبياً) - قال ابن عباس ، وبجاهد ، وسعيد بن جبْرِ ، وعكرمة ، والسدى ، وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم : يعنى علياً .

وقال قتادة أيضاً في قوله : (وآتيناه من كل شيء سبياً) ، قال : منازل الأرض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (وآتيناه من كل شيء سبياً) ، قال : تعلم الألسنة كان لا يفترو قوماً إلا اكلمهم بلسانهم .

وقال ابن قتيبة : حدثني سالم بن حنبلان ، عن سعيد بن أبي هلال : أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار : أتت لقول : إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟ فقال له كعب : إن كنت قلت ذلك فإن الله تعالى قال : (وآتيناه من كل شيء سبياً) .

وهذا الذي أنكره معاوية رضى الله عنه حل كعب الأحبار هو الصواب ، والحق مع معاوية في الإنكار ؛ فإن معاوية كان يقول عن كعب : « إن كنا لنبلر عليه الكذب » ؛ يعنى فيما ينقله ، لا أنه كان يعتمد نقل مائيس في صحيفته ، ولكن الشأن في صحيفته أنها من الإسرائيليات التي غالبها بيدك مصحف عزفت عن خلق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله ورسوله إلى شيء منها بالكيفية ؛ فإنه دخل منها على الناس شر كثير ، وفساد عريض ؛ وتؤويل كعب قول الله : (وآتيناه من كل شيء سبياً) ، واستشهاده في ذلك على ما يجاهد في صحيفته من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق ؛ فإنه لا يميل للبش في شيء من ذلك ، ولا إلى الترف في أسباب السموات ؛ وقد قال تعالى في حق بلقيس : (وأوتيت من كل شيء) (٢) أى : ما يورث مثلها من الملوك ؛ وهكذا ذو القرنين يسر الله الأسباب ، أى : الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرياسات (٣) والبلاد والأراضي ، وكسرت الأعداء ، وكسبت ملوك الأرض ، وإذلال أهل الشرك ؛ قد أوتى من كل شيء ما يحتاج إليه مثله سبياً ، والله أعلم .

(١) تنظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ١٦٪ ٨ . ومروج الذهب للمسعودي : ١٧٪ ٢١ .

(٢) سورة النحل من الآية ٢٣ .

(٣) الراسخين : جمع - رستاق - يضم فسكون - وهى : السوادى للقرى .

وفي « المختارة » (١) : للحفاظ الضياء المقدسي ، من طريق قتيبة ، عن أبي عوانة ، عن سالك بن حرب ، عن حبيب ابن حمزة (٢) : قال : كنت عند علي رضي الله عنه ، وسأله رجل عن نبي القرنين : كيف بلغ المشارق والمغارب ؟ فقال : سبحان الله ، مستغر له السحاب ، وقد و له الأسباب ، ويسط له اليد .

فَاتَّبَعَ سَبِيلًا ﴿١٠٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلِيلًا يُنَادُوا
الْقَرْنَيْنِ أَيَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿١٠١﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ
عَذَابًا نُكَرًا ﴿١٠٢﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَنُسُفُّو لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿١٠٣﴾

قال ابن عباس : (فاتبع سبيلاً) ، يعنى بالسبب : المتزلزل . (وقال مجاهد :) (فاتبع سبيلاً) : منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب .

وفي رواية عن مجاهد : (سبيلاً) ، قال : (طريقاً في) (الأرض) .

وقال قتادة : أى اتبع منازل الأرض ومعالها .

وقال الضحاك : (فاتبع سبيلاً) ، أى : المتأزل .

وقال سعيد بن جببر في قوله : (فاتبع سبيلاً) ، قال : علماً ؛ وهكذا قال عكرمة ، وصعيد بن يعلى ، والسدي ،

وقال منظر : معالم وآثار كانت قبل ذلك .

وقوله : (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) ، أى : فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب ، وهو مغرب الأرض . وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فتعذر ، وما يذكره أصحاب التفسير والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه ، فشيء لا حقيقة له . وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب ، واختلاف (٤) زنادقتهم وكلمهم .

وقوله : (وجدها تغرب في عين حمئة) ، أى : رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط ، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله ، يراها كأنها تغرب فيه ، وهي لا تغرب القلوك الرابع الذي هي مشتبعة فيه لا تغارقه .

(١) المختارة في الحديث لحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي المنبلي ، قال فيها ابن كثير في البداية والنهاية : ١٣/ ١٧٠ : « وكتاب المختارة ، وفيه علوم حسنة حديثية ، وهي أجود من مستدرک الحاكم لو كل » . وفي كشف الظنون ١٦٢٤ : « أن المقدسي التزم في المختارة الصفة ، فصحح أسانيد لم يسبق إلى تصحيحها . توفي المقدسي سنة ٦٤٣ .

(٢) لطيف هذا ترجمة في أسد الغابة : ٤٤٢/ ١ يتحققنا ، والبحر والتمثيل لابن أبي حاتم : ٩٨/ ٢١ .

(٣) في تفسير ابن كثير : « قال : طرق الأرض » . والكتب من الطبري ١٦/ ٩ . وفي التلخيص للثوري ٢٤٧/ ٤ : « منزلاً وطريقاً من الشرق إلى الغرب » .

(٤) في القسطولة : « واختلاف زنادقتهم » . والمواب ما أفتتنه .

و « الحمة » : مشقة حل إحدى القراءتين (١) من « الحمة » وهو الطين ، كما قال تعالى : (إني هاتئني بشرا من صلبك من حمأ مسنون) (٢) ، أي : طين أبيض - وقد تقدم بيانه .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني نافع بن أبي نعيم : سمعت عبد الرحمن الأهرج يقول : كان ابن عباس يقول (في عين حمة) ، ثم فسرها : ذات حمة - قال نافع : وسئل عنها كعب الأحبار ، فقال : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء (٣) .

وكذا روى غير واحد عن ابن عباس : وبه قال مجاهد ، وغير واحد .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا محمد بن دينار ، عن سعد بن أوس ، عن مصعب ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم أقره (حمة) (٤) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وجدها تقرب في عين حامية) ، يعني : حارة - وكذا قال الحسن البصري :

وقال ابن جرير ، والصواب أنهما قرأتان مشهورتان ، فأما قرأتا القارئ فهو مصيبه :

قلت : ولا منافاة بين معنيهما ، إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها ، وملاقاها الشعاع بلا حال - و (حمة) : في ماء وطين أسود ، كما قال كعب الأحبار وغيره .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام ، حدثني مولى عبد الله بن عمرو ، عن عبد الله قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت ، فقال : (في نار الله الحامية ، في نار الله الحامية) ، لولا ما يترهها (٥) من أمر الله ، لأحرقت ما على الأرض .

قلت : ورواه الإمام أحمد ، عن يزيد بن هارون (٦) : وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ، ولعله من كلام عبد الله ابن عمرو ، من زكاته التي وجدها يوم اليرموك ، والله أعلم .

(١) القراءة الأولى : (حامية) - وقسمها أبو حيان في البحر المحيط إلى : حمة الله ، وطلحة بن حمة الله ، وحمرو بن العاص ، وابن عمر ، وحمة الله بن عمرو ، ومماوية ، والحسن ، وزيد بن حل ، وابن عامر ، وحمة ، والكسائي . وقال : (حامية) بالياء ، أي : حارة . ولما القراءة الثانية فهي : (حمة) - حمزة مفتوحة - ولسيا أبو حيان إلى ابن عباس ، وبقي السبعة وشية ، وحمة ، وابن أبي ليل ، ويعقوب ، وأبو حاتم ، وابن جرير الأنطاكي . قال أبو حيان : « واكثره يابن الحمزة » . يقال : سمعت البئر تحيا حيا ، فهي حمة ، أي : خالطت ما بها الحمة - يفتح فسكون - وهي الطين الأسود . يقول أبو حيان : « ولا تثنى بين (الحامة) و (الحمة) ، إذ تكون العين جامة للوصفين . وقال أبو حاتم : وقد يمكن أن تكون (حامية) مهملزة ، يعني : ذات حاء ، فتكون القراءتان بمعنى واحد . يعني أنه مهملت الحمزة ، بإبدالها ياء لكسرة ما قبلها . وفي التوزاة : تقرب في ماء وطين » . البحر المحيط : ١٥٩/٦ .

(٢) سورة البقر آية : ٢٨ . والحديث من « الحما » تقدم في : ٤٥١/٤ .

(٣) تفسير البصري : ١٥/١٦ .

(٤) مصنف المصنف : ما جاء في القراءات : ٧/٧ . وأخرجه ابن جرير البصري في تفسيره : ١٦/١٦ عن الفضل بن داود الزاسلي : عن أبي داود بإسناده .

(٥) أي : يحميها .

(٦) سنن الإمام أحمد : ٢/٢٧٢ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا حجاج بن حمزة ، حدثنا محمد - يعني ابن بشر - حدثنا عمرو بن ميمون ، أنبأنا ابن حاصر (١) ، أن ابن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف : (تغرب في عين حامية) ، قال ابن عباس : قُلت لمعاوية : ما قرؤها إلا (حمزة) ، فسألت معاوية عبد الله بن عمرو : كيف قرؤها ؟ فقال عبد الله : كما قرأتها ، قال ابن عباس : قُلت لمعاوية : في بيتي نزل القرآن : فأرسل إلى كعب فقال له : أين نجد الشمس تغرب في التوراة ؟ فقال له كعب : سل أهل العربية ، فإنهم أعلم بها . ولما أنا أجِد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين ، وأشار بيده إلى المغرب ، قال ابن حاصر : لو أني عندكما أفدتكُم بكلام تراه فيه بصيرة في (حمزة) : قال ابن عباس : وإذا ما هو ؟ قلت : فيما يؤثّر من قول تبيخ ، فيما ذكر به ذا القرنين ، في تحلّفه بالعلم واتباعه إياه (٢) .

بَلِّغْ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ بِبَيْتِنَا أَسْبَابَ أَمْرٍ ، مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ
فَرَأَى مُغِيبَ (٣) الشَّمْسِ عِنْدَ شُرُوبِهَا فِي حَيْنِ ذِي خُلُوبٍ وَقَطَعَ حَرَمَهُ
قال ابن عباس : ما المُغِيبُ ؟ قلت : الذين يكلامهم : قال : ما اللطاف ؟ قلت : الحساسة : قال : لما احترق مكة ؟ قلت : الأسود : قال : فلما ابن عباس رجلا أو غلاما ، فقال : اكتب ما يقول هذا الرجل :
وقال سعيد بن جبير : بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف ققرأ : (وجعلنا تغرب في عين حمئة) فقال كعب : والذي نفس كعب بيده ، ما سمعت أحدا يقرأها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس ، فلما لجدها في التوراة تغرب في مدّة سوداء .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا هشام بن يوسف قال : في تفسير ابن جريج (١) : (ووجد حنتها قوما) ، قال : مدينة لها اثنا عشر ألف باب ، لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب (٢) الشمس حين تهب . وقوله : (ووجد حنتها قوما) ، أي : أمة من الأمم ، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم ،
وقوله : (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعلب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) ، معنى هذا : أن الله تعالى ملكه منهم ، وحلّكه فيهم ، وأظفّرهم بهم ، واختير : إن شاء قتل وسبي ، وإن شاء منّ أو فدّى : فعُرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه ، في قوله : (أما من ظلم) ، أي : من استمر على كفره وشركه بربه ، (لنصوف تعذب) - قال قتادة : بالقتل . وقال السدي : كان يجمي لهم بقر الشحاس ويضعهم فيها حتى يلبوا ، وقال وهيب بن منه : كان يسلط الظلمة . فتدخل أفراسهم ويوتئهم ، وتغشاهم من جميع جهاتهم (٣) ، والله أعلم .

-
- (١) هر حنّان بن حاصر . والأثر رواه الطبري مع خلاف بن الحسين بن الجنيد ، عن سعيد بن سلمة ، عن أنس بن مالك .
عن حنّان بن حاصر ، ٩/١٦ ، ١٥ .
(٢) البيطان في اللسان : مادة ، تلبس ، منسوبا إلى أمية ، وهما في ديوانه : ٢٦ . والثاني في اللسان : مادة ، حرم . منسوبا إلى أمية ، ونقل ابن منظور عن أبي حبيب أنه من قول تبع . والثالث أيضا في اللسان : مادة ، غلب . منسوبا إلى تبع أو غيره . والبيطان أيضا في البداية والنهاية : لاين كثير : ١٥٤٢ .
(٣) في القسوط : فرأى مدار . والمفتت من الطيمات السابقة ، واللسان . وهوران أمية .
(٤) أي : مقومها مع الغيب .
(٥) هذا من أثر غريب ذكره ابن جرير عن وهيب : ١٥/١٦ ، وسنده ابن كثير عليه ، وما قاله : وفيه طرق وغرابة وتكرار .

وقوله : (ثم يرد إلى ربه فيقبله حلداً نكراً) ، أى : شديد بلوغاً وجيهاً لياً . وفيه إثبات للمعاد والجزاء .
وقوله : (وأما من آمن ، ، أى : نابعاً على مائدته إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ، (فله جزاء الحسن) ،
أى : والدار الآخرة عند الله عز وجل . وسقول له من أمرنا يسرا) - قال مجاهد : معروفاً .

ثُمَّ أَتَيْتُ سَبَبًا ﴿١٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهَا مِن دُونِهَا سِتْرًا ﴿١٧﴾
سَكَنَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَحْبَبْنَا يَمَّا لَدَيْهِ خَيْرًا ﴿١٨﴾

يقول : ثم سلك طريقاً فصار من مغرب الشمس إلى مطلعها ، وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبيهم ودعاهم إلى الله عز وجل ، فإن أطاعوه وإلا أضلهم وأرغم أنافهم ، واستباح أموالهم وأمتعتهم ، واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه على أهل الإقليم للثامن لهم . وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفاً وسبعمائة سنة ، يحوب الأرض طولها والعرض ، حتى بلغ المشارق والمغارب . ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى : (وجدها تطلع على قوم) ،
أى : أمة (لم يجعل لهم من دونهما ستراً) ، أى : ليس لهم بناء يكتنهم (١) ، ولا أشجار تطيلهم وتسزهم من حر الشمس .

قال سعيد بن جبير : كانوا حمراً أقصاوا ، مساكنهم النيران (٢) ، أكثر معيشتهم من السمك .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا سهل بن أبي الصلت ، سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى : (لم يجعل لهم من دونهما ستراً) ، قال : إن أرضهم لا تجعل البناء ، فإذا طلعت الشمس تَنَوَّرُوا في المياه ، فإذا غربت خرجوا يتراحمون كما نرى البهائم . قال الحسن : هذا حديث سَمُرَة (٣) .

وقال قتادة : ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت ثم شينا ، فهم إذا طلعت الشمس في أسراب ، حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حُرُولهم ومعايشهم :

وعن سلمة بن كهيل أنه قال : ليس لهم أكتان (٤) ، إذا طلعت الشمس طلعت عليهم ، فألحدهم أذان يفتش أحداً ما ويلبس الأخرى :

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : (وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونهما ستراً) ،
قال : هم الزنج .

وقال ابن جرير في قوله : (وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونهما ستراً) ، قال : لم يبنوا فيها بناء قط ، ولم يبن عليهم فيها بناء قط . كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسراباً لهم (٥) حتى تزول الشمس ، أو دخلوا البحر ،

(١) أى : يسترهم .

(٢) للثيران : جمع ثور ، وهو الكهف .

(٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن المصير ، عن سليمان بن داود بإسناده : ١٦/١٢

(٤) الأكتان : جمع كن - بكسر الكاف - وهو : البيت والرقاء .

(٥) في المخطوطة : « دخلوا أسرابهم » . واخترت في تفسير الطبري .

وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل ، جامع جيش مرة فقال لهم أهلها : لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها . قالوا : لا نبرح حتى تطلع الشمس ، ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيوش جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فأتوا . قال : فذهبوا هاربين في الأرض (١) .

وقوله : (كللكم وقد أخطأنا ما لذيخ) - قال مجاهد ، والسدتي : علما . أي : نحن مطعون على جميع أحوال وأحوال جيشه ، لا يخفي علينا منها شيء ، وإن تفرقت أمتهم وتقطعت بهم الأرض ، فإنه تعالى (لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء (٢)) :

﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ مَبِيَّةً ۖ حَقٌّ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا ۖ إِنَّا الْقَرْنَيْنِ ۖ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُقْعِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۖ قُلْ لَكُمْ نَجْوَى ۖ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالُوا مَا مَسَّكَ فِيهِ مِنِّ دَرٍ ۖ خَبِيرٌ فَأَعِزَّنِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ؤَاثُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَقٌّ إِذَا سَلَوْنِي بَيْنَ السَّدَّيْنِ ۖ قَالُوا أَنفَعُوا ۖ حَقٌّ إِذَا جَاسَلُوكُمْ مُّارِدًا ۖ قَالَهُ ؤَاثُونِي فَأَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۖ ﴾

يقول تعالى خبرا عن ذى القرنين ، (ثم اتبع مبية) ، أي : ثم سلك طريقا من مشارق الأرض (حتى إذا بلغ بين السدين) ، وما جيلان متناوحيان (٣) بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك ، فيبيتون فيها فسادا ، ويكون الحرق والنسل ، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام ، كما ثبت في الصحيحين : « إن الله تعالى يقول : يا آدم . ليك وسعديك . فيقول : ابعت بعت النار . فيقول : وما بعت النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة ؟ فيحصد بشيبي الصبر ، وتضع كل ذات حمل حملها » فيقال : إن فيكم أمتين ، ما كانتا في شيء إلا كثرتا : يأجوج ومأجوج (٤) .

وقد حكى التورى رحمه الله في شرح « مسلم » ، عن بعض الناس : أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مئبىء خرج من آدم فاختلط بالتراب ، فخلقوا من ذلك (٥) فعل ههنا يكونون مخلوقين من آدم ، وليسوا من حواء ، وهذا القول غريب جدا ، لا دليل عليه لا من عقل ولا نقل ، ولا يجوز الاحتاد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب ، لما عندهم من الأحاديث المنقولة ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ١٢/١٦ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ٥٠ .

(٣) أي : متقابلان .

(٤) البخاري ، تفسير سورة الطح : ١٢٢/٦ ، ١٢٢ ، وكتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل : (إن زلزلة الساعة فيه

ظيم) : ١٣٧/٨ ، ١٣٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : قوله : يقول الله لآدم : أخرج بئس النار من كل ألف تسعة

وتسعة وتسعين : ١٢٩/١ ، ١٤٠ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : ٩٧/٤ .

وفي مسند الإمام أحمد ، عن سَمْرَةَ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك (١) » - فقال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبي الترك : قال : إنما سموا هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة ، وإلا فهم أقرباء أولئك ، ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجسارة : وقد ذكر ابن جرير هنا من وهب بن منبه أنرا طويلا حكيما في سير ذى القرنين ، وبناله السد ، وكيفيه ما جرى له : وفيه طول وغرابة وتكرار في التشكلم وصفاتهم ، وطولهم ، وقصر بعضهم ، وأذانهم (٢) : وروى ابن أبي حاتم أحاديث غريبة في ذلك ، لا تصح أسانيدھا ، والله أعلم .

وقوله : (وجد من دونها قوما لا يكادون يفقهون قولا) ، لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس :

(قالوا : إذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، فهل نجعل لك خرجا) - قال ابن جرير ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أجرا عطيا : يعنى أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه ، حتى يجعل بينهم وبينهم سدا : فقال ذو القرنين بعبق وديانة وصلح وقصد للخير : (ما مكئ في وجه خير) ، أى : إن الذى أصطنى الله من الملك والمكن خير من الذى يجمعونه ، كما قال سليمان عليه السلام : (أتمدنون عيال فأتانى الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون (٣)) : وهكذا قال ذو القرنين : الذى أنا فيه خير من الذى يبدلونه ، ولكن ساعدوني (بقوة) ، أى : بعلمكم وآلات البناء ، (أجعل بينكم وبينهم ردا : أتوفى زبىر الحديد) ، « والزبىر » : جميع « زبرة » ، وهى القطعة منه : قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقناة . وهى كاللينة : يقال : كل لينة (زلة) قطار بالمشق ، أو تزيد عليه :

(حتى إذا ساءى بين الصلخين) ، أى : وضع بعضهم على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رهوس الجبلين طولاً وعرضاً : واختلفوا في مساحة عَرْضِهِ وطوله على أقوال - (قال : انفضوا) أى : أجمع عليه النار حتى صار كله نارا ، (قال : أتوفى أنرى عليه قطرا) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضمحاك ، وقناة ، والسدى : هو النحاس : وزاد بعضهم : للذآب : ويستشهد بقوله تعالى : (وأسلنا له عين القطر) ولهذا يشبه بالرد المحبب (٤) : قال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « ذكر لنا أن رجلا قال : يا رسول الله ، قد رأيت سدا يأجوج ومأجوج : قال : انته لي : قال : كالبرد الخبير ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء : قال : قد رأيته » هذا حديث مرسل :

(١) مسند الإمام أحمد : ٩٢٥ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٤١٦ - ١٨ .

(٣) سورة النمل آية ٢٦ .

(٤) البرد لخير : فتوى الملون .

وقد بحث الخليفة اللاحق في دولته بعض أمراه ، ووجه معه جيشاً مبركاً ، لينظروا إلى السد ويعانقوه وينتروه له إذا رجعوا ، فوصلوا من بلاد إلى بلاد ، ومن مكان إلى مكان ، حتى وصلوا إليه ، ورأوا ناهم من الحديد ومن النحاس ، وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً ، وعليه أقفال عظيمة ، ورأوا بقية اللجين والعمل في بروج هناك ، وأن عنده جرساً من الملوك المتأخرة له ، وأنه منيف جاك شامق ، لا يستطيع ولا ما حوله من الجبال . ثم رجعوا إلى بلادهم ، وكانت غيبتهم أكثر من ميتين ، وشاهدوا أمراً لا يحجاب ،

ثم قال الله تعالى :

فَاسْتَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ وَمَا اسْتَظْهَرُوا لَهُ تَنْبِيْهُ ۖ قَالَ مَثَلُ رَحْمَةِ رَبِّيْٓ إِذَا جَاءَ عَبْدٌ رَّبِّيَ جَمَلًا دَكَاةً
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّيْ حَقًّا ۖ وَكَانُوا بِمَقْعِدِ رَبِّهِمْ كَافِرِينَ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لِمَنْهُمْ مَّوَدَّةٌ

يقول تعالى متعبراً عن يأجوج ومأجوج أنهم لما قدروا على أن يصلحوا غرق هذا السد ، ولا قدروا على تقيبه من أسفله ، ولما كان الظهور عليه أسهل من تقيبه ، قابل كلاً بما ينسبه ، فقال : (فما استطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له تقياً) : وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على تقيبه ، ولا على شيء به .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا روح ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، حدثنا أبو رافع ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [إن يأجوج ومأجوج ليغفرون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شراع الشمس قال الذي عليهم (١) : ارجعوا ، فستحفرونه غداً ، فيمودون إليه كأشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدلتهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس ، [حطروا ، حتى إذا كادوا يرون شراع الشمس (٢)] قال الذي عليهم : ارجعوا ، فستحفرونه غداً إن شاء الله ويستنق (٣) ، فيمودون إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ويخرجون على الناس ، فيتشششون (٤) للمياه ، ويحصن الناس منهم في حصونهم ، فيمرون بسهامهم إلى الساء ، [ترجع وعليها كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا لعل الأرض وصكتنا أهل الساء] . فيبعث الله عليهم نكثاً (٥) في ألقائهم ، فيقتلهم بها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والى نفسى بيده ، إن دواب الأرض تسمن ، وتشكركم شكراً (٦) من لحومهم ودمائهم (٧) » .

(١) أي : الذي هو أمير عليهم .

(٢) ما بين القوسين عن المستدوين ما به . وحده التزياد غير ثابتة في الترمذي .

(٣) أي يقول : إن شاء الله .

(٤) كذا في المستدوين ما به . وأصل اللغز : دخول الماء في الأرض أو العطب ، يقال : شقبت الأرض الماء شقبة شقا .

شره . ونشف العطب العرق وتشفه . وفي سنن الترمذي : « فيستقون المياه » .

(٥) الكلف - يفتح الباء والثين - : دود يكره في أوفى الإبل والتمم : جمع : نفة .

(٦) يقال : شكرت البقرة : من يابح بها - : أملاً فرحها ليلاً : والباية : صيتر .

(٧) مستد الإمام أحمد : ٥١٠ / ٢ . وسنن ابن ماجه : كتاب القتن ، باب : فنة النبال ، وخروج حمى بن مزيم .

وخروج يأجوج ومأجوج ، الحديث ٤٠٨٠ / ٢ / ١٣٦٤ . وسنن الترمذي : أبواب التنبيه ، تفسير سورة الكهف ، الحديث ٥١٦٠ - ٥٩٧ / ٨ - ٥٩٩ .

ورواه أحمد أيضا عن حسن - هو ابن موسى الأخيبي - عن سفيان - عن قتادة - به - وكذا رواه ابن ماجه ، عن أضره بن مَرْوَانَ ، عن عبد الأمل ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال : حدث أبو رافع . وأخرجه الترمذى ، من حديث ابن عروالة ، عن قتادة : لم قال : غريب لا يخرجه إلا من هذا الوجه .

وهذا إسناد جيد قوى ، ولكن في رفعه تكرار : لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يمشكوا من ارتقاها ولا من ثقبه ، لإحكام بنائه وصلابته وشده ؛ ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار : أنهم قبل خروجهم يأثوله فيلحسونه حتى لا يبين منه إلا القليل ، فيقولون : خدا نفتحه ؛ فيأتون من اللد وقد حاد كما كان ، فيلحسونه حتى لا يبين منه إلا القليل ، فيقولون كذلك ، ويصيحون وهو كما كان ، فيلحسونه ويقولون : خدا نفتحه ؛ ويلهمون أن يقولوا : إِنْ شاء الله ، فيصيحون وهو كما فارقه ، فيفتحونه ؛ وهذا مُتَّجِه ، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب ، فإنه كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه ، فحدث [به] أبو هريرة ، فتروى بعض الرواة عنه أنه مرفوع ، فرفعه : والله أعلم .

ويؤكد ما قلناه ، من أنهم لم يمشكوا من ثقبه ولا ثقب شيء منه ، ومن تكرار هذا للمرفوع ، نوك الإمام أحمد ؛

حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن [زينب بنت أبي سلمة] ، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان ، عن أمها أم حبيبة ، عن [زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم] - قال سفيان : أربع نسوة - قالت : استبقت النبي صلى الله عليه وسلم من نومه ، وهو عثمَر وجهه ، وهو يقول : لا إله إلا الله ! ويل للعرب من شر قد اقترب ! فُتِّحَ اليومَ من رَدْمٍ يأجوج ومأجوج مثل هذا وحكَّتْ (١) - قلت : يا رسول الله ، أتأكل فتيان الصالحون ؟ قال : لم إذا كثر الحَبَّتْ (٢) .

هذا حديث صحيح ، اتفق البخارى ومسلم على إخرجه ، من حديث الزهرى ؛ ولكن سقط في رواية البخارى ذكر حبيبة ، وأثبتها مسلم ؛ وفيه أشياء حزينة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد ، منها رواية الزهرى عن عروة ، وهما تابعان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده ، كلهن يروى بهن من بعض ؛ ثم كل منهن صحابية ، ثم ثلثان ربيتان وثلثان زوجتان رضي الله عنهن ؛

وقد روى نحو هذا عن أبي هريرة أيضا ، فقال البزار : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، عن ابن طائس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فُتِّحَ اليومَ من رَدْمٍ يأجوج ومأجوج مثل هذا » - وعكسك التسعين - وأخرجه البخارى ومسلم ، من حديث وهيب ، به (٣) .

(١) في صحيح البخارى : « وعكسك تسعين أو مائة » . والمقد نوح من أنواع الدلالات ، وهو ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له : حساب اليد . ينظر انقراة : ١٤٧ / ٣ ، والحيوان الجاسط : ١ / ٢٣ ، والبيان والبيان : ٧٦ / ١ .

(٢) الخبث : الفسوق والفسور . وأحدث أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٢ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ . وأخرجه في كتاب الفتن : ينظر البخارى باب : « قول النبي صلى الله عليه وسلم : ويل للعرب من شر قد اقترب » : ٩ / ٦٥ . ومسلم : باب : « اقتراب الفتن » : ١٦٥ / ٥ ، ١٦٦ .

(٣) البخارى : كتاب الأنبياء ، باب : « قصة يأجوج ومأجوج » : ٤ / ١٦٨ . ومسلم في الكتاب والباب المتضمنين : ١٦٦ / ٨ .

وقوله : (قال هذا رحمة من ربى) ، أى : لا بناء ذو القرنين (قال : هذا رحمة من ربى) ، أى : بالناس ، حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حاجلاً بينهم من العيث في الأرض والفساد : (فإذا جاء وعد ربى) ، أى : إذا اقترب الوعد الحق ، (جملة ذكاء) ، أى : سواء بالأرض : تقول العرب : ناقة ذكاء : إذا كان ظهرها مستويا ، لاستقام لها : وقال تعالى : (فلما تجل ربه للجبل جعله دكا) (١) ، أى : مساويا للأرض :

وقال حكومة في قوله : (فإذا جاء وعد ربى جملة ذكاء) ، قال : طريقا كما كان .

(وكان وعد ربى حقا) ، أى : كائن لا محالة

وقوله : (وتركنا بعضهم) ، أى : الناس يومئذ ، أى : يوم يهلك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أو يهلكون ويهلكون أشياءهم ، وهكذا قال السدى في قوله : (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) ، قال : ذلك حين يخرجون على الناس : وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال ، كما سيأتى بيانه عند قوله : (معنى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حطب ينسلون : واقترب الوعد الحق) (٢) وهكذا قال هاهنا : (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجعلناهم جمعا) ، قال ابن زيد في قوله : (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) ، قال : هذا أول يوم القيامة ، (ثم نفخ في الصور) على أثر ذلك ، (فجعلناهم جمعا) (٣)

وقال آخرون : بل المراد بقوله : (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) ، أى : يوم القيامة يخطئ الإنس والجن :

روى ابن جرير ، عن محمد بن حميد ، عن يعقوب القسسى ، عن هارون بن حنتر ، عن شيخ من بني فزارة في قوله : (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) ، قال : إذا ماج الإنس والجن ، قال إبليس : أنا أعلم لكم هليم هذا الأمر . فيظن إلى المشرق ، فيجد الملائكة قد بطنوا (٤) الأرض ، ثم يظن إلى المغرب فيجد الملائكة بطنوا الأرض ، فيقول : [ما من محيص] ثم يظن بيننا وشمالا إلى أقصى الأرض ، فيجد الملائكة بطنوا الأرض ، فيقول : [ما من محيص] ، فيبيننا هو كذلك ، إذ عرض له طريق كالشرار ، فأخذ عليه هو وذريته ، فيبيننا هم عليه إذ هجموا على النار ، فأخرج الله خازنا من خزان النار ، فقال : يا إبليس ، ألم تكن لك المثلثة عند ربك ؟ ألم تكن في الجنان ؟ فيقول : ليس هذا يوم حساب ، لو أن الله فرض حكي فريضة لعبده فيها عبادة لم يعبد مثله أحد من خلقه ، فيقول : فإن الله قد فرض عليك فريضة ؟ فيقول : ما هي ؟ فيقول : يأمرك أن تدخل النار ، فيتلكأ عليه ، فيقول (٥) : به وبذريته ينحاسب فيقذفهم في النار ، فترى النار زفرة لا يبقى ملك مفرّج ولا نبي مؤتمل إلا جنى لركبته (٦) :

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٤٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٩٦ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٤ / ١٦ .

(٤) يقال : « بطن الرادى » : دخلته . ولفظ الطبرى : « وقد تظفوا » .

(٥) تقدم مراداً أن القول قد يطلق في لغة العرب على جميع الأفعال .

(٦) تفسير الطبري : ٢٤ / ١٦ ، ٢٣ / ٢٤ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن حديث يعقوب القتي ، به . رواه من وجه آخر ، عن يعقوب ، عن هارون بن حنثة ، عن أبيه ، عن ابن عباس (و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) ، قال : الجن والإانس ، يموج بعضهم في بعض ، وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصفهاني ، حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، حدثنا أبو داود الغلباني ، حدثنا المغيرة بن مسلم ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم . ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً » ، وإن من ورأهم ثلاث أئمة : تاويل ، وتايس ، ومنسلك .
هذا حديث غريب ، بل منكر ضعيف .

وروى الثعالبي من حديث شعبة ، عن الثمان بن سالم ، عن عمرو بن أوس ، عن أبيه ، عن جده أوس بن أبي أوس ، مرفوعاً : « إن يأجوج ومأجوج لم نساء ، يجامعون ماشوا ، وشجر يلحقون ماشوا ، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً » .

وقوله (ونفخ في الصور) - والصور كما جاء في الحديث : قرن يُنفخ فيه ، والذي ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام كما تقدم في الحديث (١) بطوله ، والأحاديث فيه كثيرة .

وفي الحديث عن عطية ، عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعاً : « كيف أئتم ، وصاحب القرن قد أئتم القرن ، وحشي جبهته (٢) » ، واستمع مني يؤمر : قالوا : كيف تقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا (٣) .
وقوله (فجعلناهم جمعا) ، أي : أحضرنا الجميع للحساب ، (قل : إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم (٤)) ، (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً (٥)) .

وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاوَةٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿٢﴾ أَفَلَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَحْذَرُوا عِبَادِي مِنْ دُوقٍ أُولَئِكَ إِنَّا آخِذْنَا بِهِمْ لَبِئْسَ لِلْكَافِرِينَ
تَرَاوُفًا ﴿٣﴾

يقول تعالى عرّا ما فعله بالكفار يوم القيامة : أنه يعرض عليهم جهنم ، أي : يبرزها لهم ويظهرها ، ليرآها ما فيها من العذاب والشكاك قبل دخولها ، ليكون ذلك أبلغ في تعجيل لهم والحزن لهم .

(١) ينظر لتفسير الآية ٧٣ من سورة الأنعام : ٢٧٦ / ٣ .

(٢) أئتم : أي : أفرج وأئتم . وحشي جبهته : أعلما . وهو كناية من الجائفة في التوجه لإصغاء السمع .

(٣) أخرجه الترمذي عن عطية عن أبي سعيد في أبواب صفة القيامة ، ما جاء في الصور ، الحديث ٢٥٤٨ ، ١١٧ / ٧ ، ١١٨ . وفي أول تفسير سورة الزمر ، الحديث ٣٢٩٤ ، ١١٥ / ٩ ، ١١٦ . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » . ويقول الحافظ أبو المثل صاحب تحفة الأحوش ١١٨ / ٧ : « وأخرجه الحاكم وصححه » ونقل عن الحافظ في الفتح بعد ذكر حديث أبي سعيد هذا : « وأخرجه الطبراني في مسند زيد بن أرقم ، وابن مردويه عن مسند أبي هريرة ، ولأحمد والبيهقي عن حديث ابن عباس ... وفي أسانيد كل منها مقال » .

هذا ويظهر ما تقدم من تفسير سورة الأنعام : ٣ - ٢٧٦ .

(٤) سورة الواقعة آية : ٤٩ ، ٥٠ .

(٥) سورة الكهنت آية : ٤٧ .

وفي صحيح مسلم ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى مجنون ثلاث يوم القيامة يسعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك لا يسجرونها » (١) .

ثم قال غير أنهم : (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) ، أى : تعاملوا وتغافلوا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق ، كما قال تعالى : (ومن يمشى من ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) (٢) ، وقال هاتنا : (وكانوا لا يستطيعون سمياً) ، أى : لا يقولون عن الله أمره ونهيه .

ثم قال : (ألصق اللين كفروا أن يتخلوا عبادى من دوفى أولياء) ، أى : اعتزلوا أنهم يصح لهم ذلك ، ويتفنون بذلك ؟ (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) ، ولهذا نُسب أنه قد أعدم لهم جهنم يوم القيامة منزلاً .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ كِتَابًا ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَطَبَعَتْ أَعْيُنُهُمْ فَلَا تُبْصِرُ هُمْ فِيهَا لِيُبْصِرَ رَبُّنَا ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ هُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ﴿٤﴾ إِنِّي وَرَسُولِي مَرْهُوًّا ﴿٥﴾

قال البخارى : حدثنا محمد بن بشار : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن حصرو ، عن مصعب قال : سألت أبى - يعنى سعد بن أبى وقاص - : (قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) أم الحرورية ؟ لا ، هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكلبوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأما النصارى فكفروا (٣) بالجنة ، وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب . والحرورية الذين يتفنون عهد الله من بعد ميثاقه : وكان سعد : رضى الله عنه يسميهم القاسقين (٤) . وقال حلى بن أبى طالب ، والضحك ، وغير واحد : هم الحرورية (٥) .

ومعنى هذا من حل رضى الله عنه : أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم ، لأنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء ، بل (أى) أم من هذا ، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية ، وإنما هى عامة فى كل من عبد الله على غير طريقة مَرْتَضِيَةٍ بحسبه أنه مصيبه

(١) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : فى شدة نار جهنم وبعد قهرها وما تأكل من المالحين : ١٤٩ / ٨ ، وما بين القوسين عنه . والحدث أخرجه الترمذى فى أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء فى صفة النار : الحديث ٢٦٩٨ / ٧ ، ٢٦٩٥ ، وقال الترمذى : « قال عبد الله بن عبد الرحمن : والثورى لا يرصه » وقال الحافظ أبو البقل صاحب تحفة الأكراد : « حديث حصص بن ثيات ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق ، عن عبد الله بن مسعود الرقوع . أخرجه مسلم . قال الثورى : « هذا الحديث ما استذكرك البارئ قطى حل مسلم ، وقال : رصه وم ، ورواه الثورى ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً . قال : رخصت ثقة حافظ إمام ، فزيادة الرقوع مقبولة » .

(٢) سورة الزمخرف : آية ٣٦ .

(٣) كلما فى مخطوطة الأزهر ، وإحدى روايتى الصحيح ، والأخرى : « فكفروا » . وأخرجه الطبرى عن عبد بن المنى عن محمد بن جعفر بإسناده ٢٢/١٦ .

(٤) البخارى : تفسير سورة الكهف : ١١٧/٦ .

(٥) تفسير الطبرى : ٢٧/١٦ .

فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مخطيء ، وعمله مردود ، كما قال تعالى : (وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصية . تصلى نارا حامية (١)) ، وقوله تعالى : (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٢)) ، وقال تعالى : (والذين كفروا يرههم أهملهم كسرأب ببقية يحسبه الظن أن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا (٣)) .

وقال في هذه الآية الكريمة : (قل هل ننبئكم) ، أى : نخبركم (بالآخرين أعمالا) ؟ ثم فسره فقال : (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) ، أى : عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ، (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ، أى : يفتقدون أنهم على شيء ، وأنهم مقبولون محبوبون .

وقوله : (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولفاته) ، أى : جحدوا آيات الله في الدنيا ، وبرأيه التي أقام على وحدانيته ، وصدق رسله ، وكذبوا بالدار الآخرة ، (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ، أى : لا ننقل موازينهم لأنها خالية من الخير .

قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أنبأنا المغيرة ، حدثني أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة - وقال : اقرموا إن شئتم : (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) . وعن يحيى بن بكير ، عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد ، مثله (٤) .

هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقا : وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن بكير ، به (٥) :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن صالح مولى التوام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوتى بالرجل الأكول الشروب العظيم ، فيوزن بحبة فلا يترثها : قال : وقرأ : (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) .

وكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن أبي الصلت ، عن ابن أبي الزناد ، عن صالح مولى التوام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعا (٦) : فذكره بلفظ البخارى سواء .

وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق الزباز : حدثنا العباس بن محمد ، حدثنا حون بن حُمارة ، حدثنا هشام ابن حسان ، عن واصل ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل رجل من قريش فيظفر في حنكته ، فلما قام على النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا بريدة ، هذا من لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا .

(١) سورة القاف ، الآيات : ٢ - ٤ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٢٣ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٣٩ .

(٤) البخارى ، تفسير سورة النكت : ١١٧/ ٦ .

ومنى الحديث : أنه يأتي الرجل العظيم القدر في الدنيا من الجاه والمال ، فلا يكون له قدر عند الله ، فخلو قلبه من الإيمان .

(٥) مسلم ، كتاب صفة النبي والجنة والجنة والجنة : ١٢٥/ ٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٢٩/ ١٩ .

ثم قال : تفرد به واصل مولى أبى حنيفة وعون بن عثمان ، وليس بالحافظ : ولم يتابع عليه وقد قال ابن جرير أيضاً : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعشى ، عن شمر (١) ، عن أبى يحيى ، عن كعب قال : يؤتى يوم القيامة برجل عظيم (٢) طويل ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقموا ، (فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً (٣)) :

وقوله : (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا) ، أى : إنما جازيتهم بهذا الجزاء جهنم ، بسبب كفرهم وانحاذم آيات الله ورسله هزوا ، استهزوا بهم ، وكتبهم أشد التكليب .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ مِنْ عَذْوٍ لَا يَجِفُّ فِيهَا شجرٌ وَفِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ .

غير سالى عن عباده السعداء ، وهم الذين آمنوا بالله ورسله ، وصدقوه فيما جاءوا به ، بأن لهم جنات الفردوس ، قال جماعة : الفردوس هو : البستان بالرومية .

وقال كعب ، والسدى ، والفسحاك : هو البستان الذى فيه شجر الأهانب :

وقال أبو أمامة : الفردوس : سرّة الجنة .

وقال قتادة : الفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها :

وقد روى هذا مرفوعاً من حديث سعيد بن بشر ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الفردوس : ربوة الجنة ، أوسطها وأحسنها » :

وهكذا رواه إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن سمرة ، مرفوعاً : وروى عن قتادة ، عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه : وقد نقله ابن جرير رحمه الله (٤) :

وفى الصحيحين : « إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس ، فإنه أعل الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تمسجر أنهار الجنة (٥) » :

وقوله : (نزل) ، أى : ضيقة ، فإن النزل هو الضيقة ،

وقوله : (خالدين فيها) ، أى : مقبضين ساكنين فيها ، لا يظنون عنها أبداً ، (لا يفرون عنها حولا) ، أى :

لا يفترون غيرها ، ولا يهيمون سواها ، وكما قال الشاعر (٦) :

فَحَبَلْتُ سَوْدًا الْقَلْبَ لَا أَنَا بَأَعْيَا سَوَاكَ ، وَلَا هُنَّ حَبِيبَاتُ أَحْوَكُ

(١) هو : شمر بن ضبة ، ينظر ترجمته فى التلخيص : ٣٦٤/٤ ، ٣٦٥ .

(٢) فى المخطوطة : « يؤتى يوم القيامة بعظم » . والنسخت من تفسير الطبرى .

(٣) تفسير الطبرى : ٢٩/١٦ .

(٤) تفسير الطبرى : ٣٠/١٦ ، ٣١ .

(٥) البخارى ، كتاب التوحيد : ١٥٣/٩ .

(٦) النافذة الجدى ، والبيت فى معنى اللبيب ، طبعه بيروت : ٢٦٥ ، وزاوية فيه :

وحلت سود القلب ، لا أنا بأعْيَا سواها ولا من حبسها متراها .

وقى قوله : (لا يفرح منها حولا) ، تتيه على رطبهم فيها ، وحيهم لها ، مع أنه قد يُتَوَكَّمُ فيمن هو مقبى في المكان دائما أنه يسمه أو يسمه ، فأنصبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي ، لا يختارون عن مقامهم ذلك منحولا ولا انقلابا ، ولا قلنا ولا رحلة ولا بدلا .

قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَدَادَ الْيَمِّ كَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَعَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَعَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْتُمْ بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١﴾

يقول تعالى : قل يا محمد : لو كان ماء البحر مدادا للقول الذي تكتب به كلمات ربى وحكمه وآياته العالة عليه ، لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك ، (ولو جئنا بمثله مددا) ، أى : بمثل البحر آخر ، ثم آخر ، وهلم جرا ، بحور تمدد ويكتب بها ، لما نفدت كلمات الله ، كما قال تعالى : (ولو أن مائ الأرض من شجرة أقلام ، والبحر منه من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم) (١) :

قال الربيع بن أنس : إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) .

يقول : لو كان البحر مدادا ، والشجر كله أقلام ، لانكسرت الأقلام وفي ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا ينفيا شيء ، لأن أحدا لا يستطيع أن يقدّر قدره ولا ينفى عليه كما ينهى ، حتى يكون هو الذى ينشئ على نفسه ، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول ، لأن مثل نعيم الدنيا أو ما وآخرها في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلل الأرض :

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ الْوَحِيدِ إِنَّكُمْ تَرْتَدُّونَ
عَنْ آيَاتِهِ فَارْتَدُّوا

روى الطبراني من طريق هشام بن حمار ، عن إسماعيل بن هاشم ، عن عمرو بن قيس الكوفي : أنه سمع معاوية ابن أبي سفيان أنه قال : هذه آخر آية أنزلت (٢) :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قل) هؤلاء للمشركين المكذبين برسائلك إليهم : (إنما أنا بشر مثلكم) ، فن زعم أنك كاذب ، فليذهب عقل ما جئت به ، فإنه لا أعلم الغيب ذبا أخبركم به من الماضى ، عما سألت من قصة أصحاب الكهف ، وخبر خي القوتين ، عما هو مطابق في نفس الأمر ، فولا ما أطلق الله عليه . وأنا أخبركم (إنما لكم) الذى أوصيكم إلى عباده ، (إله واحد) ، لا شريك له ، (فمن كان يرجو لقاء ربه) ، أى : ثوابه وجزائه الصالح ، (فليعمل عملا صالحا) ، وهو ما كان موافقا لشرع الله ، (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ، وهو الذى يراد به وجبة الله وحده لا شريك له : وهذا وكذا العمل للقبول ، لا بد أن يكون خالصا لله ، صوابا على شريعة رسول الله ، وقد روى ابن أبي حاتم ، مع حديث معمر ، عن عبد الكريم الجيزى ، عن طائوس قال : قال رجل : يا رسول

(١) سورة لقمان : آية : ٢٢ .

(٢) وأخرج الطبراني عن إسماعيل بن عمرو الكوفي ، عن هشام بن سفيان : ٢٢٧٦ .

الله ، إلى أنف المواقف أريد وجه الله ، وأحب أن يرى موطنى ، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، حتى نزلت هذه الآية : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

وهكذا أرسل هذا مجاهد ، وغير واحد (١) .

وقال الأعمش : حدثنا حمزة أبو عمار مولى بنى هاشم ، عن شهر بن حوشب قال : جاء رجل إلى عيادة ابن الصامت فقال : أنبئني عما أسألك عنه : أرأيت رجلا يصلى ، ويتنقى وجهه الله ، ويحب أن يحمد ، ويصوم ويتنقى وجهه الله ، ويحب أن يحمد ، ويتصدق ويتنقى وجهه الله ويحب أن يحمد ، ويحج ويتنقى وجهه الله ويحب أن يحمد ، فقال عيادة : ليس له شيء ، إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك ، فمن كان له معى شريك فهو له كله ، لا حاجة لي فيه (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا كثير بن زيد ، عن رُبَيْع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ، عن جده قال : كنا ننتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتَنَبَّهت عنده ، تكون له الحاجة ، أو يطرقه أمر من الليل ، فيبينا : فذكر الغنصيون (٢) وأهل الثوب ، فكانت نتحدث ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه التجوى ؟ [ألم أتاكم من التجوى] (٣) قال : قلنا : تبنا إلى الله أى نبى الله ، إنما كنا في ذكر المسيح (٤) ، وفرقنا منه ، فقال : ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟ قال : قلنا : بلى ، قال : الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلى (٥) لمكان الرجل (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد - يعنى ابن جبرام - قال : قال شهر بن حوشب : قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية (٧) : أنا وأبو الرداء ، لقينا عبادة بن الصامت ، فأنشد يعنى بشاهه ، وهما أبو الرداء يمينه ، فخرج يعنى بيننا ونحن نتناجى ، والله أعلم بما نتناجى به ، فقال عبادة بن الصامت : إن طاك بكما هو أحدكما أو كليكما ، فوشكان أن تريا الرجل من تبسج المسلمين - يعنى من وسط - قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، وقول عند منزله ، لا يحور فيكم إلا كما يحور رأس الحمار الميت (٨) . قال : فيينا نحن كذلك ، إذ طلع شداد بن أوس رضى الله عنه ، وعوف بن مالك ، فجلسا إلينا ، فقال شداد : إن أخوف ما أعانف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من الشهوة الخفية والشرك . فقال عبادة بن الصامت ، وأبو الرداء : اللهم غفرا . أو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ل قد [حدثنا أن للشيطان

(١) ينظر تفسير الطبرى : ٣٢/١٦ .

(٢) الغنصيون : طاهر القرى ، يعنى القصور .

(٣) ما بين القوسين من المسند .

(٤) هو المسيح النجاشي .

(٥) في المسند : « يقوم الرجل بعمل » .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٠/٣ .

(٧) البصاية : قرية من أعمال دمشق .

(٨) أى : لا يرجع فيكم بخبر ، ولا يتنفع بما حلفه من الآن ، كما لا يتنفع بأشهاد الميت صاحبه .

قد يش أن يعبد في جزيرة العرب : وأما الشهوة الخفية فقد عرفناها ، هي شهوات الدنيا من لسانها وشهواتها ، فإلهذا
الشرك الذي تخوفنا به يا شداد ؟ فقال شداد : أرأيتم لو رأيتم رجلا يصل لرجل ، أو يصوم لرجل ، أو تصدق له ،
أترؤن أنه قد أشرك ؟ قالوا : نعم ، والله إنه من صلى لرجل أو صام له (١) أو تصدق له ، فقد أشرك . فقال شداد :
فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول] : « من صلى يرأى فقد أشرك ، ومن صام يرأى فقد أشرك ، ومن
تصدق يرأى فقد أشرك » فقال عوف بن مالك عند ذلك : أفلا يعبد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله ،
فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به ؟ فقال شداد عند ذلك : فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله
يقول : « أنا خير قسم لمن أشرك بى ، من أشرك بى شيئا فإن له حشده » (١) عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به ،
وأنا عنه غنى (٢) »

طريق لا آخرى لا يفضيه ، قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني عبد الواحد بن زياد ، أخبرنا عبادة
ابن نسي ، عن شداد بن أوس رضى الله عنه ، أنه بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : شيء سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقوله ، فذكره لا فأبكاني ، سمعت رسول الله يقول : « تخوف على أمي الشرك والشهوة الخفية »
قلت : يا رسول الله ، أشرك أمك ؟ أم بكك ؟ قال : نعم ، أما إني لا يعبدون شيئا ولا قرأ ، ولا حجرا ولا وكنا ،
ولكن يرامون بأعالم ، والشهوة الخفية أن يصيح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه (٣) .
ورواه ابن ماجه (٤) من حديث الحسن بن ذكوان ، عن عبادة بن نسي ، به : وعبادة فيه ضعف وى معاهه
من شداد نظر ؟

حدثت آخر ، قال الحافظ أبو بكر الزوار : حدثنا الحسين بن حلى بن جعفر الأحمر ، حدثنا حلى بن ثابت ،
حدثنا قيس بن أبي حصيب ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله
يوم القيامة : أنا خير شريك ، مع أشرك بى أحدا فهو له كله »
وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت العلاء يحدث عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن وهب بن جبر أنه قال : « أنا خير الشركاء ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى ، فأنا منه
برى » ، وهو كذا أشرك (٥) » فقد به من هذا الوجه »

حدثت آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد - يعنى ابن الحاد - عن عمرو ، عن
محمود بن لبيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك
الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الربا ، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : انزعوا إلى الذين كنتم ترامون
في الدنيا ، فأنظروا هل ينجون عنهم جزاء (٦) »

(١) ما بين القوسين من المتن .

(٢) المتن : ١٢٥/٤ : ١٢٦ .

(٣) المتن : ١٢٣/٤ : ١٢٤ ، وما بين القوسين منه .

(٤) متن ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب « الربا والصمة » ، الحديث : ١٤٠٦/٢ .

(٥) منه الإمام أحمد : ٣٠١/٢ .

(٦) منه الإمام أحمد : ٤٢٨/٥ .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بكر ، أخبرنا عبد الحميد - يعني ابن جعفر - أخبرني أبي ، عن زياد بن ميناء ، عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري - وكان من الصحابة - أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ، ليوم لا ريب فيه ، نادى مناد : من كان أشرك في حلي عمله لله أحدا ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أعزى الشركاء عن الشرك (١) .

وأخرجه الترمذي وابن ماجه ، عن حديث محمد بن بكر ، وهو البرسكاني (٢) .

حديث آخر . قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا بكار ، حدثني أبي - يعني عبد العزيز بن أبي بكرة - عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سَمِعَ سَمِعَ الله به ، ومن رَامَى رَامَى الله به (٣) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية ، حدثنا شيبان ، عن فراس ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يرأى يرأى الله به ، ومن يَسْمَعُ يَسْمَعُ الله به (٤) » .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، حدثني عمرو بن مرة ، قال : سمعت رجلا في بيت أبي حنيفة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سَمِعَ الناس يعملهم سَمِعَ الله به ، سامع حكيمة ، وصغره وحكفه : فذكرت حينما عبد الله (٥) » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمرو بن يحيى الأيلي ، حدثنا الحارث بن غسان ، حدثنا أبو هريرة الجوني ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُعْرَضُ أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف غنومة ، فيقول الله : ألقوا هذا ، وأقبلوا هذا : فتقول الملائكة : يا رب ، والله ما رأينا منه إلا خيرا . فيقول : إن عمله كان لنير وجهي ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي » .

ثم قال : الحارث بن غسان ، روى عنه جماعة ، وهو بصري ليس به بأس (٦) .

قال ابن وهب : حدثني يزيد بن عياض ، عن عبد الرحمن الأبرج ، عن عبد الله بن قيس الخزاعي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام رياء وسمعة ، لم يزل في مكتف الله حتى يجلس » .

(١) مسنده الإمام أحمد : ٢١٥/٤ .

(٢) تحفة الأحوف ، تفسير سورة الكهف ، الحديث ٥١٦١ : ٥٩٩/٨ ، ٦٠٠ وقال : هذا حديث قريب لا يترك إلا من حديث محمد بن بكر . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « الرياء والسمعة » ، الحديث ٤٧٣ : ٤٤٠٦/٢ .

(٣) المسند : ٤٥/٥ .

(٤) المسند : ٤٠/٣ .

(٥) المسند : ١٦٢/٢ ، وأخرجه من وجه آخر ، ينظر ١٩٥/٢ .

(٦) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن البزار والبيهقي : ٢٥٦/٤ .

وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن دينار ، عن إبراهيم المجري ، عن أبي الأحوص ، عن حوف بن مالك ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ، وأساءها حيث ينكر : فذلك استهانة ، استهانة بما ربه عز وجل » .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو حاتم إسماعيل بن عمرو السكوني ، حدثنا هشام بن حمار ، حدثنا ابن عياش ، حدثنا عمرو بن قيس الكتبي : أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية .. : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، وقال : إنها أكثر آية نزلت من القرآن (١) .

وهذا أثر مشكل ، فإن هذه الآية آخر سورة الكهف ، والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم يترك بعدها ما ينسخها ولا يغير حكمها ، بل هي مكية محكمة ، فاشتبه ذلك على بعض الرواة ، فروى بالمعنى ما فهمه ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن حلى بن الحسن بن شقيق ، حدثنا النضر بن هبيل ، حدثنا أبو قرة ، عن سعد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ في ليلة : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، كان له من نور ، من حدّثَ أبين إلى مكة ، - عشوه - ثلاثمائة (٢) » فربما جدّاً .

آخر سورة الكهف والله الحمد

(١) تفسير الطبري : ٣٢/١٦ .

(٢) لئلا المتشدد : ٢٥٨/٤ .

تفسير سورة مريم

وهي مكة

وقد روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة (١) ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود ، في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة : أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه ،

فَإِذَا رَأَوْا تُجُورًا ۖ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا ۚ وَقَالُوا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۚ

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة :

وقوله : (ذكُرْ رَحْمَةً رَّبِّكَ) ، أى : هذا ذكر رحمة الله بعبده ذكربيا .

وقرأ يحيى بن يعمر: (ذُكِرَ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا (٢)).

(زکریا) : عندد وقصر ، قرأتان مشهورتان : وکان نبیا عظما من أنبیاء بنی اسرائیل : وفی صحیح البخاری (۳) :

أَنَّهُ كَانَ نُجَّارًا أَي : أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ فِي التَّجَارَةِ :

وقوله : (إذ لادى ربه نداء خفياً) ، قال بعض المفسرين : إنما أُنحني دعاءه ، لتلا ينسب في طلبه الولد إلى الرحمة
لكبره . حكاه الماوردي .

(١) سيرة ابن هشام : ٣٣٦/١ . ورواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة أيضاً : ٢٥١/١ - ٢٥٣ - ٢٩٥/٥ - ٢٩٢ .
وأما حديث الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود في قصة الهجرة إلى الحبشة فالظهور في : ٤٦١/١ .

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط ١٧٧/٦: «وترا الحسن وابن يسر (ذكر) قنلا ماضيا (رحمة) بالنصب، وحكاة أبو الفتح (يضى ابن جى) وذكره الزعفراني من الحسن، أى: هل لعلو من القنلا ذكر رحمة ربك. وذكر القنلا من أبو الحسن (ذكر) قبل أسر من التذكير» (رحمة) بالنصب، وعنده نصب الرحمة، أى: ذكر أن رحمة ربك عليهم». وذكر صاحب الواسع أن (ذكر) بالياء ماضيا من الحسن باختلاف وهو صحيح عن ابن يسر، وسماه أن القنلا، أى: ٣٧/٢.

(٣) لم يقع إلينا حديث البخاري . والحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب « من فضائل زكرياء عليه السلام » : ١٠٣/٧ ، وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب « الصناعات » ، الحديث ٢١٥٠ : ٧٢٧/٢ . والإمام أحمد عن أبي هريرة :

وروى عن أمير المؤمنين عطاء بن حقان رضى الله عنه أنه كان يقرؤها : (وإن خَشِيتُ المولى من ورائى) ، بتشديد اللام ، بمعنى : خَشِيتُ حَصْبِيَّائِى من بعدى (١) :

وحمل القراءة الأولى وجهه قوله أنه خَشِيتُ أن يصرفوا بعده فى الناس تصرفا سيئا ، فسأل الله ولدا ، يكون نبيا من بعده ، ليسوسهم بنبوته وما يوحى [إليه] . فأجيب فى ذلك ، لأنه خشى من ورائتهم له ماله ، فإن الله أعظم مثله وأجل قدرا من أن يُخَفِّقَ على ماله إلى ما هلك منه : أن يأنف من ورائة حَصْبِيَّائِهِ ، ويسأل أن يكون له ولد ، فيحوز ميراثه دونهم : هذا وجه

الثانى : أنه لم يذكر أنه كان ذا مال ، بل كان تجارا يأكل من كسبه يديه ، ومثل هذا لا يجمع مالا ، ولا سِبا الأنبياء عليهم السلام ، فانهم كانوا أزهد شىء فى الدنيا :

الثالث أنه قد ثبت فى الصحيحين من غير وجه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُورَثُ ما تركنا فهو صدقة (٢) : وفى رواية عند الترمذى بإسناد صحيح : نحن معشر الأنبياء لا نورث (٣) : وحمل هذا فصيحا حمل قوله : (فبلى من لئلك وليا يرثى) ، على ميراث النبوة ، ولهذا قال (ويرث من آك يعقوب) ، كما قال تعالى : (ويرث سليمان داود) (٤) ، أى : فى النبوة ، إذ لو كان فى المال لا حصصه من يورثه بكونه بذلك ، ولما كان فى الإعيار بذلك كبر فائدة ، إذ من المعلوم المستقر فى جميع الشرائع والمثل أن الولد يرث أباه ، فلو أنها ورائة خاصة لما أُسِر بها . وكل هذا يقرره ويثبت ماصح فى الحديث : نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة .

قال عبادى فى قوله : (يرثى ويرث من آك يعقوب) : كان ورائته عليا ، وكان ذكرها من ذرية يعقوب . وقال هشيم : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : (يرثى ويرث من آك يعقوب) : قال : يكون نبيا ، كما كانت آياؤه أنبياء .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن : يرث نبوته وعلمه .

وقال السدى : يرث لهُوْته ونبوة آل يعقوب .

وهن مالك ، عن زيد بن أسلم : (ويرث من آك يعقوب) : قال : نبوتهم .

وقال جابر بن لوح ويزيد بن هارون ، كلاهما عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : (يرثى ويرث من آك يعقوب) : قال : يرث مالى ، ويرث من آك يعقوب النبوة .

(١) تفسير الطبرى : ٣٧/١٦ . والبيهق الحفظ لأبى حيان : ١٢٤/٦ .

(٢) البخارى : باب فرض الخمس : ٩٦/٤ . ومسلم : كتاب الجهاد ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا نورث . ما تركنا فهو صدقة : ١٥٣/٥ .

(٣) الذى وقع إلينا فى سنن الترمذى مثل ما ورد فى الصحيحين . ينظر أبواب السير ، باب : ما جاء فى تركته النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث ١٦٥٩ : ٢٣٣/٥ . أما هذه الرواية وهي : نحن معشر الأنبياء لا نورث ، فلهذا أُسِر بها الإمام أحمد من أبى هريرة . المستد : ٤٦٣/٢ .

(٤) سورة النمل : آية : ١٦ .

وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره :

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله زكريا ، وما كان عليه من ورثة ؟ ويرحم الله لوطا ، إن كان ليأوى إلى ركن شديد . »

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا جابر بن نوح ، عن مبارك - هو ابن فضالة - عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أمي زكريا : ما كان عليه من وفة ماله حين يقول : هب لي من لدنك : وليا يرضى يرضى من آل يعقوب (١) »

وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح ، والله أعلم .

وقوله : (واجعله ربّ رضى) ، أى : مرضيا عندك وعند خلقك ، تحبه وتحبّه إلى خلقك ، فى دينه وخلقه

يَنْذَرُكُمْ يَا اَنَا نَبِيُّكُمْ وَنُذِيرُكُمْ اَسْمِعُوا لِي بِمَا تَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ ۞

هذا الكلام يتضمن مخلوقا ، وهو أنه أجيب إلى مسائل في دعائه ، قبل : (يا زكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) ، كما قال تعالى : (هنالك دعا زكريا ربه ، قال : رب ، هب لى من لى لك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المهراب : أن الله يبشرك يحيى مصدقا بكلمة من الله (وسيدنا وحضورنا وتبنا من الصالحين (٢)) ،

وقوله : (لم نجعل له من قبل سميا) - قال قتادة ، وابن جرير ، وابن زيد : أى لم يسم أحد قبله بهذا الاسم . واختاره ابن جرير وحده الله .

وقال مجاهد : (لم نجعل له من قبل سميا) ، أى : شيئا »

أخذه من معني قوله : (فاعبده واصطبر لعبادته ، هل تعلم له سميا (٣)) ، أي : شيئا ،

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي لم تلد المَوَاقِرَ قبله مثله (٤) .

وهذا دليل على أن ذكرها عليه السلام كان لا يولد له ، وكلما كانت امرأته حاقرا من أول عمرها ، غلبت إبراهيم وسادة عليها السلام ، فاتما إنما تتعجبنا من البشارة بإسحاق على كبرها ، لا لعمرها ، ولهذا قال : (أبشرون على أن مسمى الكبر فم يشرون) (٥) مع أنه قد كان قد ولد له قبله ، إسما عيل ثلاث عشرة سنة ، وقالت امرأته : (يا ولي ! أأنت وأنا صجوز ، وهذا يمل شيئا ، إن هذا الشيء عجيب : قالوا : أتعجبين من أمر الله ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد) (٦) .

(١) نظر هذه الآلات واعتبار أين جرت في تفسيره : ٢٩/١٦ ، ٣٨ .

(۲) سورة آة حران : آة : ۳۸ + ۳۹ .

(۴) خوارق قزیم و آیات ۱۵۰

(٤) تنظر هذه الآثار في تفسير الطبري ١ : ٢٨ / ١٦ و ٢٩ .

(٥) سورة الطهر ، آية : ٥٤ .

(٦) سورة هود ، آية : ٧٢ ، ٧٣ .

قَالَ رَبِّ إِنِّي مَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿١٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١١﴾

هذا تمجيد من ذكرها عليه السلام ، حين أجيب إلى سؤال ، ويُسْتَر بالولد ، ففرح فرحا شديدا ، وسأل من كيفية ما يولد له ، والوجه الذي يأتيه منه الولد ، [مع أن امرأته عاقرة لا تلد من أول عمرها مع كبرها ، ومع أنه قد كبر وصحبا ، أي : عتسا (١) عظمه وتحمل ، ولم يبق فيه لقاح ولا جماع .

تقول العرب للعود إذا بئس : عتتا بعتو عتيا وعتوا ، وحسا بعمو حسوا وحسيا :

وقال مجاهد : (عتيا) بمعنى تحول العظم

وقال ابن عباس وغيره : (عتيا) ، يعني للكبر (٢) :

والظاهر أنه أخص من الكبر :

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، عن ابن عباس قال : لقد علمتُ السَّنة كلها ، غير أني لأدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ؟ ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف : (وقد بلغت من الكبر عتيا) ، أو (عتيا) (٣) .

ورواه الإمام أحمد عن سريج بن النعمان (٤) وأبو داود ، عن زياد بن أيوب ، كلاهما عن هشيم ، به :

(قال) ، أي : الملك مجيبا لذكرها عما استعجب منه : (كذلك قال ربك : هو على هين) ، أي : إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها ، (هين) ، أي : يسير سهل على الله :

ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه ، فقال : (وقد خلقناك من قبل ولم تكن شيئا) ، كما قال تعالى : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر ، لم يكن شيئا مذكورا) (٥) .

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ ءَأَتَيْكَ الْآيَاتِ كَيْفَ تَسَاءَلُ ﴿١٢﴾ نَفَخْنَا فِيهِ مِن قُوَّةٍ ۖ مِن آيَاتِنَا ﴿١٣﴾ فَأَدْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبَّحُوا بُحْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٤﴾

يقول تعالى عبرا من ذكرها عليه السلام أنه (قال : رب اجعل لي آية) ، أي : علامة ودليلا على وجود ما وعدتني ، لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني ، كما قال إبراهيم عليه السلام : (رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أألم تؤمن ؟

(١) أي : عتس وجف .

(٢) ينظر تفسير الطبري : ٤٠/١٦ .

(٣) تفسير الطبري : ٣٩/١٦ .

(٤) الذي أئمتنا الآن رواية الإمام أحمد عن حبان ، عن جرير ، عن حصين . المسند : ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ .

وسند أبي داود في كتاب الصلاة ، باب « قدر القراءة في صلاة الظهر والعصر » ، الحديث ٨٥٩ : ٢١٤١ .

(٥) سورة الإنسان : آية : ٥ .

قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي (الآية : ١) (قال : آيتك) ، أي : علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) ، أي : أن نحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوى من غير مرض ولا هلة .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وحكمة ، وهوب ، والسدي ، وقتادة ، وغير واحد : احتفل لسانه من غير مرض ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان يقرأ ويسبح ، ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة ،

وقال المولى ، عن ابن عباس : (ثلاث ليال سويا) ، أي : متتابعات (٢)

والقول الأول عنه وعن الجمهور أصح ، كما قال تعالى في آل عمران : (قال : رب ، اجعل لي آية : قال : آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإكثار) (٣) .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : (ثلاث ليال سويا) ، من غير خرس ،

وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الليال الثلاث وأيامها : (إلا رمزا) ، أي : إشارة ، ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : (فخرج على قومه من الهراب) ، أي : الذي بشر فيه بالولد ، (فأوحى إليهم) ، أي : أشار إشارة خفية سرية : (أن سبحوا بكرة وعشيا) ، أي : مواظبة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله ، وهكذا لله جل مآلؤه .

قال مجاهد : (فأوحى إليهم) ، أي : أشار : وبه قال وهب ، وقتادة .

وقال مجاهد في رواية عنه : (فأوحى إليهم) ، أي : كتب لهم في الأرض : هكذا قال السدي (٤)

يَسْمِعِينَ خَلْدًا لَكُنْتَبْ بَقْرَةً وَيَكْنِزُهُ الْحَكَمُ صَبِيًا ۖ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿٦٠﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ جَبَّارًا عَصِيًّا ۖ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَوَرِثَ لِقَدَمِ يَسْمِعَ حَيًّا ﴿٦١﴾

وهذا أيضا تضمن علوفا ، تقديره : أنه وجد هذا النعم للمبتشر به ، وهو يحيى عليه السلام ، وأن الله علمه الكتاب ، وهو النوراة التي كانوا يتعاصرونها بينهم ، ويعلم بها النبيون الذين أسلموا للدين هادوا والربانيون والأحبار ، وقد كان منه إذ ذاك صبيرا ، فلها نوره بذكره ، وبما أتم به عليه وحل والديه ، قال : (يا يحيى ، خذ الكتاب بقوة) ، أي : تعلم الكتاب (بقوة) ، أي : بجد وحرص واجتهاد ، (وآتيناه الحكم صبيا) ، أي : الفهم والعلم والجد والعزم ، والإقبال على الشئ ، والإكساب عليه ، والاجتهاد فيه وهو صابر حكيم .

قال عبد الله بن المبارك ، قال معمر : قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا للعب . قال : ما لعب بمحكمت قال : فلها أنزل الله : (وآتيناه الحكم صبيا) (٥) .

(١) سورة البقرة : آية : ٢٦٠ .

(٢) تنظر حله الآثار في تفسير الطبري : ٤١/٤٠٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية : ٤٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٤١/١٦ : ٤٢ .

(٥) تفسير الطبري : ٤٢/١٦ : ٤٣ .

وقوله : (وحناناً من لدنا) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وحناناً من لدنا) ، يقول : ورحمة من عندنا : وكلنا قال حكمة ، وقناة ، والضحاك وزاد : لا يقدر عليها غيرنا وزاد قتادة : رُحِمَ بها نكريا .
وقال مجاهد : (وحناناً من لدنا) ، وتطلقاً من ربه عليه .

وقال حكمة : (وحناناً من لدنا) ، [قال : عبة عليه : وقال ابن زيد : أما الحنان فالحبة : وقال عطية بن أبي رياح : (وحناناً من لدنا) ، قال : تعظيماً من لدنا .

وقال ابن جريج : أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع حكمة ، عن ابن عباس قال : لا والله ، ما أخرى ما حناناً (١) .
وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن منصور : سألت سعيد بن جبيرة عن قوله : (وحناناً من لدنا) ، فقال : سألت عنها ابن عباس ، فلم يحجر فيها شيئاً (٢) .

والظاهر من هذا السياق أن : (وحناناً) معطوف على قوله : (وآتيناه الحكم صيباً) ، أي : وآتيناه الحكم وحناناً ، وزكاة ، أي : وجعلناه ذا حنان وزكاة ، فالحنان هو الحبة في شفة وميل ، كما تقول العرب : وحنت الناقة على ولدها ، وحنت المرأة على زوجها ، ومنه سميت المرأة وحنةً من الحنة (٣) . ومن الرجل إلى وطنه . ومنه التعلقت والرحمة ، كما قال الشاعر (٤) :

تَحَنَّنْ (٥) هَكَذَا لِمَلِكٍ فَرَلْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَكَالاً

وفي المسند للإمام أحمد ، عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بين رجل قن الثار ، يتأذى ألف سنة ، يا حنان ، يا منان (٦) .

وقد يفتنى ، ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة بذاتها ، كما قال طبرقة (٧) :
أَبَا مُنْطَرٍ ، أَفْتِنْتَ ، فَاسْتَبَقَ بَحْتُنَا حَتَاتِيكَ ، بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٨)
وقوله : (وزكاة) ، معطوف على (وحناناً) ، فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب .
وقال قتادة : الزكاة العمل الصالح .

(١) لتفسير الطبري : ٤٣/١٦ .

(٢) لم نجد هذا الأثر في تفسير الطبري .

(٣) الحنة : العطف والشفقة والحبيطة ، قال الطبري : ومن ذلك قيل لزوجة الرجل : وحنته ، لصفتها طيبها .

(٤) هو الحبيطة ، ديوانه : ٧٧ ، واللسان ، مادة : حتن . والبحر المحيط : ١٧٧/٦ .

(٥) في خطوطة الأزهري : « تطلف » . وعليه لا شاهد في البيت . والمثلث من ديوانه ، واللسان ، وتفسير الطبري .

والبحر المحيط .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٣٠/٣ .

(٧) ديوانه : ٣٠٨ .

(٨) أبو منذر : كنية عمرو بن هند . أفنت : أصله أفنتنا ، فملئت المقول . وحناتيك : رحمة يبدؤة . يقول :
لقد أفنت كثيرًا منا ، فكان بنا رحيمًا ، وإذا أردت مقابلاً فليكن بأهون للمقابلة وأمنه .

وقال الضحاك ، وأبى جريج ، العمل الصالح التركي .

وقال السوف ، من ابن عباس : (وزكاة وكان تقيا) : طهر ، فلم يعمل بذيئيه (١) .

وقوله : (ويرا بالديه ، ولم يكن جبارا عصيا) : لا ذكر تعالى طاعته لربه ، وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى ، عطفت بذكر طاعته لوالديه وبره بها ، وبما بينه حقوقها ، قولاً وفعلًا ونسبًا : ولهذا قال : (ولم يكن جبارا عصيا) . ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك : (وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا) ، أي : له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال .

وقال سفيان بن عيينة : أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد ، فبرى نفسه خارجا مما كان فيه ؛ ويوم يموت ، فبرى قوما لم يكن هانئهم . ويوم يبعث ، فبرى نفسه في عشر عظيم — قال : فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا ، فخصه بالسلم عليه ، فقال : (وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا) : رواه ابن جرير ، عن أحمد بن منصور المروزي (٢) ، عن صلوة بن الفضل (٣) ، عنه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : (جبارا عصيا) ، قال : كان ابن المسيب يذكر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما من أحد ياتي الله يوم القيامة إلا ذا ذنب ، إلا يحيى بن زكريا قال قتادة : ما أذنب ، ولا هم بأمره (٤) . مرسل .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل نبي آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب ، إلا ما كان من يحيى بن زكريا (٥) : ابن إسحاق هذا مدلس ، وقد صنع هذا الحديث ، فإله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفان ، حدثنا حاد ، أخبرنا حلى بن زيد ، عن يوسف بن مهزيب ، عن ابن عباس — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ ، أو هم بخطيئة ، ليس يحيى بن زكريا . وما ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى (٦) .

وهذا أيضا ضعيف ، لأن حلى بن زيد بن جندخان له منكرات كثيرة ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ٤٤٥/١٦ .

(٢) في الطبري : ٤٤٥/١٦ ، عن منصور المروزي . والصواب ما في تفسير ابن كثير ، وينظر تفسير الطبري طبعة دار المعارف الأثر ٤٤٣٥ : ٤٣٩/٤ ، تعليق الحق .

(٣) في تفسير الطبري ٤٤٥/١٦ : ٤٥٥/١٦ ، عن صفوة بن الفضل . سميت ابن حلية ، وهو خطأ . وينظر ترجمة صفوة في الخلاصة .

(٤) تفسير الطبري : ٤٤٥/١٦ .

(٥) تفسير الطبري : ٤٤٥/١٦ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٥٤/١ .

وقال سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة : أن حسن قال : إن يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا ، فقال له عيسى : استغفر لي أنت خير مني . فقال له الآخر : استغفر لي فأنت خير مني . فقال له عيسى : أنت خير مني ، سلمتُ حل نفسي ، وسلم الله عليك . فحرف والله فضلها . (١) .

وَأُذِّنْ فِي الْكِتَابِ مَرِّمَ إِذْ أَنْبِئْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٥﴾ فَأَتَتْكَ مِنْ دُونِهِمْ نِسَاءٌ فَارْسَلْنَا أَنَّهُنَّ وَوَحَاً فَتَوَلَّى لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَذِيرًا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُ إِلَّا نَذِيرًا ﴿١٨﴾ قَالَتْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْنَا نِزَالٌ ﴿١٩﴾ فَأَتَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَهُنَّ أُنثَىٰ ۖ وَلَهُنَّ أَمْهَاتٌ ۚ وَكُلًّا طَعَمْنَ ۚ فَمِنْ ثَمَرِنَا وَنَبِيًّا ۖ وَقَالَتِ الْيَهُودُ نَارُ اللَّهِ مَثَرَةً لِّنَاسٍ ۚ وَنَحْنُ بِهِمْ كَافِرُونَ ﴿٢٠﴾

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام ، وأنه أوجدهم ، في حال كبره وعظم زوجه ، ولذا زكيا طاهرا مباركا - حدث بلكر قصة مريم في إيجادها ولعائسي عليها السلام منها من غير أب ، فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة - ولذا ذكرهما في آل عمران وهامتا ، وفي سورة الأنبياء ، يقرن بين القصتين لتضارب ما بينهما في المعنى ، ليدل عباده على قدره وعظمته سلطانه ، وأنه على ما يشاء قادر ، فقال : (واذكر في الكتاب مريم) ، وهي مريم بنت عمران ، من سلالة داود عليه السلام ، وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل . وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لما ، في (آل عمران) ، وأنها للربنا مشهورة ، أي : تجدد بيت المقدس ، وكانوا يتفرون بذلك ، (فقبلها ربها بقبول حسن ، وأنها نياتا حسنا (٢)) ، ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة ، فكانت إحدى العابدات التاسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والقبيل والدؤوب ، وكانت في كفالة زوج أختها - وقيل : خالتها - زكريا بنى بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم ، الذي يرجعون إليه في دينهم ، ورأى لها زكريا من الكرامات المثلما جره ، (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم ، أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) (٣) ، فلما كان بعد هذا ثم الشتاء في الصيف ، ولعمري الصيف في الشتاء ، كما تقدم بيانه في (آل عمران (٤)) . فلما أراد الله تعالى - وله الحكمة والحجة البالغة - أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام ، أوحى الرسل أولى النعم الخمسة العظام (٥) ، (أنبئت من أهلها مكانا شرقيا) ، أي : اخترت لهم ، وتحتيت عنهم ، وذهبت إلى شرق المسجد للقدس .

قال السدي : لحض أصحبا (٥) . وقيل لغير ذلك ، قال أبو كندبة ، عن قابوس بن أبي عليان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه ، وما صرفهم عنه إلا قيل ربك : (فأنبئت من أهلها مكانا شرقيا) ، قال : خرجت مريم مكانا شرقيا ، فقبلوا قبل مطلع الشمس . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٦) .

(١) تفسير الطبري : ٤٥/١٦ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٣٧ .

(٣) ينظر : ٢٨/٢ ، ٢٩ .

(٤) هؤلاء الرسل الخمسة هم المذكورون في قوله تعالى : (وإذا ألقناهم اتقيين مضاجعهم ومنك ، ومن نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم) ، سورة الأحزاب : آية ٥٠ .

(٥) تفسير الطبري : ٤٥/١٦ .

(٦) تفسير الطبري : ٤٥/١٦ ، ٤٦ .

وقال ابن جرير أيضا : حدثنا إسحاق بن شامين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس قال : إني لأعلم خلقاً لله لا شيء ، انخلت النصارى المشرق قبيلة يقول الله تعالى : (فانخلت من أهلها مكانا شرقيا) ، وانخلوا ميلاد عيسى قبلة (١) .

وقال قتادة (مكانا شرقيا) : شامسا متنجسا .

وقال محمد بن إسحاق : ذهبت بقلتها تستفي لاء .

وقال نوف البكالي : انخلت لها منزلا تصيد فيه : فانه أعلم .

وقوله : (فانخلت من دولهم حجابا) ، أي : استترت منهم وتوارت ، فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام ، (فمثل لها بشرأ سويا) ، أي : على صورة إنسان تام كامل .

قال مجاهد ، والضحاک ، وقتادة ، وابن جرير ، ووهيب بن منبته ، والسدي في قوله : (فأرسلنا إليها روحنا) ، يعني جبريل عليه السلام :

وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن ، فانه تعالى قد قال في الآية الأخرى : (نزل به الروح الأمين : على قلبك لتكون من المنذرين) (٢) .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح ، التي أخذ عليها العهد في زمان آدم ، وهو الذي نخل لها بشرأ سويا ، أي : روح عيسى ، فحملت الذي خاصها وحل في فيها :

وهذا في حاية الغرابة والتكارة ، وكأنه إسرائي .

(قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) ، أي : لما تبتدئ لها الملك في صورة بشر ، وهي في مكان منفرد ، وبينها وبين قومها حجاب ، خافت وظنت أنه يريد لها على نفسها ، فقالت : (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) ، أي : إن كنت تخاف الله : فتذكّر له بالله : وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل ، فحذفته أولا بالله من وجل :

قال ابن جرير : حدثني أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، عن عاصم قال : قال أبو وائل (٣) - وذكر قصة مريم - فقال : قد علمت أن النبي ذو نية (٤) حين قالت : (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) قال : إنما أنا رسول ربك (٥) .

(١) تفسير الطبري : ٤٥/١٦ .

(٢) سورة الشراء : آية : ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) في تفسير الطبري : قال ابن زيد ، مكان : قال أبو وائل . وينظر ترجمة أبي وائل تحقيق بن سلمة ، و ترجمة عاصم بن بهدلة في الخلاصة .

(٤) النبية - يضم فكون - : العقل .

(٥) تفسير الطبري : ٤٧/١٦ .

أى : فقال لها الملك عجباً لها ومزبلاً ما حصل عندما من الخوف حل نفسها : لست بما تظنن ، ولكنى رسول ربك ، أئى : بعثى الله إليك . ويقال : إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقاً (١) وعاد إلى هيته ، وقال : (إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكياً) »

[هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء ، أحد مشهورى القراء (٢) : وقرأ الآخرون : لأهب لك غلاماً زكياً] ، وكلا القراءتين له وجه حسن ، ومعنى صحيح ، وكلّ تستلزم الأخرى :

(قالت : أئى يكون لى غلام) ، أى : فصجبت مريم من هذا وقالت : كيف يكون لى غلام ؟ أئى : على أى صفة يوجد هذا الغلام منى ، ولست بلدات زوج ، ولا بتصور منى التجور : ولهذا قالت : (ولم يمسس بشر ، ولم أك بتنيا) » والبئى : هى الزانية ، ولهذا جاء فى الحديث نبى عن مهر البئى - (قال : كذلك قال ربك : هو على هوى) ، أى : فقال لها الملك عجباً لها عما سألت : إن الله قد قال : إنه سيوجد منك غلاماً ، وإن لم يكن لك بعمل ، ولا توجد منك فاحشة ، فانه على ما يشاء قادر ، ولهذا قال : (ولنجعل له آية للناس) ، أى : دلالة وعلمة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم ، الذى نوع فى خلقهم ، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية البشرية من ذكر وأنثى ، إلا عيسى فانه أوجده من أنثى بلا ذكر ، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه »

وقوله : (ورحمة منا) ، أى : ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء ، يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ، كما قال تعالى فى الآية الأخرى : (إذ قالت الملائكة : يا مريم ، إن الله يمشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجبها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ، ومن الصالحين (٣)) ، أى : يدعو إلى عبادة الله ربّه فى مهده وكهولته :

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم - دُحِمٌ - حدثنا مروان ، حدثنا العلاء بن الحارث الكوفى ، عن مجاهد قال : قالت مريم عليها السلام : كنت إذا خلوت حدثنى عيسى وكلمنى وهو فى بطنى ، وإذا كنت مع الناس سمع فى بطنى وكبر ،

وقوله : (وكان أمراً مقضياً) ، يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم ، يخبرها أن هذا أمر مقدر فى علم الله تعالى وقدره ومشيئته . ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه كئى بهذا عن الفصح فرجها ، كما قال تعالى : (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا (٤)) ، وقال : (والذى أحصنت فرجها ، فننفخنا فيها من روحنا (٥)) »

(١) الفرق - بفتحين - : البحر والنفوس .

(٢) البحر المخطوط : ١٨٠/٦ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٤٥ .

(٤) سورة التمرم ، آية : ١٢ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٩١ .

قال محمد بن إسحاق : (وكان أمراً مقضياً) ، أى : إن الله قد حزم على هذا ، فليس منه بد : واعتار هذا أيضاً ابن جرير في تفسيره ، ولم يحك خبره ، والله أعلم (١) .

﴿ فَحَمَلَتْهَا فَاتَّبَعَتْ بَهِيمَةً مَكَانًا نَاصِبًا ﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَنْتَبِهُتَنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَاصِبًا يَنْبِئًا

يقول تعالى خبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال ، أنها استسلمت لقضاء الله تعالى . فذكر خبر واحد من علماء السلف أن الملك - وهو جبريل عليه السلام - عند ذلك نفخ في جيب درعها ، فتركت النخعة حتى ولجت في الفرج ، فحملت بالولد باذن الله تعالى ، فلما حملت به ، ضاقت ذرعاً به ، ولم تدر ماذا تقول للناس ، فانها تعلم أن الناس لا يصدقونها فلما أخبرهم به ، خبر أنها أفتت [سرها] وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا : وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد ، فأجيب إلى ذلك ، فحملت امرأته ، فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتقنها ، وقالت : أشعرت يا مريم أني حبل ؟ فقالت لها مريم : وهل علمت أيضاً أني حبل ؟ وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها ، وكانوا بيت إيمان وتصديق ، ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تنجد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم ، أى : يعظمه ويخضع له ، فإن السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا ، كما سجد يوسف أبواه وأخوته ، وكما أمر الله للملائكة أن تسجد لآدم عليه السلام : ولكن حرم في ملتنا هذه ، تكبلا لتعظيم جلال الرب تعالى .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين قال : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا أسمع ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك رحمه الله : بلغني أن عيسى ابن مريم ومحيي بن زكريا ابنا خالة ، وكان حملهما جميعاً معا ، فبلغني أن أم يحيى قالت لمرم : إلى أرى أن ما في بطني يسجد لما في بطنك ؟ قال مالك : أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام ، لأن الله جعله يحيى الموتى ويرى الآخرة والأخرى .

ثم انجلت المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام ، فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر . وقال حكرمة : ثمانية أشهر - قال : وهذا لا يمشي ولد لثمانية أشهر .

وقال ابن جرير : أخبرني للفترة بن حثان بن عبد الله التقي ، سمع ابن عباس وسئل عن حبلى مريم ، قال : لم يكن إلا أن حملت فوضعت (٢) .

وهذا غريب ، وكأنه أخذه من ظاهر قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهَا فَاتَّبَعَتْ بَهِيمَةً مَكَانًا نَاصِبًا ﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، فالتقاء وإن كانت للتصويب ، ولكن تعقيب كل شيء بحسبه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ثم جعلناه نعلقة في قرار مكين ، ثم خلقنا النعلقة حلقة ، فخلقنا اللعقة مضطمة ، فخلقنا المضطمة عظاما (٣) ، فهذه ألفاء للتصويب

(١) تفسير الطبري : ٤٧١٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٥٠٤١٦ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ١٢ - ١٤ .

بحسبها : وقد ثبت في الصحيحين : أن بين كل صفتين أربعين يوما . وقال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فتصبح الأرض خضرة (١)) — فالشهور الظاهر — والله على كل شيء قدير — أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن . ولهذا لما ظهرت خايل الحمل عليها وكان معها في المسجد رجل صالح من قرابتها يخدم معها البيت المقدس ، يقال له يوسف النجار ، فلما رأى ثقل بطنها وكبره ، أنكر ذلك من أمرها ، ثم صرفه ما يعلم من براعتها وزاقتها ودينها وعبادتها ، ثم تأمل ما هي فيه ، فجعل أمرها يحوس في فكره ، لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول ، فقال يامريم ، إني سألتك عن أمر فلا تعجل على . قالت : وما هو ؟ قال : هل يكون قط شجر من غير حب؟ وهل يكون زرع من غير بذرة ؟ وهل يكون ولد من غير أب ؟ فقالت : نعم — فهمت ما أشار إليه — أما قولاك : « هل يكون شجر من غير حب ، وزرع من غير بذر » فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقها من غير حب ولا بذر ، « وهل خلق يكون من غير أب » ، فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم . فصدقها ، وسلم لها حالها .

ولما استشعرت مريم من قومها إهمالها بالربة ، انتبذت منهم مكانا قصيا ، أى : قاصيا منهم بعيدا عنهم ، لتلا تراهم ولا يروها .

قال محمد بن إسحاق : فلما حملت به ، وملأت قلبها ورجعت ، استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحمل على الولد من الوصب والنوح وتغير اللون ، حتى قطرت (٢) لسانها ، فادخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا ، وشاع الحديث في بني إسرائيل ، فقالوا : « إنما صاحبها يوسف » ، ولم يكن معها في الكنيسة غيره ، ونوارت من الناس ، والتفتت من دونهم حجابا ، فلا يراها أحد ولا تراه .

وقوله : (فأجاءها المخاص إلى جدد النخلة) ، [أى : فاضطرها وألجأها الطلق إلى جدد النخلة] وهى نخلة في المكان الذى تحت إليه .

وقد اختلفوا فيه ، فقال السدى : كان شرقى هرابها الذى تصل فيه من بيت المقدس .

وقال وهب بن منبه : ذهبت هاربة ، فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ، صر بها الطلق .

وإى رواية من وهب : كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس ، في قرية هناك يقال لها « بيت لحم » .

قلت : وقد تقدم في حديث الاسراء ، من رواية النسائي عن أنس رضى الله عنه ، والبيهقي عن شداد بن أوس رضى الله عنه (٣) : أن ذلك بيت لحم . فانه أعلم ، وهذا هو المشهور الذى تلقاه الناس بعضهم من بعض ، ولا تشك فيه النصارى أنه بيت لحم ، وتلقاه الناس . وقد ورد به الحديث إن صح .

وقوله تعالى إنبارا عنها : (قالت : ياليتنى مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا) ، فيه دليل على جواز تمحي الموت عند الفتنه ، فإنها عرفت أنها ميتة وتحتج بهذا المولود ، الذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ، ولا يصدقونها في خبرها ،

(١) سورة الحج ، آية : ٦٣ .

(٢) أى : قطرت .

(٣) ينظر : ١٠/٥ ، ٢٤ .

وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة ، تصبح عندهم فبا يظنون عاهرة زانية ، فقالت : (يا ليتني مت قبل هذا) ، أى : قبل هذا الحال ، (وكنت نسيا منسيا) ، أى : لم أخلق ولم ألك شيئا . قاله ابن عباس .

وقال السدى : قالت وهى تطلق من الجبل ، استحياء من الناس : يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذى أنا فيه ، والحزن يولادنى المولود من غير بعل (وكنت نسيا منسيا نُسِيْتُ فترك طلبه ، كخرق الحيفى التى إذا أقيمت وطُرحت لم تطلب ولم تُذكر (١) : وكذلك كل شئ نُسِيَّ وترك فهو نسي .

وقال قتادة : (وكنت نسيا منسيا) ، أى : شيئا لا يعرف ، ولا يذكر ، ولا يدري من أنا :

وقال الريح بن أنس : (وكنت نسيا منسيا) ، وهو السقط (٢) .

وقال ابن زيد : لم أكن شيئا قط .

وقد قلنا الأحاديث الدالة على النهى عن تمى الموت إلا عند الفتنة عند قوله : (توفى مسلما وأخفى بالصالحون (٣) .

فَقَادَهُمَا مِنْ نَحْمٍ أَلَّا يَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهَرَىٰ إِلَيْكَ يَجْمَعُ النَّخْلَ يَسْفِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرَىٰ عَيْنًا فَإِمَّا تَرَىٰ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنفُسِيًّا ۝

قرأ بعضهم : (مَنْ تَحْتَكِ) ، معنى الذى تحتها . وقرأ آخرون (مَنْ تَحْتَكِ) ، على أنه حرف جر .

واختلف المفسرون فى المراد بذلك من هو ؟ قال العوفي وجمعه ، عن ابن عباس (فناداهما من تحتها) : جبريل ، ولم ينكلم عيسى حتى أتته به قرمها . وكذا قال سعيد بن جبر ، والضحاك ، وعمر بن ميمون ، والسدى ، و قتادة : إنه الملك جبريل عليه الصلاة والسلام ، أى : ناداهما من أسفل الوادى .

وقال مجاهد : (فناداهما من تحتها) ، قال : عيسى ابن مريم . وكذا قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : قال الحسن : هو ابنها . وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير : أنه ابنها ، قال : أو لم تسمع الله يقول : (فأشارت إليه) : وانتاره ابن زيد ، وابن جرير فى تفسيره (٤) .

وقوله : (أَنْ لَا يَحْزَنِي) ، أى : ناداهما قائلا : لا تحزنى ، (قد جعل ربك تحتك سرى) قال سفيان الثوري وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب : (قد جعل ربك تحتك سرى) ، قال : الجدول . وكذا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : السرى : الثور . وبه قال عمرو بن ميمون : ثور تشرب منه .

(١) تفسير الطبرى : ٥٠/١٦ . ويبدو أن قوله : « وكذلك كل شيء » من كلام الطبرى لا تابع لأثر السدى .

(٢) السقط : الولد ، ذكرنا كان أو أنى ، يسقط قبل تمامه ، وهو مستبين الخلق .

(٣) سورة يوسف ، آية : ١٠١ ، وانظر فيما تقدم : ٣٣٧/٤ - ٣٣٩ .

(٤) ينظر تفسير الطبرى : ٥١/١٦ ، ٥٢ .

وقال مجاهد : هو النهر ، بالسريانية :

وقال سعيد بن جبّار : السرى : النهر الصغير بالثعلبية .

وقال الضحاك : هو النهر الصغير بالسريانية .

وقال إبراهيم النخعي : هو النهر الصغير .

وقال قتادة : هو الجدول بلغة أهل الحجاز .

وقال وهب بن منبه : السرى : هو ربيع الماء .

وقال السدي : هو النهر ، واختار هذا القول ابن جرير ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع : **قال الطبراني :**

حدثنا أبو حشيبه الخزاز ، حدثنا يحيى بن عبد الله الباقلي ، حدثنا أيوب بن تميم ، سمعنا عكرمة مولى ابن عباس يقول : سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« إن السرى الذي قاله الله لمريم »** (قال جميل ربك تحمك سرى) ، ثم أخرجه الله لتثريبه منه ، وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه ، وأيوب بن تميم هذا هو الجبل ، قال فيه أبو حاتم الرازي : ضعيف ، وقال أبو زرعة : منكر الحديث ، وقال أبو الفتح الأزدي : مرفوع الحديث .

وقال آخرون : المراد بالسرى حبيس عليه السلام ، وبه قال الحسن ، والربيع بن أنس ، وعبد بن حبيب بن جعفر : وهو إحدى الروايتين عن قتادة ، وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، والقول الأول أظهر ، ولهذا قال بهد (وهزى إليك بجلع النخلة) ، أي : وعلى إليك بجلع النخلة : قيل : كانت يابسة ، قاله ابن عباس ، وقيل : ثمرة ، قال مجاهد : كانت هجوة ، وقال الثوري : من أين داود نكح الأعمى : كانت صرقانة (١) .

والظاهر أنها كانت شجرة ، ولكن لم تكن في إبان ثمرها ، قاله وهب بن منبه ، ولهذا أمرنا عليها بملك ، أن جعل عندنا طعاما وشرابا ، فقال : (تساقط عليك وطباختها . فكل واشربن قري عينا) ، أي : طيبي نفسا ، ولهذا قال عمرو ابن ميمون : ما من شيء خير للنساء من التمر والربط ، ثم تلا هذه الآية الكريمة (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا شيخان ، حدثنا مسروق بن سعيد التميمي ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأزاعي ، عن عروة بن رُويم ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« أكرموا حتمكم النخلة ، فإنها خلقت من الطين التي خلق منه آدم عليه السلام ، وليس من الشجر شيء يكتفح خيرها »** ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« أطعموا نساءكم الولد الرطب »** فإن لم يكن رطب فتمر ، وليس من الشجرة شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت منها مريم بنت عمران .

هذا حديث منكر جدا ، ورواه أبو يعلى ، عن شيبان ، به .

(١) السرفان - بفتح الصاد والراء والقاف - : ضرب من التمر ، واسحته : صرقانة ، وهو من أجود التمر .

(٢) تفسير الطبري : ١٩/٥٥ .

وقرأ بعضهم قوله : (تساقط) ، بتشديد السين ، وآخرون بتخفيفها . وقرأ أبو نبيك : (تسقط عليك رطبا جنيا) ، وروى أبو إسحاق ، عن البراء ، أنه قرأها (يساقط) ، أى : الجلع (١) . والكل متقارب .

وقوله : (فإما ترين من البشر أحدا) ، أى : مها رأيت من أحد ، (فقولى : إني نلت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم إنسيا) ، المراد بهذا القول : الإشارة إليه بذلك ، لأن المراد به القول اللفظي ، لثلاثين (فلن أكلم اليوم إنسيا) .

قال أنس بن مالك فى قوله : (إني نلت للرحمن صوما) ، أى : صمتا . وكلما قال ابن عباس ، والضحاك ، وفى رواية عن أنس : (صوما وصمتا) (٢) ، وكلما قال قتادة وغيرهما .

والمراد أنهم كانوا إذا صاموا فشرحتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدى ، وقاتدة ، وعبد الرحمن ابن زيد .

وقال أبو إسحاق ، من حادثة قال : كنت عند ابن مسعود ، فجاه رجلا فسلم لخدمها ولم يسلم الآخر ، فقال : ما شأنك ؟ قال أصعباه : حلف أن لا يكلم الناس اليوم . فقال عبد الله بن مسعود : ككتم الناس وسلم عليهم . فإذا تلك امرأة حكمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج . يعنى بذلك مريم عليها السلام ، ليكون علرها إذا صلت . ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير رحمهما الله (٣) .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال لعيسى لمريم : (لا تحزنى) ، قالت : وكيف لا أحزن وأنت مسمى ؟ ! لا ذات زوج ولا مملوكة ، أى شئ؟ فخرى عند الناس ؟ يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، قال لها عيسى : أنا أكلمك الكلام : (فإما ترين من البشر أحدا ، فقولى : إني نلت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم إنسيا) ، قال : هذا كله من كلام عيسى لأمه . وكلما قال وهب (٤) .

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً وَأَلَّا يَمُرُّ بَصُرُهُمْ لِقْدِ جِثَّتْ شَيْعًا فَرِيقًا ﴿١٦﴾ تَلَاخَتْ هَرُونَ مَا كَانَ أُولُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْعًا ﴿١٧﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْعِدَافِ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿١٩﴾ وَجَعَلَ مُبَارَكًا ابْنَ مَرْيَمَ وَوَصَّي بِالْأَصْلَافِ وَأَكْرَمَ كَرَّمَ مَادَمْتُ حَيًّا ﴿٢٠﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي وَكَرًّا جَعَلَنِي حَبَابًا شَقِيًّا ﴿٢١﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى خبرا من مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك ، وأن لا تكلم أحدا من البشر ، فلما استكنى أمرها ويقام محبتها ، فسلمت لآمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه ، وأخلفت ولها (فأنت به قوما تحمله) ، فلما رآها كذلك ، أعظموا أمرها واستكروه جدا ، وقالوا : (يا مريم ، لقد جئت شيئا فريا) ، أى : أمرا عظيما . قاله مجاهد ، وقاتدة ، والسدى ، وغير واحد :

(١) ينظر تفسير الطبري ٥٤/١٦ : ٥٥ . واليعمر الخياط لأبي حيان ١٨٤/٦ : ١٨٥ .

(٢) روى الطبري بإسناده إلى سليمان التيمي ٥٦/١٦ : ٥٧ : قال : سمعت أنسأ قرأ : (إني نلت للرحمن صوما وصمتا) .

(٣) تفسير الطبري ٥٧/١٦ : ٥٨ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سفيان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن نوف البكالي قال : وخرج قومها في طلبها ، وكانت من أهل بيت نوبة وشرث ، فلم يحسوا منها شيئاً ، فأروا راعي بقرة فقالوا : أرأيت فلاة كلها وكلها نعتها ؟ قال لا ، ولكن رأيت الليلة من بقرتي ما لم أرها منها قط . قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيتها مسجداً نحو هذا الوادي : قال عبد الله بن زياد : وأحفظ عن سفيان أنه قال : رأيت توراً ساطعاً . فتوجهوا حيث قال لهم ، فاستقبلتهم مريم ، فلما رأتهم قبلت وحملت ابنتها في حجرها ، فجماعوا حتى قاموا عليها : وقالوا يا مريم ، لقد جئت شيئا فريا ، أمرا عظيماً (يا أخت هرون) ، أي : يا شقيقة هارون في العبادة (ما كان أبوك امراً سوء ، وما كانت أمك بغياً) ، أي : أنت من بيت طيب طاهر ، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة ، فكيف صدر هذا منك .

قال حل بن أبي طلحة ، والسدي : قيل لها : (يا أخت هرون) ، أي : أختي موسى ، وكانت من نسله ، كما يقال للتيمية : يا أختيهم ، وللمصري : يا أختا مصر (١) .

وقيل : نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون ، فكانت تقام به في العبادة ، والزهادة .

وحكى ابن جرير عن بعضهم : أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم ، يقال له : هارون (٢) . ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير :

وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين المستجاني حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا الفضل بن فضالة ، حدثني أبو صخر ، عن القرظي : في قوله الله عز وجل : (يا أخت هرون) ، قال : هي أخت هارون لأبيه وأمه ، وهي أخت موسى أختي هارون التي قصت أثر موسى ، (فصرته به عن جنب وهم لا يشعرون) .

وهذا القول خطأ محض ، فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قبي بعيسى بعد الرسل ، فذلك حل أنه أخت الألباء بهما وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليه ولهذا ثبت في الصحيح عند البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنا أولى الناس بابن مريم ؛ إلا أنه ليس بيني وبينه لبي ، ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي ، لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد ، ولكان قبل سليمان ودلود ، فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى : (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى ، إذ قالوا لنبي لهم : أبعث لنا ملكا لقاتل في سبيل الله (٣)) فذكر القصة إلى أن قال : (وقتل داود جالوت (٤)) الآية والذي جرح القرظي حل هذه لقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر ، وإغراق فرعون وقومه ، قال : وكانت مريم

(١) تفسير الطبري : ١٦/٥٨ ، ٥٩ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦/٥٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٤٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٥١ .

بنت عمران أنحت موسى وهارون النبيين ، فغضب بالذات هي والثناء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل : فاعتقد القرطبي أن هذه هي أم عيسى : وهي حفوة وغلطة شديدة ، بل هي باسم هذه ، وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحينهم ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن إدريس ، سمعت أبي يذكره عن ميثاك ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة قال : بعني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران ، فقالوا : أرأيت ما تفرعون : (يا أخت هرون) ، وموسى قبل عيسى بكلا وكلا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسّمون بالأنبياء والصالحين قبلهم (١) » ؟

انفرد بإخراجه مسلم (٢) ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن ميثاك ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس ،

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن هُليبة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين قال : بُعِثَ أن كعبا قال : إن قوله (يا أخت هرون) : ليس بهارون أنسى موسى . قال فقالت له عائشة : كلبت ، قال : يا أم المؤمنين ، إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ، فهو أعلم وأخبر ، وإلا فاني أجد بينهما سبابة سنة ، قال : فسكت (٣) ، وفي هذا التاريخ نظر .

وقال ابن جرير أيضا : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله (يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) ، قال : كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ، ولا يعرفون بالفساد ، ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به ، وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به . وكان هارون مصلحا محببا ، في عشيرته ، وليس بهارون أنسى موسى ، ولكنه هارون أكثر ، قال : وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا ، كلهم يسمون هارون ، من بني إسرائيل (٤) .

وقوله (فأشارت إليه) ، قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صيبا) ، أي : إنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها ، وقالوا لها ما قالوا معرضين بقلوبها وورعها بالنسبة ، وقد كانت يومها ذلك صائمة صائمة ، فأحالت الكلام عليه ، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه ، فقالوا متهمين بها ، ظانين أنها تدرى بهم وتلعب بهم : (كيف نكلم من كان في المهد صيبا) .

قال ميمون بن مهران : (فأشارت) ، قالت : كلموه : فقالوا : هل ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صيبا !

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٥٢/٤ .

(٢) مسلم ، كتاب الآداب ، باب : انتهى عن التكني بأبي الناسم ، وبيان ما يستحب من الأسماء : ١٧١/٦ . و تحفة الأحرف : تفسير سورة مريم ، الحديث : ٥١٦ : ٦٥٣ : ٦٠٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٥٨/١٦ : ٥٩ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٨/١٦ .

وقال السدي : لا أشارت إليه غضبوا ، وقالوا : تسخرينها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشدّ علينا من زناها (١) .

(قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبيا) ، أي : من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره ، كيف يتكلم ؟ قال : (إني عبد الله) ، أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى ، وبرأ الله عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه .

وقوله : (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) : تبرئة لآمة مما نسبت إليه من الفاحشة .

قال نوف البكالي : لما قالوا لآمة ما قالوا ، كان يرتضع لديه ، فترج الندى من فيه ، وانكأ على جنبه الأيسر ، وقال : (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) ، إلى قوله : (مادمت حيا) .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني : رفع إصبعه السبابة فوق منكبه ، وهو يقول : (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) : الآية .

وقال عكرمة : (آتاني الكتاب) ، أي : قضى أنه يؤمّنني الكتاب فيما قضى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن المصني ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد العزيز بن زياد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان عيسى بن مريم قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه ، فلذلك قوله : (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) .

يحيى بن سعيد السطاري الحمصي : مروي .

وقوله : (وجعلني مباركا أينما كنت) ، قال : مجاهد ، وعصم بن قيس ، والثوري : وجعلني معلما للخير . وفي رواية عن مجاهد : نقّاه .

وقال ابن جرير : حدثني سليمان بن عبد الجبار ، حدثنا محمد بن يزيد بن نختيس الخزوي ، سمعت وهيب بن الورد مولى بني غزوم قال : لبي عالم عالما هو فوقه في العلم ، فقال له : يرحمك الله ، مالذي أعلن من عملي ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه دين الله الذي بحث به أنبياءه إلى عباده ، وقد أجمع الفقهاء على قول الله : (وجعلني مباركا أينما كنت) ، وقيل : ما بركته ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أينما كان (٢) .

وقوله : (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) كقولته تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٣)) .

وقال عبد الرحمن بن القاسم ، عن مالك بن أنس في قوله : (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) ، قال : أخبره ماهر كائن من أمره إلى أن يموت ، ما أتيتها لأهل القدر .

(١) تفسير الطبري : ١٦/٦٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦/٩١ .

(٣) سورة الحجر ، آية ٩٩ .

وقوله : (وبرا بوالدني) ، أى : وأمرني بر والدي ، ذكره بعد طاعة الله ربّه ، لأن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة والديه ، كما قال : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا (١)) ، وقال : (أن أشكر لوالديك إلى المصير (٢)) .

وقوله : (ولم يجعلني جبارا شقيا) ، أى : ولم يجعلني جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدي ، فأشني بذلك .

قال سفيان الثوري : الجبار الشقي : الذي يقبل على الغضب .

وقال بعض السلف : لا نجد أحدا حاقا لوالديه إلا وجدته جبارا شقيا ، ثم قرأ : (وبرا بوالدني ولم يجعلني جبارا شقيا) ، قال : ولا نجد سيء (٣) الملكة إلا وجدته مختالا فخورا ، ثم قرأ : (وما ملكت إيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ،

وقال قتادة : ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى المولى ويرى الآكة والأبرص ، في آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن ، فقالت : طوبى للبطن الذي حملك والذي أَرْضَعْتَهُ به ، فقال نبي الله عيسى عليه السلام بيبيها : طوبى لمن فلا كلام الله ، فاتح ماله ولم يكن جبارا شقيا (٤) .

وقوله : (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) : إثبات منه لعبوديته لله عز وجل ، وأنه مخلوق من خلق الله سبحانه ، ويموت ويُبْعَثُ كسائر المخلوقات ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي لا يشق ما يكون على العباد .

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٩﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُّشْرِكِي يَوْمِ حَطِيمٍ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ذلك الذي قصصنا عليك من خبر عيسى ، (قول الحق الذي فيه يمترون) ، أى : يخافون المبطون والمحقون من آمن به وكفر به ، ولهذا قرأ الأكثرون : (قول الحق) ، يرفع قول . وقرأ عاصم ، وعبد الله بن عامر : (قول الحق) .

(١) سورة الإسراء ، آية : ٢٣ .

(٢) سورة لقمان ، آية : ١٤ .

(٣) تقدم هذا الأثر في سورة النساء : ٢/٢٦٥ ، وانظر هناك شرحنا له .

(٤) تفسير الطبري : ١٦/٦٢ .

وهن ابن مسعود أنه قرأ : (ذلك عيسى ابن مريم قال الحق (١)) ، والبرقي «الطهري» «إبراهيم» ، ويشهد له قوله تعالى : (الحق من ربك ، فلا تكن من الممترين (٢)) .

ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً ، نزه نفسه المقتضية فقال : (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) ، أي : كما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المحتلون علواً كبيراً ، (إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كره ، فيكون) ، أي : إذا أراد شيئاً فإنما يأمر به ، فيصير كما يشاء ، كما قال تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون : الحق من ربك فلا تكن من الممترين (٣)) .

وقوله : (وإن الله ربّي وربكم فأعبده هذا صراط مستقيم) ، أي : وعما أمر عيسى به قومه وهو في مهده ، أنا أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربّه ، وأمرهم بعبادته ، فقال : (فأعبده ، هذا صراط مستقيم) ، أي : هذا الذي جعلكم به يا بني الله صراط مستقيم ، أي : قويم ، من أتبعه رشد وهدي ، ومن خالفه ضلّ وهوى .

وقوله : (فاختلفت الأحزاب من بينهم) ، أي : اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله ، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فصمّمت طائفة — وهم جمهور اليهود — عليهم لعائن الله — على أنه ولد زنيّة ، وقالوا : كلامه هذا سحر . وقالت طائفة أخرى : إنما تكلم الله : وقال آخرون : هو ابن الله : وقال آخرون : ثالث ثلاثة . وقال آخرون : بل هو عبد الله ورسوله . وهذا هو قول الحق ، الذي أُرشد الله إليه المؤمنين ، وقد روى عن عمرو بن ميمون ، وابن جريج ، وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف :

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) ، قال : اجتمع بنو إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كل [قوم] عاملهم ، فامتروا في عيسى حين رفع ، فقال أحدهم : هو الله هبط إلى الأرض فأحيى من أميا ، وأمات من أمات ، ثم صعد إلى السماء — وهم اليعقوبية : فقال الثلاثة : كذبت : ثم قال آخرون : قل أنت فيه : قال : هو ابن الله — وهم النسطورية : فقال الاثنان : كذبت : ثم قال أحد الإثنين : لا تخش : قل فيه . قال : هو ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله — وهم الإسماعيلية ملوك النصارى ، عليهم لعائن الله . قال الرابع : كذبت ، بل هو عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته ، وهم المسلمون . فكان لكل رجل [منهم] اتباع على مقالوا ، فاختلوا ففتّهر على المسلمين ، فذلك قول الله تعالى : (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) — وقال قتادة : وهم الذين قال الله : (فاختلفت الأحزاب من بينهم) ، قال : اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً (٤) .

وقد روى ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، وعن عروة بن الزبير ، وعن بعض أهل العلم ، قريباً من ذلك : وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم : أن قسطنطين جمعهم في حفل كبير من مجامعهم الثلاثة

(١) قال الطبري ٦٣/١٦ : « وأما ما ذكر عن ابن مسعود من قراءته : (ذلك عيسى بن مريم قال الحق) ، فإنه بمعنى (قول الحق) ، مثل : العاص والقيس ، والذمام والذمم » يريد أن يقول أبو جعفر أن « قال » في قراءة ابن مسعود اسم . وينظر البحر المحيط : ١٨٩/٦ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٦٠ م

(٣) سورة آل عمران : ٥٩ ، ٦٠ .

(٤) تفسير الطبري : ٦٣/١٦ .

المشهوره عندهم ، فكان جماعة الأماصة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا ، فاختلقوا في عيسى ابن مريم عليه السلام اختلاقًا متباينًا فقلت كل شذمة فيه قولاً ، فانه تقول فيه قولاً ، وسبعون تقول فيه قولاً آخر ، وحسون تقول فيه شيئاً آخر ، ومائة وستون تقول شيئاً ، ولم يجمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية منهم ، اتفقوا على قول وصمموا عليه ، وماك إليهم الملك ، وكان فيلسوفاً ، فقدمهم ونصبرهم وطرد من عندهم ، فوضعو الله الأمانة الكبيرة ، بل هي الحياطة العظيمة ، ووضعوا له كتب القوانين ، وشرعوا له أشياء ، وابتدعوا بدعاً كثيرة ، وحرقوا دين المسيح ، وغيره فابتنى حيثلد لهم الكنائس الكبار في مملكته كلها : بلاد الشام ، والجزيرة ، والروم ، فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشرة ألف كنيسة ، وبنيت أمه هيلانة قسامة^(١) على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي تزعم اليهود والنصارى أنه المسيح ، ولقد كتبوا ، بل دفعه الله إلى السماء .

وقوله : (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) : تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله ، وافترى ، وزعم أن له ولداً ، ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلماً وثقة بقدرته عليهم ، فإنه الذي لا يعجز على من عصاه ، بل كما جاء في الصحيحين «إن الله ليحمل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) (٢) . وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يحملون له ولداً ، وهو يرزقهم ويعاقبهم» (٣) . وقد قال الله تعالى : «وكأين من قرية أهلكنا ما وهى ظالمة ، ثم أخذناها وإلى المصير» (٤) ، وقال تعالى : (والصالحين الله جاعلهم عاكفين) (٥) ، ولما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٥) ، ولهذا قال هاهنا : (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) ، أي : يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من شهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله [ورسوله] ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» (٦) .

(١) القسامة : الدبر وينظر الحديث عن غلاف النصارى حول المسيح في سورة النساء ٤٣/٢ .

(٢) سورة هود : آية : ١٠٣ ، وقد تقدم الحديث عن حلة الآية : ٢٧٨/٤ ، ٢٧٩ ، وخرجناه هناك .

(٣) البخاري ، كتاب الأدب ، باب «التبصر على الأذى» . ٣١/٨ ، وكتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ١٤١/٩ ، ومسلم ، كتاب صفة القيامة ، باب «لا أحد أصبر على أذى من الله» ١٣٣/٨ ، ١٣٤ .

(٤) سورة الحج : آية : ٤٨ .

(٥) سورة إبراهيم : آية : ٤٢ .

(٦) البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : (إذ قالت الملائكة يا عيسى) : ٢٠١/٤ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب «من أتى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة» ، وحرم على النار : ٤٢/١ . ومسنود الإمام أحمد عن عبادة ابن الصامت : ٣١٤/٤ ، ٣١٤ .

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي سَلْسَلٍ مُمِينٍ ﴿١٦﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ يَفُضَّ
الْأَمْرُ بِهِمْ وَيُفْعَلُ بِهِمْ لَا يَوْمُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَإِنَّا بِعَيْنِنَا مُبْصِرُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى خبراً عن الكفار لـ يوم القيامة [أنهم أسمعُ شيء وأبصره] كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون لأكسروا موسمهم عند ربهم ؛ ربنا ، أبصرنا وسمعتنا ، فأرجعنا فعمل صالحاً ؛ إنا موقنون) (١) ، أى ؛ يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجنى عنهم شيئاً ، ولو كان هذا قبل مائة الطلوع ، لكن لافضاً لهم ومقلداً من حذاب الله ، ولهذا قال ؛ (أسمع بهم وأبصر) ، أى ؛ ما أسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) ، يعنى يوم القيامة ، (لكن الظالمون اليوم) ، أى ؛ فى الدنيا (فى ضلال مبين) ، أى ؛ لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ، فحيث يطلب منهم الهدى لا يتنبهون ، ويكرهون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك .

ثم قال تعالى ؛ (وأندبرهم يوم الحسرة) ، أى ؛ أنذر الخلاق يوم الحسرة ، (إذ قضى الأمر) ، أى ؛ فصل بين أهل الجنة وأهل النار ، ودخل كل إلى ما صار إليه غللاً فيه ، (وهم) ، أى ؛ اليوم (فى خفة) عما أنذروا به ، (وهم لا يؤمنون) ، أى ؛ لا يصيبون به .

قال الإمام أحمد ؛ حدثنا محمد بن حبيب ، حدثنا الأعشى ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ؛ بجاه الملوكة كانه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال ؛ يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال ؛ فيشربون [فينظرون] ويقولون ؛ نعم ، هذا الموت . قال ؛ فيقال ؛ يا أهل النار ، هل تعرفون هذا ؟ قال ؛ فيشربون فينظرون ويقولون نعم ، هذا الموت . قال ؛ فيومر (٢) به فيذهب ، قال ؛ ويقال ؛ يا أهل الجنة ، خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت . قال ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ (وأندبرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى خفة) ، وأشار بيده (٣) . قال ؛ « أهل الدنيا فى غفلة الدنيا » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه البخارى (٤) ومسلم فى صحيحهما ، من حديث الأعشى ؛ به ؛ ولفظهما قريب من ذلك . وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة ؛ حديث أسباط بن محمد ، عن الأعشى ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، مثله (٥) . وفى سنن ابن ماجه وغيره ، من حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ،

(١) سورة السجدة ؛ آية ١٢ .

(٢) فى المخطوطة ؛ « فيوقف به » . واكتفت من المسند .

(٣) إلى هنا ينتهى الحديث كما فى مسند الإمام أحمد ؛ ٩/٣ .

(٤) البخارى ؛ تفسير سورة مريم ؛ ١١٧/٦ : ١١٨ ، ومسلم ؛ كتاب الجنة ؛ باب ؛ « آثار يدخلها الجبارون » ، والجنة يدخلها الصغفاء ؛ ١٥٢/٨ : ١٥٣ .

(٥) أخرجه الطبرى عن حبيب بن أسباط ، عن أبيه ؛ ٦٦/١٦ . وفى المخطوطة ؛ « المسند بن عرفة » . فأنشأنا ما فى الطباعت السابقة .

بنحوه (١) وهو في الصحيحين عن ابن عمر (٢) : ورواه ابن جريج قال : قال ابن عباس ، فذكر من قبله نحوه (٣) . ورواه أيضاً عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير يقول في قصصه : يؤتى بالموت كأنه دابة ، فيلبغ والناس ينظرون (٤) . وقال سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، حدثنا أبو الزهراء ، عن عبيد الله - هو ابن مسعود - في قصة ذكرها ، قال : فليس نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ويبت في النار ، وهو يوم الحسرة . [فیری أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا ، فيقال لهم : لو آمنتم وعلمت صلاتكم ، كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة . فتأخذهم الحسرة (٥)] : قال : ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار ، فيقال : لولا أن من الله عليكم (٦) .

وقال السدي ، عن زياد ، عن زر بن حبیش ، عن ابن مسعود في قوله : (وألهمهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، أتى بالموت في صورة كيش ألبس ، حتى يوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة ، هذا الموت الذي كان يُسميت الناس في الدنيا ، فلا يبي أحد في أهل عليين ولا في أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه ، ثم ينادى : يا أهل النار ، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا ، فلا يبي أحد في ضحفتين من نار ولا في أسفل درك من جهنم ، إلا نظر إليه ، ثم يلجح بين الجنة والنار ، ثم ينادى : يا أهل الجنة ، هو الخلود أبد الآبدين ، ويا أهل النار ، هو الخلود أبد الآبدين . فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرح ماتوا ، ويشقون أهل النار شققة لو كان أحد ميتاً من شققة ماتوا فلذلك قوله : (وألهمهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) ، يقول : إذا ذبح الموت (٧) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ،

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (وألهمهم يوم الحسرة) من أسأها يوم القيامة ، عظمه الله وحذره عياده .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (وألهمهم يوم الحسرة) ، قال : يوم القيامة ، وقرأ : (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) (٨) .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب صفة النار ، . الحديث ٤٣٧٧ : ١٤٤٧/٢ .

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « صفة الجنة والنار » ١٢١/٨ ، ١٤٢ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب « النار يستلها الجبارون » والجنة يدخلها الضعفاء ١٥٣/٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٦٦/١٦ ، ٦٧ .

(٤) تفسير الطبري : ٦٦/١٦ .

(٥) ما بين القوسين سقط من مخطوطة الأزهر ، والمختب من تفسير الطبري .

(٦) تفسير الطبري : ٦٦/١٦ .

(٧) أخرجه السيوطي في اللؤلؤ عن ابن أبي حاتم وابن مردويه : ٢٧٢/٤ .

(٨) تفسير الطبري ٦٧/١٦ والآية من سورة الزمر : ٥٦ .

وقوله : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) : غير تعالى أنه الماتق المالك المتصرف ، وأن الخلق كلهم يكونون ويحيى مو . ملك وتقدس ، ولا أحد يدعى ملكاً ولا تصرفاً ، بل هو الوارث لجميع خلقه ، الباقي بعدهم ، الحاكم فيهم ، فلا تنظم نفس شيئاً ولا جناح بقوضة ولا مقال ذرة .

قال ابن أبي حاتم : ذكر هذبة بن خالد القيسي : حدثنا حزم بن أبي حزم التلعفلي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد ، فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت ، فجعل مصيرهم إليه ، وقال : فإنا أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على خلقه : إنه يرث الأرض ومن عليها ، وإليه يرجعون (١) .

وَإِذْ كُفِيَ الْكِتَابَ إِبراهيمَ إِلهَ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يُتَابِعْ لِرَتْعَابِ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ يُتَابِعْ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا لِيَ يَوْمَ إِلَهِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ يُتَابِعْ لَا تُعْبِدُ إِلَّا الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يُتَابِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتُكْرَهُ لِلشَّيْطَانِ وَلَيْسَ ۖ

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر في الكتاب إبراهيم وأتله على قومك ، هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ، ويدعون أنهم على ملته ، وهو كان صديقاً نبياً - مع أبيه ، كيف نجاه عن عبادة الأصنام ، فقال : (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع عنك شيئاً) ؟

أى : لا ينفعك ولا يدفع عنك ضرراً . (يا أبت ، إني قد جافى من العلم ما لم يألك) . يقول : فإن كنت من صليتك وترى أنى أصغر منك ، لأنى ولك ، فاعلم أنى قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جناحك بعد ، (فأتيت أهلك صراطاً سويّاً) أى : طريقاً مستقيماً موثقاً إلى نيل المطلوب ، والنجاة من المرهوب .

(يا أبت ، لا تعبد الشيطان) ، أى : لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام ، فإنه هو الناص إلى ذلك ، والراضى به . كما قال تعالى : (ألم أهد إليكم يابى آدم : أن لا تعبدوا الشيطان) (٢) وقال : (إن يدعون من دونه إلا إناثاً ، وإن يدعون يدعون إلا شيطاناتاً مريداً) (٣) .

وقوله : (إن الشيطان كان للرحمن عصياً) ، أى : مخالفاً مستكبراً عن طاعة ربه ، فطرده وأبعده ، فلا تتبعه نصراً مثله .

(يا أبت ، إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) ، أى : على شركك وعصيانك لا آمرك به ، (فتكون للشيطان ولياً) ، يعنى : فلا يكون لك مولى ولا ناصر ولا منقياً إلا إبليس ، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء ، بل اتباعك

(١) أخرجه البيهقي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم ٢٧٢/٤١ .

(٢) سورة يس : آية : ٦٠ .

(٣) سورة قلص : آية : ١١٧ .

له موجب لإحاطة الملائكة بك ، كما قال تعالى : (تالله ، لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ، فزین لهم الشيطان أعمالهم ، فهو واهيم اليوم ، ولم حجاب أليم) (١) .

قَالَ الرَّاعِبُ أَنْتَ مِنَ الْهِنِيِّ يَذْكُرُهُمْ لَنْ لَنْتَهُ الْأَرْجَمَتُ وَأَجْرَتِي مِلْيًا ۖ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ
وَقَدْ لَمْ يَكُنْ يَحْفَظُ الْوَعْدَ لَكُمْ وَمَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَفْوَ إِلَّا أَكُونُ بِدُعَاؤِ رَبِّي شَفِيعًا ۖ

يقول تعالى ضرباً عن جواب ابن ابراهيم (ولده ابراهيم) فأخبر دعاه إليه أنه قال : (أرغب أنت عن الهني يا ابراهيم؟)
يعني (إن كنت) (٢) لا تريد حادتها ولا أرضاها ، فانت من سبها وشتمها وصيها ، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصمت
ملك وشتمك وسبهاك ، وهو قوله : (لأرجمتك) ، قاله ابن عباس ، والسدى ، وابن جرير ، والفساك ، وغيرهم (٣)
وقوله : (واهجرت مليا) ، قال مجاهد ، وحكمة ، وسعيد بن جبير ، وعبد بن إسحاق ، يعني دهرًا .

وقال الحسن البصري : زماناً طويلاً .

وقال السدي : (واهجرت ملياً) ، قال : أبداً .

وقال علي بن أبي طلحة ، والعمري ، عن ابن عباس : (واهجرت ملياً) ، قال : سويًا ساليًا ، قبل أن تصيبك من
عقرية ، وكذا قال الفصاح ، وقادة ، وعطية الجندل (٤) ، ولأبو مالك ، وغيرهم : وانتزعه ابن جرير ،

فمنعنا قال ابراهيم لأبيه : (سلام عليك) ، كما قال تعالى في صفة المؤمنين : (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما) (٥) ، وقال تعالى : (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا : لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا بغير
الجاهل) (٦) .

ومعنى قول ابراهيم لأبيه : (سلام عليك) ، يعني : ألمّا أنا فلا يتالك مني مكروه ولا أذى ، وذلك لحمة الأبوّة ،
(سأسفرك ربي) ، أي : ولكن سأسأل الله تعالى فيك أن يهديك ويصرف ذنبك ، (إنه كان في حيا) - قال ابن عباس
وغيره : لطيفاً ، أي : في أن هدانا لحيادته والإخلاص له . وقال مجاهد وقادة ، وغيرهما : (إنه كان في حيا) ،
قال : حوده الإجابة .

وقال السدي : (الحني) : الذي يهتّم بأمره .

(١) سورة النحل آية ٦٣ .

(٢) ما بين القوسين من الكلمات السابقة ، ومكانه في المخطوطة : « أما » .

(٣) تفسير الطبري : ١٦ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) هو أبو الحسن طيبة بن سعد بن جنازة الموفى الجندل - يفتح الجيم - الكوفي . يروي عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس
يعتبر الخلاصة .

(٥) سورة الفرقان : آية ٦٣ .

(٦) سورة القصص : آية ٥٥ .

وقد استغفر إبراهيم لأبيه مدة طويلة ، وبعد أن هاجر إلى الشام وبني المسجد الحرام ، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله : (ربنا ، اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (١)) .

وقد استغفر المسلمون قرايبهم (٢) وأهلهم من المشركين في ابتداء الإسلام ، وذلك اقتداءً بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم الملة والبنفصاء أبدأ ، حتى تؤمنوا بالله وحده) لا قول إبراهيم لأبيه : لا استغفرن لك ، وما أملك لك من الله من شيء (٣) الآية ، يعني إلا في هذا القول ، فلا تتأسوا به : ثم بين تعالى أن إبراهيم أطلع عن ذلك ، ورجع عنه ، فقال تعالى : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم (٤) .

وقوله : (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى) ، أى : أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن الكثرة التى تعبدونها ، (وأدعو ربى) ، أى : وأبعد ربى وحده لاشريك له ، (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقياً) « وعسى » هذه موصلة للاحالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا لِيَسَاقَ وَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٥﴾

يقول : فلما اعتزل الخليل آباء وقومه في الله ، أبدله الله من هو خير منهم ، وهب له إسحاق ويعقوب ، يعنى ابنه وابن إسحاق ، كما قال في الآية الأخرى : (ويعقوب نافلة (٥)) ، وقال : (ومن وراء إسحاق يعقوب (٦)) :

ولاحلاف أن إسحاق والد يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك : إبراهيم ، وإسماعيل وإسحاق (٧) . ولهذا إنما ذكر هاهنا إسحاق ويعقوب ، أى : جعلنا له نسلًا وعقبًا أنبياء ، أقر الله بهم عينه في حياته ، ولهذا قال : (وكلا جعلنا نبياً) ، فلو لم يكن يعقوب قد نبى في حياة إبراهيم ، لما اقتصر عليه ، ولذكر ولده يوسف ، فإنه نبى أيضاً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته ، حين سئل عن خير الناس ، قال : يوسف نبى الله ، ابن يعقوب

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٤١ .

(٢) في المخطوطة : « وقد استغفر المسلمون لربائهم » . والمثبت من المصاحفات السابقة .

(٣) سورة الممتحنة ، آية : ٤ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ١١٣ ، ١١٤ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٧٢ .

(٦) سورة هود ، آية : ٧١ .

(٧) سورة البقرة ، آية : ١٢٢ .

نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله (١). وفي اللفظ الآخر . إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (٢) .

وقوله : (وهبنا لهم من رحمتنا ، وجعلنا لهم لسان صدق عليا) - قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني الثناء الحسن . وكلنا قال السدي ، ومالك بن أنس .

وقال ابن جرير : إنما قال : (عليه) ، لأن جميع الملل والأديان يشنون عليهم ويمحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (٣) .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِذْ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَذَرْنَاهُ مِنَ الْجَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَوَرَيْتَهُ يَجِئُ ۖ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ

لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأبني عليه ، عطف بذكر الكليم ، فقال : (واذكر في الكتاب موسى إذ كان مخلصا) قرأ بعضهم بكسر اللام ، من الإخلاص في العبادة .

قال الثوري ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي ليبة قال : قال الحواريون : ياروح الله ، أخبرنا عن المخلصه ، قال : الذي يعمل لله ، لا يجب أن يحمده الناس

وقرأ الآخرون بفتحها ، بمعنى أنه كان مصطفي ، كما قال تعالى : (إني اصطفيك على الناس) (٤) .

(وكان رسول نبي) ، جُئِسَ له بين الوصفين ، فإنه كان من المرسلين الكبار أولى العزم الخمسة ، وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وعهد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين .

وقوله : (ونادياه من جانب الطور) ، أي : الجبل (الأيمن) ، أي : من جانبه الأيمن من موسى ، حين ذهب يبتغي من تلك النار جلوة ، وأما تلوح فقصدتها ، فوجدتها في جانب الطور الأيمن منه ، عند شاطئه الراوي . فكلما ناداه وقربه ونجاه قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى - هو القطان - حدثنا سفيان ، عن عطاء ابن السائب (٥) ، عن معبد بن جبير ، عن ابن عباس : (وقربناه نجبا) ، قال : أدبني حتى سنع صريف (٦) القلم .

(١) البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلا) : ١٧٠/٤ ، وباب قصة إسحاق بن إبراهيم ١٧٩/٤ ، ١٨٠ ، ومسلم ، كتاب الفضائل . باب : « من فضائل يوسف عليه السلام » ١٠٣/٧ .

(٢) البخاري كتاب الأنبياء ، باب : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) : ١٨١/٤ ، ١٨٢ ، وكتاب المناقب . باب : « من انتسب إلى آباءه في الإسلام » : ٢٢٤/٤ ، وتفسير سورة يوسف : ٩٥/٦ وتحفة الأخواني ، تفسير سورة يوسف ، الحديث ٥١١٩ : ٥٤٠/٨ ، ٥٤١ .

(٣) تفسير الطبري ٧٠/١٦٤ .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٤٤ .

(٥) في المخلوطة : « صلاه بن يسار . والصواب من تفسير الطبري . وتنتظر ترجمة عطاء بن السائب في التلخيص : ٢٠٤/٧ ، ٢٠٤/٧ .

(٦) تفسير الطبري ٧١/١٦٤ .

وهكذا قال مجاهد ، وأبو العالية ، وغيرهم : يعنون صريف القلم بكتابة التوراة .

وقال السدي : (وقربناه نجيا) ، قال : أدخل في السماء فكلم ، وعن مجاهد نحوه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (وقربناه نجيا) ، قال : نجيا بصدقه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الجبار بن عاصم ، حدثنا محمد بن سلمة الحراني ، عن أبي الواصل (١) ، عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال : لما قرب الله موسى نجيا بطور سيناء ، قال : ياموسى ، إذا خلقت لك قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وزوجة تدين على الخير ، فلم أخزن منك من الخير شيئا ، ومن أخزن عنه هذا فلم أفصح له من الخير شيئا .

وقوله : (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نجيا) ، أى : واجبتنا سؤاله وشفاعته في أخيه ، فجعلناه نجيا ، كما قال في الآية الأخرى : (وأخى هرون ، هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معي ردفاً يصدقني ، إني أخأتك أن يكونن) (٢) وقال : (قد أوتيت سؤالك ياموسى) (٣) وقال : (فأرسل إلى هرون . ولم على ذنب فأخأت أن يقتلن) (٤) ، ولعلنا قال بعض السلف : ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نجيا ، قال الله تعالى : (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نجيا) .

قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عسكته ، عن داود ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس قوله : (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نجيا) ، قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد ، وهب له نبوته .
وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقا (٥) ، عن يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقي - به -

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٠﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ

عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥١﴾

هذا ثناء من الله على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وهو والد حרב الحجاز كلهم بأنه (كان صادق الوعد) .

قال ابن جرير : لم يحدّ ربه عدة إلا أنجزها (١) : يعنى ما التزم قط عبادة بئس إلا قام بها ، ووقاها حضا .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن سهل بن عقيل حدث : أن إسماعيل النبي عليه السلام وحد رجلا مكانا أن يأتيه ، فجاء ونسى الرجل ، فظل به إسماعيل وibat حتى جاء الرجل من الغد ، فقال : ما برحت من هاهنا قال : لا : قال : إني نسيت : قال : لم أكن لأبرح حتى تأتيني . فذلك : (كان صادق الوعد) (٢) .

(١) هو عبد الحميد بن واصل ، يكنى أبا واصل ، تنظر ترجمته في الجرح لابن أبي حاتم : ١٨/١٣ .

(٢) سورة القصص آية : ٣٤

(٣) سورة طه آية : ٣٦ .

(٤) سورة الشعراء آية : ١٣ ، ١٤ .

(٥) ينظر : ٥٧/٢ ، التعليق رقم : ٥ .

(٦) تفسير الطبري : ٧٢/١٦ .

وقال سفهان الثوري: بلغني أنه أنام في ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه.

وقال ابن شوذب^(١): بلغني أنه اعتك ذلك للموضع سكنا.

وقد روى أبو داود في سننه، وأبو بكر محمد بن جعفر الخراطي^(٢) في كتابه «مكارم الأخلاق»، عن طريق إبراهيم ابن طهمان، عن زيد بن عدي^(٣) بن ميسرة، عن عبد الكريم - يعني ابن عبد الله بن شقيق - عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحسام^(٤) قال: «باعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فيقتل له على بقيته، فوعده أن آتية بها في مكانه ذلك، قال فتميت يومئذ، فأتته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك، فقال لي: يا فتى، لقد شققت علي، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك» لفظ الخراطي، وساق آثاراً حسنة في ذلك.

ورواه ابن مندة أبو عبد الله في كتاب «معركة الصحابة»، بإسناده عن إبراهيم بن طهمان، عن زيد بن ميسرة، عن عبد الكريم، هـ.

وقال بعضهم: إنما قيل له: «صادق الوعد»، لأنه قال لأبيه: «ستجدني إن شاء الله من الصابرين^(٥)»، فصدق في ذلك.

فصدق الوعد من الصفات الحميدة، كما أن خلُقَهُ من الصفات اللئيمة، قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون - كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون^(٦)»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان^(٧)».

ولما كانت هذه صفات المنافقين، كان التلبس بصلها من صفات المؤمنين، ولهذا أتى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضاً، لا يحد أحداً شيئاً إلا وفي له به، وقد أتى على [أبي] العاص بن الربيع زوج ابنته زينب، فقال: «حدثني فضلتني، ووعظت فولي^(٨)»، ولما

(١) هو أبو محمد حديث بن عمر بن شاذب الواسطي المقرئ، حدث واسط، روى عن شعب الصريفي وعبد بن عبد الملك النخعي، وكان من أعيان القراء. توفي سنة ٣٤٢ هـ عن ٩٣ سنة. ينظر العبر للذهبي: ٢٥٩/٢.

(٢) ترجم له الذهبي في العبر: ٢٥٩/٢، وذكر كتابه «مكارم الأخلاق ومساوئ الأخلاق»، وقال: سمع الحسن بن هرة وعمر بن شبة وطبقتهما، وتوفي ببلد فلسطين، في ربيع الأول، سنة ٣٢٧ هـ عن ٩٥ سنة.

(٣) في المخطوطة: «عن عدي بن ميسرة». والوصاب من سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المنعة، الحديث ٤٩٩٦: ٤٩٩٧. وتنتظر ترجمة زيد بن عدي في التلخيص ٤٢٤/١.

(٤) ينظر ترجمة «عدي بن أبي الحسام» في أسد الغابة ٢١٧/٣ بصحيفتنا.

(٥) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٦) سورة الصف، آية: ٢: ٣.

(٧) البخاري، كتاب الإيمان، باب «حالة المنافق»: ١٥/١، وكتاب الشهادات، باب «من أمر بإنجاز العهد»: ٢٣٦/٣. ومسلم، كتاب الإيمان، باب «بيان خصال المنافق»: ٥٦/١.

(٨) البخاري، كتاب الشروط، باب «الشروط في المهر عند عقد النكاح»: ٢٤٩/٣، وكتاب الجادات، باب «من أمر بإنجاز العهد»: ٢٣٦/٣، وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب «ذكر أمهات النبي صلى الله عليه وسلم»: ٢٨/٥، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب «فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام»: ١٤١/٢.

توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال الخليفة أبوبكر الصديق : من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حدة أو دين ، فليأتني أنجز له : فجاهه جابر بن عبد الله ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائمًا لو جاءه مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا - يعني مله كفيه - فلما جاءه مال البحرين أمر الصديق جابرًا ، ففرت يديه من المال ، ثم أمره يحدّه ، فإذا هو خمسمائة درهم ، فأعطاه مظهرها معها .

وقوله : (وكان رسولاً نبياً) ، في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق ، لأنه إنما وصفت بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة : وقد ثبت في صحيح (١) مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » ، وذكر تمام الحديث ، قبل على صحة ما قلناه .

وقوله : (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عنده مرضياً) : هذا أيضاً من الثناء الجميل ، والصفة الحميدة ، والخلة السديمة ، حيث كان مثابراً على طاعة ربه آمراً بها لأهله ، كما قال تعالى لرسوله : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقاً ، نحن نرزقك ، والعاقبة للمتوى) (٢) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، قوا أنفسكم وأهليكم لئلا يوقدوا الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد) (٣) ، الآية ، أى : مروهم بالمعروف ، وأنهم من النكر ، ولا تدعهم سفلًا فتأكلهم النار يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصل ، وأيقظ امرأته ، فان أبته تفتح في وجهها للماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ، وأيقظت زوجها ، فان أبته نضحت في وجهه للماء » أخرجه أبو داود وابن ماجه (٤) .

وعن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وإذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته ، فصلبا ركعتين ، كتباً من الذكركين الله كثيراً والذكرا ت » (٥) . رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، واللفظ له :

(١) كذا قال : « في صحيح مسلم » ، ولم يجده فيه بهذا النص ، والحديث زوّد الإمام أحمد والترمذي من طريق الأوزاعي ، عن أبي حار شداد ، عن وثالة بن الأسمع ، ينظر المسند : ١٠٧/٤ ، وتحفة الأحوص ، أبواب المنقب ، باب « ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣٦٨٤ : ١٠ : ٧٤٪ ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » ، وقال الحافظ أبو المصنف صاحب تحفة الأحوص : « وأخرجه مسلم » . ولما لفظ مسلم ، كما ورد في كتاب الفضائل ، باب « فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم » ٥٧/٧ ، من هذا الطريق المتقدم : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » وهو أيضاً لفظ مسلم كما في شرح الترمذي : ١٥ : ٢٦٪ ، ويبدو - والله أعلم - أنه قد وقع سقط في صحيح مسلم .

(٢) سورة طه ، آية : ١٣٢ .

(٣) سورة النجم ، آية : ٦ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « الحث على قيام الليل » ، الحديث ١٤٥٠ : ٢ : ٧٠٪ ، وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب « ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل » . الحديث ١٣٣٦ : ١ : ٤٢٪ ، ومسند الإمام أحمد : ٢٥٠٪ : ٢٦٦ ، والنسائي ، كتاب قيام الليل ، باب « الترتيب في قيام الليل » : ٣ : ٢٠٠ .

(٥) سنن ابن ماجه ، في الكتاب والباب المقتضين ، الحديث ١٣٣٥ : ١٦١٪ : ٤٢٢ . وسنن أبي داود ، في الكتاب والباب ، المقتضين ، الحديث ١٤٥١ : ٢ : ٧٤٪ .

وَأَمَّا رَفِيعُ الْكَتِفِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّهْضِ عَلَيْهِ ، أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ، وَرَفَعَهُ مَكَانًا عَلَيْهِ ۝

وهذا ذكر إدريس عليه السلام بالنهض عليه ، بأنه كان صديقاً نبياً ، وأن الله رفعه مكاناً علياً . وقد تقدم في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة (١) :

وقد روى ابن جرير هاتين الرؤيا غريباً عجيباً ، فقال : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني جثري بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف قال : سألت ابن عباس كعباً ، وأنا حاضر ، فقال له : ما قولك الله عز وجل لإدريس (ورفعناه مكاناً علياً) ؟ فقال كعب : أما إدريس فإن الله أوحى إليه أن أرفع لك كل يوم مثل حل جميع بني آدم ، فأحب أن يزداد عملاً ، فأناه خليل لاهن الملائكة فقال : إن الله أوحى إلى كلاً وكذا ، فكلمني ملك الموت ، فكتبتُ خزانة حتى ازداد عملاً : فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء ، فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً ، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس فقال : هو ذا على ظهري . قال ملك الموت فاعجب ! بعثتُ وقيل لي : قبض روح إدريس في السماء الرابعة : فجمعت أقول : كيف قبض روحه في السماء الرابعة ، وهو في الأرض ؟ قبض روحه هناك ، فذلك قول الله : (ورفعناه مكاناً علياً) (٢) :

هذا من أخبار كعب الأخبار الإسرائيلية ، وفي بعضه تكرار ، والله أعلم :

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر ، عن ابن عباس : أنه سأل كعباً ، فذكر نحوه ما تقدم ، غير أنه قال للملك : هل لك أن تسأله - يعني ملك الموت - كم بقي من أجل ؟ لكي أزداد من العمل ، وذكر باقيه ، وفيه : أنه سأله عما بقي من أجريه ، قال : لا أدري حتى أنظر ثم أنظر ، قال : إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفه حين ، فنظر للملك تحت جناحه إلى إدريس ، فإذا هو قد قبض عليه السلام ، وهو لا يشعر به .

ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس : أن إدريس كان خياطاً ، فكان لا يفرض إبرة إلا قال : «صباحان الله» ، فكان يسمى حين يسمى ، وليس في الأرض أحد أفضل علامته : وذكر بقية كالكلى قبله ، أو نحوه .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : (ورفعناه مكاناً علياً) ، قال : إدريس رفع ولم يميت ، كما رفع عيسى (٣) وقال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : (ورفعناه مكاناً علياً) قال : السماء الرابعة (٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (ورفعناه مكاناً علياً) ، قال : رفع إلى السماء السادسة فأت بها . وهكذا قال الضحاك بن مزحرم :

وقال الحسن ، وغيره : في قوله : (ورفعناه مكاناً علياً) ، قال : الجنة :

(١) ينظر : ٧/٥ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٢/١٦ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٢/١٦ .

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مِثْلَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى : هؤلاء النبيون - وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط ، بل جنس الأنبياء عليهم السلام ، استعرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس - (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) ﴿١٠٠﴾ الآية .

قال السدي وابن جرير رحمه الله : [فاللئى حتى به من ذرية آدم : إدريس ، واللى حتى به من ذرية من حملنا مع نوح : إبراهيم] واللى حتى به من ذرية إبراهيم : إسحاق ويعقوب وإسماعيل ، واللى حتى به من ذرية إسرائيل : موسى ، وهارون ، وزكريا ، وعيسى ، وعيسى ابن مريم .

قال ابن جرير : ولذلك فرق أنسابهم ، وإن كان يجمع جميعهم آدم ، لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة ، وهو إدريس ، فإنه جلد نوح .

قلت : هذا هو الأظهر أن إدريس في عموم نوح عليهم السلام . وقد قيل : إنه من أنبياء بني إسرائيل ، أصله من حديث الإسراء ، حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم : «مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح» ولم يكمل ، «والولد الصالح» ، كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني ابن لمية ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الله ابن محمد (١) أن إدريس أقدم من نوح بهته الله إلى قومه ، فأمرهم أن يقولوا : «لا إله إلا الله» ، ويسلموا ماشاءوا ، فأبوا ، فأهلكهم الله عز وجل .

[وما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء ، أنها كقوله تعالى في سورة الأنعام : (وتلك حجتنا ، آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء) ، إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا وعيسى وإلياس كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين . ومن آياتهم وذرياتهم وإخوانهم ، واجتبتناهم وهدبناهم إلى صراط مستقيم) إلى أن قال : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، قل : لا أسألكم عليه أجراً ، إن هو إلا ذكرى للعالمين (٢)) . وقال تعالى : (منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك (٣)) وفي صحيح البخاري ، عن مجاهد : أنه سأله ابن عباس : أتى وص ؟ سجنة ؟ قال : نعم ، ثم تلا هذه الآية : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ، فبينكم من أمر أن يقتدى بهم ، قال : وهو منهم ، يعني داود (٤) .

وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة : (إذا تلى عليهم آيات الرحمن ، خروا سجداً وبكياً) ، أى : إذا سمعوا

(١) كلما في خطوطه الأزهر . وفي الطبقات السابقة : «عبد الله بن عمر» .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٨٣ - ٩٠ .

(٣) سورة شاطر ، آية ٧٨ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة الأنعام : ٧١/٦ ، ٧٢ ، وتفسير سورة ص : ١٥٥/٦ .

كلام الله للضعفين حُجَّتْجِه ودلالته وبراهينه ، سجدوا لرهبهم خضوعاً واستكانة ، وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة .

«والبُكْيَى» : جمع بك ، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا ، اقتداء بهم ، واتباعاً لخبرناهم .
قال سفيان الثوري ، من الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر قال : قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم ، فسجد وقال : هذا السجود ، فأتين البُكْيَى ؟ يريد البكاء .
رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وسقط من روايته (١) ذكر «أبي معمر» فيها رأيت ، والله أعلم .

* خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّبُهَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴿٢٨﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٢٩﴾

لما ذكر تعالى حزب السعداء ، وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم ، من القانتين بحدود الله وأوامره ، المؤذنين فرائض الله ، التاركين لزواجه - ذكر أنه (خلف من بعدهم خلف) ، أي : فرون آخر ، (أضاعوا الصلاة) - وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع ، لأنها عماد الدين وقومه ، وخبر أعمال العباد - وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذمها ، ورغبوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، فهو لاء سيلقون غيا ، أي : خساراً يوم القيامة .

وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة هاهنا ، فقال قائلون : المراد بإضاعتها تركها بالكليّة ، قاله محمد بن كعب القرظي ، وابن زيد بن أسلم ، والسدي ، واختاره ابن جرير . ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن الإمام أحمد ، وقول عن الشافعي إلى تكفير تارك الصلاة ، للحديث : « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة (٢) » ، والحديث الآخر : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر (٣) » . وليس هذا محل بسط هذه المسألة .

وقال الأوزاعي ، عن موسى بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة في قوله : (خلف من بعدهم خلف ، أضاعوا الصلاة) ، قال : إنما أضاعوا للواقيت ، ولو كان تركاً كان كفراً (٤) .

وقال وكيع ، عن المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعد ، عن ابن مسعود أنه قيل له : إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) (و) (على صلاتهم دائمون) (و) (على صلاتهم محافظون) ؟ قال ابن مسعود : على موابيها . قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك ؟ قال : ذاك الكفر ،

(١) يمتن الطبري ، ينظر : ٧٣/١٦ ، ٧٤ .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات » : ٦١/١ ، ٦٢ . وأبو داود ، كتاب السنة ، الحديث ٤٦٧٨ : ٤/٤ ، ٢١٩/٤ ، ونجفة الأحمدي ، أبواب الإيمان ، باب « ما جاء في ترك الصلاة » ، الأحاديث ٢٧٥١ - ٢٧٥٣ : ٣٦٧/٧ ، ٣٦٨ ، وقال الترمذي ، وهذا حديث حسن صحيح . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب « ما جاء فيه ترك الصلاة » ، الحديث ١٠٧٨ : ٣٤٢/١ .

(٣) نجفة الأحمدي ، في الكتاب والباب المتضمنين ، الأحاديث ٢٧٥٤ - ٢٧٥٦ : ٣٦٨/٧ ، ٣٦٩ ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب » . والنسائي ، كتاب الصلاة ، باب « الحكم في تارك الصلاة » : ٢٣١/١ ، وابن ماجه ، في الكتاب والباب المتضمنين ، الحديث ١٠٧٩ : ٣٤٢/١ . ومسنود الإمام أحمد عن بريدة الأسلمي : ٣٤٦/٥ ، ٣٥٥ .

(٤) تفسير الطبري : ٧٤/١٦ .

قال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس ، فيكتب من الغافلين ، وفي إلفاظهم الملكة ، وإلفاظهم^(١) إضاعتهم عن وقتهم .

وقال الأوزاعي ، عن إبراهيم بن يزيد : أن عمر بن عبد العزيز قرأ : (فخلف من بعدهم خلف ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا) ، ثم قال : لم تكن إضاعتهم تركها^(٢) ، ولكن أضاعوا الوقت .
وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (فخلف من بعدهم خلف ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) ، قال : عند قيام الساعة ، وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يترو بعضهم على بعض فى الأثرة ، وكذا روى ابن جرير^(٣) ، عن مجاهد ، مثله .

وروى جابر الجعفي^(٤) ، عن مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء بن أبي رباح : أنهم من هذه الأمة : يمتون فى آخر الزمان .
وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا الحسن الأشيب ، حدثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد^(٥) : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) ، قال : هم فى هذه الأمة ، يتركون تركيبه الأنعام والحمر فى الطرق ، لا يخافون الله فى السماء ، ولا يستحيون الناس فى الأرض^(٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ^(٧) ، حدثنا حيوة ، حدثنا بشر بن أبي عمرو الخولاني : أن الوليد بن قيس حدثه ، أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكون خلفك^(٨) بلمعتين سنة ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، ضوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرعون القرآن لا يعدون أقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومناق ، وفاجر . قال بشر : قلت لوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال : المؤمن مؤمن به ، والمناق كافر به ، والفاجر يأكل به :

وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن ، للمقرئ^(٩) ، به^(١٠) .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أنبأنا عيسى بن يونس ، حدثنا حبيب الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن مالك ، عن ابن أبي رباح : أن عائشة كانت ترسل بالشيء صدقة لأهل الصفة ، وتقول : لا تملأوا منه بربرياً ولا بربرية ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هم الخلف الذين قال الله تعالى : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) : هذا حديث غريب^(١١) .

وقال أيضاً : حدثني أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك ، حدثنا الوليد ، حدثنا حنظل ، عن شيخ من أهل المدينة : أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول فى قوله : (فخلف من بعدهم خلف) : الآية ، قال : هم أهل الغرب ، يملكون وهم شر من ملك .

وقال كعب الأحبار : والله إني لأجد صفة المنافقين فى كتاب الله عز وجل : شرايين للتهوات^(١٢) ، تراكين للصلوات

(١) كلما فى غطلة الأثر ، وفى تفسير الطبري : « شريك ، من أبي تيم بن مهاجر بن قول الله ... » .

(٢) تنظر الآثار المتقدمة فى تفسير الطبري : ٧٤/١٦ ، ٧٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣/٣٨٧ ، ٣٩ .

(٤) من وجوه القرابة فيه قصر إضاعة الصلاة على جنس دميته ، وليس فى الكتاب ولا فى السنة الصحيحة دليل على ذلك .

(٥) التهوات : جمع تهوة ، وهى الخمر .

لعابن بالكلمات ، وقادين من الميتات ، مفرطين في الفدوات ، تاركين للجمعات ، قال : ثم تلا هذه الآية : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا) .

وقال الحسن البصري : عطلوا للمسجد ، وازموا الضيعات .

وقال أبو الأشهب المطردي : أوحى الله تعالى إلى داود : يادود ، حَكِّدْ وَأَنْلِرْ أَصْحَابَكَ أَكَلِ الشَّهَوَاتِ ، قَانَ الْقُلُوبَ لِلْمَلَقَةِ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَقِبَهَا غِيٌّ صَحِيحَةٌ ، وَإِنْ أَهَوَى مَا أَصْنَعُ بِالْعِيدِ مِنْ عَيْدِي إِذَا أَكْرَ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ عَلَى إِنْ لَحَرَمَهُ طَاعَتِي »

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو [السميع] (١) التيمي ، عن أبي قبيل ، أنه سمع عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَيْتَ أَخَافُ عَلَى أُمَّيِ اثْنَتَيْنِ : الْقِرْآنَ وَاللَّيْنَ (٢) ، أَمَا اللَّيْنُ فَيَتِيمُونَ الرَّيْفِ ، وَيَتِيمُونَ الشَّهَوَاتِ وَيَتْرَكُونَ الصَّلَاةَ ، وَأَمَا الْقِرْآنُ فَيَتَعَلَّمُهُ لِلنَّافِقِينَ ، فَيُجَادِلُونَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ (٣) .

ورواه عن حسن بن موسى ، عن ابن طلبة ، حدثنا أبو قبيل ، عن عقبة ، به مرغوباً بنحوه (٤) فقد به .

وقوله : (فسوف يلقون غيا) ، قال حلي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (فسوف يلقون غيا) ، أي : خساراً ، وقال قتادة : شراً .

وقال سفيان الثوري ، وشعبة ، ومحمد بن إسحاق (٥) ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي حنيفة ، عن عبد الله بن مسعود : (فسوف يلقون غيا) ، قال : واد في جهنم ، بعيد القبر ، حيث الطعم (٦) .

وقال الأعمش ، عن زياد ، عن أبي عياض في قوله : (فسوف يلقون غيا) ، قال : واد في جهنم من قبح ودم ، وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير : حدثني عباس بن أبي طالب ، حدثنا محمد بن زياد [بن زيار] (٧) ، حدثنا شرف بن قطيب ، عن لقمان بن عامر الخزازي قال : جئت أبا أمامة صدقياً بن حجاج بن الياهل فقلت : حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدحا بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن صخرة زنة عشر أواق قُلت بها من شفر جهنم ، ما بلغت قعرها لحسين خريفاً ، ثم تنتهي إلى غي وأثام . قال قلت : وما غي وأثام ؟ قال : بئران في أسفل جهنم ، يسيل فيهما صديد أهل النار ، وهما اللتان ذكر الله في كتابه : (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا) . وقوله في الفرقان : (وَلَا يَتَزَكُّونَ وَمَنْ يَعْمَلْ فُلْكَ يُلْقَ أَثَامًا) (٨) .

(١) ما بين القوسين من المسند .

(٢) في المخطوطة : « الْقِرْآنَ وَاللَّيْنَ » أما اللكني . والليث من المسند . وفي النهاية : « قال الحرير : أظنه أراد : يتابعون من الأمصار ومن صلاة الجماعة ، ويطلبون مواضع الدين في المراعي والبواصي .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٥٦/٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٤٦/٤ .

(٥) لم يجد في تفسير الطبري رواية لابن إسحاق عن أبي إسحاق السبيعي ، ولعله أبو الأحوص .

(٦) تفسير الطبري : ٧٥/١٦ ، ٧٦ .

(٧) في مخطوطة الأثر : « محمد بن زياد بن زياد » ، وفي تفسير الطبري : « محمد بن زياد بن زيان » . والليث من ترجمته في المرح والتمثيل لابن أبي حاتم : ٢٥٨/٢/٣ .

(٨) تفسير الطبري : ٧٥/١٦ .

هذا حديث قريب ، وورعه منكر .

وقوله : (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) ، أى : إلا من رجع عن ترك الصلاة واتباع الشهوات ، فإن الله يقبل توبته ، ويحسن حاله ، ويعمله من ورثة جنة النعم ؛ ولهذا قال : (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ، وذلك ، لأن التوبة تجب ما قبلها . وفى الحديث الآخر : (الثالث من الذنب كمن لا ذنب له (١)) ، ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التى عملوها شيئاً ، ولا قولوا بما عملوه قبلها فينقص لهم ما عملوه بعدها . لأن ذلك ذهب هتوراً وترك نسياناً ، وذهب منجناً ، من كرم الكريم ، وحلم الحليم .

وهذا الاستثناء هاهنا كقوله فى سورة الفرقان : (والذين لا يمدحون مع الله إلهاً آخر ولا يتولون الضمى الذى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً : يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً (٢)) .

جَنَّاتٌ عَنْ أَتَى وَعْدَ الرَّحْمَنِ جَبَّارٍ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿١٠٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَأَلًا وَلَا نَسْأَلُهُمْ فِيهَا رِزْقًا وَهُمْ فِيهَا بِكَرٍّ وَهْنًا ﴿١٠١﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا لِمَن شَاءَ نَقِيرُ ﴿١٠٢﴾

يقول الجنات التى يدخلها التائبون من ذنوبهم ، هى (جنات عدن) ، أى : إقامة (التى وعد الرحمن عباده) يظهر الغيب ، أى : هى من الغيب التى يؤمنون بها وما رأوه ، وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم .

وقوله : (إنه كان وعده مأتياً) ، تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره ، فإن الله لا يخلط الميعاد ولا يبدله ، كقوله (وكان وعده مفعولاً (٣)) ، أى : كائن لاهالة .

وقوله هاهنا : (مأتياً) ، أى : العباد صابرون إليه ، وصيأونه .

ومنهم من قال (مأتياً) بمعنى آتيا ، لأن كل ما أتاك فقد أتته ، كما تقول العرب : أتت على خمسون سنة ، وأتيت على خمسين سنة ، كلاهما (٤) بمعنى .

وقوله : (لا يسمعون فيها لغواً) ، أى : هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لافعى له ، كما قد يوجد فى الدنيا .

وقوله : (إلا سلاماً) استثناء منقطع ، كقوله : (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيلاً : إلا قبيلاً سلاماً سلاماً (٥)) .

وقوله : (ولهم رزقهم فيها بكرةً وهشياً) ، أى : فى مثل وقت البكرات ووقت العشيات ، لأن هناك ليلاً وأنهاراً ولكنهم فى أوقات تنعاقب ، يعرفون مضيقها بأضواءه وأنوار ، كما قال الإمام أحمد :

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الفقه ، باب ذكر التوبة ، الحديث ٤٢٥٠ = ١٤١٩/٢ = ١٤٢٠ .

(٢) سورة الفرقان ، الآيات : ٦٨ - ٧٠ .

(٣) سورة المزمل ، آية : ١٨ .

(٤) ذكر ذلك الطبري من بعض غوري الكوفة : ٧٦/١٦ .

(٥) سورة الواقعة ، آية : ٢٥ = ٢٦ .

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أول زُمرَةٍ تلج الجنة صُورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يصفون» (١) فيها ، ولا يمشطون فيها ، ولا يتخفون . آتيتهم وأشاطهم الذهب والفضة ، وعجاسهم الألوكة» (٢) ، و«شُحهم للسكر ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى من ساقيهما من وراء اللحم ، من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا» (٣) .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث معمر ، به (٤) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحارث بن فضيل الأنصاري ، عن محمود ابن يزيد الأنصاري ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الشهداء على بارق نهر بياب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا» (٥) . فردد به أحمد من هذا الوجه .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» ، قال : مقادير الليل والنهار :

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سفيان ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : سألت زهير بن عدي ، عن قول الله تعالى : «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» ، قال : ليس في الجنة ليل ، هم في نور أبدا ، ولهم مقدار الليل والنهار ، يعرفون مقدار الليل بإرشاد الحبيب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجاب وفتح الأبواب .

وبهذا الإسناد عن الوليد بن مسلم ، عن خليد ، عن الحسن البصري ، وذكر أبواب الجنة ، فقال : «أبواب يُرى ظاهرها من باطنها ، وتكلم قلوبهم فيها» (٦) ، فضل .

وقال قتادة في قوله : «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» : فيها ساعتان ، بكرة وعشى ، ليس ثمَّ ليل ولا نهار ، وإنما هو ضوء ونور :

وقال جهم : ليس بكرة ولا عشى ، ولكن يُؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا .

وقال الحسن ، وقاتدة ، وغيرهما : كانت العرب ، الأتعم فيهم ، من يتعدى ويتعشى ، ونزل القرآن على ما قات أنفسهم من التعم ، فقال تعالى : «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» .

وقال ابن مهدي ، عن حماد بن زيد ، عن هشام ، عن الحسن : «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» ، قال : البكور يرد على العشى ، والعشى يرد على البكور ، ليس فيها ليل .

(١) في المتن : «لا يمشون ولا يمشون فيها» .

(٢) الألوكة - بفتح الهمزة وضمة - : العود الذي يتغير به . قال الأصمعي : «أرادها كلمة فارسية حربت» . ينظر البريبي .

الهرودي : ٧٧/١ . والنهاية لابن الأثير : ٦٣/١ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣١٦/٢ .

(٤) البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب «ما جله من صفة الجنة وأنها مخلوقة» : ١٤٢/٤ ، ومسلم : كتاب الجنة ،

باب «في صفات الجنة وأهلها» : ١٤٧/٨ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٦٦/١ .

(٦) تفسير الطبري : ٧٧/١٦ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا [سليم (١)] بن منصور بن عمار ، حدثني أبي ، حدثنا محمد بن زياد قاضي (٢) أهل شمشاط (٣) ، عن عبد الله بن حنبلير (٤) ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مامن غداة من غداوات الجنة ، وكل الجنة غداوات ، إلا أنه يؤتى إلى ولي الله فيها زوجة من الخور العين ، أذاهن التي خلقت من أثر حفران »

قال أبو محمد : هذا حديث منكر :

(تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) ، أي : هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي [التي] نورثها عبادنا للفقين ، وهم للمطيعين لله عز وجل في السراء والضراء ، والكاظمون الغيظ ، والعالفون من الناس ، وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنين : (قد أفلق اللؤمئون : الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، إلى أن قال : (أولئك هم الوارثون) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (٥) .

وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١٠﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١١﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا يَحْيَى وكثير قالوا : حدثنا عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبلة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ قال : فتولت . (وما نتزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية (٦) :

انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبي نعيم ، عن هُثَيْرِ بْنِ ذَرٍّ ، به . ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، من حديث عمر بن ذر ، به (٧) . وعندهما زيادة في آخر الحديث ، فكان ذلك الجواب لحمد صلى الله عليه وسلم :

(١) في المخطوطة : « ساجان بن منصور » . والثابت من ترجمة « سليم » في البحر والتعديل لابن أبي حاتم : ٢١٦/٢ . و ترجمة أبيه « منصور بن عمار » في البحر أيضا : ١٧٩/٤ .

(٢) محمد بن زياد هذا يلقب بهتل . ننظر ترجمته في البحر والتعديل لابن أبي حاتم : ١٢٢/٢ ، ١٢٣ .

(٣) قال ياقوت : « شمشاط : بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وشين مثل الأول ، وآخره طاء مهمله : مدينة بالروم على شاطئ الفرات » .

(٤) كلما في الطبعات السابقة ، وفي المخطوطة : « عبد الله بن جرير » . ولم تتبين بعد هذا الاسم . ولعله ألقب بن حدير . ترجمته في البحر : ٤١/٢ .

(٥) سورة « المؤمنين » ، الآيات : ١ - ١١ .

(٦) حديث يدل في المسند : ٢٣١/١ ، وحديث وكيع في المسند : ٢٣٣/١ ، وكثير رواية ثالثة في المسند :

٣٥٧/١ .

(٧) البخاري ، تفسير سورة مريم : ١١٨/٦ ، ورواه البخاري أيضا في كتاب به التعلق : ١٣٧/٤ من أبي نعيم .

ورواه في كتاب التوحيد عن خالد بن يحيى ، عن عمر بن ذر : ١٦٦/٩ .

وقال الموفى ، عن ابن عباس : احتبس جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَوَجِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وَحَرَّ ثَنَاءَهُ جبريل وقال : يا محمد ، (وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا ، وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً) (١) :

وقال مجاهد : لبث جبريل عن محمد صلى الله عليه وسلم اثني عشرة ليلة ، ويقولون [قُلَيْبَ] ، فلما جاءه قال : يا جبريل ، لقد رِئِيتُ (٢) «حَى» ، حتى ظن المشركون كلَّ ظن . فترلت (وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا ، وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً) قال : وهذه الآية كالتى فى الضحى .

وكذلك قال الضمك بن مؤكحم ، وقتادة ، والسدى ، وغير واحد : إنها نزلت فى احتباس جبريل (٣) :

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : أبطل جبريل التزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً ، ثم نزل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما نزلت حتى اشتقت إليك . فقال له جبريل : بل أنا كنت إليك أشوق ، ولكنى مأمور ، فأوحى إلى جبريل أن قل له : (وما ننزل إلا بأمر ربك) . . الآية : رواه ابن أبي حاتم رحمه الله ، وهو غريب :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد قال : أبطلت الرسلُ على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاه جبريل فقال له : ما حبسك يا جبريل ؟ فقال له جبريل وكيف تأتيكم وأنتم لاتنصون أطفالكم ، ولاتتفتشون براسكم (٤) ، ولاتأخذون شواربكم ، ولا تستأكون ؟ . ثم قرأ : (وما ننزل إلا بأمر ربك) . . إلى آخر الآية :

وقد قال الطبراني : حدثنا أبو حاتم النحوى ، حدثنا محمد بن إبراهيم الصورى ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدثنا إسماعيل بن هياش ، أنبأني ثعلبة بن مسلم ، عن أبي كعب مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل أبطل عليه ، فذكر ذلك له ، فقال : وكيف وأنتم لاتستفتشون ، ولاتتفتشون أطفالكم ، ولاتنصون شواربكم ، ولاتتفتشون روابكم (٥) .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن أبي اليمان ، عن إسماعيل بن هياش ، به نحوه (٦) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا المنيرة بن حبيب (٧) [خ٧] مالك بن دينار : حدثني شيخ من أهل المدينة : عن أم سلمة قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأصلحى لنا المجلس ، فإنه

(١) تفسير الطبرى : ٧٨/١٦ .

(٢) لى : أبطلات ، يقال : «رأيت فلاناً يريث» : إذا أبطل .

(٣) تنظر الآثار المتقدمة فى تفسير الطبرى : ٧٨/١٦ .

(٤) البراهم : هى المقد التى فى ظهور الأصابع ، يجتمع فيها الوسخ ، الراسبة : بالضم . وإثاقها : تنظيفها .

(٥) الروابج : ما بين عقد الأصابع من داخل ، واحدا : راجية ، ويقول ابن الأثير هنا «والبراهم : المقد المتشعبة فى ظاهر الأصابع» .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٤٣/١ .

(٧) فى المختصرة : «المنيرة بن حبيب ، عن مالك ...» . والمثبت من المسند ، والبرج والتعديل لابن أبي حاتم :

يقول ملك إلى الأرض ، لم يتول إليها قطه (١) :

وقوله : (له ما بين أيدينا وما خلفنا) ، قيل : المراد : ما بين أيدينا : أمر الدنيا ، وما خلفنا : أمر الآخرة ، (وما بين ذلك) : ما بين الفئتين : هذا قول أبي العالية ، وعكرمة ، وعجاجة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، في رواية عنهما ، والسدي ، والرياح بن أنس .

وقيل : (ما بين أيدينا) ما نستقبل من أمر الآخرة ، (وما خلفنا) ، أي : ما مضى من الدنيا ، (وما بين ذلك) ، أي : ما بين الدنيا والآخرة : يروى نحوه عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والفضلك ، وقتادة ، وابن جرير ، والثوري ، واختاره ابن جرير أيضاً (٢) ، والله أعلم .

وقوله : (وما كان ربك نسياً) ، قال مجاهد : معناه ما نسيتك ربك (٣) :

وقد تقدم عنه أن هذه الآية كقوله : (والضحى . والليل إذا سجى : ما ودعك ربك وما قلى) :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا محمد بن عثمان -- يعني أبا الجاهم -- حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا حاصم بن رجا ، بن حنيفة ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء يرفعه قال : ما أكل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت [عنه] فهو حافية ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً . ثم تلا هذه الآية : (وما كان ربك نسياً) (٤) .

وقوله : (رب السموات والأرض وما بينهما) ، [أي : خالق ذلك ومدبره ، والخالق فيه والمصرف الذي لا معقب لحكمه ، غائبه واصطبر لعبادته] هل تعلم له سميّاً ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هل تعلم للرب مثلاً أوشبهاً .

وكذلك قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وابن جرير وغيرهم :

وقال عكرمة ، عن ابن عباس : ليس أحد يسمى الرحمن (٥) غيره تبارك وتعالى ، وتخلص اسمه :

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا ۖ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا ۖ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَقْبَضَنَّهُمْ عَلَىٰ جَهَنَّمَ جَذِيبًا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا ۖ أَشَدَّ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَولىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ

يُخْبِرُ تعالى عن الإنسان أنه ينبغي ويستجد إعادته بعد موته ، كما قال تعالى : (وإن تعجب فاعجب قولهم : أنذا كنا تربواً أننا لفي خلق جديد) (٦) ؟ وقال : (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا

(١) مستد الإمام أحمد : ٢٩٦/٦ .

(٢) تنظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ٧٩/١٦ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٩/١٦ .

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبخاري ، وابن مردويه ، والبيهقي

في سننه ، والحاكم وصححه : ٢٧٩/٤ .

(٥) تنظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ٧٩/١٦ .

(٦) سورة الرعد : آية ٥٠ .

مثلا ونسب خلقه ، قال : من يحيى العظام وهى رميم • قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم(١) وقال هاهنا : (ويقول الإنسان : أئذا ماتت ، لسوف أخرج حيا • أولاد ذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ، يستدل تعالى بالبداية على الإعادة ، يعنى أنه تعالى خلق الإنسان ولم يك شيئا ، أثلا يعيده وقد صار شيئا ، كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه) (٢) ، وفى الصحيح : يقول الله تعالى : كذبى ابن آدم ولم يكن له أن يكذبى • وأذائق ابن آدم ولم يكن له أن يؤذنى : أما تكذيبه إياى قوله : « لن يعيدنى كما بدأنى » وليس أول الخلق بأهون على من آخره • ولما أذاه إياى قوله : « إن نى ولدنا » ، وأنا الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد(٣) » .

وقوله : (فوبك لنحشرهم والشياطين) أقم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة ، أنه لا بد أن ينحشرهم جميعا وشياطينهم اللذين كانوا يميلون من دون الله ، (ثم لنحشرهم حول جهنم جثيا) قال العوفي ، عن ابن عباس : يعنى قهردا ، كقوله : (وترى كل أمة جاثية)(٤) وقال السدى فى قوله : (ثم لنحشرهم حول جهنم جثيا) ، يعنى : قياما(٥) . وروى عن مرة ، عن ابن مسعود [مثله] ،

وقوله : (ثم لنترعن من كل شعبة) ، يعنى : من كل أمة : قاله مجاهد ، (أهم أشد على الرحمن عتيا) .

قال الثورى ، عن (على بن(٦) الأعمش) ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود قال : يحبس الأول على الآخر ، حتى إذا تكاملت الأمة ، أتاهم جميعا ، ثم بدأ بالأكابر ، فالأكابر جرما (٧) : وهو قوله : (ثم لنترعن من كل شعبة أهم أشد على الرحمن عتيا) .

وقال قتادة : (ثم لنترعن من كل شعبة أهم أشد على الرحمن عتيا) ، قال : ثم لنترعن من أهل كل دين قاضهم [ورؤسائهم] فى الشر . وكذا قال ابن جرير ، وغير واحد من السلف . وهذا كقوله تعالى : (حتى إذا اذكروا فيها جميعا قالت أنهرهم لأولادهم : ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم حذابا ضعفا من النار ، قال : لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون وقالت أولادهم لأعراهم : فما كان لكم علينا من فضل ، فلو قوا الطلاب بما كنتم تكسبون(٨)) .

(١) سورة يونس : الآيات ٧٧ - ٧٩ .

(٢) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٣) أخرجه البخارى فى تفسير سورة البقرة : ٢٤/٦ . والإمام أحمد فى مسنده : ٣٥٠/٢ ، ٣٥١ . عن أبى هريرة .

وقد تقدم الحديث عند الآية ١١٦ من سورة البقرة : ٢٣٠/١ ، ٢٣١ .

(٤) تفسير الطبرى : ٨٠/١٦ .

(٥) القدر المنظور ، عن ابن أبى حاتم : ٢٧٩/٤ ، ٢٨٠ .

(٦) فى المخطوطة : « قال الثورى ، عن أبى ... من أبى الأحوص » والمثبت عن تفسير الطبرى . وينظر فى التلخيص ترجمة أبى الأحوص حوف بن مالك بن فضالة : ١٦٩/٨ .

(٧) تفسير الطبرى : ٨١/١٦ .

(٨) سورة الأعراف ، آية : ٣٨ ، ٣٩ .

وقوله : (ثم لننحن أعلم بالذين هم أولى بها صلباً) ، ثم هاننا لعطف الخبر على الخبر ، والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصل بئار جهنم ويغلد فيها ، وبمن يستحق تضعيف الصلب ، كما قال في الآية المنقضة : (قال : لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون) .

وإن منكم إلا واردة^١ كان على ربك حتماً مقضياً^٢ ثم نجى الذين آمنوا وندر الظالمين فيها جثياً^٣

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا غالب بن سليمان ، عن كثير بن زياد البُرْمانى ، عن أبي سُمَيْه قال : اخطفنا في الورود ، فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم (١) يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين آمنوا ؛ فلقيت جابر بن عبد الله ، فقلت له (٢) : إنا اخطفنا في الورود ، فقال : يردونها جميعاً — وقال سليمان مرة : يدخلونها جميعاً — وأمرى بأصبيه إلى أذنيه ، وقال : صمتاً ، إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا ينجي (٣) ولا تاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن النار (٤) ضجيجاً من بردهم ، ثم ينجي الله الذين آمنوا ، ويلد الظالمين فيها جثياً » (٥) غريب ولم يَرْجوه .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا مروان بن معاوية ، عن بكار بن أبي مروان ، عن خالد بن معدان قال : قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال : تجد مرثم عليها وهي خاملة (٦) .

وقال عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته ، فيكى ، فيكى امرأته فقال : ما يكيك ؟ فقالت رأيتك تكي فيكى . قال : إلى ذكرت قول الله عز وجل : (وإن منكم إلا واردة) ، فلا أدرى أخبر منها أم لا ؟ وفى رواية : وكان مريضاً (٧) . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن يمان ، عن مالك بن مغول ، عن أبي إسحاق : كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال : يا ليت أبى لم تلتقى ، ثم يكي ، قليل ، ما يكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال : أخبرنا أنا واردوها ، ولم نُخْبِرْ أنا صادرون عنها (٨) .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن الحسن البصرى قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك ؟ أتاك وارتد النار ؟ قال : نعم . قال : فهل أتاك أنك صادر لهما ؟ قال : لا ؛ قال : ضم الضمك ؟ قال : فما رنى ضاحكاً حتى لحق (٩) بالله .

(١) في المسند : « وقال بعضنا » .

(٢) لفظ المسند : « فقلت له : إنا اخطفنا في ذلك الورود . فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن . وقال بعضنا : يدخلونها جميعاً . فأمرى ... » .

(٣) لفظ المسند : « يقول : والورود : الدخول ، لا بين ... » .

(٤) لفظ المسند : « حتى إن النار — أوقال : بلهم » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣/٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٦) تفسير الطبري : ١٦/٨٢ . وفى سننه : « بكار بن أبي مروان » . وهو كذلك في الطبري . وفي المنطوية : « بكار ابن أبي مروان » . ولم نجد بكاراً هنا .

(٧) تفسير الطبري : ١٦/٨٣ . ونظائر ترجمته في أسد الغابة : ٣/٢٣٦ ، بتحقيقنا .

(٨) تفسير الطبري : ١٦/٨٢ .

(٩) تفسير الطبري : ١٦/٨٤ .

وقال عبد الرزاق أيضاً : أخبرنا ابن حبيب ، عن عمرو ، أخبرني من سمع ابن عباس ، عن نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود الشوك ؟ فقال نافع : لا : قرأ ابن عباس : (إنكم وما تبعون من دون الله حسب جهنم أنتم ما واردون) (١) ؛ وردوا أم لا ؟ وقال : (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) (٢) أورد أم لا ؟ أما أنا وأنت فستدخلها ، فانظر هل تخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله يخرجك منها بتكديك : فضحك نافع (٣) .

وروى ابن جرير ، عن عطاء قال : قال أبو راشد الحنوري - وهو نافع بن الأزرق - : (لا يسمعون حسيها) ، فقال ابن عباس : ويلك ه أجنون أنت ؟ أين قوله : (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) ، (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) ، (وإن منكم إلا واردها) ؟ والله إن كان دهاء من مضى : اللهم ، أخرجنى من النار سالماً ، وأدخلني الجنة خاتماً (٤) .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن حبيب الحارثي حدثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن عبيد الله ، عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل يقال له : أبو راشد ، وهو نافع بن الأزرق ، فقال له : يا ابن عباس ، رأيت قول الله : (وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً) ؟ قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسردها ، فانظر : هل تصدر عنها أم لا ؟ (٥) .

وقال أبو داود الطيالسي : قال شعب ، أخبرني عبد الله بن السائب ، عن سمع ابن عباس يقرؤها : (وإن منهم إلا واردها) يعني الكفار (٦) :

وهكذا روى عرب بن الوليد الشبي ، أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك (وإن منهم إلا واردها) ، قال : وهم الظلمة كذلك كما تقرؤها : رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٧) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) ، يعني البر والفاجر ، ألا نسمع إلى قول الله لفرعون : (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد للورود) ، (ونسوق للمجرمين إلى جهنم وردا) ، فسمى الورد في النار دخولا ، وليس يصادر (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - (وإن منكم إلا واردها) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرد الناس [النار] كلهم ، ثم يصبرون عنها بأعماهم » (٩)

(١) سورة الأَنْبياء آية : ٩٨ .

(٢) سورة هود آية : ٩٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٨١/١٦ ، ٨٢ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٢/١٦ .

(٥) تفسير الطبري : ٨٤/١٦ .

(٦) تفسير الطبري : ٨٢/١٦ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٢١٠/٦ . وقد ورد في تفسير الطبري : (وإن منكم) ، فكان الخطأ في هذه القراءة .

(٧) تفسير الطبري : ٨٢/١٦ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٤٣٤/١ ، وما بين القوسين منه .

ورواه الرملى عن عبد بن حميد ، عن عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، به : ورواه من طريق شعبة ، عن السدى عن مرة ، عن ابن مسعود موقوفاً (١) :

مكننا وقع هذا الحديث هاهنا موقوفاً ، وقد رواه ، أسباط ، عن السدى ، عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : يرد الناس جميعاً الصراط ، وورودهم قيامهم حول النار ، ثم يصلون عن الصراط بأعمالهم ، فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل الريح ، ومنهم من يمر مثل الطير ، ومنهم من يمر كأجود الخيل ، ومنهم من يمر كأجود الإبل ، ومنهم من يمر كعدو الرجل ، حتى إن آخرهم مرا وجل نوره على موضعي إلهي قدميه ، يمر بكتفاً به الصراط ، والصراط دَحْضُ (٢) مَرْكَلَةٍ ، عليه حسك كحسك (٣) القَتَادِ ، حافاه ملائكة ، معهم كلاب من نار ، يختطفون بها الناس : وذكر تمام الحديث : ورواه ابن أبي حاتم :

وقال ابن جرير : حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر ، حدثنا إسرائيل ، لشعباً أبو إسحاق ، عن ابن الأحرص عن عبد الله : قوله : (وإن منكم إلا ورجها) ، قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم (٤) . ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما ، من رواية أنس ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وجابر ، وغيرهم ، من الصحابة رضي الله عنهم (٥) .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عسكبة عن الجريزي ، عن (أبي السليل) (٦) ، عن غثيم بن قيس قال : ذكروا ورود النار ، فقال كعب : نملك النار لناس كأنها مَتَنُ إِمَائِهِ (٧) حتى يستوى عليها أقدام الخلائق ، يهرم وفاجرهم ، ثم ينادي ناد : أن اسكي أصحابك ، ودعي أصحابي . قال : فتخسف بكل ولي لها ، ولكي أعلم بهم من الرجل يولده ، ويخرج المؤمنون لتجبة ثيابهم . قال كعب : ما بين منكبي الخازن من خزنها مسيرة سنة ، مع كل واحد منهم عود خوشعتين ، يطفئ به في النفع فيصرع به في النار وسيمائة ألف (٨) ،

(١) تحفة الأحرفى ، تفسير سورة مريم ، الحديث ٥١٦٨ : ٦٠٥/٨ - ٦٠٧ ، وقال : « هذا حديث حسن » ورواه شعبة عن السدى ، ولم يرقه . وساق حديث شعبة ، وهو يرقم ٥١٦٩ ، ٥١٧٠ ، ٦٠٧/٨ ، ٦٠٨ .

(٢) المسقى : الزلق .

(٣) المسك : الشوك . ولقتاد : شجر له شوك .

(٤) تفسير الطبري : ٨٣/١٦ .

(٥) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « والصراط جسر جهنم » : ١٤٦/٨ - ١٤٨ ، عن أبي هريرة وأبي سعيد ، وكتاب التوحيد : ١٥٨/٩ - ١٦١ عن أبي سعيد . وكتاب الصلاة ، باب « فضل السجود » : ٢٠٤/١ - ٢٠٥ عن أبي هريرة وأبي سعيد . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « معرفة طريق الرؤية » : ١١٢/١ ، وعن أبي سعيد : ١١٤/١ .

(٦) في الأصول : « عن ابن أبي ليل » ، مكان : « عن أبي السليل » . وللتب من الطبري ، والطبقات السابقة . وينظر التلخيص ، ترجمة أبي السليل صريح بن قتيير : ٤٥٧/٤ ، ٤٥٨ .

(٧) الإمامة - بكر الميزة - : كل شيء من الأعدان ما يؤكل به . وقيل هو ما أذيق من الآلية والشحم . وقيل : السم الجلد . وفي التريين لهرودي ١٠٥/١ : « قال ابن المبارك : أما ترى السم إذا جد له رأس المرقة . وقال عمر : متن الإمامة : ظهر لها إذا سكنت في الإثم . وإنما شبه كسب سكوت جهنم قبل أن يصير الكافر فيها ، بذلك » .

(٨) تفسير الطبري : ٨٢/١٦ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، عن حفصة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهيداً بدرأً والحديدية . قالت : قلت : أليس الله يقول : (وإن منكم إلا واردها ؟) قالت : فسمعه يقول : (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) (١) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر - امرأة زيد بن حارثة - قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة ، فقال : لا يدخل النار أحد شهيداً بدرأً والحديدية . قالت حفصة : أليس الله يقول : (وإن منكم إلا واردها ؟) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثم ننجي الذين اتقوا) (٢) .

وفي الصحيحين ، من حديث الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تحسه النار ، إلا تحلته القسم (٣) .

وقال عبد الرزاق : قال معمر : أخبرني الزهري ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من مات له ثلاثة ، لم تحسسه النار إلا تحلته القسم » . يعني الورود (٤) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا زغبة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يموت مسلم ثلاثة من الولد ، تحسسه النار إلا تحلته القسم » . قال الزهري : كأنه يريد هذه الآية : (وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً) (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا عمران بن بكار الكلابي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جهم ، حدثنا إسماعيل بن حبيب الله ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلاً من أصحابه وعسكاً ، وأنا معه ، ثم قال : « إن الله تعالى يقول : هي ناري أسلطان على عبيد المؤمنين ، لتكون حظهم من النار في الآخرة » . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٨٥/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٦٢/٦ .

(٣) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب « فضل من مات له ولد فاحتسب » : ٩٣/٢ . وكتاب الأيمان ، باب « قول الله تعالى : (والتمسوا بالله جاهد أيمانهم) » : ١٦٧/٨ . وصلى كتاب البر ، باب « فضل من يموت له ولد فيحسبه » : ٣٩/٨ .

وفي النهاية لابن الأثير : « قيل : أراد بالقسم قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) ، تقول العرب : « ضربه تحليلاً » و « ضربه تحليلاً » إذا لم يبلغ في ضربه . وهذا مثل في القليل المفرط في القلة ، وهو أن يبشر من الفعل الذي يقسم عليه المقدار الذي يبر به نفسه ، مثل أن يخلف على النزول بمكان ، فلز وقع به وقمة خفيفة أجزأته ، ففك تحلة قسمه . فالنبي : لا تحسه النار إلا مئة يسيرة مثل تحلة قسم الخائف ، ويريه بصلته للورود على النار والاحتياط بها » .

(٤) تفسير الطبري : ٨٦/١٦ .

(٥) منحة المعبود ، باب « ما جاء في الصبر على موت الأولاد وثواب ذلك » : ٤٦/٢ .

(٦) تفسير الطبري : ٨٣/١٦ ، ٨٤ .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عبان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : الحمى حظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ : (وإن منكم إلا واردها) (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لبيعة ، حدثنا زيان بن قائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ (قل هو الله أحد) ، حتى يضمها عشر مرات ، بنى الله له قصرًا في الجنة : فقال عمر : إذا نستكثر يا رسول الله : فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] « الله لا أكثر وأطيبه » (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ آية في سبيل الله ، كتبه يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا ، إن شاء الله : ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعًا لا بأجرة سلطان ، لم ير النار بعيني إلا محلة القسم ، قال الله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) ، وإن الذكر في سبيل [لله] يُصَحَّفُ فوق الثقة بسبعائة ضعف ، وفي رواية : بسبعائة ألف ضعف » (٣) .

وروى أبو داود ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أبيوب [وسعيد بن أبي أيوب] كلاهما عن زيان ، عن سهل ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الصلاة والصيام والذكر تُضَاعَفُ على الثقة في سبيل الله بسبعائة ضعف » (٤) .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قوله : (وإن منكم إلا واردها) ، قال : هو الممر عليها (٥) . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (وإن منكم إلا واردها) ، قال : ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرها ، وورود المشركين : أن ينزلوها ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الزالون والزالات يومئذ كثير ، وقد أحاط بالجسر يومئذ سيمطان (٦) من الملائكة : دعاؤهم : يا الله ، سلم سلم (٧) .

وقال السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود في قوله : (كان على ربك حنًا مقصيا) ، قال : قسما واجبا (٨) . وقال مجاهد : (حنًا) ، قال : قضاء : وكذا قال ابن جريج .

وقوله : (ثم ننجي الذين اتقوا) ، أي : إذا مر الخلاق كلهم على النار ، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصي ، يحسبهم ، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم . فنجواهم من الصراط وسرعتهم بقدر

(١) تفسير الطبري : ٨٣/١٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٣٧/٤ .

(٣) تقدم الحديث في سورة آل عمران : ١٧٦/٢ ، وسورة النساء : ٣١١/٢ ، وخرجناه هناك ، وانظره في مسند الإمام أحمد : ٤٣٧/٣ ، ٤٢٨ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « في تضعيف الذكر في سبيل الله تعالى » ، الحديث ٢٤٩٨ : ٨/٣ . وما بين للتوسين في المسند سقط من تفسير ابن كثير ، أثبتناه من سنن أبي داود .

(٥) تفسير الطبري : ٨٣/١٦ .

(٦) السباط : الصف . وقد تقدمت في : ٣٧٤/٤ .

(٧) تفسير الطبري : ٨٣/١٦ .

(٨) تفسير الطبري : ٨٦/١٦ .

أعمالهم التي كانت في الدنيا ، ثم يشفعون في أصحاب الكبار من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبون والمؤمنون ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار ، إلا دارات وجوههم - وهي مواضع السجود - وإخراجهم لإيمانهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان ، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مقال دينار من إيمان ، ثم الذي يليه ثم الذي يليه [ثم الذي يليه] ، حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى مقال ذرة من إيمان ، ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر : **و لا إله إلا الله** ، وإن لم يعمل خيراً قط ، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود ، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال : (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً)

وَأَذَانًا لِّتِلْكَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًا ﴿٥٠﴾ وَكَذَلِكَ قَبَلَهُمْ مِّنْ قُرْآنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَا وَرَدَّيَا ﴿٥١﴾

يُخبر تعالى عن الكفار حين تلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان : أنهم يصلون عن ذلك ، ويعرضون ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم وعندين على صفة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم : (خير مقاما وأحسن نديا) ، [أي : أحسن منازل وأرفع دورا وأحسن نديا] ، وهو مجتمع الرجال للحديث ، أي : نادبهم أمر وأكثر واردا وطارقا ، يعنون : فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل ، وأولئك [الذين هم] مضمون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق ؟ . كما قال تعالى خبراً عنهم : (وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا إليه) (١) . وقال قوم نوح : (أنؤمن لأثوابكم الأبدون) (٢) ؟ وقال تعالى : (وكللكم فتنا بعضهم ببعض ، يقولوا : هؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ . أليس الله بأعلم بالشاكرين) (٣) ؟ ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) ، أي : وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم ، (هم أحسن أثنائاً وديناً) ، أي : كانوا أحسن من هؤلاء أموالا وأمتة ومناظر وأشكالا .

قال الأعشى ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : (خير مقاما وأحسن نديا) ، قال : المقام : المنزل ، والندي : المجلس ، والأثاث : الخاف ، والرأى : المنظر (٤) .

وقال الموفى ، عن ابن عباس : المقام : المسكن ، والندي : المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها ، وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقصّ شأنهم في القرآن : (كم تركوا من جنات وعيون . وزروع) (٥) ومقام كريم) ، فالمقام : المسكن والنعيم ، والندي : المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه ، وقال فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط : (وتأتون في ناديكم المنكر) ، والعرب تسمى المجلس : النادي (٦) .

(١) سورة الأحقاف : آية : ١١ .

(٢) سورة الشعراء : آية : ١١١ .

(٣) سورة الأنعام : آية : ٥٣ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٧/١٦ .

(٥) في المخطوطة وتفسير الطبري : «وعيون . وكنوز ومقام» والآية من سورة الشعراء : ٢٥ .

(٦) تفسير الطبري : ٨٧/١٦ ، ٨٨ .

وقال قتادة : لا رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشوة ، وفيهم قساسة ، تعرّض أهل الشرك بما تسمعون : (أى القرين خير مقاما وأحسن نديا) (١) ، وكذا قال مجاهد ، والضحاك ،

ومنهم من قال في الآثام : هو المال : ومنهم من قال : المتاع : ومنهم من قال : الثياب : والرقي : النظر ، كما قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد :

وقال الحسن البصري : يعنى الصور : وكذا قال مالك : (أنثا ورثيا) : أكثر أموالا ولحسن صورا ، والكل مثقاب صحيح .

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ يُوعَدُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضعَفُ جُنْدًا

يقول تعالى : (قل) يا محمد ، هؤلاء للمشركين برهم للدين ، أنهم على الحق وأنكم على الباطل : (من كان في الضلالة) ، أى : منا ومنكم ، (فليمد له الرحمن مدا) ، أى : فأتسكنه الرحمن فيها هو فيه ، حتى يلقى ربه ويقضى أجله ، (إما المذاب) يصيبه ، (وإما الساعة) بفتح ثأنيه ، (فليعلمون) حيثل (من هو شر مكانا وأضعف جندا) ، في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي .

قال مجاهد في قوله : (فليمد له الرحمن مدا) ، فليدعه الله في طغيانه . وهكذا قرر ذلك أبو جبر بن جرير رحمه الله (٢) :

وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون [أنهم] على هدى فيما هم فيه ، كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله : (قل : يا أيها الذين هادوا ، إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (٣) ، أى : ادعوا على المبطل منا ومنكم بالموت إن كنتم تدعون أنكم على الحق ، فإنه لا يشركم الدعاء . فنكلوا عن ذلك ، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة البقرة (٤) مبسوطا . والله الحمد . وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر ، واستمروا على الطغيان والفلو في دعواهم أن عيسى ولد الله ، وقد (ذكر) الله سبحانه وبراهينه على عبودية عيسى ، وأنه مخلوق كآدم ، قال بعد ذلك : (فن حاجك فيه لمن بعد ماجاك من العلم ، فقل : تعالوا ندع آياتنا وإبائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبهل منجمل الله لئلا تكونوا على الكاذبين) (٥) ، فنكلوا أيضا عن ذلك :

(١) تفسير الطبري : ٨٨ / ١٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٨٨ / ١٦ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٦ .

(٤) ينظر : ١٨٢ / ١ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ٤٠ .

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الْمُبَرَّكُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿١٦﴾

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الصلاة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه ، أخبر بزيادة المهتدين هدى ، كما قال تعالى : (وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً ، فَهُمْ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : أَلَيْكُمْ زَانِدَةٌ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَوْهُمْ يُؤْمِنُونَ وَيَسْتَبْشِرُونَ) وأما الذين في قلوبهم مرض ، فرأَوْهُمْ رَجَسًا إِلَى رَجْسِهِمْ ، وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١) .

وقوله : (وَالْبَيْتُ الْمُبَرَّكُ) ، قد تقدم تفسيرها ، والكلام عليها ، وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة (الكهف) (٢) .

(خير عند ربك ثواباً) ، أى : جزاءه (وخير مردداً) ، أى : عاقبة ومردداً على صاحبها .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا عُمَرُ بْنُ رَاشِدٍ ، عَنْ أَبِي عِيسَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَخَذَ حَوْدًا يَاسِبًا فَحَقَّقَ وَرَقَهُ ثُمَّ قَالَ : إِنْ قَوْلٌ لَإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْحَمْدُ لَهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، نَحَطُ لَهَا بِمَا كَمَا نَحَطُ وَرَقَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الرِّيحُ ، خَلَعْنِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أَنْ يَنْحَالَ يَنْتَلِكُ وَيَبِينُ ، مِنْ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَهَنْ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ : قَالَ أَبُو سَلَمَةَ : فَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ قَالَ : لَا أَهْلِكُنَّ اللَّهَ ، وَلَا كِبْرَنَ اللَّهِ ، وَلَا يَحِينُ اللَّهُ ، حَتَّى إِذَا رَأَى الْجَاهِلُ حَسْبَ أَنْ يَجْنُونَ (٣) .

وهذا ظاهره أنه مرسل ، ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة ، عن أبي الدرداء والله أعلم . وهكذا وقع في سنن ابن ماجه ، من حديث أبي معاوية ، عن عُمَرُ بْنُ رَاشِدٍ ، عَنْ أَبِي عِيسَى ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَلَذَكَرْنَاهُ (٤) .

عَمْرُو بْنُ الدُّنْيَةِ كُفْرًا بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَلَوْلَا (٥) أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَلْحَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٦) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَعُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلًا (٧) وَيَرْجِعُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨)

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن غُثَّابِ بْنِ الْأَرْثَرِ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا بَنِيًّا (٩) ، وَكَانَ عَلَى الْحِمْصِ بْنِ الْوَالِدِ دِينَ ، فَأَتَيْتُهُ أَتَافُضَاءً . فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَفُضِّكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ لَقُلْتُ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَى نَحُوتُ ثُمَّ تَبِعْتُ . قَالَ : فَلَمَّا إِذَا مَسَتْ ثُمَّ بَعَثْتُ جَنَّتِي وَتَى تَمَّ مَالُ وَلَدٍ ، فَأَعْبَطَنِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ : لَأُوتِينَ مَالًا وَلَوْلَا) إِلَى قَوْلِهِ : (وَيَأْتِينَا فَرْدًا) (١٠) .

(١) سورة التوبة : آية : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) ينظر : ١٥٧/٥ ، ١٥٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٩١/١٦ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب : فضل التسميع ، الحديث ٣٨١٣ ، ١٣٠٣/٢ .

(٥) التبتين : الحداد .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١١١/٤ .

أخبره صاحب الصحيح (١) وغيره ١٨ ، من غير وجه ، عن الأعمش ، عن أبي لفظ البخاري : كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سبيحاً ، فجيئت أنقاضاه ، فذكر الحديث ، وقال : (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) ، قال : مؤثراً وقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : قال خبيب بن الأريث كنت قينا بمكة ، فكنيت أعمل للعاص بن وائل ، قال : فاجتمعت لي عليه دراهم ، فجيئت أنقاضاه ، فقال لي : لا أنضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت : لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال : فإذا بُعثت كان لي مال وولد . قال : فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال : لأوتيني مالا وولداً) ، إلى قوله : (ويأتينا فرداً) (٢)

وقال العوفي عن ابن عباس : إن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدّين ، فأنوه يقاضونه ، فقال : أستمزعون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً ، ومن كل الثمرات ؟ قالوا : بلى . قال : فإن موعدكم الآخرة ، فوالله لأوتيتن مالا وولداً ، ولأوتيتن مثل كتابكم الذي جئتم به ، فغضب الله مثله في القرآن فقال : (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) إلى قوله : (ويأتينا فرداً) (٣) :

وهكلا قال مجاهد ، وقتادة ، وغيرهم : إنها نزلت في العاص بن وائل .

وقوله : (لأوتيني مالا وولداً) ، قرأ بعضهم بفتح الواو من (ولداً) ، وقرأ آخرون بضمها ، وهو محتمل ، قال رؤبّه (٤) :

الحَسَدُ لله الْمَوَيزُ قَرَدَا • لَمْ يَشْغَلْ مِنْ وَلَدٍ شَيْءٌ وَلَدَا

وقال الحارث بن حلزة (٥) :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا • قَدْ تَمَرُّوا مَلَاً وَلَدَا

وقال الشاعر (٦) :

فَلَيْتَ فَلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ • وَلَيْتَ فَلَانًا كَانَ وَلَدَ حِمَارٍ

وقيل : إن « الولد » ، بالضم جمع ، « والولد » ، بالفتح مفرد ، وهي لغة قيس ، والله أعلم .

(١) البخاري ، كتاب البيوع ، باب ذكر الثمن والحداد : ٧٩/٣ ، وكتاب الإجارة ، باب هل يزوج الرجل نفسه من شرك في أرض الحرب ؟ : ١٢٠/٣ . وتفسير سورة مريم : ١١٨/٦ ، ١١٩ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب وسأل اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجوع : ١٢٩/٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٢/١٦ .

(٣) تفسير الطبري : ٩١/١٦ .

(٤) الرجز في تفسير الطبري : ٩٢/١٦ .

(٥) البيت في تفسير الطبري ، والسبان ، مائة : « ولداً » ، غير منسوخ .

(٦) البيت في المرجعين السابقين ، غير منسوخ .

وقوله : (أطلع الغيب) ، إنكار على هذا القائل ، (لأوتين مالا وولداً) ، يعنى يوم القيامة ، أى : أعلم ما له فى الآخرة حتى تأتى وحلف على ذلك ، (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) ، أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك ؟ وقد تقدم عند البخارى : أنه لو ترقى .

وقال الضمك ، عن ابن عباس : (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) ، قال : لا إله إلا الله ، فرجو هاهنا وقال محمد بن كعب القرظى : (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ، قال شهادة أن لا إله إلا الله ، ثم قرأ : (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) .

وقوله : (كلا) : هى حرف ردع لا قبلها وتأكيدها بعدها ، (سنكتب ما يقول) ، أى : من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما تنمى ، وكفه بالله العظيم ، (ونخذه له من العذاب مداً) ، أى : فى الدار الآخرة ، على قوله ذلك ، وكفه فى الدنيا ، (وثره ما يقول) ، أى : من ماله وولد ، تسلب منه ، عكس ما قال : إنه يؤتى فى الدار الآخرة مالا وولداً زيادة على الذى له فى الدنيا ، بل فى الآخرة يسلب من الذى كان له فى الدنيا ولهذا قال : (ويأتينا فرداً) ، أى : من المالك والولد .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (وثره ما يقول) ، لقال : فتره (١) ،

وقال جاهد : (وثره ما يقول) : ماله وولده ، وذلك الذى قال العاصى بن وائل .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (وثره ما يقول) ، قال : ما عنده ، وهو قوله : (لأوتين مالا وولداً) وفى حرف ابن مسعود : (وثره ما عنده) .

وقال قتادة : (ويأتينا فرداً) : لا ماله له ، ولا ولد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (وثره ما يقول) ، قال : ما جمع من الدنيا وما عمل فيها ، قال : (ويأتينا فرداً) ، قال : فرداً من ذلك ، لا يبيعه قليل ولا كثير .

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ذُلًّا لَّيْسَ بِكُؤُودٍ لَهُمْ عَزَاءٌ ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الطَّيِّفِينَ عَلَى الْكُفَّيرِينَ نُوْزِعُهُمْ أَزًّا ۖ فَلَا تَعْبَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا تَعُدُّ لَهُمْ عُدًّا ۚ

يخبر تعالى عن الكفار المشركين برجم : أنهم اتخذوا من دونه آله ، لتكون لهم تلك الآلهة (عزاً) يحترقون بهم ويستنصرونهم .

ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ، ولا يكون ما طمعوا ، فقال : (كلا سيكفرون بعبادتهم) ، أى : يوم القيامة (ويكونون عليهم ضداً) ، أى : بخلاف ما ظنوا فيهم ، كما قال تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دونه آله من دونه) .

(١) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، وفى تفسير الطبري ٩٣/١٦ : « عن ابن عباس قوله : (وثره ما يقول) ، فتره . وفى البحر المتوسل السيوطي ٢٨٤/٤ : « وثره ما يقول . قال : ما له وولده » .

لا يستجيبه له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون • وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين(١)
وقرأ أبو تهبيلك : (كلا)(٢) سيكفرون بعبادتهم .

وقال السدي : (كلا سيكفرون بعبادتهم) ، أى : بعبادة الأوثان . وقوله : (ويكونون عليهم ضداً) ، أى :
بمخلاف ما رجعوا منهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ويكونون عليهم ضداً) ، قال : أعواناً ،

قال مجاهد : عوناً عليهم ، تخافهم منهم وتكذبهم .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (ويكونون عليهم ضداً) ، قال : قراء ،

وقال قتادة : قراء في النار ، يلحق بعضهم بعضاً ، ويكثر بعضهم بعض .

وقال السدي : (ويكونون عليهم ضداً) ، قال : الخصماء الأعداء في الخصومة ؛

وقال الضحاك : (ويكونون عليهم ضداً) ، قال : أعداء .

وقال ابن زيد : الضد : البلاء ،

وقال عكرمة : الضد : الخسرة .

وقوله : (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : تفريقهم
إفراء .

وقال العوفي عنه : نحرهم على عمد وأصحابه .

وقال مجاهد : تشليهم إشلام(٣) .

وقال قتادة : ترجعهم لزجاجاً إلى معاصي الله .

وقال سفيان الثوري : تفريقهم إفراء وتستعجلهم استعجالاً .

وقال السدي : تطليهم طلياناً .

(١) سورة الأحقاف ، آية : ٥٥ .

(٢) في المخطوطة : « كل سيكفرون » والمثبت من تفسير الطبري : ٩٤/١٦ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٢١٣/٦ ، وهو
والخشب لا ين جن : ٥٤/٢ ، قال ابن جني : « ينبغي أن تكون « (كلا) هذه مصدراً ، كقولك : « كل السيف كلا » ، فهو
إذا منصوب بفعل مضمر ، فكأنه لما قال سبحانه : (وانتظروا من دون الله آية ليكنوا لهم جزاً) قال الله سبحانه راداً عليهم :
(كلا) ، أى : كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ، ورأوا منه رأياً كلا ، كما يقال : ضغفاً لهذا الرأي وفيالة ، [أى : ضغفاً] .
ثم الكلام ، ثم قال تعالى متأنفاً القول : (سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) . والوقت إذا حل « (جزاً) » ، ثم استأنفت
فقال : كل رأيهم كلا ، ووقف ، ثم قال بن يمد : (سيكفرون) ، فهناك إذا وقفنا ، أسددها « (جزاً) » ، والآخر « (كلا) »
من حيث كان منصوباً بفعل مضمر ، لا من حيث كان زجراً ووداً وودها .

(٣) أى : تفرعهم إلى المعاصي وتفرعهم بها إفراء .

وقال عبد الرحمن بن زيد : هذا قوله تعالى : (ومن يش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) (١) ، وقوله : (فلا تمجل عليهم ، إنما نعد لهم عداً) ، أي : لا تمجل يا محمد على هؤلاء في ونوع العذاب بهم ، إنما نعد لهم عداً) ، أي : إنما يؤخرهم لأجل مخلود مضبوط ، وهم صائرون لأعماله ، إلى عذاب الله ونكاله ، ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) (٢) ، (فهل الكافرين أمهلهم رويداً) (٣) ، (إنما نغلي لهم ليزدادوا إثماً) (٤) ، (نعمهم قليلاً ، ثم نفضطهم إلى عذاب غليظ) (٥) ، (قل ، تتنموا فإن مصيركم إلى النار) (٦) . قال السدي : (إنما نعد لهم عداً) ، السنين ، والشهور ، والأيام ، والساعات :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إنما نعد لهم عداً) ، قال : نعد أنفسهم في الدنيا (٧) ؛

يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ إِلَى الْأَرْضِ وَالْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا تُصْبَغُ فِي صَبْغٍ وَاحِدٍ وَنُفِثَ رُوحُهُمْ فِي يَوْمٍ ذُو عِلَّةٍ يُنْفِثُ فِي شَجَرِ الْغَارِ أَتَمَّ يَوْمٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كِبَارُ الْعُمْرِ وَلَا شَأْنُ الْمَوْلَاةِ فَنَزَلَ الْكَفَرُ بَاطِلًا مُدْمِنًا

غير تعالى عن أوليائه المؤمنين ، الذين خافوه في الدار الدنيا ، واتبعوا رسله وصدقهم فيها أخبروهم ، وأطاعوهم فيها أمروهم به ، واتبعوا عما حثه زجروهم : أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه : والوفد : هم القادمون ركباً ، ومنه الوفود وركوبهم على نجاب من نور ، من مراكب الدار الآخرة ، وهم قادمون على خير موفود إليه ، إلى دار كرامته ورضوانه ، وأما للمجرمون المكذبون لرسول الملائكة لهم ، فإنهم يساقون حنفاً إلى النار ، (وردا) : عطاشاً ، قاله لخطباء (٨) وابن عباس ، وعجاء ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد ، وهاهنا يقال : (أتى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) (٩) ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن خالده ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن ابن مروق : (يوم يحشر المقبح إلى الرحمن وفداً) ، قال : يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة وأما ، وأطيبها ربحاً ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيَّب ربحك وحسن وجهك ، فيقول : أنا عمك الصالح ، وهكذا كتبت في الدنيا ، حسن العمل طيَّبه ، فطالما كتبتك في الدنيا ، فهاهنا اركبني ، فربكه ، فملك قوله : (يوم يحشر المقبح إلى الرحمن وفداً) ؛

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (يوم يحشر المقبح إلى الرحمن وفداً) ، قال : ركبانا (١٠) ؛

(١) تفسير الطبري : ١٦/٩٥ .

(٢) سورة إبراهيم : آية : ٤٢ .

(٣) سورة الطارق : آية : ١٧ .

(٤) سورة الكهف : آية : ١٧٨ .

(٥) سورة لقمان : آية : ٢٤ .

(٦) سورة إبراهيم : آية : ٣٥ .

(٧) تفسير الطبري : ١٦/٩٥ .

(٨) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، ومكثله يباين في المخطوطة .

(٩) سورة مريم : آية : ٧٣ .

(١٠) الآيات المتقدمة في تفسير الطبري : ١٦/٩٦ .

وقال ابن جرير : حدثني ابن المنذر حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن ابن هريرة :
(يوم نحشر المؤمنين إلى الرحمن وفدا) ، قال : على الإبل »

وقال ابن جرير : على النجائب »

وقال الثوري : على الإبل النوق »

وقال قتادة : (يوم نحشر المؤمنين إلى الرحمن وفدا) ، قال : إلى الجنة (١) »

وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه : حدثنا سويد بن سعيد ، أخبرنا علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، حدثنا النعمان بن سعد قال : كنا جلوساً عند علي رضي الله عنه ، فقرأ هذه الآية : (يوم نحشر المؤمنين إلى الرحمن وفدا) ، قال : لا ، والله ما على أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن يتوق لم ير الملائكة مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها ، حتى يضيروا أبواب الجنة (١) .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، عن حديث عبد الرحمن بن إسحاق المدني ، به ٢ ٢ ٢ ٢ : عليها رحائل الذهب ، وأزمتها الزبرجدة ، والباقي مثله (٢) :

وقد روى ابن أبي حاتم حديثاً غريباً جداً مرفوعاً ، عن علي ، فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو إسحاق مالك بن إسماعيل النهدي ، حدثنا سلمة بن جعفر البجلي ، سمعت أبا معاذ البصري قال : إن علياً كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ على هذه الآية : (يوم نحشر المؤمنين إلى الرحمن وفدا) ، فقال : ما أظن الوفد إلا الركبة يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو : يتوقون - يتوق بيض لها أجنحة ، وعليها رحال الذهب ، شرك لعلم نور ، يتلأأ كل خطوة منها مد البصر ، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينا ، فيشربون من إحداها ، فتغسل ما في بطونهم من دross ، ويتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً ، ويجري عليهم نضرة النعم ، فينتهون - أو : فيأتون باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، فيشربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها ملين ياعلى ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبث قتيمة فيفتح له ، فإذا رآه عثر له - قال مسلمة : أراه قال : ساجداً - فيقول : ارفع رأسك ، إنما أنا قيسمك ، وكلت بأمرك فيبيته ويقو أثره ، فتستخض الحوراء العجولة ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تحققه ، ثم تقول : أنت حيي ، وأنا حبك ، وأنا الخالدة التي لأمرت ، وأنا الناعمة التي لا أباس ، وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا للقيمة التي لا أظن : فيخل بيننا من أسه إلى سقفه ما ألف ذراع ، بناؤه على جبل الأول طراتق : أصفر وأحمر وأخضر ، ليس منها طريقة تشاكل صاحبها » وفي البيت سبعون سريراً ، على كل سرير سبعون حشية ، على كل حشية سبعون زوجة ، على كل زوجة سبعون حلة ، يرى من سالفها من وراء الحلال ، يقضى جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه : الأتار من تحتهم تطرد ، أنهار من

(١) مسند الإمام أحمد : ١٠٥٧/١ .

(٢) تفسير الثوري : ٩٦/١٦ .

ماء غير آمن - قال : صاف لا يكثر فيه - وأتاه من لبن لم يتغير طعمه : لم يخرج من ضروع اللثية ، وأتاه من خمر للثاريين ، لم يتغيرها الرجال بأقدامهم ، وأتاه من حبل مصبي لم يخرج من بطون النحل ، فيستحل الثمار ، فإن شاء أكل قائماً ، وإن شاء قاعداً ، وإن شاء متكئاً ، ثم تلا : (ودانية عليهم ظلالا وذللت قطوفها تذليلًا) ، فيشهى الطعام فيأتيه طير أبيض ، وربما قال : أخضر ، فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها أى الألوان شاء ، ثم تطير فتلعب ، فيدخل للملك فيقول : سلام عليكم ، (تلك الجنة التى أوردتموها بما كنتم تعملون) ، ولو أن شجرة من شجر الحوراء وقمت لأهل الأرض ، لأضاعت الشمس معها سواد في نور .

مكلاً وقع في هذه الرواية مرفوعاً ، وقد روينا في المثلثات من كلام علي رضي الله عنه نحوه ، وهو أشبه بالصحة والله أعلم .

وقوله : (وتسوق للمجرمين إلى جهنم ورداً) ، أى : عطاشاً ، (لا يملكون الشفاعة) ، أى : ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض ، كما قال تعالى خبراً عنهم : (فإنا من شافعين ولا صديق حميم) (١) .

وقوله : (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ، هذا استثناء مقطوع ، بمعنى : لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، والقيام بحقوقها .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ، قال : العهد شهادة أن لا إله إلا الله ، ويرأى إلى الله من الحول والقوة ، ولا يرجو إلا الله عز وجل (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عثمان بن خالد الواسطي ، حدثنا محمد بن الحسن الواسطي ، عن المسعودي ، عن حزن ابن عبد الله ، عن أبي نافع ، عن الأسود بن يزيد قال : قرأ عبد الله - يني ابن مسعود - هذه الآية : (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ، ثم قال : اتخذوا عند الله عهداً ، فإن الله يقول يوم القيامة : « من كان له عند الله عهد فليقيم » قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، فمكثنا : قال : قولوا : اللهم ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، فاني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلفني إلى عمل تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإنى لأتقن إلا برحمتك ، فأجعل لي عندك عهداً تُؤدِّي به إلى يوم القيامة ، إنك لا تخلف للعهاد .

قال المسعودي : فحدثني زكريا ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أخبرنا ابن مسعود : وكان ينجبُ بين : خاتفا مستغبراً مستغفراً ، وأما وأخيراً إليك (٣) .

ثم رواه من وجه آخر ، عن المسعودي ، نحوه .

(١) سورة الشعراء ١٠٠/١٠١

(٢) تفسير الطبري : ٩٧/١٦ .

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور من ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وإسحاق ، وابن مردويه عن ابن مسعود : ٢٨٦/٤ . وحديث الحاكم في المستدرک ، تفسير سورة ص : ٣٧٧/٢ : ٣٧٨ .

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۚ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَلًّا ۝ وَلَكُلَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرْدًا ۝

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام ، وذكر خلقه من مريم بلا أب ، شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولداً — تعالى وتقدس وتزه عن ذلك علواً كبيراً — فقال : (وقالوا : اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم) ، أى : في قولكم هذا ، (شيئا إدّا) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقادة ، ومالك : أى عظيماً ؛ ويقال : إدّا بكسر اللامزة وفتحها ، ومع مدّها أيضا ، ثلاث لغات ، أشهرها الأولى .

وقوله : (تكاد السموات يظنن من ، وتنشق الأرض وتخِر الجبال هدّا : أن دعاوا للرحمن ولداً) ، أى : يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بنى آدم ، إعظاما للرب وإجلالا لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيدة ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا صاحبة له ، ولا كفء له ، بل هو الأحد الصمد ؛ وفي كلّ شيء له آية • تدل على أنه واحد

وقال ابن جرير : حدثني علي ، حدثنا عبد الله ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : (تكاد السموات يظنن من وتنشق الأرض وتخِر الجبال هدّا • أن دعاوا للرحمن ولداً) ، قال : إن الشرك فرّقت منه السموات والأرض والجبال ، وجميع الخلائق إلا القلبين ، فكادت أن تزول منه لعظمة الله ، وكما لا ينع مع الشرك إحسان المشرك ، كلكت نرجو أن يضر الله ذنوب الموحدين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقنوا مواليكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فن قلنا عند موته وجبت له الجنة » قالوا : يا رسول الله ، فن قلنا في صحنه ؟ قال : تلك أوجب وأوجب • ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو جىء بالسموات والأرضين وما فيهن ، وما بينهما ، وما تحتهن ، فوضعن في كفة الميزان ، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى ، لرجحت بهن • (١)

هكذا رواه ابن جرير ، ويشهد له حديث البطاقة ، والله أعلم .

وقال الضحاك : (تكاد السموات يظنن من) ، أى : يشققن فتركا من عظمة الله •

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (وتنشق الأرض) ، أى : غضباً لله عز وجل •

(وتخِر الجبال هدّا) ، قال ابن عباس : هدماً •

وقال سعيد بن جبّير : (هدّا) ينكسر بعضها على بعض متتابعات •

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد المقرئ (٢) ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا مسعر ، عن حوّن بن عبد الله قال : إن الجبل ليناضع الجبل باسمه : يافلان ، هل مر بك اليوم ذاكر الله عز وجل ؟ فيقول : نعم ، ويستبش

(١) تفسير الطبري : ٩٨/١٦ .

(٢) كذا • ولم نجد لهذا هدّا مرّة •

قال حن : لم يخبر أسمع ، أفيسمن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمن غيره ، ثم قرأ : (تكاد السموات يتفطرن منه ، وتتشق الأرض وتخر الجبال هدأً أن دعوا للرحمن ولأنا) (١) .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا هنادة ، حدثنا عوف ، عن غالب بن عبيد ، حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منى قال : بلغني أن الله لا خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر ، لم يكن في الأرض شجرة بأنها بنو آدم إلا أصابوا منها نعمة - أوقال : كانوا فيها منفعة - ولم تزل الأرض والشجر بذلك ، حتى تكلم فنجرة بن آدم بذلك الكلمة العظيمة ، فوهم : (اتخذ الرحمن ولداً) ، فلما تكلموا بها اقتسمت الأرض ، وشاك الشجر .

وقال كعب الأحبار : غضبت الملائكة ، واستعرت النار ، حين قالوا ما قالوا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله ، إنه يشرك به ، وينجس له ولد ، وهو يعاقبهم ويلعق منهم ، ويرزقهم (٢) .

أنعرجاه في الصحيحين (٣) وفي لفظ : إنهم يعملون له ولداً ، وهو يرزقهم ويعاقبهم .

وقوله : (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) ، أي : لا يصلح له ، ولا يليق به لجلاله وعظمته ، لأنه لا كف له من خلقه ، لأن جميع الخلق عبيد له ، ولهذا قال : (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً) . لقد أحصاهم وعلمهم علماً ، أي : لا علم عندهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، ذكرهم وأنثاهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، (وكلهم آتبه يوم القيامة فرداً) ، أي : لا ناصر له ولا يجير إلا الله وحده لا شريك له ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو الباطل الذي لا يظلم مقال ذرة ، ولا يظلم أحداً .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٢﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴿٦٣﴾ وَكَرَّهْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحْسِنُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٦٤﴾

يخبر تعالى أنه يتبرأ لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وهي الأعمال التي ترضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية - يفرس لهم في قلوبهم جادة الصالحين مودة ، وهذا أمر لا يد منه ، ولا يحيد عنه ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه .

(١) الثر المتثور عن ابن المبارك ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وأحمد بن الزهد ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في التلخيص ، والطبراني ، والبيهقي في شعب الإيمان : ٢٨٦/٤ ، ٢٨٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٠٥/٤ .

(٣) البخاري ، كتاب الأدب ، باب « الصبر على الأذى » : ٣١٢/٨ . وكتابه التفسير ، باب قول الله تعالى : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) : ١٤١/٩ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة ، باب « لا أحد أصبر على الأذى من الله من رجل » : ١٣٣/٨ ، ١٣٤ .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : يا جبريل ، إنى أحب فلانا فأحبه » قال : فيحبه جبريل ، قال : ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يحب فلانا ، قال : فيحبه أهل السماء ، ثم يوصف له القبول في الأرض ، وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال : يا جبريل ، إنى أبغض فلانا فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، قال : فيبغضه أهل السماء ، ثم توضع له البغضاء في الأرض (١) .

ورواه مسلم من حديث سهيل (٢) : ورواه أحمد والبخاري ، من حديث ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا يمين أبو محمد الملقب ، حدثنا محمد بن حباد الخزوي ، عن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد ليلمس مرضاة الله ، فلا يزال كذلك ، فيقول الله عز وجل لجبريل : إن فلانا عبدي يلتمس أن يرزقني ، ألا وإن رحمتي عليه ، فيقول جبريل : « رحمة الله على فلان » ، ويقولها حملة العرش ، ويقولها من حولهم ، حتى يقولها أهل السموات السبع ، ثم يهبط إلى الأرض ، ثم غريب ، ولم يخرجوه من هذا الوجه (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن محمد بن سعد الواسطي ، عن أبي ظبية ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لله — قال شريك — هي المحبة — والصفيت (٥) من السماء ، فإذا أحب الله عبداً قال لجبريل عليه السلام : « إنى أحب فلانا » ، فينادي جبريل ، إن ربكم يحب — يعني ، يحب — فلانا ، فأحبه — وأرى شريكاً قد قال : فتزل له المحبة في الأرض — وإذا أبغض عبداً قال لجبريل ، « إنى أبغض فلانا » ، فأبغضه ، قال : فينادي جبريل : إن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه — قال : لرى شريكاً قد قال نا : فيجري له البغض في الأرض (٦) .

غريب ، ولم يخرجوه ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو داود الحفصري ، حدثنا عبد العزيز — يعني ابن محمد ، وهو المذكور — عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل ، « إنى قد أحببت فلانا ، فأحبه » ، فينادى في السماء ، ثم يتردد له المحبة في أهل الأرض ، فلذلك قول الله عز وجل : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً »

(١) مسند الإمام أحمد : ٤١٣/٢ .

(٢) مسلم ، كتاب البر ، باب « إذا أحب الله عبداً فحبه لميله » : ٤٠/٨ ، ٤١ .

(٣) البخاري ، كتاب الأدب ، باب « الملقمة من الله تعالى » : ١٧/٨ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٧٩/٥ .

(٥) في المسند : « وألقيت من السماء » . وفي النهاية لابن كثير : « ما من عبد إلا وله صيت في السماء » ، أي : ذكره وشره .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٦٣/٥ .

ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن تميم (١) ، عن الدراوردي ، به وقال الترمذي : حسن صحيح (٢) ؛

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (سيجعل لهم الرحمن وداً) ، قال : حباً ؛

وقال مجاهد ، عنه : (سيجعل لهم الرحمن وداً) ، قال : هبة في الناس في الدنيا ؛

وقال سعيد بن جبير ، عنه : يهبهم ويحببهم ، يعني : إلى خلقه المؤمنين ؛ كما قال مجاهد أيضاً ، والضحك ،

وغيرهم ؛

وقال العوفي ، عن ابن عباس أيضاً : الوعد من المسلمين في الدنيا ، والرزق الحسن ، واللسان الصادق ؛

وقال قتادة : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) ، أي : والله ، في قلوب أهل الإيمان ، ذكر لنا أن هـرم بن حبان (٣) كان يقول : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم ؛

وقال قتادة : وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : ما من عبد يعمل خيراً أو شراً ، إلا كساه الله عز وجل وداً عمله (٤) ؛

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله ، حدثنا أحمد بن منان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن البصري ، رحمه الله قال : قال رجل : « والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها فكان لا يرى في حرج صلاة إلا قائماً يصلي ، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج ، فكان لا يمتنع ، فمكث بذلك سبعة أشهر ، وكان لا يمر على قوم إلا قالوا : « انظروا إلى هذا المرائي » فأقبل على نفسه فقال : لا أراي أذكر إلا بشر ، لأجلين على كله الله عز وجل ، فلم يزد على أن قلب نيتي ، ولم يزد على العمل الذي كان يعمل ، فكان يمر بعد بالقوم ، فيقولون : رحم الله فلانا الآن ، وبنا الحسن : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) ؛

وقد روى ابن جرير ثراً أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف (٥) : وهو خطأ ، فإن هذه السورة اجتماعها مكية لم يترك شيء منها الهجرة ، ولم يصبح منه ذلك والله أعلم ؛

وقوله : (فلما يسرناه) ، يعني : القرآن ، (بلسانك) ، أي : بأعتمد ، وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل ، (لنشر به الكتاب) ، أي : المستجيب لله المصدقين لرسوله ، (وتندر به قوماً لداً) ، أي : حوَّجاً به إلى الحق ما يلزم إلى الباطل ؛

(١) في المخرطة : « كلاهما عن عبد الله » عن الدراوردي . وللحديث عن صحيح مسلم . والترمذي .

(٢) مسلم ، كتاب البر ، باب « إذا أسب الله عبداً حبيبه لمباهة » : ٤١/٨ . ونجدة الأخواني ، تفسير مؤونة مريم .

أحدث ١٩٧١ : ٦٠٨/٨ و ٦٠٩ .

(٣) هرم بن حبان : عن صفير السجاية : مقرب في أسد الغابة عن أبي هريرة ، ٥٧/٥ ط الوهبة .

(٤) تنظر الآثار المتقدمة في تفسير الطبري : ١٦/١٠٥ و ١٠٦ .

(٥) تفسير الطبري : ١٦/١٥١ .

وقال ابن أبي نجيب ، من مجاهد : «قوماً لداً» : لا يستقيمون .

وقال الثوري ، عن إسماعيل - وهو السدي - عن أبي صالح : «وتنزل به قوماً لداً» : هوجاً عن الحق ؛

وقال الحسن البصري : «قوماً لداً» : صبا ؛

وقال غيره : صم آذان القلوب ؛

وقال قتادة : «قوماً لداً» : يفتن قريشاً ؛

وقال العوفي ، عن ابن عباس : «قوماً لداً» : فجاراً : وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد ؛

وقال ابن زيد : الألد : الظلوم ، وقرأ قول الله : «وهو ألدنا لخصام» (١) .

وقوله : «وكنم أهلكتنا قبلهم من قرن» ، أي : من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله ، «هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً» ، أي : هل ترى منهم أحداً ، أو تسمع لهم ركزاً :

قال ابن عباس ، وأبو العالية ، وعكرمة ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبيرة ، والضحاك ، وابن زيد :
يعنى صوتاً ؛

وقال الحسن ، وقاتدة : هل ترى شيئاً ، أو تسمع صوتاً ؛

والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي ، قال الشاعر (٢) :

فَتَوَجَّسْتُ رِكَزَ الْأَنْبِيسِ فَرَأَيْتُهَا • حِينَ ظَهَرَ غَيْبُهَا ، وَالْأَنْبِيسُ سَكْمُهَا (٣)

آخر تفسير «سورة مريم» والله الحمد والمنة . ويتلوه إن شاء الله تعالى تفسير «صورة طه» ، والحمد لله ١٥

(١) سورة البقرة آية : ٢٠٤ وتنظر الآثار المتقدمة في تفسير الطبري : ١٠١/١٦ .

(٢) البيت في تفسير الطبري : ١٠٢/١٦ غير منسوب . وهو لبدي بن ربيعة ، من مملوكة ديزال : ٣١١ ، وانظر شرح التفصا له السبع لأي بكر الأنباري : ٥٦٥ .

(٣) النجاشي : التسمع إلى الصوت الخفي «ووراية الأنباري» : «وسمعت وز» ، قال : «ويزوي» : «فزوجت ركز الأنيس» ، أي : سمعت البقرة صوت الأنيس ، فأزعجها ولم تر الناس . والركز والركز : الصوت الخفي . وأخير أنها أحست الناس من ظهر غيب ، معناه : من وراء حجاب ، وقوله : «والأنيس سقمها» : معناه : هلاكها ، أي : يميتها » .

تفسير سورة طه

وهي مكية

روى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب « التوحيد » ، عن زياد بن أبيه ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي : حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسار ، عن عمر بن حفص بن ذكوان ، عن مولى الحنيفة - بنى عبد الرحمن بن يعقوب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قرأ طه » و« يس » قبل أن يخلق آدم بألف عام ، فلما سمعت الملائكة قالوا : طوي لامة يتزل عليهم هذا : وطوي لأجواف تحمل هذا : وطوي لألسن تتكلم بهذا .
هذا حديث غريب ، وفيه نكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ ﴿٢﴾ وَلَا تَذْكُرْ لِمَن يَحْكُمُ ﴿٣﴾ نَزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ ﴿٤﴾ وَالسَّيْرِ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٦﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّلَاجِ ﴿٧﴾ وَإِن تَجَهَّر بِلِقَايَ رَبِّكَ فَلَهُ يَكْفِي هَٰذَا عَذَابٌ ﴿٨﴾ أَلَّا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٩﴾

نقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة « البقرة » بما أغنى عن إعادته :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسين بن محمد بن شبة الواسطي ، حدثنا أبو أحمد - بنى الزبيري - أنانا إسرائيل عن سالم الأفلح ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : طه - يارجل . وهكذا روى عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب ، وأبي مالك ، وعطية الصوفي ، والحسن ، وقائدة ، والضحك ، والسدي ، وابن أبي زياد أنهم قالوا : طه بمعنى : يارجل (١) :

وفي رواية عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والثوري : أنها كلمة بالنطق معناها : يارجل : وقال أبو صالح : هي مُعْتَرَةٌ .

وأسد القاضي حياض في كتابه « الشفاء » من طريق عبد بن حميد في تفسيره : حدثنا هاشم بن [القاسم] ، عن ابن جعفر ، عن الربيع بن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفق الأخرى ، فأتى الله تعالى : (طه) ، يعني : طأ الأرض يا محمد ، (ما أزلنا عليك القرآن لتشفي) : ثم قال ولا يخاف بما في هذا من الإكرام وحسن التلماع (٢) .

(١) ينظر تفسير البكري : ١٠٣/١٦

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى لقاضي حياض ، ط الأولى : ٢٦/١ .

وقوله : (ما أنزلنا عليك القرآن نشئي) ، قال جويبر ، من الضحاك : لا أنزل الله القرآن على رسوله ، قام به هو واصحابه ، فقال للمشركون من فريش : ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليثني ! أنزل الله تعالى : (طه ما أنزلنا عليك القرآن نشئي إلا تذكرة لمن ينشى) .

فليس الأمر كما زعمه المبطلون ، بل من آتاه الله العلم قد أراد به خيراً كثيراً ، كما ثبت في الصحيحين ، عن معاوية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (١) »

وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال :

حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا الملاء بن سالم ، حدثنا إبراهيم الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن مقيان ، عن سيالك ابن حرب ، عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قُتِلَ على كرسيه لفضاه عباده : إلى لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم ، على ما كان منكم ، ولا أبال »
إسناده جيد ، وثعلبة بن الحكم هذا [هو النبي] ذكره أبو صَـر في استيعابه ، وقال : أول البصرة ، ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه سيالك بن حرب (٢) .

وقال مجاهد بن قنبله : (ما أنزلنا عليك القرآن نشئي) : هي كقولته : (فاطرهم ما يفسرهم) ، وكانوا يُمسكون الحبال بصدورهم في الصلاة (٣) .

وقال قتادة : (ما أنزلنا عليك القرآن نشئي) : لا ، والله ما جعله شقاء ، ولكن جعله رحمة ولوراً ، ودليلاً إلى الجنة .

(إلا تذكرة لمن ينشى) : إن الله أنزل كتابه ، وبعث رسله رحمة ، ورحم بها العباد ، ليتذكر ظاكرو ، ويتطهر رجل بما سمع من كتاب الله ، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرمه .

وقوله : (تتريلا من خلق الأرض والسماوات العلى) ، أي : هذا القرآن الذي جاءك يا محمد تتريلا من ربك كل شيء ومليكه ، القادر على ما يشاء ، الذي خلق الأرض باغنائها وكثافتها ، وخلق السماوات العلى في ارتفاعها ولطافتها . وقد جاء في الحديث الذي صححه الرمزي وغيره : أن سمك كل مياه مسيرة خمسمائة عام ، وبعد ما بينها وإلى ثلثها لميسرة خمسمائة عام (٤) .

(١) البخاري ، كتاب العلم ، باب : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ٢٨ ، ٢٧/١ . وكتاب المغتن : باب قول الله تعالى : (فأنشئهم) ، ١٠٣/٤ . وكتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون » وهم أهل العلم ، ١٢٥/٩ . وسمك : كتاب الزكاة ، باب قلبي من المسألة : ٩٥/٧ . وكتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة . . . ٥٥٠ ، ٥٣/٦ ، ٥٤ .

(٢) الاستيعاب لأبي عمر ، الترجمة ٢٧٥ : ٢١٢/١ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠٤/١٦ .

(٤) حصة الأخوص ، تفسير سورة الحديد ، الحديث ٣٣٥٢ ، من أبي هريرة : ١٨٥/٩ - ١٨٦ .

وقد أورد ابن أبي حاتم ما هنا حديث الأوصال (١) ، من رواية العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وقوله : (الرحمن على العرش استوى) : تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف (٢) ، بما أغنى عن إعادته أيضاً وأن للملك الأسفل في ذلك طريقة السلف ، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكيف ولا تحريف ، ولا تشبيه ولا تعميل ولا تمثيل .

وقوله : (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) ، أى : الجميع ، لكنه وفي قبضته ، ونحت تصرفه ومشيئته وإرادته وحكمه ، وهو خالق ذلك ومالكه وإله ، لا إله سواه ، ولارب غيره .

وقوله : (وما تحت الثرى) - قال محمد بن كعب : ماتت الأرض السابعة :

وقال الأوزاعي : إن يحيى بن أبي كثير حكاه أن كعباً سئل فقيل له : ماتت هذه الأرض ؟ قال : لاء ؛ قيل : وما تحت لاء ؟ قال : الأرض ؛ قيل : وما تحت الأرض ؟ قال لاء ؛ قيل : وما تحت لاء ؟ قال : الأرض ؛ قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : لاء ؛ قيل : وما تحت لاء ؟ قال : الأرض ؛ قيل : وما تحت الأرض ؟ قال : صخرة ؛ قيل : وما تحت الصخرة ؟ قال : ذلك قيل ؛ وما تحت الملك ؟ قال : حوت ؛ فسئل طرفاه بالعرش ؛ قيل : وما تحت الحوت ؟ قال : الهواء والغلالة ، واتقطع العلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد (٣) الله بن أنس ابن وهب ، حدثنا حمى ، حدثنا عبد الله بن عباس ، حدثني عبد الله بن سليمان عن حجاج ، عن عيسى بن هلال الصديقي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأرض بين كل أرض وأرض إليها مسيرة خمسمائة عام ، والعليا منها على ظير حوت ، قد انشأ طرفاه في السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد الملك ، والثانية سجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، والخامسة فيها حبات جهنم ، والسادسة فيها عقارب جهنم ، والسابعة فيها سنن ورفيها إبليس مخبئ بالخديد ، يد أمامه ويد خلفه ، فإذا أراد الله أن يطلقه لا يشاء أطلقه .

هذا حديث غريب جداً ، ورفعه فيه نظر .

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا أبو موسى المروى ، عن العباس بن الفضل - قلت : ابن الفضل الأنصاري قال : نعم ، ذكر القاسم بن عبد الرحمن ، عن محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فأقبلنا راجعين في حر شديد ، فحنن مفرقون [بين واحد واثنين ، مستكرين ، قال : وكنت في أول العسكر ، إذ عارضنا وجل فتسكّم ، ثم قال : أيكم محمد ؟ ومضى أصحابي ووقفت معه ، فإذا

(١) أخرجه الإمام أحمد حديث الأوصال في مسنده المسمى رضى الله عنه : ٢٠٦/١ ، و٢٠٧ ، وكذلك أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب « في الجهمية » ، الحديث ٤٢٧٣ : ٢٣١٤/٤ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب « فيها أنكرت الجهمية » ، الحديث ١٩٣ : ٦٩/١ .

(٢) ينظر : ٤٢٢/٣ ، ٤٢٣ .

(٣) هو أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي ، أبو عبيد الله ، مترجم في التلخيص : ٤٢/١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقبل في وسط السَّكر على جمل أحمر ، مَتَّعَ بويه على رأسه من الشمس ، قلت : أبا السائل ، هذا رسول الله قد أتاك . قال : أهيء هو ؟ قلت : صاحب البكر^(١) الأحمر . فدنا منه ، فأخذ بضماره لاحت فكفَّ عليه رسول الله ، فقال : أنت عمد ؟ قال : نعم . قال : إني أريد أن أسألك عن خصال ، لا يعلمهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حاشيت ؟ قال : يا عمد ، أيتام النبي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تمام عيناه ولايتام قلبه ؛ قال : صدقت ؛ ثم قال : يا عمد ، من أين يشبه الولد أباه لو لمه ؟ قال : ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة (أصفر) رقيق ، فأبى المأمن غلب حل الآخر [تزوج] الولد . فقال : صدقت . فقال : ما الرجل من الولد وما للمرأة منه ؟ قال : الرجل النظام والمروق والعصب ، وللمرأة اللحم والدم والشعر . قال : صدقت . ثم قال : يا عمد ، ماتحت هذه ، بيني الأرض ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق . فقال : فما تحميم ؟ قال : أرض : قال : فما تحت الأرض ؟ قال : الماء ؛ قال : فما تحت الماء ؟ قال : ظلمة . قال : فما تحت الظلمة ؟ قال : الهواء . قال : فما تحت الهواء ؟ قال : القبر ؛ قال : فما تحت القبر ؟ فهاضت حينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاء ، وقال : انقطع علم المخلوقين عند علم الغائي ، أبا السائل ، ما للسؤال عنها بأعلم من السائل . قال : فقال : صدقت ، تشهد أنك رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا الناس ، هل تترون من هذا قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا جبريل صلى الله عليه وسلم :

هذا حديث غريب جداً ، وسياق صحيح ، تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا ، وقد قال يبيحي بن معين : وليس بساوي شيئاً ، ووضعه أبو حاتم الرازي ، وقال ابن حدى : لا يعرف

قلت : وقد خلط في هذا الحديث ، ودخل عليه شيء في شيء ، وحديث في حديث ، وقد يحتمل أنه تعمُّد ذلك ، أو أدخل عليه فيه ، فافقه أهل .

وقوله : (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) ، أي : أتول هذا القرآن الذي خلق [الأرض والسموات العللى الذى يعلم السر وأخفى ، كما قال تعالى : (قل أتول الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، إنه كان خفواً رحيماً) (٢) قال حل بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (يعلم السر وأخفى) ، قال : السر ما أسر ابن آدم فى نفسه ، (وأخفى) : ما أخفى على ابن آدم مما هو قاعله قبل أن يعلمه فافقه يعلم ذلك كله ، فعمله فيما مضى من ذلك وما يتى جسمه واحدة ، وجميع انطلاق فى ذلك عنده كنفس واحدة ، وهو قوله : (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة) (٣) :

وقال الضحاك : (يعلم السر وأخفى) ، قال : السر ما تحدث به نفسك ، وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد

وقال سميد بن جبر : أنت تعلم ما تمر اليوم ، ولا تعلم ما تمر غداً ، والله يعلم ما تمر اليوم ، وما تمر غداً

(١) البكر : اللبن من الإبل .

(٢) ينظر البحر والتعديل لابن أبى حاتم ، ترجمة القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري : ١١٢/٢ ، ١١٣ .

(٣) سورة الفرقان ، آية ٦ .

(٤) تفسير الطبرى : ١٦/١٠٥ . والله المشور : ٢٩٠/٤

وقال جاهد : (وأخني) ، يعني الوسوسة .

وقال أيضاً هو وسعيد بن جبیر : (ولغني) ، أي : ما هو حامله مما لم يخلط به نفسه .

وقوله : (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنی) ، أي : الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء

الحسنى والصفات العلى .

وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنی في أواخر « سورة الأعراف » (١) ، والله الحمد والمنة .

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٠﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَعْدٍ

عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١١﴾

من هاهنا شرّح تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى ، وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه ، وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل : قاصداً بلاد مصر ، بعدما طالت النية عنها أكثر من عشر سنين ، ومعه زوجته ، فأضلّ الطريق ، وكانت ليلة شائية ، وتزل متزلاً بين شجيرات وجبال ، في برد وشتاء ، وسحاب وظلام وضباب ، وجعل يقدح بزلده معه ليؤرّى نارا ، كما جرت له العادة به ، فجعل لا يقدح شيئاً ، ولا يخرج منه شرر ولا شيء . فبينما هو كذلك ، إذ آنس من جانب الطور نارا ، أي : ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه ، فقال لأهله يبرهم : (إن كنت نارا ، لعل آتيكم منها بقبس) ، أي : شهاب من نار . وفي الآية الأخرى (أوجدتوه من النار) ، وهي : الجمر الذي معه لهب ، (لعلكم تصطاون) (٢) ، دل على وجود البرد ، وقوله : (بقبس) دل على وجود الظلام .

وقوله : (أوجد على النار هدى) ، أي : من هدى الطريق ، دل على أنه قد تاه عن الطريق ، كما قال النوري ، من أبي سعيد الأحرور ، عن حكرمة عن ابن عباس في قوله : (أوجد على النار هدى) ، قال : من هدى إلى الطريق . وكانوا شائين وصلوا الطريق ، فلما رأى النار قال : إن لم أجد أحداً يهدين آتيكم بنار توقدون بها :

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوُصَى ﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴿١٣﴾ وَأَنَا آخَرُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٤﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٥﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٦﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فُتْرِدَى ﴿١٧﴾

يقول تعالى : (فلما أتاه) ، أي : النار واقرب منها ، (نودي : ياموصى) - وفي الآية الأخرى : (لئودى من شاطئ الوادى الأيمن ، في البقعة المباركة من الشجرة أن : ياموصى ، إلى أنا لله (٣) ، وقال هاهنا : (إلى أنا ربك) ، أي : الذي يكلمك ويخاطبك ، (فاخلع نعليك) -

(١) النظر : ٥١٥/٢ - ٥١٧ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٢٩ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٢٥ .

قال علي بن أبي طالب، وأبوذر، وأبو أيوب، وغير واحد من السلف: كاننا من جلد حمار غير ذكي (١) و
 وقيل: إنما أمره بحمل نعليه تعظيماً للعبة.

قال سعيد بن جبیر : كما يؤمر الرجل أن مخلم نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة ۝

وقيل : ليطأ الأرض المقلمة بقدميه حافياً غير متعل : وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : (طوى) ، قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو اسم للوادي (٧) .

وكذا قال غير واحد ، فعل هذا يكون عطف بيان ،

وقيل : عبارة عن الأمر بالوطء بقلميه (٣) .

وقيل : لأنه قد تمس مرتين ، وطوى له البركة وكررت : والأول أصح ، كقولہ : (إذ ناداه وبه بالوادي المقدس طوى) (١) .

وقوله : (وأنا اخترتك) ، كقوله : (إني اصطفتك على الناس برسالتي وبكلامي) (٥) ، أي : على جميع الناس
الناس من الموجودين في زمانه .

وقيل : إن الله تعالى قال : يا موسى ، أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس فقال : لا قال : لا لأنك لم تواضع لي أحد تواضعك .

وقوله : (فاستمع لما يوحى) ، أى : اسمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك (إننى أنا الله لا إله إلا أنا) ، وهذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وقوله : (فاعبدي) ، أي : وحلّني وكنم بعبادتي من غير شرك ، (وأقم الصلاة للذكرى) ، قيل : معناه صلّي لتذكركني . وقيل : معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لي :

ويشهد لهذا الثاني ما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا الشافعي بن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا ركعت أحدكم من الصلاة ، أو قفل عنها ، فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى
قال : (وأقم الصلاة للذكرى) (٦) .

وفي الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من نام عن صلاة أو نسيها ، ففكارتها أن يصليها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك» (٧) .

(۱) غیر الہی : ما زہقت نفسه ؛ ولم یذبح .

(٢) تفسير الطبري : ١٦/١١١ .

(۳) قال الطبري ۱۶/۱۱۱ : « وقال آخرون : بل هو أُمّ من أُمَّه لُمُوسَى أَنْ يَطَأَ الْوَادِي بِقَمِيهِ » وروي عن ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبلة ، ومجاهد أن معني طوى : طأ الوادي .

(٤) سورة النازعات ، آية : ١٦ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ١٤٤ .

(٦) مستند الإمام أحمد : ١٨٤/٣ .

(٧) البخاري ، كتاب الواقيت ، باب « من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها » : ١٥٥٪ ، ومسلم ، كتاب المآجد ، باب « قضاء الصلاة الفائتة » : ١٤٢٪ .

وقوله : (إن الساعة آتية) ، أى : قائمة لامحالة ، وكاتبة لا بد منها .

وقوله : (أكاد أخفيها) ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : أنه كان يقرؤها : «أكاد أخفيها من نفسي»^(١) ، يقول لأخها لاخوتي من نفس الله أبدا .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : من نفسه . وكذا قال عباد ، وأبو صالح ، وعجي بن رافع .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (أكاد أخفيها) ، يقول : لا أطلع عليها أحداً غيري .

وقال السدي : ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا قد أخفى الله عنه علم الساعة ، وهى فى قراءة ابن مسعود : «إلى أكاد أخفيها من نفسي» ، يقول : كتمتها من الخلائق ، حتى لو استطعت أن أكتمها من نفسي لفعلت .

وقال قتادة (أكاد أخفيها) ، وهى فى بعض القراءات أنصبيها من نفسي ، ولعمري لقد أنصفاها الله من الملائكة المقربين ، ومن الأنبياء والمرسلين .

قلت : وهذا كقوله : (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله^(٢)) ، وقال : (قللت فى السموات والأرض لأتأنبكم إلا بقية^(٣)) ، أى : قللت عليها على أهل السموات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب ، حدثنا أبو تميم ، حدثني محمد بن سهل الأسدي ، عن وقتبة قال : أقرأنيها سعيد بن جبير (أكاد أخفيها) ، يعنى ينصب الألف ويخفض الهاء ، يقول : أظهرها ، ثم أما سمعت قول الشاعر^(٤) :

دأب شَهْرَيْنِ ، ثم شهراً دَمِيكاً بأريكين يَحْتَفِيانَ غَمِيراً^(٥)

وقال الأسدي : الغمير : نبت رطب ، ينبت فى خلال بيس . والأريكين : موضع ، والدميك : الشهر الثام . وهذا الشعر لكعب بن زهير .

وقوله سبحانه وتعالى : (تجزى كل نفس بما تسعى) ، أى : أقيمها لامحالة ، لأجزى كل حامل بعمله ، (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره^(٦)) ، و(إنما تجزون ما كنتم تعملون^(٧)) .

(١) كلما ، ولم نجد لها قراءة منسوبة إلى ابن عباس ، ويقول أبو حيان فى البحر المحیط ٢٣٣/٦ : «وقالت فرقة : معناه أكاد أخفيها من نفسى» ، إشارة إلى شدة خوفها من المخلوقين ، وهو مروى عن ابن عباس ، فيبدو أن معنى مروى عنه ، لا لقراءة .

(٢) سورة النمل : آية ٦٥ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٨٧ .

(٤) حركب بن زهير ، ديوانه : ١٧٤ . وروايته فيه .

دأب شهرين ثم نصفاً دميكا • بأريكين يكتمان غميراً

وحليه فلا شاهد فيه . والبطر الأول فى اللسان ، مادة : (دعك) .

(٥) «دأب شهرين» : أى يداپ فى رعى الثبات ، و«دميكا» : تاما . و«بأريكين» : قال الأصمعي : يعنى موضعاً يقال له «أريك» ، فسم إليه آخر ، فقال : «بأريكين» . و«الغمير» : نبت تصبى بهاء ، فيبت عنه نبت آخر ، وربما أصاب الإبل منه هاء .

(٦) سورة الزلزلة : آية : ٧ ، ٨ .

(٧) سورة الطور : آية : ١٦ .

وقوله : (فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها ، واتبع هواه فدى) ، المراد بهذا الخطاب اتحاد الملكوت ، أى : لا تتبعوا من كذب بالساعة ، وأقبل على ملاذ في دنياه ، وعصى مولاه ، واتبع هواه ، فمن واقعهم على ذلك فقد خاب وخسر ، (فدى) ، أى : تهاك وتعطى ، قال الله تعالى : (وما ينفى عنه ماله إذا فدى) (١) :

وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يٰمُوسَىٰ ﴿١٠٠﴾ قَالَ رَبِّىْ عَصَىٰ اٰتَوْنٰهَا عَلَيَّهَا وَاَهْنُ رَبِّىْ عَلٰى غَنًى اٰتَوْنِيْ فِيْهَا مَعَادِىْ اٰتَوْنِيْ ﴿١٠١﴾ قَالَ اَلْقِهَا يٰمُوسَىٰ ﴿١٠٢﴾ فَاَلْقٰهَا فَاِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعٰى ﴿١٠٣﴾ قَالَ جِدْهَا لَوْلَا نَحْنُ بِسَبْعٍ مِّمَّا يَشِىْطُ الْاَوَّلُ ﴿١٠٤﴾

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ، ومعجزة عظيمة ، وخرق للعادة باهر ، ذاك (٢) على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل ، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل فقله : (وما تلك يمينك يا موسى) ، قال بعض المفسرين : إنما قال له ذلك على سبيل الإيثار له : وقيل : إنما قال له ذلك على وجه التقرير ، أى : أله هذا الذى فى يمينك عصاك التى تعرفها ، فسترى ما نصنع بها الآن ، (وما تلك يمينك يا موسى) ، استفهام تقرير : (قال : هى عصاى ، أتوكؤ عليها) ، أى : أتعتمد عليها فى حال المشى (وأهش بها على غنى) ، أى : أهرجها الشجرة ليقط ورقها ، لترضه غنى .

قال عبد الرحمن بن القاسم ، عن الإمام مالك : والحش : أن يضع الرجل للبحجن (٣) فى الفصص ، ثم يحركه حتى يسقط ورقه وتثمره ، ولا يكسر العود ، فهذا الحش ، ولا يخطب (٤) . وكذا قال ميمون بن مهران أيضاً (٥) :

وقوله : (وى فيها مآرب أخرى) ، أى : مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك :

وقد تكلف بعضهم الذكر شيء من تلك المآرب التى أبهت ، فقل : كانت تفسد له الليل ، وتجرحه له النعم إذا نام ، ويفرسها فصير شجرة نظله ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة :

والظاهر أنها لم تكن كذلك ، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صبرورتها ثباتاً ، فما كان يفر منها هارباً ، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية ، وكذا قول بعضهم : إنها كانت لآدم عليه السلام ، وقول الآخر : إنها هى الدابة التى تخرج قبل يوم القيامة ، وروى عن ابن عباس أنه قال : كان اسمها ماشا ، والله أعلم بالصواب :

وقوله تعالى : (ألقها يا موسى) ، أى : هذه العصا التى فى يمينك يا موسى ، ألقها (فلقها فإذا هى حية تسمى) ، أى : صارت فى الحال حيّة عظيمة ، ثباتاً طويلاً ، يحرك بحركة سريعة ، فإذا هى تهرج كأنها جان ، وهو أسرع الحيات حركة ، ولكنه صابر ، فهذه فى غاية الكبر ، وفى غاية سرعة الحركة ، (تسمى) ، أى : تنشى وتضطرب :

(١) سورة البقره ، آية : ١١ .

(٢) فى المخطوطة : « وخرق مادة باهرة حالة » . والمثبت من التعليمات السابقة .

(٣) الحصين : صمام مقوفة الرأس ، كالصودطان .

(٤) الخطب : ضرب الشجر بالمصا ليتناثر ورقها . والآثر أخرجه ابن أبى حاتم من مالك . ينظر الدر المنثور : ٤ / ٢٩٥ .

(٥) الأثر فى الدر المنثور من عمرو بن ميمون : ٤ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الله ، حدثنا حفص بن جعيص ، حدثنا مالك ، عن عكرمة ، عن [ابن عباس] (فالتقاها فإذا هي حية تسعى) : ولم تكن قبل ذلك حية ، ففرت بشجرة فأكلتها ، ومرت بصخرة فابتلعها ، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها ، فولى مدبراً ، فنودي أن : ياموسى ، خلدها . فلم يأخذها ، لم نودى الثانية أن خلدها ولا تخف . فقبل له في الثالثة : إنك من الآمنين . فأخذها .

وقال وهب بن مثنبه في قوله : (فالتقاها فإذا هي حية تسعى) ، قال : فالتقاها على وجه الأرض ، ثم حانت منه نظرة فإذا أعظم ثعبان نظر إليه الناظرون ، قد دب يلتمس كأنه يتغنى شيئاً يريد أخذه ، يمر بالصخرة مثل الحسكة (١) من الإبل فيلتصقها ، ويطعن بالناب من أنبابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، حينها توقدان ناراً ، وقد عاد المدحجن منها [عرفاً ، قيل : شعره مثل النيازك (٢) ، وعاد الثعبان منها مثل القليب (٣)] الواسع ، فيه أضراس وأنياب ، لها صريف (٤) ، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً ولم يعقب ، فذهب حتى أمعن ، ورأى أنه قد أصبغت الحية ، ثم ذكر ربه فوقف استحياه منه ، ثم نوى : ياموسى أن : أرجع حيث كنت : فرجع موسى وهو شديد الخوف ، فقال : (خلدها) يمينك (ولا تخف) ، سعيدها سربتها الأولى) ، وحل موسى حينئذ مدركة من صوف ، فخلعها فخلل من هيدان ، فلما أمره بأخذها أدلى طرف المدركة على يده ، فقال له ملك : أرأيت ياموسى ، لو أذن الله بما تخاف أكانت المدركة تفتى عنك شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنى ضعيف ، ومن ضعف خلقت . فكشف عن يده ثم وضعها على قدم الحية ، حتى سمع حسن الأضراس والأنياب ، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدا ، وإذا يده في موضعها الذي كان بضمها إذا توركا بين الشعبين : ولهذا قال تعالى : (سعيدها سربتها الأولى) ، أى : إلى حالها التي تعرف قبل ذلك :

وَأَوْصِيَهُمْ بِذَلِكَ لِيُجَاهِلُوا إِلَى جَنَاحِكَ تُخْرَجُ بِبَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُتْرِكُ لِيُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿١٧٧﴾
بِأَذْنَبِ إِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٧٨﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٧٩﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٨٠﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿١٨١﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿١٨٢﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَمَلِي ﴿١٨٣﴾ هُنُورٌ أَيْ : أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿١٨٤﴾
وَأُشِيرَ بِهِ أَمْرِي ﴿١٨٥﴾ فِي سَجِّكَ كَثِيرًا ﴿١٨٦﴾ وَتَذَكُّرًا كَثِيرًا ﴿١٨٧﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاءً بِصِيرًا ﴿١٨٨﴾

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام ، وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه ، كما صرح به في الآية الأخرى ، وهاتان خبر عن ذلك بقوله : (وأوصيه بذلك ليجاهلوا إلى جناحك) ، وقال في مكان آخر : (وأوصيه إليك جناحك من الرهب ، فذلك برهانان من ربك إلى فرعون وملكه) (٥) :

وقال مجاهد : (وأوصيه بذلك إلى جناحك) : كنه تحت عضله :

- (١) الخلفة - يفتح الخاء وكسر اللام - : الخلف من النوق .
- (٢) اثرك - بهم فسكون - : شعر الحق ، والنيك : الرمح القصير .
- (٣) القليب : القبر .
- (٤) الصريف : صوت نابت الحجر .
- (٥) سورة القصص : آية ٢٢ .

وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها ، تخرج تارلاً كأنها قلقة تمزج ، وقوله : (تخرج يضاه من غير سوء) ، أى : من غير برّس ولا أذى ، ومن غير شين ، قاله ابن عباس ، وجهاده ، وعكرمة ، وقفاده ، والضحاك ، والسدى ، وغيرهم ؛ وقال الحسن البصري : أخرجها - والله - كأنها مصباح ، فلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل ، ولهذا قال تعالى : (لنريك من آياتنا الكبرى) ؛

وقال وهب : قال له ربه : ادنُ : فلم يزل يدينه حتى شدّ ظهره بجذع الشجرة ، فاستقر وذعبت عنه الرعدة ، وجمع يده في العصا ، وخضع برأسه وعقته .

وقوله : (اذهب إلى فرعون إنه طغى) ، أى : اذهب إلى فرعون ملك مصر ، الذى عرّجت فأراً منه وهارباً ، فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ومره فليُحسنين إلى بنى إسرائيل ولا يملهم ، فإنه قد طغى وبغى ، وأثر الحياة الدنيا ، ولمس الرب الأهل .

قال وهب بن منبّه : قال الله لموسى : اطلق برسالى فإني سمعى ، وإني معك أئيدى وتصرى ، وإني قد أبلستك جنة من سلطان تستكمل بها القوة في أمرى ، فأنت جند عظيم من جندي ، يشك إلى خلق ضعيف من غلى ، يتطر نعمتى ، وأمين مكروى ، وغرته الدنيا غنى ، حتى جحد حتى ، وأنكر ديوينى ، وزعم أنه لا يعرفنى ، فإني أقسم بقرن لولا القدر الذى وضعت بينى وبين خلقى ، لبطشت به بطشة جبار ، يفضى لفضبه السموات والأرض ، والجبال والبحار ، فإني أمرت السماء حصصه ، وإن أمرت الأرض ابتلعته ، وإن أمرت الجبال دمرته ، وإن أمرت البحار غرقته ، ولكنه هان على ، وسقط من عيني ، ووسعه حلمي ، واستغثت بما عندى ، وحني إني أنا الذى لا غنى خبرى ؛ فبلغه رسالى ، وادعه إلى عبادتي وتوحيدي وإخلاصى ، وذكره أبائى ، وحلوه لقمى وهامى ، وأخبره أنه لا يقوم شيء لنفسي ، وقل له فيما بين ذلك قولاً ليلاً لعله يتذكر أومئضى ، وخيبره أنق إلى الغو والمفخرة أسرع منى إلى النفس والعقوبة ولا يرو عتاك ما ألبسته من لباس الدنيا ، فإن ناصبه يندى ، ليس ينطق ولا يطرث ولا يتنفس إلا بإذن ، وقل له : أجب ربك فإنه واسع المغفرة ، وقد أمهلك أربعمائة سنة ، في كلها أنت مبارزه بالهاربة ، تسبه وتمثل (١) به ، وتصدّ عباده عن سبيله ، وهو يحط عليك السماء ، وينت لك الأرض ، لم تقسم ولم تهزم ولم تغتر ولو شاء أن يمتجك لك القوة لتقل ، ولكنه ذؤانة وحلم عظيم وجهاده بنفسك وأخيك ، وأتيا تحسان (٢) جهاده ، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لتعلت ، ولكن (ليعلم) هذا العبد الضعيف الذى قد أعجبه نفسه وجوهره أن الله القليل - ولا قليل منى - تغلب الفئة الكبيرة بإذن ، ولا تمجكنا زيتته ، ولا ما متّع به ، ولا عمدا إلى ذلك أعتكنا ، فإنما زهر الحياة الدنيا ، وزينة الترفيع ؛ ولو شئت أن أزينكنا من الدنيا بزينة ، ليعلم فرعون حبيّ ينظر إليها أن مقدره تعجز عن مثل ما أوتينا ، فملكه ولكن أرويه بكما عن ذلك ، وأزويه (٣) عنكم ، وكللك أعلى بأوليائى ، وتديما

(١) أى : تشبه به .

(٢) الاحتساب : أن يترى المرء بمنه وجه الله .

(٣) أى : أقيسه .

ما جرت [صادق] في ذلك ، فلما لأقودهم^(١) عن نعيمها ورحلتها ، كما يلود الراعي الشقيق إبله عن مبارك المعرة^(٢) وماذا لو أنهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سائلا موقرا لم تكلمه^(٣) الدنيا .

واعلم أنه لم يترن في العباد بزينة هي أبلى مما عندى من الزهد في الدنيا ، فلما زيتة للفقير ، حلهم منها لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيام في وجوههم من أثر السجود ، أولئك أوليائي حقاً حقاً ، فإذا لقيتهم ، فانخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أمان في ولياً أو أخائه ، فقد بارزني بالخبرة ، وبأداني وعرض لي نفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرع شئاً إلى نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي ، أم يظن الذي يهاديني أن يعجزني ، أم يظن الذي يبارزني أن يسبني أو يفوتني . وكيف وأنا الثائر^(٤) ، لم في الدنيا والآخرة ، لا أكل مضطربهم إلى غيري .

رواه ابن أبي حاتم .

(قال : ربي ، اشرح لي صدري ويسر لي أمري) : هذا سؤال من موسى عليه السلام أربه عز وجل ، أن يشرح له صدره فيما يشه به ، فإنه قد أمره بأمر عظيم ، وخطب جسم . بهته إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك ، وأجرهم ، وأشد لهم كسراً وأكثرهم جنوداً ، وأعزهم ملكاً ، وأطفاهم وأبلغهم عرداً ، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ، ولا يعلم لرعاياه إلا خبره .

هذا وقد مكث موسى في حاربه مدةً وليداً عندهم ، في حجر قروحو ، على فراشه ، ثم قتل منهم قسماً فخافهم أن يقتلوه ، فهرب منهم هذه المرة بكاملها ، ثم بعد هذا يشه ربه عز وجل إليهم نديراً يدعوهم إلى الله عز وجل ، أن يسيروه وحده لا شريك له ، ولهذا قال : (رب ، اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري) ، أي : إن لم تكن أنت هوذا نصيري ، وعصدي وظهيري ، وإلا فلا طائفة لي بملك .

(واحلل حقله من لسانه ينفهوا قولي) ، وذلك لما كان أصابه من اللغ ، حين عرض عليه النمرة والجمرة ، فأخذ الجمرة فوضها على لسانه ، كما سيأتى بيانه ، وما سأل أن يزول ذلك بالكيفية ، بل بحيث يزول اللغ ، ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لراك ، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ، ولهذا بقيت بقية ، قال الله تعالى لإخباراً عن قروحو أنه قال : (أم أنا خير من هذا الذي هو متبني ولا يكاد بين^(٥)) ، أي : ينصيح بالكلام .

وقال الحبيب البصري : (واحلل حقله من لسانه) ، قال : حل حقله واحدة ، ولو سأل أكثر من ذلك أعطيت .

(١) أي : أدفعهم .

(٢) المعرة : الأفعى .

(٣) أي : لم تتكلم .

(٤) الثائر : طالب الثأر .

(٥) سورة الزمر : آية ٥٢ .

وقال ابن عباس : شكى موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل ، وعقدة لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة عنده من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردها ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فأثابته سؤله ، فحل عقدة من لسانه .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية ، عن أرطاة بن المنذر ، حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب ، عنه قال : أتاه ذو قرابة له : فقال له : ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ، ولست تُعرب في قراءتك ؟ فقال القرطبي : يا ابن أخي ، ألمت أفهمك إذا حدثتك ؟ قال : نعم . قال : فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ، ولم يزد عليها . هذا لفظه .

وقوله : (واجعل لي وزيراً من أهلي . هرون أخى) ، وهذا أيضاً سؤال من موسى في أمر خارجي عنه ، وهو مساعدة أخيه هارون له .

قال الثوري : عن أبي سعيد ، عن حكيم ، عن ابن عباس أنه قال : فتبني هارون ساعدته حين نبى موسى عليهما السلام .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن ابن عمر ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تتمر ، فزلزلت ببعض الأعراب ، فسمعت رجلاً يقول : أى أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا : ما ندرى . قال : والله أنا أدري ؟ قالت : فقلت في نفسي : في حكمه لا يستثنى ، إنه يعلم أى أخ في الدنيا كان أنفع لأخيه . قال : موسى حين سأل أخيه النبوة . فقلت : صدق والله . قلت : وفي هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام : (وكان عند الله وجيهاً) .

وقوله : (اشد به أذى) ، قال مجاهد : ظهري : (وأشره في أمري) ، أى : في مشاوري ، (كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً) ، قال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً ، حتى يذكر الله دائماً وقاهداً ومضطجعا . وقوله : (إنك كنت بنا بصيراً) ، أى : في اصطفاك لنا ، وإعطائك إيانا النبوة ، وبخشك لنا إلى حدود فرعون ، فلك الحمد على ذلك .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿١٠١﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا بِرُوحِ ﴿١٠٢﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْفَنَائِطِ فَاقْتُلِيهِ فِي الْيَمِّ بِالسَّيْلِ يَأْخُذْهُ عَدَوِّيَّ وَبَدُوُّهُ ۖ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ عَبْدًا مَنِئِي وَرَضَعْتَهُ عَلَى عَيْتِي ﴿١٠٣﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَكَ إِلَىٰ أَنِ يَكْفُلَ ﴿١٠٤﴾ فَرَجَعْنَاهَا وَلَا تَحْزَنُ ۚ وَكُنْتَ تَعْسًا فَفَجَعَلْنَا مِنَ النَّعَمِ وَفَعَلْنَا فِتْنًا

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام ، فيما سأل من ربه عز وجل ، وتذكير له بنبهه السالفة عليه ، فيما كان ألم أنه حين كانت ترضعه ، وتحنن عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه ، لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الظلمان . فاحتلت له ثابوتا ، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه ، وترسله في البحر — وهو أنيل — ونعسكه إلى

متزها بجبل ، فلهيت مرة تربطه فانفادت منها وزعج به البحر فحصل لها من النعم والنعيم ما ذكره الله عنها في قوله : (وأصبح فرعون أم موسى فارغاً ، إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها (١)) ، فلهب به البحر إلى دار فرعون ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً (٢)) ، أي : قدراً مقلوباً من الله ، حيث كانوا هم يقتلون العالمان من بني إسرائيل ، حكراً من وجود موسى ، فحكم الله - وله السلطان العظيم ، والقدرة التامة - أن لا يترتب إلا على فرعون ، ويندب بطامه وشرابه ، مع محبته وزوجته له : ولهذا قال : (يأخذه عدو لي وعدو له ، وأقيت عليك محبة مني) : أي : عند عدوك ، جعلته محبة لك .

قال سلمة بن كهيل : (وأقيت عليك محبة مني) قال : حيثك إلى عبادي (٣) .

(ولتصنع على صيني) ، قال أبو عمران الجوني : تربى بين الله .

وقال قتادة : تغلى على صيني .

وقال معمر بن لثبي : (ولتصنع على صيني) ، بحيث أرى .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني أجمله في بيت الملك ، ينعم ويترف ، غذاه عندهم غذاء الملك ، فذلك الصنعة .

وقوله : (إذ تمشى أنطك فتقول : هل أدلكم على من يكفله ؟ فرجعتك إلى أمك كي تقر عينها) ، وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون ، عرضوا عليه المراضع ، فأباهما : قال الله عز وجل : (وحرمتنا عليه المراضع من قبل) ، فجمدت أخته وقالت : (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (٤)) ، تنهى هل أدلكم على من ترضعه لكم بالأجرة ؟ فلهيت به وهم معها إلى أمه ، فعرضت عليه لبساً ، فقبله ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، واستأجروها على إرضاعه ، فلما بسبه سعادة ورفقة وراحة في الدنيا ، وفي الآخرة أغنم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث : « مثل الصانع الذي يحسب في صنعه الخير » ، كمثل أم موسى ، ترضع ولدنا وتأخذ أجرها (٥) .

وقال تعالى هاهنا : (فرجعتك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن) ، أي : عليك ، (وقتلت نفساً) ، يعني : القبطي ، (فنجيتك من النعم) ، وهو ما حصل له بسبب حزم آل فرعون على قتله ، ففر منهم هارباً ، حتى ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح : (لا تحزن فخرجت من القوم الظالمين) .

وقوله : (وفنتك فونا) ، قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه ، قوله : (وفنتك فونا) :

(١) سورة القصص ، آية : ١٥ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٦/١٢٢ .

(٤) سورة القصص ، آية : ١٢ .

(٥) أخرجه نحوه أبو داود في مراسله ، والبيهقي في سننه عن جبير بن نفير مرسلاً ، ينظر الجامع الصغير ، الحديث ٨١٤٣ :

حديث الفتون

حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا أسبغ بن زيد ، حدثنا القاسم بن أبي أيوب ، أخيراً سعيد بن جبّير قال : سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام : (وَهَذَا قَوْلُ) ، فسأله عن الفتون ما هو ؟ فقال : استألف^(١) الأنهار يا ابن جبّير [فإن لها] حليفاً طويلاً ، فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتزع منه ما وعدني من حديث الفتون ، قال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في خريجه أنبياء وملوكاً ، قال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ، ما يشكون فيه ، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان وعد إبراهيم ، قال فرعون : كيف تُرون ؟ فاقسموا وأجمعوا أنهم على أن يبحث رجالاً منهم الشفاعة^(٢) ، يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم ، والصغار يلحقون ، قالوا : يوشع^(٣) أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصبروا أن يباشروا من الأعمال والخلمة التي كانوا يكتفونكم ، فافعلوا عاماً كل مولود ذكر ، فيقتل أبناءهم ، ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً ، فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار ، فأنهم لن يكتفوا من تستحيون منهم فتخافوا مكانهم ليأتاكم ، ولن يفتنوا بن فتون ويخطبون إليهم ، فاجمعوا أمرهم على ذلك .

فحملت أم موسى هارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته عاتكة ، فلما كان من قابل حتمتكم موسى عليه السلام ، فوقع في قلبها الهم والحزن ، وذلك من الفتون يا ابن جبّير ما دخل عليه في بطن أمه ، مما يراد به : فأوحى الله إليها أن : (لا تخافي ولا تحزني ، إنا رادوه إليك) ، وجاعلوه من المرسلين^(٤) ، فاستمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت لم تلقه في اليم : فلما ولدت فعلت ذلك ، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان ، فقالت في نفسها : ما فعلت يا بني ، لو ذبح عندي لورثته وكشسته كان أحب إلي من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيثاله .

فأنتهى الماء به حتى أوفى به عند فرعون^(٥) ، مستقي جوكري امرأة فرعون ، فلما رأيته أخذته فهمز أن يفتحها فالتابوت فقال بعضهم : إن في هذا مالا ، وإنا إن فتحناه لم تصلقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه ، فحملته كهيته لم يخرج منه شيء حتى رجعته إليها : فلما فتحته رأته غلاماً ، فألقى عليه منها عبة لم يلق منها على أحد قط ، وأصبح فرعون أم موسى فارغاً من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسى .

فلما سمع اللياحون بأمره ، أقبلوا بشفاغهم إلى امرأة فرعون ليبيعهوه ، وذلك من الفتون يا ابن جبّير ، فقالت لهم : أئذوه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آت فرعون فأستوبه منه ، فإن ومه في كتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر ببيعهم لم أئسبكم .

(١) استألف الشيء : أخذ أوله ، أي : انتهى أول النهار .

(٢) الشفاعة : جيع شفرة ، وهي السكن الرقيقة .

(٣) في الخطبة : يوشعون . والثلث من تفسير الطبري . والله للطف .

(٤) فرضة البحر : ينهم فسكون - : مفرج الماء منه .

فَأَتَتْ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ. قَالَ فِرْعَوْنُ : يَكُونُ لَكَ قُلَامًا لِي فَلِحَاجَةٍ لِي فِيهِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي يَخْلُفُ بِهِ لَوْ أَتَى فِرْعَوْنَ أَنْ يَكُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَهُ ، كَمَا أَفَرَّتْ امْرَأَتُهُ ، لِمَا نَدَى اللَّهُ كَمَا نَادَاهَا ، وَلَكِنْ حَرَمَهُ ذَلِكَ ، فَأَوَسَلَتْ إِلَى مَنْ حَوْلَهَا ، إِلَى كُلِّ امْرَأَةٍ مِمَّا لَبِنَ لِفَخْخَارٍ لَهُ ظَنُّ (٢) ، فَيَجْعَلُ كُلَّمَا أَخْلَعَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ لُزْمَةً لَمْ يَقْبَلِ عَلَى نَفْسِهَا حَتَّى تَلْقُقَتْ امْرَأَةً فِرْعَوْنَ أَنْ يَتَنَبَّهَ مِنَ اللَّابِثِ فِيَمُوتَ ، فَلَحْزَنَهَا ذَلِكَ ، فَأَمَرَتْ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى السُّوقِ وَيُجْمَعَ الثَّنَائِسُ ، تَرْجُو أَنْ تَجِدَ لَهُ ظَنًّا تَتَخَذُهُ مِنْهَا ، فَلَمْ يَقْبَلِ ، وَأَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَى وَآلِهَا ، فَقَالَتْ لِأَخْتِهَا : قُصِّيْ أَمْرَهُ وَأَمَلِيهِ ، هَلْ تَسْمَعِينَ لَهُ ذِكْرًا ، لِحَيِّ ابْنِي أُمِّ قَدْ أَكَلَتْهُ الدُّوَابُ ؟ وَنَسِيتُ مَا كَانَ اللَّهُ وَعْدَهُهَا فِيهِ ، فَبَصُرَتْ بِهِ لَأَنَّهُ مِنْ جَنْبِهِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ - وَالْجَنْبُ : أَنْ يَسْمُرَ بِصَرِّ الْإِنْسَانِ إِلَى شَيْءٍ مُبِيدٍ ، وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ - فَقَالَتْ مِنَ الْفَرَحِ حِينَ أَلْعَامُ الظُّلُوكَاتِ : أَنَا أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَمْ نَأْصَحُونَ . فَأَخْلَعُوهَا فَقَالُوا مَا يَدُلُّوكَ ؟ مَا نَصَحَهُمْ لَهُ ؟ هَلْ يَحْفَرُونَهُ ؟ حَتَّى شَكُوا فِي ذَلِكَ ، وَذَلِكَ مِنَ التَّقْوَى يَا ابْنَ جِبْرِ . فَقَالَتْ : نَصَحْنَاهُمْ لَهُ وَشَفَقْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ رَغَبْتُهُمْ فِي ظُلُومَةِ الْمَلِكِ ، وَدَجَاءَ مَضْعَةُ الْمَلِكِ . فَأَرْسَلُوهَا فَانْطَلَقَتْ إِلَى أُمِّهَا ، فَأَخْبَرَتْهَا بِالْخَبَرِ . فَجَاءَتْ أُمُّهُ ، فَلَمَّا وَضَعَتْ فِي حَجْرِهَا تَرَكَ إِلَى نَفْسِهَا أَفْضَهُ ، حَتَّى امْتَلَأَ جَنْبَاهَا رِيًّا ، وَانْطَلَقَ الْبِشْرُ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ يَبْشُرُهَا : أَنْ قَدْ جِئْنَا لَانْتِكَ ظَنًّا : فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا ، فَأَتَتْ بِهَا وَبِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا يَصْنَعُ بِهَا قَالَتْ : امْكُثِي تَرْضَعِي ابْنِي هَذَا ، فَإِنِّي لَمْ أَحِبِّ شَيْئًا حَبَّ قَط . قَالَتْ أُمُّ مُوسَى : لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعَ ابْنِي وَوَكَلِي فَيُضَيِّعُ ، فَإِن طَابَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَعْلِيَنِيهِ فَأَخْبِئِي بِهِ إِلَى بَيْتِي ، فَيَكُونُ مَعِيَ لِأَكُوهُ (٣) خَيْرًا (فَطَلْتُ ، وَلَا) (٤) إِلَى خَيْرٍ تَارِكَةً بَيْتِي وَوَلَدِي . وَذَكَرَتْ أُمُّ مُوسَى مَا كَانَ الشَّعْدَاءُ عَلَيْهِ ، فَتَوَصَّرَتْ عَلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وَأَبْقَيْتُ أَنْ تَقْتُلَ مِنْجَى وَعْدِهِ ، فَجِئَتْ بِهِ إِلَى بَيْتِهَا مِنْ يَوْمِهَا ، وَأَتَيْتُهُ اللَّهُ لِيَأْكُلَ حَسَنًا ، وَحَفَظَهُ لَمْ يَدْفَعْهُ فِيهِ :

فَلَمْ يَزَلْ يَنْوِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ ، مَحْتَبِينَ مِنَ السُّفْرَةِ وَالظُّلَمِ مَا كَانَ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَرَعَرَعَ قَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لَأُمِّ مُوسَى : أَتُرِيدِي ابْنِي ؟ فَوَعَدَتْهَا يَوْمًا تَرْجِي إِيَّاهُ فِيهِ ، وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لِنِسَائِهَا وَظُلُومًا وَقَهَارَتَهَا : لَا يَبْقِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا اسْتَغْبِلَ ابْنِي الْيَوْمَ بِهَدِيَّةٍ وَكَرَامَةٍ لَأَرَى ذَلِكَ ، وَأَنَا بَاهِغَةٌ أَمِينًا يَعْصِي مَا يَصْنَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ ، فَلَمْ يَزَلْ لِلْمَلِكِيَّةِ وَالْحَكْمِ (٥) وَالْكَرَامَةِ لِقَبْلِهِ مِنْ حِينَ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ أُمِّهِ إِلَى أَنْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا تَحَنَّنَتْ وَأَكْرَمَتْهُ ، وَفَرَحَتْ بِهِ ، وَتَحَلَّتْ أُمُّهُ لِحَسَنِ أَثَرِهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : لَأَتَيْنَ بِهِ فِرْعَوْنَ فَتَكَبَّرَتْ حَكْمَتُهُ وَلِيَكْرَمَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ بِهِ عَلَيْهِ جَمَلُهُ فِي حَجَرِهِ ، فَتَنَاولَ مُوسَى حِلْيَةَ فِرْعَوْنَ عَمْدًا إِلَى الْأَرْضِ . فَقَالَ الْفَوَاقِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ لِفِرْعَوْنَ : أَلَا نَرَى مَا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَهُ ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنْ يَرْثَكَ وَيَعْلُوكَ وَيَصْرُوكَ ، فَأَرْسَلِ إِلَى الدَّيَّانِينَ لِيُجِزُوهُ . وَذَلِكَ مِنَ التَّقْوَى يَا ابْنَ جِبْرِ بِدَعْوَى كُلِّ بِلَادٍ أَجَلِي بِهِ ، وَلَوْ يَدُ بِهِ .

فَجَاءَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ فَقَالَتْ : مَا يَدُلُّكَ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي وَهَبْتِي ؟ [فَقَالَ] : الْإِثْرَةُ يُزَعِّمُ أَنَّهُ يَصْرُحُنِي وَيَعْلُوقُنِي فَقَالَتْ : أَجِبْ لِي بَيْتَكَ أَمْ يَكُونُ فِيهِ لِحَقٍّ ، أَلَمْ تَجِزْ بَيْنَ وَلَوْ تَبْنِي ، فَتَقَرَّبَ مِنْهُ إِلَيْهِ ، فَإِنْ بَطَشَ

(١) الْفَرَّة - بِضَمِّ الْقَافِ - كُلُّ فِيهِ قُرْبٌ بِهِ صَبْرٌ ، أَوْ : سُرْتُ بِهِ وَفَرَحْتُ .

(٢) الْبَشْرُ - بِكَسْرِ الْمِيمِ - : الْمُرَافَعَةُ خَيْرٌ وَلِمَا .

(٣) أَوْ : لَا أَمْنَهُ خَيْرًا ، وَلَا أَقْصَرَ فِي أَمْرِهِ .

(٤) مَا بَيْنَ الْقَوْمَيْنِ مِنْ تَقَرُّبٍ الْبُطْرِيِّ : ١٢٦/١٢٦ ، وَالْمَثَلُ : ٢٩٧/٤ .

(٥) التَّحَلُّ - بِكَسْرِ الْقَافِ - : جَمْعُ تَحَلَّةٍ ، وَهِيَ : السَّطِيَّةُ .

باللؤلؤتين واجتنب الجمرةين فأعرفت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرةين ولم يرد اللؤلؤتين ، علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرةين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب إليه ، فتناول الجمرةين ، فانتزعهما منه خافة أن يحرق يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فسرته الله عنه بعد ما كان قد هتم به ، وكان الله بالحق فيه آمرا .

فلما بلغ لشده وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرية ، حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يتتلان ، أحدهما فرعون والآخر إسرائيل ، فاستغاثه الإسرائيلي على القرونى ، فغضب موسى غضبا شديدا ، لأنه تناوله وهو يعلم موته من بين بني إسرائيل وحفظه لهم ، لا يعلم الناس إلا أنما ذلك من الرضباع ، إلا لم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره : ففكر موسى القرونى قتلته ، وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي ، فقال موسى حي قتل الرجل ! (هذان عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال : (رب إنك ظلمت نفسي فاغفرلى ، فضله ، إنه هو التقوى الرحيم) ، فأصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار ، فأتى فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا عقتا ولا تؤخجنهم : بالقتال : ابغض قاتله ، ومن يشهد عليه ، فإن للملك وإن كان صغوره (١) مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بيته ولا ثبت (٢) ، فأطابوا إلى علمه ذلك أخذكم لكم عقتكم ، فبينما هم يطوفون ولا يجدون شيئا ، إذا عموى من القرد ، قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر ، فاستغاثه الإسرائيلي على القرونى ، فصادف موسى قد تكلم على ما كان منه وكبره الذى رأى ، فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالقرونى ، فقال للإسرائيلي لسا فعل بالأمس واليوم ! (إنك لغوى مبين) ، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه القرونى ، فخاف أن يكون بعد ما قاله : (إنك لغوى مبين) ، أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراد ، وإنما قاله خافة أن يكون إياه أراد موسى الإسرائيلي وقال : (يا موسى ، أتريد أن تقتلى كما قتلت نفسا بالأمس) ، وإنما قاله خافة أن يقتلى كما قتلت ليقته ، فتاركا ، وانطلق القرونى فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول : (أتريد أن تقتلى كما قتلت نفسا بالأمس) : فأرسل فرعون اللباحين ل يقتلوا موسى ، فأخذ رُسل فرعون في الطريق الأعظم يمضون على هيتهم (٣) يطلبون موسى ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، فجاء رجل من شبة موسى من أقصى المدينة ، فأخبر طريقا حتى سيكهم إلى موسى ، فأخبره وذلك من القرون يا ابن جبر .

فخرج موسى متوجها نحو مدين ، لم يبق بلاء قبل ذلك ، وليس له بالطريق علم إلا حسرت ظنه بربه عز وجل ! فله قال : (صلى رب أن يدينى سواء السبيل) . ولما ورد ماء مدين ، وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تلودان) ، أى بذلك حابستين هتتهما ، فقال لهما : ما خطبكما معتزتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا : ليس لنا قوة نراحم القوم ، وإنما ننظر فصول حياتهم ؟ فسقى لهما ، فجعل يفرق في الدلو ماء كثيرا ، حتى

(١) صغوه - يفتح الصاد وكسر ها - = ميله .

(٢) أثبت - يفتح التاء والياء - = الحجة والبيانة أيضا .

(٣) الهينة - بكسر الهاء - = السكون والرفق . لى = يمضون على حاجتهم في ذلك .

كان أول الرعاة (١) ، فانصرفا بينهما إلى أبيهما ، وانصرف موسى عليه السلام ، فاستظل بشجرة ، وقال : (رب ، إني
 لا أنزلت إلى من خبر حقير) ، واستنكر أيهما سرعة صدورهما بينهما حفا (٢) ، بطائنا فقال : إن لكما اليوم شأننا ،
 فأخبرته بما صنع موسى ، فأمر إحداهما أن تذهب ، فأنت موسى فذهبه ، فلما كلمه قال : (لا تخف ، نجوت من
 القوم الظالمين) ، ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولست في مملكته ، فقالت إحداهما : (يا أبت ، استأجره ،
 إن خبر من استأجرت القوى الأمين) ، فاحتمله الفيرة على أن قال لها : ما يلريك ما قوته ؟ وما أماته ؟ قالت : أما قوته
 لما رأيت منه في الدلو حين سقي لنا ، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السبي منه ، وأما الأمانة فإنه نظر إلى حين أقبلت
 إليه وشخصت له ، فلما علم أن امرأة صوب (٣) رأسه فلم يرفعه ، حتى بلغته رسالتك ، ثم قال لي : امشي خلفي ، وانمعي لي
 الطريق ، فلم يفعل هذا إلا وهو لميع ، فسرى عن أبيها وصدقها ، وظن به الذي قالت .

فقال له : هل لك (أن أنحكك إحدى ابنتي هاتين ، على أن تأجرني ثمانى حجج ، فإن أتممت عشرا فمن عندك ،
 وما أريد أن أشق عليك ، مستحلف إن شاء الله من الصالحين) . ففعل ، فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة ،
 وكالت مستأنصة منه ، ف قضى الله عنه هديته فأتمها عشرا ،

قال سعيد ، وهو ابن جبير : فلفيف وجل من أهل النصرانية من علمائهم ، قال : هل تدرى أي الأجلين قضى موسى ؟
 قالت : لا ، وأنا يومئذ لا أدرى ، فقلت ابن عباس ، فذكرت ذلك له ، فقال : أما علمت أن ثمانيا كانت على نبي
 الله واجبة ، لم يكن لنبي الله أن يقضى منها شيئا ، ويعلم أن الله كان قاضيا من موسى هديته التي وعدته فإنه قضى عشر
 سنين ، فقلت النصراني فأخبره ذلك ، فقال : التي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك . قلت : أجل ، وأولى .

فلما صار موسى بأهله كان مع أمر الثار والمصا ويده ما قص الله عليك في القرآن ، فشكا إلى الله تعالى ما يخوف
 من آل فرعون في القتل وعقده لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنع من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون ،
 يكون له ودعا ، ويحكم عنه بكبر عما لا يفسح به لسانه ، فأثابه الله سؤله ، وحل عقدة من لسانه ، وأوحى الله إلى هارون
 وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بمصاه حتى لقي هارون عليهما السلام ، فانطلقا جميعا إلى فرعون ، فأقاما على بابه حينما
 لا يؤذن لهما ، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد ، فقالا : (إنا رسول ربك) ، قال : فمن ربكما ؟ فأخبره بالذي قص
 الله عليك في القرآن ؟ قال : فما نريدان ؟ وذكره القتل ، فاعتذر بما قد سمعت : قال : أريد أن تؤمن بالله ، وترسل
 معي بنى إسرائيل ؟ فأجبه عليه وقال : (أنت بأية إني كنت من الصادقين) ، فألقى مصاه ، فإذا هي (٤) حبة تسعى عظيمة
 فاضرة ، فلما ، مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خالفها ، فالتحم من سريره واستنثت بموسى أن
 يكتمها عنه ، ففعل ، ثم أخرج يده من جيبه فرأها بيضاء من غير سوء - يعني من غير برص - ثم ردها فعادت إلى
 لوئها الأول ، فاستشار الملأ حول له فيما رأى ، فقالوا له : هذان ساحران (يريدان أن يخرجاك من أرضك) سحرهما ، ويدهما

(١) الرعاة - يكسر الراء - : جمع راع .

(٢) بطائنا : جمع سائل ، أي مملكة القصر . ويطائنا : مملكة البطون .

(٣) أي : خلفه .

(٤) ما بين التوسمين من الطهيمات السابقة ، وفي الدر المنثور : « فألقى مصاه فتحولت حبة » .

بطريقتهنكم المثل) ، يعنى : ملكهم الذى هم فيه والعيش ، وأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلبه ، وقالوا له : اجمع لما السحرة ، فأنهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما ؟ فأرسل إلى المدائن فحضر له كل ساحر متعلم ، فلما أتوا فرعون قالوا : يم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل بالحيات - قالوا فلا والله ما أحد فى الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصى الذى نعمل : وما أجرتنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم : أنتم أقاربى وخاصيتى ، وأنا صانع إليكم كل شئ أعجبكم ، فواحدوا يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى .

قال سعيد بن جببر : فحدثني ابن عباس : أن يوم الزينة الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة ، هو يوم عاشوراء .

فلما اجتمعوا فى صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ، (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) ، يعنون موسى وهارون استهزاء بهما فقالوا : يا موسى - لقد دبرتهم بسحرهم - إما أن تأتي وإما أن تكون نحن الملقين : قال : بل ألقوا ، فآلقوا حبالهم وعصيهم ، وقالوا : بزة فرعون إنا لنحن الغالبون) ، فرأى موسى مع سحرهم ما أوجس فى نفسه خيفة ، فأوحى الله إليه أن ألق عصاك ، فلما ألقاها صارت عصاً عظيمة فاغرة فاها ، فحملت العصا تنبس بالحبال حتى صارت جِزْراً (١) إلى الثعبان ، لتدخل فيه ، حتى ما أبقت عصاً ولا حبالاً إلا ابتلعتها ، فلما حرثت السحرة ذلك قالوا ، لو كان هذا سحر أ لم يبلغ من سحرنا كل هذا ، ولكنه أمر من الله عز وجل ، آمنا بالله وبما جاء به موسى ، وتوكل على الله كما كنا عليه : فكسر الله ظهر فرعون فى ذلك للوطن وأشياعه ، وظهر الحق ، وبطل ما كانوا يعملون ، (فقبلوا هنالك واتقبلوا صاغرين) وامرأة فرعون بارزة متبذلة (٢) لتدعو القبطانصر لموسى على فرعون وأشياعه ، فن رآها من آل فرعون فلن أنها إنما ابتلت للشفقة على فرعون وأشياعه ، وإنما كان حزنها ومهما لموسى .

فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاء بآية وعده هتفا : أن يرسل معه بنى إسرائيل ، فإذا مضت أخطف موعده وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ، ويؤاqqه على أن يرسل معه بنى إسرائيل ، فإذا كف ذلك عنه أخطف موعده ، وتكث عهده .

حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل فى المدائن حاشرين ، فبعه مجنود عظيمة كثيرة ، وأوحى إلى لى البحر : إذا ضربك عصى موسى بمصاة فاطلق اتنى عشرة فرقة ، حتى يجوز موسى ومن معه ، ثم اتنى على من بنى بعد من فرعون وأشياعه : فبنى موسى أن يضرب البحر

(١) «الجزء» - بفتح الجيم والزاي ، ثم راء - جمع «جزرة» - بفتح فم تكون - وهى الماء المصاة لأن الجزر : لى تذهب للأكل . والكلام على سبيل التمثيل ، وقد يقال فى جمع «جزرة» : «جزر» ، بكسر الجيم وفتح الزاي .
(٢) التبدل : ترك التزين .

بالعصا ، وانتهى إلى البحر وله قصص (١) ، غافقة أن يضربه موسى بعصاه وهو خالط فيصير حاصياً لله ؛ فلما تراءى الجمعان وتقاربا ، قال أصحاب موسى : إنا لمدركون ، أفضل ما أمرك به ربك ، فإنه لم يكلب ولم تكلب : قال : وهذان إذا أتيت البحر انفرق اثني عشرة فرقة ، حتى أجاوزه ؛ ثم ذكر بعد ذلك العصا فضربت البحر بعصاه حين ذنا أوائل جند فرعون من أوائل جند موسى ، فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ، ودخل فرعون وأصحابه ، التي عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر ل قال أصحابه [: إنا نخافت أن لا يكون فرعون غرق ولا تؤمن بهلاكه : فذا ربه فأخرجه له يدينه حتى استيقنوا بهلاكه :

ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم (قالوا ياموسى ، اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون : إن هؤلاء متبهمون ما هم فيه باطل ما كانوا يعملون) قد رأيتم من العبر ومنهم ما يكتفيكم ومضى . فأنزله موسى منزلا وقال : أطيعوا هارون فإنه قد استخلفته عليكم ، فإني ذاهب إلى ربي . وأجلتكم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها ، فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوما وقد صامتهن ليلهن ونهارهن ، وكره أن يكلم ربه وريح فيه ، رجع لم الصائم ، فتناول موسى من ثياب الأرض شيئا فضمه ، فقال له ربه حين أتاه : لم أفطرت ؟ وهو أعلم بالذي كان ؛ قال : يارب ، إني كرهت أن أكلمك إلا وفي طيب الريح ؛ قال : أوما علمت ياموسى أن ريح قم الصائم أطيب من ريح المسك ، ارجع فقم عسرا ثم اتنى . ففعل موسى عايه السلام ما أمر به ، فلما رأى قوم موسى أنهم لم يرجع إليهم في الأجل ، ساءهم ذلك ؛ وكان هارون قد خطبهم وقال : إنكم قد خرجتم من مصر ، فقوم فرعون عندكم هوارى (٢) وودائع ، ولكم فيهم مثل ذلك وأنا أرى أنكم تحسبون (٣) ما لكم عندهم ، ولا أحل لكم ودية استودعتموها ولا عارية ، ولست أبرأين إليهم شيئا من ذلك ولا بمسكية لأنفسنا ، فضر حكيما ، وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أوليائه أن يقدوه في ذلك الحفير ، ثم أود عليه النار فأحرقه ، فقال : لا يكون لنا ولا لهم .

وكان السامري من قوم يعكفون البقر ، جبرائيل إسرائيل ، ولم يكن من بني إسرائيل ، فاحتمل (٤) مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقصى له أن رأى أثر (٥) فقبض منه قبضة ، فر هارون ، فقال له هارون عليه السلام : يا سامري ، ألا تلقى ما في يدك ؟ وهو قابض عليه ، لا يتركه أحد طرأ ذلك ، فقال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ، ولا ألتها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد ؛ فألقاها ، ودعا له هارون ، فقال : أريد أن يكون عجلا ؛ فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أوليائه أو نحاس أو حديد ، فصار عجلا أجوف ، ليس فيه ورج ، وله خولج .

(١) يروي عن بعض النسخة صوت الرعد .

(٢) التوراة : يروي عن بعض النسخة : فشد يدك . وهي ما استعزته من فبرك وقد أجمع العلماء على وجوب رد التوراة .

(٣) أي : تصيرون على ما لكم عندهم ، وتطلبون ثواب ذلك من الله .

(٤) ارتحل حين ارتحلوا .

(٥) سيات تفسير الأثر منه الآية ٩٦ من هذه السورة .

قال ابن عباس : لا والله ، ما كان له صوت قط ، إنما كانت الريح تدخل في جبره وتخرج من فيه ، فكان ذلك الصوت من ذلك

ففرق بنو إسرائيل فبركاً ، وقالت فرقة : يا سامري ، ما هذا ؟ وأنت أعلم به : قال : هذا ربكم ، ولكن موسى أضل الطريق . وقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فان كان ربنا لم تكن ضيغته وحيلاً فيه حتى رأيناه ، وإن لم يكن ربنا فانا تتبع قول موسى . وقالت فرقة : هذا عمل الشيطان ، وليس ربنا ولا نؤمن به ولا نصدق به وأشرب^(١) فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل ، وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون : (يا قوم ، إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن) . قالوا : فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم أخلفنا؟ هذه أربعون يوماً قد مضت؟ وقال سهلواؤهم : أضلأ ربنا فهو يطلبه ويتبعه .

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال ، أخبره بما لقي قومه من بعده ، (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً) فقال لهم ما سمعتم في القرآن ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وألقى الألواح من الغضب ، ثم إنه عكز أعلاه بعذره ، واستغفر له ، وانصرف إلى السامري فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : قبضت قبضة من أثر الرسول ، وقطعت لها وعصمت عليكم ، فقدتها وكلكت سولتي نفسي . قال : فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول : لا سامري ، وإن لك موعداً لن أخلفه ، وانظر إلى إلهك الذي ظنك عليه حاكماً ، لنحرقه ثم لننسفه في اليم نسفاً) ، ولو كان إلهاً لم يخلص إلى ذلك منه . فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة ، واضطبط الذين كان وأهم فيهم مثل رأى هارون ، فقالوا لجماعتهم : يا موسى ، سل لنا (ربك) أن يفتح لنا باب توبة نصنعها ، فيكفر عنا ما عملنا : فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك ، لا بأول أخير ، خيار بني إسرائيل ، ومن لم يشرك في العجل ، فاطلق بهم يسألهم التوبة ، فرجفت بهم الأرض ، فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل ، فقال : (ربنا لو شئت أهلكنهم من قبل وإياي ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا)^(٢) ، وفيهم من كان اطلع الله منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به ، ولذلك رجفت بهم الأرض ، فقال : (ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتوبون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجيئونه مكنياً عندهم في التوراة والإنجيل) . فقال : يا رب ، سألتك التوبة تقوى ، قلت : إن رحمتي كتبتها لقوم غير قوى ، فليتكن آخرتي حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة ؟ فقال له : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من قتي من والدوده ، فيقتله بالسيف ، ولا يباي من قتل في ذلك الوطن ، وتاب أولئك الذين كان أخفى على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها ، وعلوها ما أسروا ، وضر الله للقاتل والمقتول .

ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجهاً نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب ، فلم يرم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف ، فضل ذلك عليهم ، وأبوا أن يكرهوا بها ، فتت^(٣) الله عليهم الجبل كأنه

(١) أي : سقته قلوبهم كما يسق المططان الماء .

(٢) انظر تفسير ذلك في سورة الأعراف الآية ١٥٥ : ٤٧٧/٣ : ٤٧٨ .

(٣) انظر أيضاً تفسير سورة الأعراف الآية ١٧١ : ٤٩٩/٣ : وما بعدها .

فَلَيْتَ سَيْنٍ فِيْ أَهْلِ مَدِيْنَةٍ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يٰمُوسَىٰ ۖ وَأَصْلَحْنَكَ لِنَفْسِي ۖ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ
يَعْقَبُ وَلَا نَبِيًّا فِيْ ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّسَانًا ۖ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَمْ
يَحْسَبُنِي ۖ ﴿١٤﴾

يقول تعالى غاطباً لموسى عليه السلام : إنه لبث مقبلاً في أهل « مدني » فارأى من فرعون ملكه ، يرمى على صهره ،
حتى انتهت المدة وانقضى الأجل ، ثم جاء موثقاً لقدر الله ولإرادته من غير ميّاد ، والأمر كله لله تبارك وتعالى ،
وهو المسيّر عباده وخلقه فيما يشاء ، ولهذا قال : (ثم جئت على قدر) ، قال مجاهد : أي على موعد .
وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : (ثم جئت على قدر ياموسى) ، قال : على قدر الرماله
والنبوة (١) .

وقوله : (واصطغتك لنفسى) ، أى : اصطغتك واجتيتك رسّولاً لنفسى ، أى : كما أريد وأشاء .

وقال البخارى عند تفسيرها : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا مهدي بن ميون ، حدثنا محمد بن مبرين ، عن
أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « التقى آدم وموسى ، فقال موسى : أنت الذى أُنشئت للناس
وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت الذى اصطغاك الله برسالاته واصطغاك لنفسه ، وأنزل عليك التوراة ؟ قال :
نعم . قال : فوجدته قد كتب علىّ قبل أن يخلقنى ؟ قال : نعم : فصحّ آدم موسى » أخرجاه (٢)

(اذهب أنت وأخوك يعقوب) ، أى : هجّجى وبراهينى ومعجزاتى ، (ولا نبيا في ذكرى) - قال على بن أبى طلحة
عن ابن عباس : لا تُبطلنا .

وقال مجاهد ، عن ابن عباس : لا تَضْمَعُ (٣) .

والمراد أنهما لا يفترون في ذكر الله ، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ، ليكون ذكرُ الله عزّاً لهما عليه
وقوة لهما وسلطاناً كامساً له ، كما جاء في الحديث : « إن عبدي كلّ عبدي للذى يذكرنى وهو مستجير قبره » (٤) .

(١) تفسير الطبرى : ١٦ / ١٢٨ .

(٢) البخارى ، تفسير سورة طه : ١٢٠ / ٦ . وسلم ، كتاب القدر ، باب : « حجاج آدم وموسى عليهما السلام » .
٤٩ / ٨ . ومعنى حج آدم موسى : « فله في الجنة » .

(٣) تفسير الطبرى : ١٦ / ١٢٩ .

(٤) أخرجه الترمذى في أبواب اللجوء ، ينظر تحفة الأحوى ، الحديث ٣٦٥١ ، ٤٠ / ١٠ ، وقال الترمذى : « هذا
حديث غريب لا نمره إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوى » . ويقول الخافظ أبو العلى صاحب تحفة الأحوى : « وليس
إسناده بالقوى : لضعف طريقه بين ممدان » .

والمناجزة : المقاتلة . ولفظ الترمذى : « وهو ملاق قرنه » . والقرن - بكسر فسكون - : المقاتل المكافئ له في الشجاعة
والحرب ، أى أنه لا يقل من ذكر دبه من وجل ، حتى في حال حماية الملاك .
هذا وينظر أسد الغابة ، الترجمة ٢٨٠٨ : ١٣٩ / ٤ ، بحقيقنا .

(ذهب إلى فرعون إنه طغى) ، أى : غرّد وعتا وتجبّه رم على الله وعصاه ، (قولاً له قولاً لنا ، لعله يتذكر أو يخشى) ، هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون فى غاية العتو والاستكبار ، وموسى صموء الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمر أن لا يطالب فرعون إلا بالملاطفة واللين ، كما قال يزيد الرقاشى عند قوله : (قولاً له قولاً لنا) : يامر يتجنب إلى من يماذيه ، فكيف بمن يتولاه ويماذيه ؟ .

وقال وهب بن منبه : قولاً له : إنك إلى العفو والمغفرة أقرب منى إلى الغضب والهوبة ؟

ومن عكرمة فى قوله : (قولاً له قولاً لنا) ، قال : لا إله إلا الله . وقال عمرو بن عبّيد ، عن الحسن البصرى : (قولاً له قولاً لنا) : أهدنا إليه ، قولاً له : إن لك رباً ، ولك معاداً ، وإن بين يديك جنة ونارا .

وقال بقرّة ، عن علي بن هارون^(١) ، عن رجل ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن التزال بن سبرة ، عن علي بن أبي طالب ، (قولاً له قولاً لنا) ، قال : كتبه .

وكذا روى عن صفوان الثوري : كتبه بألف مرة .

والحاصل من أقوالهم أن دعوتها له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل ، ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ وأنجح ، كما قال تمال : (ابع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجاهد بالحق هى أحسن)^(٢) ، الآية .

(لعله يتذكر أو يخشى) ، أى : لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة ، (أو يخشى) ، أى : يوجد طاعة من خشية ربه ، كما قال تمال : (إن أراد أن يذكر أو يخشى)^(٣) . فالتذكر : الرجوع عن المأثور ، والخشية : تحصيل الطاعة .

وقال الحسن البصرى : (لعله يتذكر أو يخشى) ، يقول : لا تفل أنت يا موسى وأخوك هارون : أهلكم ، قبل أن أهدى إليهم^(٤) .

وهامتا تذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ، ويروى لأمية بن أبى الصلت فى ذكره ابن إسحاق^(٥) :

(١) كذا فى المخطوطة ، ولم نجد « علي بن هارون » هذا .

(٢) سورة النمل ، آية : ١٢٥ .

(٣) كذا ، وليست آية . ولعله يضى الآية التى فى سورة الأهل ، وهى قوله تمال : (سلك من يخشى) . وأما قوله تمال (إن أراد أن يذكر) فى سورة الفرقان ، الآية : ٦٢ ، وتامها : (أو أراد شكورا) .

(٤) زواية الحسن كما فى النو المثورة ٣٠١٪ من ابن أبى حاتم : (قولاً له قولاً لنا) ، قال : أهدنا إليه ، وقولاً له : إنك ربنا ، ولك معاداً ، وإن بين يديك جنة ونارا .

(٥) تقلدت الأبيات فى تفسير سورة الرعد : ٣٠١٪٤ ، وغيرهناها وغيرهنا فيها هناك .

وَأَنْتَ الَّذِي مَن قَضَلِ مَنْ وَرَحْمَةً
فَقُلْتَ لَهُ : يَا اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا
فَقُولَا لَهُ : هَلْ أَنْتَ مَوَيْتَ هَذِهِ
وَقُولَا لَهُ : ٢ أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ
وَقُولَا لَهُ : ٣ أَنْتَ مَوَيْتَ وَسَطَهَا
وَقُولَا لَهُ : مَنْ يُخْرِجُ الشَّمْسَ بَكْرَةً
وَقُولَا لَهُ : مَنْ يُنْبِتُ الْخَبْ فِي الثَّرَى
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُغُومِهِ
بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا
إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ يَأْغِيَا
بِلَا وَكَيْدٍ حَتَّى اسْتَقْلَّتْ كَمَا هِيَ ؟
بِلَا عَمْدٍ ؟ أَرَفَقْنَا إِذَا بِكَ بَانِيًا ؟
مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيًا ؟
فَيُضَيِّحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَالِحِيًا ؟
فَيُضَيِّحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيًا ؟
فَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيًا

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَفَخْتُ أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا أَنْ يَطْلُنَ ۖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ۖ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا
إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِعَاقِبَةٍ مِنْ دِينِكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا جِئَ
الْمُذْنِبِينَ ۖ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ

يقول تعالى إخباراً عن موسى وهارون عليهما السلام أنهما قالَا مستجيرين بالله تعالى شاكيتين إليه : (إِنَّا نَخَافُ أَنْ
يَفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْلُنَ) ، يعنيان أَنْ يَبْدُرَ إِلَهُمَا بِقُوَّةٍ ، أَوْ يَتَذَيَّعَ عَلَيْهِمَا ، فِيمَا فِيهِمَا وَهْمَا لَا يَسْتَحِقَّانِ مِنْهُ ذَلِكَ ،

قال عبد الرحمن بن زيد : (أَنْ يَفْرَطَ) : يَخْتَجِلُ ۖ

وقال مجاهد : يَسْطُ عَلَيْنَا ۖ

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : (أَوْ أَنْ يَطْلُنَ) : يَطْلِي ۖ

(قَالَ : لَا تَخَافَا ، إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى) ، أَي : لَا تَخَافَا مِنْهُ ، فَإِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ كَلَامَكُمَا وَكَلَامَهُ ، وَأَرَى
مَكَانَكُمَا وَمَكَانَهُ ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيْءٌ ، وَاعْلَمَا أَنَّ نَاصِيحَةَ يَدِي ، فَلَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَتَنَسَلُ وَلَا يَطْلُشُ إِلَّا بِإِذْنِي
وَبَعْدَ أَمْرِي ، وَأَنَا مَعَكُمَا مُخْفِي وَتَصْرِي وَأَتْلِي ۖ

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حل بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو
ابن مرة ، عن أبي حنيفة ، عن عبد الله قال : لما بعث الله عز وجل موسى إلى فرعون قال : رب ، أَيُّ شَيْءٍ أَقُولُ ؟
قال : قل : هِيَ شَرَاهِيَا (١) . قال الأعمش : فُسِّرَ (٢) ذَلِكَ : لَمَّا قَبِلَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَمَّا يَهْدِي كُلُّ شَيْءٍ (٣) .

إِسْنَادٌ جَيِّدٌ ، وَشَيْءٌ غَرِيبٌ .

(١) لَفْظُ الْفَرِ الْمَشْهُورُ : « لَعْنَا شَرَاهِيَا » .

(٢) أَي : تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَبَيَانُهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . هَذَا الْمَشْهُورُ : ٣٠١/٤ .

(فَأَيُّاهُ قَوْلًا : إِنَّا رُسُلَا رَبِّكَ) ، قد تقدم في حديث «الفتون» عن ابن عباس أنه قال : مكثا على بابهما حين لا يؤذن لهما ، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار : أن موسى وأخاه هارون خرجا ، فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان :
إِنَّا رُسُلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأَذْنُوا بِنَا هَذَا الرَّجُلَ : فَكُتِبَ فِيَا بِأَخِي مَسْتَيْنِ يَتَعَدَّوَانِ وَيُرَوِّحَانِ ، لَا يَعْلَمُ بِهِمَا وَلَا يَجْزِيهِ أَحَدٌ
حَتَّى أَنْ يَخْرُجَ بِشَأْنِهِمَا ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ بِطَّلَالٍ (١) لَهُ يَلَاغِيهِ وَيُضْحِكُهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ عَلَى بَابِكَ رَجُلَا يَقُولُ
قَوْلًا صَحِيحًا ، يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ إِلَهًا خَيْرَكَ لِرُسُلِهِ إِلَيْكَ : قَالَ : بَيِّنْ لِي ؟ قَالَ نَعَمْ : قَالَ : ادْخُلُوهُ : فَدَخَلَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ
وَفِي يَدِهِ عَصَاهُ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى فِرْعَوْنَ قَالَ : إِنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ : فَحَرَفَهُ فِرْعَوْنَ -

وذكر السدي أنه لما قدم بلاد مصر ، ضاقت أمه وأخاه وهما لا يعرفانه ، وكان طامعهما ليلتذ الطمطل (٢) وهو اللبس
ثم عرفاه وسلموا عليه ، فقال له موسى : يا هارون ، إِنْ رُبَّ قَدْ أَمَرُنِي أَنْ آتِيَ هَذَا الرَّجُلَ فِرْعَوْنَ فَأَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ ، وَأَمْرُ
أَنْ نَمُوتَ : قَالَ : أَفَعَلَى مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ؟ فَلَمَّحَ ، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا ، فَضَرَبَ مُوسَى بَابَ الْقَصْرِ بِعَصَاهُ ، فَسَمِعَ فِرْعَوْنَ
فَنَفْسَهِ وَقَالَ : مَنْ يَجْزِيهِ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ ؟ فَأَخْبَرَهُ السُّدَنَةُ وَالْبَابُونَ بِأَنْ هَاهُنَا رَجُلَا يَجْنُوُلَا يَقُولُ : «إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»
فَقَالَ : عَلَى ؟ هُـ فَلَمَّا وَقَفَا بِهِ يَدِيهِ قَالَا وَقَالَ لَهَا مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ؟

وقوله : (قَدْ جِئْتُكَ بَأَيَّةٍ مِنْ رَبِّكَ) ، أى : بدلالة ومعجزة من ربك ، (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) ، أى :
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ إِنْ اتَّبَعْتَ الْهُدَى .

ولمَّا لَمْ يَكْتَبِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ كِتَابًا ، كَانَ أَوَّلُهُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ
عَمَدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ : سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى : أَمَّا بَعْدُ ، لِغَايَةِ ادِّعَاكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، فَاسْلَمْ تَسْلِمَ
يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّةً .

وكذلك لَمْ يَكْتَبِ مُسَيْلِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا صُورَتُهُ : «مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَسُولِ
اللَّهِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ قَدْ أَشْرَكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ ، فَكُلْ الْمُدَّ وَلِي الْوَبَرِ ، وَلَكِنْ قَرِيشُ قَوْمٌ يَعْتَلُونَ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ مُحَمَّدٍ وَرَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَلْبِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ ،
فَإِنَّ الْأَرْضَ لَهْ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَشَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٣) » .

ولمَّا قَالَ مُوسَى وَهَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِفِرْعَوْنَ : (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى : إِنَّا قَدْ أَوْحَى إِلَيْنَا أَنْ الْعِلَابُ عَلَى
مَنْ كَلَبَ وَتَوَلَّى) ، أى : قد أنبأنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي للمعصوم أن العِلَابَ مَتَّحِمُخَسَّ لِمَنْ كَلَبَ بَأَيَّاتِ اللَّهِ
وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (فَأَمَّا مَنْ ظَلَمَ : وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٤)) ، وَقَالَ تَعَالَى : (فَأَنْزَلْنَاهُ

(١) البطلال - كشادة - ذو الببال والشجاج .

(٢) كلما في ضلوة الأثر ، وتحت الدمين نحو التفتين ، وفي الطيمات السابقة : «الطليل» ، ولم تجده فيما أتبع لنا
من الماص .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢٢٠ : ٢٩١ .

(٤) التازعات : الآيات : ٢٧ - ٢٩ .

ناراً تطفى : لا يضلها إلا الأفعى : الذى كلب وتولى (١) ، وقال تعالى : (فلا صدق ولا صلب : ولكن كلب وتولى) (٢) ،
أى : كلب قلبه وتولى بقلبه .

قَالَ قَنِ رَبِّكَ يَمُومِي ﴿١٠﴾ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿١١﴾ قَالَ فَمَنْ ذَا الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿١٢﴾ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿١٣﴾

يقول تعالى غيباً عن فرعون انه قال لموسى منكراً وجود الصانع الخالق ، إله كل شيء وربّه ومليكه ، قال :
(فمن ربكما ياموسى) ، أى : الذى بعثك وأرسلك منّ هو ؟ فإني لأعرقه ، وما علمت لكم من إله غيرى ، (قال :
ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

قال هل بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : يقول : خلق لكل شيء زوجة (٣) .

وقال الضحاك عن ابن عباس : جعل الإنسان إنساناً ، والحصار حميراً ، والشاء شاة ؛

وقال ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد : أعطى كل شيء صورته .

وقال ابن أبى نجيب ، عن مجاهد : سَوَّى خلق كل دابة .

وقال سعيد بن جبير في قوله : (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، قال : أعطى كل شيء خلقه ما يصلحه من
خلقته ، ولم يجعل للإنسان من خلقه الدابة ، ولا للدابة من خلق الكلب ، ولا للكلاب من خلق الشاة ، وأعطى كل
شيء ما ينهى له من النكاح ، وهياً كل شيء على ذلك ، ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله فى الخلق والرزق والنكاح ،
وقال بعض المفسرين : (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) كقوله تعالى : (الذى قدر فهدي) (٤) ، أى : قدر
قدراً ، وهدى الخلق إليه ، أى : كتب الأعمال والأجال والأرزاق ، ثم الخلق ماشون على ذلك ، لا يحيدون عنه ،
ولا ينقد أحد على الخروج منه . يقول : ربنا الذى خلق ، وقدر القدر ، وجعل الحكمة على ما أراد .

(قال فما بال القرون الأولى) ، أصبح الأقوال فى معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذى أرسله هو
الذى خلق ورزق وقدر فهدي ، شرع يصحّ بالقرون الأولى ، أى : الذين لم يعبدوا الله ، أى : فما بالهم إذ كان الأمر
كما تقول ، لم يعبدوا ربك ، بل عبدوا غيره ؟ فقال له موسى فى جواب ذلك : هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله
مضبوط عليهم ، وسيجزىهم بعملهم فى كتاب الله ، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال ، (لا يضل ربى ولا ينسى) ، أى :
لا يضل عنه شيء ، ولا يفوته صغير ولا كبير ، ولا ينسى شيئاً . يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء عليم ، وأنه لا ينسى
شيئاً ، تبارك وتعالى وتقديس ، فإن علم المخلوق يعتره نقصانان ، أحدهما : عدم الإحاطة بالشئ ، والآخر نسيانه بعد
علمه ، فتره نفسه عن ذلك .

(١) الباء ، الآيات : ١٤ - ١٦ .

(٢) القىامة ، آية : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) تفسير الطبرى : ١٦ / ١٣١ .

(٤) سورة الأمل ، آية : ٣ .

قَالَ اجْعَلْنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ﴿٢٠﴾ قُلْنَا بَيْنَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُغْلِبُكَ عَلَيْهِ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَإِنَّ عَشِيرَ الْفٰسِقِينَ هُمْ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى غيراً عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى ، وهى إلقاء عصاه فصارت لهاها عظيماً ، وترج يده من تحت جناحه فخرجت يشاء من غير سوء ، فقال : هذا سحر ، جئت به لتسحرنا وتقتولى به على الناس ، فينبغى لك وتكافئنا بهم ، ولا يثم هذا معك ، فإن عندنا سحراً مثل سحرِكَ ، فلا يفرتك ما أنت فيه ، (فاجعل بيننا وبينك موعداً) ، أى : يوماً يجتمع نحن وأنت فيه ، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين ، فعند ذلك (قال) لهم موسى : (موعدكم يوم الزينة) ، وهو يوم عيدهم وتَوَرَّوْهُمْ (١) وقرعهم من أعالمهم واجتماعهم جميعهم ، ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ، ومعجزات الأنبياء ، وبطلان معارضة السحر لتوارق العادات النبوية ، ولهذا قال : (وأن عشير الناس) ، أى : جميعهم (ضحى) ، أى : ضحوة من النهار ليكون الظهور وأجل وأبين وأوضح . وهكذا شأن الأنبياء ، كل أمرهم واضح بين ، ليس فيه غفاه ولا ترويع (٢) ، ولهذا لم يقل : « ليلة » ، ولكن « نهاراً ضحى »

قال ابن عباس : وكان يوم الزينة يوم عاشوراء .

وقال السدى ، وقتادة ، وابن زيد : كان يوم عيدهم .

وقال سعيد بن جبير : يوم سوقهم .

ولا منافاة . قلت : وفى مثله أهلك الله فرعون وجنوده ، كما ثبت فى الصحيح .

وقال وهب بن منبه : قال فرعون : يا موسى ، اجعل بيننا وبينك أجلاً ننظر فيه . قال موسى : لم أؤمر بهذا ، إنما أؤمر بتناجزك ٣٠ . إن أنت لم تخرج دخلت إليك . فأوحى الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلاً ، وقل له أن يجعل هو . قال فرعون : اجعله إلى أربعين يوماً . ففعل .

وقال مجاهد ، وقتادة : (مكاناً سوى) : مَنَصَمَكاً : وقال السدى : عدلاً : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (مكاناً سوى) : بين الناس ما فيه ، لا يكون صوتاً (١) ولا شئاً يتغيب (٢) . بعض ذلك أ عن بعض مستوحى بقرى .

(١) التوروز : أول يوم من السنة ، وقد حرق إلى : ثوروز .

(٢) روج الشئ : وروج به : حبل . ولرس مروج : غلط .

(٣) المناجزة : المقاتلة والمخاصمة .

(٤) فى المخطوطة والتهجمات السابقة : « صوت » والمثبت عن تفسير الباقى . والسويع - بضم الصاد وفتح الواو -

جمع صوية - بضم فسكون ، وهى الكنية من تراب وغيره . (القامع) .

(٥) كذا فى مخطوطة الأزهر ، ومثله فى قلم المنصور ٣٠٣/٢٣ وفى تفسير الطبرى : « تغيب » .

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ يَجْمَعُ كَيْدَهُ ثُمَّ إِنَّ ۖ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَنْفَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِكُمْ يَعْذَابُ ۚ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۖ فَتَنَزَّهُوا أَمْرَهُمْ بِهِنِهِمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ۖ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَنَسِحْرٍ بَرِيدٍ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرَفِكُمْ أَلْمَلَى ۖ فَأَجْبِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ لُشُّوا صَفًا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ تَلَمَّعَ ۖ

يقول تعالى خبراً عن فرعون أنه لما تواجد هو بموسى عليه السلام إلى وقت ومكان معلومين ، تولى ، أى : شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته ، كل من ينسب إلى سحر في ذلك الزمان ؛ وقد كان السحر فيهم كثيراً لاقتفاء جلداً ، كما قال تعالى : (وقال فرعون : اتوني بكل ساحر عليم (١)) .

(ثم أتى) ، أى : اجتمع الناس ليقاتل يوم معلوم وهو يوم الزينة ، وجلس فرعون على سرير مملكته ، واصطف له أكابر دولته ، ووقعت الرمايا بينه وبينه ، وأقبل موسى عليه السلام يتوكأ على عصاه ، ومعه أخوه هارون ، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفاً ، وهو يحرضهم ويحثهم ، ويرشدهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ، ويقتنون عليه ، وهو يعلمهم ويحثهم ، فيقولون : (أن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) قال : لهم ، وإنكم إذا لمي المقربين (٢) : (قال لهم موسى : ويلكم ، لا تفترؤا على الله كلها) ، أى : لا تتوكلوا للناس بأعمالكم لإيجاد أشياء لاحقاق لها ، وأنها علوة وليست علوة ، فتكونون قد كلبتهم على الله ، (فيسحكنهم بعباد) ، أى : جعلكم بقوة هلاك لا يبقية لها ، (وقد خاب من افترى : فتنازحوا أمرهم بينهم) ، قيل : معناه أنهم تنازحوا فيما بينهم ، فقال يقول : ليس هذا بكلام ساحر ، إنما هذا كلام نبي : وقال يقول : بل هو ساحر : وقيل خير ذلك ، والله أعلم .

وقوله : (وأسروا النجوى) ، أى : تناجوا فيما بينهم ، (قالوا : إن هذا لساحران) - هذه لغة لبعض العرب ، جاءت هذه القراءة على إعرابها . ومنهم من قرأ : (إن هذين لساحران) ، وهذه اللفظة المشهورة : وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعاً (٣) .

والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يتنون موسى وهارون - ساحران هائلان خبران بصناعة السحر ، يريدان في هذا اليوم أن يلبساكم وقومكم ويستوليا على الناس ، وتبهما العامة ويقتلوا فرعون وجنوده ، فيسترا عليه ويخرجاكم من أرضكم .

وقوله : (ويلبسا بطريقكم اللئلى) ، أى : ويستبدا بهذه الطريقة ، وهى السحر ، وهى السحر ، فإنهم كانوا معتمدين بسببها ، ثم أموال ولزأق عليها ، يقولون : إذا غلب هذان أهلناكم وأخرجاكم من الأرض ، وتفردا بذلك ، وتمتعوا بها الرئاسة بها حولكم .

(١) سورة القصص ، آية : ٧٩ .

(٢) سورة الشعراء ، آية : ٤١ ، ٤٢ .

(٣) ينظر معنى اليبس : « إن » المكسورة المشددة ، الوجه الثاني . « اللام المفردة » ، لام الابتداء . والباب الرابع في ذكر أسكاف يكثر دروها ، روايت الجلسه بما هي خبر حه . والباب الخامس : الجهة الثالثة ، والجهة العاشرة . والباب الثامن : لقائمة الأول . والبحر المهدى لبي حيان ٢٥٥/٦ .

وقد تقدم في حديث الثنوني عن ابن عباس في قوله : (ويلها بطريقكم المثل) ، يعني : ملكهم الذي هم فيه والعيش وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، سمع الشعبي يحدث عن علي في قوله : (ويلها بطريقكم المثل) ، قال : يصرف وجهه الناس إليهما . وقال مجاهد : (ويلها بطريقكم المثل) : قال : أولى الشرف والمثل والأصنام . وقال أبو صالح : (بطريقكم المثل) : أشرافكم وسروائكم : وقال حكيم : خيركم : وقال قتادة : وطريقهم المثل يومئذ بنو إسرائيل ، كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً ، فقال عدو الله : يريد أن يذهب بها لأنفسها . وقال عبد الرحمن بن زيد : (بطريقكم المثل) ، باللي أنتم عليه (١) .

وقوله : (فاجتمعوا كيدهم ثم اتوا صفاً) ، أي : اجتمعوا كلكم صفاً واحداً ، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة ، ليهربوا الأوبار ، وتطلبوا هذا وأناه ، (وقد أطلع اليوم من استعمل) ، أي : منا ومنه ، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل ، وأما هو فينال الرياسة العظيمة .

قَالُوا يَمْحُومُجُ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصْبُهُمْ جُمُوعًا لِّئَلَّا مِنْ يَحْمِلُهُمْ أَنَّهَا تَسْمَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّؤْمِنٌ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَفَتْ حَافَتُهُ مِصْرًا مُّصَوَّرَةً ﴿٦٩﴾ لَا تَصْنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السِّاحِرُ حَيْثُ أَنْتَ ﴿٧٠﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ جُمُوعًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَٰؤُلَاءِ وَمُؤْمِنٌ ﴿٧١﴾

يقول تعالى يخبرنا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى : (إما أن تلقى) ، أي أنت أولاً ، (وإما أن نكون أول من ألقى) ، قال : بل ألقوا ، أي : أنتم أولاً ليرى ماذا تصنعون من السحر ، وليظهر للناس جليلة أمرهم ، (فإذا حبلهم وعصبتهم يجمل إليهم من سحرهم أنها تسمى) : وفي الآية الأخرى أنهم لما ألقوا ، (قالوا : يزد فرعون إنا لنحن الغالبون (٢)) ، وقال تعالى : (سحرهم أمين الناس واستهزئهم ، وجاءوا بسحر عظيم (٣)) ، وقال هاهنا : (فإذا حبلهم وعصبتهم يجمل إليهم من سحرهم أنها تسمى) .

وذلك أنهم أودعوا من الرثيث ما كانت تتحرك بسيه وتضطرب وتعيد ، بحيث يجمل الناظر أنها تسمى باختيارها ، وإنما كانت حيلة ، وكانوا بها غفيراً وجمعاً كبيراً ، فآلى كل منهم عصاً وحيلة ، حتى صار الوادي ملأ من حبات يركب بعضها بعضاً :

(١) انظر تفسير الطبري : ١٣٧/١٦ ، ١٢٨ .

(٢) سورة الشعراء ، آية : ٤٤ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١١٦ .

وقوله ١ (فأوحى في نفسه خيفة موسى) ، أى : خاف على الناس أن يَمْتَقِنُوا بسحرهم ويقتروا بهم قبل أن يلقى ما فى يمينه ، فأوحى الله تعالى إليه فى الساعة الراحنة أن (ألقى ما فى يمينك) - يعنى عصاه - (فإذا هى تلقف ما صنعوا) وذلك أنها صارت تنبئاً (١) عطفاً هاتلاً ذابحاً وقرآن وحق ورأس وأخراس ، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصى حتى لم تبق منها شيئاً إلا تلقفته وابتلته ، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً جبهةً ، نهاراً ضحوة . فقامت للمعجزة ، وانضج البرهان ، وبطل ما كانوا يعملون . ولهذا قال تعالى : (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن موسى الشيباني ، حدثنا حياذ بن خالد ، حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصانع - عن الحسن ، عن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أنعم (٢) - على الساحر - فاقطعوه ، ثم قرأ : (ولا يفلح الساحر حيث أتى) » ، قال : لا يؤمن به حيث وجد (٣) » .
وقد روى أصله الترمذى موقوفاً ومرفوعاً (٤) :

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ، ولم خيرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه ، علموا علم اليقين أن هذا الذى فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل ، وأنه حق لا مزية فيه ، ولا يقدر على هذا إلا الذى يقول للشئ كُنْ فيكون . فعند ذلك وقعوا مسجدين لله ، وقالوا : (آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون (٥)) ،

ولهذا قال ابن عباس ، وعبيد بن حنبر : كانوا أول النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء ببرة .
قال محمد بن كعب : كانوا ثمانين ألفاً ، وقال القاسم بن أبى بزة : كانوا سبعين ألفاً .
وقال السدى : بضعة وثلاثين ألفاً :

وقال الثوري ، عن عبد العزيز بن ربيع ، عن أبى ثمامة : كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفاً .
وقال محمد بن أبى إسحاق : كانوا خمسة عشر ألفاً .
وقال كعب الأحمار : كانوا اثني عشر ألفاً :

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى عن الحسن ، حدثنا محمد بن علقم عن حمزة ، حدثنا علقم عن الحسن بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النخعي ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : كانت السحرة سبعين رجلاً ، أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء .

(١) الثابتين : الحية المنطقية .

(٢) فى المخطوطة : « إذا أحكم » . والمثبت من الطبعات السابقة والدر المنثور : ٣٠٣/٤ .

(٣) فى الدر المنثور : « ولا يأمن حيث وجه » .

(٤) تحفة الأسرار : أبواب الحدود ، باب « ما جاء فى سد الساحر » ، الحديث « ١٤٨ » : ٢٧/٥ ، ٢٨ . من طريق الحسن بن سندب مرفوعاً ، ولغته : « سد الساحر غريبة بالسيف » . وقال الترمذى : « هذا حديث لا ندره مرفوعاً إلا من هذا الوجه ... والصحيح عن جندب ، موقوف . والمثل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب الذين سئل الله عليه وسلم وفيهم ، وهو قول مالك بن أنس . وقال الشافعى : « إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر » ، فإذا حمل على ذلك الكفر نكح بر طيه قتلا .

(٥) سورة الشعراء ، آية ٤٧ ، ٤٨ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي : حدثنا المصيصي بن واضح بمكة ، حدثنا ابن المبارك قال : قال الأوزاعي : « هجر السحرة سجداً رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها »

قال : وذكر عن سعيد بن سلام : حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سليمان ، عن سالم الأقطس ، عن سعيد بن جبير : قوله : « وألقى السحرة سجداً » ، قال : رأوا منازل نبي لم وهم في سجودهم ، وكلما قال حكمة ، والقادم بن أبي بكر

قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ ءَنَّهُ لَكِبَرُكُ الَّذِى عَلَيْهِ السَّحَرُ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلْبَيْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَمْلُنَّ أَيْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا قَاضٍ مَا أَنْتَ قَاضٍ ءِنَّمَا تَقْضِ هَيْلَةَ الذَّنْبِ ﴿١٨﴾ ءِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعنه وبنيه ومكابرته الحق بالباطل ، حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ، ورأى الذين قد استعصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلمهم وغلب كل الغلب - شرع في المكابرة والبهت ، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة ، فتهددهم وتوعدهم ، وقال : (آمنتم له) ، أى : صدقتموه (قبل أن آذن لكم) ، أى : وما أمرتكم بذلك ، وانضم (١) هـ في ذلك . وقال قولاً يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب : (إله لكبريكم الذى علمكم السحر) ، أى : أنتم إنما أعلمتم السحر من موسى ، واتفقتم أنتم وإياه على وحي وحقي ، لتظفروه ، كما قال في الآية الأخرى : (إن هذا لكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (٢)) :

ثم أخذ يتهددهم فقال : (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف) ، ولأصلبكن في جلود النحل) ، أى : لأجعلكن مثلاً [ولأشهركن] ولأشهركن .

قال ابن عباس : فكان أول من فعل ذلك : واه ابن أبي حاتم .

وقوله : (ولتملن أينا أشد عذاباً وأبقى) ، أى : أنتم تقولون : إني وقوى على ضلالة ، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى . سوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه .

فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم ، هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل ، و (قالوا) : لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من اليئس () ، أى : لن نخشاك على ما حصل لنا من الهدى واليقين .

(والذى فطرنا) : يحتمل أن يكون قسماً ، ويحتمل أن يكون معطوفاً على اليئس .

يعنون : لا نخشاك على فطرنا وعما قلنا الذى أنشأنا من الدم ، المبتدئ خلقنا من الطين ، فهو المستحق العبادة والخضوع لا أنت

(١) أى : حتم دون لسى ؛ يقال لكل من أخط شياً في أمره ذلك : « قد أخطت عليك فيه » .

(٢) سورة الأعراف : آية : ١٢٢ -

(قاضي ما أنت قاضي) ، أي : فاعلم ما شئت وما وصّيت إليه بذلك ، (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) ، أي : إنما لك تسلّط في هذه الدار ، وهي دار الزوال ، ونحن قد وقفنا في دار القرار .

(إلّا أنا برئتنا ليغفر لنا خطايانا) ، أي : ما كان منا من الآثام ، خصوصاً ما أكرهتنا عليه من السحر لنعاف عنه به آية الله تعالى ومعجزة لوجهه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي : حدثنا شعيب بن حجاج ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سعيد ، عن حكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (وما أكرهتنا عليه من السحر) ، قال : أخذ فرعون أربعين غلاماً من بني إسرائيل ، فأمر أن يعلموا السحر بالقرم (١) ، وقال : علمهم تعلماً لا يعلمه أحد في الأرض - قال ابن عباس : فهُمْ من الذين آمنوا بعباسي ، وهم الذين قالوا : (أنا برئتنا ليغفر لنا خطايانا ، وما أكرهتنا عليه من السحر) . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٢) .

وقوله : (والله خير وأبني) ، أي : خير لنا منك ، (وأبني) ، أي : أودم ثواباً مما كنت وعدتنا ومعدتنا : وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله .

وقال حمد بن كعب القرظي : (والله خير) ، أي : لنا منك إن أطيع ، (وأبني) ، أي : منك حلماً إن عصي . وروى نحوه عن ابن إسحاق أيضاً .

والظاهر أنه فرعون - لعنه الله - صمم حل ذلك وفعله بهم وحملهم الله : ولما قال ابن عباس وغيره من السلف : أصبحوا سحرة ، وأمسوا شهداء .

بِأَنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ حَمَلَ الْإِسْلَامَ فِي نَفْسِهِ خَلَّدَ اللَّهُ نَفْسَهُ لَهُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۖ ﴿٥٧﴾

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وحّط به السحرة لفرعون ، يحذرونه من نقمة الله وحلابة الدائم للمرتدين ، ويرغبونه في ثوابه الأبدي الخلد ، فقالوا : (إنه من يأت ربّه مجرماً) ، أي : يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم ، (فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) . كقوله : (لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك يجزي كل كسور (٣)) ، وقال : (ويحببها الأثني . الذي يصل النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيى (٤)) . وقال تعالى : (ونادوا : يا مالِك ! يقضى علينا ربك ، قال : إنكم ما تكون (٥))

(١) للفرار بفتح الفاء والراء - : مدينة على الساحل ، من ناحية مصر .

(٢) ينظر تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٢ .

(٣) سورة نازل ، آية : ٣٦ .

(٤) سورة الأمل : الآيات : ١١ - ١٣ .

(٥) سورة الزمر : آية : ٧٧ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا إسحاق ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نصره ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فلم يموتوا فيها ولا يحيون ، ولكن [ناس] نصيبهم النار بذنوبهم ، فميتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحما ، أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ، ضبائر (١) ، فبُشُوا (٢) على أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم ، فينبشون ثيابات الحبيبة تكون في حميل (٣) السيل . فقال رجل من القوم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية (٤) »

وهكذا أخرجه مسلم في كتابه الصحيح من رواية شعبة ويشر بن الفضل ، كلاهما عن أبي مسleme سعيد بن يزيد ، به (٥) :

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال : حدثنا أبي ، حدثنا حبان ، سمعنا سليمان التيمي ، عن أبي نصره ، عن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبه فأتى على هذه الآية : (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها ، فإن النار تمسهم ، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون ، فتجمل الضبائر فيؤتى بهم نهاراً يقال له الحياة - أو : الحيوان - فينبشون كما ينبت القشء في حميل السيل »

وقوله : (ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات) ، أي : ومن لقي ربه يوم للمعاد مؤمن القلب ، قد صدق ضميره بقوله وعمله ، (فأولئك هم الدرجات العل) أي : الجنة ذات الدرجات العاليات ، والرفرف الأمات ، وللمساكن الطيات .

قال الإمام أحمد : حدثنا هفان ، أنبأنا همام ، حدثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عباد بن الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . والفردوس أحلاها درجة ، ومنها تخرج الأنهار الأربعة ، والعرش فوقها ، فإذا سأل الله فأسأله الفردوس (٦) »

ورواه الترمذي ، من حديث يزيد بن هارون ، عن همام ، به (٧) :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي . حدثنا سليمان بن عبد الرحمن النمشي ، أخبرنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه قال : كان يقال : الجنة مائة درجة ، في كل درجة مائة درجة ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فهذه الباقوت والخل ، في كل درجة أمير ، يرون له الفضل والمؤدد :

(١) أي جماعات في الفرقة ، الواحدة : جماعة ، مثل حارة وحمار ، وكل مجتمع : جماعة .

(٢) كذا في مسلم . وفي مسند الإمام أحمد : « فنبشوا » .

(٣) تقدم تفسير حميل السيل في : ٢٨١/٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١١/٣ .

(٥) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : إثبات الشفاعة وإخراج المرسلين من النار : ١١٨٪١ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣١٦/٥ .

(٧) تحفة الأوسني ، باب : ما جاء في صفة درجات الجنة ، الحديث ٢٦٤٩ : ٢٢٤/٧ ، ٢٣٥ : وقال الترمذي :

هذا حديث حسن شريف .

وفي الصحيحين : « أن أهل طبرستان سموا الكوكب الثائر في أفق السماء ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء ؟ قال : بلى ، والتي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » (١) . وفي السنن : « وإن أباً بكر وعمر عليهما وآلهما (٢) :

وقوله : (جنات عدن) ، أي : إقامة . وهو بدل من الدرجات العلوية (خالدين فيها) ، أي : ما كنن أبداً ، (وذلك جزاء من تركي) ، أي : طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك ، وعبد الله وحده لا شريك له ، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خبر وطلبه .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَمْرِ عَبْدِي فَاصْرَبْ ثُمَّ طَوَّعْنَا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخْفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۝
فَأَتَيْنَاهُمُ فِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ فَفَشَلْنَاهُمُ مِنَ الْيَمِّ مَاجِئِينَ ۝ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۝

يقول تعالى خبراً أنه أمر موسى عليه السلام ، حين أتى فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل ، أن يسرى بهم في الليل ، ويلهب بهم من قبضة فرعون . وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة للكرامة . (٢) . وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا دافع ولا مجيب ، فغضب فرعون غضباً شديداً وأرسل في المداين حاضرين ، أي : من يجمعون له الجنتم بلادته ورمانيقه (٤) يقول : (إن هؤلاء لشرفة قايلون . ولهم لنا لعافلون) (٥) . ثم لما جمع جندته واستوسق (٦) له جيشه ، ساق في طلبهم (فأتبعهم مشرقين) ، أي : عند طلوع الشمس ، (فلما تراءى الجمعان) أي : نظر كل من الفريقين إلى الآخر ، (قال أصحاب موسى : إنا لمركون . قال : كلا ، إن معي ربي سيهدين) (٧) . ووقف موسى ببني إسرائيل ، البحر أمامهم ، وفرعون وراهم ، فعند ذلك أوحى الله إليه أن (اضرب لهم طريقاً في البحر يبساً) ، فغضب البحر بعصاه ، وقال : « انفلق باذن الله » ، (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) (٨) . أي : الجيل العظيم . وأرسل الله الريح على أرض البحر فلقته حتى صار يابساً كوجه الأرض ، ولعلنا قال : (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً) ، أي : من فرعون ، (ولا تخشى) ، يعني من البحر أن يغرق قومك . ثم قال تعالى : (فأتيناهم فرعون بجنوده ففشاهم من اللجم) ، أي : البحر (ما غشيهم) ، أي : الذي هو معروف ومشهور . وهذا يقال عند الأمر للمعروف والمشهور ، كما قال تعالى : (ولولوتفكة أموى . ففتشها ما غشي) (٩) . وكما قال الشاعر :

« أَنَا أَبُو الشَّجَمِ وَشَعْرَى شَعْرَى »

- (١) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « ما جاء في حفة الجنة وأنها خلوقة » : ١٤٥/٤ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب تراءى أهل الجنة أهل الغرف ، كما يرى الكوكب في السماء : ١٤٥/٨ .
- (٢) سنن أبي داود ، كتاب الحروف والقرآنات ، الحديث ٣٩٨٧ : ٣٤/٤ . وسنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب « في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٩٦ : ٣٧/١ . ومسنن الإمام أحمد : ٢٦/٣ ، ٢٧ .
- (٣) سورة الشعراء ، آية : ٥٢ . والنسخان ، آية : ٢٣ .
- (٤) الرمانيق : القرى .
- (٥) سورة الشعراء ، الآيات : ٥٣ - ٥٥ .
- (٦) أي : اجتمع .
- (٧) سورة الشعراء ، الآيات : ٦٠ - ٦٢ .
- (٨) سورة الشعراء ، آية : ٦٣ .
- (٩) سورة التيمم ، آية : ٥٤ ، ٥٥ .

أى : الذى يعرف ، وهو مشهور .

وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم فى الم فاضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد ، كذلك (يتقدم قومته يوم القيامة ، فأوردهم النار ، ويتس الورد المورود (١)) .

يَنْبِئُ بِأَمْرِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَعَا إِلَى تَحِيَّتِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدَنَّاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَوَضَعْنَا عَلَىكَ أَلَمَنَ وَالسَّوْىَ ﴿١٠﴾
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿١١﴾ وَإِلَىٰ
لَعْنَتَيْنِ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿١٢﴾

يلتزم تعالى نعمته على نبي إسرائيل النظام ، ومنته الجسم ، حيث تجلجهم من عدوهم فرعون ، وأثر أعينهم منه ، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد هزقوا فى صبيحة واحدة ، لم ينج منهم أحد ، كما قال : (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون (١٢)) .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اليهود تصوم عاشوراء ، فسألم فقالوا : هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون ، فقال : « نحن أولى بموسى ، فصوموه » (١٢) رواه مسلم أيضا فى صحيحه (١٤) ، ثم إنه تعالى واحد موسى وبنى إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن ، وهو الذى كلمه تعالى عليه ، وسأل فيه الرؤى ، وأعطاه التوراة هناك ، وفى حضور ذلك هبّ بنو إسرائيل العجل ، كما قصه تعالى قريبا .

وأما المن والسوى ، فقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة « البقرة » (٥) ، وغيرها . فالن : حكوى كانت تنزل عليهم من السماء . والسوى : طائى سقط عليهم ، فباعطون من كل ، فسر الحاجة إلى الند ، لطفاً من الله ، ورحمة بهم ، وإحسانا إليهم . ولهذا قال تعالى : (كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي) ، أى : كلوا من هذا الذى رزقناكم ، ولا تطغوا فى رزق ، فتأخذوا من غير حاجة ، وتغافلوا ما أمركم به ، (فيحل عليكم غضبي) ، أى : أغضب عليكم ، (ومن يحل عليه غضبي فقد هوى) — قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أى فقد شكى (١٦) .

وقال شتى بن مائع : إن فى جهنم قصرا يرى الكافر من أهله ، فيهى فى جهنم أربعين خريفا قبل أن يبلغ الانفصال ، وذلك قوله : (ومن يحل عليه غضبي فقد هوى) . رواه ابن أبى حاتم .

(١) سورة هود ، آية : ٩٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٥٠ .

(٣) البخارى ، تفسير سورة طه : ٩ / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٤) مسلم كتاب الصيام ، باب « صوم يوم عاشوراء » : ٣ / ١٤٩ .

(٥) تقدم فى سورة البقرة : الآية ٥٢ / ١٣٤ وما بعدها ، سورة الأعراف ، الآية ١٦٠ / ٣ / ٢٩١ .

(٦) تفسير الطبرى : ١٦ / ١٤٥ .

أخبر تعالى ليه موسى بما كان بعده من الخلق في بني إسرائيل ، وحياتهم العجل الذي علمه لهم ذلك السامريّ وقى الكتب الاسرائيلية : أنه كان اسمه هارون أيضا ، وكتبه الله تعالى له في هذه المائدة الألواح المنقوشة التوراة ، كما قال تعالى : (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ، فخذها بقوة ، وأمر قومك لئلا تعلموا بأسنها ، ساركم دار الفاسقين (١)) ، أي : عاقبة الخارجين من طاعة الخالقين لأمرى .

وقوله : (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) ، أي : بعد ما أخبره تعالى بذلك ، في غاية الغضب والحزن عليهم ، هو فيها هو فيه من الاعتناء بأمرهم ، وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم ، وفيها شرف لهم ، وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يتعلم كل عاقل له لب بطلان ما هم (٢) فيه . أضافه عقولهم وأذهانهم ، ولعللهم إليهم غضبان أسفا ، والأسف : شدة الغضب .

وقال مجاهد (غضبان أسفا) ، أي : جزعا : وقال قتادة (أسفا) ، أي : حزينا على ما صنع قومه مع بعده (٣) .

(قال : يا قوم ، ألم يدرككم ربكم وعدا حسنا) ، أي : أما وعدكم على لسان كل خير في الدنيا والآخرة : وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم ، وإظهاركم عليه ، وغير ذلك من آياته عندكم ؟ (أفأنتك عليهم العهد) ، أي : في انتظار وعدكم الله ، ولسان ما سكت من لعمري ، وما بالهد من قدم : (ألم أردتم أن يحل عليكم غضبي من ربكم) - أم : حاجتنا بمعنى بل ، وهي للإضراب عن الكلام الأول ، وعدوك إلى الثاني : كأنه يقول : بل أردتم بصينكم هذا أن يحل عليكم غضبي من ربكم (فأنظمت موحدي : قالوا) ، أي : بنو إسرائيل في جواب ما أنبههم موسى وقرّضهم : (ما أخلصنا موعدهم بمسكتنا) ، أي : من قدرتنا واختيارنا .

ثم شرعوا يمتدحون بالمر البارد ، يخبرون عن تورعهم عما كان بأبيهم من حكي القبط الذي كانوا قد استماروه منهم ، حين خرجوا من مصر ، (فخلصناها) ، أي : ألقيناها عنا . وقد تقدم في حديث التوراة ، أن هارون عليه السلام هو الذي كان أمرهم بالقاء الحلي في حكيمة فيها نار .

وفي رواية السدي ، عن ابن مالك ، عن ابن عباس : إنما أراد هارون أن يجتمع الحل كله في تلك الحفرة ، ويجعل حطبها واحدا ، حتى إذا رجع موسى يرى فيه ما يشاء . ثم جاء ذلك السامري فأتى عليها تلك القبضة التي أخلصها من أثر الرسول ، وسأل هارون أن يدهو الله أن يستجيب له في دعوته ، فدها له هارون - وهو لا يعلم ما يريد - فأجابه له ، فقال السامري عند ذلك : أسأل الله أن يكون صجلا . فكان عجلا له خوار ، أي : صوت ، استدراجا وإمهالا ومحنة واختيارا ، ولهذا قالوا : (فكللك آتني السامري . فلخرج لم صجلا جسدا له خوار) ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يحيى عن عبد بن حماد ، أخبرنا حماد ، عن سمك ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس : أن هارون صرّ بالسامري وهو ينحت العجل ، فقال له : ما تصنع ؟ فقال :

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٥ .

(٢) في المخطوطة : « بطلان ما تليه » . والمثبت من المطبوعات لسانة م .

(٣) تفسير الثوري ١٢٩/١٢٩ .

أصبح ما يشر ولا يشع : فقال هارون : اللهم أعطه ما سأل على ما في نفسه . ومضى هارون ، فقال الصامري : اللهم
إني أسألك أن يتخوَّره فخار ، فكان إذا خار سجدوا له ، وإذا خار رفضوا وموسم .

ثم رواه مع وجه آخر عن حماد ، وقال : لا أحمل ما يفتنع ولا يشر .
وقال السلي : كان يخور وعشي .

فقالوا - أي : الضالكون منهم ، الذين انتبتوا بالعجل وعجلوه - : (هذا إليكم وإله موسى فئسى) ، أي : لسيه
هائما ، وخمب يطله : كذا تقدم في حديثه القتون ، عن ابن عباس : وبه قال مجاهد .

وقال سالك ، عن حكرمة ، عن ابن عباس : (فئسى) ، أي : لسي أن يذكر كم أن هذا إليكم .

وقال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فقالوا : (هذا إليكم وإله
موسى) ، قال : ففكروا عليه وأحسوه حيا لم يمت شيئا قط . يعني مثله ، يقول الله : (فئسى) ، أي : ترك ما كان
عليه من الإسلام ، يعني الصامري (١) .

قال الله تعالى ردّا عليهم ، وتقريعا لم ، وبيانا لنقصيتهم ومخافة عقولهم فيها خيرا إليه : (أفلا يرون أن لا يرجع
إليهم قولا ولا يملك لهم شرا ولا نفعا ؟) أي : العجل ، (أفلا يرون) أنه لا يجيبهم إذا سألوه ، ولا إذا خاطبوه ،
(ولا يملك لهم شرا ولا نفعا) ، أي : في ديارهم ولا في أضرارهم .

قال ابن عباس رضي الله عنه : لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج من فيه ، فيسمع
له صوت .

وقد تقدم في متون الحديث عن الحسن البصري : أن هذا العجل اسمه جهوت .

وحاصل ما اعتل به هؤلاء الأجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط ، فألقوها عنهم ، وعبدوا العجل : فتورعوا عن
الخمر وفعلوا الأمر الكبير ، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر : أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم اليهود
إذا أصابه القرب - يعني : هل يصل فيه أم لا ؟ فقال ابن عمر رضي الله عنه : انظروا إلى أهل العراق ، قتلوا ابن بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني الحسين - وهم يسألون عن دم اليهود ؟ (٢) .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْتَهِمُ عَنْكُمْ بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُوهُ وَطَاعُوا أَمْرِي ۖ قَالُوا
لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنَفَيْنَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ۚ

يجز تعالى عما كان من تنهى هارون عليه السلام لم عن عبادة العجل ، وإخباره إياهم : إنما هذا فتنة لكم ، (وإن ربكم
الرحمن) الذي خلق كل شيء بقدرة تغدير ، ذو الرشد المجيد ، القمال لما يريد ، (فاتبعوني) ، أي : فليأمركم به ،
واتركوا ما أمركم عنه .

(١) تفسير الطبري : ١٦ / ١٤٩ .

(٢) البخاري ، كتاب الأدب ، باب : دسرة قوله وتقبيله ومماثلته : ٨ / ٨٠ . ومسنن الإمام أحمد : ٩٢ / ١١٤ .

(قالوا : لن لبرح عليه عاصمبن ، حتى يرجع إلينا موسى) ، أى : لا نترك عباده حتى نسمع كلام موسى فيه . وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه ، وكادوا أن يقتلوه .

قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَالَّا تَتَّبِعُنِي ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۚ ﴿١٠﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِمِلْحَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۚ ﴿١١﴾

يقول خبراً عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه ، فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم ، فامتلاً عند ذلك غيظاً ، وأتى ما كان في يده من الألواح الإلهية ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وقد قلنا في « الأعراف (١) » بسط ذلك ، وذكرنا هناك حديث : « ليس الخبر كالمينة » .

وشرع يلوم أخاه هارون فقال : (ما منلك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني) ، أى : فخبّرني بهذا الأمر أول ما وقع ، (أفعصيت أمري) ، أى : فبأكت فقلت إليك ، وهو قوله : (اخطئني في قولي وأصلح ، ولا تتبع سبيل المتسلين (٢)) :

قال : (يا ابن أم) ، تركت له بلكر الأم ، مع أنه شقيقه لأبويه ، لأن ذكر الأم هنا أرق وأبلغ ، أى : في الحنو والعلف ، ولهذا قال : (يا ابن أم ، لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أى : خشيت أن تقول : فرق بين بني إسرائيل ، ولم ترقب قولي .

هنا احتذر من هارون عند موسى في سبب تأخره عنه ، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم ، (قال : إني خشيت) أن أتبعك فأخبرك بهذا ، فنقول : لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم (ولم ترقب قولي) ، أى : وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم ، قال ابن عباس : وكان هاتياً له مطيماً (٣) .

قَالَ فَاصْطَلِكْ يَسِيرِي ۚ ﴿١٢﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي ۚ ﴿١٣﴾ قَالَ فَكَذَّبْ فَإِنَّكَ فِي الْخَيْرَةِ أَنْ تَقُولَ لَأِمْسَسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا أَنْ تُخَلَّفَهُ ۖ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّ فِي آلِ لَمْسَا ۚ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ ۚ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ ﴿١٥﴾

يقول موسى عليه السلام للسامري : ما حملك على ما صنعت ؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت ؟ قال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان السامري رجلاً من أهل

(١) ينظر : ٤٧١/٣ - ٤٧٥ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٤٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠٠/١٦ .

يَكْتَرِمًا^(١) ، وكان من قوم يعبدون البقر ، وكان حُبَّة عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل وكان اسم السامري : موسى بن ظفر^(٢) .

وفي رواية عن ابن عباس : كان من كرماء .

وقال قتادة : كان من قرية اسمها سامرا^(٣) .

(قال : بصرى عالم يصروا به) ، أى : وأيت جبريل حين جاء لملاك فرعون ، (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من أثر فرسه : وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن حَسَن بن الحارث ، أخبرنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي بن حَسَمَةَ ، عن علي بن رضى الله عنه قال : إن جبريل عليه السلام لما نزل فصعد موسى إلى السماء ، بصر به السامري من بين الناس ، فقبض قبضة من أثر الفرس ، قال : وحمل جبريل موسى خلقه ، حتى إذا دنا من باب السماء ، صعد وكتبه الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح . فلما أخبره أن قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى ، فأخذ العجل فأحرقه : غريبه .

وقال مجاهد : (فقبضت قبضة من أثر الرسول) ، قال : من تحت حافر فرس جبريل : قال : والقبضة مل^(٤) الكتف^(٥) ، والقبضة بأطراف الأصابع .

قال مجاهد : لهد السامري ، أى : أتى ما كان في يده ، على حلية بني إسرائيل ، فانسبك عجلا جسدا له خوار حفيف الريح فيه ، فهو خواره .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يحيى ، أخبرنا علي بن المدني ، حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، حدثنا حمارة ، حدثنا حكرمة : أن السامري رأى الرسول ، فألقى في رُوعه أنك إن أضلعت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شئ^(٦) ، فقلت : لكن فكان ، فقبض قبضة من أثر الرسول ، فبيست أصابعه على القبضة ، فلما ذهب موسى للميقات ، وكان بنو إسرائيل استعجلوا حل آل فرعون ، فقال لم السامري : إنما أصابعكم من أجل هذا الحل ، فاجمعوه . فجمعوه فأوقدوا عليه ، فذاب ، فراه السامري فألقى في رُوعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت : كن^(٧) ، كان . فقلد القبضة وقال : كن^(٨) ، فكان عجلا له خوار ، فقال : (هذا إليكم وإله موسى) .

(١) بالمرما — يفتح الجيم ، وسكون الراء ، ومع ، وألف مقصورة — : قرية من أعمال البليخ ، قرب الرقة : من أرض الجزيرة (مراد الانطلاق) .

(٢) الأثر في فئد المنثور : ٣٠٥/٤ .

(٣) سامرا : مدينة كانت بين بئداد وتكريت على شرق دجلة ، وكانت مدينة متبعة من مدن الفرس ، ثم قولنا الخليفة العباسي المتعصم لما ضاقت ببئداد بمسكره ينظر معجم البلدان لياقوت .

(٤) كذا ، ويبدو أن قوله : والقبضة مله الكتف . . . من قول قتادة . ونظر أثر مجاهد وأثر قتادة في تفسير الطبري .

(٥) ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢

ولهذا قال : (فنبئها) ، أى : أنبئها مع من أتى ، (وكذلك سولت لى هسى) ، أى : حسسته وأعجبها إذ ذاك ، قال : فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس) ، أى : كما أخلت ومسست ما لم يكن لك أخله ومسه من أثر الرسول ، فعقوبتك فى الدنيا أن تقول لا مساس) ، أى : لا تخاص الناس ولا بمسؤلك .

(وإن لك موعداً) ، أى : يوم القيامة ، (لن تخلفه) ، أى : لا محيد لك عنه .

قال قتادة : (أن تقول لا مساس) ، قال : عقوبة لهم ، ويقابهم اليوم يقولون لا مساس (١) .

وقوله : (وإن لك موعداً لن تخلفه) ، قال الحسن ، وقاتدة ، وأبو تهيك : لن تبيعه عنه .

وقوله : (وانظر إلى الملك) ، أى : مبيودك ، (الذى ظلت عليه حاكماً) ، أى : أمتك على مهادته ، يعنى العجل (لتعرقه) — قال الضحاك عن ابن عباس ، والسدى : سحكه (٢) بالمبارد ، وألقاه على النار .

وقال قتادة : استحلك العجل من الذهب لحماً ودماً ، فحرقه بالنار ، ثم ألقاه ، أى : رماده فى البحر ، ولهذا قال : (ثم لتصفته فى اليم لعفا) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، أنبأنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمارة بن عبد (٣) وأبى عبد الرحمن ، عن حنبل بن رضى الله عنه قال : إن موسى لما تجل إلى ربه ، عند السامرى فجمع ما قدر عليه من حل نساء بنى إسرائيل ، ثم صورده حبالاً ، قال : فعمد موسى إلى العجل ، فوضع عليه المبارد ، فبرده بها ، وهو على شط نهر ، فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يبعد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب . فقالوا لموسى : ما تويتنا ؟ قال : يفتل بعضكم بعضاً .

وهكذا قال السدى : وقد تقدم فى تفسير سورة البقرة : ، ثم فى حديث القنبر بسط ذلك .

وقوله : (إنا إنكم الله الذى لا إله إلا هو . وسع كل شئ علماً) ، يقول لم موسى حابه السلام : ليس هذا إنكم ، إنا إنكم الله الذى لا إله إلا هو ، أى : لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ، ولا تنبئى العبادة إلا له ، فإن كل شئ قهر إليه ، عبد لربه .

وقوله : (وسع كل شئ علماً) ، نصب على التمييز ، أى : هو عالم بكل شئ ، (أحاط بكل شئ علماً (٤)) ، (وأحصى كل شئ عدداً (٥)) ، فلا يزب عنه مقال ذرة (٦)) ، (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات

(١) تفسير الطبرى : ١٦ / ١٥٢ .

(٢) أى : قشره ونحته وبرده .

(٣) عمارة بن عبد هذا مترجم فى كتاب الرجال ، وقد قلتم أثر ابن أبى حاتم هذا فى ١٨١ / ١ ، وفى صنفه : عمارة ابن عبادته .

(٤) سورة الطلاق : آية : ١٢ .

(٥) سورة الجن : آية : ٢٨ .

(٦) سورة سبأ : آية : ٣ .

الأرض ، ولا طيب ولا باس إلا في كتاب مبين (١) ، (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستورها ومستورها كل في كتاب مبين (٢) . والآيات في هذا كثيرة جدا .

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ قَدْ قَدْ كَرَّا ﴿١﴾ مَنْ أَفْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٢﴾ خَلِيلَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٣﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كما قصصنا عليك خبر موسى (٣) ، وما جرى له مع فرعون وجنوده على الحكمة وبالأمر الواقع ، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص ، هذا (وقد آتيناك من لدنا) ، أى : عندنا (ذكرنا) ، وهو القرآن العظيم ، الذى (لا ياتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤)) ، الذى لم يعد نبى من الأنبياء (منذ بعثنا إلى أن ختموا (٥)) بحمد صلى الله عليه وسلم تسليما ، كتابا مثله ولا أكمل منه ، ولا أجمع نبي ما سبق ونخبر ما هو كائن ، وحكمت الفصل بين الناس منه . ولهذا قال تعالى : (من أفرض عنه) ، أى : كذب به وأعرض عن اتباعه أمرا وطلبا ، وابتغى الهدى في غيره ، فإن الله يضلّه ويهديه إلى سواء الجحيم ، ولهذا قال : (من أفرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) ، أى : إثمًا ، كما قال تعالى : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده (٦)) .

وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم ، أهل الكتاب وغيرهم ، كما قال تعالى : (لأنذركم به يوم بلغ (٧)) : فكل من بلغه القرآن فهو لنذر له وداع ، فمن اتبعه هدى ، ومن خالفه وأعرض عنه غشًا وشكى في الدنيا ، واثار موعده يوم القيامة . ولهذا قال : (من أفرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه) ، أى : لا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ وَلَا انْفِكَاءَ ، (وسأعلم يوم القيامة حملا) ، أى : وفس الحبل حملهم .

يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١﴾ يَخْفَتُونَ بِهِمْ أَنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٢﴾ لَمَنْ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۚ أَفَرَأَيْتُمْ أَفَعَلْتُمْ كَرِهْتُمْ ۚ إِنَّ لَبِئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٣﴾

ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور ، قال : « قَرَنٌ يُنْفَخُ فِيهِ (٨) » .

(١) سورة الأنعام ، آية : ٥٩ .

(٢) سورة هود ، آية : ٦ .

(٣) في المخطوطة : « وحى موسى » . والمكتب من الطبعات السابقة .

(٤) سورة نصلت ، آية : ٤٢ .

(٥) ما بين القوسين للمقوفين عن الطبعات السابقة ، ومكانه فراغ يسع كلمتين .

(٦) سورة هود ، آية : ١٧ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ١٩ .

(٨) تقدم الحديث في سورة الأنعام من سنة الإمام أحمد ، وعرجناه هناك ، ينظر : ٢٧٦/٣ ، كما ينظر تفسير سورة الكهف :

وقد جاء في حديث « الصور » من رواية أبي هريرة : أنه قرن عظيم ، الدائرة (١) يقدر السموات والأرض ، ينفع فيه إسرائيل عليه السلام (٢) .

وجاء في الحديث : « كيف أنتم ؟ وصاحب القرون قد التزم القرن ، وحقى جبهته ، وانتظر أن يؤذن له » فقالوا : يا رسول الله ، كيف نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا (٣) :

وقوله : (ونحشر المحرمين يومئذ زرقا) ، قيل : معناه : زُرُق البيون من شدة ما هم فيه من الأهوال .

(يتخافون بينهم) ، قال ابن عباس : يتسارون بينهم . أى : يقول بعضهم لبعض : (إن لئنم إلا عشرا) ، أى :

في الدار الدنيا ، لقد كان ليحكم فيها قليلا ، عشرة أيام أو نحوها .

قال الله تعالى : (نحن أعلم بما يقولون) ، أى : في حال تاجيهم بينهم ، (إذ يقول أمثلهم طريقة) ، أى : المائل الكامل فيهم ، (إن لئنم إلا يوما) ، أى : لقصر مدة الدنيا في أنفسهم [يوم المعاد ، لأن الدنيا كلها وإن تكررت لوقاتها وتماثلت أيامها (٤)] وساعاتها كانت يوم واحد ، ولهذا تستقصر مدة الحياة الدنيا يوم القيامة : وكان غرضهم في ذلك [دَرَه (٤)] قيام الحجة عليهم ، لقصر المدة ، ولهذا قال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون . وقال الذين أوتوا العلم والإيمان : لقد لئنم في كتاب الله إلى يوم البعث ، فلما يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعملون (٥)) ، وقال تعالى : (أولم نصبركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فلو كانوا للظالمين نصير (٦)) ، وقال تعالى : (كم لئنم في الأرض عددين - قالوا : لئن يوما أو بعض يوم فأسأل العادين - قال : إن لئنم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون (٧)) ، أى : إنما كان ليحكم فيها قليلا ، لو كنتم تعلمون لأترتم الباقى على أنسى ، ولكن نصبركم فأسألكم الصبر ، قد تمتم الحاضر القافى على الدائم الباقي .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لِمَ أَصْحَجَ لَهُمْ وَخُشِعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۚ

يقول تعالى : (ويسألك عن الجبال) ، أى : هل تبقى يوم القيامة أو تزول ؟ (قل : ينسفها ربى نسفًا) ، أى : يلحمها عن أماكنها ويحطمها ويسيرها تسيرا ، (فيذرها) ، أى : الأرض (قاعا صفصفا) ، أى : بساطا واحدا .

والقاع : هو المستوى من الأرض . والصفصاف تأكيد لمنى ذلك ، وقيل : الذى لانبات فيه . والأول أولى ، وإن كان الآخر مرادا أيضا بالآلزم . ولهذا قال : (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ، أى : لا ترى في الأرض يومئذ

(١) الدائرة والدائرة : ما أحاط بالشيء .

(٢) أخرجه الطبراني ، وقد رواه ابن كثير بطوله في سورة الأنعام : ٢٧٦/٢ - ٢٨٢ ، وقال : « هذا حديث قريب جدا » .

(٣) تقدم الحديث في سورة الكهف : ١٩٦/٥ ، وخرجناه هناك وفرسنا غريبه .

(٤) ما بين القوسين عن التعليقات السابقة .

(٥) سورة الروم : آية : ٥٥ ، ٥٦ .

(٦) سورة فاطر : آية : ٣٧ .

(٧) سورة المؤمنون : الآيات : ١١٢ - ١١٤ .

وأيضا ولا رابية ، ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا ، كذلك قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن البصري ، والضحاك ، وقادة ، وغير واحد من السلف (١) .

(يومئذ يتبعون الداعي لأحوج له) ، أى : يوم يرون هذه الأحوال والأحوال ، يستجيبون مسارعين إلى الداعي ، حيثما أمروا يبادروا إليه ، ولو كان هنا في الدنيا لكان أنفع لهم ، ولكن حيث لا يتفهم ، كما قال تعالى : (أسمع هم وأبصر يوم تأتونا) (٢) ، وقال : (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون : هذا يوم عسر (٣)) .

قال محمد بن كعب القرظي : يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ، وتطوى السماء ، وتتناثر النجوم ، وتذهب الشمس وتضمحل ، وينادي مناد ، فينبعث الناس الصوت [يؤمونه (٤)] ، فذلك قوله : (يومئذ يتبعون الداعي لأحوج له) وقال قتادة : (لأحوج له) ، لا يجاون حه .

وقال أبو صالح : (لأحوج له) ، لأحوج حه .

وقوله : (وضعت الأصوات لرحمن) ، قال ابن عباس : سكنت (٥) : وكلنا قال السدي ،

(فلا تسمع إلا حسا) ، قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعنى وطء الأقدام . وكلنا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وقادة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (فلا تسمع إلا حسا) : الصوت الثقي : وهو رواية عن عكرمة ، والضحاك .

وقال سعيد بن جبير : (فلا تسمع إلا حسا) : الحديث ، وسره ، ووطء الأقدام : فقد جمع سعيد كلا القولين وهو محتمل ، أما وطء الأقدام فلأراد سعى الناس إلى الحشر ، وهو مشيه في سكون ونخسوع ، وأما الكلام الثقي فقد يكرن في حال دون حال ، فقد قال تعالى : (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بأذنه ، فهذه شقي وسعيد (٦)) .

يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَى لَهُ قَوْلًا ۖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۖ وَهَتَّاتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۚ

يقول تعالى : (يومئذ) ، أى : يوم القيامة (لا تنفع الشفاعة) ، أى : عتده (إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) ، كقوله : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (٧)) ، وقوله : (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم) ، كقوله : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (٧)) ، وقوله : (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم)

(١) ينظر تفسير الطبري ١٦/١٥٥ .

(٢) سورة مريم ، آية : ٣٨ .

(٣) سورة القمر ، آية : ٨ .

(٤) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، ومكانه في المجموعة بياض ، ولفظ الدر المنثور ٤/٣٠٨ : (يسمع الناس .

الصوت) يأتونه .

(٥) تفسير الطبري ١٦/١٥٦ .

(٦) سورة هود ، آية : ١٠٥ .

(٧) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (١) ، وقال : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) (٢) ، وقال : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) (٣) ، وقال : (يوم يقرم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ، وقال صوابا) (٤) .

وإن الصالحين ، من غير وجه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد ولد آدم ، وأكرم الخلق على الله عز وجل أنه قال : « أتى تحت العرش ، وأمر الله ساجدا ، وبكسّته على محمد لا أحصيها الآن ، فبدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : يا محمد ، ارفع رأسك ، وكلم بسمع ، واشفع تشفع . قال : فيحذلي حذّا ، فأدخلهم الجنة » ثم أعود : « فذكر أربع مرات ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء » (٥) .

وإن الحديث : « يقول تعالى : أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، فيُخرجون خلقا كثيرا » ثم يقول : أخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان ، أخرجوا من النار من كان في قلبه ما وزن ذرّة من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرّة من إيمان » الحديث (٦) .

وقوله : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ، أى : يحيط علما بالخلق كلهم ، (ولا يحيطون به علما) ، كقوله : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) (٧) .

وقوله : (وحنت الوجوه للحي القيوم) - قال ابن عباس ، وغير واحد : خضعت وذلت واستسلمت (٨) الخلاق لجبارها الخلى الذى لا يموت ، القيوم : الذى لا ينام ، وهو قيم على كل شيء ، يُدبّرُهُ ويحفظه ، فهو حكيم في نفسه ، الذى كل شيء مقبر إليه ، لا قوام له إلا به .

وقوله : (وقد خاب من حمل ظلما) ، أى : يوم القيامة ، فإن الله سيؤدى كل حق إلى صاحبه ، حتى يقتص للشاء الجسماء من الشاة القراء (٩) .

وإن الحديث : « يقول الله تعالى : وحزنى وجلالى ، لا يجاوزنى اليوم ظلم ظلم » .

وإن الصحيح : « إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » (١٠) ، والخية كل الخية لمن لى الله وهو مشرك به ، فإن الله تعالى يقول : « إن الشرك لظلم عظيم » (١١) .

(١) سورة التين ، آية : ٢٦ .

(٢) سورة الانبياء ، آية ٢٨ .

(٣) سورة سبأ ، آية : ٢٣ .

(٤) سورة النبا ، آية : ٣٨ .

(٥) تقدم الحديث في سورة الإسراء ، حنة الآية ٧٩ ، وعرجته ، هناك : ينظر : ١٠٣/٥ .

(٦) ينظر البخارى ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل مع الأنبياء وغيرهم : ١٧٩/٩ - ١٨١ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة : ١٢٥/١ - ١٢٧ . ومسند الإمام أحمد من أبى سعيد الخدرى : ٩٥/٩٤/٣ .

(٧) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(٨) تفسير الطبرى : ١٥٨/١٦ .

(٩) تقدم الحديث في ذلك في سورة النساء : ٢٩٨/٢ ، وعرجته هناك .

(١٠) أخرجه مسلم من جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

ينظر كتاب البر ، باب : تحريم الظلم : ١٨/٨ .

(١١) سورة لقمان ، آية : ١٣ .

وقوله : (ومع يعمل مع الصالحات وهو مؤمن ، فلا يخاف ظلم ولا هضم) ، لا ذكر الظالمين ووعيدهم ،
لأنه بالتدريج وحكمهم ، وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون ، أي : لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ،
قاله ابن عباس ، وعجده ، والضمحكة ، والحسن ، وقناعة ، وغير واحد ، فالظلم : الزيادة بأن يعمل عليه ذنب
غيره (١) ، والمغرم : التمسى .

أَوَ كَذَلِكَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ حَرْفًا حَرْفًا وَصَرَفًا فَيَمْنَعُ مِنَ الْوَحِيدِ لَعَلَّهُمْ يَقْنُونَ أَوْ يُعَذِّبُ ثُمَّ ذَكَرْنَا ۖ فَتَعَلَّى
اللَّهُ إِلَهُكَ الْخَلْقَ لَا تَعْلَى وَالْفَرَقَ عَنِ قَبْلِ أَنْ يَقْبِضَ إِلَيْكَ وَحَيْهٖ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ

يقول : ولا كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لا محالة ، أنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا ، بلسان عربي مبين
فصريح ، لا لبس فيه ولا حجب ، (وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يقنوا) ، أي : يتركون المآثم والمحارم والفواحش ،
(أو عذبهم لم ذكرا) ، وهو إيجاد الطاعة وقيل القرينات ، (فعلمنا الله الملك الحق) : أي : تتره وتمتدحس الملك الحق ،
الذي هو حق ، ووعده حق ، ووعيدته حق ، ورسوله حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وكل شيء منه حق . وعده
تعالى أن لا يعالج أحدا قبل الإنزال وبعده الرسل والإعلاء إلى خلقه ، لتلا بين لأحد حجة ولا شبهة .

وقوله : (ولا تتجسس بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) ، كقولته تعالى في سورة : لا أقسم بيوم القيامة :
(لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه : فإذا قرأناه فاتبع قرآنه : ثم إن علينا بيانه) (٢) ، وثبت في الصحيح
عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة ، فكان مما يحرك لسانه ، فأنزل الله هذه
الآية (٣) : يعنى أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي ، كلما قال جبريل آية قلها معه ، من شدة حرصه على حفظ
القرآن ، فأرشد الله تعالى إلى ما هو الأسهل الأخف في حقه ، لتلا يشق عليه ، فقال : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ،
إن علينا جمعه وقرآنه) ، أي : أن نجعله في صدرك ، ثم تقرأه حل الناس من غير أن تنسى منه شيئا ، (فإذا قرأناه
فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه) ، وقال في هذه الآية : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) ، أي :
بل أنصت ، فإذا فرغ الملك من قرأته عليك فأقرأه بعده ، (وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) : أي : زدني منك علما ،

قال ابن حُسين رحمه الله : ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة ، حتى توفاه الله عز وجل .

وهذا جاء في الحديث : (إن الله تابع الوحي على رسوله ، حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم (٤)) .

(١) لفظ المخطوطة : « الزيادة بأن عمل عليه شيء . . . » .

(٢) سورة القیامة : الآيات : ١٦ - ١٩ .

(٣) البخاری ، به الوحي : ٤/١ . وكتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك » : ١٨٨/٩ ، ١٨٩/٩ .
ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « الاستحباب لقراءة » : ٣٤/٢ ، ٣٥ . ومسنَد الإمام أحمد : ٣٤٣/١ .

(٤) البخاری ، كتاب فضائل القرآن ، باب « كيف نزل الوحي » : ٦ / ٢٢٤ . ومسلم ، كتاب التفسير : ٢٣٨/٨ .
ومسنَد الإمام أحمد : ٢٣٦/٤ .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن كثير ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد ابن ثابت ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم ! انقضي بما عكفنى ، وعكفنى ما بطنى ، وزدنى علما والحمد لله على كل حال (١) » .

وأخرجه الترمذى ، عن أبي كريب ، عن عبد الله بن عمر ، به . وقال : غريب من هذا الوجه (٢) . ورواه البزار عن عمرو بن علي الفلاس ، عن أبي عاصم ، عن موسى بن عبيدة ، به . وزاد في آخره : « وأمره بالله من حال أهل النار (٣) » .

وَلَقَدْ عَهِدْنَا لَكُمُ الْآدَمَ مِن قَبْلِ نَافِثِيٍّ وَلَمْ يَعْصِ لَهُ عَزَمًا ﴿١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿٢﴾ قُلْنَا يَكَادُمْ إِنْ عَلِمَ عَدُوَّكَ وَرَوْحَكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِّنَ الْجَنَّةِ فَتَنَسَّقُ ﴿٣﴾ إِنَّكَ لَا تَقْضُوا فِيهَا وَلَا تَصْحَحُ ﴿٤﴾ قَرَسُوا إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى جَهَنَّمَ أَنْظِلْهُ وَمَلِكٌ لَا يُبَيِّنُ ﴿٥﴾ فَأَكَلَا مِنهَا فَبَدَّتْ لُحْمًا سُوءًا ثَمَامًا وَقَفَعًا مَّحْمِسَتَيْنِ طَلَسَا مِن رَّوْحِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رِبَّهُ فَوُتِيَ ﴿٦﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿٧﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منان ، حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا الأصمعي ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : إنما سمى الإنسان لأنه عهد إليه فنسى (٤) . وكذا رواه علي بن أبي طلحة ، عنه . وقال مجاهد ، والحسن : تركه (٥) .

وقوله : (وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم) ، يذكر تعالى تشريف آدم وتكرمه ، وما فضله به على كثير من خلقه تفضيلا ،

وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة ، وفي « الأعراف » ، وفي « الحَجَر » ، وفي « الكهف » (٦) .

(١) سنن ابن ماجه ، المجلد ١ ، باب « الانتفاع بالعلم والعمل » ، الحديث ٢٥١ : ٩٢/١ . وكتاب اللسان ، باب « دماء رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣٨٣٣ : ١٢٦٠/٢ .

(٢) تحفة الأوسى ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٦٦٩ : ٥٦/١٠ ، ٥٧ .

(٣) هذه الزيادة ثابتة في رواية ابن ماجه الثالثة في كتاب اللسان ، ونقله : « وأمره بالله من طاب النار » .

(٤) الأثر في تفسير الطبري : ١٦ / ١٦٠ من طريق الأصمعي ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبیر . والأصح يروي عن سعيد بن جبیر ، ومسلم بن حمران . وينظر التلخيص ، ترجمة سعيد بن جبیر : ١٢/٤ ، و ترجمة مسلم البطين : ١٢٤/١٠ .

(٥) رواية الطبري ١٦٠/١٦ عن مجاهد : « قال : ترك أمر ربه » .

(٦) ينظر تفسير سورة البقرة ، الآيات ٣٠ - ٣٨ : ٩٩/١ - ١١٧ . وسورة الأعراف ، الآيات ١١ - ٢٤ : ٣٨١/٣ - ٣٩٥ . وسورة الحجر ، الآيات ٢٨ - ٤٠ : ٤٠٣/٤ - ٤٥٣ . وسورة الإسراء ، الآيات ٦١ - ٦٥ : ٩٠/٥ - ٩٣ . وسورة الكهف ، الآية ٥٠ : ١٦٣/٥ - ١٦٥ .

وسألت في آخر سورة (ص ١١) : يذكر فيها تعالى خلق آدم وأمره باللائكة بالسجود له تشريفاً وتكريماً ، وبين عدواة إبليس لبني آدم ولأيهم قديماً : ولهذا قال تعالى : (فسجدوا إلا إبليس أبى) أى : امتنع واستكبر ، (قلنا : يا آدم ، إن هذا عدو لك ولزوجك) ، بين حواء عليها السلام ، (فلا تخرجكما من الجنة فتشقى) ، أى : إياك أن يسي فى إخراجك منها ، فتصعب وتعتنى وتشقى فى طلبه وركله ، فإنك هاتنا فى حيش رغيد هنيء ، لا كلفة ولا مشقة .

(إن لك أن لا تجوع فيها ولا تبرى) : إنما قرأت بين الجوع والعمرى ، لأن الجوع ذل الباطن ، والعمرى ذل الظاهر .

(وأنت لا تظمأ فيها ولا تفسى) : وهذان أيضاً متقابلان ، فالظمأ : حر الباطن ، وهو العطش ، والفسى : حر الظاهر .

وقوله : (فوسوس إليه الشيطان قال : يا آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) : قد تقدم أنه (دلالهما بغرور) (٢) ، (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) (٣) ، وقد تقدم أن الله تعالى أوحى إلى آدم وزوجه أن يأكلا من كل الثمار ، ولا يقربا هذه الشجرة المميّنة فى الجنة ، فلم يزل بهما إبليس حتى أكلتا منها ، وكانت شجرة الخلد - يعنى التى من أكل منها عكك وحام مكته - وقد جاء فى الحديث ذكر شجرة الخلد ، فقال أبو داود الطيالسى :

حدثنا شعبة ، عن أبي الضحак ، سمعت أبا هريرة يحدث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، ما يقطعها وهي شجرة الخلد) (٤) ، ورواه الإمام أحمد (٥) .

وقوله : (فأكلتا منها ففُتحت لهما أبوابهما) ، قال ابن أنس حاتم :

حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب ، حدثنا علي بن حاصم ، عن سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبيه بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله خلق آدم رجلاً طَوَّالاً ، كثير شعر الرأس ، كأنة نخلة مسحوق ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأول ما بدا منه حورته ، فلما نظر إلى عورته جعل يفتشها فى الجنة ، فأخذت شجرة شجرة ، فتازعها ، فتأذى الرحمن ، يا آدم ، متى تفر ؟ فلما سمع كلام الرحمن قال : ياربى لا ولكن استصياح ، أربيت إن تبت ووجعت ، أمألتى إلى الجنة ؟ قال : نعم ، فذلك قوله : (ففتق آدم من ربه كلمات فتاب عليه) (٦) .

(١) وملك فى الآيات ٧١ - ٨٥ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٢٢ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٢١ .

(٤) معجم للمبرور ، باب : صفة الجنة ونعيم أهلها ، الحديث ٢٨٣٣ ، ٢٤٢/٢ .

(٥) معجم الإمام أحمد ، ٤٠٥/٢ ، ٤٦٤ .

(٦) تقدم الحديث فى سورة البقرة ١١٤/١ ، وفسرنا غريبه هناك .

وهذا منقطع بين الحسن وابن كعب ، فلم يسمعه منه ، وفي رفته نظر أيضا .
وقوله : (وطفقا يخسفان عليهما من ورق الجنة) ، قال مجاهد : يرفعان كهيئة الثوب ، وكلما قال فعادة ،
والسدنى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر ، عن حوث ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهاك ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : (وطفقا يخسفان عليهما من ورق الجنة) ، قال : يترعان ورق الترخ ، فيجعله عليه صوابا .
وقوله : (ووصى آدم وبه فتوى) ، ثم اجتياه به كتاب عليه وهلى) ، قال البخارى :

حدثنا قتبية ، حدثنا أيوب بن النجار ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن ابن سلمة ، عن ابن هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « حاج موسى آدم ، فقال له : أنت الذى أخرجت الناس من الجنة بذلك وأدبيتهم ؟ قال آدم :
يا موسى ، أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتؤمنى على أمر قد كتب الله على قبل أن يخلقنى - أو - فخره الله
على قبل أن يخلقنى - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى (١) » .

وهذا الحديث له طرق فى الصحيحين (٢) ، وغيرهما من المسانيد ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أنس بن حاض ، عن الحارث
ابن أبي ذئب ، عن يزيد بن هرمز قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حج آدم
وموسى عند ربهما ، فحج آدم موسى ، قال موسى : أنت الذى خلقك الله بيده ، وقضى عليك من روحه ، وأسجد لك
ملائكته ، وأسكنك فى جنته ، ثم أبعدت الناس إلى الأرض فظلمتكم : قال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته
وكلامه ، وأعطاك الأرواح فيها بيان كل شيء ، وفردك نجيبا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة ؟ قيل أن أهلك ؟
قال موسى : بأربعين عاما : قال آدم : فهل وجدت فيها (ووصى آدم وبه فتوى) ؟ قال : نعم ، قال : أتؤمنى على
أن علمت حملا كتب الله على أن عمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم
موسى .

قال الحارث : وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك ، عن ابن هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قَالَ أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا بَايَعْتُمْ مَتَّى هَدَىٰ قَوْمٌ أَتَبَعَ هُمَا فَلَا تَزُولُ أَعْقَابُهُمْ
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِيئِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ لِرَحْشَرَتِي أُعْمَى
وَقَدْ كُنْتُ يَصِيرًا ﴿١٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ ءَابَتُنَا فَمِنْهَا وَلَكِنَّكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٩﴾

يقول تعالى لآدم وحواء ولإبليس : اهبطوا منها جميعا ، أى : من الجنة كلهم . وقد بسطنا ذلك فى سورة

«البقرة» .

(١) البخارى ، تفسير سورة طه : ١٢١/٦ ،

(٢) ينظر تفسير الآية ٤١ من هذه السورة : ٢٨٧/٥ .

(بعضكم لبعض عدو) ، قال : آدم وذريته ، وإبليس وذريته (١) .

وقوله : (إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُنَا) ، قال أبو العالية : الأنياء والرسل والبيان .

(فَرِحَ أَتَبِعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشُقُّ) ، قال ابن عباس : لا يضل في الدنيا ، ولا يشق في الآخرة .

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي) ، أي : خالف أمري ، وما أنزلته على رسولي ، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداة ، (فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا) ، أي : في الدنيا ، فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لصدوره ، بل صدره حرج لضلاله ، (وَلَا تَكْتُمُ ظَاهِرَهُ) ، وليس مآشاه ، وأكل مآشاه ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلبي وحيرة وفلك ، فلا يزال في ريبه يتردد فهلما من ضنك للمعيشة ،

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا) ، قال : الشقاء (٢) .

وقال كلفون : عن ابن عباس : (فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا) ، قال : كل مال (٣) . أعلبته عبدا من عباده ، قل أو كثر ، لا يفتني فيه ، فلا خير فيه ، وهو الضنك للمعيشة : ويقال (٤) : إن قوما ضلُّوا ، أعرضوا عن الحق ، وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين (٥) ، فكانت معيشتهم ضنكا ، ذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس غفلًا لم معاشهم ، من سوء ظنهم بالله والتكليب ، فإذا كان العهد يكلمك بالله ، ويسىء الظن به والثقة به ، اشتدت عليه معيشته ، لذلك الضنك (٦) .

وقال الضمك : هو العمل السيء ، والرزق الخبيث : وكذا قال حكيمه ، ومالك بن دينار .

وقال سفيان بن عيينة ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد في قوله : (مَعِيشَةٌ ضَنْكًا) ، قال : يُضَيِّقُ عليه قهره ، حتى تختلف أضلعه فيه : وقال أبو حاتم الرازي : التعان بين أبي عياض : يكفى أبا سلمة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الله بن أبي ليحة ، عن دراج ، عن أبي الميثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل : (فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا) ، قال : ضمة القهر : الموقوف أصبح .

وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن أبي ليحة ، حدثنا دراج ، أبو النعمان ، عن ابن حُجْبيرة - اسمه عبد الرحمن - عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن في قبره في روضة خضراء ، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ، ويتور له قبره كالقمر ليلة البدر ، أندرون في أنزلت

(١) قال الطبري عنه تفسير هذه الآية ١٦٣/ ١٦ : « يقول : أتيا عدو لإبليس وذريته ، وإبليس عدوكا وعدو ذريتك » .

(٢) تفسير الطبري : ١٦٣/ ١٦ .

(٣) لفظ الضلوة : وكل ما أعلبته . . . والخبت عن تفسير الطبري : ١٦٤/ ١٦ ، والدر للمثور : ٣١١/ ٤ .

(٤) في تفسير ابن كثير - مخطوطة وطبعات - : « ويقال أيضا : إن . . . وكلمة « أيضا » غير ثابتة في تفسير الطبري » .

(٥) في تفسير الطبري : « متكررين » .

(٦) تفسير الطبري : ١٦٤/ ١٦ .

هذه الآية : (فان له معشقة ضئكا) ؟ أتدرون : ما للمعشقة الضئكة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا الضئكة في قبره ، والذي نفسى بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تبنينا ، أتدرون : ما التبنين ؟ تسعة وتسعون حبة . لكل حبة سبعة وعوس يشعخون (١) في جسمه ، ويسلمونه ويخلشونه إلى يوم يبعثون .
رفعه منكر جلياً :

وقال الزباز : حدثنا محمد بن يحيى الأزدي ، حدثنا محمد بن عمرو ، حدثنا هشام بن سعد ، عن سعيد بن أبي هلال ، [عن ابن حنبل] (٢) ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الله عز وجل : (فإن له معشقة ضئكا) ، قال : المعشقة الضئكة التي قال الله تعالى : أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حبة ، يتشعخون لحمه حتى تقوم الساعة .

وقال أيضاً : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (فإن له معشقة ضئكا) قال : هذا الضئكة القبر . إسناد جيد .
وقوله : (ونحشره يوم القيامة أجمع) ، قال مجاهد ، وأبو صالح ، والسلي ، لا حجة له .
وقال حكيم : « حُشِيَ عليه كل شيء إلا جهنم »

ويحتمل أن يكون المراد أنه يُحْشَرُ أو يبعث إلى النار أجمع البصر والبصيرة أيضاً ، كما قال تعالى : (ونحشرهم يوم القيامة على وجههم حيا ، وبكاهن ، وأوام جهنم كلما خبت زناهم سمعاً) (٣) ، ولهذا يقول : (ربه لم يحشرني أجمع وقد كنت بصيراً) ؟ أى : في الدنيا ، (قاله) كذلك أنك آياتنا فتسبها ، وكذلك اليوم تنص) ، أى : لا أهرغبت من آيات الله ، وهاستها معاملة من لم يذكرها ، بعد بلاغها إليك تناسبتها وأهرغبت عنها وأغفلتها ، كذلك لعاملها معاملة من ينسك ، (فاليوم ننسهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) (٤) ، فان الجزء من جنس العمل ، فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه ، فليس داخل في هذا الوعيد الخاص ، وإن كان متوَعَّداً عليه من جهة أخرى ، فإنه قد وردت السنة بالنهي الأكيد ، والوعيد الشديد في ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن خالد ، عن سعد بن حبة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل قرأ القرآن نفسه ، إلا لى الله يوم لقاءه وهو أجلم » (٥) ،

ثم رواه الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن خالد ، عن حبة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء (٦) :

- (١) في المخطوطة : « يشعخون في جسمه » . والمثبت من الطبعات السابقة ، وينظر التدر المنثور : ٣١١/٤ .
- (٢) ما بين القوسين من الطبعات السابقة .
- (٣) سورة الاسراء آية : ٩٧ .
- (٤) سورة الأعراف آية : ٥١ .
- (٥) مسند الإمام أحمد : ٢٨٥/٥ .
- (٦) مسند الإمام أحمد : ٣٢٢/٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

قَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رِبَكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَر ، لَا تَضَامُونَ (١) فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَعْلَمْتُمْ أَنْ لَا تَنْتَبِهُوا عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا ، فَاقْضُوا » ، ثُمَّ قرأ هذه الآية (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن عمار ، عن حمارة بن ربيعة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَنْ يَلْجَأَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّيْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا (٣) » .
رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمار ، به (٤) .

وفي المسند والنسب ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ [مَرَّةً] مِنْ يَنْتَظِرُ فِي مَلَكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِي سَنَةٍ ، يَنْظُرُ إِلَى أَقْصَاهَا كَمَا يَنْظُرُ إِلَى أَضْغَاثِهِ ، وَإِنْ أَهْلَاهُمْ مَرَّةً لَمْ يَنْتَظِرْ إِلَى اللَّهِ حَرْزٌ وَجَلَّ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ (٥) » .

وقوله : (وَمَنْ آثَاهُ اللَّيْلُ فَسَبِّحْ) ، أي : من ساعاته فتسجد به : وحمله بعضهم على المغرب والعشاء ، (وَأَطْرَافُ النَّهَارِ) ، في مقابلة آثاء الليل ، (لِمَالِكٍ تَرْضَى) ، كما قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ يَعْطِيكَ رِبْكَ قَرْضَى (٦)) .

وفي الصحيح : « يَقُولُ اللَّهُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ يَقُولُونَ : لِيَبْكُ رَبُّنَا وَسَعْدَيْكَ » فيقول : هل رغبتم ؟ فيقولون : « بَلَى » .
وما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم نَحْطُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ فيقول : إِنْ أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فيقولون : « وَأَنْتَى شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ » فيقول : « أَسَلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلَا أُحْضِطُّ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا (٧) » .

وفي الحديث يقال : « يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، إِنْ لَكُمْ حَنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يَرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ كُفْمُوهُ » فيقولون : وما هو ؟ ألم ينظر وجوهنا ؟ ويقلل موازيننا ؟ ويخرجنا من النار ، ويخلصنا الجنة ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فوالله ما أساطم خيراً من النظر إليه ، وهي الزيادة (٨) .

(١) تضامون ، يروى بتشديد الميم وتشديد الباء ، فالتشديد منه : لا ينضم بمضكم إلى بعض وكرد حسود وكث انظر إليه . ومعنى التشويق : لا يترككم فيه في رؤيته ، فيراه بمضكم دون بعض . والقيم : الظلم .

(٢) البخاري ، كتاب المواقيت ، باب « فضل صلاة العصر » : ١٤٥/١ ، وتفسير سورة طه : ١٧٣/٦ ، وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وَجِئُوا بِرُءُوسِهِمْ نَافِرَةً) ، إلى ردها ناظرة () : ١٥٦/٩ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما » : ١١٣/٢ ، ١١٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٣٩/٤ . وينظر : ٢٦١/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما » : ١١٤/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٣/٢ ، وينظر أيضاً : ٦٤/٢ . ونعفة الأحوش ، أبواب حفة الجنة ، باب « ما جاء في رؤيته » : ٢٦٧٧ ، الحديث ٢٦٨/٧ - ٢٧٠ ، وتفسير سورة القيامة ، الحديث ٣٣٨٩ ، ٢٤٩/٩ ، ٢٥٠ . وقال الترمذي : « وهذا حديث غريب ، وروى عبد الملك بن أبيجر ، عن ثوير ، عن ابن عمر موقوفاً . ورواه حبيب الله الأحجيني عن سفيان عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قوله ولم يرفعه » .

(٦) سورة القصص ، آية : ٥ .

(٧) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « صفة الجنة والنار » : ١٤٢/٨ ، وكتاب التوحيد ، باب « كلام الرب مع أهل الجنة » : ١٨٤/٩ ، ١٨٥ ، ومسلم ، كتاب الجنة ، باب « إحلال الرضوان حل أهل الجنة فلا يسقط عليهم أبداً » : ١٤٤/٨ .

(٨) تقدم الحديث في سورة يونس ، عند الآية ٢٦ ، وخرجناه هناك . ينظر : ١٩٩/٤ .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنِيَكَ إِلَىٰ مَأْتَمَةٍ بَارِعَةٍ أَوْ مَعْتَصِمٍ ۚ ثُمَّ عِمْ وَأَقْبِرْ ۚ هَٰذَا هُوَ نَزْلُ مَا نَزَّلْنَا لَكَ بِأَمْرٍ رَبِّكَ ۚ وَرُفِيقُكَ هُوَ جَبْرَائِيلُ ۚ وَأَمَّا أَهْلُكَ فَأَمْسِرْ وَاصْفِرْ ۚ عَلَيْكَ لَعْنَتُهُمْ أَهْلُكَ لَا تَسْمَعُ لَهُمْ قَوْلًا وَهُمْ يَرْفَعُونَ صَوْتًا كُفْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالى لنبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : لا تنظر إلى هؤلاء المرفين وأشباههم ونظراتهم . وما هم فيه من النعم ، فانما هو زهرة زائلة ، ونعمة حائلة ، لنختبرهم بذلك ، وقليل من عبادي الشكور .

وقال مجاهد : (أزواجاً منهم) ، يعني الأغنياء ، فقد آنأك خبراً بما آتاكم ، كما قال في الآية الأخرى : (ولقد آتيناك صبياً من الملائكة والقرآن العظيم) لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم (١) ، وكذلك ما ادخره تعالى لـ ربه في الدار الآخرة أمر عظيم لا يحصى ولا يوصف ، كما قال تعالى : (ولست بمطيق ربك فترضى) (٢) ، ولهذا قال : (ويرزق ربك خير وأبهر) .

وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المشربة التي كان قد اعتزل إليها نسائه ، حين كل منهن (٣) ، فرآه متوسلاً مضطجاً على رمال^٤ حصى ، وليس في البيت إلا صبرة من تمر^(٥) ، وأمس^(٦) معلقة فابتدرت حيناً عمر بالكاء ، فقال رسول الله ما يبكيك ؟ فقال : يا رسول الله ، إن كسرى ويعصر فيها ما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه ؟ فقال : (أو في شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم حجلت طياتهم في حياتهم الدنيا (٧)) .

فكان - صلوات الله وسلامه عليه - أزهّد الناس في الدنيا مع القدرة عليها ، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا ، في حياء الله ، ولم يختر لنفسه شيئاً لعد ، .

وقال ابن أبي حاتم : أنبأنا يونس ، أخبرني ابن وهب ، أخبرني مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ،

(١) سورة الحجر ، الآية : ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) سورة النجم ، آية : ١٠ .

(٣) أي : سلف لا يدخل عليهم شهراً ، وسألت بيان ذلك في سورة التجرع .

(٤) الرمال - بضم الراء - ما دمل ، أي : نسيج .

(٥) اقرظ : بفتح القاف - ما يدبغ به . والصبرة - بضم الصاد وسكون الباء ، في الأصل - : الطعام المجتمع كالكمرة . ولقد البخاري : « وإن عند رجله قرظاً مصبوراً » ، أي : مجسوماً قد جعل صبرة كصبرة الطعام .

(٦) في الخطوط : « من قرظ وأمية معلقة » . والمثبت من صحيح البخاري . والآب - بفتح الهمزة - : جمع إهاب ، حل غير قياس ، وهو الجلد من البقر والغنم والوحش ، ما لم يدبغ .

(٧) البخاري ، كتاب المظالم ، باب « الفرقة والسلبية المشرقة وغير المشرقة في السطوح وغيرها » : ١٧٤/٣ - ١٧٧ . وكتايب التفسير ، تفسير سورة التجرع : ١٩٥/٦ - ١٩٧ . وسلم ، كتاب الطلاق ، باب « في الإيلاء وإحتزال النساء وتغيرهن » : ١٨٨/٢ - ١٩٠ .

عن أنى سعيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أخوف ما أخاف ما أخاف عليكم ، ما يفتح الله من زهرة الدنيا » . قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ قال : « بركات الأرض » .

وقال قتادة ، والسدى : زهرة الحياة الدنيا ، يعنى : زينة الحياة الدنيا .

وقال قتادة : (لتفتنهم فيه) لتجلببهم (١) .

وقوله : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) ، أى : استقلهم من طلب الله بإقام الصلاة ، واصطبر أهلك عليها ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قرا أنفسكم وأهلكم تارا (٢)) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبيت صنته أنا ويترفاً (٣) . وكان له ساعة من الليل يصلى فيها ، فربما لم يتم ، فتقول : لا يقوم الليلة كما كان يقوم ، وكان إذا استيقظ أقام - يعنى أهله - وقال : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (٤)) .

وقوله : (لا نسألك رزقا نحن نرزقك) ، يعنى إذا أقممت الصلاة أنك الرزق من حيث لا تحسب ، كما قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحسب (٥)) ، وقال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٦)) ، ولما قال : (لا نسألك رزقا نحن نرزقك) ، قال الثوري : (لا نسألك رزقا) ، أى : لا نكتلك الطلب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام ، عن أبيه : أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا ، فرأى من دنياهم طرفا فافأ رجع إلى أهله ، فدخل النار قرأ : (ولا تمدن عينيك) إلى قوله : (نحن نرزقك) ، ثم يقول : للصلاة الصلاة ، وحكم الله (٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد القشيري ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، عن ثابت قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله : يا أهله ، صلوا ، صلوا . قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر ، فزحوا إلى الصلاة .

(١) تفسير الطبري : ١٦٩/١٦ .

(٢) سورة القصص : آية ٦ .

(٣) لفظ الطبري ١٦٠/١٦ : « كان يبيت صنته عمر بن الخطاب من غلاماته أنا ويرفا » . وفي فتح العروس مادة (رفا) : « ويرفا - كينج - مولى من الخطاب رضى الله عنه ، يقال : إنه أدرك الجاهلية ، وسبع مع عمر بن خلافة أبى بكر ... » .

(٤) الأثر في الدر المنثور عن مالك والبيهقي . وينظر الموطأ ، كتاب صلاة الليل ، الحديث ١١٩/١ .

(٥) سورة الطلاق ، آية ٣ ، ٤ .

(٦) سورة الداريات ، الآيات ٥٦ - ٥٨ .

(٧) أخرجه الطبري من طريق حفص بن غياث : ١٧٠/١٦ .

وقد روى الترمذي وابن ماجه ، من حديث عمران بن زائدة ، عن أبيه ، عن أبي خالد الوائلي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد قورك » وإن لم تفعل ملأوك صدرك شغلا ، ولم أسد قورك (١) .

وروى ابن ماجه من حديث الضحاك ، عن الأسود ، عن ابن مسعود : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « من غفل جعل الله له مخرجاً واحداً ، همّ للمعاد ، كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به المسوم في أحوال الدنيا ، لم يبال الله في أي أوجهه هلك » (٢) .

وروى أيضاً من حديث شعبة ، عن حمزة بن سليمان ، عن عبد الرحمن بن أبان ، عن أبيه ، عن زيد بن ثابت : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كانت الدنيا همّاً ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين يديه ، ولم يأنه من الدنيا إلا ما كتبه له » ومن كانت الآخرة ليته ، جمع له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي واجدة (٣) .

(والمعاقبة للفقير) أي وحسن المعاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن آمن بالله .
وقد الصحيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت الليلة كأننا في دار عقبة بن رافع ، وأنا أينما برطط [مع رطط] أين طاب » (٤) فأولت ذلك أن المعاقبة لنا في الدنيا ، والرفعة (٥) وأن ديننا قد طاب (٦) .

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَرَأَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٧٧﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعُ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ ﴿١٧٨﴾ قُلْ كُلُّ مَرِئٍ فَرِيعٍ ﴿١٧٩﴾ فَتَعْمَلُونَ مِنْ أَهْوَائِ الْبَشَرِ وَالْأَنْبِيَاءِ ﴿١٨٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار في قولهم : (لولا) ، أي : هلا (يأتينا) بفتح (ي) أي : بعلامة دالة على صدقه في أنه رسول الله قال الله تعالى : (أو لم تأتوهم بآيات من في الصحف الأولى) ، أي : القرآن العظيم الذي أنزل عليه الله وهو أمي ، لا يحسن الكتابة ، ولم يدرس أهل الكتاب ، وقد جاء فيه أخبار الأولين ، بما كان منهم في سالف الدهور ، بما يوافق عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها ، فإن القرآن منهيم عليها ، فيصدق الصحيح ،

- (١) تحفة الأحرار : أبواب التوبة ، الحديث ٢٥٨٤ / ٧ / ١٦٦ / ١٦٧ . قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » . وابن ماجه : كتاب تزجده ، باب : ألم بالدنيا ، الحديث ٤١٠٧ / ٢ / ١٢٧٦ .
- (٢) سنن ابن ماجه ، في الكتاب والباب المتضمنين ، الحديث ٤١٠٦ / ٢ / ١٣٧٥ .
- (٣) سنن ابن ماجه ، في الكتاب والباب المتضمنين ، الحديث ٤١٠٥ / ٢ / ١٣٧٥ .
- (٤) ابن طاب : رجل من أهل المدينة .
- (٥) لفظ مسلم ، فأولت الرفعة لنا في الدنيا ، والمعاقبة في الآخرة .
- (٦) مسلم : كتاب الرضا ، باب : رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ، ٥٦ / ٧ / ٥٧ .

- (١) سورة العنكبوت : الآية : ٤٩ : ٥٠ .
 (٢) البخارى : كتاب فضائل القرآن : ٢٢٤٪٦ . وكتاب الاعتصام : باب قول النبي صل الله عليه وسلم : « بعدت مبراهيم الكلام » : ١١٣٪٩ .
 (٣) كلما : وحلأ من الآية : وليس من آية أخرى .
 (٤) سورة يونس : آية : ٩٧ .
 (٥) سورة الأنعام : الآيات : ١٥٥ - ١٥٧ .
 (٦) سورة فاطر : آية : ٤٢ .
 (٧) سورة الأنعام : الآية : ١٠٩ : ١١٠ .
 (٨) سورة الفرقان : آية : ٢٢ .
 (٩) سورة النجم : آية : ٧٥ .

تفسير سورة الأنبياء

وهي مكية

قال البخاري : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا حنظل ، حدثنا شعبه عن أبي إسحاق : سمعت عبد الرحمن بن يزيد ،
عن عبد الله قال : بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، هن من الشقاق الأول ، وهن من ثلاثي (١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا وَكُنَّا لَهُ مُشْكِرِينَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دُونِهِمْ مِنْ دُونِ رَبِّهِمْ خُفْيَةً إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دُونِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَهُمْ هُتًى يَخُذُوا ﴿٣﴾
فَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دُونِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَهُمْ هُتًى يَخُذُوا ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَصْنَعُوا الْغَيْمَ ﴿٥﴾ بَلْ قَالُوا أَصْنَعُوا الْغَيْمَ ﴿٦﴾
فَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دُونِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَهُمْ هُتًى يَخُذُوا ﴿٧﴾ مَنَافِعُ لَهُمْ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دُونِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَهُمْ هُتًى يَخُذُوا ﴿٨﴾

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها ، وأن الناس في خفلة عنها ، أي : لا يملكون لها ، ولا
يستعملون من أجلها .

وقال الصافي : حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا
الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (في خفلة معرضون) ، قال : « في الدنيا » ،
وقال تعالى : (أُنْزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ فَلا تُسْمِعُونَ) (٢) ، وقال : (اقتربت الساعة واشتق القمر . وإن يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر) (٣) ،

وقد روى الحافظ ابن حساك في ترجمة الحسن بن هانئ عن أبي نوحاس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر
أبو الصامية حيث يقول (٤) :

الناس في غفلة تهمهم • ورحم البتة تطمحين

قليل له • من أين أخذ هذا ؟ قال : من قوله تعالى : (اقتربت للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) .

(١) البخاري ، تفسير سورة الأنبياء : ١٢١/٦ . وقد تقدم الحديث في أول سورة الإسراء من وجه آخر : ٣/٥ .
وفرحنا غريبه هناك .

(٢) سورة النحل ، آية ١ .

(٣) سورة القصص ، آية ١ : ٢ .

(٤) ديوانه ، طبعة بيروت ، ١٢٩٠ هـ .

أوروي في ترجمة «حمار بن ربيعة» ، من طريق موسى بن حبيب الأحمسي ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن حمار بن ربيعة : أنه نزل به رجل من العرب ، فأكرم حمار مشواه ، وكلم في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاهد الرجل فقال : إني استقلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأديا في العرب ، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك : فقال حمار : لا حاجة لي في قطيعتك ، لئلا يكون اليوم سورة أذهلتنا من الدنيا : (اقرب الناس حجاجهم ، وهم في غفلة معرضون) (١) .

ثم أخبر تعالى أنهم لا يصفون إلى الوحى الذى أنزله الله على رسوله ، والمطالبت مع قريش ومن شابههم من الكفار . فقال : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) ، أى : جديد إنزاله (إلا استمعوه وهم يلعبون) ، كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتب عما بأيديهم وقد حرقوه وبنلوه ، وزادوا فيه وقصصوا منه ، وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يشبهه ، ورواه البخارى بغيره (٢) .

وقوله : (وأسرأ النجوى الذين ظلموا) ، أى : قائلين فيما بينهم خفية : (هل هذا إلا بشر مثلكم) ، يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستبدون قوله نبياً ، لأنه بشرٌ مثلهم ، فكيف اختص بالوحى دونهم ؟ ولهذا قال : (أنأتون السحر وأنتم تبصرون) ؟ أى : أتتبعونه فتكونون كمن أتى السحر وهو يعلم أنه سحر : فقال تعالى مجيباً لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب : (قال : ربي يعلم القول في السماء والأرض) ، أى : الذى يعلم ذلك ، لا يخفى عليه خافية ، وهو الذى أنزل هذا القرآن للمشتمل على خير الأولين والآخرين ، الذى لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ، إلا للذى يعلم السر فى السموات والأرض .

وقوله : (وهو السميع العليم) ، أى : السميع لأحوالكم ، العليم بأحوالكم : وفى هذا تهديد لهم ووعد . وقوله : (بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افترأ) : هذا إخبار عن تحت الكفار والجاهل ، واختلافهم فيما يصفون به القرآن ، وحبسهم فيه ، وضلالتهم عنه : فتارة يجعلونه سمرا ، وتارة يجعلونه شعرا ، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام ، وتارة يجعلونه مفرى ، كما قال : (انظر كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) (٣) .

وقوله : (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) ، يعنون ناقة صالح ، وآيات موسى وعيسى : وقد قال الله تعالى : (وما منأتنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة ، فظلموا بها) (٤) ، ولهذا قال تعالى : (ماأمئت قبلكم من قرية أهلكناها ، أفهم يؤمنون) . أى : ماأتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يدئ نبيها فآمنوا بها ، بل كذبوا ، فأهلكناهم بذلك ، أفهلآ يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا ، بل (إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جئتهم كل آية حتى يروا العذاب العظيم) (٥) .

(١) هذا الخبر بغير ثابت في نسخة الأزهري وقد أئتمناه عن الطبقات السابقة ، واطلعنا على نظر .

(٢) البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (كل يوم هو فى شأن) : ١٨٧/٩ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٤٨ . والفرقان : آية : ٩ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٥٩ .

(٥) سورة يونس ، آية : ٩٦ ، ٩٧ .

هناك ، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات ، ولحجج القاطعات ، والدلائل اليقينية ، حل بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو أظهر وأجل ، وأبر وأقطع وأقهر ، مما شُهِدَ مع غيره من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : ذكر عن زيد بن الحُبَاب ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن علي بن رباح السخمي ، حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ، ومعا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرئ بعضنا بعضاً القرآن ، فجاء عبد الله بن أبي بن سلول ، ومعه ثمرقة وزريقه (١) ، فوضعوا وكان صبيحها قصيبها جديلاً فقال : يا أبا بكر ، قل لحمد بأنينا آية كما جاء الأولون ؟ جاء موسى بالألواح ، وجاء داود بالزبور ، وجاء صالح بالثاقة ، وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة : فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : قوموا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنستفيث به من هذا المناق . فقال رسول الله : إنه لا يقام لي ، إنما يقام (٢) لله عز وجل : قلنا : يا رسول الله ، إنا لقينا من هذا المناق : فقال إن جبريل قال لي : اخرج فأخبر بنم الله التي أتم بها عليك ، وقضيت التي فُضِّلَتْ بها ، فبشرني أنه بعثني إلى الأحمر والأسود ، وأمرني أن أنذر الجن ، وأتاني كتابه وأنا أمي ، وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر ، وذكر اسمي في الأذان ، وأبغى بالملائكة ، وأتاني النصر ، وجعل الرعب أمي ، وأتاني الكوثر ، وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة . ووعظي لقام الصمود والناس مطعون مقتوم (٣) رموسهم ، وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس ، وأدخل في شفاعة سبعين ألفاً من أمي الجنة بغير حساب ، وأتاني السلطان والملك ، وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوق أحد إلا الملائكة الذين يصلون العرش ، وأحل لي القنাম ، ولم تحل لأحد كان قبلنا . وهذا الحديث غريب جداً ،

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَسَاءِ وَأَهْلِهَا الْمُؤْمِنِينَ ۝

يقول تعالى واداً على من أنكر بفتح الرسل من البشر : (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يُوحى) (١) إليهم) أي : جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر ، لم يكن فيهم أحد من الملائكة ، كما قال في الآية الأخرى : (وما أرسلنا

(١) المزة - بهم النون والراء ، وبكسرهما - الوادة - وجعلها تخارق ، والزوية - بكسر الزاي ، وقسمها ، وقسمها - بساط له طليفة رقيقة .

(٢) لفظ غلطوة الأثرى : « إلا بما يقام ... » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٣) ينظر تفسير سورة إبراهيم ، الآية ٤٣ : ٤٣/٤ .

(٤) كلما في غلطوة الأثرى ، وهي فراهة الجمهور ، وقرأ طلحة وحفص : (نوحى) بالنون وكسر الهاء . ينظر البحر المحيط لأبي حيان : ٢٩٨/٦ .

قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا يُوْحَى (١) إِلَيْهِمْ مِنْ أَمَلِ الْقُرَى (٢) ، وَقَالَ تَعَالَى (٣) : مَا كُنْتُمْ بِبَاحِقِ الرَّسْلِ (٤) ، وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ نَقِصٍ مِنَ الْأُمَمِ أَنْكُرُوا ذَلِكَ قَالُوا : (أَبْشِرْ بِلِقَائِنَا) (٥) ؟ وَلَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ، أَيْ : اسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ مِنَ الْأُمَمِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَصَائِرِ الطَّوَاغِثِ ؟ هَلْ كَانِ الرَّسْلُ الَّذِي أَنْوَمَ بَشَرًا أَوْ مَلَائِكَةً ؟ إِنْ كَانُوا بَشَرًا ، وَفَلَكِ مِنْ تَحْمِ نَبِيِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ؟ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ وَصَلَا مِنْهُمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ تَنَاوُلِ الْبَلَاغِ مِنْهُمْ وَالْأَمَلِ عَنْهُمْ .

وقوله : (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) ، أى : بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام ، كما قاله تعالى : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ^(٥)) ، أى : قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ، ويمشون الأسواق للتسكع والتجارة ، وليس ذلك بضالهم ولا ناقص منهم شيئاً ، كما توجهه المشركون فى قولهم : (ملأنا الرصود بأكل الطعام وعيش فى الأسواق ، لولا أنزل إله ملك فيكون معه ليراى ، أو يقضى إله كنز له بجنة يأكل منها) وقال الظالمون : إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً ^(٦) »

وقوله : (وما كانوا خالدين) ، أى : فى الدنيا ، بل كانوا يعيشون ثم يموتون ، (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ^(٧)) ، وشاعتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل ، ترك عليهم للملائكة من الله بما يحكم فى خلقه ، مما أمر به ونهى عنه .

وقوله : (لم سجدناهم الرعد) ، أى : الذى وحدهم ربهم : (ليهلكن الظالمين) ، صدقهم الله وعده ، فقتل ذلك ، وغلا قلبه : (فأجبتهم من نداء) ، أى : أجباهم من المؤمنين ، (وأهلكنا المسرفين) ، أى : للكلبيخ عا جامحة : الرسل به .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِ كُثَيْبٍ بِرُحْمَىٰ أُولَئِكَ يَلْعَنُونَ ﴿١٠﴾ وَكَرِهْتُمُنَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْبَاسُ وَأَنَّا نَأْتِيَهُم مِّنْ لَّدُنَّ يَوْمَهُمُ الْمُلْحِقُونَ ﴿١١﴾ فَلْيَأْكُلُوا مِمَّا بَاسَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْهَا لَوْ يَشَاءُونَ أَلَّا يَعْلَمُوا لَئِنْ مَسَّتْهُمُ مِثْلُ بَاسِ آلِ نِجْمٍ فَلَا مُنَافِقِينَ فِيهِمْ وَكَيْ يَكْفُرُوا لِمَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ قَالُوا وَيَرْثُنَا آلُكُمْ إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَتَىٰكَ أَنْتَكَ دَعْوَانَهُمْ حِينَ جَعَلْتَهُم خِصْمًا خَالِدِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى منها على شرف القرآن ، وعرضا لهم على معرفة قدره . (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) ، قال ابن عباس : شرفكم .

- (١) كلما في خطورة الأمر أيضاً . وهي قراءة الجوهري كذلك ، وقراء أبو عبد الرحمن وحلمن ومطبعة (تونس) ،
والدورن وكسي اخاه . ينظر المرجع السابق : ٣٥٢/٥ .
- (٢) سورة يوسف : الآية : ١٠٩ .
- (٣) سورة الاحقاف : آية : ٩ .
- (٤) سورة التناوين : آية : ٦ .
- (٥) سورة الفرقان : آية : ٣٥ .
- (٦) سورة الفرقان : آية : ٧ .
- (٧) سورة الانبياء آية : ٣٤ .

وقال مجاهد : حديثكم : وقال الحسن : دينكم (١) .

(أفلا تعقلون) ، أي هذه النعمة وتلقونها بالقبول ، كما قال تعالى : (وإنه لذكر لك وقومك ، وسوف تستلون) (٢) وقوله : (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة) ، هذه صيغة تكثر ، كما قال : (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) (٣) .

وقال تعالى : (فكأن من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) (٤) وقوله : (وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) ، أي : أمة أخرى بعلمهم : (فلما أحصوا بأسنا) ، أي : تيقنوا أن العذاب واقع بهم ، كما وعدهم لبيهم ، (إذا هم منها يركضون) ، أي : يتسرعون هاربين ، (لا تركضوا وارجعوا إلى ما ترفتم فيه وما كنتم) ، هنا تحكم بهم قدرآ : أي : قيل لهم قدرآ : لا تركضوا هاربين من نزول العذاب ، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور ، والبهشة والمساكن الطيبة .

قال قتادة : استهزاء بهم .

(لعلكم تستلون) ، أي : ما كنتم فيه من أداء شكر النعمة .

(قالوا ياويلنا ، إنا كنا ظالمين) ، احترقوا بالنار . (لعلكم تستلون) ، (لما زالت تلك دعوهم حتى جعناهم حصيداً حامدين) ، أي : ما زالت تلك المقالة ، وهي الاعتراف بالظلم ، هجيراً لهم (٥) حتى حصدها لهم حصداً ، وعملت حركاتهم وأصواتهم خموداً .

وَمَا هَٰؤُلَاءِ إِلَّا أَجْنَادٌ مِّنْ دُونِ سَبْعِينَ ٱلْفِيلِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دُونِهِمْ ٱلْأَكْثَرُ ۚ إِنَّ كُنَّا لَفَاعِلِينَ ﴿٦﴾
 ﴿٧﴾ جَلَّ جَلَدُكَ يَا بَٰحِيَّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ قَدِمْتُمْ فَمَا ذَا هَٰؤُلَاءِ ۖ وَلَكُمُ ٱلْأَوَّلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٨﴾ وَلَكُم مِّن فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ ٱلْأَرْضِ وَمِمَّنْ حِنْدُمُ لَآ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ۖ وَلَا يَسْتَحْصِرُونَ ﴿٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْثُونَ ﴿١٠﴾

يُخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق ، أي : بالعدل والقسط ، (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذى أحسنوا بالحق) (٦) ، وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً ، كما قال : (وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار) (٧) .

(١) تفسير الطبري : ٦/١٧ .

(٢) سورة الزخرف : آية : ٤٤ .

(٣) سورة الإسراء : آية : ١٧ .

(٤) سورة الحج : آية : ٤٥ .

(٥) لى : حادثهم .

(٦) سورة النجم : آية : ٣١ .

(٧) سورة ص : آية : ٢٧ .

وقوله تعالى : (لو أردنا أن نتخذ لهم أئمة لَفَاجَلَعُوا لَإِخْلَانَهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا مُعْطِيينَ) ، قال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : (لو أردنا أن نتخذ لهم أئمة من لدنا) ، يعني من عندنا ؛ يقول : وما خلقنا جنة ولا ناراً ، ولا موتاً ولا حياة ، ولا حساباً .
وقال الحسن ، وقتادة ، وضربها : (لو أردنا أن نتخذ لهم أئمة) ، اللهو : المرأة يلعان أهل البيت (١) .
وقال إبراهيم النخعي : (لو أردنا أن نتخذ لهم أئمة لَفَاجَلَعُوا لَإِخْلَانَهُمْ) من الخور البئس .
وقال حكرمة والسدي : المراد باللهو هاهنا الولد .

وهذا والذي قبله متلازمان ، وهو كقوله تعالى : (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى ما يخلق ما يشاء سبحانه (٢)) .
فتره نفسه عن اتخاذ الولد مطلقاً ، لاسيما عما يقولون من الإلح على الباطل ، من اتخاذ حميس ، أو العزير ، أو الملائكة ، سبحانه الله عما يقولون علواً كبيراً .

وقوله : (إِنْ كُنَّا مُعْطِيينَ) ، قال قتادة ، والسدي ، وإبراهيم النخعي ، ومغيرة بن مقسم : أي ما كنا فاعلين .
وقال مجاهد : كل شيء في القرآن وإنّ فهو إنكار .

وقوله : (بل نَقْلَبُ سُلُوكَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ) ، أي : تبين الحق فيمحض الباطل ، ولهذا قال : (فليدبره فإِذَا هُوَ رَاقٍ) ، أي : ذاهب مضطرب ، (ولكم العيل) ، أي : أينا القائلون لله ولد ، (فما تصفون) ، أي : تقولون وتفترون .
ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ، ودأبهم في طاعته ليلاً ونهاراً ، فقال : (وله من في السموات والأرض ومن عنده) ، يعني للملائكة ، (لا يستكبرون عن عبادته) ، أي : لا يستكفون عنها ، كما قال : (لَنْ يَسْتَكْبِرُوا مِنَ الْمَسِيحِ)
أن يكون عبداً لله ولا للملائكة المقربين ، ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فيسحشهم إليه جميعاً (٣) .

وقوله : (وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) ، أي : لا يتوبون ولا يَمْسُكُونَ ، (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) ، فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً ، مطيعون قصبدا وعلاء قادرون عليه ، كما قال تعالى : (لَا يَصْنَعُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٤))
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن أبي دلامية البغدادي ، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، إذ قال لهم : هل تسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأسمع أطيح السماء ، وما تلام أن تنطق ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم . غريب ولم يخرجوه (٥) .
ثم رواه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن زريع (٦) ، عن سعيد ، عن قتادة مرسلًا .

(١) تفسير الطبري : ٨/١٧ .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٤ .

(٣) سورة قنساء ، آية : ١٧٢ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٦ .

(٥) تقدم هذا الحديث في سورة « برائة » ، وفرسنا قريبه هناك : ١٦٤/٤ .

(٦) في المخطوطة : « يزيد بن رافع » . وفي الطبقات السابقة : « يزيد بن أبي زريع » . وكلاهما خطأ ، وتنتظر ترجمة

« يزيد بن زريع في التتليپ » ١١/٢٢٥ .

وقال أبو إسحاق ، عن حسان بن غمار (١) ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : جلست إلى كعب الأحبار وأنا غلام ، فقلت له : أرايت قول الله : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) ، أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل ؟ فقال : فن هذا الغلام ؟ فقالوا : من بنى عبد المطلب . قال : فقبل رأسي ، ثم قال لي : يا بني ، إنه جعلهم للصبح ، كما جعل لكم الشمس ، أليس تكلم وأنت تتنفس ، وتغشى وأنت تتنفس ؟ (٢) .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ الْأَرْضِ هِمًّا بِبَنِيهِمْ ﴿١٧﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَاسِ
يُصِفُونَ ﴿١٨﴾ لَأَسْأَلَ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه كلفة ، فقال : بل (اتخذوا كلفة من الأرض هم بنيتهم) ، أي : أهم يحبون الموت وينشرونهم من الأرض ؟ أي : لا يقدرون على شيء من ذلك ، فكيف جعلوها لله ندًا وعبدوها معه .
ثم أعتبر تعالى أنه لو كان في الوجود كلفة غيره لفستكت السموات والأرض ، فقال : (لو كان فيهما كلفة) ، أي : في السماء والأرض ، (لفستدتا) ، كقوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذا ذهب كل إله عما خلق ، ولعل بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون) (٣) وقال هاهنا : (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ، أي : عما يقولون أن له ولدا أو شريكا ، سبحانه وتعالى وتقدس وتزه عن الذي يفترون ويأفكون حلوا كبيرا .
وقوله : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ، أي : هو الحاكم الذي لا معكب لحكمه ، ولا يعترض عليه أحد ، لعظمته وجلاله وكبريائه ، وعظمته وحكمته وعدله ولطفه ، (وهم يسألون) ، أي : وهو سائل خلقه عما يعملون ، كقوله : (فوردك لسانهم أجمعين . عما كانوا يعملون) (٤) ، وهذا كقوله تعالى : (وهو يجير ولا يجار عليه) (٥) .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : بل (اتخذوا من دونه كلفة ، قل : يا محمد :) هاتوا برهانكم) ، أي : دليلكم على ما تقولون ، (هذا ذكر من معي) ، يعني القرآن ، (وذكر من قبلي) ، يعني الكتب المنطبعة على خلاف ما تقولون وترعون ، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ، ولكن أنتم أبها للمشركون لا تعلمون الحق ، فأنتم معرضون

(١) في تفسير ابن كثير - مخطوطة وطباعت - : « وقال محمد بن إسحاق ، عن حسان بن غمار . » والمثبت من تفسير الطبري يقول ابن أبي حاتم في الجرح والمعدل ترجمة حسان بن غمار ٢٣٥ / ٢ / ١ روى عنه الشيباني ، والزيباني هو : سليمان بن أبي سليمان ، أبو إسحاق الشيباني ، ترجم في التلخيص : ١٩٧ / ٤ . وسند الطبري : « حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال : حدثني أبو معاوية ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن حسان بن غمارق ... » .

(٢) الآثار في تفسير الطبري : ٧٠ / ١٧ .

(٣) سورة المؤمنين : آية ٩١ .

(٤) سورة الحجر : آية ٩٢ ، ٩٣ .

(٥) سورة المؤمنين : آية ٨٨ .

هه : ولهذا قال : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يُوحىٰ) (١) إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ، كما قال : (واسألك من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، أجمعنا من دون الرحمن آتة يعبدون) (٢) ، وقال : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٣) ، فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واقطعة شاهدة بذلك أيضا ، والمشركون لا بُرْهان لهم ، وحجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد :

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سَبَّحْتَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْفَعَهُ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيَنْكُرْ لِيَزْجُرْهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾

يقول تعالى راداً على من زعم أن له - تعالى وتعالى - ولدا من الملائكة ، كمن قال ذلك من العرب : إن الملائكة بنات الله ، فقال : (سبحانه ! بل عباد مكرمون) ، أى : الملائكة عباد الله مكرمون عنده ، فى منازل عالية ومقامات سامية ، وهم له فى غاية الطاعة قولاً وفعلًا . (لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون) ، أى : لا يتقدمون بين يديه بأمر ، ولا يخالفونه فيما أمر به ، بل يبادرون إلى فعله ، وهو تعالى علّمهم محيط بهم ، فلا يخفى عليه منهم خافية ، (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)

وقوله : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ، كقوله : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (٤) ، وقوله : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) (٥) ، فى آيات كثيرة فى معنى ذلك .

(وهم من خشية) ، أى : من خوفه ورجوته (مشفقون . ومن يقل منهم : إني إله من دونه) ، ، أى : من ادعى منهم أنه إله من دون الله ، أى : مع الله ، (فلذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) ، أى : كل من قال ذلك ، وهذا شرط ، والشرط لا يلزم وقوعه ، كقوله : (قل : إن كان الرحمن ولد ، فأتا أول العابدِينَ) (٦) ، وقوله : (لننْ أشركت ليحيىٰن عمك) (٧) .

(١) كلما فى خطوطة الأثر . وهى قراءة ثابتة فى السبعة . ينظر البحر المحيط : ٣٠٧/٦ .

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٤٥ .

(٣) سورة النمل ، آية : ٢٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(٥) سورة سبأ ، آية : ٢٣ .

(٦) سورة الزخرف ، آية : ٨١ .

(٧) سورة الزمر ، آية : ٦٥ .

أُولَئِكَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ وَتَقَاتَفَتْنِيهِمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوِيًّا أَنْ تَبْجِدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَّعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى منها على قدرته التامة ، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء ، وقهره لجميع المخلوقات ، فقال : (أُولَئِكَ كَفَرُوا) ، أي : الجاحلون لإلهيته المابدون معه غيره ، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق ، السيد بالتدبير ، فكيف يليق أن يُعبدَ غيره أو يشرك به مساواه ، ألم يروا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) أي : كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق مَرَاكِمَ ، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ، فَتَقَاتَفَتْنِيهِمَا من هذه ، فجعل السموات سبعا ، والأرض سبعا ، وفصل بين مياه الدنيا والأرض بالماء ، فأطمرت السماء وأبنت الأرض ، ولهذا قال : (وجعلنا من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون) ، أي : وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا حيانا ، وذلك دليل على وجود الصانع ، القاهر المختار ، القادر على ما يشاء :

فَقَبِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ • فَدَلَّ حَتَّى أَنَّهُ وَاحِدٌ (١)

قال سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن حكرمة قال : سُئِلَ ابن عباس : الليل كان قبل أو النهار ؟ فقال : أَرَأَيْتَ السموات والأرض حين كانتا رتقا ، هل كان بينهما إلا ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن حمزة ، حدثنا حاتم ، عن حمزة بن أبي محمد ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض (كانتا رتقا ففتقناها) ؟ قال : اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرني ما قال لك : قال : فذهب إلى ابن عباس فسأله ، فقال ابن عباس : نعم ، كانت السموات رتقا لا تطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق للأرض أهلا فتَقَاتَفَتْنِيهِمَا بالمطر ، وفتق هذه بالنبات ، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره ، فقال ابن عمر : الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتى في القرآن حقا ، صدق - هكذا كانت. قال ابن عمر - قد كنت أقول : ما يسبحني جراحة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه قد أوتى في القرآن حقا .

وقال عطية العوفي : كانت هذه رتقا لا تطر ، فأطمرت : وكانت هذه رتقا لا تنبت ، فأنبت (٣) .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : سألت أبا صالح الحنظلي عن قوله : (أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناها) ، قال : كانت المياه واحدة ، فتقت منها سبع سموات ، وكانت الأرض واحدة فتقت منها سبع أرضين (٤) ، وهكذا قال مجاهد ، وزاد : ولم تكن المياه والأرض متمازجتين (٥) .

(١) أبو الحامية ، ديوانه طبع بيروت : ١٧٢ هـ

(٢) ينظر تفسير الطبري : ١٧/١٥٠

(٣) تفسير ابن كثير : ١٤/١٤٨

وقال سعيد بن جببر : بل كانت السماء والأرض ملتزمتين ، فلما رفع الماء وأبرز منها الأرض ، كان ذلك فضهما الذي ذكر الله في كتابه .

وقال الحسن ، وقناة : كانتا جميعا ، ففصل بينهما بهذا الهواء .

وقوله : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ، أي : أصل كل الأحياء منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو ، حدثنا أبو الجاهر ، حدثنا سعيد بن بشر ، حدثنا قناة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة أنه قال : يأنى الله ، وإذا رأيته فترت عيني ، وطابت نفسي فأخبرني عن كل شيء ، قال : كل شيء . هلق من ماء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا (١) هام ، عن قناة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة قال : قاله : يارصول الله ، إنني إذا رأيته طابت نفسي ، وفرت عيني ، فأخبرني عن كل شيء . قال : كل شيء خلق من ماء قاله . قلت : أبئني عن أمر إذا علمت ؟ قال : به دخلت الجنة . قال : أفشئ السلام ، وأعلم الطعام ، واصل الأرحام ، وقسم بالليل والناس ليام ، ثم ادخل الجنة بسلام (٢) .

ورواه أيضا عن عبد الصمد (٣) وعفان وبهر ، عن هام : تفرد به أحمد ، وهذا إسناد على شرط الصحيح . إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن ، اسمه سليم ، والترمذي يصحح له . وقد رواه سعيد بن أبي هريرة ، عن قناة مرسلا . والله أعلم .

وقوله : (وجعلنا في الأرض رواسي) ، أي : جبلا أرسى الأرض بها وقرورها وثقلها ، لتلاجم بالنامي ، أي : تضطرب وتحرك ، فلا يحصل لهم قرار لأنهم غامرة في الماء إلا مقدار الريح ، فإنه ياد للهواء وللشمس ، ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات ، والحكم والدلالات . ولهذا قال : (أن نجد بهم) ، أي : لتلاجمهم .

وقوله : (وجعلنا فيها فجيجا سبلا) ، أي : فغرا في الجبال ، يسلكون فيها طرقا من فطرك فطر ، وإلهم إلى إقبح ، كما هو المشاهد في الأرض ، يكون الجبل حاللا بين هذه البلاد وهذه البلاد ، فيجعل الله فيه فجوة - تفرق - لئلا يكث الناس فيها من حاجتنا إلى هانت . ولهذا قال : (لهم يتلون) .

(١) في ضلوة الأثر : « وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن حمام ، عن قناة : « روى عنه الإمام أحمد » . حدثنا يزيد ، أنا حزام ، « ويبدو أن الصواب ما أثبتناه ، بدليل قول ابن كثير بعد : « ورواه أيضا عن عبد الصمد وعفان وهجر » . وحماد ثنا هو ابن يحيى بن دينار يروى عن قناة : « يروى عنه زيد بن حارون » . ينظر التلخيص : ١١٩٦٩ ، ٩٨ .

(٢) لقطة المسند : « إذا أعلمت به » .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٩٥٧٢ .

(٤) رواية الإمام أحمد عن « عبد الصمد وعفان » في المسند : ٢٢٧٧٧ ، « ورواه عن « حماد » في المسند : ٢٧٦٧٧ . وفي المسند أيضا رواية عن عبد الصمد : ٩٩٧٧٧ .

وقوله : (وجعلنا السماء سقفا) ، أي : على الأرض ، وهي كاتبة عليها ، كما قال : (والماء بيننا وما بأيده وإنا لموسعون^(١)) ، وقال : (والسما وما بناها^(٢)) ، (أنهم ينظرون إلى السماء فوقهم كيف بينناهم وزيناها وما لنا من فروج^(٣)) ، والبناء هو نصب القبة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين الإسلام على خمس^(٤) » ، أي : على خمس دعائم ، وهذا لا يكون إلا في الخيام ، على ما تعهده العرب .

(عقولا) ، أي : حاليا عروسا أن يتأكد ، وقال مجاهد : مرفوحا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ثعلبة - يعني ابن إسحاق القسبي - عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبني ، عن ابن عباس قاله رجل : يا رسول الله ، ما هذه السماء ، قال : « موج مكشوف حكم » ، إسناد غريب .

وقوله : (وهم من آياتها معروضون) ، كقوله : (وكأين من آية في السموات والأرض يمترون عليها وهم عنها معرضون^(٥)) ، أي : لا يفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم ، والارتفاع الهائل ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلاها ، وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الليل بكأله ، في يوم وليلة فغير خافه لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها ونورها وسرها .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله في كتابه «الفكر والاحتبار» : أن بعض عباده بني إسرائيل عبد ثلاث مئة ، وكان الرجل منهم إذا عبد الثلاث مئة أظلمت غلمة ، فلم ير ذلك الرجل شيئا مما كان يرى لغيره ، فشكى ذلك إلى أمه ، فقالت له : يا بني ، فذلك أذنبت في مدة عبادتك هذه ، فقال : لا ، والله ما أعلم ، قالت فذلك هممت ؟ قال : لا ، ولا هممت ، قالت : فذلك رفسه بصرك إلى السماء ثم رددته بخير فكر ؟ فقال : لم ، كثيرا ، قالت فليحسنا أظمت .

ثم قال منها على بعض آياته : (وهو الذي خلق الليل والنهار) ، أي : هذا في ظلامه وسكوته ، وهذا بضائه وأنسه ، بطوله هذا تارة ثم يقصر أخرى ، وعكسه الآخر : (والشمس والقمر) ، هذه لما نور بخصيها ، وفلك بلذاته ، وزنان على حدة ، وحركة وسير خاص ، وهذا بنور خاص آخر ، وفلك آخر ، وسير آخر ، وتغير آخر ، (وكل في فلك يسبحون) ، أي : يلحزون .

(١) سورة النازعات ، آية ٤٧ .

(٢) سورة القصص ، آية ٥٠ .

(٣) سورة ق ، آية ٦ .

(٤) أخرجه في كتاب الإيمان ، ينظر البخاري ٨١٧١ ، ٩ ، ومسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن

الإسلام على خمس » ٣٤/١ .

(٥) سورة يوسف ، آية ١٥٥ .

قال ابن عباس : يبورون كما يبور المغزل في الفلكة ؛ وكلما قال مجاهد : فلا يبور المغزل إلا بالفلكة ، ولا الفلكة إلا بالمغزل ، كذلك النجوم والشمس والقمر ، لا يبورون إلا به ولا يبور إلا بهن ، كما قال تعالى : (فأتى الإصباح ، وجعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسيبانا ، ذلك تقدير العزيز العليم) (١) .

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَفْهِينَ مِتَّ فَهُمْ أَنِطِلِدُونَ ﴿١٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْأَمْرِ

فِتْنَةً وَلِلَّيْنِ تَرْجَعُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك ، أى : يا همد ، (الخلد) ، أى : في الدنيا ، بل (كل من عليها فانه ، ويؤى وجهه ذلك ذو الحلال والإكرام) (٢) .

وقد استكمل هذه الآية الكريمة من ذهب من العلاء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس يحى إلى الآن ، لأنه بشر ، سواء كان وليا أو نبيا أو رسولا ، وقد قال الله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) (٣) ،

وقوله : (أفان مت) ، أى : يا همد ، (فهم الخالدون) ؟ ، أى : يؤملون أن يموتوا بملك ، لا يكون هذا بل كل إلى فناء ولهذا قال : (كل نفس ذائقة الموت) ، وقد روى عن الشافعي رحمه الله ، أنه أنشد واستشهد بـ (بلين) (٤) :

تَمَسَّ رَجُلًا أَنْ أَمُوتَ ، وَإِنْ أَمُتَ فَتَكُنْ سَبِيلَ سَمْتٍ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
فَقُلْ لِلَّيْنِ يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَفَى : تَهَيَّ لِأَخْرَجِي مِثْلَهَا فَكُنَّ قَدَ

وقوله : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ، أى : نخبركم بالمصائب تارة ، وبالتمن أخرى ، لننظر من يشكر ومن يكفر ، ومن يعبى ومن يقتط ، كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ونبلوكم) ، يقول : نبتليكم بالشر والخير فتنة ، بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والفقر والغنى ، والحلال والحرام ، والفاقة والمصيبة والمهدي والفضل (٥) .

وقوله : (ولإينا ترجعون) ، أى : فتجازيكم بأعمالكم ،

(١) سورة الأنعام ، آية : ٩٦ .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) ينظر لتفسير سورة الكهف ، الآية ٨٢ ، ١٨٤/٥ .

(٤) مناقب الشافعي الجبتي : ٧٣/٢ .

(٥) تفسير الطبري : ١٩/١٧ .

وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ وَهُمْ يَقْبِضُونَ
﴿١٥﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُولُكُمْ يَوْمَئِذٍ قُلًا تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - : (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا) ، يعنى : كفار قريش ، كأبى جهل وأشباهه ، (إِنْ يَتَخَلَوْنَ إِلَّا هَؤُلَاءِ) ، أى : يستهزئون بك ويتفخصونك ، يقولون : (أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ) ، يعنون : أَلَمْ نَكُنْ بِسَبِّكُمْ وَسَفْهِ أَحْلَامِكُمْ ، قال الله تعالى : (وَهُمْ يَذُكَّرُ الرَّحْمَنُ) ، أى : وهم كافرون بالله ، ومنغ هذا يستهزئون برسول الله ، كما قال فى الآية الأخرى : (وَإِذَا رَأَوْا كُنُفُوزَكُمْ إِلَّا هَؤُلَاءِ) أَلَمْ نَكُنْ بِسَبِّكُمْ مِنْكُمْ رَسُولًا ، إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ كَلْمِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ، وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أصل سيلاً (١) .

وقوله : (هَلْخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ) ، كما قال فى الآية الأخرى : (وَكَانَ الْإِنْسَانُ حَاجِلاً (٢)) ، أى : فى الأمور .

قال مجاهد : خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار ، من يوم خلق الملقى فلما أحيى الروح هينيه ولما له ورأسه ، ولم يبلغ أسفله قال : يارب ، استعجل يخلق قبل غروب الشمس (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وكاشم اللبى ، عن أبي سلمة ، عن ابن هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُبِرَ يَوْمَ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةُ ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَوَاقِفُهَا مَوْمِنٌ بِصَلَّى - وَتَقْبِضُ أَسَابِيَهُ ، قَلَّتْهَا - فَسَأَلَ اللَّهُ خَيْرًا ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ : فَقَالَ حَيْدَ اللَّهُ بِنِ سَلَامٍ : قَدْ عَرَفْتُ تِلْكَ السَّاعَةَ ، وَهِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَهِيَ الَّتِي خُلِقَ اللَّهُ فِيهَا آدَمُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (هَلْخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُولُكُمْ يَوْمَئِذٍ قُلًا تَسْتَعِجِلُونَ) .

والحكمة فى ذكر حجلة الإنسان ها هنا أنه لا ذكر المستهزئين بالرسول - صلوات الله عليه - وقع فى الثغوس مرة الانتقام منهم واستعجلت ، فقال الله تعالى : (هَلْخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ) ، لأنه تعالى عجل للظالم حتى إذا أخذ لم يفتنه ، يؤجل ثم يعجل ، ويظهر ثم لا يظهر ، ولهذا قال : (سَأُولُكُمْ يَوْمَئِذٍ قُلًا) ، أى : تقضى وحكنى واقتلارى على من عصانى . (فلا تستعجلون) .

(١) سورة الفرقان ، آية ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ١١ .

(٣) ينظر تفسير سورة الإسراء ، آية ١١ ، ٤٦ .

وَيَقُولُونَ مِمَّنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وَجْهِهِمْ
لِلنَّارِ وَلَا مِمَّنْ ظَهَرُوا لَهُمْ لَصُورُهُمْ لَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ فُتِحَتْ بَابُهَا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٧﴾

غير تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضاً بوقوع العذاب بهم ، فكلياً وجعداً وكفراً وحناداً واستبعاداً ،
فقال : (ويقولون مِمَّنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، قال الله تعالى : (لو يعلم الذين كفروا ، حين لا يكونون عن
وجْهِهِم النار ولا عن ظهورهم) ، أى : لو يَتَقَنُّوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا ، ولو يعلمون حين ينشأهم
العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، (لم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (١)) ، (لم من جهنم مهاد ،
ومن فوقهم غواش (٢)) ، وقال في هذه الآية : (حين لا يكونون عن وجْهِهِم النار ولا عن ظهورهم) ، وقال :
(سراييلهم من فطرك ولقش وجْهِهِم النار (٣)) ، قال العذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ، (ولا هم ينصرون) ،
أى : لا ناصر لهم ، كما قال : (وما لم من الله من واق (٤)) .

وقوله : (بل تأتيهم بغتة) ، أى : تأتيهم النار بغتة ، أى : فجأة (فبهتهم) ، أى : تَكْذِبُهُمْ (فيستسلمون
لها حائرين ، لا يلدون ما يصنعون) ، (فلا يستطيعون ردها) ، أى : ليس لهم حيلة في ذلك ، (ولا هم ينظرون) ،
أى : ولا يفتخرون بهم ذلك ساعة واحدة .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَخَفَىٰ بِأَلْبَانِهِمْ فَتُورُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُكُمْ بِالنَّارِ
مِنْ الْكَرْهِينَ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ لَهُمْ أَلِمَّةٌ مَحْجُومَةٌ مِنْ دُونِنَا لَا يُسْطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى مبشراً لرسوله بما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكليب : (ولقد أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ، فحاق
بالذين كفروا منهم ما كانوا به يستهزئون) ، ينى : من العذاب الذى كانوا يستعجلون وقوعه ، كما قال : (ولقد
كَلَبْتُ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا ، وَأَوَدُوا حَتَّىٰ آتَاهُم نَصْرَتَا ، وَلَا يَهْدِي لَكُمَا اللَّهُ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنَ
لِطِ الْمُرْسَلِينَ (٦)) .

-
- (١) سورة الزمر ، آية : ١٦ .
 - (٢) سورة الأعراف ، آية : ٤١ .
 - (٣) سورة الحديد ، آية : ٥٠ .
 - (٤) سورة الرعد ، آية : ٢٤ .
 - (٥) أى : تنقمهم .
 - (٦) سورة الأنعام ، آية : ٧٥ .

ثم ذكر تعالى نعمته جل عبيده في حفظه لم بالليل والنهار ، وكلامه وحراسته لم يبيته التي لا تنام ، فقال :
(قل من يملأكم بالليل والنهار من الرحمن) ، أي : بلك الرحمن ، يعني غيره ، كما قال الشاعر (١) :
جارية لهم فكيفى لمركتها • ولم تلق من البقول التفتتا
أي : لم تلق بلك البقول التفتت •

وقوله تعالى : (بل هم من ذكر ربهم معرضون) ، أي : لا يترفون بنعمه عليهم ولحسانه إليهم ، بل معرضون
عن آياته وآلائه ، ثم قال : (أم هم لك بمنهم من دوننا) ؟ استنظام إنكار وتقرير وتوبيخ ، أي : ألم أكن تمنعهم
وتكلمهم خبرنا ؟ ليس الأمر كما توهموا ، ولا كما زعموا ، ولعلنا قال : (لا يستطيعون نصر أنفسهم) ، أي :
هذه [الآية] التي استدلوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم .

وقوله : (ولا هم منا يصبحون) ، قال العوفي ، عن ابن عباس : (ولا هم منا يصبحون) ، أي : يجاورون •
وقال قتادة : لا يصبحون غيره • وقال غيره : (ولا هم منا يصبحون) : يصبحون (٢) •

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفَعُهَا مَنْ أَرْأَاهَا أَهْلُهَا
الْعَذَابَ قُلْ إِنَّمَا أَنْتَرِكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنَادِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّ مِنْهُمْ نَفْعَةٌ مِنْ عَذَابِ
رَبِّكَ لَبُذِّقُوا لَوْ كُنَّا أَنَا ظَالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَمِيزَ الْغَنِيمَةَ فَلَا ظُلْمَ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ تَرْدٍ لَنِيزْنَا بِهَا وَكُنْ بِمَا حَسِبْتَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى خبراً من المشركين : إنما غرّمهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال ، أنهم متّعوا في الحياة الدنيا •
ولعمرو وعالم عليهم العمر فيما هم فيه ، فاحتلوا أنهم على شيء •

ثم قال واطّاعنا لم : (أفلا يرون أننا نأتى الأرض ننفصها من أطرافها) ، اختلف المفسرون في معناه ، وقد أسلفناه
في سورة (الرعد) (٣) ، وأحسن ما فسر بقوله تعالى : (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ، وصرفنا الآيات لعلهم
يرجعون) (٤) •

وقال الحسن البصري : يعني بملك ظهور الإسلام على الكفر •

والمنى أفلا يمتحنون بنصر الله لأولياته على أعدائه ، وإهلاكه الأكم للكلية والقرى الظالمة ، وإيجاهه لعابده المؤمنين •
ولعلنا قال : (أفهم الغالوبون) ، يعني : بل هم المظلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون •

(١) هو أبو نؤلة يصر بن حزن الرابض . والرزيز في الشعر والشعره : ٦٠٢ ، والمرعب الجذالقي : ٢٨٦ ، ومنه
الجب ، طيبة بيروت : ٣٥٥ . والسان : مادة (فسق) •

(٢) تفسير الطبري : ٢٣/١٧ •

(٣) ينظر : ٣٩٢/٤ ، ٣٩٣ •

(٤) ٢٧ = 2٧ •

وقوله : (قل : إنما أنذركم بالوحي) ، أى : إنما أنا مبلغ عن الله ، ما أنذركم به من العذاب والتكال ليس ذلك إلا ما أوحاه الله إليّ ، ولكن لا يجنى هذا من أسمى الله بصبره ، وختم على سمعه وقلبه ، ولعلنا قال : (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) ٤

وقوله : (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن : يا ويلنا ! إنا كنا ظالمين) ، أى : ولئن مسّ هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ، ليترغبن بلنوجهم ، وأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم فى الدنيا .

وقوله : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً) ، أى : ونضع الموازين العادل ليوم القيامة . الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد ، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال المؤزونة فيه .

وقوله : (فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ، كما قال تعالى : (ولا يظلم ربك أحداً) (١) ، وقال : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) (٢) ، وقال لقمان : (يا بني ، إنما إن تلك مثال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأتى بها الله ، إن الله لطيف خبير) (٣) .

وفى الصحيحين عن أنى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان - حبيتان إلى الرحمن - سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن ليث بن سعد ، حدثني حاتم بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن الحنكلى قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمي ، على رجوس الخلاق يوم القيامة ، فينشر عليه لثمة ويسمى سجيلاً ، كل سجيل مد البصر ، ثم يقول : أتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمتك ككتبي الحافظون ؟ قال : لا ، يا رب ، قال : أفلك عذر أو حسنة ؟ قال : فبيّنت الرجل فيقول : لا ، يا رب ، فيقول : بل ، إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك - فيخرج له بطاقة فيها : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » ، فيقول : أحضروه . فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم . قال : فوض السجلات فى كفة [البطاقة فى كفة] (٥) ، قال : فطاشت (٦) السجلات وثقلت البطاقة : قال : ولا يثقل شيء يومئذ إلا بالرحم الرحيم (٧) .

(١) سورة الكهف : آية ٤٩ .

(٢) سورة النساء : آية ٤٠ .

(٣) سورة لقمان : آية ١٦ .

(٤) البخارى : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (ونضع الموازين القسط) : ١٩٨/٩ . ومسلم : كتاب الذكر ، باب : فضل التهليل والتسبيح والحمد : ٧٠/٨ .

(٥) ما بين القوسين غير ثابت فى المسند وخطوة الأثر ، ومكانه يباين فيها ، والثبت من التعليمات السابقة ، والتمسك به واجب .

(٦) أى : خفت .

(٧) سنن الإمام أحمد : ٢١٣/٢ .

ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث الليث بن سعد ، به ، وقال الترمذي : حسن غريب (١) .
وقال الإمام أحمد : حدثنا تميم ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتى بالرجل ،
فيوضع في كفة ، فيوضع ما أحصى عليه ، فيأبىل به الميزان ، قال : فيبعث به إلى النار ، قال : فإذا أدير به إذا صالغ
من عند الرحمن عز وجل يقول : [لا تجعلوا] (٢) فإنه قد بئى له . فيؤتى ببطاقة فيها « لا إله إلا الله » فتوضع مع
الرجل في كفة ، حتى يعيل به للميزان (٣) » .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو نوح قُرَآد ، أنبأنا ليث بن سعد ، عن مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن
هرو ، عن عاتبة ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس بين يديه ، فقال : يا رسول الله ،
إن لي مملوكين يكلّونني ويغزونني ويهملوني ، وأضرهم وأشتهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : يَحْتَسِبُ مَا خَلَقَكَ وَعَصَاكَ وَكَلْبُوكَ وَعَقَابُكَ إِيَّاهُمْ (٤) ، إن كان عقابك إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ
فَضْلًا لَكَ [عَلَيْهِمْ] (٥) ، وإن كان عقابك إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ، كَانَ كِفَالًا ، لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك
إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ ، انْقَصَ لِمَنْ مَلَكَ الْفَضْلَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ . فجعل الرجل يبيكي بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسجف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما له لما يقرأ كتاب الله ؟ » (ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة ، فلا نظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . فقال الرجل : يا رسول الله ،
ما أبعد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبده - إلى أشهلك أنهم أحرار كلهم (٦) .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ
مُتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مَبَارَكِ أَنْزَلْنَاهُ قَدْ آمَنَّا بِهِ لَوْ كُنَّا مُنْكَرُونَ ﴿١٥٣﴾

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - وبين
كاتبهما ، ولهذا قال : (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) .

-
- (١) بحفة الأعرابي ، أبواب الإيمان ، باب « فمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله » ، الحديث ٢٧٧٦ / ٧ ، ٣٩٥ / -
٢٩٧ ، وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « ما يرجو من رحمة الله يوم القيامة » ، الحديث ٤٣٠٠ / ٢ ، ١٤٢٧ / - .
(٢) ما بين القوسين من المتن .
(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٢١ / ٢ ، ٢٢٣ - .
(٤) لفظة المسند : « ما خلتوك وعصاك ويكلوك وعقابك إِيَّاهُمْ » ، إن كان ولفظ الترمذي يوافق مشطوطة الأظهر .
والمنص : يحسب ما خلتوك ، ويحسب عقابك إِيَّاهُمْ .
(٥) ما بين القوسين من المتن .
(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٨٠ / ٦ ، ٢٨١ ، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الأنبياء ، وقال : « هذا حديث غريب ،
لا يرويه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان (يعني أبا نوح قراداً) . وقد روى أحمد بن حنبل ، من عبد الرحمن بن غزوان

قال حماد : يعنى الكتاب : وقال أبو صالح : التوراة . وقال قتادة : التوراة حلالها وحرامها ، وما فرق الله بين الحق والباطل . وقال ابن زيد : يعنى التصرف (١) .

وجامع القول فى ذلك أن الكتب السبوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والنهى والرشاد ، والحلال والحرام ، وعلى ما يحصل نوراً فى القلوب ، وهداية وخوفاً وإنابة وخشية ، ولهذا قال : (القرآن وضياء وذكر للمتقين) ، أى : (التكبير) لم وعظمة .

لم وصفهم فقال : (الذين يخشون ربهم بالغيب) ، كقوله : (من خشى الرحمن الغيب ، وجاءه بقلب منيب) (٢) ، وقوله : (إن الذين يخشون ربهم بالغيب ، لهم مغفرة وأجر كبير) (٣) .
(وهم من الساعة مشفقون) ، أى : خائفون وجلون .

لم قال تعالى : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) ، يعنى القرآن العظيم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، (أفانتم له منكرون) ، أى : أنتم كونه وهو فى غاية [الحلاء] والظهور ؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُلَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَوْمَانِ أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا نَادِمًا عَصِيدِينَ ﴿٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتُمْ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥﴾ قَالَ بَلَى رُبُّكَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦﴾ ﴾

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام ، أنه آتاه رسله من قبل ، أى : من صفه لئله الحق والمحنة على قومه ، كما قال : (وتلك حجتنا آتيناها لإبراهيم على قومه (٤)) ، وما يذكر من الأخيار عنه فى إدخال أبيه له فى السرب (٥) ، وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام ، فنظر إلى الكواكب والمخلوقات ، فبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم - فقامتها أحاديث بنى إسرائيل - لما وافق منها الحق بما بآيائنا عن المصوم ، قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئاً من ذلك ردناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكلمه ، بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف فى روايتها ، وكثير من ذلك مما لا خالصة فيه ، ولا حاصل له مما ينتج به فى الدين . ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين فى دينهم لبيته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذى [نزلناه (٦)] فى هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية ، لما فيها من تضيق الزمان ، ولما اشتمل

(١) تنظر هذه الآثار فى تفسير الطبرى : ٢٦/١٧ .

(٢) سورة فرقان : آية ٥٠ .

(٣) سورة الملك : آية ١٢ .

(٤) سورة الأعراف : آية ٨٣ .

(٥) ينظر ذلك فى سورة الأنعام : ٢٨٠/٢٤ .

(٦) فى الخطبة : « والذى يذكر فى هذا ... » . وللتبصير من الطبقات السابقة .

عليه كثير [منها] من الكلب المروج عليهم ، فلم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأمة الحفاظ للفتون من هذه الأمة .

والمقصود ما هنا أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده من قبل ، أي : من قبل ذلك : وقوله : (وكنا به عاكفين) ، أي : وكان أهلا لذلك .

ثم قال : (إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) ، هذا هو الرشد الذي أوتيته من صخرة الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل ، فقال : (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) ، أي : أي : معتكفون على عبادتها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد الصباح ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا سعد بن طريف ، عن الأصمعي بن ثبات ، قال : مر على قوم يلعبون بالشرطي ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأنهم صاحبكم جراً حتى يقطعوا خبر له من أن يمتسها .

(قالوا : وجدنا آباءنا لها عاكفين) ، لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال ، ولهذا قال : (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) ، أي : الكلام مع آبائكم الذين احتجبتهم بصنيعهم كالكلاب معكم ، فأنتم وهم في ضلال ، على غير الطريق للمستقيم .

فلما سلف أحلامهم ، وضلل آباءهم ، واحترق آلهتهم (قالوا : أجبنا بالحق أم أنت من اللاحقين) ؟ يقولون : هذا الكلام الصادر منك نقوله لأجلاً أو محضاً فيه ؟ فإننا لم نسمع به قبلك : قال : (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهم) ، أي : ربكم الذي لا إله غيره ، هو الذي خلق السموات [والأرض] وما حوت من المخلوقات ، التي ابتدأ خلقهم ، وهو الخالق لجميع الأشياء (وأنا على ذلكم من الشاكرين) ، أي : وأنا أشهد أنه لا إله غيره ، ولا وجه سواه .

وَتَاللَّهِ لَا يَكِيدُ أَصْنَامُكُمْ بَعْدَ أَنْ تُؤَلِّمُوا مَدِيرِينَ ﴿٦٦﴾ فَجَعَلَهُمْ جَذَآءً لَا يَكْبُرُ أَفَمَنْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِإِصْرِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا مِمَّا عَتَيْنَا فَمَنْ يَدُّرُكُمْ يَقُولُ لَهُ الْإِبْرَاهِيمُ ﴿٦٩﴾ قَالُوا فَأَنَّى
يُؤْتِيهِمُ الْغَيْثُ إِنْ كُنَّا نَعْلَمُهُمْ يَهْدُونَهُ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِإِصْرِنَا يَكْبُرُ لَهُمْ ﴿٧١﴾ قَالَ يَلِّفْ لَكُمْ
كَيْدُهُمْ هَٰذَا فَفَعَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴿٧٢﴾

ثم أقسم الخليل قسماً أحسنه بعض قومه ليكيدن أصنامهم ، أي : ليحرصن على إزائهم وتكسبرهم بعد أن يتركوا مديريهم ، أي : إلى حليم ، وكان لهم عيد يخرجون إليه .

قال السلي : لما اقرب وقت ذلك العيد قال أبوه : يا بني ، لو هرجت معنا إلى صيدنا لأصحبك ديننا ! فخرج فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه إلى الأرض وقاله : إلى سقيم : فجهلوا يعمرون عليه وهو صريع فيقولون :

مه (١) ! فيقول : إلى سقيم ، فلما جاز عاصمهم وبنى ضمخاؤهم ، قال : (تالله لا كيدن أصنامكم) ، فسمعه أولئك (٢) .
وقال أبو إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم ، مروا عليه فقالوا :
يا إبراهيم ، ألا تخرج معنا ؟ قاله : إلى سقيم . وقد كان بالأسنى قال : (تالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) .
فسمعه ناسي منهم .

وقوله : (فجعلهم جلدًا) ، أى : حطاما كسرهما كلها (إلا كبيراً لم) ، يعنى : إلا الصنم الكبير عنهم ، كما
قال : (فراخ عليهم ضرباً باليمين (٣)) .

وقوله : (لنهلم إليه يرجعون) ، ذكروا أنه وضع للتدويم في يد كبيرهم ، لنهلم يضنون أنه هو الله فكن
لنفسه ، وأثبت أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار ، فكسرها .

(قالوا : من فعل هذا بآلكتنا ؟ إنه ابن الظالمين) ، أى : حين رجوا وشاءوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإحالة
والإزالة الدال على عدم إلهيتها ، وحل صفاته حقوق عابديها (قالوا : من فعل هذا بآلكتنا ؟ إنه ابن الظالمين) ، أى :
في صنمه هذا (قالوا : سمعنا فى يذكركم بقاؤه لإبراهيم) ، أى : قال من سمعه يخلف أنه ليكنينهم (سمعنا فى) ،
أى : هاباً (يذكركم بقاؤه لإبراهيم) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن حوف ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن قابوس
[عن أبيه] عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبياً إلا شأباً ، ولا ألوف العالم علم إلا وهو شأب ، وتلا هذه الآية :
(قالوا سمعنا فى يذكركم بقاؤه لإبراهيم) .

وقوله : (قالوا فأتوا به على أعين الناس) ، أى : على وعيون الأشرار في الملأ الأكبر بحفرة الناس كلهم ،
وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يتبين في هذا الحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام ،
لأنه لا يدفع من نفسها شراً ، ولا تملك لها نصراً ، فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟ .

(قالوا : أأنت فعلت هذا بآلكتنا يا إبراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا) ، يعنى الذى تركه لم يكسره ، (فاسألوهم
إن كانوا ينظرون) ، وإعنا أراد به أن يادعوا من تلقاء أنفسهم فيعرفوا أنهم لا ينظرون ، (فإن هذا لا ينصرون من
الصنم ، لأنه جماد) .

وفي الصحيحين عن حديث هشام بن حسان (٤) ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (إن إبراهيم عليه السلام لم يكلب خير ثلاث ، ثنتين في ذات الله ، قوله : (بل فعله كبيرهم هذا) .

(١) أى : ماذا بك ؟

(٢) الأثر في تفسير الطبري : ٢٨٧/٢٩

(٣) سورة الصافات : آية ٩٣ .

(٤) كما ، والله أعلم في الصحيحين من طريق أبيه السخيتي ، عن محمد بن سيرين ، ورواية هشام بن حسان عن أبي
نخير بن عبد الصلح ، واليزيد وابن حبان ، ينظر فتح الباري ، كتاب الأنبياء ، باب ترك الله تمك (ولاقته إله إبراهيم خليل) .

وقوله : (إلى مقيم) ، قال : وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ، ومعه سارية ، إذ ترك منزلا ، فأتى الجبار رجلا فقال : إنه نزل بأرضك رجل معه امرأة أحسن الناس : فأرسل إليه فجاء ، فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هي أختي ، قال : فأنهض فأرسل بها إلى : فانطلق إلى سارية فقال : إن هذا الجبار سألني عنك ، فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذب بيني عنده ، فإنك أختي في كتاب الله ، وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وضرك : فانطلق بها إبراهيم ، ثم قام يصل ، فلما أن دخلت عليه فرأها أهوى إليها ، فتناولها فتأخذ - أخذت شديدا ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك : فدعت له فأرسل ، فأهوى إليها فتناولها ، فأخذ - بمطها أو أشد : ففعل ذلك الثالثة فأخذ - [فذكر] مثل المربعين الأولين ، فقال : ادعي الله فلا أضرك : فدعت له فأرسل ، ثم دعا [أدنى حجابيه فقال : إنك لم تأني بإنسان ، وإنما أتيتني ببطنان ، أخرجها وأعطها هاجر - فلأخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلت : فلما أحس إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، قال : مهتم (١) ، قالت : كف الله كيد (٢) للكافر القاجر ، وأعلمني هاجر ، قال محمد بن سيرين : وكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : فذلك أمكم يا بني ماء السياء (٣) .

فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَمَالُوا إِتْرَأْتُمْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ نَكَسُوا آلَهُمْ لَمَّا رَأَوْنَهُمْ أَلَّا يُنْفِقُونَ ﴿١١﴾ فَقَالُوا أَتَعْجَبُونَ مِنْ حُرُونِ اللَّهِ أَفَلَا يَنْفَعُكُمْ شَيْعًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٢﴾ أَفَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى عبدا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال : (فرجعوا إلى أنفسهم) ، أي : باللامعة في عدم احترامهم وحراستهم لأنفسهم ، فقالوا : (إنكم أنتم الظالمون) ، أي : في ترككم لها مهمة لا حافظ عندها ، (لم نكسوا آلهم) وحوسهم ، أي : لم أطرقوا في الأرض فقالوا : (لقد حملت ما هؤلاء ينطقون) ، [قال قتادة : أدركت القوم حيرة سوء ، فقالوا : (لقد حملت ما هؤلاء ينطقون (٤)] ،

وقال السدي : (لم نكسوا آلهم وحوسهم) ، أي : في الفتنة .

وقال ابن زيد : أي في الرأي .

وقول قتادة أظهر في المعنى ، لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزا ، ولهذا قالوا له : (لقد حملت ما هؤلاء ينطقون) . فكيف تقول لنا : سلوهم إن كانوا ينطقون ، وأنت تعلم أنها لا تنطق ؟ . فهتما قال لهم إبراهيم ما اضرفوا بملك :

(١) أي : ما فأنك وما غيرك ؟

(٢) في المخطوطة : « أي الله » . وفي الطبعات السابقة : « كنى الله » . والثبت من مسلم . وفي البخاري : « وزد الله كيد الكافر » .

(٣) يعني العرب : تخلص نسجم وصفاته ، وقيل : لأن أكثرهم أصحاب مواش : وحوشهم من المرمى وأنصب : وما ينته بهما السباء .

والحديث رواه البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وإتقوا الله إبراهيم خليل) : ١٧١/٤ . وكتاب التكاثر : باب افتاد السراى : ٧/٧ . ومسلم : كتاب الفضائل ، باب : « من فضائل إبراهيم خليل صل الله عليه وسلم » : ٩٨/٧ : ٩٩ .

(انصبذون من دون الله مالا يفضمكم شيئاً ولا يضركم) ، أى : إذا كانت لا تتعلق وهي لا تقصر ولا تنفع ، فلم يبدونها من دون الله ، (أنف لكم ولما تبدون من دون الله أفلا تعقلون) ، أى : أفلا تدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ ، الذى لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر ؟ ، فأقام عليهم الحجة ، وألزمهم بها ، ولهذا قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه (١)) الآية .

قَالُوا حَقُّهُ وَأَنْصَرُوا لِلْمَسْكُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُعْتَدِلِينَ ﴿١﴾ قُلْنَا يَنْتَارِكُونِي بِمَا وَصَّلْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٣﴾

لما دحضت حججهم ، وبأن حيزهم ، وظهر الحق ، واندفع الباطل ، عدلوا إلى استعمال جناه ملكهم ، فقالوا : (حرقوه وانصروا لملككم إن كنتم فاعلين) : فجذبوا حطباً كثيراً جداً - قال السدى : حتى إن كانت المرأة تخرصه ، فتتأذى إن حوُفيت أن تحمل حطباً طريح إبراهيم - ثم جعلوه في جنوبية (٢) من الأرض ، وأضرموها نارا ، فكان لما شرع عظيم ولبه مرتفع ، لم ترق قط نار مثله ، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة الميزان بإشارة رجل من أهرايه فارسي من الأكراذ - قال شعيب الجبالي : اسمه ميزن - فخصف الله به الأرض ، فهو يتجلى (٣) فيها إلى يوم القيامة ، فلما أقوه قال : « حسبى الله ولعمري الوكيل » : كما رواه البخاري ، عن أبي هريرة أنه قال : (حسبى الله ولعمري الوكيل) ، قالوا إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالوا محمد حين قتلوا : (إن الناس قد جعسوا لكم ، فاعضوهم) فزادهم إيماناً ، وقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » (٤) .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو هشام ، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر ، عن حاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال : اللهم ، إنك في السماء واحد ، وأنا (*) في الأرض واحد أحبك » .

ويرى أنه لما جعلوا يرقونه قال : لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ، ولك الملك ، (لا شريك لك) (١) .

وقال شعيب الجبالي : كان عمره ست عشرة سنة ، والله أعلم .

وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك لا ، وأما مني

الله فليس [.

(١) سورة الأنعام ، آية : ٩٤ .

(٢) تقدم تفسير « الجنوبية » : ٧٨/٢ .

(٣) أى : يغوص . والأثر في تفسير الطبري : ٣٢/١٧ .

(٤) تقدم الحديث في سورة آل عمران ، عند الآية ١٧٣ : ١٤٧/٣ . وهو جند حنك .

(٥) في الخطوط : « وإنك في الأرض » . وللتب من التلميحات السابقة ، وللد المظهر : ٣٢٢/٤ .

(٦) الأثر في الد المظهر عن أبي جبر الطبري : ٣٢٧/٤٥ .

وقال سعيد بن جبير - ويروى عن ابن عباس أيضا - قال : لما أتى إبراهيم ، جعل خازن المطر يقول : متى أومر بالمطر فأرسله ؟ قال : فكان أمر الله أسرع من أمره ، قال الله : (يا نار ، كوني بردا وسلاما على إبراهيم) ، قال : لم يبق نار في الأرض إلا طمشت (١) .

وقال كعب الأحبار : لم يفتح [أحد] يومئذ بنار ، ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثقه (٢) ، وقال الثوري ، عن الأعمش ، عن شيخ ، عن علي بن أبي طالب : (قلنا : يا نار ، كوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال : بردتك عليه حتى كادت تقطع ، حتى قيل : (وسلاما (٣)) ، قال : لا تخشيه .

وقال ابن عباس ، وأبو النخعي : لولا أن الله عز وجل قال (وسلاما) لأذى إبراهيم برذها ،

وقال جويبر ، عن الضحاك : (كوني بردا وسلاما على إبراهيم) ، قال : صنعوا له حظيرة من حطب جزل ، وأشعلوا فيه النار من كل جانب ، فأصبح ولم يصب منها شيء ، حتى أخذوا الله - قال : ويدكرون أن جبريل كان معه يسبح وجهه من المرق ، فلم يصب منها شيء غير ذلك .

وقال السلي : كان معه فيها ملك [الظل] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا (٤) علي بن الحسب ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن النضر بن عمرو قال : أخبرته أن إبراهيم أتى في النار ، فقال : كان فيها إماما حسين وإماما أريدين ، قال : ما كنت أباما وليا قط أطلب عيشا إذ كنت فيها ، ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها (٥) .

وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة قال : إن أحسن [شيء] قال أبو إبراهيم - لما رفع عنه الطبق وهو في النار ، وجهه يشرح عينه - قال عند خلقك : نسّم الرب ربك يا إبراهيم .

وقال قتادة : لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ (٦) - وقال الثوري : أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقتله ومياه فريسا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو حنيفة الله (٧) ابن أنس بن وهب ، حدثني حماد ، حدثنا جرير بن حازم ، أن لاقا حدثه قال : حدثني مولاة الفاكه بن المبركة الخزوي قالت : دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رجلا ، فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تصنعين بهذا الرجل ؟ فقالت : قتل به هذه الأوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن

(١) تفسير الطبري : ٣٣/١٧ .

(٢) تفسير الطبري : ٣٤/١٧ .

(٣) ما بين القوسين سقط من تفسير ابن كثير ، وقد أثبتته من تفسير الطبري : ٣٤/١٧ . وهو سقط لقر .

(٤) في المخطوطة : « وقال من أبي حاتم » . وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وهو : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم .

(٥) الأثر في الله للمطهر عن الطبري وابن أبي حاتم : ٣٢٢/٤ .

(٦) الوزغ - يفتح الواو والزاي - : واحد وزغة ، وهي التي يقال لها : صام أبرص .

(٧) في المخطوطة : « حدثنا عبد الله » . وهو خطأ ، وقد ترجعنا لأبي حنيفة الله هنا في : ٢٩٨/٥ .

إبراهيم حين أتى في النار ، لم يكن في الأرض حابة إلا نطفة النار ، غير الرِّزْق ، فإنه كان ينطفح على إبراهيم ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله :

وقوله : (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأَخْسَرِينَ) ، أي : المفلوطين الأسفلين ، لأنهم أرادوا بهي الله كيداً ، فكافهم الله ونجاه من النار ، فقبلوا هنالك .

وقال حطية العوفي : لما أتى إبراهيم في النار ، جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقعت على إبطاه ، فأحرقت مثل الصوفة :

وَجَعَلْنَاهُ لَكَ الْآرْضَ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۖ وَوَعَيْنَا لَهُ رِزْقَهُ وَوَعَقَبْنَا لَكَ الْفُلَّ وَكَلَّامَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ قَدِ اسْتَضَاعُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ فَعَمِلُوا الصَّالَةَ وَإِنَّا لَنَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَكُنَّا لَنُدْرِي عَنِ الْقَلَمِ لَنُحَدِّثَنَّهُ أَهْلَهُ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ وَالْقُرْآنَ الَّذِي كُنْتَ نَعْمَلُ الْخَبْرَ لِأُنْمِيزَ الْغَنِيِّ ۖ فَصَلِّ ۚ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝

يقول تعالى ضرباً عن إبراهيم ، أنه سلمه الله مع نار قومه ، وأخرجهم من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام ، إلى الأرض المقدسة منها ، كما قال الريح بين أنس ، من أين العالية ، من أين بين كعب في قوله : (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) ، قال : الشام ، وما من ماء حليج إلا يخرج من تحت الصخرة ، وكلما قال أبو العالية أيضاً :

وقال قتادة : كانا بأرض العراق ، فأتجبا إلى الشام ، [وكان يقال للشام حماد دار الهجرة ، وما قصي من الأرض زيد في الشام (١)] وما قصي من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال : هي أرض الحشر والنشر ، وبها يترك عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبها يهلك المسيح الدجال .

وقال كعب الأحمار في قوله : (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) : إلى حران .
وقال السدي : أطلق إبراهيم ولوط قبل الشام ، فلحق إبراهيم سارة ، وهي ابنة ملك حران ، وقد علمته على قومها في دينهم ، فزوجها على أن لا يغيرها (٢) .

وواه ابن جرير (٣) ، وهو حريب [والمشهور أنها ابنة عمه ، وأنه خرج بها مهاجراً من بلاده (٤)] ، وقال العوفي ، من ابن عباس : إلى مكة ، ألا تسمع قوله : (إن أول بيت وضع للناس ، للذي ببكة مباركاً وعدي للعالمين (٥)) .

(١) ما بين القوسين عن تلميح الطبري : ٣٥/١٧ .

(٢) أي : لا يتزوج عليها ، يقال : أثار الرجل أطله ، إذا تزوج عليها .

(٣) تفسير الطبري : ٣٥/١٧ .

(٤) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، ومكانه فراخ يس أربع كلمات .

(٥) تفسير الطبري : ٣٥/١٧ ، ٣٦ .

وقوله : (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) ، قال عطاء ، ومجاهد : عطية ،

وقال ابن عباس ، وقطادة ، والحكم بن عتيبة : النافذة ولد الولد . يعنى أن يعقوب ولد إسحاق ، كما قال : (فبشرناهم بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : سأله واحدا فقال : (رب ، هب لي من الصالحين) ، فأعطاه الله إسحاق ، وزاده يعقوب نافلة .

(وكلا جعلنا صالحين) ، أى : الجميع أهل خير وصلاح ، (وجعلناهم أئمة) ، أى : يقتدى بهم ، (يهدون بأمرنا) ، أى : يهتدون إلى الله بإذنه ، ولهذا قال : (وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) ، مع باب جعلنا الخاص على العام ، (وكانوا لنا عابدين) ، أى : عابدين لما يأمرون التامى به .

ثم عطفت بذكر لوط - وهو لوط بن هاران بن آزر (١) - كان قد آمن بإبراهيم وأبيه ، وهاجر معه ، كما قال تعالى : (فأتى لوط وقال : إني مهاجر إلى ربي (٢)) ، فأتاه الله حكما وحكما ، وأوحى إليه ، وجعله نبيا ، وبعثه إلى سدوم (٣) وأعمامها ، فذاقوه وكنبوه ، فأهلكهم الله ودمر عليهم ، كما قصص خبرهم في غير ما موضع من كتابه العزيز ، ولهذا قال : (ونجينا من القرية التي كانت تعمل الفحشاء ، إنهم كانوا قوم سوء فاسقين . وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين) .

وَبَشِّرِ إِذْ نَبَئُ مِنْ قَبْلٍ لَمَّا تَنَجَّيْنَا إِلَى رَبِّنَا مِنْ مَكْرِهِمْ أَنَّا كُنَّا مُسْتَعْجِلِينَ بِرَبِّكُمُ الْكَرْبَ الْعَظِيمِ ﴿٥٠﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ عَدْوٍ عَلَى ذَاكَ قَالَ : (وَأَهْلِكَ إِلَّا مِنْ سَبَقِ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (١) .

خبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام ، حين دعا على قومه لما كذبوه : (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) (٢) ، (وقال نوح : رب ، لا تترك على الأرض من الكافرين دياراً : إنك إن تتركهم يضلوا عبادك ولا يلحقوا إلا فاجراً كفاراً) (٣) ، (ولهذا قال هاتما : (إذ نادى من قبل ، فاستجبنا له فنجيناه وأهله) ، أى : الذين آمنوا به ، كما قال : (وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل) (١) .

وقوله : (من الكرب العظيم) ، أى : من الشدة والتكليف والأذى ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدهوهم

(١) نظير جملة أساطير العرب : القصة الثالثة : ٥٠٤ .

(٢) سورة النكيت : ٤٦ .

(٣) قال المذاهب : سدوم هى : سمرين - يفتح السين ، وسكون الراء ، وكسر الميم ، وهى بلدة مشهورة من أعمال سلب : مراد الإطلاح .

(٤) سورة القمر : آية : ١٥ .

(٥) سورة نوح : آية : ٢٦ ، ٢٧ .

(٦) سورة هود : آية : ٤٥ .

إلى الله عز وجل ، فلم يؤمن به منهم إلا القليل ، وكانوا يقصدون (١) لأذاه ، ويراوصون قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، على خلافة .

وقوله (ولصرفاه من القوم) ، أى : ونجبتاه وخلصناه منتصراً من القوم (الذين كلبروا بأياتنا ، إهم كانوا قوم بسوء فأغرقناهم أجسادهم) ، أى : أهلكهم الله بعامه ، ولم يبقَ على وجه الأرض منهم أحداً ، إذ دحا عليهم تبيهم :

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِمُ الْقَوْمُ وَكُفَّ الْحَكِيمَ شَاهِدِينَ ﴿٣٨﴾ فَهَمَّ بِهَا سُلَيْمَانٌ ﴿٣٩﴾ وَكَلاهما آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَتَوَرَّعَا مَعَ دَاوُدَ إِذْ يَبْغَالُ بَيْنَهُمُ الطَّيْرُ وَكَانَ قُلُوبُهُمَا مُطْمَئِنَّةً لِمِمْسِكِ لَبُوسٍ لَكَرِهُنَّ لِجَمِصَتِهِنَّ مِنْ بَلْسِكٍ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَسُلَيْمَانُ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْهَرُ بِأَفْرُودٍ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَنَرْتَهَا فِيهَا وَكَانَ يَكْفُلُ فِيهِ عَالِيَيْنِ ﴿٤١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٤٢﴾

قال أبو إسحاق ، من مرة ، عن ابن مسعود : كان ذلك الحرت كرماً قد تَبَتَّتْ حنانيده (٢) : وكلما قال شريح ، قال ابن عباس : النَّفْثُ الرُّحَى :

وقال شريح ، والزهرى ، وقادة : النَّفْثُ بِالْبَاءِ - زاد قتادة : والهَمَلُ بِالْهَاءِ :

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالا : حدثنا الحارثي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود في قوله (ودأود وسليمان إذ يحكما في الحرت) ، إذ نفثت فيه غم القوم) ، قال : كرم قد أثبت حنانيده ، فأصدته - قال : قضى داود بالغتم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : خيرُ هذا يا أبا الله ! قال : وما ذلك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم ، فيقوم عليه حتى يبرد كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها ، فذلك قوله (فهماها سليمان) (٣) .

وهكذا روى الفروق ، عن ابن عباس :

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، حدثنا خليفة ، عن ابن عباس قال : فحكم داود بالغنم لأصحاب الحرت ، فخرج الرعاء معهم الكلاب ، فقال لم سليمان : كيف قضى بينكم ؟ فأنبروه ، فقال : لو وليت أمركم لتقضيت بيني هذا ! فأجبر بذلك داود ، فلداه فقال : كيف قضى بينهم ؟ قال : أدفع الغنم إلى أصحاب الحرت ، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلأها (٤) ، ومتافها ، ويدُر أصحاب الغنم لأهل الحرت مثل حرتهم ، فإذا بلغ الحرت للذي كان عليه (أخذ) أصحاب الحرت (الحرت) ردوا الغنم إلى أصحابها :

(١) القصص في اللغة : إثبات الشيء ، وتقول : قصصته ، وقصصت له ، وقصصت إليه .

(٢) تفسير الطبري ١٧/٣٨٧ .

(٣) اللغز - بكسر اللين - : السمن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا خديج ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن مسروق قال : الحرت التي نضت فيه الغنم إنما كان كرمًا نضت فيه الغنم ، فلم تدع فيه ورقة ولا عتوداً من عنب إلا أكلته ، فأثرا داود ، فأعطاهم رقابها ، فقال سليمان : لا ، بل تؤخذ الغنم فيعطاهم أهل الكرم ، فيكون لهم لبنها ونعمها ، ويعطى أهل الغنم الكرم فيصلحوه ويمسكوه حتى يعود كالذي كان ليلة نضت فيه الغنم ، ثم يعطى أهل الغنم خنمهم ، وأهل الكرم كرمهم .

وهكذا قال شريح ، ومرة ، ومجاهد ، وحاتمة ، وابن زيد ، وغير واحد .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن أبي زياد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا أسماعيل ، عن عامر ، قال : جاء رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما إن شاة هذا قطعت غزلاً ، فقال شريح : نهاراً أم ليلاً ؟ فإن كان نهاراً فقد برئ صاحب الشاة ، وإن كان ليلاً فقد خسبتم ، ثم قرأ : (وداود وسليان إذ عكبان في الحرت إذ نضت فيه (١) ... الآية .

وهذا الذي قاله شريح شبه بما (٢) رواه الإمام أحمد (٣) ، وأبو داود ، وابن ماجه ، عن حديث الليث بن سعد ، عن الزهري ، عن حزام بن محصنه : أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً ، فأضلت فيه ، فقصى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الحوائط حفظها بالنهار ، وما أضلت اللواشى بالليل ضامن على أهلها (٤) ، وقد عُلِّل هذا الحديث (٥) ، وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب « الأحكام » ، وبالله التوفيق .

وقوله (فهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) - قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن حميد : أن إياس بن معاوية لما استغفى أثناء الحسن فيكي ، قال : ما بيكيك ؟ قال : يا أبا سعيد ، بلغني أن القضاة : رجل اجتهد فأخطأ ، فهو في النار : ورجل مال به الهوى فهو في النار . ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة . فقال الحسن البصري : إن فيها قص الله من نأ داود وسليان عليها السلام والأنبياء ، حكماً يرد قول هؤلاء الناس عن قوم ، قال الله تعالى : (وداود وسليان إذ عكبان في الحرت ، إذ نضت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين) ، فأتى الله على سليمان ولم يلم داود . ثم قال - يعني الحسن - : إن الله اتخذ على الحكماء (٦) ثلاثاً :

(١) تفسير الطبري : ٣٩/١٧ .

(٢) في غرطوة الأثر : « سبه ما رواه » . وللتبث من الطبقات السابقة .

(٣) الحديث في المستد من رواية مالك ، وسفيان ، وميمر عن الزهري . وفي سنن أبي داود من طريق معمر والأوزاعي عن الزهري ، أما في سنن ابن ماجه فن رواية الليث بن سعد ، عن الزهري .

(٤) مستد الإمام أحمد : ٤٣٥/٥ ، ٤٣٦ ، وسنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب « اللواشى تقصد زرع قوم » ، الحديث ٣٥٦٩ ، ٣٥٧٠ ، ٢٩٨/٣ ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الأحكام ، باب « الحكم فيما أضلت اللواشى » ، الحديث ٢٣٣٢ : ٧٨١/٢ .

(٥) للمل من الحديث - ويقال : للملوك - « ما ظاهره الصلاة » أطلق فيه بهم التنزيه على قلح ، ولتدرك البلة بعد جمع الطرق والدمس منها ، يتفرد الراوى ، وبمخالفة غيره له ، من هو أسهبط أو أخشبط ، أو أكثر حداً ، مع فرائن تشم إلى ذلك ، يعتدى اللقطة لأنها ، إلى إخلاصه على تصويب إرساك في الموصول ، أو تصويب وقته في المرفوع ، أو دخل حديث في حديث ... إلى غير ذلك .

(٦) الحكماء : جمع حكمي ، معنى الحاكم ، وهو القاضي .

لا يبتروا به ثمنا قليلا ، ولا يبعوا فيه الهوى ، ولا يخشوا فيه أحدا ، ثم تلا : (يا داود إنا جعلناك في الأرض خليفة ، فأحكِم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى) ، وقال : (فلا تخشوا الناس وخشوني) ، وقال : (ولا تشعروا بأيادي ثمنا قليلا) .

وقريبه من هذه القصة المذكورة في القرآن ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، حيث قال :

وأخرجه البخارى ومسلم في صحيحهما (٤) وبوب عليه النسائي (٥) عليه في كتاب القضاء : « باب الحاكم يردم خلافة الحاكم ليستسلم الحق » .

(١) البيهقي ، كتاب الاختصاص ، باب « أجرة الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ » : ١٣٢/٩ ، ١٣٣ . وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب الأقضية ، باب « بيان أجرة الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ » : ١٣١/٥ .

فارقوا بينهم ، فقال لأولم ؛ ما كان لون الكلب ؟ فقال : أسود . فزله ، واستدعى الآخر فسأله من لونه ، فقال : أحمر . وقال الآخر : أبيض ، وقال الآخر : أبيض . فأمر يقتلهم ، فحكى ذلك لداود ، فاستدعى من فورده بأولئك الأربعة ، فسلم مفرقين عن لون ذلك الكلب ، فاختلطوا عليه ، فأمر يقتلهم .

وقوله : (وصنونا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) ، وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور ، وكان إذا ترم به بقف الطير في الهواء ، فنجأوه ، وترد عليه الجبال تأويها ، ولهذا لما مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري ، وهو ينزل القرآن من الليل ، وكان له صوت طيب ، فوقف واستمع لقراءته ، وقال : « لقد أوتى هذا من مزاير آل داود » ، قال : يا رسول الله ، لو علمت أنك تسمع لحبرته (١) لك تحميرا (٢) .

وقال أبو عبيد الله : ما سمعت صوت صتيح ولا يربط (٣) ولا زممار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه ، ومع هذا قال : « لقد أوتى زمماراً من مزاير آل داود » .

وقوله : (وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحسبكم) (٤) من بأسكم) ، يعني صنعة اللدروع .

قال قتادة : إنما كانت اللدروع قبله صفائح ، وهو أول من سردها (٥) حلتاً . كما قال تعالى : (وألنا له الحديد) أن اعمل سابغات وقدر في السرد (٦) ، أي : لا توسع الحلقة ، فتعلق المسيار ، ولا تظلل المسيار فتتعد الحلقمة ، ولهذا قال : (ليحسبكم من بأسكم) ، يعني : في القتال ، (فهل أنتم شاكرون) ، أي : نعم الله عليكم ، لما ألهم به هذه داود ، فعلمه ذلك من أجلكم .

وقوله : (ولسليان الريح عاصفة) ، أي : وصنونا لسليان الريح العاصفة ، (نجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) ، يعني : أرض الشام ، (وكنا بكل شيء عالمين) . وذلك أنه كان له بساط من خشب ، يوصع عليه

(١) أي : هلسته تحميراً .

(٢) قال الميحي في جميع الزوائد ، كتابه المناقب ، باب : ما جاء في أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « ورواه العبداني ، ورجاله كل شرط الصحيح » ، خير حاله بن نافع الأشعري ، وولفته ابن حبان ، وخبره بجملة » .

هذا ، وينظر البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : حسن الصوت بالقراءة : ٢٤١/٦ ، ومسلم ، كتاب المسافرين ، باب : استيعاب تحسين الصوت بالقرآن : ١٩٢/٢ ، ١٩٣ . والترمذي ، أبواب المناقب ، باب : مناقب أبي موسى الأشعري ، الحديث ٣٩٩٦ ، ٣٥٧/١٠ ، وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب : حسن الصوت بالقرآن ، الحديث : ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ٤٢٥/١ ، ٤٢٦ . وصمت الإمام أحمد : ٣٦٩/٢ ، ٤٥٠ ، ٣٤٩/٥ ، ٣٥٩ ، ٣٧/٦ ، ١٦٧ .

(٣) الصنج : الخف . وتقدم تفسير البربط في ١٧٤/٣ .

(٤) كذا في خطرة الأثر ، بإياد المنشأة من تحت ، وهي قراءة الجمهور ، يقول أبو حيان ٣٣٢/٦ : « وقرأ الجمهور (ليحسبكم) ، بإياد التبية ، أي : الله ، فيكون التفاتاً ، إذ جاء بعد ضمير متكلم في (وعلمناه) .

(٥) تفسير الطبري : ٤٩/١٧ .

(٦) سورة سباء آية ١٠ ، ١١ .

كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة ، واختيل والجمال والقيام والحد ، ثم يأمر الريح أن تجعله شغل نحت ، ثم جعله فرفعه ونسبه به ، وتظله الطير من الحر ، إلى حيث يشاء من الأرض ، فيتزل وتوضع آلاته وخشبته ، قال الله تعالى : (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (١)) ، وقال : (خلوها شهر ورواحها شهر (٢))

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن سفيان بن عيينة ، عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبيرة قال : كان يُوضع لسليمان صفاة ألف كرمي ، فيجلس عما يليه مؤمنو الإنس ، ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ، ثم يأمر الطير فتنزلهم ، ثم يأمر الريح فتجعلهم صلي الله عليه وسلم .

وقال عبد الله بن حبيب بن عمر : كان سليمان يأمر الريح ، فتجتمع كالطود العظيم ، كالجليل ، ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ، ثم يلهو بفرس من ذوات الأجنحة ، فترفع حتى تصعد على فراشه ، ثم يأمر الريح فترفع به ككل شرف دون الماء ، وهو مطاطة رأسه ، ما يلتفت يمينا ولا شمالا ، تعظيما لله عز وجل وشكرا ، لا يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله تعالى ، حتى تقصه الريح حيث شاء أن تضعه (٣) .

وقوله : (ومن الشياطين من يخوضون له) ، أي : في الماء يستخرجون الجواهر والكنز لاوغير ذلك ؛ (ويعملون عملا دون ذلك) ، أي : غير ذلك ، كما قال تعالى : (والشياطين كل بناء وغواص) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٤)) .

وقوله : (وكنا لهم حافظين) ، أي : يحرسه الله أن يتاله أحد من الشياطين بسوء ، بل كل قى قبضته ونحته قهره لا يجاسر أحد منهم على الدنو إليه والتقرب منه ، بل هو مُحْكَمٌ فيهم ، إن شاء أطلق ، وإن شاء حبس منهم من يشاء ؛ ولذا قال : (وآخرين مقرنين في الأصفاد) .

• وَيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ ۖ وَأَعَيْنَاهُ لَهُمْ سُبُلَهُمْ مَبْهُمًا مِّنْ جَنَّتَيْنِ وَمَذَكَّرْنَا لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

يلذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء ، في ماله وولده وجسمه ، وذلك أنه كان له مع اللباب والأنعام والحرث شيء كثير ، وأولاد كثيرة ، ومنازل مرضية : فابطل في ذلك كله ، ونهب من آخره ، ثم ابتلى في جسده — يقال بالخلطام في سائر بدنه ، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه ، يلذكر بهما الله عز وجل ، حتى حلفه الخليلين ، وأفرد في ناحية من البلد ، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته ، كالت ترقوم (٥) بأمره .

(١) سورة ص : آية ٢٦ .

(٢) سورة سبأ : آية ١٢ .

(٣) الأثر في الفرد المثنون عن ابن أبي حاتم : ٣٢٦٧ ، ٣٢٢٤ .

(٤) سورة ص : آية ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) في الخطورة : وكانت ترقم بأمره . وللكنيت عن لطيفات السابقة .

ويقال: إنها احتاجت لصاروخ تخدع الناس من أجله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء»، ثم الصالحون، ثم الأئمة (١). وفي الحديث الآخر: «يبتلي الرجل، على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلاءه» (٢).
وقد كان لبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك.

وقال يزيد بن ميسرة: «لا يبتلي الله أيوب عليه السلام بلعاب الأهل والمال والولد، ولم يبق له شيء، أحسن الذكر، ثم قال: «أهلك رب الأرباب، الذي أحسنت إلى، أعطيتني المال والولد، فلم يبق من قلبي شعبة، إلا قد دخله ذلك، فأخذت ذلك كله مني، وفترعت قلبي، ليس يحول بيني وبينك شيء، لو سلم عدوى إلي ليس بالذي صنعتك، حسدني! قال: «لبي إيليس من ذلك منكراً» (٣).

قال: وقال أيوب عليه السلام: «يارب، إليك أعطيتني المال والولد، فلم يبق مني شيء، فأبى أحد بكفوتي لظلمته، وأنت تعلم ذلك. وإنه كان يتوكل» (٤). في إقراض فائركها وأقول لنفسى: يا نفس، إنك لم تخلفي لوطه المهرش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك» ورواه ابن أبي حاتم.

وقد ذكر عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من مشغري القسرين، وفيها هراة تركتها لحال الطول (٥).

وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة، ثم اختلقوا في السبب المبهج له على هذا الدعاء، فقال الحسن وقتادة: «يبتلي أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهرًا، ما على كُنْكَسَة بنى إسرائيل، تخطت الدواب في جسده ففرج الله عنه، وعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء».

وقال وهب بن منبه: «مكث في البلاء ثلاث سنين، لا يزيد ولا ينقص».

وقال السدي: «تساقت لحم أيوب، حتى لم يبق إلا العصب والنظام، فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالزاد يكون فيه» (٦)، فقالت له امرأته لا طال وجعته: يا أيوب، لو دعوت بك يفرج عنك؟ فقال: «قد عشت سبعين سنة صحيحاً، فهل قليل قد» (٧). أن أصبر له سبعين سنة؟ فجزعته من ذلك فخرجت، فكانت تعمل للناس بأجر وتأتيه

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: «ما جاء في الصبر على البلاء»، الحديث ٢٥٠٩: ٧٨/٧، ٧٩. وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: «الصبر على البلاء»، الحديث ٤٠٢٤: ١٣٣٤/٢، ١٣٣٥. والإمام أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص: ١٧٣/١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥.
(٢) مسند الإمام أحمد: ١٧٢/١.

(٣) الأثر في الدر المنثور: ٣٢٧/٤ عن ابن أبي حاتم، وأبي نعيم، وابن مسافر، ولفظه: «لبي إيليس من هذا شيئاً منكراً».

(٤) أي: جيداً.

(٥) تفسير الطبري: ٤٢/١٧ - ٥٠.

(٦) كلاً في غطوة الأثر، وفي غطوة مكان «فيه» كلمة غير واضحة، وفي الطبقات السابقة: «وتأتيه بالزاد» يكون فيه. ولم يقع لنا أثر السدي.

ما تصيبه فتعلمه ، وإن إبليس انطلق إلى رجلين من فلسطين كانا صديقين له وأخوين ، فأتاهما فقال : أنصركم أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا ، فأتياه وزوداه وإحبالاً ممكياً من خر أرضسكيا ، فإنه إن شرب منه برأ : فأتياه ، فلما نظرا إليه بكيا ، فقال : من أنبا ؟ فقالا : نحن فلان وفلان : فرحب بهما وقال : مرحباً بمن لا يجفوني عند البلاء . فقالا : يا أيوب لملك كنت تُسر شيئاً وتظهر غيره ، فلذلك ابتلاك الله ؟ فرفع رأسه إلى السماء ثم قال : هو يعلم ، ما أسردت شيئاً أظهرت غيره : ولكن ربي ابتلاني لينظر أأصبر أم أجزع ؟ فقالا له : يا أيوب ، اشرب من خمرنا ، فإنك إن شربت منه برأت : قال : فغضب وقال : جاء كما الخبيث فأمركما بهذا ؟ كلامكما وعلامكما وشرابكما على حرام ؟ فقاما من عنده ، وخرجت امرأته تعمل قناس ، فخيرت لأهل بيت لم صبي ، فصبغت لم قرصاً (١) ، وكان ابنهم ناعماً ، ففكرها أن يوقظه ، فوهبه لها : فأتته به إلى أيوب ، فأنكره وقال : ما كنت تأتيني بهذا ، لما بالاك اليوم ؟ فأخبرته الخبر ، قال : فلعل الصبي قد استيقظ ، فطلب القرص فلم يجده ، فهو يبكي على أهله [فانطلقى به إليه . فاقبلت حتى بلغت درجة القوم ، فتلطحها شاة لم ، فقالت : تمس أيوب الخطيئة ؟ فلما صدقت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص ، ويبكي على أهله (٢)] ، لا يقبل منهم شيئاً غيره ، فقالت : رحم الله أيوب ؟ فدخلت القُرْص إلى روجت : ثم إن إبليس أتاهما في صورة طبيب ، فقال لها : إن زوجك قد طاله سقمه ، فان أراد أن يبرأ فليأخذ ذباباً فليذبحه باسم صم بن فلان ، فانه يبرأ ويحب بعد ذلك ؟ فقالت ذلك لأيوب . فقال : قد أتاك الخبيث ، فله على إن برأت أن أجلك ما له جلدة ؟ فخرجت تسمى عليه ، فحضر (٣) عندها الرزق ، فجعلت لا تأتى أهل بيت فريدونها ، فلما اشتد عليها ذلك وغالت على أيوب الجوع ، خلقت من شعرها قرناً (٤) ، فباعته من صبية من بنات الأشراف ، فأعطوها طعاماً طيباً كثيراً ، فأتته به أيوب ، فلما رآه أنكره ، وقال : من أين لك هذا ؟ قالت : عملت لأناس فأطعموني . فأكل منه ، فلما كان الند خربت فطلبت أن تعمل ، فلم تجد ، فخلقت أيضاً قرناً فباعته من تلك الحارفة ، فأعطوها من ذلك الطعام ، فأتته به أيوب ، فقال : والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو ؟ فوضعت فخارها ، فلما رأى رأسها مخلوقاً جزع جزءاً شديداً ، فمد ذلك دعا به حر وجل (٥) (انى محض الضر وأنت أرحم الراحمين) //

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو حمزة ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو هريرة الجوني ، عن ثوبان الهكالي : أن الشيطان الذي خرج في أيوب كان يقال له : «سوط» (٥) ، قال : وكانت امرأة أيوب قوله : «دع

(١) القرص - بضم فسكون - : الرقعة . وفي الخطوط : «قرصة» .

(٢) ما بين القوسين من الطبقات السابقة ، وهو ساقط من خطوط الأثر .

(٣) في الخطوط : «فقط عنها» والكتب من الطبقات السابقة .

(٤) أي : شغيرة .

(٥) كلما في الخطوط ، وفي أثر المشهور من ابن أبي حاتم في تفسير سورة ص ٣١٦/٥ : «الشيطان الذى تترأز»

يقال له : «سوط»

الله فيشفيك ، فجعل لا يدور ، حتى مر به نفر من بني إسرائيل ، فقال بعضهم لبعض : ما أصابه [ما أصابه]
إلا بلدني عظيم أصابه ، فحدث ذلك قال : «وب إلى متى الضر وأنت أرحم الراحمين» .

وحدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا جرير بن حازم ، عن عبد الله بن عبيد بن حمير قال : كان لأيوب عليه
السلام أخوان فجاء يوماً فلم يستطعوا أن يدنوا منه ، من ريحه ، فقاما من بعيد ، فقال أحدهما للآخر : لو كان الله علم من
أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا ؟ فخرج أيوب من قولهما جزعاً لم ينزع من شيء ، فقلد ، فقال : اللهم ، إن كنت تعلم أني
لم أبت ليلة قط شبعت وأنا أعلم مكان جاع ، فصعدني ، فصعد من السماء وهما يسمعان . ثم قال : اللهم ، إن كنت
تعلم أني لم يكن لي قميصان قط ، وأنا أعلم مكان عار ، فصعدني فصعد من السماء وهما يسمعان . اللهم بمنزلة ثم
عر ساجداً ، ثم قال : اللهم بمنزلة لا أرفع رأبي أبداً حتى تكشف عني . فأرفع رأسه حتى كشف عنه .

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعاً بنحو هذا فقال : أخبرنا يونس بن عبد الأعلى . أخبرنا ابن وهب ،
أخبرني نافع بن يزيد ، عن حنبل ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن نبي الله أيوب
لبث به بلاؤه ثلثي عشرة سنة ، فرفقه القريب والبعيد ، إلا رجلين من إخوانه ، كانا من أقصى إخوانه ، كانا يغدوان
إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تسمم - والله - لقد أذنبي أيوب ذنباً ما أذنبي أحد من العالمين . فقال له
صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثلثي عشرة سنة لم يرعه الله فيكشف ما به ، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر
ذلك له ، فقال أيوب عليه السلام : لا أدري ما تقول ، غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين
بتنازعان فيذكران الله ، فأرجع إلى بيتي فأكثر منهما ، كراهة أن يذكر الله إلا في حق . قال : وكان يخرج من حاجته ،
فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه ، فأوحى إلى أيوب في مكانه : أن اركض
برجلك ، هذا مغسل يدرك وشراب .

رفع هذا الحديث فريب جداً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، أخبرنا حل بن زيد ، عن يوسف
ابن مهران ، عن ابن عباس ، قال : وألّسه الله حلة من الجنة ، فتنحى أيوب فجلس في ناحية ، وجاءت امرأته
فلم تعرفه ، فقالت : يا عبد الله ، أين ذهب هذا البطل الذي كان هاهنا ؟ لعل الكلاب ذهبت به أو اللدئاب ،
فجملت تكلمه ساعة ، فقال : ونحك ! أنا أيوب ! قالت : أسخر مني يا عبد الله ؟ فقال : ونحك ! أنا أيوب ،
قد رد الله علي بصدي .

وبه قال ابن عباس : ورد عليه ماله وولده حيواناً ، ومظلم معهم .

وقال وهب بن منبه : أوحى الله إلى أيوب : قد رددت عليك أملاك ومالك ومظلم معهم ، فاغسل بهذا الماء ،
فان فيه شفاك ، وقرب من صاحبك قرباناً ، واستغفر لهم ، فإنهم قد عصوني فيك . رواه ابن أبي حاتم .

وإذا قال أيضاً : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عمرو بن مرزوق ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن الضمر بن أنس ،
عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لما حافى الله أيوب ، أمطر عليه جراداً
من ذهب ، فجعل يأخذ بيده ويمسحه في ثوبه ، قال : فقبل له بأيوب ، أما تشيع ؟ قال : يارب ، ومن يشع من رحمتك .»

أصله في الصحيحين ، وسائق في موضع آخر .

وقوله : (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) ، قد تقدم عن ابن عباس أنه قال : ودحا عليه بأعبائهم : وكذا رواه الترمذي ، عن ابن عباس أيضاً ، وروى مثله عن ابن مسعود وعجماد ، وبه قال الحسن وقنادة .

وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة ، فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النتيجة (١) ، وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب ، وصح ذلك عنهم ، فهو مما لا يصدق ولا يكتف : وقد سماها ابن حساكر في تاريخه - رحمة الله تعالى - قال : ويقال : إنها ليا ابنة مثنى بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال : ويقال : ليا بنت يعقوب عليه السلام ، زوجة أيوب كانت معه بأرض البكتية (٢) .

وقال عجماد : قيل له : يا أيوب ، إن أهلك لك في الجنة ، فإن شئت أتيتك بهم ، وإن شئت تركناهم لك في الجنة ، وعرضناك مثلهم ؟ قال : لا بل أتركهم لي في الجنة : فتركوا له في الجنة وعرض مثلهم في الدنيا (٣) .

وقال حماد بن زيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن ثورث البكالي قال : أولي أجرم في الآخرة ، وأعطى مثلهم في الدنيا - قال : فحدثت به مطرفاً ، فقال : ما عرفت وجهها قبل اليوم (٤) .

وهكذا روى عن قنادة ، والسدي ، وغير واحد من السلف ، والله أعلم .

وقوله : (رحمة من عندنا) ، أي : فعلنا به ذلك رحمة من الله به ، (وذكرى للعابدين) ، أي : وجعلناه في ذلك قدوة ، فلا يظن أهل البلاد إنما فعلنا بهم ذلك لوائهم علينا ، وليأسوا به في الصبر على مقدورات الله وإبتلائه لعباده بما يشاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك .

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلْكَافِلِينَ إِنَّكُمْ مِنْ أَعْدَائِي فَأَغْبَىٰ ۖ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٨﴾

أما إسماعيل فلما راد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وقد تقدم ذكره في سورة مريم ، وكذلك إدريس عليه السلام (٥) .

وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي ، وقال آخرون : إنما كان رجلاً صالحاً ، وكان ملكاً عادلاً ، وحكماً مقسطاً ، وتوقف ابن جرير في ذلك ، فلهذا أحل .

(١) أي : أبعد في الأعداء والطلب . والنتيجة : للهاب في طلب الكل من موضعه .

(٢) البتية - بنتي الباء والياء ، وكسر القون ، وباء مشددة - : قرية كان أيوب عليه السلام بها ، وهي بين دمشق وأذعات . (مراميد الاطلاع) .

(٣) تفسير الطبري : ٥٧/١٧ = ٥٨ .

(٤) اللز للمنفرد عن ابن أبي حاتم وابن المنذر : ٣٢٨/٤ .

(٥) ينظر تفسير سورة مريم : ٢٢٢/٥ - ٢٢٦ .

وقال ابن جرير : من جاهد في قوله : (وذا الكفل) ، قال : رجل صالح غير لي ، تكفل لبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له ويقضى بينهم بالعدل ، ففعل ذلك ، فسُمي : ذا الكفل . وكذا روى ابن أبي نجیح ، من جاهد أيضاً .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا هفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، من جاهد قال : لا كبر للبس قال : لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي ، حتى أنظر كيف يعمل ؟ فجمع الناس ، فقال : من يتقبل مني بثلاث : استخلفه يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا ينفضب . قال : فقام رجل تزديه النبي ، فقال : أنا . فقال : أنت تصوم النهار ، وتقوم الليل ، ولا تنضب ؟ قال : نعم ، قال : فرددتم ذلك اليوم ، وقال مثلها في اليوم الآخر ، فسكت الناس ، وقام ذلك الرجل وقال : أنا : فاستخلفه ، قال : وجعل إبليس يقول للشياطين : عليكم بفلان ، فأصياهم ذلك ، قال : دعوني وإياه ، فأناه في صورة شيخ كبير فقبر ، فأناه حين أخذ مضجعه لثلاثة (١) - وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة - ففلق الباب ، فقال : من هنا ؟ قال : شيخ كبير مظلوم ، قال : فقام ففتح الباب ، فجعل يقص عليه ، فقال : إن بيني وبين قومي خصومة ، وإنهم ظلموني ، وفعلوا بي وفعلوا . وجعل يُلحِق عليه حتى حضر الروح (٢) ، وذهبت القائلة ، فقال : إذا رحت فأني أدخل لك محلك ، فانطلق وراح . فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ ؟ فلم يره ، فقام يتبعه ، فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس ، ويتنظره ولا يراه ، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه ، أنه ففلق الباب ، فقال : من هذا ؟ قال : الشيخ الكبير المظلوم . ففتح له فقال : ألم أقل لك : إذا قعدت فأني ؟ قال : إنهم أحببت قوم ، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا : نحن نطيلك حقك ، وإذا قمت جعلوني . قال : فانطلق ، فإذا رحت فأني : قال : ففانته القائلة ، فراح فجعل ينتظره ولا يراه ، وشق عليه التماس ، فقال لبعض أهله : لا تحن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام ، فاني قد شق حتى التزم ، فلما كان تلك الساعة أنه فقال له الرجل : ورامك ورامك ؟ فقال : إني قد أتيت أمني ، فذكرت له أمرى . فقال : لا ، والله لقد أمرنا أن لا ندع أحداً يقربه : فلما أعياء نظر ل فرأى : كوة في البيت ، فتمسورها ، فإذا هو في البيت ، وإذا هو يذق الباب من داخل ، قال : فاستيقظ الرجل فقال : يا فلان ، ألم أمرك ؟ فقال : أما من قبل والله فلم تومت ، فانظر من أين أتيت ؟ قال : فقام إلى الباب فانا هو مغلق كما أغلقه ، وإذا الرجل معه في البيت ، ففره ، فقال : أمدد الله ؟ قال : نعم ، أميئني في كل شيء . ففعلت ما ترى لأغضبك ، فجاهد الله ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر ، فوفى به (٣) ،

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديث زهير بن إسحاق ، عن داود ، عن جاهد ، بمثله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن مسلم قال : قال ابن عباس : كان قاضي في بني إسرائيل ، فحضره الموت ، فقال : من يقوم مقامى على أن لا ينفضب ؟

(١) القائلة : نصف النهار .

(٢) الروح : يكون آخر النهار .

قال : فقال رجل : أنا ؟ فسمى ذا الكفل : قال : فكان يليه جميعاً يصل ، ثم يصبح صائماً فيقضى به الناس — قال :
وله ساحة يقبلها — قال : فكان كذلك ، فأتاه الشيطان عند نومته ، فقال له أصبحابه : مالك ؟ قال : إنسان مسكين .
له على رجل حق ، وقد غلبني عليه ؟ قالوا : كنا أنت حتى يستيقظ — قال : وهو فوق نائم — قال : فجعل يصيح
صداً حتى يوقظه ، قال : فسمع ، فقال : مالك ؟ قال : إنسان مسكين ، له على رجل حق ؟ قال : اذهب فقل له
بعطيك . قال : قد أجب ؟ قال : اذهب أنت إليه ؟ قال : فذهب ، ثم جاء من الغد ، فقال : مالك ؟ قال : ذهبت إليه
فلم يرفع بكلامك وأمسأ ؟ قال : اذهب إليه فقل له يعطيك حقلك ، قال : فذهب ، ثم جاء من الغد حزين قال (١) : قال :
فقال له أصبحابه : اخرج ، فقل لله بك ، نجي كل يوم حزين بنام ، لا تدمع بنام ؟ فجعل يصيح : مع أجل أني إنسان
مسكين ، لو كنت غنيا ؟ قال : فسمع أيضاً ، فقال : مالك ؟ قال : ذهبت إليه ففرضني : قال : امش حتى أجي معك ،
قال : فهو يسلك يده ، فلما رآه ذهب منه لكر يده منه ففتر

وهكذا روى عن عبد الله بن الحارث ، وعبد بن قيس ، وابن حنبل (٢) الأكبر ، وغيرهم من السلف ،
نحو من هذه القصة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الجاهر : أخبرنا معبد بن بشر ، حدثنا قتادة : عن [ابن] (٣) :
الأشعث قال : سمعت الأشعثي وهو يقول على هذا الخبر : ما كان ذو الكفل بنين ، ولكن كان — يعني بن بني
إسرائيل — رجل صالح يصل كل يوم مائة صلاة ، فتكفل له ذو الكفل من بعده ، فكان يصل [كل يوم] مائة صلاة ،
فسمى ذا الكفل :

وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : قال أبو موسى الأشعثي ... :
فذكره مقطعة (٤) ، والله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد حديثاً غريباً فقال :

حدثنا أسباط بن محمد ، حدثنا الأشعثي ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعد مولى طلحة ، عن [ابن] عمر قال :
سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين — حتى عد سبع مرات — ولكن قد
سمعته أكثر من ذلك ، قال : كان الكفل من بني إسرائيل ، لا يتزوج (٥) من ذنب حله ، فأتته امرأة فأعطاها ستين
ديناراً ، على أن يصفأها ، فلما قدمها مقبلة الرجل من امرأته ، أرعدت (٦) وبكت ، فقال : ما يبكيك ؟ أكرهتك ؟

(١) أي : في وقت القائلة .

(٢) هو عبد الرحمن بن سجيعة ، مترجم في التلخيص ، وفي المخطوطة : وأبى سجيعة وهو غطاً .

(٣) في المخطوطة : عن كنانة الأشعثي . وفي الطبقات السابقة : عن كنانة بن الأعنس . ولم يجده في كتب الرجال .
وقد وجدنا في مسند الإمام أحمد في الرواة عن أبي موسى الأشعثي ٣٩٦/٤ أبى كنانة ، فراجع حديثنا أنه « أبو كنانة » ، وأبو كنانة
هذا مترجم في البحر والتبديل لابن أبي حاتم ٣٥/٢ ، والتلخيص ٢١٣/١٢ بأنه : « أبوكنانة القرشي » ، مع أبى موسى الأشعثي
وقيل فيه : أنه معاوية بن قرة ، ويقول ابن حجر : « ولم يصح هذا » وقال ابن القطان : « وهو لالحال » . والله أعلم .

(٤) تفسير الطبري : ٦٠/١٧ .

(٥) أي : لا يتزوج ولا يمتنع .

(٦) أي : ذلزلت واضطربت من خشية الله .

قَالَ : لا ، ولكن هذا عمل لم عمله قط ، وإنما حمكى عليه الحاجة . قَالَ : فضلعوا هذا ولم تعمله قط ؟ فَنَزَلَ (١) قَالَ : الذبي فالدائر لك ثم قال : والله لا يصحى الله الكفل أبداً . فات من ليته ، فأصبح مكتوباً على بابه : قد خفر الله للكفل (٢) .

مكنا وقع في هذه الرواية « الكفل » ، من غير إضافة ، فله أعلم . وهذا الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة (٣) ، وإسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان « الكفل » ، ولم يقل : « ذو الكفل » ، فلهذا وجب آخر ، والله أعلم .

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَفَتَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الظُّلُمِ كَذَلِكَ نَجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

هذه القصة مذكورة هاتنا وفي سورة « الصافات » (٤) ، وفي سورة « ن » (٥) ، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام ، به الله إلى أهل قرية « نينوى » ، وهي قرية من أرض الموصل ، فلما هم إلى الله ، فأبوا عليه وتنادوا على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ، ووعدهم بالمذاب بعد ثلاث « فلما تحققوا منه ذلك ، وعلموا أن النبي لا يكذب ، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنماهم ومواشيهم ، ورفقوا بين الأمهات وأولادها ، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل ، وجأروا إليه ، ورغبت الإبل ففصلنا ، وغارت البقر وأولادها ، وثقت الغنم وحملتها (٦) ، فرجع الله عنهم المغالب ، قاله الله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنضها إيماناً ، إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ومعناهم إلى حين) (٧) .

وأما يونس عليه السلام ، فإنه ذهب فركبه مع قوم في سفينة فكبجبت (٨) بهم وخافوا أن يفرقوا (٩) ، فافترحوا على رجل يلقونه من بينهم يستخفون منه ، فوقعته القرعة على يونس ، فأبوا أن يلقوه ، ثم أعادوا القرعة فوقع عليه أيضاً ، فأبوا . ثم أعادوها فوقع عليه أيضاً ، قال الله تعالى : (فساهم فكان من اللحقين) (١٠) ، أى :

(١) لفظ المسند : « ثم نزل » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٣ / ٢ .

(٣) كلما قال الحافظ ابن كثير : والحديث أخرجه الترمذي في أبواب القيامة ، ينظر تحفة الأوسى ، الحديث ٢٦١٤ ، ١٩٨ / ٧ - ٢٠٠ ، من طريق جيد بن أسباط عن أبيه ، بإسناده مثله ، وقال : « هذا حديث حسن ، وقد رواه شيخان وغير واحد ، من الأعمش ورفقه . ورواه يونس بن الأعمش ولم يرفقه » وحديثه بن حبان في الرازي هو كوفي . . . » .

ويقول الحافظ أبو الباء - صاحب تحفة الأوسى - : وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، إلا أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من حشرين مرة يقول . . . فذكر نحوه ، والحاكم والبيهقي من طريقه وغيرهما ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(٤) سورة الصافات ، الآيات : ١٣٩ - ١٤٨ .

(٥) سورة نون ، الآيات : ٤٨ - ٥٠ .

(٦) الحملان - بضم فسكون - جمع حمل - بلصحين - وهو الخروف .

(٧) سورة يونس ، آية : ٩٨ .

(٨) كبجبت السفينة : خاضت المياه ، ولبة البحر : حيث لا يدرك قعره .

(٩) لفظ المطبوعة : « وخافوا أن يفرق بهم » . والمثبت من النسخات السابقة .

وقعت عليه القرعة ، فقام يرمي عليه السلام ، ويجرد من ثيابه ، ثم أتى نفسه في البحر ، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى من البحر الأنخضر - فيما قاله ابن مسعود - حوتاً يشق البحار ، حتى جاء فالتقم يونس حين أتى نفسه من السفينة ، وأوحى (١) الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحماً ، ولا تهضم له حظاً ، فإن يونس ليس لك رزقاً ، وإنما بطئك له يكون سجيناً .

وقوله : (وذا النون) ، يعني الحوت ، صحت الإضافة إليه بهذه النسبة .

وقوله : (إذ ذهب مغاضباً) ، قال الضحاك : لقومه ، (فظن أن لن نقدر عليه) أي : لعقوب عليه في بطون الحوت . يروى نحو هذا عن ابن عباس ، وجماده ، والضحاك ، وغيرهم ، واختاره ابن جرير ، واستشهد عليه بقوله تعالى : (ومن فُتِر عليه رزقه فليتفق ما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاهها) . سيجعل الله بعد عسر يسراً (٢) . وقال عطية المروفي : (فظن أن لن نقدر عليه) أي : نقض عليه ، كأنه جبل ذلك بمعنى التضدير ، فإن العرب تقول قدر وقدر بمعنى واحد ، وقال الشاعر (٣) :

فَلَا حَاسِدٌ ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى • مَا تَعْدُرُ بِكَ نَفْسٌ ، فَكَلَّكَ الْأَمْرُ

ومنه قوله تعالى : (فالتقي الماء على أمر قد فُتِر) (٤) ، أي : فُتِر .

وقوله : (فنادى في الظلمات : أن لا إله إلا أنت ، سبحانه) ، إلى كنه من الظالمين) ، قال ابن مسعود : ظلمة بطون الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل . وكذا روى عن ابن عباس ، وعمر بن ميمون ، وسعيد بن جبهر ، وعبد ابن كعب ، والضحاك ، والحسن ، وقاعدة .

وقال سالم بن أبي الجعد : ظلمة حوت في بطون حوت ، في ظلمة البحر .

قال ابن مسعود ، وابن عباس وغيرهما ، وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشتد ، حتى انتهى به إلى قرار البحر ، فسمع يونس نسيج الحصى في قراره ، فعد ذلك وهناك قال : (لا إله إلا أنت سبحانه) .

وقال حوف : لما صار يونس في بطون الحوت ، ظن أنه قد مات ، ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ، ثم نادى : يا رب ، انقلبت لك مسجداً في موضع ما أحمله أحد (٥) .

وقال سعيد بن الحسن البصري : مكث في بطون الحوت أربعين يوماً . رواها ابن جرير (٦) .

(١) هذا تصوير لحفظ الله يونس في جوف الحوت ، أما الوحي بمعناه الحقيقي فليس مقصوداً .

(٢) ينظر تفسير الطبري : ٦٢/١٧ ، ٦٣ . والآية من سورة الطلاق رقم ٧

(٣) البيت في تفسير القرطبي ٣٣٢/١١ مع بيت آخر ، ولم يذكر قالهما بل قال : وأشد لطلب .

(٤) سورة القمر ، آية ١٢

(٥) تفسير الطبري : ٦٤/١٧ .

(٦) تفسير الطبري : ٣٦/١٧ .

وقال محمد بن إسماعيل بن يسار ، عن حماد بن عمار ، عن عبد الله بن رافع - مولى أم سلمة - سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أراد الله حبسَ يونس في بطن الحوت » أوحى الله إلى الحوت أن خذه ، ولا تحبس لحماً ولا تكسر عظماً ، فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حساً ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه ، وهو في بطن الحوت : إن هذا نسيج دواب البحر ، قال : فاستريح وهو في بطن الحوت ، فسمع الملائكة تسيحه فقالوا : يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً [بأرض غريبة] ؟ قال : ذلك عبدى يونس ، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصمد إليك منه في كل يوم وليلة على صالح ؟ قال : نعم . قال : فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت فقلبه في الساحل ، كما قال الله عز وجل : (وهو سقيم)

رواه ابن جرير (١) ، ورواه البزار في مستدركه ، من طريق محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة ، فذكره بنحوه ، ثم قال : لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد [وروى ابن عبد الحق (٢)] من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن [سلمة (٣)] ، عن علي مرفوعاً : « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » ، صحيحه في الظلمات

وقد روى هذا الحديث بدون هذه الزيادة ، من حديث ابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الله بن جعفر ، وسائر أسانيدنا في سورة « ن »

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أنس بن وهب ، حدثنا عمي : حدثني أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه قال : سمعت أنس بن مالك - ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يونس أتى عليه السلام حين بدا له أن يذهب به الملائكة وهو في بطن الحوت ، قال : (اللهم ، لا إله إلا أنت ، سبحانه ، إني كنت من الظالمين) . فأقبلت هذه الدعوة تحف بالمرش ، فقالت الملائكة : يا رب ، صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة ؟ فقال : أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : لا ، يا رب ، ومن هو ؟ قال : عبدى يونس ، قالوا : عليك يونس الذى لم يزل يرقع له حتملٌ مقبيل ، ودعوة نجاة ؟ [قال : نعم (٤)] . قالوا : يا رب ، أولا ترحم ما كان يصنع (٥) في الرخاء فتجنيه من البلاء ؟ قال : بلى . فأمر الحوت فطرحه في العراء (٦) ،

(١) تفسير الطبري : ٩٥/١٧ .

(٢) كلما في مخطوطة الأزهر . ولم نجد « ابن عبد الحق » هذا ، وهذا الحديث بتمامه إلى قوله « وفي سورة ن » ما انفردت به مخطوطة الأزهر ، ويبدو - والله أعلم - أن صواب النص : « وروى عبد بن حميد ، عن حديث شعبة . . . هذا ، ولم نجد هذا الحديث في سورة ن » ولا سورة الصافات .

(٣) في المخطوطة : « عبد الله بن مسلم » وللصواب عن التليد : ٢٤١/٥ ، ١٠٢/٨ .

(٤) ما بين القوسين من الدر المنثور .

(٥) في المخطوطة : « ما كان يصنعه » . والمثبت من الدر والطبعات السابقة . وقد تقع « ما » المائل في بعض الاستعمالات والمعنى أولاً ترحم من كان ؟ .

وقوله : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) ، أى : أخرجه من بطن الحوت ، وتلك القلائد ، (وكللك لتجى المؤمنين) ، أى : إذا كانوا في الشدائد ودعوتنا منيغ اليها ، ولا سيما إذا دعوا جلا لدعاء في حال الهلاك فقد جاء لترجيح في الدعاء بها عن سيد الأنبياء ، قال الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل بن عسَمر ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق الحمصاني ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد ، حدثني والدي محمد بن أبيه سعد ، - وهو ابن أبي وقاص - قال : مررتُ ببنان بن صفار رضى الله عنه في المسجد ، فسلمت عليه فلأ حينيه مني لم لم يردُّ عليَّ السلام ، فأنبت حمر بن الخطاب فقلت : يا أمير المؤمنين ، هل حدث في الإسلام شيء ؟ مرتين ، قال : لا ، وما ذاك ؟ قلت : لا ، إلا أني مررتُ ببنان أنا في المسجد ، فسلمت عليه ، فلأ حينيه مني ، ثم لم يردُّ عليَّ السلام ، قال : فأرسل عليَّ إلى عثمان فدعا ، فقال : ما منكم أن لا تكون ردَدت عليَّ أخيك السلام ؟ قال : ما فعلت . قال سعد : قلت : بلى ، حتى حلت وحلفت ، قال : ثم إن عثمان ذكَّر فقال : بلى ، واستغفر الله وأتوب إليه ، إنك مررت في أنا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا والله ما ذكرتها قط إلا تَغَشَّيَ بعري وقلبي غشاوة ، قال سعد : فأنا أنطق بها ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا [أول دعوة] ، ثم جاء أحراب فشغلوه ، حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته ، فلما لشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدي الأرض ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هنا ؟ أبو إسحاق (١) قال قلت : نعم ، يا رسول الله ، قال : له (٢) ؟ قلت : لا والله ، إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ، ثم جاء له هُنا [الأحراب فشغلوه] قال : نعم ، دعوة ذي النور ، إذ هو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت ، صبحناك ، إنني كنت من الظالمين) ، فانه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له (٣) .

ورواه الترمذي (٤) والشافعي في « اليوم والليلة » ، من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد ، عن أبيه ، عن سعد ، به . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن كثير بن زيد ، عن المطلب (٥) بن حنطب - قال أبو خالد : أحسبه عن مصعب ، يعني ابن سعد - عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من دعا بدعاء يونس ، استجيب له : قال أبو سعيد : يريد به (وكللك لتجى المؤمنين) .

وقال ابن جرير : حدثني حمران بن بكر الكلبي ، حدثني يحيى بن صالح ، حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، حدثني بشر بن منصور ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن مالك - وهو ابن أبي وقاص - يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اسم الله الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى ، دعوة يونس ابن مئى : قال : قلت : يا رسول الله ، هي ليونس خاصة أم لجميع المسلمين ؟ قال : هي ليونس بن مئى خاصة وللمؤمنين .

(١) كان معه ابن أبي وقاص - رضى الله عنه - فيكأ بها إسحاق .

(٢) أى لماذا ترد ؟

(٣) سمع الإمام أحمد : ١٧٠/١ .

(٤) نسخة الأوسى : أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٧٢ : ٤٧٩/١ : ٤٨٠ . وقال الحافظ أبو الباق : صاحب نسخة

الأوسى : « وحدثني سعد هذا أخرجه أيضاً الشافعي والحاكم وقال : صحيح الإسناد »

(٥) هو المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، « وله أنه أعصر قلسه » .

هامة ، إذا دعوا بها ، ألم تسمع قول الله عز وجل : (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا الله ، سبحانه ، إن كنته مع الظالمين . فاستجبت له ، ونجيتاه من الغم ، وكذلك تنجى المؤمنين) . فهو شرط من الله لن دعاه به (١) .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أحمد بن أبى صريح (٢) ، حدثنا حاد بن المحبّر بن قنذلم المدمى ، عن كثير بن معبد (٣) قال : سألت الحسن ، قلت : يا أبا سعيد ، اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعلی ؟ قال : ابن أخى ، أما تقرأ القرآن ؟ قلت : الله : (وما التوت إذ ذهب مغاضبا) إلى قوله : « المؤمنین » ، ابن أخى ، هذا اسم الله الأعظم ، الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعلی :

وَكَرِيْمًا إِذَا تَدَعَىٰ بِرَبِّ لَا تُدْرِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَرِثِیْنَ ﴿١٥٥﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ مِمَّا رَزَقْنَاهُ وَأَصْلَحْنَاهُ ۖ رُوِّجَهُ لَهُمْ كَانُوا يُسْرِحُونَ فِي النَّصْرِیَّتِ وَيَدْعُوْنَ رَجَبًا وَرَجَبًا وَكَانُوا لِنَاصِحِيْنَہِ ﴿١٥٦﴾

يجر تعالى من عبده زكريا ، حين طلب أن ينهيه الله ولدا ، يكون من بعده نبيا ، وقد قلعتا القصة مبسولة في أول سورة مريم (٤) ، وفي سورة آل عمران (٥) أيضا ، وهاتنا أنصر منها : (إذا نادى ربه) ، أى : خفية عن قومه ؛ (رب ، لا تلتفى فردا) ، أى : لاولة في ولا وارث يقوم بعدى في الناس ، (وأنت خير الراشرين) ، دعاه وثناء مناسب للمسألة .

قال الله تعالى : (فاستجبت له ، ووهبنا له يحيى ، وأصلحتنا له زوجة) أى : لمراته .
قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر : كانت حاقرا لا تلد ، فولدت .

وقال عبد الرحمن بن مهدي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (٦) : كان في لسانها طول فأصلحها الله . وفي رواية : كان في خنثيها شئ فأصلحها الله . وهكذا قال محمد بن كعب ، والسدي . والأظهر من السياق الأول .

وقوله : (لهم كانوا يسارعون في النجرات) ، أى : في حمل القربيات وفعل الطاعات ، (ويدعونا رجبيا ورهبيا) — قال الثوري : (رجبيا) فيما حدثنا ، و (رهبيا) مما عندنا ، (وكانوا لنا خاشعين) — قال حلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أى مصلقين بما أنزل الله : وقال مجاهد : مؤمنين حقاً (٧) . وقال أبو سنان :

(١) تفسير الطبري : ٦٥/١٧ .

(٢) في المخطوطة : « صريح » . والباقيين والهاء . وهو أحمد بن الصباح ابن أبى صريح ، مفرج في التبايب : ١٧١/١ والبحر ١٦١/١ . أما داود الذى يروى عنه فترجم في التبايب ١٩٩/٣ والبحر ٢٢٤/١٠٩٠ وقيل فيه : « لظاني البصري » . وقد كان في المخطوطة : « الحبر بن هلم » . وهو خطأ .

(٣) كذا ولم نجد ، ولعله : كثير بن سعيد ، المترجم في البحر لابن أبى حاتم : ١٥٢/٢٤٢ .

(٤) ينظر تفسير الآيات ٢ - ١٥ من سورة مريم : ٢٠٥/٥ - ١١٣ .

(٥) ينظر تفسير الآيات ٣٧ - ٤١ من سورة آل عمران : ٢٨/٢ - ٣١ .

(٦) هو عطاء بن أبى رباح . ينظر ترجمة طلحة بن عمرو في الخلاصة .

(٧) كذا في الطبقات السابقة : « مؤمنين حقاً » . وفي المخطوطة : مكان « مؤمنين » كلمة « مبررة » ، وأبو هاشم كما في الدر المنثور ٢٣٥/٤ من ابن أبى شعبة . وسيد بن سعيد . وابن المنذر . وابن أبى حاتم — هو : (وكانوا لنا خاشعين) ، قال

التشوش هو الخوف اللام للقلب ، لا يفارقه أبداً . وعن مجاهد أيضاً (خاشع) ، أى : متواضعاً ، وقال الحسن ، وقتادة ، والضحك : (خاشع) أى : متلئلين لله عز وجل . وكل هذه الأقوال متقاربة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا حيد الرحمن بن إسحاق بن (١) عبد الله القرشي ، عن عبد الله بن حكيم (٢) قال : خطبنا أبو بكر رضى الله عنه ، ثم قال : أما بعد ، فإنه أوصيكم بتقوى الله ، وتخشوا عليه عما هو له أمل ، وتخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإخفاف بالمسألة : فإن الله عز وجل أنبى على ذكرها وأمل بيته ، فقال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين) ،

وَالَّذِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ وَرَحْنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾

هكذا قرآن لعلى قصة مريم وابنتها عيسى عليه السلام بقصة زكريا وابنه يحيى عليها السلام ، فيذكر أولا قصة زكريا ، ثم يتبعها بقصة مريم ، لأن تلك موطئة لهذه ، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها ، ثم يلكر قصة مريم وهى أعجبها ، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر . هكذا وقع في سورة « آل عمران » ، وفي سورة « مريم » ، وهما هنا ذكر قصة زكريا ، ثم أتت قصة مريم ، فقوله : (والذى أحصنت فرجها) يعنى مريم عليها السلام ، كما قال في سورة التحريم : (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا (١٣٧)) ، وقوله : (وجعلناها آية للعالمين) ، أى : دلالة على أن الله على كل شئ قدير ، وأنه خلق ما يشاء ، و (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٤)) ، وهما كقولها : (ولنجعله آية للناس (٥)) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو حاتم الضحاك بن مخلد ، عن شبيب - بنى ابن بشر - (٦) عن حكيمه ، عن ابن عباس ، في قوله : (للعالمين) ، قال : العالمين : الجن والإنس :

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٣٨﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ إِلَهٍ لِرَبِّحُونَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ قَدْ كُنِيَ مِنْ أَلَمَنِ احْتَبَتْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا تَكْفُرْ بِلِسَانِهِ وَإِنَّا لَمُكْتَبُونَ ﴿١٤٠﴾

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبتر ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (إن هذه أمتكم أمة واحدة) ، يقول : دينكم دين واحد .

(١) في المخطوطة الأزهر : « حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق » عن عبد الله القرشي . « والصواب : « عبد الرحمن بن إسحاق ابن عبد الله القرشي » ، وهو مترجم في التلخيص : ١٣٧/٦ .

(٢) في المخطوطة : « عبد الله بن حكيم » . ولم نجد . روى الطبعات السابقة : « عبد الله بن حكيم » ، ولله « عبد الله بن حكيم ابن حزام القرشي الأسدي » وهو مترجم له في أسد الغابة رقم ٢٨٩٩ / ٣ / ٢١٥ . تصحيفنا .

(٣) سورة التحريم : آية : ١٢ .

(٤) سورة يس : آية : ٨٢ .

(٥) سورة مريم : آية : ٢١ .

(٦) في المخطوطة : « عن شبيب - بنى ابن بشر »

وقال الحسن البصري : في هذه الآية : بين لم ما يتقون وما يأتون ثم قال (إن هذه أمتكم أمة واحدة) أي مستكم سنة واحدة . فقله (إن هذه) : إن واسمها ، وأمتكم خبر إن ، أي : هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضعت لكم ، وقوله : (أمة واحدة) نصب على الحال ، ولهذا قال : (وأنا ربكم فاعبدون) ، كما قال : (يا أيها الرسل ، كلوا من الطيبات واحملوا صالحاً إلى ما تعملون علم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاقفون (١)) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن معشر الأنبياء أولاد عائلات ديننا واحد (٢) ، يعني أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله ، كما قال تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (٣)) .

وقوله : (وقطعوا أمرهم بينهم) ، أي : اختلفت الأمم على رسلها ، فمن بين مصدق لم ومكذب ، ولهذا قال : (كل إيتا راجعون) ، أي : يوم القيامة ، فيجازى كل بحسب عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ولهذا قال : (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) ، أي : قلبه مصدق ، وعمل محلا صالحا ، (فلا كفران لسعيه) ، كقوله : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا (٤)) ، أي : لا يكفر سعيه ، وهو عمله ، بل لا يشكرك ، فلا ينظم مقال درة ، ولهذا قال : (وإنا له كابدون) أي : يكتب جميع عمله ، فلا يتقصي عليه منه شيء .

وحرّم على قريّة أهلكتها أنهم لا يرجعون ﴿٥﴾ حتّى إذا فتح يا جوج وما جوج وهم من كلّ حدب يؤسلون ﴿٦﴾ وأقرب الأعداء الحقّ فإذا هم سبيحة أبصر الذين كفروا يويلنا قد كفى عقابنا من هنأ بل كآف قليلين ﴿٧﴾

يقول تعالى : (وحرّم على قريّة) ، قال ابن عباس (٥) : وجب . يعني قدراً مقدّراً أن أهل كل قريّة أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة . هكنا صرح به ابن عباس ، وأبو جعفر الباقر ، وقتادة ، وغير واحد ، وفي رواية عن ابن عباس : (أنهم لا يرجعون) ، أي : لا يتوبون .

(١) سورة المؤمنون : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) تقدم الحديث في ٣٧٠/١ ، ٤٠٨/٢ ، وفرسنا غريبه ، وشرجهنا هناك .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٨ .

(٤) سورة الكهف : آية ٣٠ .

(٥) أثر عن ابن عباس في هذه الآية قراءات ، أولها : (حرّم) - يفتح الحاء ، وكسر الراء ، هل أنه فعل ماضٍ . وثانها : (حرّم) يفتح الحاء والراء ، فعلا ماضياً أيضاً ، وقد نسبها إليه أبو حيان في البحر المحيط : ٣٢٨/٦ . والثالثة : (حرّم) يفتح الحاء ، وضم الراء ، فعلا ماضياً كذلك ، والرابعة : (حرّم) يفتح الحاء وسكون الراء ، أما ، وقد نسبها إليه أبو الفتح ابن جويى المصنّف ٦٥/٢ ، ٦٦ .

ويبدو من رواية الطبري : ٦٨/١٧ أن ابن عباس كان يقرأ أيضاً : (حرّم) - بكسر الحاء وسكون الراء ، أما وقد نسبت إليه هذه القراءة في لسان العرب أيضاً ، وأنه كان يقول في تفسيرها : « واجب » .

(٦) (حرّم) ، غير قراءة الجمهور ، والثالثة يوجهون هذه القراءة على أن (لا) في قوله تعالى : (لا يرجعون) زائدة

والقول الأول أظهر ، والله أعلم .

وقوله : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) : قد قلنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام (١) ، بل هم من نسل نوح أيضا ، من أولاد يافث ابن نوح ، والفرق شرفه منهم ، فتركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين .

وقال : (هنا رحمة من رب ، فإذا جاء وعد ربك جعله ذكاء ، وكان وعد ربك حقا . وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ولقيح في الصور فجعلناهم جمعا (٢)) ، وقال في هذه الآية الكريمة : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) ، أي : يسرحون في المشي إلى القساد .

والحدب : هو المرتفع من الأرض ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وأبو صالح ، والثوري وغيرهم . وهذه صفتهم في حال خروجهم ، كان السامع مشاهد لذلك ، (ولا ينبتك مثل خبير) ، هذا إخبار عالم ما كان وما يكون ، الذي يعلم جميع السموات والأرض ، لا إله إلا هو .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن مثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن حبيب الله بن أبي يزيد قال : رأى ابن عباس صريحا يثرو بعضهم حل بعض ، يلمعون ، فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج (٣) .

وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية ، فالحديث الأول ، قال الإمام أحمد :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن حاتم بن عمار بن قتادة ، عن محمود بن كعب ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، فيخرجون كما قال الله عز وجل : (من كل حطب ينسلون) ، فيفتشون الناس (٤) » ، ويتحارب المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ، ويضمون إليهم مواشيهم ، ويشربون مياه الأرض ، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر ، فيشربون مائه حتى يركوه يمتعا ، حتى إن من بعدهم ليمر ببلد النهر فيقول : قد كان هاهنا ماء مرة ، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض ، قد فرغنا منهم ، بقي أهل السماء ، قال : ثم جزأ أحدهم حربته ، ثم يرى بها إلى السماء ، فترجع إليه مستغصبة دما ، للبلاد والفتنة ، فيبئها من حل ذلك إذ بعث الله عز وجل حودا في أناقهم كَتَفَتْ (٥) الجراد التي يخرج في أمثاله ، فيصيحون موتى لا يسمعون لهم حيس ، فيقول المسلمون : ألا رجل يشتري (٦)

(١) ينظر : ١٩١/٥ و ١٩٢ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٩٨ و ٩٩ .

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ٧٠٦ .

(٤) كذلك في خطبة الأثرم وابن ماجه ، ونفذ المسند ، فيخرجون على الناس كما قال »

(٥) لفظ المسند ، فيفتشون الأرض . وابن ماجه ، فيسبون الأرض .

(٦) تقدم تفسير هذه الكلمة في ١٩٣/٥ و ١٥٠/٢ .

(٧) أي : يبيعها له عز وجل ، وفي الخطبة : « يصر لنا » و « لنا » غير ثابتة في المسند .

نفسه ، فينظر ما قبل هذا العلو ؟ قال : فيتردد رجل منهم محتسبا نفسه ، قد أوطأها (١) حل أله مقتول ، فيقول فيجدهم موق ، بعضهم على بعض ، فينادى : يا معشر المسلمين ، ألا أبشروا ، إن الله عز وجل قد كفاكم علوكم ، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ، ويُسْرَحُونَ مواشيهم ، لما يكون لما رعى إلا لحومهم ، فتشكر عنه كالحسن ما شكرت (٢) من في من الثبات أصابته قط (٣) :

ورواه ابن ماجه ، من حديث يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، به (٤) :

الحديث الثاني : قال أحمد أيضا : حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس النمشي ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص ، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ، عن أبيه ، أنه سمع الثَّوْرَانَ بن سَمْعَانَ الكلابي قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبال ذات عقدة ، فحُفَّتْ فِيهِ وَرَفَعَ (٥) ، حتى ظنناه في طاقة النخل (٦) ، [فلما رُحْنَا إليه حرف ذلك في وجوهنا ، فسلأنا قلنا : يا رسول الله ، ذكرت النبال العدة ، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طاقة النخل (٧)] : فقال : غير النبال أغرقى (٨) عليكم ، فإن يخرج - وأنا فيكم - فانا حَجَبِيحُ دَوْلِكُمْ ، وإن يخرج - ولست فيكم - فامرؤ حَجَبِيحُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب جَعَدٌ قَطَطٌ حَيْثُ طَالِيه ، وإله يخرج عِكَّةً (٩) بين الشام والعراق ، فمات عينا وأجمالا ، يا هاد الله ، أهوا .

قلنا : يا رسول الله ، ماله في الأرض ؟ - قال : أربعين يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم .

قلنا : يا رسول الله ، فلذلك اليوم الذي هو كسنة ، أنكفينا فيه صلاة يوم ولية ؟ قال : لا ، أنفروا له ففروه .

قلنا : يا رسول الله ، لما إسراره في الأرض ؟ قال : كالغيث استليرته الريح ، قال : فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون له ، فيأمر السحاب فيمطر ، والأرض تفتت ، وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت دُزِي ، وأمدته خواصر ، وأسبغه ضروحا ، ويمر بالحي فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فتنبه أمولهم ، فيصبحون مُمَحَّدِينَ ، ليس

(١) في ابن ماجه : « قد وطن نفسه » . وفي المسند : « وقد أظها » .

(٢) ينظر تفسير « الشكر » في : ١٩٣/٥

(٣) مسند الإمام أحمد : ٧٧/٣ .

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب الدين ، باب « فنة النبال وخروج ياجوج وماجوج » . الحديث : ١٣٦٦/٢ ، ١٣٦٦/١ .

(٥) أي : بالغ في تقريبه ، واستعمل فيه كل فن من خفض الصوت ورفع ، وينظر فيما تقدم : ١١٤/٢ .

(٦) في الخطوط : « وفي ناحية المسجد » . والمثبت عن المسند : « وسلم » . والترمذي : « وابن ماجه » .

(٧) ما بين الترمذي عن كتب السنة المتقدمة ، ونسب أنه سقط نظر .

(٨) في الخطوط : « وأخوف من عليكم » . ومثله في المسند ، والمثبت عن مسلم وابن ماجه ، و « أخوف » : اسم تفضيل من الفعل المبنى للمعول ، والمثنى : أخوف غرقاني عليكم . ثم حلت المضاف وهو « غرقات » ، فاقبل اسم التفضيل بالياء ، وجيء بالنون بينهما على لغة . وفي الترمذي : « وأخوف من عليكم » .

ثم من أموالهم شيء : وعمر بالخربة فيقول لها : « أخرجي كنوزك » ، فتيهه كنوزها كيما يسهب النحل - قال : وأما
يرجل فيقتل ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزأتين ومئة الفرس ، ثم يدعو فيقتل إليه [يتهلل وجهه (١)] ،

فبينما هم على ذلك ، إذ بعث الله عز وجل المسيح ابن مريم ، فيتزل عند المائدة البيضاء ، شرق دمشق ، بين مهرودتين
وأصحا يده على أجنحة ملكيين ، فتيهه فيركه ، فيقطعه عند باب لد الشرق »

قال : فبينما هم كذلك ، إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم أن قد أخرجت عبدا من عبادي لا يكد أن
يقنطه ، فحَوِّزَ (٢) عبداً إلى الطور ، فبعث الله عز وجل بأجوج ومأجوج [وهم (١)] كما قال الله : (من كل
جذب يسلون) ، فیرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل ، فيرسل الله عليهم نغماً في رقابهم ، فيصبون قرمياً ،
كموت نفس واحدة.

فيهبط عيسى وأصحابه ، فلا يجدون في الأرض بيتاً إلا قد ملأه زحمتهم ولتنتهم ، فیرغب عيسى وأصحابه إلى الله ،
فيرسل عليهم طيراً كأحناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ،

قال ابن جابر : فملحنى خطاء بن يزيد السكسكى ، عن كعب - أو غيره - قال : فتطرحهم بالمهبيل (٢) .
[قال ابن جابر : قلت : يا أبا يزيد ، وابن المهبل (٤) ؟] ، قال : مطلع الشمس ،

قال : ويرسل الله مطراً لا يكد أن يبت مدثر ولا وبر أبهر يوماً ، فيسل الأرض حتى يتركها كالكوكبة ،
وهذا للأرض : أنبيئتمك ، وردى بركتك . قال : فيبطل يأكل الغنم الرمانة ويستلطن بقشعها ، ويهلك
في الرسل ، حتى إن اللعنة من الإبل لتكن القيام من الناس ، واللحمة من البقر تكن الفحل (٥) ، والشاة من الغنم
تكن أهل البيت ،

قال : فبينما هم على ذلك ، إذ بعث الله عز وجل رجلاً طيبة تحت آبائهم ، فقبض روح كل مسلم - أو قال : كل
مؤمن - وبقي شرار الناس يتهاجون بهارج الحخير ، وعليهم تقوم الساعة (٦) .

انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري ، فرواه مع بقية أهل السنن من طرق ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، به
وقال الترمذي : حسن صحيح ،

(١) ما بين القوسين عن المسند .

(٢) أي : نهم وأزلم من طريقهم إلى الطور ، ولطف مسلم ، « فعز » ، « فلأمر من التصير » ، وابن ماجه ، « فأعز »
وفي الترمذي مثل ما في المسند .

(٣) المهبيل - بفتح الميم - وسكون الهاء ، وكسر اللوحدة - « الحرة القاهية في الأرض .

(٤) ما بين القوسين سقط من خطوط الأثر ، ولقد أجنبت عن المسند ، وهو سقط نظر .

(٥) الفحل : العصاة من الأكلاب ، وهم ذوات الفيل ، والبطن دون القبية .

(٦) سنة الإمام أحمد : ١٨١٤ ، ١٨٢٠ ، ١٨٢٦ ، رتد قلست في سورة قلست منه الآية ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، رواية

الإمام مسلم ، وخرجنا عن ذلك ، وهو حديث غريب ، كما خرجنا الحديث عن الترمذي وابن ماجه ، فأنظر هناك غريب هذا الحديث .

الحديث الثالث : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو ، [عن] ابن حزملة (١) ، عن خاله قالت : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب أصبغ من لدنة عترب ، قال : إنكم تقولون : « لا جدو » (٢) ، وإنكم لا تقولون قاتلون عدواً ، حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض الوجوه صفار العيون ، صهب الشفاه (٣) من كل حدب ينسلون ، كان وجوههم المسجبان (٤) المطرقة (٥)

وكلنا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو ، عن خالد بن عبد الله بن حرملة المدلجي ، عن خاله له عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره مظه

الحديث الرابع : قد تقدم في تفسير آخر سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد ، عن هشيم ، عن العوام ، عن جلة ابن سحيم ، عن مؤثر بن عكرمة ، عن ابن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت ليلة أُسرى في إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، قال : فقلنا كروا أمر الساعة ، فردوا أمرهم إلى إبراهيم ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى عيسى ، فقال : أما وجبتُها فلا أعلم بها أحد إلا الله ، وفيما عهد إلي ربّي أن اللجال خارج ، قال : ومعي قضيان ، فانا رأيت ذاب كابلوب الرصاص ، قال : فيهلك الله إذا رأى ، حتى إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن نحى كافرا ، فقال فاطمه . قال : فيهلكهم الله ، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم . قال : فتد ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيطنون ببلادهم ، لا يأثون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرّون على ماء إلا شربوه . قال : ثم يرجع الناس إلى يسكنهم ، فأدعوا الله عليهم ، فيهلكهم ويجمعهم ، حتى تجزى الأرض من ثقتن ربهم ، ويترل الله لطر فيجترف أجسادهم ، حتى يلقطهم في البحر ، فليما عهد إلي ربّي أن ذلك إذا كان كذلك ، أن الساعة كالخامل المشيم ، لا يدري أهلها متى تسجّوهم بولادها ليلا أو نهاراً (٦) »

ورواه ابن ماجه ، عن محمد بن بشار ، عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب ، به ، نحوه وزاد : « قال العوام : ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) »

(١) في المخطوطة : « محمد بن عمرو بن حرملة » والصواب ما أثبتناه . ومحمد بن عمرو هو ابن حلقمة بن وقاص ، منجم في التيجان ٣٧٥/٩ ، يروى عن خاله بن عبد الله بن حرملة . وقد وقع خلط في المستدرك كذلك ، فلهذا الحديث فيه : لنا محمد - يعني ابن عمرو - حدثنا خالد بن عمرو ، عن ابن حرملة

(٢) في المخطوطة : « لا جدو لكم » . وروى لكم « في نسخة في المستدرك .

(٣) في المستدرك : « صهب الشفاه » . وفي النهاية لابن الأثير : « صهب الشفاه » : أي : صعب الشهور . والشفة : الشقرة .
(٤) اللجان : جمع جين - بكسر قاف - وهو الثرس الذي يليه الحاربه ، سمى بذلك لأنه يهتد ويستد ويقبه من جدو .
(٥) وترس مطرق : ما يكون بين جلدتين ، أحدهما فوق الآخر . ومنه طارق للتل . إذا صيرها طارقا فوق طاق وركب بعضها حل بعض . أراد أنهم عراض الوجوه خلالهما .

(٥) مستدرك الإمام أحمد ٢٧١/٥ .

(٦) تقدمت سبابة الحديث في موضعين : الأول في سورة القصص ٤٠٩/٢ : « وسورة الأعراف ٢٥/٢ » . وخرجناه هناك من نسخة وابن ماجه ، وفي نسخة غريبة في الموضع الأول .

ورواه ابن جرير ما هنا من حديث جيلة (١)، به. والأحاديث في هذا كثير، جلاء، والآثار من السلف كذلك؛ وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث معمر، من غير واحد، من حميد بن هلال، عن أبي الصنف قال: قال كعب: إذا كان عند خروج ياجوج ومأجوج، حضروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسمهم، فإذا كان الليل قالوا: ونجىء فخرج. فبعده الله كما كان، فيجيئون من الند فيجدونه قد أعاده الله كما كان، فيحضرون حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسمهم، فإذا كان الليل أتى الله على لسان رجل منهم يقول: ونجىء فخرج إن شاء الله؛ فيجيئون من الند فيجدونه كما تركوه، فيحضرون حتى يخرجوا. فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة، فيشربون مائها، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها، ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون: قد كان هاهنا مرة ماء، وفيه الناس منهم، فلا يقوم لهم شيء؛ ثم يرمون بسهامهم إلى السماء فترجع إليهم مُحفَّبةً بالماء فيقولون: خلينا أهل الأرض وأهل السماء؛ فيلعو عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول: اللهم، لا طاقة ولا يدَيْن (٢) لنا بهم، فاختارهم بما شئت، فيسلط الله عليهم دودا يقال له: النتن، فيفرس رقابهم (٣)، ويبعث الله عليهم طيرا تأكلهم فتلقبهم في البحر، ويبعث الله عينا يقال لها: الحياة، يطهر الله الأرض وينبتها، حتى إن الرماة ليشتج منها السكَّن - قيل: وما السكَّن يا كعب؟ قال: أهل البيت - قال: فيبئ الناس كذلك إذ أنام الصرَّيخ أن ذا السَّوَيْقَتَيْن (٤) يريد، قال: فيبعث عيسى ابن مريم طليعة سبعة، أو بين السبعة والثمانية، حتى إذا كانوا ببض الطريق بعث الله ريحا ممانية طية، فيقبض فيها روح كل مؤمن. ثم يبي عجاج (٥) الناس، فيفسدون (٦) كما تَسَافَدُ البهائم، فَمَثَلُ الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه [يمطرها] (٧) من نفع؟ قال كعب: فن [تكلف] بعد قولي هذا شيئا أو: بعد علمي هذا شيئا - فهو المكلف (٨).

هذا من أحسن سياقات كعب الأخبار، لما شهد له من صحيح الأخبار، وقد ثبت في الحديث أن عيسى ابن مريم يخرج البيت الطين، وقال الإمام أحمد:

حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد الله بن أبي عتبة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: لِيُحْجَجَنَّ هذا البيت، وليُؤْمِنَنَّ بعد خروج ياجوج ومأجوج (٩)، انفرد بإخراجه البخاري (١٠)،

(١) تفسير الطبري: ٧٧/١٧.

(٢) ونظر تفسير هذه الكلمة في: ١٨/٤ و ١٢٥/٣.

(٣) أي: يكسر أعناقهم.

(٤) السويقة: تصغير الساق، وهي موقفة، ولما ظهرت التاء في تصغيرها، وفي الحديث أنه: يقرب الكعبة ذو السويقتين من الحيشة. ويقول ابن الأثير: «وإنما صغر الساق، لأن الغالب على سوق الحيشة القدة والحيوثة».

(٥) السباع: الدواب والأرئال ومن لا خير فيه.

(٦) السلف: تزو الذكر كل الأنثى.

(٧) ما بين القوسين من تفسير الطبري.

(٨) تفسير الطبري: ٧١/١٧.

(٩) مسند الإمام أحمد: ٢٧/٣ و ٢٨.

(١٠) البخاري، كتاب الحج، باب: قول الله تعالى (يجعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) ١٨٣/٢ و ١٨٣.

وقوله : (والرب الوعد الحق) ، يعني يوم القيامة ، إذا وجدت هذه الأحوال والقرائن والبلابل ، أذنت الساعة والقرت ، فإذا كانت وقتت قال الكافرون : (هذا يوم صر) . ولما قال تعالى : (فإذا هي شائعة بأسار الذين كفروا) ، أي : من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام : (يا ويلنا) ، أي : يقولون : (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) ، أي : في الدنيا ، (بل كنا ظالمين) ، يعترفون بظلمهم لأنفسهم ، حيث لا يضعهم ذلك ،

لأنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لما وردون ﴿١٧﴾ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴿١٨﴾ لم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴿١٩﴾ إن الذين سبقتم منّا الحسن أولئك عنها مبعدون ﴿٢٠﴾ لا يسمعون حبيبها وهم في ما أشئت أنفسهم خالدون ﴿٢١﴾ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتشتتهم الملكة هنّا قال يومئذ الذين كنتم توردون ﴿٢٢﴾

يقول تعالى غابطينا لاهل مكة من مشركي قريش ، ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) - قال ابن عباس : أي وقودها (٢) ، يعني كقولهم : (وقودها الناس والحجارة) (٣) ، وقال ابن عباس أيضا : (حصب جهنم) ، يعني شجر جهنم - وفي رواية قال : (حصب جهنم) ، يعني حطب جهنم ، بالترجمة .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، وقاعدة ، وحطاب ، وحى كذلك في قراءة علي ومائشة رضي الله عنهما (٤) ،

وقال الضحاك : (حصب جهنم) ، أي : ما يرمى به فيها .

وكذا قال غيره : والجميع قريب .

وقوله : (أنتم لما وردون) ، أي : داخلون ، (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) ، يعني : لو كانت هذه الأصنام والأوثان التي اتخذوها من دون الله آلهة صالحة لما وردوها النار ، ولما دخلوها ، (وكل فيها خالدون) ، أي : المأبدين ومعدنهم ، كلهم فيها خالدون . (لم فيها زفير) ، كما قال : (لم فيها زفير وشهيق) (٥) ، والزفير : خروج أنفاسهم ، والشهيق : ولوج أنفاسهم ، (وهم فيها لا يسمعون) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطائفي ، حدثنا ابن فضال ، حدثنا عبد الرحمن - يعني للسهوي - عن أبيه قال : قال ابن مسعود : إذا بقى من مخلد في النار ، جعلوا في توابيت من نار ، فيها سماسير من نار ، فلا يرى أحد منهم أنه يعلب في النار غيره ، ثم تلا عبد الله : (لم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) .

(١) سورة القصص ، آية ٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٤/١٧ .

(٣) سورة الصم ، آية ٩٤ .

(٤) البدر المنيح لأبي حاتم : ٣٤٠/٢٦ .

(٥) سورة هود ، آية ٩٥ .

ورواه ابن جرير ، من حديث حجاج بن محمد ، عن المسعودي عن يونس بن حبيب عن ابن مسعود قال : (١) وقوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ) ، قال عكرمة : الرحمة : وقال غيره : السعادة : (أولئك عنها مبعوثون) ، لا ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله ، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله ، وهم الذين سبقَتْ لهم من الله السعادة ، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا ، كما قال : (الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَهَا) (٢) وقال : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (٣) ، فكما أحسنوا العمل في الدنيا ، أحسن الله ملكهم وثوابهم ، فتجاه من اللذات ، وحصل لهم جزيل الثواب ، فقال : أولئك عنها مبعوثون لا يسمعون حسيسا ، أي : حريقها في الأجساد ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا حبان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير (٤) ، عن أبي حنبل : (لا يسمعون حسيسا) ، قال : حيات على الصراط لتسمعهم ، فإذا لم يسمعهم قال : حَسَسَ حَسَسَ (٥) .

وقوله : (وهم فيها اشتبهت أقصمهم خاللون) ، فسلمهم من الخلق والرهوب ، وحصل لهم المطلوب والمحبوب . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي سريج ، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهذلي ، عن ليث بن أبي سليم ، عن ابن عمر التيمي بن بشر ، عن الثعلبي بن بشير قال : - وسَمَرُ مع علي ذات ليلة ، فقرا : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ) أولئك عنها مبعوثون ، قال : أنا منهم ، وعمر منهم ، وثلاث منهم والآخر منهم ، وطحلة منهم ، وعبد الرحمن منهم - أو قال : سعد منهم - قال : وأُتِمَّتِ الصلاة فقام ، وأظنه يجر ثوبه ، وهو يقول : (لا يسمعون حسيسا) .

وقال شعبه ، عن أبي بشر ، عن يوسف المكي ، عن محمد بن حاطب قال : خمت عليا يقول في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ) ، قال : حبان وأصحابه

ورواه ابن أبي حاتم أيضا ، ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد - وليس بأبي مائل - عن محمد بن حاطب ، عن علي ، فذكره ولفظه : حبان منهم (٦) .

(١) تفسير الطبري : ٧٥/١٧ .

(٢) سورة يونس : آية : ٢٦ .

(٣) سورة الرحمن : آية : ٦٠ .

(٤) في الخطوبة : «حامد بن سلمة» من أبيه ، عن أبي حنبل الهذلي ، عن أبي حنبل ، ومثله في الطبعات السابقة . ولعل الصواب ما أثبتناه ، فالأثر في الدر المنثور ٣٣٩/٤ عن أبي حنبل التيمي ، ويروى عنه أبو محمد جاس بن فروخ الجعفي - بضم الجيم - المتوفى سنة ١٢٠ ، وهو مترجم في التذهيب : ١٢٥/٥ وسلمة والد حماد ، هو سلمة بن حنبل ، توفي في حدود سنة ١٤٠ ، وترجمته في التذهيب : ١٤٤/٤ . ويبدو - والله أعلم - أن التنازع الأول قد ساء تسبق قلته لك ، أبي حنبل قبل أن يذكر «الجعفي» ، ثم ذكر أبا حنبل مرة ثانية .

(٥) حس : بكسر السين مشددة : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما معه وأسرته غفلة ، كالجيرة والفرجة ونحوهما .

(٦) تهذيب الطبري : ٧٥/١٧ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ هُمَا مَبْعُودُونَ) :
أولئك أولياء الله يمدحون على الصراط صراطاً هو أسرع من البرق ، ويبنى الكفار فيها جثياً .

فهما مطابقان لذكرناه ، وقال آخرون : بل تولت استثناء من المعبودين ، وخرج منهم عزير والمسيح ، كما قال
حباج بن عصفور ، عن [ابن] جريج وعطاء بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (إنكم وما تعبديون
من دون الله حصب جهنم) ، ثم استثنى فقال : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ) ، يقال : هم الملائكة ، وعيسى ،
ونحو ذلك مما يمدح من دون الله عز وجل ، وكلما قال حكمة ، والحسن ، وابن جريج .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ) ، قال : تولت في عيسى ابن مريم
وعزير عليهما السلام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحبيب بن عيسى بن ميسرة ، حدثنا أبو زهير ، حدثنا سعد بن
طريف ، عن الأصمعي ، عن عكرمة في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ) ، قال : كل شيء يمدح من دون
الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسى ابن مريم ، إسناده ضعيف .

وقال ابن أبي شيبة ، عن جاهد : (أولئك عنها مبعودون) ، قال : عيسى ، وعزير ، والملائكة .

وقال الضحاك : عيسى ، وعزير ، والملائكة ، والشمس ، والقمر (١) ، وكلما روى عن سعيد بن جبلة ،
وأبي صالح وغير واحد .

وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً غريباً جداً قال : حدثنا القشيري بن بقية الرضائي (٢) ، حدثنا سعيد
ابن مسلمة بن عبد الملك ، حدثنا الليث بن أبي سليم ، عن صفية ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ هُمَا مَبْعُودُونَ) ، قال : عيسى ، وعزير ، والملائكة .

وذكر بعضهم قصة ابن القزويني ومناظرة المشركين ، قال أبو بكر بن مردؤويه :

حدثنا محمد بن علي بن سهل ، حدثنا محمد بن حسن الأنباري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن هريرة ، حدثنا
يزيد بن أبي حكيم ، حدثنا الحكم - يعني ابن أبيان - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : جاء عبد الله بن الزبير
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : حرم أن الله أنزل عليك هذه الآية : (إنكم وما تعبديون من دون الله حصب
جهنم) أنتم لها ولزعماء ، فقال ابن الزبير : قد صليت الشمس والقمر والملائكة ، وعزير وعيسى ابن مريم ،
كل هؤلاء في النار مع آلهتنا ؟ فتركت : (وما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) ، وقالوا : ألكنا خير أم هو ؟

(١) تفسير الطبري : ٧٦/١٧ .

(٢) في المجلد والتفصيل لابن أبي حاتم : ٧٠٧/٢٢٢ ، الرطبي ، في المجلد ، ولم تقع لنا هذه القصة ، وهي في المجلد
لنحوه إلى المتن . ورواه - كما في مصنف الإمامان - يمدح من دون الله ، وتقدمه عليه ، وأكرمهم ، من قوله مرو .

ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون) ، ثم نزلت : (إن الذين سبقك لم منا الحسنى أولئك منها مبعدون) •
رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه « الأحاديث المختارة » •

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا قبيصة بن عقبة ، حدثنا صفيان - يعني الثوري - عن الأعمش ، عن أصحابه ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) ، قال للمشركون : فإللاكة ، وعزير ، وعيسى يُعبدون من دون الله ؟ فنزلت : (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) ،
الآلهة التي يعبدون ، (وكل فيها خالدون) •

وروى عن أبي كتيبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس مثل ذلك ، وقال :
فترلت : (إن الذين سبقك لم منا الحسنى أولئك منها مبعدون) (١) •

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، رحمه الله ، في كتاب « السيرة » : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما بلغني -
يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المسجد غير واحد من رجال قرش ،
فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقامحه ،
وتلا عليه وعليهم : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إلى قوله : (وهم فيها لا يسمعون) ،
ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة
لعبد الله بن الزبير : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً ولا بعد (٢) ، وقد زعم محمد أنا وما تعبد
من ألفتنا هذه حسب جهنم . فقال عبد الله بن الزبير : أما والله لو وجدته لخصمته (٣) ، فسلوا محمداً كل ما يُعبد
من دون الله في جهنم مع من حَبَّه ؟ فنحن نعيد الملائكة ، واليهود تعبد عزيراً ، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم ؟؟
فغضب الوليد ومن كان معه في المجلس ، من قول عبد الله بن الزبير ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون
الشياطين ومن أمرتهم بعبادته . وأنزل الله : (إن الذين سبقك لم منا الحسنى ، أولئك منها مبعدون) لا يسمعون
حسبها ، وهم فيها اشتبهت أنفسهم خالدون) ، أي : عيسى وعزير ومن عبدوا من الأخيار والرهبان ، الذين مضوا
على طاعة الله ، فأنغمس من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ، وتتركوا فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ،
وأهم بنات الله » (وقالوا : اتخذ الرخن ولداً ، سببناه ، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون •
إلى قوله : (ومن يقل منهم : إني إله من دونه ، فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) ، وتترك فيما ذكر من
أمر عيسى ، وأنه يعبد من دون الله ، وصحب الوليد ومن حَسَرَه من حُجَّتِه وخصومته : (ولا ضرب ابن مريم
مثلاً إذا قولك منه يعلون • وقالوا : أ ألفتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون •

(١) تفسير الطبري : ٧٧/١٧ .

(٢) ملاكاتبه عن إسحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم تكن له مع الرسول محاولة ، بل استسلم غاية الاستسلام .

(٣) لثبته في الخصومة ، وكنت صاحب الحق عليه .

إن هو إلا عبد الله عليه، وبعثناه، ملائكة في الأرض يخفون، وإله العالمين
لما علم أن الله لا يهلك، ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام، فكفى به ذليلاً على علم
الساعة، يقول: (فلا تخفون بها واتبعون، هذا صراط مستقيم) (١) .

وهذا الذي قاله ابن الزبير خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في صناديق الأصنام التي هي
بجاء لا يعقل، ليكون ذلك تهيئاً وتوبيخاً لعابديها، ولهذا قال: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم،
فكيف يؤذونكم؟) هذا المسيح والمرير ونحوهما، ممن له عمل صالح، ولم يَرْضَ بعبادة من عبده، وعول ابن جرير
في تفسيره في الجواب [على] أن ما لا يعقل عند العرب (٢) .

وقد أسلم عبد الله بن الزبير بعد ذلك، وكان من الشعراء المشهورين، وكان يهاجى للمسلمين أولاً، ثم قال
معتزلاً (٣) .

يَا مَوْصِيَّ لَكَ ، إِنَّ لَنَاكَ رَأْيِي مَا فَتَنْتُ إِذْ أَنَا بِوَدٍّ (٤)
إِذْ أَلْبَسْتَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَنُ الْغَيَّ ، وَمَنْ مَالَ مَيْلُهُ مَكِينُهُ (٥)

وقوله: (لا يؤذونكم الفروع الأكبر)، قيل: المراد بذلك الموت، رواه عبد الرزاق، عن يحيى بن ربيعة،
عن صفاء .

وقيل: المراد بالفروع الأكبر: الفضة في الصور، قاله الصوفي عن ابن عباس، وأبوستان سعيد بن ستان الشيباني،
واعطاه ابن جرير في تفسيره (٦) .

وقيل: حيث يؤمر بالمعبد إلى النار، قاله الحسن البصري .

وقيل: حيث تطبق النار على أهلها، قاله سعيد بن جبيرة، وابن جرير .

وقيل: حيث يكبح الموت به الجنة والنار، قاله أبو بكر الملقب، فها رواه ابن أبي حاتم، عنه .

وقوله: (ولتقام للملائكة ما يؤمكم الذي كنتم توعدون)، يعني قول لم الملائكة، يشرهم يوم معادهم إذا
خرجوا من قبورهم، (هذا يؤمكم الذي كنتم توعدون)، أي: قائلوا ما يسركم .

(١) سورة ابن حنبل: ٣٥٨/١ - ٣٦٠ . وتفسير الطبري: ٧٦/١٧ .

(٢) تفسير الطبري: ٧٧/١٧ .

(٣) سورة ابن حنبل: ٤١٩/٣ . وأسد الغابة، الترجمة: ٢٩٤/٣ . بتحقيقنا .

(٤) غرر الحقايق، السبعة، تقول: وقتت الشيء، إذا سحبه، والجرير: المالك .

(٥) التبور: المالك .

(٦) تفسير الطبري: ٧٨/١٧ .

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴿١٠﴾ يَذُنَا أُولَٰئِكَ نَفِيرًا ﴿١١﴾ وَإِنَّا لَنَافِلِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى : هذا كان يوم القيامة ، (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب (١٠)) ، قال تعالى : (وماقدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون) (١٢) وقد قال البخارى :

حدثنا محمد بن محمد ، حدثني حمى القاسم بن يحيى ، عن هبة الله ، عن ثعلب ، عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السموات بيمينه (١٠) »

انفرد به من هذا الوجه البخارى ، رحمه الله

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبي الراسل ، عن أبي المليح الأزدي ، عن أبي الجوزاء الأزدي ، عن ابن عباس قال : يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليفة ، والأرضين السبع بما فيها من الخليفة ، يطوى ذلك كله بيمينه ، يكون ذلك كله في يده مبتلة خردة

وقوله (كطى السجل للكتب) ، قيل : المراد بالسجل [الكتاب] وقيل : المراد بالسجل [هاهنا ملكك من الملائكة]

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن الملاء ، حدثنا يحيى بن بيان ، حدثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر في قوله تعالى (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) : قال : السجل ملكك فإذا صعد بالاستقرار قال : أكتبها نورا

وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريمة ، عن ابن بيان (١٤) ، به

قال ابن أبي حاتم : وروى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أن السجل ملك

وقال السدي في هذه الآية : السجل ملكك موكل بالصحف ، فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ، ورفعته إلى يوم القيامة ،

وقيل : المراد به اسم رجل صديق ، كان يكتبه للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس : (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) ، قال : للسجل هو الرجل ،

(١) كلما في غلظة الأجر ، وهي قراءة الجمهور ، وقرا حزة والكسائي وحطس : (لكيب) ، جها ، وسكن الإمثلة اتحاد البحر المحيط : ٣٤٣/٦ .

(٢) سورة الزمر : آية ٦٧ .

(٣) البخارى ، كتاب التوحيد : ١٠٠/٩ .

(٤) تفسير الطبري : ٧٨/١٧ .

قال لوح : وأخبرني يزيد بن كعب - هو المؤدّي - عن عمرو بن مالك ، عن أبي الحوزاء ، عن ابن عباس [قال : السجل (١) كتاب النبي صلى الله عليه وسلم] وهكذا رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة بن سعيد ، عن لوح بن قيس ، عن يزيد بن كعب ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الحوزاء ، عن ابن عباس ، قال : السجل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم .
ورواه ابن جرير عن لسر بن علي الجهضمي ، كما تقدم . ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عمرو بن مالك الشكري عن أبيه ، عن أبي الحوزاء عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم كتاب يسمى السجل ، وهو قوله : (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب) ، قال : كما يطوى السجل الكتاب ، كذلك نطوى السماء ، ثم قال : وهو غير محفوظ .

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه : أنبأنا أبو بكر البرقاني ، أنبأنا عماد بن محمد بن يعقوب الحجاجي ، أنبأنا أحمد بن الحسن الكرخي ، أن حدان بن سعيد حدثهم ، عن عبد الله بن نمير ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : السجل كتاب النبي (٢) ، صلى الله عليه وسلم .

وهذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر ، لا يصح أصلاً ، وكذلك ما تقدم من ابن عباس ، من رواية أبي داود وغيره ، لا يصح أيضاً . وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعم وإن كان في سنن أبي داود - منهم : شيخنا الحفاظ الكبير أبو الحجاج الميزي ، فسبح الله في عمره ، ونسأ في أجله ، ونسب له بصلاح عمله ، وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة ، وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير الإنكار على هذا الحديث ، ورده أمّ رد ، وقال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل (٣) ، وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم مغزوفون ، وليس فيهم أحد اسمه السجل ، وصدق رحمه الله في ذلك ، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث . وأما من (٤) ذكر في أسماء الصحابة هذا ، فإنما اعتمد على هذا الحديث ، لا على غيره والله أعلم ، والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة ، قاله علي بن أبي طلحة [والعرف] ، عنه . ونص على ذلك مجاهد ، وقنادة ، وغير واحد : واختاره ابن جرير ، لأنه المعروف في اللغة ، فعلى هذا يكون معنى الكلام : (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب) ، أي : على الكتاب ، بمعنى المكتوب ، كقوله : (فلما أسلما وتله ليلتي) (٥) ، أي : على الليلين ، وله نظائر في اللغة ، والله أعلم .

وقوله : (كما بدأنا أول خلق نعيده) وعداً علينا إنا كنا فاعلين ، يعني هذا كائن لا محالة ، يوم يعيد الله الملائكة خطأ جديداً ، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم ، وذلك واجب الوقوع ، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل ، وهو القادر على ذلك . ولهذا قال : (إنا كنا فاعلين) ، وقال الإمام أحمد :

(١) سنن أبي داود ، كتاب الإمارة ، باب في امتداد الكتاب ، الحديث ٢٩٣٥ / ٣ / ١٢٢ .

(٢) أخرجه الخطيب في ترجمة : حدان بن سعيد ، في نظر تاريخ بغداد : ١٧٥ / ٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٩ / ١٧ .

(٤) ترجم له ابن منته وأبو نسيم ، في نظر أسد الغابة لابن الأثير ، الترجمة ١٩٤٥ / ٢ / ٣٢٦ ، بتحقيقنا .

(٥) سورة الصافات ، آية ١٤٧ .

حدثنا وكيع وابن جعفر المنى (١)، قالوا: حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سمع بن جهمر، عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموصلة فقال: «إنكم مشهورون إلى الله من وجل حنفة [حرارة] حرلا كما بدأنا أول خلق نعيده، وحنفاً علينا إنا كنا فاعلين» وذكر تمام الحديث (٢)، أخرجاه في الصحيحين مع حديث شعبة (٣) ورواه البخاري عند هذه الآية في كتابه (٤).

وقد روى ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحو ذلك.
وقال العمري، عن ابن عباس في قوله: «كما بدأنا أول خلق نعيده»، قال: «نهلك كل شيء»، كما كان أول مرة (٥).

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَوْسَيْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى مخبراً عما حمله وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ورواية الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: «إِنَّ الْأَرْضَ قَدْ يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين» (١)، وقال: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَاللَّيْمِ آمَنَّا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» (٢)، وقال: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ» (٣)، الآية.

وأعجب تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة، ولهذا قال تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» - قال الأعشى: سألت سعيد بن جبهر عن قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ»، فقال الزبير: التوراة، والإنجيل، والقرآن.

وقال مجاهد: الزبور للكتاب.

وقال ابن عباس، والشعبي، والحسن، وقتادة، وغير واحد: الزبور الذي أنزل على داود، والذكر التوراة.
ومن ابن عباس: الزبور القرآن.

وقال سعيد بن جبهر: الذكر الذي في السماء.

(١) في المخطوطة: حدثنا وكيع، وابن جعفر، وأبو حنيفة المنى، قالوا: «والمتيت من السنة» ط، والطبري ودار المعارف: الحديث ٢٠٩٦، ٣٠٠/٣، ٣٠١.

(٢) سنده الإمام أحمد: ٢٣٥/١.

(٣) تقدم تفريع الحديث في سورة المائدة، عند الآية ١١٧، ١١٨، ٢٢٨/٣، وخرجنا ههنا.

(٤) البخاري: تفسير سورة الأنبياء ١٢٢/٦.

(٥) تفسير الطبري: ١٧/٨٠.

(٦) سورة الأعراف: آية ١٢٨.

(٧) سورة طه: آية ٥١.

(٨) سورة النور: آية ٥٥.

وقال مجاهد : الزبور : الكتب بعد الذكر ، والذكر : أم الكتاب عند الله .

ونتار ذلك ابن جرير رحمه الله (١) ، وكذا قال زيد بن أسلم : هو الكتاب الأول : وقال الثوري : هو اللوح محفوظ . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور : الكتب التي نزلت على الأنبياء ، والذكر : أم الكتاب الذي يكتب فيه الأنبياء قبل ذلك .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أنصرت الله سبحانه في الثروة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض ، أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الأرض ويصلحهم الجنة ، وهم الصالحون . وقال مجاهد ، عن ابن عباس : (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ، قال : أرض الجنة . وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، وقتادة ، والسدي ، وأبو صالح ، والريث بن أنس ، والثوري . وقال أبو النوداء : نحن الصالحون : وقال السدي : هم المؤمنون .

وقوله : (إن في هذا لآياتاً لقوم عابدين) ، أي : إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم آياتاً ، تستنفع وتفيد لقوم عابدين ، وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبوه ورضيه ، وأكروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم .

وقوله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) : يخبر تعالى أن الله جعلك مهبطاً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، أي : أرسله رحمة لم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة ، سعد في الدنيا والآخرة ، ومن رذها وجحدتها غسر في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار . جهنم يصلونها وبهس القرار (٢)) ، وقال الله تعالى في صفة القرآن : (قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم سمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد (٣)) .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا مروان القزكري ، عن يزيد بن كيسان ، عن ابن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، ادع على المشركين . قال : إني لم أبعث لئلاً ، وإنما أبعثت رحمة للفرق بإخراجهم مسلم (٤) .

وفي الحديث الآخر : (إنما أنا رحمة مهداة . رواه عبد الله بن أبي حنيفة (٥) وغيره ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعاً : قال إبراهيم الحربي : وقد رواه غيره عن وكيع ، فلم يذكر أبا هريرة (٦) . وكذا قال البخاري ، وقد سئل عن هذا الحديث ، فقال : كان عند حصص بن غياث مرسل .

(١) تفسير الطبري ١٧/٨١ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) سورة فصلت : آية ٤٤ .

(٤) مسلم : كتاب البر ، باب : الذين من لمن الدواب وغيرها ٢٤/٨ .

(٥) كذا ، ولم نجد هذا ما ؟ .

(٦) وكذلك أخرجه النسائي في باب : كيف كان أول شأن النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث ١٥ من طريق الأعمش عن أبي صالح قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتأذى ، يأبى الناس ، إنما أنا رحمة مهداة . ينتظر ١٧/١ .

قال الحافظ ابن صاكر : وقد رواه مالك بن سنان بن الخمس (١) ، عن الأعشى ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعا . ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقرئ وأبي أحمد الحاكم ، كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفي : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، عن أبي أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَلَةٌ»

ثم أوردته من طريق الصلت بن مسعود ، عن سفيان بن عيينة ، عن مسهر ، عن سعيد بن خالد ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي رَحْمَةً مَهْدَلَةً ، يَهْدِي بِرُفْعِ قَوْمٍ وَخَفَضِ آخَرِينَ»

قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان ، حدثنا أحمد بن صالح قال : وجدت كتابا بالمدينة عن عبد العزيز الدوادري وإبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف (٢) ، عن عبد ابن صالح ، الثار ، عن ابن [شهاب] ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : قال أبو جهل حين قدم [مكة] (٣) من منصرفه عن حجة (٤) : يا معشر قريش ، إن محمدا قول يثرب ولؤس ملأه ، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئا ، فاحلوا أن نمرؤا طريقه أو [تقاربوه] (٥) ، قاله كالأسد الضاري ، إنه حقيق عليكم لأنكم تفتنونه . في القردان (٦) عن الناس ، والله إن له تسحره ، ما رأيت قط ولا لحدا من أصحابه إلا رأيت معهم الشيطان . وأنكم قد عرفتم عدوة أبي قيلة - يعني الأوس والخزرج - طرعو استعان بدو ، فقال له مطعم بن عدى : يا أبا الحكم والله ما رأيت أحدا أضدق لسانا ، ولا أضدق موعدا ، من أتيكم الذي طردتم ، وإن تعلم الذي فعلتم فكونوا أكثر الناس حبه . قال [أبو سفيان (٧)] بن الحارث ، كونوا أشد ما كنتم عليه ، إن أبي قيلة إنظفروا بكم لم يرفو لبكم إلا ولا ذمة ، وإن اضمعنوا ألباؤهم خير كتابه (٨) ، أو نخرجوا محمدا من بين ظهرانيهم ، فيكون وحيدا مطردا ، ولما [أبنا قيلة فوالله ما هما] وأمل [دهلك (٩)] في اللثة إلا سوادا سأكيفكم حطم ، وقال :

سَأَلْتُكُمْ جَنَابًا مَتَى غَلِيظًا حَتَّى مَا كَانَ مِنْ قُرْبٍ وَهَدًى
وَجَاءَ الْخَزْرَجِيَّةُ لَمَلٌ ذَلٌّ إِذَا مَا كَانَ هَزَلٌ يَهْدٌ جِدًى

(١) مالك بن سنان بن الخمس مخرج في البرج لابن أبي حاتم : ٢٠٩/١/٤ ، والجليب : ١٧/١٠ ، وسير : مصدقة التصدير ، والخمس بكسر الخاء ، وسكون الميم .

(٢) في المخطوطة : إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف . والمكتبة من ترجمته في البرج : ١٢٨/١/١ .

(٣) في المخطوطة : حين قدم مكة .

(٤) يعني سرية حيزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . انظر غيرها في البداية والنهاية لابن كثير : ٢٢١/٢ ، والسير النبوية له : ٣٣٨/٢ .

(٥) في المخطوطة : أو تقاربوه . والمكتبة من الطبعات السابقة .

(٦) القردان : واحدة قرد - بضم القاف - وهو : دويبة تفضي الإبل . وللناسم : جمع ظم - بكسر لسكون - وهو طرف عصف البعير . وقيل : منما البعير ظفراه الثاني في يده .

(٧) ما بين التوسين في الطبعات السابقة : ومكانه يفاض في المخطوطة .

(٨) كلما في المخطوطة ، ولا نفري ما المراد به .

(٩) في المخطوطة : ولعل وحل لك . والمكتبة من الطبعات السابقة : دهلك - كما في ياقوت - يفتح أوله . وسكون اللام ولا من مفعولة ، وآخره كاث - اسم أحمسي مخرج ، وهي جزيرة في بحر اليمن ، وهي من بين بلاد اليمن والهندية .

بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى نفسى بيده ، لا تكلمهم ولا صليتهم ولا هدنيهم وهم كارهون ، إني رحمة بعني الله ، ولا يتوكلاني حتى يظهر الله دينه ، لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا للمحي الذي يحيى (١) الله في الكفر ، وأنا الحياشر الذي يحشر الناس على قدى ، وأنا المقاب .
[وقال] أحمد بن صالح : أرجو أن يكون الحديث صحيحاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثني عمرو بن قيس ، عن عمرو بن أبي قرة^١ لكنثي قال : كان حليفةً بالمدين ، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حليفةً إلى سلمان فقال سلمان : يا حليفة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم [كان يغضب فيقول ، ويرضى فيقول — لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)] يخطب فقال : أما رجل من لقي (٢) سببته [سبباً] (٢) في غصني أولمته لعنة ، فأما أنا رجل من ولد آدم ، أغضب كما يغضبون ، وأما بعني رحمة للعالمين ، فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة (٣) :
ورواه أبو داود ، عن أحمد بن يونس ، عن زائدة^١ .

فإن قيل : فأين رحمة حصلت لك كثر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير : حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا إسحاق الأزقي ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ، قال : من آمن بالله واليوم الآخر ، كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقتل (٥) .
وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن حديث المسعودي ، عن أبي سعد — وهو سعيد بن المزيان البجلي — عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكره بشوه ، والله أعلم .

وقد رواه أبو القاسم الطبراني عن عبدان بن أحمد ، عن عيسى بن يونس الرملي ، عن أيوب بن سويد ، عن المسعودي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ، قال : من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف واللسخ والقتل :

قُلْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَازِنُوا عَلَى سَوَآءٍ وَإِنِ أَذْرَيْتُمْ أَقْرَبَ أَمْ يُعَذِّبُهُمْ أُعَذِّبُهُمْ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْقَوْلَ وَيَسْمَعُونَ ﴿٨١﴾ وَإِنِ أَذْرَيْتُمْ لَهُمْ فِتْنَةً لَّكَرُمَةٌ ﴿٨٢﴾ إِنَّكَ حَيٌّ ﴿٨٣﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٨٤﴾

يقول تعالى أمرأ رسوله — صلوات الله وسلامه عليه — أن يقول للمشركين : (إنما يوحى إلى أنما إليكم إله واحد ، فهل أنتم مسلمون) ، أي : متبعون حل ذلك ، مستسلمون متقادون له . (فلن تولوا) ، أي : تركوا ما دعوتهم إليه ،

(١) يقال : ما الشيء يحشره ويحماه عوا وغيا : أذهب أثره .

(٢) ما بين القوسين سقط من تفسير ابن كثير ، البتة عن مسند الإمام أحمد ، وهو سقط نظر .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٣٧/٥ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في النبي من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث ٤٦٥٩/٤ : ٢١٥ .

(٥) تفسير الطبري : ١٧ / ٨٣ .

(قُلْ : أَدْرَيْتُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) ، أَيْ : أَعْلَمْتُمْ أَنَّ حَرْبَ لَكُمْ ، كَمَا أَنَّكُمْ حَرْبٌ لِي ، بَرَىٰ مِنْكُمْ كَمَا أَنَّكُمْ بَرَاءَةٌ مِنِّي ، كَقَوْلِهِ : (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ : لِي عَلَىٰ وَلَكُمْ عَذَابُكُمْ ، أَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ مَا أَفْعَلُ ، وَأَنَا بِرَبِّي مَا فَعَلُونَ (١)) ، وَقَالَ : (وَإِنَّا نَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَاتَّبِعْ آلِيهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ (٢)) ، أَيْ : لَيْكُنْ عَذَابُكُمْ وَعَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْيَهُودِ عَلَىٰ السَّوَاءِ ، وَهَكَذَا جَاءَتْهُمَا (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ : أَدْرَيْتُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ) ، أَيْ : أَعْلَمْتُمْ بِرَأْفَتِي مِنْكُمْ ، وَبِرَأْفَتِي مِنِّي : لَعَلِّي بَلَّغْتُكُمْ .

وقوله : (وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ أَمْ بَعِيدَ مَا تُوعِدُونَ) ، أَيْ : هُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ ، وَلَكِنْ لَا حَالُ لِي بِتَرْكِهِ وَلَا بِعَدِهِ ، (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) ، أَيْ : إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ جَمِيعَةً ، وَيَعْلَمُ مَا يَظْهَرُهُ الْعِبَادُ وَمَا يَسْرُونَ ، يَعْلَمُ الظَّاهِرَ وَالْغَائِبَ ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّصِيحَ ، وَيَعْلَمُ مَا الْعِبَادُ جَاهِلُونَ فِي أَجْهَالِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ ، وَسَجَرَتِهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ ، عَلَى الْأَقْبَالِ وَالْجَائِلِ .

وقوله : (وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّ فِتْنَةَ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ) ، أَيْ : وَمَا أَدْرَىٰ لَعَلَّ فِتْنَةَ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : لَعَلَّ تَأْخِيرَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فِتْنَةً لَكُمْ ، وَمَتَاعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مَّسْئُومٍ (٣) . وَهَكَذَا حَرَفَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَلَقَدْ أَهْلَكَ .

(قَالَ : رَبِّ ، احْكُم بِالْحَقِّ) ، أَيْ : الْفَصْلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا لِلْكَاذِبِينَ بِالْحَقِّ . قَالَ تَنَاهَى : كَانَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَقُولُونَ : (رَبَّنَا ، انْفُتِحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، وَانْفُتِحْ بَيْنَ الْغَابِطِينَ) . وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ .

وَعَنْ مَالِكٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَهِدَ قِتَالًا قَالَ : (رَبِّهِ احْكُم بِالْحَقِّ) . وَقَوْلُهُ : (رَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) ، أَيْ : حُلِّ مَا يَقُولُونَ وَيَقْتَرُونَ مِنَ الْكَلْبِ ، وَيَقْتَرُونَ فِي مَقَامَاتِ التَّكْلِيفِ وَالْإِفْكَ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ .

[أَخِيرَ تَفْسِيرَ « سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ » عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ]

(١) سُورَةُ يُونُسَ ، آيَةٌ ٤٦ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ، آيَةٌ ٨٨ .

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٧/٨٤٤ .

تفسير سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا أَنْتُمْ تَقْتَضُونَ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تُروْنَهَا تَدَّهَلُ كُلُّ مُرْسِعَةٍ عِمَّا أَرَضَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَهمٌّ بَصُرَتِمْ يُسَكَّرُ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②

يقول تعالى أمرا عباده بتقواه ، وغیرالم بما يستقبلون من أحوال يوم القيامة ولازما وأحوالها : وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى حركات القيامة ؟ أو تلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أبنائهم ؟ كما قال تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها : وأخرجت الأرض أثقالها (١) ، وقال تعالى : (وحملت الأرض والجبال فكتكتا ذكة واحدة : فبدلت فبدلت الواقعة (٢)) : وقال تعالى : (إذا رجفت الأرض رججا : وبست الجبال بما فكانت هباء منبثا (٣))

فقال قالون : هذه الزلزلة كانت في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى ، حدثنا سفیان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة في قوله : (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) ، قال : قبل الساعة (٤)

ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثوري ، عن منصور والأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، فذكره : قال : وروى عن الشعبي ، وإبراهيم ، وعبيد بن عتبة ، نحو ذلك :

وقال أبو كريمة ، عن عطية ، عن عامر الشعبي : (يا أيها الناس ، اتقوا ربكم) ، الآية ، قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة

وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستنداً من قال ذلك في حديث الصور ، من رواية إسحاق بن رافع قاضي أهل المدينة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله لا فرخ من خلق السموات والأرض خلق الصور ، فأعطاه إسرائيل ، فهو واضع على فيه ، شاحص إلى العرش ، ينتظر من يؤمر قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟

(١) سورة الزلزلة ، آية ١ - ٢ .

(٢) سورة الحاقة ، آية ١٥ - ١٥ .

(٣) سورة الواقعة ، آية ١ - ٦ .

(٤) تفسير الطبري ، ١٧ ، ٨٥ .

قال : قَرَنَ . قال : فكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينشق فيه ثلاث فتحات ، الأولى للجنة الفرد ، والثانية للجنة الصمّ ، والثالثة نضجة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرائيل بالنضجة الأولى فيقول : انشق فحة الفرد : فيفزع أهل السموات وأهل الأرض ، إلا من شاء الله ، ويأمرهم فيمدها ويوطئها ولا يفتشُر ، وهي التي يقول الله تعالى : (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لما من فوق) فيسير الله الجبال ، فتكون سراباً وترجّ الأرض بأهلها رجاً ، وهي التي يقول الله تعالى : (يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ ولجة) ، فتكون الأرض كالسفينة الموبقة (١) في البحر ، تضربها الأمواج تكفوها بأهلها (٢) ، وكالتقديّل للملق بالعرش ترجحه الأرواح . فيمدهم الناس على ظهورها ، فتدخل المراضع ، وتضع الحوامل ، ويشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة ، حتى تأق الأقطار ، فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها ، فترجع ، ويولّد الناس مدبرين ، ينادى بعضهم بعضاً ، وهو الذي يقول الله تعالى : (يوم النداد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يُضليل الله فانه من هاد) (٣) ، فينبأهم على ذلك إذا انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، فترأوا أمراً عظيماً ، فأخذهم لذلك من الكرب ما لا يعلم به ، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالحلّ (٤) . ثم خسف شمسها وخسفت قمرها ، وانتشرت نجومها ، ثم كسّطت عنهم — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والأموات لا يعلمون بشئ من ذلك . قال أبو هريرة : فن استثنى الله حين يقول : (ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) (٥) ؟ قال : أولئك الشهداء ، وإنا يصل الفردج إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقام الله شرّ ذلك اليوم وآمتهم ، وهو عذاب الله يمتعه على شرار خلقه ، وهو الذي يقول الله : (يا أيها الناس ، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وتزرى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد) .

وهذا الحديث قد رواه الطبراني ، وابن جرير (٦) ، وابن أبي حاتم ، وغير واحد ، مطولاً جداً . والغرض منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كانت قبل يوم الساعة ، وأضيفت إلى الساعة لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

وقال آخرون : بل ذلك هول وفزع وزلزال وبكلاء ، كائن يوم القيامة في العرصات ، بعد القيام من القبور ، واختار ذلك ابن جرير ، واحتجوا بأحاديث :

الأول ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن هشام ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن عمران خُصَمِيّ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو في بعض أسفاره ، وقد تفاوت بين (٧) أصحابه السير ، رقعها بين الأيتين صوته : (يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ،

(١) أوبته حبسه ، ومنه قوله تعالى : (أو يوقهون بما كسبوا) ، أي : يذهبون ، ينسى تلك وركبائها ، فيهلكون فرقاً .

(٢) كفاً للشيء وإيناء يكفوه : قلبه .

(٣) سورة طه آية ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) المهل : ددى الزيت . والكشط : الكشف والرفع والإزالة .

(٥) سورة النمل : آية ٨٧ .

(٦) تفسير الطبري : ٨٥/١٧ ، ٨٦ . ونظر رواية الطبراني لحديث المصور : وقد تقدمت في سورة الأنعام : ٢٧٦/٢ -

(٧) أي : وقع التفاوت واليه .

وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، فلما سمع أصحابه بذلك حثوا^(١) المنطى ، وهرقوا لله عند قول بقوله^(٢) ، فلما تأشبهوا^(٣) حوله قال : أتدرون أى يوم ذلك ؟ ذلك يوم ينادى آدم عليه السلام ، فيناديه ربّه عز وجل ، فيقول : يا آدم ، ابعث يثقل إلى النار ، فيقول : يا رب ، وما يبعث النار ؟ فيقول : من كل ألت تسبالة وتسمة وتسعون في النار ، وواحد في الجنة . قال : فأبلس أصحابه^(٤) حتى ما أوضحوها بضاحكة^(٥) فلما رأى ذلك قال : أبشروا واعلموا ، هو الذى نفس محمد بيده ، إنكم لمع عبيد عتّين^(٦) ما كانتا مع شئ قط إلا كفرناه : بأجور وما جوج ، ومن هلك من بين آدم وبني إبليس قال : ففسرى^(٧) منهم ، ثم قال : اعملوا وأبشروا ، هو الذى نفس محمد بيده ، ما أنتم في الناس إلا كالشامة^(٨) في جنب البعير ، أو الرقمة^(٩) في خراج الدابة ،

وهكذا رواه الترمذى والنسائى في كتاب التفسير من سننهما ، عن محمد بن بشار ، عن يحيى — وهو القطان — عن هشام — وهو البستونى — عن قتادة ، به نحوه . وقال الترمذى : حسن صحيح^(١٠) .

طريق لىرى لهذا الحديث ، قال الترمذى : حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا ابن جندب عن من الحسن ، عن حماد بن حصبية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت : يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم^(١) إلى قوله : (ولكن عذاب الله شديد) ، قال : أنزلت عليه حكمه ، وهو في سفر ، فقال : أتدرون أى يوم ذلك ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث يثقل النار . قال : يا رب ، وما يبعث النار ، قال : تسبالة وتسمة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة : فأنا للسلعون يكون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاربوا^(١١) وسعدوا ، فإنها لم تكن ليرة قط إلا كان بين يديها جاهلية ، قال : فيؤخذ العبد من الجاهلية ، فإن تمت ولا كُست من المتأقين ، وما ملككم والأمم إلا كمثل الرقمة في خراج الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير — ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا ربح أهل الجنة فكبروا ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا لث أهل الجنة ، فكبروا ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، فكبروا ، قال : ولا أدري أقال الثخين أم لا^(١٢) .

(١) أى : حضروا وحضروا ، والمضى — بضم الميم — جمع منطية ، وهى الدابة تملط في سيرها ، أى : لرحل .

(٢) أى : يريد أن يقول قولاً .

(٣) أى : اجتمعوا إليه وأطافوا به ، والأشابة — بضم المشدة — أعلط الناس ، تجتمع من كل أوط ومكان .

(٤) الإبلاسى : الخيرة ، وأبلسوا — بالبناء للمجهول — : أسكبوا .

(٥) أى : ما طمروا بضاحكة ولا أبهروا ، والضاحكة : إحدى ضواحك الأسنان لى تهر عند الضحك .

(٦) أى : غلوتين .

(٧) أى : كشف وأزلى عنهم .

(٨) أى : الخال في الجسد .

(٩) الرقمة — بفتح الراء ، وسكون اللام — : الدائرة الباتة في خراج الدابة من داخل ، وهما رقطان في خراجها .

(١٠) نسخة الأسنوى ، تفسير سورة الحج ، الحديث ٣٢١٨ : ١٢/٩ ، ١٣ .

(١١) أى : اتصعروا في الأمور كلها ، واتركوا قلوبها والتصير ، يقال : قارب فلان في أمره إذا قصد ، وسدده ، أى : اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة ، وهو القصد في الأمر والسلك فيه .

(١٢) نسخة الأسنوى ، تفسير سورة الحج ، الحديث ٧١١٧ : ٩/٩ ، ١٢ .

وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة (١)، به ثم قال الترمذي أيضاً: «هذا حديث صحيح صحيح»
وقد روى عن [سعيد بن] (٢) [أبي] عروبة عن الحسن، عن عمران بن الحصين: «وقد رواه أبو أيوب حاتم عن حديث
سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن والعلاء بن زاهد العلوي، عن عمران بن الحصين، فذكره»
وهكذا روى ابن جرير عن بندار، عن غُنْدَر، عن حوف، عن الحسن قال: «بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمَّا قُتِلَ مِنْ غَزْوَةِ الْمُسَرَّةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ يَدُ مَا شَارَفَ لِلْجَنَّةِ قَرَأَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ) ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (٣)، فَذَكَرَ نَحْوَ سِيَاقِ ابْنِ جُمْلَحَانَ، فَالْحَقُّ أَهْلُهُ»
الحديث الثاني: قال ابنُ أبي حاتم: «حدثنا أبو حاتم: حدثنا ابنُ الطَّبَّاعِ (٤)، «حدثنا أبو سفيان العمري (٥)، عن معمر،
عن قتادة، عن أنس قال ثلث: (١) زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» وذكر يحيى نحو سِيَاقِ الْحَسَنِ عَنْ عِمْرَانَ، فَغَرَّاهُ
قَالَ: «وَمِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ كُفَرَةِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ»

رواه ابن جرير بطوله، من حديث معمر (٦)

الحديث الثالث: قال ابنُ أبي حاتم: «حدثنا أبو حاتم: حدثنا سعيد بن صليان، «حدثنا عباد - يعني أبو العوام -
حدثنا هلال بن خيثبة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «ثَلَاثُ رُسُوكَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَهُ الْآيَةُ ... فَذَكَرَ
نَحْوَهُ، وَقَالَ فِيهِ: (إِنَّهُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رِجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّهُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثَلَاثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ،
ثُمَّ قَالَ: (إِنَّهُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ: فَهَرَّجُوا، وَزَادَ أَيْضاً: (وَإِنَّمَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ»

الحديث الرابع: قال البخاري عند هَلَهُ الْآيَةِ: «حدثنا عمر بن حفص، «حدثنا أبو حاتم: حدثنا الأعمش، «حدثنا
أبو صالح، عن أبي سعيد قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، قِفْهُوَ:
تَبَيَّكُ رَهْناً وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى الْفَارِ؟ قَالَ: يَا رَبِّهِ، وَمَا بَشَتْ
النَّارُ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أَرَاهُ قَالَ - تَسْعَاةٌ وَتَسْعَةٌ وَتَسْعِينَ، فَحَيْثُكَ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيُشِيبُ الْوَلِيدُ،
(وَتَرَى النَّاسَ سَكَارَى وَمَاهِمَ بِسَكَارَى، وَلَكِنْ حُلَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ)، فَتَشَقُّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَتَغَيَّرَتْ وَجُوهُهُمْ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تَسْعَاةٌ وَتَسْعَةٌ وَتَسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرِ
السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنَّهُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ
فَكَبُرَ لَكُمْ قَالَ: ثَلَاثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: فَكَبُرَ لَكُمْ قَالَ: شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ: فَكَبُرَ لَكُمْ (٧)

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/٢٢٢.

(٢) نقلاً ما بين القوسين دل ما في المخطوطة. وسعيد بن أبي عروبة يروي عن الحسن. انظر ترجمته في التلخيص: ١/٦٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٧/٨٦.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن يحيى بن الطَّبَّاع: ٩/٣٩٢، مترجم في التلخيص: ١/٣٨٧.

(٥) هو محمد بن حميد الشَّكْرِي: ١/١٣١، ١٣٢ وقد كان في المخطوطة: «حدثنا ابن سفيان»

وهو خطأ.

(٦) تفسير الطبري: ١٧/٨٧.

(٧) البخاري: تفسير سورة الطح: ١٢٢/١٢٢.

وقد روي البخاري أيضا في غير هذا الموضع ، ومسلم ، والنسائي في تفسيره ، عن طرق ، عن الأعشى ، به (١) .
 الحديث الخامس : قال الإمام أحمد : حدثنا حماد بن محمد - ابن أخت سفيان الثوري - وعبيدة المني ،
 كلاهما عن إبراهيم بن مسلم ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يبعث
 يوم القيامة ملائكة [ينادون (٢)] يا آدم ، إن الله يأمرك أن تبت بيتا من ذريتك إلى النار ، فيقول آدم يا رب
 من هم ؟ فيقال له : مع كل مائة نسمة ، وتبعين فقال رجل من القوم : من هذا الناجي منا ، بعد هذا يا رسول الله ؟
 قال : هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر اليعرب (٣) .

انظر هذا السند وهذا السياق الإمام أحمد .

الحديث السادس : قال الإمام [أحمد] : حدثنا يحيى ، عن حماد بن أبي صتيبة ، حدثنا ابن أبي مليكة : أن القاسم
 ابن حمدة أخبره ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا (٤) . قالت
 عائشة : يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة ، إن الأمر أشد من أن يهجم ذلك (٥) .
 أخرجه في الصحيحين (٦) .

الحديث السابع : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي حمزة ،
 عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، هل يذكر الحبيب حينه يوم القيامة ؟ قال : يا عائشة ،
 أما عند ثلاث فلا ، أما عند لغيرهن حتى يفل أو يخف ، فلا ؛ وأما عند لطاير الكتب فلما يعطى يمينه أو يعطى بشماله ،
 فلا . وصح يخرج حتى (٧) من النار فيعطى عليهم ، ويغبط عليهم ، ويقول ذلك المني : وُكِلَتْ بثلاثة ، وُكِلَتْ
 بثلاثة ، وُكِلَتْ بثلاثة ؛ وُكِلَتْ بين ادعى مع الله لما آتاه ، وُكِلَتْ بين لا يؤمن يوم الحساب ، وُكِلَتْ بكل جبار
 متكبر . قال : فيعطى عليهم ، ويرمهم (٨) في حشرات ، ولجهنم جسر أدنى من الشعر وأحد من السيف ،
 عليه كاللبي (٩) وحملك يأخذون من شاء الله ، والناس عليه كالطير (١٠) والقبور كالريح ، وكأجاويد

(١) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل : (إن زلزلة الساعة في عظيم) : ١٣٧/٨ ، وكتاب التوحيد ، باب
 قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة منه . . .) : ١٧٣/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب قوله ، يقول الله لأدم :
 « أخرج بيت النار من كل ألف تسمة وتسمة وتسعين » : ١٣٩/١ : ١٤٠ .

(٢) ما بين القوسين عن المستدرك .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٨٨/١ .

(٤) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٢٢٨/٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٥٣/٦ .

(٦) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « كيف الحشر » : ١٣٦/٨ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب : فناء الدنيا وبيان آخرها
 يوم القيامة : ٦٥/٨ .

(٧) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٢٧٩/٣ : ٢٧٤/٤ .

(٨) لفظ المستدرك : « ويرى بهم » .

(٩) الكلاب : جمع كلاب - بضم الكاف وتنقيذ للام مفتوحة - وهي حديدة مدبوبة الرأس . واهلك : بفتح عين -
 واحلها مسكة ، وهي : شركة صلبة .

(١٠) الطير - بفتح فسكون - : طير البين .

الليل والركاب ، والملائكة يقولون : رب ، سلم ، سلم ، فأتى مسلماً ، وغشوش مسلماً ، وسكوتاً في النار من وجهه (١) .

والأخاديث في أحوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً ، لما موقع أكثر ، ولهذا قال تعالى : (إِنَّ لِرَبِّكَ لَعَذَابَ شَدِيدًا) أي : أمر كبير ، وخطب جليل ، وطارق مفتح ، وحادث هائل ، وكان حبيباً ، وانزلاً ، هو ما يحصل للنفس من الفزع ، والرعب كما قال تعالى : (هَذَا أَجَلُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَجَلُ الْكَافِرِينَ) شديداً (٢) .

ثم قال تعالى : (يَوْمَ تَرَوْهَا) : ههنا قال يفسر الشان ، ولهذا قال مفسراً له : (تَهْلِكُ كُلُّ مَرْجُومَةٍ) أي : تفتل كل من ترى من أحب الناس إليها ، وإلى هي ألفت الناس عليه ، تفتل عنه في حال إرضاعها له ، ولهذا قال : (كُلُّ مَرْجُومَةٍ) ، ولم يقل « مريض » (٣) ، وقال : (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أي : عن رضيعها قبل فطامه .

وقوله : (وتضع كل ذات حمل حملها) ، أي : قبل تحمله لشدة الموه ، (وترى الناس سكارى) - وقوله : (سكرى) (٤) ، أي : من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد ذهبت أطولهم ، وغابت ألبانهم ، فن رأهم حسب أنهم سكارى ، (ولمعلم يسكارى ، ولكن طلب الله شليداً)

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجْعَلُ فِي اللَّهِ مَغْفِرَةً عَلَيْهِمْ وَيُؤْتِيهِمْ كُلَّ شَيْءٍ مُّرِيدًا ﴿١٠﴾ كَذَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ مِن تَوَلَّاهُ فَاتَّخَذَهُمْ عَصَايَ يَوْمَ تَرَى الْأُنَاسَ إِلَىٰ غَلَابِ السَّيْرِ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذمناً لمن كذب باليه ، وأتكر قدرة الله على إحياء الموتى ، معرضاً عما أنزل الله على أنبيائه ، متنبهاً في قوله وإتكره وكفره كل شيطان مرید ، من الإنس والجن ، وهذا حال أهل الضلال والبدع ، للمرضين من الحق ، المشبهين للباطل ، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أنوال رؤوس الضلالة ، للمعاد إلى البدع بالأموال والآراء ، ولهذا قال في شأنهم وأفعالهم : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) أي : علم صحيح ، (ويتبع كل شيطان مرید) كذب عليه - قال مجاهد : « يتبع الشيطان » (٥) ، « يتبع » كذب عليه كتاباً قدرياً (أنه من تولاه) ، أي : اتبعه وقلده ، (فأنه يضلّه إلى غلاب السير) ، أي : يضلّه في الدنيا ، ويقوده في الآخرة إلى غلاب السير ، وهو الحار المزمع للزحج للفتن ،

(١) صفة الإمام أحمد : ١١٠/٦ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١١ .

(٣) في السان (ربيع) وقال أبو زيد : الرخصة : التي ترعى وتعتني في رولها - أي : في له - والرفع : التي معها قصير الرفع . وهذا من قول الأعشى : « لأجل الهدى في الرخصة » لأنه أراد - راحة لهم - قتل ، ورواها الصفة قتال ، رخص . ورواه قتال الطبري في تفسيره : ٨٨٪ ١٧ خلا لقرن من بغير غير الحرة .

(٤) تفسير الطبري : ٨٨ ٪ ١٧ ، والبسر المحدث : ٢٠٠/٦ .

(٥) تفسير الطبري : ٨٩٪ ١٧ .

وقد قال السدي ، عن أبي مالك : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث : وكذلك قال ابن جرير •

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن سلم (١) البصري ، حدثنا عمرو بن الحارث أبو قتادة ، حدثنا المعمر ، حدثنا أبو كعب المكي قال : قال خبيث من خبيثاء قريش : أخبرنا عن ربكم ، من ذهب هو ، أو من فضة هو ، أو من نحاس هو ؟ فقصت السماء قطعة — والقطعة في كلام العرب : الرعد — فإذا قبحت (٢) رأسه ساقط بين يديه (٣) ،

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك : من أي شيء هو ؟ من دُرّ لم من يا قوت ؟ قال : فجاءت صابغة فأعطته •

يُنَادِيَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن طَرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نَّطْقَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَّئِن لَّا تَعْرِفُوا إِلَّا أَرْحَامَ مَا نَشَاءُ لَّآ أَجَلَ لَّكُمْ ثُمَّ يُخَوِّجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْتَلِيَنَّكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوءُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ لَآ أَرْدِلَ الْعُمُرُ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَیْجٍ ④ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑤ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ⑥

لما ذكر تعالى الخالق البعث ، المذكر للمعاد ، ذكر تعالى اللبيل على قدرته تعالى حل المعاد ، بما يشاهد من بهته الخلق ، فقال : (يا أيها الناس ، إن كنتم في ريب) ، أي : في شك (من البيت) ، وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد ، يوم القيامة — (فإننا خلقناكم من تراب) أي : أصل بترابه لكم من تراب ، وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام : (ثم من نطفة) ، أي : ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهيئ ، (ثم من علقه) ، ثم من مضغة • وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة ، مكثت أربعين يوما كذلك ، يضاف إليه ما يجمع إليها ، ثم تنقلب عسكة حمراء باذن الله ، فتكث كذلك أربعين يوما ، ثم تستحيل فتصير مضغة : قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تحطيط ، ثم يشرح في التشكيل والتخطيط ، فيصور منها رأس وبدن ، وصدور وبطن ، وفخذان ورجلان ، وسائر الأعضاء : فتارة تُسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط ، وتارة تلقاها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ، ولهذا قال تعالى : (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) ، أي : كما تشاهدونها ، (لئين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) أي : وتارة تستقر في الرحم لا تلقاها المرأة ولا تسقطها ، كما قال مجاهد في قوله تعالى : (مخلقة وغير مخلقة) ، قال : • هو السقط مخلوق وغير مخلوق (٤) • . فإذا مضى عليها أربعون يوما ، وهي مضغة ، أرسل الله تعالى إليها ملكا ففتح فيها الروح ، وسواها كما يشاء الله عز وجل ، من حسن وقبيح ، وذكر وأنثى ، وكتب رزقها وأجلها ، وشقي وأ سعيد ،

(١) في المخطوطة : عمرو بن سلم • . والمثبت من ترجمته في البحر والتبديل لابن أبي حاتم : ٢٣٧/١/٣ •

(٢) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٣٦٤/٤ •

(٣) أخرجه أبو يعلى بن حمزة عن أنس ، ينظر فيها تقدم : ٣٦٤/٤ •

(٤) تفسير الثوري : ٩٠/١٧ •

كما ثبت في الصحيحين ، من حديث الأعمش ، من زيد بن وهب ، عن ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق - « إن خلق أحدكم يُجسِّع في بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون عسكفة مثل ذلك ، ثم يكون مشغفة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ، يكتب عمله وأجله ورزقه ، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح » (١) .

وروى ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : « النطفة إذا استقرت في الرحم ، [أخذها] ملكك بكفه قال : يا رب ، علقمة أو غير علقمة ؟ فإن قيل : « غير علقمة » لم تكن نسمة ، وقلضها الأرحام بما ، وإن قيل : « علقمة » ، قال : « أي رب ، ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وبأي أرض يموت ؟ قال : فيقال للنفطة : من ربك ؟ فتقول : الله ؛ فيقال : من رازلك ؟ فتقول : الله ؛ فيقال له : اذهب إلى [أم] الكتاب ، فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة . قال : فتخلق فتعيش في أجلها ، وتأكل رزقها وتطأ أثرها » (٢) ، حتى إذا جاء أجلها ماتت ، فدفنت في ذلك [المكان] » (٣) ثم تلا حاتم الشعبي : (يا أيها الناس ، إن كنتم من ريب من البعث ، فإننا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) ، فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة ، فإن كانت غير مخلقة فلدنها الأرحام بما ، وإن كانت علقة نكست في الخلق ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ، فيقول : « أي رب » ، أثنى أم سعيد ؟ فيقول الله ، ويكتبان ، فيقول : أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله ويكتبان ، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ، ثم تطوى الصحف ، فلا يزال على ما فيها ولا يتقص » .

ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ، ومن طريق آخر ، عن أبي الطفيل ، بنحو معناه (٤) .

وقوله : « ثم نخرجكم طفلا » ، أي : ضعيفا في بدنه ، وسمعه وبصره وحواسه ، وبطشه وعقله ؛ ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا ، ويلطف به ، ويؤمن عليه والديه في آناه الليل وأطراف النهار . ولهذا قال : « ثم لتبلغوا أشدكم » ، أي : يتكامل القوي ويتزايد ، ويصل إلى عنوان الشباب وحسن للنظر . (ومنكم من يتوفى) ، أي : في حال شبابه وقواه ، (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) ، وهو الشيخوخة والمهرم ، وضعف القوة والعقل والفهم ، وتناقص الأحوال من الخترت وضعف الفكر ، ولهذا قال : (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) ، كما قال تعالى : (الله الذي خلقكم

(١) البخاري ، كتاب الأنبياء ٤ / ١٦١ ، وكتاب القدر ٨ / ١٥٢ . ومسلم ، كتاب القدر ، باب « كيفية الخلق الأدنى » ٤٤ / ٨ .

(٢) في المخطوطة : « جاءها ملك » . وللتب من الدر المنثور .

(٣) ما بين القوسين من الدر المنثور .

(٤) في المخطوطة : « وتأكل فريزتها وتطلى أثرها » . وللتب من الطبقات السابقة . وفي الدر المنثور : ٣ / ٣٤٥ . وتأكل في أثرها » .

(٥) مسلم ، كتاب القدر ، باب « كيفية الخلق الأدنى » ٨ / ٤٥ ، ٤٦ .

من ضعفه ، ثم جعل من بعد ضعفه قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفه وشيئاً : يحكى ما يشاء ، وهو العلم التقدير (١) ،
وقد قال الحافظ أبو يعلى بن حلٍ بن المثنى للوصلى في مسنده : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا خالد الزيات ،
حدثني حاد أبو سليمان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري ، عن أنس بن مالك - رُفِعَ
الحديث - قال : فللودخى يبلغ الحديث (٢) ، ما عمل من حسنة ، كتبت لوالده أو لوالدته ، وما عمل من سيئة لم تكتب
عليه ولا حلٍ ، وأبيه فإذا بلغ الحديث جرى الله عليه القلم أمر للكان اللذان معه أن يحفظا وأن يشدحا فإذا
بلغ أربعين سنة في الإسلام أسَّه الله من البلاء الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص : فإذا بلغ الخمسين ، خفف الله
حسابه : فإذا بلغ ستين رزقه الله الإجابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته
ومجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه في أهل بيته ، وكان أسير الله في
أرضه ، فإذا بلغ أئول العمر (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) ، كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، فإذا عمل
سيئة لم تكتب عليه : .

هذا حديث غريب جداً ، وفيه تكرار شديدة : ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده مرفوعاً وموقوفاً
قال :

حدثنا أبو التمر ، حدثنا القرج ، حدثنا محمد بن عامر ، عن محمد بن عبد الله العامري (٣) ، عن عمرو بن جعفر ،
عن أنس قال : إذا بلغ الرجلُ أربعين سنة ، أسَّه الله من أنواع البلاء : من الجنون والجذام والبرص . فإذا بلغ
الخمسين كتب الله حساباً ، وإذا بلغ الستين رزقه الله إجابة بما يحبها . وإذا بلغ السبعين أحبه الله ، وأحبه أهل السماء .
وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ، وما عتبه سيئاته : وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمى
أسير الله في الأرض ، وشَفَّعَ في أهله (٤) .

ثم قال : حدثنا هاشم (٥) ، حدثنا القرج ، حدثني محمد بن عبد الله [العامري ، عن محمد بن عبد الله] بن عمرو
ابن عثمان ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله (٦) .

ورواه الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أنس بن عياض ، حدثني يوسف بن أبي بردة الأنصاري ، عن جعفر بن عمرو
ابن أمية الغصيري ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مامن مُعْتَمِرٌ بِمُعْتَمَرٍ في الإسلام أربعين
سنة ، إلا حَصَرَته الله حنة ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون والجذام والبرص ... وذكر تمام الحديث ، كما تقدم
سواء (٧) .

(١) سورة الروم ، آية : ٥٤ .

(٢) أي : حتى يبلغ مبلغ الرجال .

(٣) في المخطوطة : « محمد بن عبد الله العاملي » . وفي المسند مكانه : « محمد بن عبد الله » . ولعل صحابه « العامري » .

وانظر ترجمته في التلخيص : ٦٩/٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، في أثناء حديث عبد الله بن عمر : ٨٩/٢ .

(٥) في المخطوطة : « حدثنا هشام » . والمثبت عن المسند ولله « هاشم بن القاسم » المُرْجَم في التلخيص : ١٨/١١ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٨٩/٢ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢١٧/٣ + ٢١٨ .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن عبد الله بن شبيب ، عن أبي شيبه ، عن عبد الله بن عبد الملك ، عن أبي قتادة السدوسي ، عن ابن أبي الزمرى ، عن حمه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بع عبد يُعَمَّر في الإسلام أربعين سنة ، إلا حَرَفَ الله عنه أنواعاً من البلاد : الجنون والجذام والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة لَبِثَ الله له الحصاب ، فإذا بلغ ستين سنة رَزَقَ الله الإناثة إليه ما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة غَفَرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسعى لسير الله ، ولحمه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسنة وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غَفَرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسعى لسير الله في أرضه ، وشُفِعَ في أهل بيته .

وقوله : (وترى الأرض هامدة) : هذا دليل آخر على قسوته تعالى على إحياء الموتى ، كما يحيى الأرض الميتة الهامدة ، وهي القاحلة التي لا تبت فيها ولا شيء .

وقال قتادة : خبره متشعبة : وقال السدي : ميتة .

(فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج) ، أي : فإذا أنزل الله عليها المطر (اهتزت) ، أي : تحركت بالنبات وحيت بعد موتها ، (وربت) ، أي : ارفقت لما سكن فيها الثرى ، ثم أنبت ما فيها من الأولاد والفتن ، من ثمار وزروع ، ولشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها ، وروائحها وأشكالها ومنافعها . ولهذا قال تعالى : (وأنبتت من كل زوج بهيج) ، أي : حسن للمطر طيبه الريح .

وقوله : (ذلك بأن الله هو الحق) ، أي : الخالق للمدير الفعال لما يشاء ، (وأنه يحيى الموتى) ، أي : كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع ، (إن الذي أحياها يحيى الموتى) ، إنه على كل شيء قدير (١) ، (إنما نعلمه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (٢)) .

(وأن الساعة آتية لا ريب فيها) ، أي : كائنة لا شك فيها ولا مشقة ، (وأن الله يمتحن من في القبور) ، أي : يعينهم بعد ما صاروا في قبورهم رسماً ، ويوصلهم بعد العلم ، كما قال تعالى : (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه) قال : من يحيى العظام وهي رميم ؟ قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر لؤلؤاً ظناً أنتم تهتدون (٣) ، والآيات في هذا كثيرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة قال : أنبأنا يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حذم (٤) ، عن حمه أبي زرين الغنيلي - ولسمه لقيط بن حامر - أنه قال : يارسول الله ، أكلت بريد ربه عز وجل يوم القيامة ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس كلكم ينتظر إلى القمر مُحْتَبِياً (٥) ؟ قلنا : بلى قال : فأنه أظلم . قال : قلت : يارسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ، وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أما مررت بوادى

(١) سورة فصلت ، آية : ٣٩ .

(٢) سورة يس ، آية : ٨٢ .

(٣) سورة يس ، آية : ٧٨ - ٨٠ .

(٤) في الخطوط : وكيع بن حم - والصواب عن المستدرك والتهذيب : ١١ / ١٢١ ، ويقال : وحس أيضاً .

(٥) أي : مفرقاً به ، ويقال : وغوت به ، ومع ، وإليه ولعليت به ، إذا انفردت به .

لَهُكَ مَسَاحُكٌ (١) قَالَ : بلى : قال : ثم مرت به بَهِرَ غَضَباً ؟ قال : بلى : قال : فَكَذَلِكَ يَجِيءُ اللَّهُ الْمَوْتَى ، وَكَذَاكَ آيَةٌ فِي خَلْقِهِ (٢) .

ورواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث حماد بن سلمة ، به (٣)

ثم رواه الإمام أحمد أيضا : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي زرارة المَعْلِيّ قال : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يَجِيءُ اللَّهُ الْمَوْتَى ؟ قَالَ : لَمُوتٍ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِكَ مُجَدِّدَةً ، ثُمَّ مَرَّتْ بِهَا غَضَبَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : كَذَلِكَ النُّشُورُ (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هُبَيْرُ بْنُ (٥) بن مرحوم ، حدثنا بكير بن [(٦)] السميّط عن قتادة ، عن أبي الحجاج ، عن معاذ بن جبل قال : مَنْ حَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَمُوتُ فِي الْقُبُورِ - دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَجْعَلُ فِي اللَّهِ يَسْتَرْ طَعْمَهُ وَلَا هَدَى وَلَا كَيْتَبٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ ثَانِي جَعَلَهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَلَمْ فِي النَّبِيِّ نَحْوِي وَيُذَيِّبُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِمَا عَدَمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لَظِيمٍ ﴿٣﴾

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال للتقليد في قوله : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) ، ذكر في هذه حال الهداة إلى الضلال من رموس الكفر والبدع ، فقال : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبر) ، أي بلا عقل صحيح ، ولا نقل صحيح صريح ، بل بمجرد الرأي والموى . وقوله : (ثاني عطفه) - قال ابن عباس وغيره : مستكبرا عن الحق إذا دُعي إليه .

وقال مجاهد ، وقتادة ، ومالك بن زيد بن أسلم ، (ثاني عطفه) ، أي : لا يرى حقه (٧) ، وهي رقبته : يعني يمرض عما يدعى إليه من الحق وحبته استكباراً ، كقوله تعالى : (وفي موسى إذ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ قَوْمِ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِقُرْآنٍ مُبِينٍ) ، وقال قتادة : (وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) .

(١) المثل - في الأصل - : انتطاع المطر ، ويقال : أرض عمل ، وزمن عمل وماسل . وفي المخطوطة : مصل . والمثبت من المسند .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١١٢٤ .

(٣) سنن ابن ماجه : للقبلة : ١٨٠ ، الخلفه : ٦٤٧١ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١١٢٤ .

(٥) في المخطوطة : هبوس . وهو ميم بن مرحوم بن عبد العزيز الطائري اللخمي . انظر ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٤٢/٣ .

(٦) ما بين القوسين من ترجمة : بكير ، في الجرح : ٤٠٦/١١١ .

(٧) تفسير الطبري : ١٧/١٢٧ .

(٨) سورة القدر : آية : ٢٨ ، ٢٩ .

وَأَيُّ الْمُنَافِقِينَ يَصِلُونَ عَنْكَ صِدْقًا (١) ، وقال : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ : تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، تَوَّارَ وَمَوْسِمُ ، وَرَأَيْتُمْ يَصِلُونَ ، وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢)) ، وقال لقمان لابنه : (وَلَا تَصْغُرْ عَنْكَ النَّاسُ (٣)) ، أى : تحمله عنهم استكباراً عليهم . وقال تعالى : (وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا [كَانَ فِي ذُنُوبِهِ قُرْآنٌ] ، فَجَسَّثَهُ بِهَذَا أَلِيمٌ (٤)) وقوله : (ليضل عن سبيل الله) ، قال بعضهم : هذه لام العاقبة ، لأنه قد لا يقصد ذلك ، ويحصل أن تكون لام التعليل ، ثم إما أن يكون المراد بها للماتدين ، أو يكون المراد بها أن هذا القائل لهذا إنما جعلناه على هذا الخلق الذى يجعله ممن يضل عن سبيل الله .

ثم قال تعالى : (له في الدنيا خِزْيٌ) ، وهو الإهانة والذل ، كما أنه لما استكبر عن آيات الله لعنه الله الملائكة في الدنيا ، وعاقبه فيها قبل الآخرة ، لأنها أكبر همة ومبلغ علمه ، وتليقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما عاكست يداك) ، أى : يقال له هذا تقريباً وتريخاً ، (وأن الله ليس بظلام للبيد) ، كقوله تعالى : (غُلُوبَهُ فَاعْلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ : ثُمَّ صَبَّأُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ : ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ : إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥)) وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أحمد بن الصباح ، حدثنا يزيد بن هارون ، أن أناساً هشام ، عن الحسن قال : بلغنى أن أحدهم يُسَرِّقُ في اليوم سبعين ألف مرة :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ أَكْبَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرًا أَذْنَبَ وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ الْكَلْبِيُّ ﴿١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْكَلْبِيُّ ﴿٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ قُرْبٌ مِنْ نَفْسِهِمْ لَيْسَ لِلْمَلَكِ الْوَلِيُّ وَلَيْسَ لِلْعَشِيرَةِ ﴿٣﴾

قال مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما : (على حرف) : على شك .

وقال غيرهم : على طرف : ومنه حرف الجبل ، أى : طرفه ، أى : دخل في الدين على طرف ، فإن وجد [ما يحبه] استقر ، وإلا انشمر (٦) :

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن الحارث ، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصينة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ، قال : كان الرجل يقدم للمدينة ، فإن ولدت امرأته غلاماً ، ونسجت خيله ، قال : هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ، ولم تنسج خيله قال : هذا دين سوء (٧) .

(١) سورة النساء ، آية : ٦١ .

(٢) سورة المنافقون ، آية : ٥ .

(٣) سورة لقمان ، آية : ١٨ .

(٤) سورة لقمان ، آية : ٧ .

(٥) سورة النحل ، الآيات : ٥٧ - ٥٥ .

(٦) الانشمار والانشار : المضي والنفوذ .

(٧) البخاري ، تفسير سورة الحج : ١٢٣/١ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق التميمي ، عن جعفر بن أبي الغضرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون ، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث و عام خصب و عام ولاد حسن ، قالوا : « إن ديننا هذا لصالح ، فتمسكوا به » . وإن وجدوا عام جئوبة و عام ولاد سوء و عام قحط ، قالوا : « ما في ديننا هذا خير » . فأنزل الله على نبيه : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابه فتنة اقلبه على وجهه) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة ، [وهي أرض ويثة (١)] ، فإن صبح بها جسمه ، وتنجت فرسه مهرأ حسنا ، وولدت امرأته غلاما ، رضى به واطمأن إليه ، وقال : « ما أصبت منذ كنتُ على ديني هذا إلا خيرا » . وإن أصابه فتنة - والفتنة : البلاد - أئى : وإن أصابه وجع المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وتأنخت معه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : « ولله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا » . وذلك الفتنة (٢) .

ومكلا ذكر فتادة ، والضحاك ، وابن جرير ، وغير واحد من السلف ، في تفسير هذه الآية :

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو للتناق ، إن صاحبت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت ، التقلب فلا يقيم على العبادة إلا لبسا صلح من دنياه ، فإن أصابه فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ، ترك دينه ووجع إلى الكفر (٣) .

وقال مجاهد في قوله : (التقلب على وجهه) ، أئى : لو كان كافرا .

وقوله : (خسر الدنيا والآخرة) ، أئى : فلا هو حصل من الدنيا على شيء ، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم ، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة ؛ ولهذا قال : (ذلك هو الخسران المبين) ، أئى : هذه هي الخسارة العظيمة ، والصفقة الخاسرة .

وقوله : (يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) ، أئى : من الأصنام والأنداد ، يستغيث بها ويستنصرها ويستزفها ، وهي لا تنفعه ولا تضره ، (ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) ، أئى : ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها ، وأما في الآخرة فضرره عقق متيقن .

وقوله : (ليس للولي وليس المشير) ، قال مجاهد : يعنى الولي (٤) : يعنى بفس هذا الذى دعا به من دون الله مولى ، يعنى وليا وناصرا ، (ويقى المشير) ، وهو الخاطف والمماشر .

ولنتار ابن جرير أن لولد لبس ابن الم والصاحب (٥) من يعبد على حرف ، (فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابه فتنة اقلبه على وجهه) .

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري ، والقر للمتشور ، ومكلا في المخطوطة ووم أرض دونه .

(٢) تفسير الطبري : ١٧٪ ٩٣ ، قدر للمتشور : ٤٤٪ ٣٤٦ .

(٣) تفسير الطبري : ١٧٪ ٩٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٧٪ ٩٥ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَسَرِيَّةَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

يُخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من الوثنيين ، ومن سواهم من اليهود والصابئين — وقد قلنا في سورة البقرة (١١) التعريف بهم ، واختلاف الناس فيهم — والنصارى والمجوس ، والذين أشركوا ضلوا غير الله معه ، فإنه تعالى (يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) ، ويحكم بينهم بالعدل ، فيدخل من آمن به الجنة ، ومن كفر به النار ، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم ، يحفظ لأقوالهم ، علمهم بأقوالهم ، وما كُنْ ضَالُّوهم :

لَهُ قُرْآنٌ مِّنَ اللَّهِ يَجِدُّ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْأَنْبَاءُ
أَوْ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَتَّىٰ عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَمَن رَّبَّنَا إِلَّا اللَّهُ فَمَا لَهُم مِّنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾

يُخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، فإنه يسجد لعظمته كل شيء ملوحا وكرها وسجودا [كل شيء بما] (٢) يخص به ، كما قال : (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء ، يتضأ ظلاله من اليمن والشمائل سجدا لله وهم داحرون (٣)) . وقال هاتما : (لم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض) ، أي : من الملائكة في أنظار السموات ، والمحيوات في جميع الجهات ، من الإنس والجن والدواب والطير ، (وإن من شيء إلا يسبح بحمده (٤)) .

وقوله : (والشمس والقمر والنجوم) ، إنما ذكر هذه على التنصيص ، لأنها قد عبّدت من دون الله ، فبين أنها لسجد تخافها ، وأنها مريوبة مسخرة (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (٥)) . و في المسيحية من أتى خروضا لله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدري أين تلعب هذه الشمس ؟ قلت : لله ورجوله أعلم » قال : « لأنها تلعب فتسجد تحت الرعش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعي » من حيث جئت (٦) .

وفي السند ومسنن أبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، في حديث الكسوف : « إن الشمس والقمر خلتان من خلق الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله عز وجل إذا تجلّى لشيء من خلقه خشع له (٧) » .

(١) ينظر تفسير الآية ١٢ من سورة البقرة : ١٤٨/١ ، ١٤٩ .

(٢) في المخطوطة : « وسجدوا كما يخضع به » . والثالث من التلميذات السابقة .

(٣) سورة النحل : آية ٤٨ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

(٥) سورة فصلت : آية ٣٧ .

(٦) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : « صفة الشمس والقمر بحسبان » . ١٣١/٤ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : « بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان » : ٩٦/١ ، ٩٧ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : « صلاة الكسوف » ، الحديث ١١٧٧ = ٣٠٦/١ . والنسائي ، كتاب الكسوف . ١٤١/٧ . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : « ما جاء في صلاة الكسوف » ، الحديث ١٢٦٢ ، ١٢٦١ . ومسنن الإمام أحمد من التيسار بن بشر . ٢٦٧/٤ - ٢٦٨ .

وقال أبو العالة : مات السهائيم ولا خمس ولا ثمر ، إلا يقع لله ساجدا حين يعيب ، ثم لا يتصرف حتى يؤذن له ،
لبأخذ دات اليمن حتى يرجع إلى مظهره (١) .

وأما الجبال والشجر فسجدوا لما بنىء ظلالها من اليمن والشمال : وعن ابن عباس قال : جاء رجل فقال : يا رسول
الله ، إني رأيتي الليلة وأنا نائم ، كأنني أصلي خلف شجرة ، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي ، فسمعتها [وهي]
تقول : اللهم ، اكتب لي بها عندك أجراً ، وضع عني بها وزراً ، واجعلها لي عندك ذخيراً ، وتقبلها مني كما تقبلتها
من عبدك داود . قال ابن عباس : فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم : سجدة ثم سجد ، فسمعت [وهو] يقول مثل
ما أخبره الرجل عن قول الشجرة .

رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه (٢) .

وقوله : (والدواب) أي : الحيرانات كلها .

وقد جاء في الحديث عن الإمام أحمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن اتخاذ ظهور الدواب منابر (٣) ،
فرب ما ركوبة خير ، وأكثر ذكراً لله من راكبتها .

وقوله : (وكثير من الناس) ، أي : يسجد لله طوعاً غشاً متعبداً بخلق ، (وكثير حتى عليه العذاب) ، أي :
من امتنع وبأن واستكبر ، (ومن بين الله له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن شيبان الرمي ، حدثنا القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي قال :
قيل لعلي : إن هاهنا رجلاً يتكلم في المشيئة ؟ فقال له علي : يا هيد الله ، خلقك الله كما يشاء أو كما شئت ؟ قال :
بل كما شاء [قال] : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء : قال : فيضفك إذا شاء أو إذا شئت ؟
قال : بل إذا شاء : قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء ؟ قال : بل حيث يشاء . قال : والله لو قلت غير ذلك لغرقت
الذي فيه حينك بالسيف .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ،
يقول : يا ويله ، أمر ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة . ولم يرت بالسجود فأبى ، فلي النار » رواه مسلم (٤) .

(١) تفسير الطبري : ٩٨/١٧ .

(٢) تحفة الأحرفي : أبواب السفر ، باب : ما جاء ما يقول في سجود القرآن ، الحديث ٧٦ : ١٨١/٣ - ١٨٢ .
وقال الترمذي : وفي الباب من أبي حميد . قال أبو حميد : هذا حديث قريب من حديث ابن عباس ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
وأخرجه الترمذي أيضاً في أبواب الصحوات ، باب : ما جاء ما يقول في سجود القرآن ، الحديث ٣٤٨٤ : ٢٨٣/١ . وابن
ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : سجود القرآن ، الحديث ١٠٥٣ : ١/٣٣٤ .

(٣) وقع لنا هذا الحديث في سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : في الوقوف على الدابة ، الحديث ٢٠٦٧ : ٢٧/٢ .
ولمنا نخرجه من المستقيم .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، ٩١/١ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وأبو عبد الرحمن المقرئ قالا : حدثنا ابن لحيمة ، حدثنا مبشر بن هاعان أبو مُصَنَّبٍ السَّكَّارِيُّ قال : سمعت حقيبة بن عامر يقول : قلت : يا رسول الله ، أُنْضِلْتَ سورة الحج على سائر القرآن بسجدة؟ قال : «نعم ، فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما» (١) .

ورواه أبو داود والترمذي ، من حديث عبد الله بن لحيمة ، به : وقال الترمذي : «ليس بقوى (٢)» . وفي هذا نظر ، فإن ابن لحيمة قد صرح فيه بالسجاء ، وأكثر ما نكسوا عليه تدليس (٣) .

وقد قال أبو داود في المراسيل : حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن عامر بن جشيب ، عن خالد بن معدان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «فُنْضِلَتْ سورة الحج على القرآن بسجدة» .

ثم قال أبو داود : وقد أُسْتِدْ هذا ، يعني من غير هذا الوجه ، ولا يصح .

وقال الخافظ أبو بكر الإسماعيلي (٤) : حدثنا ابن أبي داود ، حدثنا يزيد بن عبد الله ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو ، حدثنا حفص بن غثان حدثني نافع ، حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدة في الحج ، وهو بالجابية ، وقال : إن هذه فضلت بسجدة .

وروى أبو داود وابن ماجه ، من حديث الخافظ بن سعيد المُتَكَنِّي ، عن عبد الله بن مُصَنَّبٍ ، عن عمرو بن العاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن ، منها ثلاث في التكميل (٥) ، وفي سورة الحج سجدة (٦) ، فلهذا شأه يُشَكَّ بعضها بعضا .

(١) مسند الإمام أحمد ١/٤ ، ١٥٥ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب «تفريع أبواب السجود» ، الحديث ١٤٠٢ ، ٥٨/٢ . ونقطة الأحوطي : أبواب السفر ، باب «في السجدة في الحج» ، الحديث ٥٧٥ ، ١٧٨/٣ - ١٨٠ . ولفظ الترمذي : «هذا حديث ليس إسناده بالقوي» .

(٣) المدلس - يفتح اللام - ما سقط من إسناده أو لم يسه من حديثه ، وهو ما ساهه الحديث من لم يحدته ، بقرط معاصره له ، فإن لم يكن حاصره فليست الرواية عنه تدليساً بل المشهور . ومن التدليس أن يسقط الراوي شيخه أو أصل منه لكونه ضعيفاً وشيئته ثقة أو صغيراً ، ونسبنا الحديث . ومن التدليس أيضاً أن يسمي شيخه أو يكتبه أو يسهه أو يصفه بما لا يعرف . ثم إن كان الخامل الراوي عن التدليس تغليباً للتصديق فيرجح ، لأن ذلك حرام ودش ، وإلا فلا .

هذا وقد قال ابن حبان من أين لحيمة : «كان صالحاً ، لكنه يدلس عن البغضاء» ، ينظر ميزان الاعتدال للذهبي : ٤٨٢/٢ . (٤) هو الإمام الخافظ أبو بكر بن إبراهيم بن إسماعيل البصري البجلي الشافعي ، صاحب التصانيف الكبار في الحديث والفقه . وكان ثقة حجة . توفي في سنة ٢٨١ . انظر البحر للذهبي : ٣٥٨/٢ ، ٣٥٩ .

(٥) المفصل ، من المعجزات إلى آخر القرآن ، وصحبه مفصلاً ، لقمر سورة .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب «تفريع أبواب السجود» ، الحديث ١٤٠١ ، ٥٨/٢ . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب «جد سجود القرآن» ، الحديث ١٥٧ ، ٣٣٠/١ .

* هَذَا خَصِمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَأَلْدَيْنَ كُفْرًا فَطَلَّتْ لَمْ تَبْ مِنْ نَارٍ يَصَبُّ مِنْ قَوْقُوسِهِمْ
الْحَمِيمِ ﴿١٥﴾ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَأَبْغُلُودُ ﴿١٦﴾ وَلَمْ يَمْلِكْ مِنْ حَمِيدِ ﴿١٧﴾ كَلَّا لَوْلَا أَن يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْقَرِينِ ﴿١٨﴾

ثبت في الصحيحين ، من حديث أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي ذر : أنه كان يقيم قسما أن هذه
الآية : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) تزل في حمزة وصحبيته ، وعتة وصاحبه ، يوم يبرزوا في بدر ^(١) .
لقط البخاري عند تفسيرها ، ثم قال البخاري .

حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، [سمعت أبي] ، حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد ، عن
علي بن أبي طالب أنه قال : أنا أول من يتجشأ بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة : قال قيس : ولهم تزل :
(هذان خصمان اختصموا في ربهم) ، قال هم اللين يبرزوا يوم بدر : علي وحزمة وعيينة ، وشيبة بن ربيعة وعتة
ابن ربيعة والوليد بن حبة . انفراد به البخاري ^(٢) .

وقال سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة في قوله : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) ، قال : انصم للمسلمون
وأهل الكتاب ، فقال أهل الكتاب : نيتنا قبل نيتكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أولى بالله منكم : وقال المسلمون :
كتابنا يقضي على الكتب كلها ، ونيتنا خاتم الأنبياء ، فنحن أولى بالله منكم : فأفلق ^(٣) الله الإسلام على من ناره ،
وأول : (هذان خصمان اختصموا في ربهم ^(٤)) . وكلا روى الترمذي ، عن ابن عباس ^(٥) .

وقال شعبه ، عن قتادة في قوله : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) ، قال : مُصدق ومكذب .
وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد في هذه الآية : مثل الكافر والمؤمن انحصا في البيت : قال - في رواية هو وعطاء
في هذه الآية - هم المؤمنون والكافرون .

وقال حكيم : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) ، قال : هي الجنة والنار ، قالت النار : اجعلني المقربة ،
وقالت الجنة : اجعلني الرحمة .

وقول مجاهد وعطاء إن المراد بهذا الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها ، وينظم فيه قصة يوم بدر وغيرها ، فإن
للمؤمنين يربون نصره دين الله ، والكافرون يربون إطفاء نور الإيمان وخللان لحق وظهور الباطل ، وهذا اختيار ابن
جرير ^(٦) ، وهو حسن . ولهذا قال : (فالدين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) ، أي : فصلت لهم مقطعات من نار .

-
- (١) البخاري : تفسير سورة الحج : ١٢٣/٦ . وسلم : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : (هذان خصمان اختصموا
في ربهم) : ٢٤٦/٨ ، ٢٤٦ .
(٢) البخاري : تفسير سورة الحج : ١٢٣/٦ ، ١٢٤ .
(٣) أي : لصره وأطله .
(٤) انظر تفسير سورة النساء ، عند الآية ١٢٣ : ٣٦٩/٢ .
(٥) تفسير الطبري : ٩٩/١٧ .
(٦) تفسير الطبري : ١٧٠/١٧ .

قال سعيد بن جبير : من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمى ،

(صَب من فوق رموسهم الحميم ، يصهر به ماني بطونهم والجلود) ، أي : إذا صب على رموسهم الحميم ، وهو اللدء الحار في خاية الحرارة .

وقال سعيد : هو النحاس اللذاب ، أذاب ماني بطونهم من الشحم والأمعاء : قاله ابن عباس ، وعجاده ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم : وكذلك تلوب جلودهم ، وقال ابن عباس وسعيد : تساقط .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني (١) ، حدثنا ابن المبارك عن سعيد ، ابن زيد ، عن أبي السَّحْب ، عن ابن حُجيرة ، عن أبي هُريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ الحميم ليُصَبَّ على رموسهم ، فينثَلُ الجمجمة (٢) حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت (٣) ماني جوفه ، حتى يبلغ قدميه ، وهو الصهر (٤) : ثم يعاد كما كان (٥) .

ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك ، وقال : حسن صحيح (٦) ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي نعيم ، عن ابن المبارك ، به ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن أبي الخولوى ، سمعت عبد الله بن السري قال : يأتيه الملك بعمل الإناء يكتسبتين من حراره ، فإذا أدناه من وجهه تكرهه ، قال : فبرغ مقصحة (٧) منه فيغرب بها رأسه ، فيكسرغ دماغه ، ثم يكسرغ الإناء من دماغه ، فيصل إلى جوفه من دماغه ، فذلك قوله (يصهر به ماني بطونهم والجلود) ، وقوله : (ولهم مقامع من حديد) ، قال الإمام أحمد .

حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن شيبة ، حدثنا دراج عن أبي الليث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن مقصمًا من حديد وُضِع في الأرض ، فاجتمع [له] للقتل ما أقتلوه (٨) من الأرض (٩) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الليث ، عن أبي سعيد الخدري

- (١) في تفسير الطبري : إبراهيم بن إسحاق ، وإبراهيم هذا يكنى أبا إسحاق . وهو مترجم في كتب الرجال .
- (٢) كذا في تفسير الطبري . وفي الترمذي : « فينثَل الحميم » . ويقول الحافظ أبو المثل من المنزلة إن البيهقي رواه إلا أنه قال : « فيخلص فينثَل إلى الجمجمة حتى يخلص إلى وجهه » .
- (٣) السلت : اقتطع ، أي يقطع الحميم أعضاءه .
- (٤) الصهر : الإذابة .
- (٥) تفسير الطبري : ١٧/١٠٠ .
- (٦) تحفة الأعراف : أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار . الحديث ٢٧٠٨ : ٣٠٢/٧ .
- (٧) ولفظ الترمذي : « هذا حديث غريب حسن » .
- (٨) المقصم - بكسر الميم - : واحدة للمقصع ، وهي سياط تعمل من حديد رموسها موجهة . والكليتان - يفتح اللذان - الخديعة التي تكون مع الحداد يقطع بها الخديد الحصى .
- (٩) أقتلوه - وقصوه .
- (١٠) مسند الإمام أحمد : ٢٩/٣ ، من حديث طويل .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو ضرب الجبلُ بِمِصْبَحٍ من حديد ، لثقت ثم هاد كما كان ، ولو أن دلوان من حَسَاكٍ (١) يَهْتَزَّانِ في الدنيا لأَكْتَنَ أهل الدنيا (٢) .

وقال ابن عباس في قوله : (ولهم مقامع من حديد) ، قال : يضربون بها ، فيقع كل عضو على حiale (٣) ، فيحدون بالنير (٤) .

وقوله : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) ، قال الأعشى ، عن أبي ظبيان ، عن سلمان قال : النار سوداء مظلمة ، لا يضيء فيها ولا يجرها ، ثم قرأ : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) .

وقال زيد بن أسلم في هذه الآية : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) ، قال : بلغني أن أهل النار في النار لا ينتفضون .

وقال الفضيل بن عياض : والله ما ملعوها في الخروج ، إن الأرجل لبقيدة ، وإن الأيدي لموقدة ، ولكن يرفعهم فيها ، وتردهم مقامعها .

وقوله : (وذوقوا عذاب الحريق) ، كقوله : (وقيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) ، ومعنى الكلام أنهم يهاونون بالعذاب قولاً وفعلًا .

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْمِلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاجِدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَرُؤُوسًا لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَهَدَوْنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْحَقِيمِ ﴿٣٧﴾

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار ، عياناً بالله من حالهم ، وما هم فيه من العذاب والشكال والحريق والأغلال ، وما أعد لهم من الثياب من النار ، ذكر حال أهل الجنة - نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة - فقال : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) ، أي : تتخرفق في أكفانها وأرجائها وجوانبها ، وتحت أشجارها وقصورها ، يصرفونها حيث شاموا وأين شاموا ، (يحملون فيها) ، من الخلية ، (من أساور من ذهب ولؤلؤا) ، أي : في أيديهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث للثقي عليه : (تبلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الضوء (٥)) .

وقال كعب الأحبار : إن في الجنة ملكاً لو شئت أن أسميه لسميته ، يصوغ لأهل الجنة الخلق مثل خلقه الله إلى يوم القيامة ، لو أبرز قُلب منها - أي : سوار منها - لرد شعاع الشمس ، كما ترد الشمس نور القمر .

(١) الساق - يحطيف السنين ، وتشدها - ما يسيل من صديد أهل النار وضالهم .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٨٣/٣ .

(٣) الأكثر في تفسير الطبري ، والرد المنثور : ٣٤٩/٤ من صعيد بن جبير ، ولفظ البر : (حتى يقوم كل عضو بحاله) .

(٤) الثيور : الملاك . والمعنى أنهم يقولون : والبوراه ، أي : بالبوراه هذا أوانك .

(٥) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب : « تبلغ الخلية حيث يبلغ الضوء » : ١٥١/١ . والسنن ، كتاب الطهارة ، باب :

« حلية الضوء » : ٩٢/١ . ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣٧١/٢ ، وينظر أيضاً : ٢٣٢/٢ .

وقوله : (ولباسهم فيها حرير) ، في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم ، لباس هؤلاء من الحرير ، يستمر له وسلسله ، كما قال : (عليهم ثياب ستس خضضر ويستبرق ، وحلوا أساور من فضة ، وسقام رجم شرايا طهورا • إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا (١)) ، وفي الصحيح : « لا تلبسوا الحرير ولا النسيج في الدنيا ، فإنه من أبس في الدنيا لم يلبس في الآخرة (٢) » .

قال عبد الله بن الزبير : ومن لم يلبس الحرير في الآخرة ، لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى : (ولباسهم فيها حرير) .

وقوله : (وعدوا إلى الطيب من القول) ، كقوله : (وأدخل الذين آمنوا وحملوا المصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها بإذن ربهم ، تحيهم فيها سلام (٣)) ، وقوله : (وللاصالحات يدخلون عليها من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فتم حقي الدار (٤)) ، وقوله : (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيا : إلا قبيلا سلما سلما (٥)) . فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب ، (ويلقون فيها تحية وسلاما (٦)) ، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يروثون به ويقرحون به ، يقال لهم : (ذوقوا عذاب الحريق) .

وقوله : (وعدوا إلى صراط الحميد) ، أي : إلى المكان الذي يعملون فيه ربه ، على ما أحسن إليهم وأنبأ به وأسهل إليهم ، كما جاء في الصحيح : (إنهم يلهمون التسبيح والتحميد ، كما يلهمون النفس (٧)) . وقد قال بعض المفسرين في قوله : (وعدوا إلى الطيب من القول) ، أي : القرآن : وقيل : لا إله إلا الله : وقيل : الأذكار المشروعة ، (وعدوا إلى صراط الحميد) ، أي : الطريق المستقيم في الدنيا : وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه ، والله أعلم .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنَافُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ أَمْرٌ فِيهِ بِالْحَاجِمِ يَنْظُرُ نَذْفَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ (٨)

يقول تعالى منكر آهل الكفر أنهم صدّهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام ، وقضاء مناسكهم فيه ، ودعواهم أنهم أوليائه (وما كانوا أوليائه ، إن أوليائه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون (٨)) ،

(١) سورة الإنسان : آية : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) أخرجه في كتاب لباس ، ينظر مسلم : ١٣٧/٦ ، ١٤٣ ، والبخاري ، باب : لبس الحرير واقتراشه رجال وقدر ما يجوز منه ، ١٩٣/٧ ، ١٩٤ .

(٣) سورة الأعراف : آية : ٢٣ .

(٤) سورة الفرقان : آية : ٢٤ ، ٢٥ .

(٥) سورة الواقعة : آية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) سورة الفرقان : آية : ٧٥ .

(٧) مسلم ، كتاب الجنة ، باب : في صفات الجنة وأهلها وتسييحهم لها بكرة وعشا ، ١٤٧/٨ . وسنة الإيمان أحسنه

عن جابر بن عبد الله : ٣٤٩/٢ ، ٣٥٤ ، ٣٨٤ .

(٨) سورة الأنفال : آية : ٤٤ .

وفي هذه الآية دليل أنها مبدئية ، كما قال في «سورة البقرة» : (يسألك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل : قتال فيه كبير ، وصدة من سبيل الله ، وكفرٌ به وللمسجد الحرام ، وإخراج أهلك منه أكبر عند الله (١)) ، وقال هانئ : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) أي : ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر ، وهذا التركيب في هذه الآية كقوله تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٢) أي : ومن صفتهم أنهم يطمئن قلوبهم بذكر الله .

وقوله : (الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) [أي : ينعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام] وقد جعله الله شرها سواء ، لا فرق فيه بين المقيم فيه والثاني عنه البعيد الدار منه ، (سواء العاكف فيه والباد) [ومع ذلك استواء الناس في رباح مكة وسكنائها ، كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (سواء العاكف فيه والباد) ، قال : يتول أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام (٣)]

وقال جماعة : (سواء العاكف فيه والباد) ، أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل ؟ وكذا قال أبو صالح ، [وعبد الرحمن بن سابط ، وعبد الرحمن بن زيد]

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثائدة : (سواء فيه أهله وغير أهله) .^١

وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهوية بمسجد الخيف (٤) ، وأحمد بن حنبل حاضراً فيها ، فذهب الشافعي رحمه الله إلى أن رباح مكة تحلله وتورث وتؤجر ، واجتمع بحديث الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن عمرو ابن عثمان ، عن أسامة بن زيد قال : قلت : يا رسول الله ، أتترك غداً في دارك بمكة ؟ فقال : وهل ترك لنا حكميل من رباح (٥) ؟ ثم قال : لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر . وهذا الحديث مُسْتَحَرَجٌ في الصحيحين (٦) [وبما (٧) فيه أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة ، فجعلها سجنًا بأربعة آلاف درهم] وبه قال طائفة . وعمرو بن دينار .

(١) سورة البقرة : آية : ٢١٧ .

(٢) سورة الرعد : آية : ٢٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٧/١٠٢ .

(٤) الخيف - يفتح فسكون - ما اتحد من فلفظ الجبل وأوقع من سبيل الماء ، ومنه صلى مسجد الخيف مع حق (بقرات) .

(٥) يمدح في البخاري : «أو دور» . وكان حنبل ورث أنها طالع هو وطالب ، ولم يرته جعفر ولا حل - رضى الله عنهما -

فيها : لأنها كانتا مسلمين ، وكان حنبل وطالب كافرين ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لا يرث المؤمن الكافر . والريح : المنزل ودار الإقامة .

(٦) أخرجه في كتاب الحج ، انظر البخاري : باب «تورث دور مكة ويبيعها وشراؤها» : ١٨١/٢ . ومسلم : باب «الزول بمكة لبيع وتورث دورها» : ١٠٨/٤ . وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفرائض : باب «ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك» ، الحديث : ٢٧٣٠ : ٩١٣/٢ . وفيه يمد قول عمر المتقدم : «وقال أسامة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم» .

(٧) من هنا إلى قوله : «وما تسمى رباح مكة إلا» . اضطرب النص في مخطوطة الأخرى . والخيت من الطبقات السابقة .

ولعب إصاح بن راعويه إلى أنها لا تورث ولا تؤجر : وهو ملحق طائفة من السلف ، ولص عليه مجاهد وعطاء ، وإصح إصاح بن راعويه بما رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عيسى بن يونس ، عن عمر بن سعيد ، عن أبي حنيفة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن علقمة بن قيس قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وما صلى رباح مكة إلا [السواك] (١) ، من احتاج سكن ، ومن استغنى لمسكن (٢) .

وقال عبد الرزاق عن ابن مجاهد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها :

وقال أيضا عن ابن جريج : كان عطاء ينهى عن الكراه في الحرم ، وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهى أن يؤت دور مكة ، لأن يترك الحاج في حرمها ، فكان أول من يؤت داره سهيل بن عمرو ، فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك ، قال : أنظرني يا أمير المؤمنين ، إن كنت امرأ تاجرا ، فأردت أن أعتد بابي عيشا لي ظهري (٣) قال : فذلك إذا .

وقال عبد الرزاق : من ممر ، من مصور ، عن مجاهد : أن عمر بن الخطاب قال : يا أهل مكة ، لا تتخذوا لدوركم أبوابا يترك اليدى حيث يشاء .

[قال : وأخبرنا معمر ، عن سمع عطاء يقول : (سواء المالك فيه والباد) ، قال : يتولون حيث شاؤوا]

وروى الثوري عن حذيث بن أبي نجيح ، عن عبد الله بن عمرو موقوفا : من أكل كراه بيوت مكة أكل ناراً ،

وتوسط الإمام أحمد فقال : تلك وتورث ولا تؤجر ، جمعا بين الأدلة : والله أعلم .

وقوله : (ومن يرد فيه إلحاد ينظم لله من خطاب أليم) ، قال بعض المفسرين من أهل العربية : الباء هاءنا زائدة ، كقوله : (تَنَبَّهْ بِالذَّهْنِ (٤)) ، أي : تَنَبَّهْ الذَّهْنِ وكلنا قوله (ومن يرد فيه إلحاد) تقديره إلحادا وكما قاله الأحمدي (٥) .

فَسَمِعْتُ بَرْزُقَ حَبَالَةَ لُزْمَانًا • بِنَ الْمُرْجَلِ ، وَلِلصَّرِيحِ الْأَجْرَدِ (٦)

(١) حب الفقه - يشبهه الياء - تركه . والسواك : جمع سائبة : كأنها ميتة وتركته قد مر وجل .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتابه للمساكن ، باب : أجر بيوت مكة ، الحديث ٣١٠٧ : ١٠٣٧٪٢ .

(٣) الظاهر - ينتفع لمسكون - الإبل التي يحمل عليها وتركب ، يقال : عند فلان ظير ، أي : إبل .

(٤) سورة المؤمنون ، آية ٢٠ . وقد قرأ الجمهور : تنبّه ، وفتح الفاء وضم الياء . والباء حينئذ باء الحال ، أي : تَنَبَّهْ مصحوبة بالذهن ، أي : وصفا للذهن . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وآخرون (تَنَبَّهْ) ، بضم الفاء وكسر الباء - وهذا موطن الشاهد ، فقبل (بالذهن) مفعول ، والياء زائدة ، والتقدير : تَنَبَّهْ الذَّهْنِ . ينظر البحر المحيط لأبي حيان : ٤٠١٪٦ .

(٥) البيت في ديوانه طبعه بيروت - ٥٧ . وتفسير الطبري : ١٠٣٪١٦ ، وشرح القصص السبع لآلئاري : ٩٩٠ . ولسان العرب (جرد) . ورواية الديوان :

فَسَمِعْتُ لَنَا أَجْبَازَ حَبَالَةَ • وَضَرَعْنَا الصَّرِيحَ الْأَجْرَدَ

(٦) قال الأبياري : أراد : فسنت وزن حبالنا . ولين أجرد : لا رغو له . وفي شرح القصص السبع واللسان : عليه المرجل . والمرجل : جمع مرجل - يمشي لمسكون - وهو : القدر .

وقال الآخر (١) :

بِوَادٍ يَمَكُنُ بِمُتَبِتِ الشَّتِّ صَدْرُهُ • وَاسْفَلَكَ بِالرَّخِ وَالشَّهَبَانِ (٢)

والأجود أنه ضمن الفعل هاجتا معنى (بهم) ، ولهذا عداه بالباء ، فقال : (ومن يرد فيه إلحاد) ، أى : يهيم فيه بأمر فطيع من للمامى الكبار .

وقوله : (بظلم) ، أى : عاصدا قاصدا أنه ظلم ليس يتأول ، كما قال ابن [جريج] ، عن ابن عباس : هو [التعمد (٣)] :

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (بظلم) : بشركه

وقال مجاهد : أن يعبد فيه غير الله ، وكذا قال قتادة ، وغير واحد .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (بظلم) هو أن تستحيل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان (٤) لو قتل • فظلم من لا يظلمك ، وقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب العذاب الأليم ،

وقال مجاهد : (بظلم) ، يعبد فيه عملا [ميتا] •

وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادى فيه الشر ، إذا كان حازما عليه ، وإن لم يوقه ، كما قال ابن [حاتم] في تفسيره :

حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شعبة ، عن السدى : أنه سمع مرة يحدث عن عبد الله - بنى ابن مسعود - فى قوله : (ومن يرد فيه إلحاد بظلم) ، قال : لو أن رجلا أراد فيه إلحاد بظلم ، وهو يهتد أبين (٥) ، لأذاه الله من العذاب الأليم ،

قال شعبة : هو رضى لنا ، وأنا لا أرفعه لكم ، قال يزيد : هو قد رضى • ورواه أحمد ، عن يزيد بن هارون ، به (٦) [قلت : هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى ، ووقفه أشبه من رضى ، ولهذا صمّم شعبة على وقفه مع كلام ابن مسعود • وكذلك رواه أسباط ، وسفيان الثوري ، عن السدى ، عن مرة ، عن ابن مسعود موقوفا (٧) ، والله أعلم •

(١) البيت في تفسير الطبري : ١٠٣/١٧ • والسان (شت) غير معلوم • وفى السان (شه) ومعلوماً لك رجل من عبد القيس ويقول ابن منظور : • قال ابن بربى : قال أبو حبيبة : البيت للأخول يشكرى : واسمه بلى ، قال : وتقدم • ويعت أسفله المرخ ، هل أن تكون الباء زائدة •

(٢) الشت - يفتح الشين - : ضرب من الشجر . وقيل : شجر طيب الريح مر العلم • يفتح به . والمرخ - يفتح لمكرو - شجر قنار • والشهبان - يفتح الشين والياء ، ويضمهما - : ما عظم من شجر الشوك .

(٣) ما بين الأقواس من تعليلات السابقة . وانظر الآخر في تفسير الطبري : ١٠٤/١٧ •

(٤) يبنى بالسان : التبية وتناول الأمراض . وانظر الآخر في تفسير الطبري : ١٠٤/١٧ •

(٥) أبين • أيده •

(٦) سنة الإمام أحمد : ٢٢٨/٩ •

(٧) فى ضلوة الآخر : • عن ابن مسعود مرفوعا • • والمثبت من تعليلات السابقة •

وقال الثوري : عن السدي : عن مرة ، عن عبد الله قال : ما من رجل هم بهيمة فتكتب عليه ، ولو أن رجلا بعد أن أبى حَمَّ [أن يقتل (١)] رجلا هذا البيت ، لأذاته الله من العذاب الأليم (٢) . وكذا قال الضحاك بن مزاحم .
وقال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : إلحاد فيه : لا والله ، وبلى والله (٣) . وروى عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو ، مثله .

وقال سعيد بن جبيرة : شتم الخادم ظلم فالوقته .

وقال سفيان الثوري ، عن عبد الله بن عطاء ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس في قوله : (ومن يرد فيه إلحاد بظلم) ، قال : تجارة الأمر فيه .
وعن ابن عمر : بيع الطعام إلحاد .

وقال حبيب بن أبي ثابت : (ومن يرد فيه إلحاد بظلم) ، قال : الخشكر بمكة : وكذا قال غير واحد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري ، أنبأنا أبو حاتم ، عن جعفر بن يحيى ، عن عه حمارة بن ثوبان ، حدثني موسى بن باذان ، عن يعلى بن أمية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احتكار الطعام بمكة إلحاد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، حدثني سعيد بن جبيرة قال : قال ابن عباس في قول الله : (ومن يرد فيه إلحاد بظلم) ، قال : نزلت في عبد الله ابن أبيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم به مع رجلين ، أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار ، فاختصروا في الأساب ، فففسه عبد الله بن أبيس ، فقتل الأنصارى ثم لردت عن الإسلام ، وهرب إلى مكة ، فنزلت فيه : (ومن يرد فيه إلحاد بظلم) ، يعني من لجأ إلى الحرم إلحاد يعني تبيل عن الإسلام .

وله الأثر ، وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ، ولكن هو أهم من ذلك ، بل فيها تنبيه على ما هو أخطر منها ، ولهذا لما هم أصحاب القليل على تحريم البيت لرسول الله عليهم طبراً أبائيل : (ترميهم بحجارة من سجيل) فجعلهم كحصبه مأكول (٤) ، أي : حصرهم وجعلهم حيرة ولكالا لكل من أراده بسوء : ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يترو هذا البيت جيش ، حتى إذا كانوا يبيداه من الأرض خضيف بأولم وتكرهم (٥) » الحديث .

(١) ما بين التفسيرين عن الطبري والبيهقي السابقة . ومكانه في المخطوطة : « أوّل » .

(٢) تفسير الطبري : ١٥٤/١٧ .

(٣) أي : أن يعلت المرء : لا والله ، وبلى والله ، وغير هذا ما يند كثيراً في غير المسجد الحرام ، يقول الطبري : ١٠٥/١٧ .
وقال آخره : بل ذلك كل ما كان متبهاً منه من الفيل حتى قوله : لا والله ، وبلى والله .

(٤) سورة الفيل ، الآيات : ٤ ، ٥ .

(٥) مسلم ، كتاب الفتن ، باب : الحسف بالجيش الذي يرقم البيت : ١٦٧/٨ . والبيهقي : كتاب البعوض ، باب : ما ذكر في الأسواق : ٨٦٢/٣ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن كُتَيْبَة ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه قال : أتى عبد الله بن عمرو عبد الله ابن الزبير ، فقال : يا ابن الزبير ، إياك والإخلاء في حرم الله ، فإنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه سيكفركم فيه رجل من قريش ، لو وُثِّدَ (١) ذنوبه بذنوب الثقلين لرجعت ، فانظر لا تكن هو (٢) » .

وقال أيضا : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، حدثنا سعيد بن عمرو قال : أتى عبد الله بن عمرو ابن الزبير ، وهو جالس في الحجر فقال : يا ابن الزبير ، إياك والإخلاء في الحرم ، فإنه لشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول] : يحلها ويحل به رجل من قريش ، لو وُثِّدَ ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها ، قال : فانظر لا تكن هو (٣) ،

ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين .

وَأَذِّنْ لِلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٧﴾

هذا فيه تفرع وتوبيخ لمن [عبد] غير الله ، وأشرك به من قريش ، في البقرة التي أُنسبت من أول يوم على توحيد الله وحجته وحده لا شريك له ، فذكر تعالى أنه هو إبراهيم مكان البيت ، أي : أولاده إليه ، وسلمه له ، وأذن له في بنائه .

واستدل به كثير ممن قال : « إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت الحقيق » وأنه لم يبن قبله ، كما ثبت في الصحيح عن أبي خُرَيْقٍ : قال رسول الله ، أي مسجد وُضِعَ أولُ ؟ قال : للمسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ قال : بيت المقدس ، قلت : كم بينها ؟ قال : أربعون سنة (٤) .

وقد قال الله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) فيه آيات بينات مقام إبراهيم (٥) .
 ٥ : الآية ، وقال تعالى : (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيئنا للطائفين والماكين والركع السجود) (٦) .
 وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار ، بما أخفى عن إعادته هاهنا (٧) .

وقال تعالى هاهنا : (أن لا تشرك في شئنا) ، أي : أبنته على إسمي وحدي ، (وطهرا بيئنا) قال جامد وقناة : من الشرك ، (للطائفين والماكين والركع السجود) ، أي : اجعله خالصاً لحولاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له ،

(١) لفظ المسد : لو وُثِّدَ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٢٦/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢١٩/٢ .

(٤) تقدم الحديث في سورة آل عمران حده الآية ٩٦ : ٩٢/٢ ، وخرجناه ههنا .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ ، ٩٧ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ٢١٥ .

(٧) الظفر : ٢٤٢/١ - ٢٤٧ - ٢٤٢/٢ ، ٩٤ .

فالطائف به معروف ، وهو أحسن المبادات عند البيت ، فإنه لا يفضل بقعة من الأرض سواها ، (والقاتين) ، أي : في الصلاة ، ولما قال : (والركع السجود) ، قرن الطواف بالصلاة ، لأنها لا يشترعان إلا غصبتين بالبيت ، فالطواف عنده ، والصلاة إليه في غالب الأحوال ، إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب ، وفي النافلة في السفر ، والله أعلم .

وقوله : (وأذن في الناس بالحج) ، أي : نادى الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه فذكر أنه قال : يا رب ، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم ؟ قيل : ناد علينا البلاغ . فقام على مقامه ، وقيل : على الحجر ، وقيل : على الصفا ، وقيل : على أبي قُبَيْس ، وقال : يا أيها الناس ، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجروه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت لرجاء الأرض ، وأسمع من في الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجرٍ ومدرٍ وشجر ، [ومن] كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لييك اللهم لييك ،

هذا مضمون ما روى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبيرة ، وغير واحد من السلف والله أعلم ، وأوردنا ابن جرير (١) ، وابن أبي حاتم مطبوعة .

وقوله : (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ حقيق) ، قد يستدل هذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الحج ملأيا ، لمن قدر عليه ، أفضل من الحج راكبا ، لأنه قدمهم في الذكر ، فدل على الاهتمام بهم وقوة همهم وشدة حزمهم والى عليه الأكررون أن الحج راكبا أفضل ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام :

وقوله : (يأتين من كل فجٍ) ، يعني طريق ، كما قال : (وجعلنا فيها فجاجا سبلا (٢)) .

وقوله : (حقيق) ، أي : بعيد ، قاله مجاهد ، وعطاء ، والسدي ، وقتادة ، ومقاتل بن حبان ، والثوري ، وغير واحد .

وهذه الآية كقولها تعالى إخبارا عن إبراهيم ، حيث قال في دعائه : (فاجعل أئمة من الناس تهوى (٣) إليهم) ، فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحج إلى روية الكعبة والطواف ، فالتاس يقصصونها من سائر الجهات والقطار .

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ هُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامِ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرِّهِمُ الْآلَاءِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
الْإِمْرَارَ الْفَقِيرَ (٧٧) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتِيهِمْ وَلِيُؤْتُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَافُوا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ (٧٨)

قال ابن عباس : (يشهدوا منافع لهم) ، قال : منافع الدنيا والآخرة ، أما منافع الآخرة فحضوران الله ، وأما منافع الدنيا فما يصيرون من منافع البدن والربح والتجارات : وكذا قال مجاهد ، وغير واحد : إنها منافع الدنيا والآخرة ، كقوله : (ليس عليكم جناح أن يتفوا فضلا من (٤) وركب) .

(١) انظر تفسير الطبري : ١٧٦/١٧ - ١٧٧ .

(٢) سورة الأنبياء : آية : ٣١ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٣٧ .

(٤) سورة البقرة : آية : ١٩٨ .

وقوله : (وَيَذْكُرُوا لِمَ لَمْ يَكُنْ فِي أَيَّامِ مَلَايِكَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ) ، قال شعبه [وحشيم] عن [ثوبان] عن سفيان [عن ابن عباس] : « الأيام للملوك أيام البشر » : وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به : ويروى مثله عن أبي موسى الأشعري ، ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبلة ، والحسن ، وقاعدة ، والفضحاك ، وعطلة الخراساني ، وليراهم النخعي : وهو مذهب الشافعي ، والمشهور عن أحمد بن حنبل .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا شعبه ، عن سليمان ، عن مسلم البجلي ، عن سعيد بن جبلة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه » قالوا : « ولا الجهاد » في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل ، يخرج بخاطر نفسه وماله فلم يرجع [بشيء] » (١)

ورواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب صحيح » وفي الباب عن ابن عمر ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر (٢) :

قلت : وقد تضمنت هذه الطرق ، وأوردت لها جزءا على حديثه ، فمن ذلك ما قاله الإمام أحمد :

حدثنا عثمان ، أنبأنا أبو حنيفة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن ، من هذه الأيام العشر » فذكروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد (٣) : وروى من وجه آخر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، بنحوه (٤) :

وقال البخاري : وكان ابن عمر ، وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر ، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما (٥)

وقد روى أحمد بن حنبل عن جابر مرفوعا : « أن هذا هو العشر الذي أنعم الله به في قوله : (والفجر) وليال عشر »

وقال بعض السلف : إنه المراد بقوله : (وأتممتها) (عشر) .

وفي سنن أبي داود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذا العشر (٦) :

وهذا العشر مشتمل على يوم حرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم حرفة ، فقال : أحسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآخرة » (٧)

ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله (٨) :

(١) البخاري ، كتاب الميعاد ، باب « فضل العمل في أيام التشريق » : ٢٤/٢ ، ٢٥ .

(٢) تحفة الأعراف ، أبواب الصوم ، باب « ما جاء في أيام التشريق » ، الحديث ٧٥٤ : ٤٦٣/٢ ، ٤٦٤ . وابن ماجه ، كتاب الصوم ، باب « صيام البشر » ، الحديث ١٧٢٧ : ٥٥٠/١ . وسنن أبي داود ، كتاب الصوم ، باب « في صوم البشر » ، الحديث ٢٤٣٨ : ٣٢٥/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٧٥ / ٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) البخاري ، كتاب الميعاد ، باب « فضل العمل في أيام التشريق » : ٢٤/٢ .

(٥) سورة الأعراف : آية : ١٤٢ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الصوم ، باب « في صوم البشر » ، الحديث ٢٤٣٧ : ٣٢٥/٢ .

(٧) مسلم ، كتاب الصيام ، باب « استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر » ، صوم يوم حرفة : ١٦٧/٧ .

(٨) مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو : ٢٥٠/٤ .

وبالجملة فهذا الشرع قد قيل : إنه أفضل أيام السنة ، كما لفت به الحديث ، فضله كثير على عشر ومفان الأخير ، لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك ، من صيام وصلاة وصفقة وغيره ، ويمتاز هذا بانتصاصه بأداء فرض الحج فيه ، وقيل : ذلك أفضل لأشياءه على ليلة القدر ، التي هي غير من ألف شهر .
وتوسط آخرون فقالوا : أيام هذا أفضل ، وليالي ذلك أفضل : وبهذا يجمع شمل الأدلة ، والله أعلم .

قول ثلث في الأيام للملومات ، قال الحكم ، من قسم ، عن ابن عباس : الأيام للملومات : يوم النحر وثلاثة أيام بعده ، ويروى هذا عن ابن عمر ، وإبراهيم التيمي ، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه .

قول ثالث ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا ابن حبان . حدثني نافع ، أن ابن عمر كان يقول : الأيام للملومات والمندوبات من جميعهن أربعة أيام ، فالأيام للملومات يوم النحر ويومان بعده ، والأيام للمندوبات ثلاثة أيام بعد يوم النحر .

هذا إسناد صحيح إليه ، وقوله انسب : وهو ملحق بالإمام مالك بن أنس ، وبعض هذا القول والذي قبله قوله تعالى : (على ما رزقهم من بيمة الأنعام) ، يعني به ذكر الله عند ذبحها .

قول رابع : أيام يوم حرقة ، ويوم النحر ، ويوم آخر بعده ، وهو ملحق بالحنيفة .
وقال ابن وهب : حدثني ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه أنه قال : للملومات يوم حرقة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق .
وقوله : (على ما رزقهم من بيمة الأنعام) ، يعني الإبل والبقر والغنم ، كما فصلها تعالى في سورة الأنعام وأما (ثمانية)
فرواج الآفة .

وقوله : (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) ، استدل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأضحية وهو قول غريب ، والذي عليه الأكثر أنه من باب الرخصة أو الاستحباب ، كما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نحر هدبه أمر كل بنيه ببيضة (٢) فطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسا من مرقها (٣)

وقال عبد الله بن وهب : [قال لي مالك : أحسب أن يأكل من أضحيته ، لأن الله يقول (فكلوا منها)] قال ابن وهب : [وسألت لقيث ، فقال لي مثل ذلك .

وقال صفيان الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم : (فكلوا منها) ، قال : كان للمشركون لا يأكلون من ذبائحهم ، فرخص للمسلمين ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل ، وروى عن مجاهد ، وعطاء ، نحو ذلك .

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٤٣ .

(٢) لي ، قطعة .

(٣) مسلم ، كتاب الحج ، باب : حبة التي صلى الله عليه وسلم ، ٤٢/٤ . وسنن أبي خازم ، كتاب المناسك ، باب : صلة حبة التي صلى الله عليه وسلم ، الحديث ١٩٠٥ : ١٨٦/٢ . ونسخة الأحرشي ، أبواب الحج ، باب : ما جاء : كم حج التي صلى الله عليه وسلم ، الحديث ٨١٢ : ٥٤٥/٢ . وابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب : حبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث ٣٥٧ : ١٢٦/٢ . وكتاب الأساس ، باب : الأكل من هرم القمح ، الحديث ٣١٥٨ : ١٥٥/٢ .

قال هشيم ، عن حصين ، عن مجاهد في قوله (فكلوا منها) : هي كقولك : (فإذا حللتم فاصطادوا) ، (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) (١) .

وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره ، واستدل من لصر القول بأن الأضحية يتصدق منها بالنصف بقوله في هذه الآية (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) ، فجزأها نصفين : نصف للمضحي ، ونصف للفقراء ؛

والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثلث له ، وثلث يديه ، وثلث يتصدق به ، بقوله في الآية الأخرى : (فكلوا منها وأطعموا الفقير) (٢) . وللمعنى . وسيأتى الكلام عليها عندنا ، إن شاء الله ، وبه الثقة ؛

وقوله : (البائس الفقير) ، قال عكرمة : هو المضطر الذي عليه البؤس ، [والفقير] : للمتعفف ؛

وقال مجاهد : هو الذي لا يسطر يده . وقال قتادة : هو الزمن (٣) . وقال مقاتل بن حيان : هو الضرب ؛

وقوله : (لم يقضوا فنفهم) ، قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو وضع [الإحرام] ، من حلقت الرأس وليس الثياب ونقص الأظفار ، ونحو ذلك (٤) ؛ وهكذا روى عطامه ومجاهد ، عنه . وكذا قال عكرمة ، ومحمد بن كسب القرظي .

وقال عكرمة ، عن ابن عباس : (لم يقضوا فنفهم) ، قال : التفت ؛ المناسك ؛

وقوله : (وليوفوا للورهم) ، قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني تحرمائل من أمر البدن ؛

وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد : (وليوفوا للورهم) : للز الحنج والمئذى وما نذر الإنسان من شيء . يكون في الحج ؛

[وقال] إبراهيم بن مسرة ، عن مجاهد : (وليوفوا للورهم) ، قال : التائب ؛

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : (وليوفوا للورهم) : كل نذر إلى أجل ؛

وقال عكرمة : (وليوفوا للورهم) ، قال : للز الحنج ، فكل من دخل الحج فعليه من العمل فيه : الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ، وحرقة ، ولزدة ، ورى الجبار ، حل مائروا به : ورؤى عن مالك نحو هذا ؛

وقوله : (وليطوفوا بالبيت الحقيق) ، قال مجاهد : يعني الطواف الواجب يوم النحر ؛

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا حماد ، عن أبي حمزة قال : قال لي ابن عباس

أنقر أسورة الحج ؟ يقول الله : (وليطوفوا بالبيت الحقيق) ، فإن آخر للمناسك الطواف بالبيت ؛

قلت : وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برى الجمرة ، فرماها بسبع حصيات ، ثم نحر هدبه ، وحلق رأسه ، ثم أفاض فطاف بالبيت : وفي الصحيح عن ابن عباس أنه قال : أمر الناس إن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف (٥) ، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض ؛

(١) تفسير الطبري : ١٧/١٠٩ .

(٢) سورة الحج : آية ٣٦ .

(٣) الزمن : هو للمصابي بآفة لازمة .

(٤) تفسير الطبري : ١٧/١١٠ .

(٥) سنن أبي داود : كتاب المناسك ، باب : ودعاء . الحديث ٢٠٠٢ : ٢٠٨٧٢ . والروا : كتاب الحج ، باب

ودعاء البيت . الحديث ١٢٢ : ٣٧٠/١ . ومسنن الإمام أحمد : ١٦٦/٢ : ٤١٧ : ٤٢١/٦ .

وقوله : (بالبيت العتيق) ، فيه مستدل لمن ذهب إلى أنه يجب الطواف من وراء الحجر ، لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم ، وإن كانت قريش قد أخرجه من البيت ، حين قصرت بهم الثقة ، ولهذا طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر ، ولتبر أن الحجر من البيت ، ولم يستلم الركنين الشاميين ، لأنهما لم يتما على قواعد إبراهيم الحقيقة ، ولهذا قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي [ابن] حدثنا [ابن] عمر العدي ، حدثنا صفيان ، عن هشام بن حجير ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : (وليطوفوا بالبيت العتيق) ، طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ورثته : وقال قتادة ، عن الحسن البصري في قوله : (وليطوفوا بالبيت العتيق) : لأنه أول بيت وضع للناس : وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

وعن حكيم أنه قال : إنما سمي البيت العتيق ، لأنه أعتق يوم الفراق زمان لوح .

وقال غصيف : إنما سمي البيت العتيق ، لأنه لم يظهر عليه جبار قط .

وقال ابن أبي نجيب وليث بن جاهد : أعتق من الجبارة أن يسلفوا عليه : وكذا قال قتادة .

وقال جاهد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن جاهد : لأنه لم يرد له أحد يسوء إلا هلك .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري عن [ابن] الزبير قال : إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبارة .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن إسماعيل وخبر واحد ، حدثنا عبد الله بن صالح ، أخبرني البيت ، عن عبد الرحمن ابن خالد ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عمرو ، عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما سمي البيت العتيق ، لأنه لم يظهر عليه جبار (١) .

وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن سهل التجار ، عن عبد الله بن صالح ، به . وقال : إن كان صحيحا (٢) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، ثم رواه من وجه آخر عن الزهري ، مرسلا .

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْلِمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا بَسَلْ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿١٥﴾ حُنْفَاءَ قَدْ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا نَرَأَىٰ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَّتْهُ الطُّيُورُ أَوْ تَوَيْدَ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ هَرَبٍ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء للتلذذ ، وما لفاعلها من الثواب الجزيل .

(ومن يعلم حرمت الله) ، أي : ومن يحبب معاصيه ويحاربه ويكون ارتكابها عظما في نفسه ، (فهو خير له عند رب) ، أي : فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل ، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير ، كذلك على ترك المحرمات والمخطئيات .

(١) نسخة الأحمد ، تفسير سورة الحج ، الحديث ٣٢١٩ ، ١٤/٩ .

(٢) تفسير قطيب : ١١١/١٧ .

قال ابن جريج : قال مجاهد في قوله : (ذلك ومن يظم حرمات الله) ، قال : الحُرمة : مكة والحج والعمرة ، وما نهي الله عنه من معاصيه كلها . وكذلك قال ابن زيد .^(١)

وقوله : (ولعلبت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم) ، أي : أعلنت لكم جميع الأنعام ، وما جعل الله من بحيرة ، ولا سائمة ، ولا وصيلة ، ولا حام .

وقوله : (إلا ما يتلى عليكم) ، أي : من تحريم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير . وما أجل لكم الله به وللتخفة والموقوفة ، وللتردية ، والتلطية وما أكل السبع . قال ذلك ابن جريج ، وحكاه عن قتادة .^(٢)

وقوله : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) : « من » هاهنا لبيان الجنس ، أي : اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان . وقرن الشرك بالله بقول الزور ، كقوله : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والأثم والبغى بغير الحق ، وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)^(٣) ، ومنه شهادة الزور : وفي الصحيحين من أين بكرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أتيدكم بأكر الكبار ؟ قلنا : بلى ، يا رسول الله ؟ قال : الإشرک بالله وعقوق الوالدين . — وكان متكئا فجلس ، فقال : — ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور : لما زال يكرها ، حتى قلنا : ليته سكنت .^(٤)

وقال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الثوري ، أبانا سفيان بن زياد ، عن فاطمة بن فضالة ، عن ابن عمر ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : يا أيها الناس ، صدقت شهادة الزور إشراكاً بالله ، ثلاثاً ، ثم قرأ : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور)^(٥) .

ومكنا رواه الثوري ، عن أحمد بن منيع ، عن [مروان] بن معاوية ، به . ثم قال : « خرب » : إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد : وقد اختلف عنه في رواية هذا الحديث ، ولا تعرف لأبي بن خريم مباحاً من أنبي صلى الله عليه وسلم .^(٦)

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا سفيان المصفرى ، عن أبيه ، عن حبيب بن النعمان الأسدي ، عن خريم بن فاطمة الأسدي قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، فلما انصرف قام قائماً فقال : صدقت شهادة الزور الإشرک بالله ، أمر وجل ، ثم تلا هذه الآية : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) . فحلف الله غير مكرمين به .^(٧)

وقال سفيان الثوري ، عن حاصم بن أبي السجود ، عن وائل بن ربيعة ، عن ابن مسعود أنه قال : تعدل شهادة الزور بالشرك بالله ، ثم قرأ هذه الآية .^(٨)

(١) - تفسير الطبري : ١١٢/١٧ .

(٢) - سورة الأعراف : آية ٣٣ .

(٣) - البخاري ، كتاب استنباط المرفعين : ١٧/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان التكبار وأكبرها : ٩٤/١ .

(٤) - مسند الإمام أحمد : ١٧٨/٤ . ٢٢٣ .

(٥) - تحفة الأحرف : أبواب للشهادات ، الحديث ٢٤٠٧ - ٥٨٥/٦ - ٥٨٦ .

(٦) - مسند الإمام أحمد : ٣٢١/٤ .

(٧) - تفسير الطبري : ١١٢/١٧ .

ودله (حقاً) ، أي : مختص به الدين ، منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحق ، ولهذا قال (غير مشترك به) .

ثم ضرب للمشارك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال : (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء) ، أي : سقط منها ، (فخطفه الطير) ، أي : تقطعه الطيور في الهواء ، (أو هوى به الريح في مكان هين) ، أي : هين مهلك لمن هوى فيه ، ولهذا جاء في حديث البراء : إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت ، وصعدوا بروحه إلى السماء ، فلا تفتح له أبواب السماء ، بل تطرح روحه طرحاً من هناك . ثم قرأ هذه الآية ، وقد تقدم الحديث في « سورة إبراهيم » (١) ، بحروفه وألفاظه وطرقه .

وقد ضرب تعالى للمشارك مثلاً آخر في « سورة الأنعام » ، وهو قوله : (قل : أأنعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ، ولرد على أفتاننا بعد إذ هدانا الله ، كاللئى استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدخونه إلى الهدى انظروا) ، قل : إن هدى الله فهو الهدى (٢) .

ذَٰلِكَ وَمِنْ عَظَمِ شَعَائِرِ اللَّهِ فَإِنَّمَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿١٦﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلَةٌ إِلَىٰ

ذَلِكِ لِلْعَاقِبِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى : هذا (ومن عظم شعائر الله) ، أي : أولاه ، (فإنما من تقوى القلوب) ، ومن ذلك تعظيم المدايا والبدن ، كما قال الحكم ، عن مفسرهم ، عن ابن عباس : تعظيمها : استحيائها واستحسانها (٣) .

وقال ابن حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن أبي ليلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (ذلك ومن يعظم شعائر الله) قال : الاستحياء والاستحسان والاستعظام . وقال أبو أمامة بن سهل : كنا نسمي الأضحية بالبدنة ، وكان المسلمون يستنون . رواه البخاري (٤) .

ومن أثره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دم ضراف أحب إلى الله من دم سوداوين . رواه أحمد (٥) . وابن ماجه .

قالوا : والضراف هي البيضاء بياضاً ليس بتاصع ، فالبيضاء أفضل من غيرها ، وغيرها مجزئة أيضاً . لما أيت في صحيح البخاري ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحى بكيتين لمحمين أثرين (٦) .

(١) انظر تفسير الآية ٢٧ من سورة إبراهيم : ٤١٣/٤ - ٤١٥ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ٧١ .

(٣) تفسير الطبري : ١١٣/١٧ .

(٤) البخاري ، كتاب الأضاسي ، باب : في أضحية النبي صل الله عليه وسلم : ١٢٠/٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤١٧/٢ . ولم يقع لنا حديث ابن ماجه .

(٦) البخاري ، كتاب الحج ، باب : التعميد والتسبيح والتكبير قبل الإحلال عند الركوب . ج ١ : ١٦٠/٢ - ١٦١/١ .

ورواه غير البدن ثالثة : ٢١٠/٢ . ومسلم ، كتاب الأضاسي ، باب : استحباب تقضية وقتها مباشرة بلا تركيل ، والثالثة

والثالثة : ٧٧/٨ ، ٧٨ .

وعن أبي سعيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبش أقرن فحبل (١) يأكل في سواد ، ويظهر في سواد ، ويعشى في سواد .

رواه لعل السنن ، وصححه الترمذي (٢) - أي : بكبش أسود (٣) في هذه الأماكن .

وفي سنن (٤) ابن ماجه ، عن أبي رافع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين عظيمين سميتن أقرنين أملحن موجعين . قيل : هما الخصيان . وقيل : اللذان رضى (٥) خصيأهما ، ولم يقطعهما ، والله أعلم .

وكذا روى أبو داود (٦) وابن ماجه عن جابر : ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أقرنين أملحين موجعين .

وعن علي رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستثرت العين والأذن (٧) ، وأن لا نضحي بمفاتيكة ، ولا مهابرة ، ولا شرقاء ، ولا خرقاء (٨) .

رواه أحمد ، وأهل السنن ، وصححه الترمذي (٩) .

ولم عنه ، قال : ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نضحي بأعصب القرن والأذن (١٠) .

وقال سعيد بن المسيب : الضحية : النضف فأكثر (١١) .

(١) أقرن : ذي قرنين . فحبل : كامل الحلقة لم يتسلم أتياده . ويأكل في سواد : في بطنه سواد . ويعشى في سواد : في رجله سواد . ويظهر في سواد : أي مكحول ، في صلبه سواد .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأضاسي ، باب : ما يصحب من الضحايا ، الحديث ٢٧٩٩ : ٩٥/٣ . وابن ماجه ، كتاب الأضاسي ، باب : ما يصحب من الأضاسي ، الحديث ٣١٢٨ : ١٤٠٦/٢ . ونجفة الأحرفي ، أبواب الأضاسي ، باب : ما يصحب من الأضاسي ، الحديث ١٥٢٩ : ٨٠/٥ . والنسائي ، كتاب الضحايا ، باب : الكبش ، الحديث ٢٢١٢/٧ .

(٣) في المخطوطة : وصحبه الترمذي ، أبي تتيبة ، بكبش سواد في هذه الأماكن . ، ولعل الصواب ما أتيته .

(٤) كذا في الطبعات السابقة . وفي المخطوطة : وفي سنن ابن ماجه ، عن أبي رافع . ، والحديث أخرجه ابن ماجه من مائة . وعن أبي هريرة . انظر كتاب الأضاسي ، الحديث ٣١٢٢/٢ : ١٠٤٤ : ١٠٤٤ . وسنن أبي رافع من السنة : ٣٩١٤/٨ .

(٥) الرضى : الذق .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأضاسي ، الحديث ٢٧٩٥ : ٩٥/٣ .

(٧) أي : لنظر إليها ، وتعامل في صلاحها من آلة تكون بها ، كالصور ، والبيدج .

(٨) المفاتيكة - بفتح الباء - التي قطع من قبل أذنها في . ثم ترك سلفاً من مقدمها . والمهابرة : هي التي قطع من دبر أذنها وترك سلفاً من مؤخرها . والخرقاء : المشتققة الأذن طولاً ، من الشرق وهو : الشق ، ومنه أيام التشريق ، فإن فيها تفرق لوم القرابين . والخرقاء : المشتققة الأذن ثقباً مستديراً ، وقيل : الخرقاء ما قطعت أذنها طولاً ، والخرقاء ما قطعت أذنها عرضاً .

والنظر في تفسير ذلك أيضاً مست الإمام أحمد : ١٤٩/١ . ونجفة الأحرفي ، الحديث ١٥٣٣ : ٨٣/٥ .

(٩) مست الإمام أحمد : ٨٠/١ : ١٠٨ : ١٢٨ : ١٤٩ . وسنن أبي داود وكتاب الأضاسي ، باب : ما يكره من الضحايا ، الحديث ٢٨٠٤ : ٩٧/٣ : ٩٨ . والنسائي ، كتاب الضحايا ، باب : والخرقاء وهي : مشقوقة الأذن : ٢١٧/٧ . وابن ماجه ،

كتاب الأضاسي ، باب : ما يكره أن يضحي به ، الحديث ٣١٤٢ : ١٠٥٠/٢ . ونجفة الأحرفي ، أبواب الأضاسي ، باب : ما يكره من الأضاسي ، الحديث ١٥٣٣ : ٨٣/٥ .

(١٠) مست الإمام أحمد : ٨٣/١ : ١٠٩ : ١٢٧ . ونجفة الأحرفي ، أبواب الأضاسي ، باب : في الاشتراك في الضحية . ، الحديث ١٥٤٠ : ٨٩/٥ : ٩٠ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وسنن أبي داود ، كتاب الأضاسي ، باب : ما يكره من الضحايا ، الحديث ٢٨٠٥ : ٩٨/٣ . والنسائي ، كتاب الضحايا ، باب : والضحية ، الحديث ٢١٧/٧ : ٢١٨ .

وابن ماجه ، كتاب الأضاسي ، باب : ما يكره أن يضحي به ، الحديث ٣١٤٥ : ١٠٥١/٢ .

(١١) انظر قول سعيد بن المسيب في مست الإمام أحمد : ١٢٧/١ . وسنن أبي داود منه الحديث المتقدم . وكذلك الترمذي ، والنسائي . وفي النهاية لابن الأثير : الأحصب القرن ، هو المكسور القرن ، وقد يقرن في الأذن أيضاً إلا أنه في القرن أكثر .

وقال بعض أهل اللغة : إن كُسِرَ قَرْنُهَا الْأَعْلَى فَهِيَ بَيْصَاءٌ ، فَأَمَّا الْمُبْصِبَةُ فَهِيَ كَمِ الْأَسْفَلِ ، وَهَضْبَةُ الْأُذُنِ طَعْلُ بَعْضِهَا .
وعند الشافعي أن التضحية بذلك مجزئة ، لكن تكره .

وقال أحمد : لا تجزئ الأضحية بأضحية القرن والأذن ، فلما الحديث .
وقال مالك : إن كان الدم يسيل من القرن لم تجزئ ، وإلا أجزأ ، والله أعلم .
وأما المقابلة : فهي التي قطع مقدم أذنها ، وللدابة : مَنْ مَوَّخَرُ أَذْنِهَا : وَالشَّرْقَاءُ : هِيَ الَّتِي قَطَعْتَ أَذْنُهَا طَوْلًا ، قَالَ الشَّافِعِيُّ : وَالْمَرْقَاءُ : هِيَ الَّتِي خَرَّكَتِ السَّيِّئَةَ أَذْنُهَا عَرَقًا مَدُونًا ، وَاللهُ أَعْلَمُ .
وعن البراء قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضْحَايِ : الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرَتُهَا ، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا ، وَالرَّجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلَمَتُهَا (١) ، وَالْكُسْرَاءُ الَّتِي لَا تُغْنِي (٢) .
رواه أحمد ، وأهل السنن ، وصححه الترمذي (٣) .

وحله العويبة تنقص اللحم ، فَنَضَفَهَا وَعَجَزَها عَنْ اسْتِكْمَالِ الرَّمْيِ ، لِأَنَّ الشَّاهَ يَسْبِقُونَهَا إِلَى الرَّمْيِ ، فَلِهَذَا لَا تَجُزئُ التَضَحِيَةُ بِهَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَكْبَامَةِ ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَالَفَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ فِي الْمَرِيضَةِ مُؤَصِّلًا يَسِيرًا ، عَلَى قَوْلَيْهِ .

وروى أبو داود ، عَنْ حُثَيْبِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْمُشْتَرَكَةِ ، وَالْمُسْتَأْمَلَةِ ، وَالْمُضَفَّرَةِ (٤) .

فَالْمُضَفَّرَةُ قِيلَ : الْفَرْزَةُ ، وَقِيلَ : الْمُسْتَأْمَلَةُ الْأَذْنُ ، وَالْمُسْتَأْمَلَةُ : الْكُسُورَةُ الْقَرْنُ ، وَالْبَيْضَاءُ : هِيَ الْعَوْرَاءُ (٥) .
وَالْمُشَبَّهَةُ : هِيَ الَّتِي لَا تَزَالُ تُخْتَبَعُ تَحْتَ الْغَنَمِ (٦) ، وَلَا تُغْنِي لِنَفْسِهَا : الْكُسْرَاءُ : الْفَرْجَاءُ .

فهذه النيوب كلها مائة [مِنَ الْأَجْزَاءِ] فَإِنْ طَرَأَ الْعِيْبَةُ [بِهَا تَعْيِينُ الْأَضْحِيَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ عِيْبُهُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ ،

(١) الخلع - بنتحين - الفرج .

(٢) يقال : أَقْبَتَ نَذْلًا ، إِذَا صَارَتْ ذَاتُ لَبٍ - يَكْمُرُ فَسْكُودٌ - وَهُوَ مَخِيطُ النَّظَامِ ، فَالْبُيْءُ الَّذِي فِي الْمَرْوَةِ .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٢٨٤/٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ - وَالتَّبَاتِيُّ : كِتَابُ الصَّحَابِ ، بَابُهُ الْمَرْجَاءُ . ٢/٥٧١ ، ٢/٥٧٢ ، ٢/٥٧٣ ، ٢/٥٧٤ ، ٢/٥٧٥ ، ٢/٥٧٦ ، ٢/٥٧٧ ، ٢/٥٧٨ ، ٢/٥٧٩ ، ٢/٥٨٠ ، ٢/٥٨١ ، ٢/٥٨٢ ، ٢/٥٨٣ ، ٢/٥٨٤ ، ٢/٥٨٥ ، ٢/٥٨٦ ، ٢/٥٨٧ ، ٢/٥٨٨ ، ٢/٥٨٩ ، ٢/٥٩٠ ، ٢/٥٩١ ، ٢/٥٩٢ ، ٢/٥٩٣ ، ٢/٥٩٤ ، ٢/٥٩٥ ، ٢/٥٩٦ ، ٢/٥٩٧ ، ٢/٥٩٨ ، ٢/٥٩٩ ، ٢/٦٠٠ ، ٢/٦٠١ ، ٢/٦٠٢ ، ٢/٦٠٣ ، ٢/٦٠٤ ، ٢/٦٠٥ ، ٢/٦٠٦ ، ٢/٦٠٧ ، ٢/٦٠٨ ، ٢/٦٠٩ ، ٢/٦١٠ ، ٢/٦١١ ، ٢/٦١٢ ، ٢/٦١٣ ، ٢/٦١٤ ، ٢/٦١٥ ، ٢/٦١٦ ، ٢/٦١٧ ، ٢/٦١٨ ، ٢/٦١٩ ، ٢/٦٢٠ ، ٢/٦٢١ ، ٢/٦٢٢ ، ٢/٦٢٣ ، ٢/٦٢٤ ، ٢/٦٢٥ ، ٢/٦٢٦ ، ٢/٦٢٧ ، ٢/٦٢٨ ، ٢/٦٢٩ ، ٢/٦٣٠ ، ٢/٦٣١ ، ٢/٦٣٢ ، ٢/٦٣٣ ، ٢/٦٣٤ ، ٢/٦٣٥ ، ٢/٦٣٦ ، ٢/٦٣٧ ، ٢/٦٣٨ ، ٢/٦٣٩ ، ٢/٦٤٠ ، ٢/٦٤١ ، ٢/٦٤٢ ، ٢/٦٤٣ ، ٢/٦٤٤ ، ٢/٦٤٥ ، ٢/٦٤٦ ، ٢/٦٤٧ ، ٢/٦٤٨ ، ٢/٦٤٩ ، ٢/٦٥٠ ، ٢/٦٥١ ، ٢/٦٥٢ ، ٢/٦٥٣ ، ٢/٦٥٤ ، ٢/٦٥٥ ، ٢/٦٥٦ ، ٢/٦٥٧ ، ٢/٦٥٨ ، ٢/٦٥٩ ، ٢/٦٦٠ ، ٢/٦٦١ ، ٢/٦٦٢ ، ٢/٦٦٣ ، ٢/٦٦٤ ، ٢/٦٦٥ ، ٢/٦٦٦ ، ٢/٦٦٧ ، ٢/٦٦٨ ، ٢/٦٦٩ ، ٢/٦٧٠ ، ٢/٦٧١ ، ٢/٦٧٢ ، ٢/٦٧٣ ، ٢/٦٧٤ ، ٢/٦٧٥ ، ٢/٦٧٦ ، ٢/٦٧٧ ، ٢/٦٧٨ ، ٢/٦٧٩ ، ٢/٦٨٠ ، ٢/٦٨١ ، ٢/٦٨٢ ، ٢/٦٨٣ ، ٢/٦٨٤ ، ٢/٦٨٥ ، ٢/٦٨٦ ، ٢/٦٨٧ ، ٢/٦٨٨ ، ٢/٦٨٩ ، ٢/٦٩٠ ، ٢/٦٩١ ، ٢/٦٩٢ ، ٢/٦٩٣ ، ٢/٦٩٤ ، ٢/٦٩٥ ، ٢/٦٩٦ ، ٢/٦٩٧ ، ٢/٦٩٨ ، ٢/٦٩٩ ، ٢/٧٠٠ ، ٢/٧٠١ ، ٢/٧٠٢ ، ٢/٧٠٣ ، ٢/٧٠٤ ، ٢/٧٠٥ ، ٢/٧٠٦ ، ٢/٧٠٧ ، ٢/٧٠٨ ، ٢/٧٠٩ ، ٢/٧١٠ ، ٢/٧١١ ، ٢/٧١٢ ، ٢/٧١٣ ، ٢/٧١٤ ، ٢/٧١٥ ، ٢/٧١٦ ، ٢/٧١٧ ، ٢/٧١٨ ، ٢/٧١٩ ، ٢/٧٢٠ ، ٢/٧٢١ ، ٢/٧٢٢ ، ٢/٧٢٣ ، ٢/٧٢٤ ، ٢/٧٢٥ ، ٢/٧٢٦ ، ٢/٧٢٧ ، ٢/٧٢٨ ، ٢/٧٢٩ ، ٢/٧٣٠ ، ٢/٧٣١ ، ٢/٧٣٢ ، ٢/٧٣٣ ، ٢/٧٣٤ ، ٢/٧٣٥ ، ٢/٧٣٦ ، ٢/٧٣٧ ، ٢/٧٣٨ ، ٢/٧٣٩ ، ٢/٧٤٠ ، ٢/٧٤١ ، ٢/٧٤٢ ، ٢/٧٤٣ ، ٢/٧٤٤ ، ٢/٧٤٥ ، ٢/٧٤٦ ، ٢/٧٤٧ ، ٢/٧٤٨ ، ٢/٧٤٩ ، ٢/٧٥٠ ، ٢/٧٥١ ، ٢/٧٥٢ ، ٢/٧٥٣ ، ٢/٧٥٤ ، ٢/٧٥٥ ، ٢/٧٥٦ ، ٢/٧٥٧ ، ٢/٧٥٨ ، ٢/٧٥٩ ، ٢/٧٦٠ ، ٢/٧٦١ ، ٢/٧٦٢ ، ٢/٧٦٣ ، ٢/٧٦٤ ، ٢/٧٦٥ ، ٢/٧٦٦ ، ٢/٧٦٧ ، ٢/٧٦٨ ، ٢/٧٦٩ ، ٢/٧٧٠ ، ٢/٧٧١ ، ٢/٧٧٢ ، ٢/٧٧٣ ، ٢/٧٧٤ ، ٢/٧٧٥ ، ٢/٧٧٦ ، ٢/٧٧٧ ، ٢/٧٧٨ ، ٢/٧٧٩ ، ٢/٧٨٠ ، ٢/٧٨١ ، ٢/٧٨٢ ، ٢/٧٨٣ ، ٢/٧٨٤ ، ٢/٧٨٥ ، ٢/٧٨٦ ، ٢/٧٨٧ ، ٢/٧٨٨ ، ٢/٧٨٩ ، ٢/٧٩٠ ، ٢/٧٩١ ، ٢/٧٩٢ ، ٢/٧٩٣ ، ٢/٧٩٤ ، ٢/٧٩٥ ، ٢/٧٩٦ ، ٢/٧٩٧ ، ٢/٧٩٨ ، ٢/٧٩٩ ، ٢/٨٠٠ ، ٢/٨٠١ ، ٢/٨٠٢ ، ٢/٨٠٣ ، ٢/٨٠٤ ، ٢/٨٠٥ ، ٢/٨٠٦ ، ٢/٨٠٧ ، ٢/٨٠٨ ، ٢/٨٠٩ ، ٢/٨١٠ ، ٢/٨١١ ، ٢/٨١٢ ، ٢/٨١٣ ، ٢/٨١٤ ، ٢/٨١٥ ، ٢/٨١٦ ، ٢/٨١٧ ، ٢/٨١٨ ، ٢/٨١٩ ، ٢/٨٢٠ ، ٢/٨٢١ ، ٢/٨٢٢ ، ٢/٨٢٣ ، ٢/٨٢٤ ، ٢/٨٢٥ ، ٢/٨٢٦ ، ٢/٨٢٧ ، ٢/٨٢٨ ، ٢/٨٢٩ ، ٢/٨٣٠ ، ٢/٨٣١ ، ٢/٨٣٢ ، ٢/٨٣٣ ، ٢/٨٣٤ ، ٢/٨٣٥ ، ٢/٨٣٦ ، ٢/٨٣٧ ، ٢/٨٣٨ ، ٢/٨٣٩ ، ٢/٨٤٠ ، ٢/٨٤١ ، ٢/٨٤٢ ، ٢/٨٤٣ ، ٢/٨٤٤ ، ٢/٨٤٥ ، ٢/٨٤٦ ، ٢/٨٤٧ ، ٢/٨٤٨ ، ٢/٨٤٩ ، ٢/٨٥٠ ، ٢/٨٥١ ، ٢/٨٥٢ ، ٢/٨٥٣ ، ٢/٨٥٤ ، ٢/٨٥٥ ، ٢/٨٥٦ ، ٢/٨٥٧ ، ٢/٨٥٨ ، ٢/٨٥٩ ، ٢/٨٦٠ ، ٢/٨٦١ ، ٢/٨٦٢ ، ٢/٨٦٣ ، ٢/٨٦٤ ، ٢/٨٦٥ ، ٢/٨٦٦ ، ٢/٨٦٧ ، ٢/٨٦٨ ، ٢/٨٦٩ ، ٢/٨٧٠ ، ٢/٨٧١ ، ٢/٨٧٢ ، ٢/٨٧٣ ، ٢/٨٧٤ ، ٢/٨٧٥ ، ٢/٨٧٦ ، ٢/٨٧٧ ، ٢/٨٧٨ ، ٢/٨٧٩ ، ٢/٨٨٠ ، ٢/٨٨١ ، ٢/٨٨٢ ، ٢/٨٨٣ ، ٢/٨٨٤ ، ٢/٨٨٥ ، ٢/٨٨٦ ، ٢/٨٨٧ ، ٢/٨٨٨ ، ٢/٨٨٩ ، ٢/٨٩٠ ، ٢/٨٩١ ، ٢/٨٩٢ ، ٢/٨٩٣ ، ٢/٨٩٤ ، ٢/٨٩٥ ، ٢/٨٩٦ ، ٢/٨٩٧ ، ٢/٨٩٨ ، ٢/٨٩٩ ، ٢/٩٠٠ ، ٢/٩٠١ ، ٢/٩٠٢ ، ٢/٩٠٣ ، ٢/٩٠٤ ، ٢/٩٠٥ ، ٢/٩٠٦ ، ٢/٩٠٧ ، ٢/٩٠٨ ، ٢/٩٠٩ ، ٢/٩١٠ ، ٢/٩١١ ، ٢/٩١٢ ، ٢/٩١٣ ، ٢/٩١٤ ، ٢/٩١٥ ، ٢/٩١٦ ، ٢/٩١٧ ، ٢/٩١٨ ، ٢/٩١٩ ، ٢/٩٢٠ ، ٢/٩٢١ ، ٢/٩٢٢ ، ٢/٩٢٣ ، ٢/٩٢٤ ، ٢/٩٢٥ ، ٢/٩٢٦ ، ٢/٩٢٧ ، ٢/٩٢٨ ، ٢/٩٢٩ ، ٢/٩٣٠ ، ٢/٩٣١ ، ٢/٩٣٢ ، ٢/٩٣٣ ، ٢/٩٣٤ ، ٢/٩٣٥ ، ٢/٩٣٦ ، ٢/٩٣٧ ، ٢/٩٣٨ ، ٢/٩٣٩ ، ٢/٩٤٠ ، ٢/٩٤١ ، ٢/٩٤٢ ، ٢/٩٤٣ ، ٢/٩٤٤ ، ٢/٩٤٥ ، ٢/٩٤٦ ، ٢/٩٤٧ ، ٢/٩٤٨ ، ٢/٩٤٩ ، ٢/٩٥٠ ، ٢/٩٥١ ، ٢/٩٥٢ ، ٢/٩٥٣ ، ٢/٩٥٤ ، ٢/٩٥٥ ، ٢/٩٥٦ ، ٢/٩٥٧ ، ٢/٩٥٨ ، ٢/٩٥٩ ، ٢/٩٦٠ ، ٢/٩٦١ ، ٢/٩٦٢ ، ٢/٩٦٣ ، ٢/٩٦٤ ، ٢/٩٦٥ ، ٢/٩٦٦ ، ٢/٩٦٧ ، ٢/٩٦٨ ، ٢/٩٦٩ ، ٢/٩٧٠ ، ٢/٩٧١ ، ٢/٩٧٢ ، ٢/٩٧٣ ، ٢/٩٧٤ ، ٢/٩٧٥ ، ٢/٩٧٦ ، ٢/٩٧٧ ، ٢/٩٧٨ ، ٢/٩٧٩ ، ٢/٩٨٠ ، ٢/٩٨١ ، ٢/٩٨٢ ، ٢/٩٨٣ ، ٢/٩٨٤ ، ٢/٩٨٥ ، ٢/٩٨٦ ، ٢/٩٨٧ ، ٢/٩٨٨ ، ٢/٩٨٩ ، ٢/٩٩٠ ، ٢/٩٩١ ، ٢/٩٩٢ ، ٢/٩٩٣ ، ٢/٩٩٤ ، ٢/٩٩٥ ، ٢/٩٩٦ ، ٢/٩٩٧ ، ٢/٩٩٨ ، ٢/٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٢ ، ١٦١٣ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، ١٦١٨ ، ١٦١٩ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣٠

وقلدوى الإمام أحمد ، عن أبي سعيد قال : اشترت كبشا أضفى به ، لهذا الذئب فأخذ الآية (١) : غسأت النجس صلى الله عليه وسلم ، فقال : ضحَّ به (٢) :

وهذا في الحديث : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لئشترف الميع والاذن » أى : أن تكون اللحية أو الأضحية مسمية حصنة لئينة ، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود ، عن عبد الله بن عمر قال : أهدى عمر نجيباً (٣) ، فأعطى بها ثلاثمائة دينار ، فألقى النجى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني أهديت نجيباً ، فأعطيت بها ثلاثمائة دينار ، فأأينمها ولشترى بدينها ؟ قال : لا ، اشترها بإيها (٤) .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : البدن من شعائر الله .
وقال محمد بن [أبى] موسى : الوقوف ومزدلفة والجمار والرى والبدن والحلق : من شعائر الله (٥) ،
وقال ابن عمر : أعظم الشعائر البيت .

وقوله : (لكم فيها منافع) ، أى : لكم في البدن منافع ، من لبنها ، وصوفها وأرباها وأشعارها ، وركوبها .
(إلى أجل مسمى) ، قال سمس ، عن ابن عباس : (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) ، قال : ما لم يمسَّ بدنًا (٦) .
وقال مجاهد في قوله : (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) ، قال : الركوب واللبن والولد ، فإذا سُميت بدنة أو هدياً ، ذهب ذلك كله . وكذا قال عطاء ، والضحاك ، وتادة ، وعطاء الخرساني ، وغيرهم .
وقال تميم : بل له أن يقطع بها وإن كانت هدياً ، إذا احتاج إلى ذلك . كما ثبت في الصحيحين عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يسوق بدكة ، قال : اركبها ، قال : إنها بدكة ، قال : اركبها ، وبكك . في الثانية أو الثالثة (٧) ،

وفي رواية لمسلم ، عن جابر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اركبها بالمعروف إذا ألجشت إليها (٨) ،
وقال شعبه ، عن زهير بن أبى ثابت الأحمى ، عن المغيرة بن حذاف ، عن علي أنه رأى رجلاً يسوق بدنة ومهما ولدها ، فقال : لا تشرب من لبنها إلا ما فضل عن ولدها ، فإذا كان يوم النحر قاذبها وولدها .

(١) الآية : طرف اللثة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٢/٣ .

(٣) النجيب من الأبل : القرى منها . أظن للبربع . والنجيب : الناضل من كل حيوان . « و نجيباً » هكذا في ابن كثير . ومثله في أسنى نسخ أبى داود ، وفي نسخة أخرى والمسند « نجيباً » ، بالياء والراء ، وهو الواحد من الأبل الخرسانية .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٤٥/٢ ، وسنن أبى داود : كتاب المناسك ، باب « تبديل الهدي » ، أظن في ١٦٥٦ : ٢ .

١٤٧ : ١٤٦ .

(٥) تفسير الطبري : ١١٣/١٧ : ١١٤ .

(٦) تفسير الطبري : ١١٤/١٧ . والمعنى : ما لم يمسها معها إلى بدت الله تعالى في الحج ، فلا يركب سبيل .

(٧) البخاري ، كتاب الحج ، باب « ركوب البدن » ، ٢٠٥/٢ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب « جواز ركوب البدن للمهذبة من أصحابها » ، ٩١/٤ .

(٨) مسلم ، في الكتاب والباب المتضمنين : ٩٢/٤ .

وقوله : (فإلهم له واحد فله أسلموا) ، أي : معبودكم واحد ، وإن تنوعت شرائع الأديان وتسخر بعضها بعضا ، فالجميع يحدون إلى عبادة الله وحده ، لا شريك له ، (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه : أنه لا إله إلا أنا ، فاعبدون (١)) : ولهذا قال : (فله أسلموا) ، أي : أنخلصوا واستسلموا لحكمه وملائته :

(ويشر الخبيثين) ، قال مجاهد : المظلمتين : وقال الضحاك : للخواصين : وقال السدي : الرجلين . وقال عمرو بن أوس : الخبيثون : الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا (٢) :

وقال الثوري : (ويشر الخبيثين) ، قال : المظلمتين الراغبين بقضاء الله ، المستسلمين له .

ولحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله : (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) ، أي : خالت منه قلوبهم ، (والصابرين على ما أمروهم) ، أي : من للصاب .

قال الحسن البصري : والله تصبرن لو تهلكن .

(والقيى الصلاة) - قرأ الجمهور بالإضافة - السبعة ، وبقية العشرة أيضا : وقرأ ابن السكيت (٣) : (والمقيمين الصلاة) بالنصب .

وقال الحسن البصري : (والقيى الصلاة) : وإنما حلفت التوّن هاهنا تخفيفا ، ولو حلفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ، ولكن حل سبيل [التخفيف (٤)] فنصبت :

أي : المؤمنين حق الله فيا ألوجب عليهم من أداء فرائضه ، (وما وزقناهم يثقون) ، أي : ويثقلون بما آتاهم الله من طيب الرزق على أهلهم وأقاربهم وقراباتهم ، وقرائهم ومعاوئهم ، ويحسون إلى خلق الله مع محافظتهم حل حدود الله ، وهذه بخلاف صفات المنافقين ، فإنهم بالعكس من هذا كله ، كما تقدم تفسيره في سورة براءة (٥) :

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧/١١٧ .

(٣) السبيل ، بالتألف ، كان في اللسان . وهو عهد بن عبد الرحمن بن السميع أبو عبد الله البجلي : مترجم في طبقات القراء لابن الجزري : ١٦١/٢ .

(٤) قرأ الحسن ، وابن أبي إسحاق ، وأبو هريرة - في رواية عنه - : (الصلاة) ، بالنصب ، مع حلف التوّن . وقد وجه حلف التوّن بأنه تخفيف لا لإضافة ، يقول أبو الفتح بن جني في المحقق ٨٠/٢ : أواد (المقيمين) ، حلف التوّن تخفيفا ، لا لاصطلاح الإضافة ، وفيه ذلك بالبين واللين في قوله :

فإن التي حلفت بفتح هذا هم . هم القوم كل القوم يأثم حاله

حلفت التوّن من (الذين) تخفيفا ، فإما الإضافة فاستلقت هنا ، وعليه قول الأخطي :

أني كليب ، إن همي الله . تلتا الملوك وتككا الأعدا

حلف تون (اللذان) ، لا ذكرنا .

(٥) انظر لتفسير الآية ٦٧ من سورة براءة : ١١٣/٤ : والآية ٧٥ - ٧٩ : ١٢٤/٤ - ١٢٨ .

أَوَالْبَدَنُ جَمَلُهُمْ مِنْ شَعْرِ اللَّهِ لَكَ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْرُوا لَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهُمْ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا لِلْقَاتِعِ وَالْمُعْتَرِ كَذَلِكَ نَحْنُ نَهَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى مبتدئاً على عباده فيما خلق لهم من البدن ، وجعلها من شعائره ، وهو أنه جعلها نهدي إلى بيته الحرام ، بل هو أفضل ما بهدي ، كما قال تعالى : (لا تملأوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ، ولا الحلى ولا الفلاحة (١)) : الآية . قال ابن جرير : قال عطاف في قوله : (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) ، قال : البقرة ، والبيع (٢) . وكذا روى عن ابن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري . وقال مجاهد : إنما البدن من الإبل .

قلت : لما إطلاق البدنة على البعير ففطن عليه ، واختلوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة ، على قولين ، أحسبهما أنه يطلق عليها ذلك شرعاً كما صح في الحديث :

ثم جمهور العلماء على أنه تجزئ البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة ، كما ثبت به الحديث عند مسلم ، من رواية جابر بن عبد الله ، قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرك في الأضراس ، البدنة عن سبعة ، والبقرة عن صبعة (٣) .

[وقال إسحاق بن راهويه وغيره : بل تجزئ البقرة [عن سبعة] والبيع عن عشرة (٤)] . وقد ورد به حديث في مسند الإمام أحمد (٥) ، وسنن النسائي ، وغيرهما : فلهذا أعلم . وقوله : (لكم فيها خير) ، أي : ثواب في الدار الآخرة .

وعن سليمان بن يزيد الكعبي ، عن هشام بن حروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما عسى ابن آدم يوم النحر علماً أحب إلى الله من هيراة (٦) دم » . وإنه يأتي يوم القيامة بقرونها (٧) وأظلالها

(١) سورة المائدة ، آية ٢ .

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١١٧ .

(٣) مسلم ، كتاب الحج ، باب الاشتراك في الحلى وأجزاء البقرة والبدنة ، كل منهما عن سبعة ، ٨٧ / ٤ - ٨٩ .

(٤) ما بين القوسين من الكلمات السابقة . وكزيادة التي فيه ، وهي « عن سبعة » . أثبتناها من القروى ، انظر التعليق التالي بتمامه .

(٥) الذي وقع لنا في مسند الإمام أحمد من ابن عباس ٢٧٥ / ١ . وهو قوله : « كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفره فبشر النضر » . فبعضنا البقرة عن سبعة ، والبيع عن عشرة . ورواه ابن ماجه في كتاب الأضراس ، باب « من كم تجزئ البدنة والبقرة » . الحديث ٣١٣١ : ١٠٤٧ / ٢ . والنسائي باب « ما تجزئ منه البدنة في الضحايا » : ٢٢١ / ٢ .

وقد ساق الترمذي حديث جابر المتقدم ، وهو « أن البقرة عن سبعة ، والبدنة عن سبعة » ثم قال : « وروى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن البقرة عن سبعة والبيزور عن عشرة » . وهو قول إسحاق ، وأصح هذا الحديث ، وسنيت ابن عباس إنما يعرفه من وجه واحد . تحفة الأحوص ، أبواب الحج ، الحديث ٩٠٦ : ٦٤٧ / ٣ ، ٦٤٨ .

(٦) أي : صبة .

(٧) وذلك يأتي ، أي : المذبح والمضيق به . وقوله : « بقرونها » ، بتأنيده الضمير ، باعتباره أضحية . كذا ورواه لفظ الحديث في مخطوطة الأثر . وابن عليه ، والقروى .

والمعاريها ، وإن الدم ليقع من الله بكان ، قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفسا : رواه ابن ماجه ، والترمذى وحسنه (١) :

وقال سفيان الثوري : كان أبو حاتم يستعين ويسوق البُذُن ، فقيل له : تستعين وتسوق البدن ؟ قال : إني سمعت الله يقول : (لكم فيها خير) :

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنفقت الزَّوقَ (٢) في شيء أفضل من بحيرة في يوم حيد . رواه الدارقطني في سننه (٣) :

وقال مجاهد : (لكم فيها خير) ، قال : أجر ومتاع (٤) .

وقال إبراهيم النخعي : يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها .

وقوله : (فاذكروا اسم الله عليها صواف) ، وعن [المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن] جابر بن عبد الله قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيد الأضحية ، فلما انصرف أتى بكبش فلبسه ، قال : باسم الله والله أكبر ، اللهم هذا هني وعن لم يفتح من أمي .

رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى (٥) :

وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن عباس ، عن جابر قال : ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم حيد ، فقال حين وجههما : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً ، وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونكسي ومحياي ومماتي لله رب العالمين : لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين ، اللهم منك ولك ، وعن محمد وأخته : ثم سعى الله وكبّر وذبح (٦) :

وعن علي بن الحسين ، عن أبي رافع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ضحى يشترى كبشين سميتين أقرنين أملحين ، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فلبسه بنفسه بالمدينة ، ثم يقول : اللهم هذا من أمي جميعها ، من شهد لك بالتحديد وشهد لي بالبلاغ : ثم يؤتى بالآخر فلبسه بنفسه ، ثم يقول : هذا من محمد وآل محمد ، فيقطعهما جميعاً المساكين ، [ويأكل] هو وأهله منهما .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الأضاحي ، باب « ثواب الأضحية » ، الحديث ٣١٢٦ ، ١٠٤٥/٧ . وحققة الأحرشي : أبواب الأضاحي ، باب « ما جاء في فضل الأضحية » ، الحديث ١٥٢٦ : ٧٣/٥ - ٧٥ .

(٢) الزوق - بكسر الزاء ، وقد يسكن تحقيلاً - ، المال من الدراهم .

(٣) سنن الدارقطني ، كتاب الأضحية وغيرها ، باب « الضحية والذبايح والأضحية ونحو ذلك » ، الحديث ٤٣ ، ٢٨٧/٤ .

(٤) تفسير الطبري ١١٧/١٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٥٦/٣ ، ٣٦٢ . وسنن أبي داود : أبواب الأضاحي ، باب « وفي الضحية يقضى بها من جمانة » .

الحديث ٢٨١٥ ، ٩٩/٣ . وحققة الأحرشي : أبواب الأضاحي ، الحديث ١٥٥٨ ، ١١٢/٥ - ١١٣ .

(٦) أشرجه ابن أبي حاتم ، وقد تقدم في سورة الأضاحي حدة الآية ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٣٧٧/٣ ، وأخرج ابن ماجه في كتاب الأضاحي ، باب « أضاحي رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣١٢١ ، ١٠٤٣/٧ .

[رولہ أحمد ، وابن ماجہ (۶)]

وقال الأعمش ، عن أبي ثعلبان ، عن ابن عباس في قوله : (فاذكروا اسم الله عليها صوائف) ، قال : قياما على ثلاث قوائم ، معقولة يذمها اليسرى ، يقول : يا حم الله والله أكبر ، اللهم منك ولك ، (۷) . وكذلك روى مجاهد ، وعن ابن أبي طلحة ، والوفى ، عن ابن عباس ، نحو هذا .

وقال ليث ، عن مجاهد : إذا عقلت رجلا اليسرى قامت على ثلاث ، وروى ابن أبي تجيح ، عنه ، نحوه .

وقال الضحاك : يُعقل رجل ورجل واحدة فتكون على ثلاث .

وفي الصحيحين عن ابن عمر : أنه أتى حل رجل قد أُلُغَ بِذِكْرِهِ وهو ينحرفها ، فقال : ابسطها قياماً مقبلة .
صفة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم (۸) .

وعن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا ينحرون البُكْدَنَ معقولة اليسرى ، فأعانة على ما بقي من قرأتها ، رولہ ابو داود (۹) .

وقال ابن تيمية : حدثني حماد بن دينار ، أن سلم بن عبد الله قال لسليان بن عبد الملك : كف من شقها الأيمن ، وانحتر من شقها الأيسر .

وفي صحيح مسلم ، عن جابر ، في صفة حجة الوداع ، قال فيه : ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثلاثاً وسبعين يدكة ، جعل يملأها بحجارة في يده (۱۰) .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن قتادة قال : في حرف ابن مسعود (۱۱) : (صوائف) ، أي : مُكْمَلَةٌ .
قياماً (۱۲) .

وقال سليمان التيمي ، عن منصور ، عن مجاهد : من قرأها (صوائف) ، قال : معقولة ومن قرأها (صوائف) ، قال : لم يفت يده يسباً .

وقال طائوس ، والحسن ، وغيرهما : (فاذكروا اسم الله عليها صوائف) ، يعني خالصة لله عز وجل ، وكلنا رولہ مالك ، عن الزهري (۱۳) .

(۱) مسند الإمام أحمد : ۸/۶ ، ۳۹۱/۶ ، ۷۹۲ . والحدیث في ابن ماجه عن أبي هريرة : انظر كتاب الأساس ، باب : أساس رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحدیث ۲۱۲۲ : ۱۰۴۳/۲ ، ۱۰۴۴ .

(۲) تفسير الطبري : ۱۱۸/۱۷ .

(۳) الترمذي ، كتاب الحج ، باب : نحو الزيل مقبلة : ۲۱۰/۲۲ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب : نحو البكدة مقبلة : ۸۹/۲۴ .

(۴) سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : كيف تضر البكدة ؟ : الحدیث ۱۷۶۷ : ۱۴۹/۲ .

(۵) لفظ مسلم - كما في كتاب الحج . باب : حجة الوداع صلى الله عليه وسلم : ۴۲/۱ - (تضر ثلاثاً وسبعين يده) . رولہ فيه له : جعل يملأها بحجارة في يده .

(۶) أنه ذكركه .

(۷) تفسير الطبري : ۱۱۹/۱۷ .

(۸) انظر المحقق لابن حبان : ۵۱۶/۲ ، ۵۲ .

وقال عبد الرحمن بن زيد (حوائى) ، ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامهم .
وقوله : (فإذا وجبت جنوبا) ، قال : ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : بنى سقطت إلى الأرض . وهو رواية عن ابن عباس ،
وكذا قال مقاتل بن حيان :

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (فإذا وجبت جنوبا) ، يعنى غمرت .
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (فإذا وجبت جنوبا) ، يعنى ماتت .
وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد ، فإنه لا يجوز الأكل من البهائم إذا تحورت حتى تغمر وتحركها .
وقد جاء في حديث مرفوع : ولا تعجلوا النشوص أن تزهدن . وقد رواه الثوري في جامعه ، عن أيوب ، عن يحيى
ابن أبي كثير ، عن ثمرانسة الحنظلي ، عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك : ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح
مسلم : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا قُتلتم فأحسنوا الذين قتلتم ، وليسعدوا أهلكم
شكرهم ، وليرحم ذبيحتهم (١)) :

وعن أبي ولقد الليثي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قطع من البهيمة وهي حية ، فهو ميتة .
ورواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وصححه (٢) :

وقوله : (فكلوا منها وأطعموا القانع والمحر) ، قال بعض السلف : قوله : (فكلوا منها) ، أمر بإباحة .
وقال مالك : يستحب ذلك ، وقال غيره : يتجيبه . وهو وجه لبعض الشافعية : وانظف في المراد بالقانع والمحر ،
فقال العوفي ، عن ابن عباس : القانع : المسقى بما أصطبله ، وهو في بيته . والمحر : الذي يتعرض لك ، ويكلم بك
أن تعطيه من اللحم ، ولا يسأل (٣) . وكذا قال مجاهد ، وعبد بن كعب القرظي :
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : القانع : للتعطيل ، والمحر : السائل . وهذا قول قتادة ، وإبراهيم
النخعي ، ومجاهد في رواية عنه ،

وقال ابن عباس : وزيد بن أسلم وعكرمة ، والحسن البصري ، وابن الكلبي ، ومقاتل بن حيان ، ومالك
ابن أنس : القانع هو الذي يتكلم إليك (٤) ويسألك . والمحر : الذي يتعرض لك ، يتشرع ولا يسألك . وهذا لفظ
الحسن :

وقال سعيد بن جبير : القانع هو السائل ، ثم قال : أما سمعت قول الشَّعْثَانِ (٥) :
لَسَاكُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُفْنِي . مَعَايِرُهُ : أَهْفَ مِنَ الشُّعُوبِ (٦)

(١) مسلم ، كتاب الصيد ، باب : (الأمر بإحسان الذبح والقتل وتطهير الطهارة) ٧٢٢/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢١٨/٥ . وسنن أبي داود ، كتاب الصيد ، باب : (في صيد قطع منه قطعة) ١٧٨٥٨ .
١١١/٣ . ونسخة الأعرابي : أبواب الصيد ، باب : (ما جاء) ما قطع من الحي فهو ميت ، الحديث ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ .
٥٥/٥ . وقد أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر : (في كتابه الصيد ، باب : (ما قطع من البهيمة وهي حية) ، الحديث ٣٣١٦ .
١٠٧٢/٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢٠/١٧ .

(٤) في اللسان : (وقدمت إلى فلان : يريد خصمته له ، والفرقت به : وانقطعت إليه) .

(٥) ديوانه : ٢٢١ . وانظر مراجع آخر هناك .

(٦) المفاز : رجبه القفر .

قال : بقى من السؤال : وبه قال ابن زيد :

وقال زيد بن أسلم : القانع : للسكين الذى يطوف : والمتر : الصديق والضعيف الذى يزور : وهو رواية عن عبد الله بن زيد أيضا (١) :

ومن مجاهد أيضا : القانع : جارك الذى [الذى يصير ما يدخل بيتك (٢)] والمتر الذى يعريك من الناس .

وحده أن القانع : هو الطامع : والمتر : هو الذى يمتدح (٣) بالبذل من غنى أو فقر :

ومن عكرمة نحوه : وعنه القانع : أهل مكة .

واختار ابن جرير أن القانع : هو السائل : لأنه من فتح بيده إذا رغبها للسؤال ، والمتر من الاعتزال ، وهو :

الذى يترضى لأكل اللحم :

وقد صحح هذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثلث لصاحبها يأكله ،

وثلث يهديه لأصحابه ، وثلث يتصدق به على الفقراء ، لأنه تعالى قال : (فكلوا منها وأطعموا الفقراء والمتر) . وفي الحديث

الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس : « إن كنت تبيتكم عن ادخار لحوم الأضحية فوق ثلاث ،

فكلوا وادخروا ما بدا لكم » ، وفي رواية : « فكلوا وادخروا وتصدقوا » ، وفي رواية : « فكلوا وأطعموا وتصدقوا » (٤) .

والقول الثاني : أن للمضى يأكل التصف ويتصدق بالتصف ، لقوله في الآية للفقمة : (فكلوا منها ، وأطعموا

الفاقرات) (٥) ، ولقوله في الحديث : « فكلوا وادخروا وتصدقوا » :

فإن أكل الكل قليل ولا يضمن شيئا وبه قال ابن سريج (٦) من الشافعية

وقال بعضهم : يضمنونها كلها بثمنها أو قيمتها ، وقيل : يضمن نصفها ، وقيل : ثلثها ، وقيل : أضعف جزء منها .

وهو المشهور من مذهب الشافعية :

وأما الجلود ففي مسند أحمد عن قتادة بن النعمان في حديث الأضحية . [فكلوا] وتصدقوا ، واستمتعوا بجلودها ،

ولا يبيعها (٧) :

(١) كذا في خطبة الأزر . وفي الطبقات السابقة : وهو رواية من أبه عبد الرحمن بن زيد . وعنه الرهن وعنه عبد الله

مقرئان في كتب الرجال ، يرويان عن أبيهما زيد بن أسلم ، قاله أهلهما المراد ؟ .

(٢) ما بين القوسين من الطبقات السابقة . وأثر واحد كاف لتفسير القنبري ١٧/١٢١ : والقانع : جارك وإن كان غنيا . والمتر : الذى يتروك .

(٣) أي : يطبخ بها .

(٤) البخاري : كتاب الأضحية : ١٢٤/٧ . ومسلم : كتاب الأضحية : باب « بيان ما كان من الثمن من أكل لحوم الأضحية به ثلاث في أول الإسلام » ، وبيان نسبه وزيادته إلى من شاء : ٨٠/٦ ، ٨١ . وسنن أبي داود : كتاب الأضحية : باب « في حبس لحوم الأضحية » ، أخرج ٢٨١٢ : ٩٩/٣ .

ورقعة الأخرى : أبواب الأضحية : باب « وفي الرخصة في أكلها به ثلاث » ، أخرج ١٥٤٦ : ٩٩/٥ . والسنن : كتاب الضحايا : باب « الادخار من الأضحية » : ٢٣٥/٧ ، ٢٣٦ . وابن ماجه : كتاب الأضحية : باب « ادخار لحوم الأضحية » ، أخرج ٣١٦٠ : ١٠٥٥/٢ . وسنن الإمام أحمد عن أبي سعيد : ٢٣/٣ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٥ ،

ومن جابر : ٣٨٨/٢ . ومن نبشة الخليل : ٧٥/٥ ، ٧٦ . ومن برقة : ٣٥٥/٥ ، ٣٥٦ . ومن عائشة : ٥١/٦ .

(٥) سورة الحج : آية ٢٨ .

(٦) في الخطبة : « ابن سريج » ، والفقير واحد . والسراب ما يتكلم . انظر المشتبه للحج : ٣٩٥ .

(٧) مسه الإمام أحمد : ١٥٥٤ .

ومن الملاء من رخص [في ذلك] ومنهم من قال : يقام القرفة ثمنها ، والله أعلم .

[مسألة]

عن البراء بن عازبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول ما يبدأ به في يومنا هذا أن نصل ، ثم نرجع للنحر . فمن فعل [ذلك] فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم [عجله] (١) لأهله ، ليس هو من النسك في شيء ، أخرجه (٢) .

فهذا قال الشافعي وجماعة من الملاء : إن أول وقت الأضحية إذا طلعت الشمس يوم النحر ، ومضى قدر صلاة العية والمطهرين - زاد أحمد : وأن يذبح الإمام بعد ذلك ، لا جاء في صحيح مسلم : « وأن لا تلشوا حتى يذبح الإمام » (٣) .

وقال أبو حنيفة أما أهل السواد من القرى ونحوهم ، فلمهم أن يذبحوا بعد طلوع القجر ، إذ لا صلاة عيد عندهم . ولما أهل الأمصار فلا يذبحوا حتى يصل الإمام ، والله أعلم .

ثم قيل : لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده : وقيل : يوم النحر لأهل الأمصار ، لتيسر الأضحية عندهم ، وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده ، وبه قال سعيد بن جبير : وقيل : يوم النحر ، ويرم بعده الجميع : وقيل : ويومان بعده . وبه قال أحمد : وقيل : يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده ، وبه قال الشافعي ، لحديث جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وأيام التشريق كلها ذبح » . رواه أحمد (٤) وابن حبان .

وقيل : إن وقت الذبح يمتد إلى آخر ذى الحجة ، وبه قال إبراهيم النخعي ، وأبو سلمة بن [عبد الرحمن] (٥) : وهو قول خر به .

وقوله : (كللك سفرناها لكم لعلكم تشكرون) ، يقول تعالى : من أجل هذا (سفرناها لكم) ، أي : خللناها لكم ، أي : جعلناها متفاداة لكم خاضعة ، إن شئتم ركبتم ، وإن شئتم حلبتم ، وإن شئتم ذبحتم . كما قال تعالى : (لو لم يروا أننا خلقتنا لم يمعلمت أبدينا أنما فهم لما مالكون . وذللتنا لهم فنها ركوبهم ومنها يأكلون) . ولم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) (٦) ، وقال في هذه الآية الكريمة : (كللك سفرناها لكم لعلكم تشكرون) .

(١) ما بين القوسين عن البخاري ، ومكانه في الشطرمة : « ٥٤٥ » .

(٢) البخاري ، كتاب البيهق ، باب : التذكير إلى العيد ، ٢٤٧/٢ . وهو : استحقاق الإمام للناس في خطبة العيد .

(٣) مسلم ، كتاب الأضحية ، باب : وقتها ، ٧٤٦/٢ .

(٤) لم يقع لنا خط في صحيح مسلم . ولعلنا نقول فيه قولاً فيما بعد .

(٥) سنة الإمام أحمد : ٨٢٤ .

(٦) في الشطرمة : « وأبو سلمة بن حمزة : ولم يبه في الرجال ، والمخت من الطرمات السابقة » .

(٧) سورة : يس ، الآيات : ٧١ - ٧٧ .

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنَّ يَنَالَ الثَّقُولَ مِنكُمْ كَذَلِكَ يَضَعُهَا لَكُمْ لِنُكَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ
وَيُزَيِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى : إنما شرع لكم لحم هذه الهدايا والضحايا ، لتذكروه عند ذبحها ، فإنه الخالق الرازق لا أنه يناله شيء من-
لحومها ولا دماؤها ، فإنه تعالى هو الغني عما سواه
وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لأقربهم وضعوا عليها من لحوم قرايبهم ، ونضجوا عليها من دماؤها ، فقال تعالى :
(لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤها) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حنيفة ، حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج
قال : كان أهل الجاهلية ينضجون البيت بلحوم الإبل ودماؤها ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن
أحقّ أن ننضح ، فأنزل الله : (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤها ، وَلَكِنْ يَنَالَ الثَّقُولَ مِنكُمْ) ، أي : يتقبل ذلك ويجزي
عليه .

كما جافق الصحيح : فإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (١) . وما جاء
في الحديث : إن الصدقة لتقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل . وإن الدم يقع من الله سبحانه قبل أن يقع على الأرض .
كما تقدم الحديث رواه ابن ماجه ، والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعاً . فعنه أنه سبق لتحقيق القول من الله أن
أخلص في عمله ، وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا ، والله أعلم .

وقال، وكيع ، عن [يحيى] بن مسلم (٢) أبي الفصاحك : سألت عامراً الشعبي عن جلود الأضحية ، فقال : (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ
لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤها) ، إن شئت فمع ، وإن شئت فأسك ، وإن شئت فتصدق .

وقوله : (كللكم سحرها لكم) ، أي : من أجل ذلك سحر لكم البهائم ، (لتكبروا الله على ما هداكم) ، أي :
تعتظنوه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه ، وما يرضاه ، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه .

وقوله : (وبشر المحسنين) ، أي : وبشر يا محمد المحسنين ، أي : في عملهم ، القائمين بعبود الله ، المتبعين ما شرع
لم ، المصدقين الرسول فيما ألهمهم وجاهم به من عتد به عز وجل .

[مسألة]

وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري إلى القول بوجوب الأضحية على من ملك نصيباً ، وزاد أبو حنيفة
اشتراط الإقامة أيضاً . واحتج بما رواه أحمد وابن ماجه بإسناد رجاله كلهم ثقات ، عن أبي هريرة مرفوعاً : (من
وجد سنة فلم يضح ، فلا يقرب من مصلاته) (٣) على أن فيه غرابة ، واستكره أحمد بن حنبل .

- (١) مسلم ، كتاب البر ، باب : تحريم ظلم المسلم وغذله واسترقاقه : ١١/٨ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : باع وثقتك .
الحديث ٤١٤٢ : ١٣٨٨/٢ . وسند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٢٨٥/٢ ، ٥٣٩ .
- (٢) ما بين التوسين من الطبقات السابقة ، وترجمة يحيى في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٨٧/٢/٤ . وقد كان في المخطوطة :
مسلم بن الفضل . وما أثبتناه عن الجرح .
- (٣) مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣٢١٢/٢ ، وابن ماجه ، كتاب الأضاحي ، باب : الأضحية واجبة على من لا ؟ : ٤ .
الحديث ٣١٢٢ : ١٠٤٤/٢ .

وقال ابن عمر : أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حشر سبط يضيء رواده الترمذي (١) .
 وقال الثوري ، وأحمد ، لا تحجب الأضحية ، بل هي مستحبة لا جوارح الحنيفة ؛ ليس في ذلك حق سوى
 الزكاة (٢) ؛ وقد تقدم أنه عليه السلام ضحي عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم .
 وقال أبو سريجة : كنت جارا لأبي بكر وعمر ، فكانا لا يضحيان خشية أن يقتلني الناس بهما .
 وقال بعض الناس : الأضحية سنة كراهية ، إذا قام بها واحد من أهل دار أو هلة ، سقطت عن الباقي ، لأن المقصود
 إظهار الشعار .

وقد روى الإمام أحمد ، وأهل السنن - وحسنه الترمذي - عن غنم بن سليم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول برفات : « كل كل أهل بيت في كل عام أضحية وعشيرة » (٣) ، هل تدرون ما العشيرة ؟ هي التي تدعوها
 الرعية (٤) . وقد تكلم في إسنادها .
 وقال أبو أيوب : كان الرجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته .
 فيأكلون ويصلحون [حتى يباهي] الناس فصار كما ترى (٥) .

رواه الترمذي وصححه ، وابن ماجه (٦) .
 وكان عبد الله بن هشام يضيء بالشاة الواحدة عن جميع أهله ، رواه البخاري (٧) .
 وأما مقدار من الأضحية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تلحوا إلا مسنة » (٨) ،
 إلا أن يتسحر عليكم ، فطلبوا جملته من الضأن (٩) .

ومن هاهنا ذهب الزهري إلى أن الجذع لا يجزئ ، وقيل له الأوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزئ من كل جنس .
 وهما غريبان ، وقال : الجمهور : إنما يجزئ النسي من الإبل والبقر والماعز ، والجدع من الضأن ، فاما النسي من الإبل
 فهو الذي له خمس سنين ، ودخل في السادسة ، ومن البقر ما له [ستان] ودخل في [الثالثة] ، وقيل [ما له] ثلاث [ودخل في] .

(١) تحفة الأخرى ، أبواب الأضاحي ، الحديث ١٥٤٣ : ٩٦/٥ ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الزكاة ، باب ما أدى زكاته لمسي بكتز ، الحديث ١٧٨٩ : ٥٧٠/٢ .

(٣) التحفة : شاة تلح في رجب .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢١٥/٤ : ٧٦/٥ . وتحفة الأخرى ، أبواب الأضاحي ، الحديث ١٥٥٥ : ١١٠/٥ وقال
 الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه » من حديث ابن عمر ، والنظر ترجمة ضئف
 ابن سالم في أسد الغابة ، الترجمة ٤٧٩٧ : ١٢٨/٥ ، تحقيقنا .

(٥) أي : مهابة .

(٦) تحفة الأخرى ، أبواب الأضاحي ، باب ما جلد أن الشاة الواحدة يجزئ من أهل البيت ، الحديث ١٥٤١ : ٩٠/٥ -

٩٢ ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » . وسنن ابن ماجه ، كتاب الأضاحي ، باب « من يضيء شاة من أهله » .

الحديث ٣١٨٧ : ١٠٥١/٢ .

(٧) لم يبق لنا هذا الحديث في صحيح البخاري ، ولعلنا نستوركه فيما بعد .

(٨) المسنة : هي النقية . وسائر تفسير ابن كثير لها .

(٩) مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب « من الأضحية » : ٧٧/٩ .

الرابعة ومع اللز ما له سكتان • وأما الجلاج من الضأن فليل • ماله سنة • وقيل • عشرة أشهر • وقيل • ثمانية أشهر • وقيل سنة أشهر • وهو أقل ما قيل في سفعه • وما حوله فهو حشك • والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهر • قائم • والجذع شعر ظهره • نائم • قد اتفقت صيدون • (١) والله أعلم •

• إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الدِّينِ أَمْثَلًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿١٧٨﴾

يُخْرِجُ عَالِيَهُ يَدْخُلُ عَنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ فَذُرُّهُمْ أَشْرَارُ وَكَيْدُ الْفُجَّارِ ، وَحُفَّتْهُمْ وَبُكُلُوهُمْ وَيَتَصَرَّمُ ،
 كَمَا قَالَ عَالِيُ : (أَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (٢) ، وَقَالَ : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ
 اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (٣) .

وقوله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَذُورٍ) ، أي : لا يحب من عباده من الصفات بها ، وهو الخيانة في اليهود والمؤمنين ، لا ين عال قال والكفر الجحد للنعم ، لا يعرف بها :

أَذِّنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ غُلِبُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ صُرُوفِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَ سُرُوعٌ وَبَسْ وَصَلَوْتَ وَبَسْ لَعَلَّكَ تَكْفُرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهُ كَثِيرًا وَلَيَحْزَنَنَّ اللَّهُ مِنْ صُرُوفٍ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٦﴾

قال العرف ، عن ابن عباس : نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة (١) .

وقال خبرٌ واحدٌ من السلف : هذه أول آية نزلت في الجهاد ، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية وقاله مجاهد ، والضحاك ، وقطادة ، وغير واحد .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن داود الواسطي ، حدثنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم - هو البجلي - عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا إليهم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ليهلكن قال ابن عباس : فأذن الله عز وجل : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظالموا ، وإن الله على بصيرة لم تغدر) ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : عرفت أنه سيكون قتال (٩) .

(١) انظر لتفسير هذه الكلمة في ٢: ١٢٤.

(٢) صورة الزمر : آية ٥٦ .

(۲) سورة الطلاق ، آية : ۴ .

(٥) تفسير الطبري: ١٢٢/١٧، ١٢٧، ١٢٧.

(٥) تسمية الطريق : ١٢٧/١٧٠

ورواه الإمام أحمد ، عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، به وزاد : قال ابن عباس : « هي أول آية نزلت في القتال »
ورواه الرملى ، والنساقى في التفسير من سنتيهما ، وابن أبي حاتم من حديث إسحاق بن يوسف — زاد الرملى :
ووكيع ، كلاهما عن سفيان الثوري ، به . وقال الرملى : « حديث حسن » ، وقد رواه غير واحد ، عن الثوري ،
وليس فيه ابن عباس (١) »

وقوله : (وإن الله على نصرهم لقدير) ، أى : هو قاهر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ، ولكن هو يريد
من عباده أن يلو (٢) جهدهم في طاعته ، كما قال : (فإذا لفتيم اللين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أبغضتموه
فشكروا النفاق ، فلما منا بعد ولما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو
بعضكم بعض ، والذين تولوا في سبيل الله فلن يغفل الله عن أعمالهم : سيذهبهم ويصلح بهم : وينخلطهم الجنة عرفها ثم (٣)) ،
وقال تعالى : (فأتولاهم بطبعهم الله بأيديكم ويغزوهم وينصرهم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين : ويذهب غيظ قلوبهم)
ويحب الله على من يشاء والله على حكيم (٤)) ، وقال : (أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاءوا منكم
ولم يتخلوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون (٥)) ، وقال : (أم حسبكم أن تدخلوا
الجنة ولما يعلم الذين جاءوا منكم ويعلم الصابرين (٦)) وقال : (ولئيلوكم حتى تعلم للجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخياركم (٧)) ، والآيات في هذا كثيرة : ولهذا قال ابن عباس في قوله : (وإن الله على نصرهم لقدير) :
وقد قسرك (٨) »

وأما شرح تعالى الجهاد في الوقت الأكبر به ، لأنهم لا كانوا بمكة كان للمشركون أكثر عدداً ، فلو أصر المسلمون ،
وهم أقل من المشرك ، بقتال الباقرين (٩) لشفق عليهم . ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكانوا نيفا وثمانين ، قالوا : يا رسول الله ، ألا نميل على أهل الرادى — يبنون أهل منى — ليألى منى لنقتلهم ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لم أؤمر بهذا (١٠) » : فلما انتهى المشركون ، وأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم
من بين أظهرهم ، وهوا بقتله ، وشردوا أصحابه شذراً مكرراً ، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة ، وآخرون إلى المدينة ،
فلما استقروا بالمدينة ، وواقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمعوا عليه ، وقاموا بنصره ، وصارت لهم دار

(١) مستد الإمام أحمد : ٢١٦/١ . وثيقة الأحوفى : تفسير سورة الحج ، الحديث ٢٢٢١ : ١٥/٩ .

(٢) لى : يخير .

(٣) سورة محمد : الآيات ٤ : ٦ .

(٤) سورة التوبة : آية ١٤ : ١٥ .

(٥) سورة التوبة : آية ١٦ .

(٦) سورة آل عمران : آية ١٤٢ .

(٧) سورة محمد : آية ٢١ .

(٨) تفسير الطبري : ١٧/١٢٣ .

(٩) في المغلوطة : « بقتال المنافقين » . وأثبتنا ما في الطبقات السابقة : لأنه لم يكن بمكة نفاق وقتها .

(١٠) مستد الإمام أحمد : ٤٦٢/٣ وسيرة ابن هشام : ٤٤٨/١ .

إسلام ومغلا يلجئون إليه - شرع الله جهاد الأعداء ، فكانت هذه الآية أول ما قول في ذلك ، قال تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) ،

قال العوفي ، عن ابن عباس : أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق ، يعني محمداً وأصحابه : (١)

(إلا أن يقولوا ربنا الله) ، أي : ما كان لهم إلى قومهم إسامة ، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له وهذا استثناء مقطوع بالنسبة إلى ما في نفس الأمر ، وأما عند المشركين فهو أكبر القنوب ، كما قال تعالى : (فخرجوا الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم (٢)) ، وقال تعالى في قصة أصحاب الأخيود : (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٣)) : ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ، ويقولون (٤) :

لَا هُمْ قَوْلًا أَتَيْتَ مَا اعْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَاتِنَا
فَانْزِلْنِي سَكِينَةً صَلَاتِنَا وَكَلِّبْتِ الْأَقْدَمَ إِنِّي لَأَتَيْنَا
إِنِّي الْأَلَى لَدَى بَغْوَا صَلَاتِنَا إِذَا أَرَادُوا فَتْنَتَنَا أُنَيْنَا

فيواقعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول منهم آخر كل قافية ، فإذا قالوا : وإذا أرادوا فتنة أينا ، يقول : أينا ، عند جوارحه :

ثم قال تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ، أي : لولا أنه يدفع عن قوم بقرم ، ويكشف شر أناس عن غيرهم ، بما يخفقه ويقدره من الأساليب ، ففسدت الأرض ، وأهلك القوى الضعيف ، (فطمت صوامع) ، وهي المعابد الصغار للربان ، قاله [ابن عباس] ، ومجاهد ، وأبو العالية ، وعكرمة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال قتادة : هي معابد الصابئين وفق رواية عنه : صوامع للجوس .

وقال مقاتل بن حبان : هي البيوت التي على الطرق ،

(ويص) ، وهي أوسع منها ، وأكثر حادين فيها ، وهي لتصاري أيضاً : قاله أبو العالية ، وقاتدة ، والضحاك ، وابن صفر ، ومقاتل بن حبان ، وعصيف ، وغيرهم .

وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره : أنها كنائس اليهود ، وحكى السدي ، عن حديثه ، عن ابن عباس : أنها كنائس اليهود ومجاهد إنما قال : هي الكنائس : والله أعلم .

وقوله : (وصلوات) ، قال العوفي ، عن ابن عباس : الصلوات الكنائس (٥) ، وكلها قال عكرمة ، والضحاك ، وقاتدة : إنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوئوتا (٦) .

(١) تفسير الطبري : ١٤٢/١٧ ، ١٢٣ .

(٢) سورة الممتحنة : آية : ١ .

(٣) سورة الفروج : آية : ١٥ .

(٤) الرجز لمار بن سنان الأكرح . وهي مطوية إليه في سيرة ابن هشام : ٣٧٨/٢ في ذكر المسير إلى حبيرو . وانظر ترجمته في أسد الغابة : ١٢٤/٣ ، ١٢٥ . يصفينا .

(٥) تفسير الطبري : ١٢٥/١٧ .

(٦) تفسير الطبري : ١٢٦/١٧ . وانظر للمرحم الجواليقي : ٢٥٩ . وتفسير القرطبي : ٧١/١٢ .

وحكى السدي ، عن حذيفة ، عن ابن عباس : أنها كتاب النصرى .

وقال أبو الطالبي ، وغيره : الصلوات : معابد الصائين .

وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد : الصلوات : مساجد لأهل الكتاب ولأهل الأديان : بالطرق : وأما للمساجد فهي المحلن .

وقوله : (يذكر فيها اسم الله كثيرا) ، فقد قيل الضمير في قوله : (يذكر فيها) حاد إلى المساجد لأنها أقرب للمذكورات .

وقال الضحاك : الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا .

وقال ابن جرير : الصواب : لم تمت صلوات الرهبان وبيع النصرى وصلوات اليهود ، وهي كتابهم ، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم [الله] كثيرا ، لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب (١) .

وقال بعض العلماء : هذا ترقى من الأكل إلى الأكثر إلى أن ينتهي إلى المساجد ، وهي أكثر حُصانا وأكثر عبادا ، وهم ذوو القصد الصحيح .

وقوله : (وليصرن الله من يصره) ، كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، إن تصروا الله يصركم ويثبت أقدامكم) والذين كفروا فتصلم وأضل أفعالهم (٢) .

وقوله : (إن الله قوي عزيز) وصفت نفسه بالقوة والعزة ، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وبهزله لا يقهره قاهر ، ولا يظلمه ظالم ، بل كل شيء ذليل لديه ، فقير إليه . ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور ، وعدوه هو المقهور ، قال الله تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون) (٣) ، وقال تعالى : (كتب الله لأولين أنا ورسلي ، إن الله قوي عزيز) (٤) .

أَلَيْسَ لَكُمْ مَسْكَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ومثنى ، عن محمد قال : قال عثمان بن عفان : فيما نزلت : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) ، فاعرجنا من ديارنا بغير حق ، إلا أن قلنا : «وبنا لله» ، ثم مكنا في الأرض ، فأقمنا الصلاة ، وآتيناهم الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهينا عن المنكر ، وله عاقبة الأمور ، فهي في ولاصحابنا .

(١) تفسير الطبري : ١٧٦/١٧ .

(٢) سورة صمد : الآية : ٨٧/٨ .

(٣) سورة الصافات ، الآيات : ١٧١ - ١٧٣ .

(٤) سورة الحديد : آية : ٢١ .

وقال أبو النابغة : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الصالح بن سودة للكندي: سمعت حماد بن عبد العزيز يفتي: وهو يقول: (الذين إن مكامه في الأرض)
 ٥٥٥ الآية، ثم قال: ألا إنها ليست على الولد وحده، ولكنها على الولد ولوالتي عليه، ألا أتيتكم بما حكى على الولد
 من ذلكم، وما قولك عليه؟ ألا إن كل من الولد من ذلكم أن يؤخذكم حقوق الله عليكم، وأن يخطأ لبعضكم من
 بعض، وأن يذهبكم الله من قوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبرورة (١) ولا المستكرهة، ولا الخائفة
 سرها حلايتها.

وقال عطية العوفي : هذه الآية كقولہ : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) (٢) .

وقوله : (والله عالمه الأمور) ، كقوله تعالى : (والعاقبة للمتقين) (١) .

وقال زيد بن أسلم: (وقد عاتبة الأمور) : وعند الله ثواب ما صنعوا :

[illegible]

يقول تعالى مسلماً نبيه صلي الله عليه وسلم في تكذيب من قومه : (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلكم
قوم نوح) إلى أن قال : (وكذب موسى) ، أي : هم ما جاء به من الآيات الدينات والدلائل الواضحات ،

(فأمايت للكاثرين) ، أی : انظرهم وانعمهم ، (ثم اخلصهم ، فكيف كان تكبر) ، أی : فكيف كان إنكاری

عليهم ومعتقني لهم ۱۹

ذكر بعض السلف أنه كان يقرأ قول فرعون لقومه : (أنار بكم الأعلی) ، ويقرأ إهلاك الله له أربعين سنة .

وفيه الصحيح عن أبي موسى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله ليهمل الظالم حتى إذا أخذه لم

بنكته ، ، لم قرأ : (وكللك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) [إن أخذهم ألم شديد (٤)] .

لم قال تعالى : (فكأن من قرية أهلكتهما) ، أى : كم من قرية أهلكتها (وهى ظالمة) أى : مكلمة لرسولها ،

(في رواية علي عروشا) - قال الضحاك : موقوفها ، أي : قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها .

(وہر معطلہ) ، ائی : لا یستفی منها ، ولا یردہا أحد بعد کثرة واردہا والازدحام علیہا •

(١) **يزد يزده بزأ** : غلبه وخصه . **دیز نشه** : انزعه . **یتول** : لا ألزمكم الطاعة قسراً .

(٢) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(۲) سورة القصص : آية : ۸۲ .

(١) قلم الحديث من جملة الآيات من سورة هود : ٢٧٨/١ ، ٢٧٩ ، وهو جملة جملته .

(وقصر مشيد) ، قال عكرمة : يعنى المشيد بالجمع .

وروى عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعطاء ، وأبي الجهم ، والضحاك ، نحو ذلك ،

وقال آخرون : هو المشيد المرتفع .

وقال آخرون : الشديد المنيع الحصين .

وكل هذه الأقوال متضاربة ، ولا منافاة بينها ، فإنه لم يعم أهله شقة بنائه ولا ارتفاعه ، ولا إحكامه ولا حصانته ،

من حلول بأمر الله بهم ، كما قال تعالى : (أئبنا نكونوا بذكركم الموت ، ولو كنتم فى بروج مشيدة (١)) .

وقوله : (أفلم يسروا فى الأرض) ، أى : أبداً بهم وبفكرهم أيضاً ، وذلك كاف ، كما قال ابن الدنيا

فى كتاب الشكر والاعتبار :

حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر (٢) ، حدثنا مالك بن دينار قال : أوحى الله تعالى إلى موسى

عليه السلام : أن يا موسى ، اتخذ نعين من حديد وعصا ، ثم سيح فى الأرض واطلب الآثار والجبر ، حتى تتخرق التلال

وتكسر الغصاة .

وقال ابن الدنيا : قال بعض الحكماء (٣) : أحس قلبك بالمواضع ، وتوهر بالفكر ، وصوته بالزهد ، وقوته

باليقين ، وقده بالمرت (٤) ، وقهره بالفتاة (٥) ، وبصره بفجاج الدنيا (٦) ، وحذره صولة الدهر ، وفحشه بفساد

الآبام ، وأعرض عليه أنهار الماضين وذكره ما أصاب (٧) من كان قبله ، وسر في ديارهم وآثارهم ، وانظر ما فعلوا ،

وأين حلوا ، وهم اقلوا .

أى : فانظروا ما حل بالآدم المكلبة من النقم والكمال ، (فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو أذان يسمعون بها) ،

أى : فيمتحنون بها ، (فلأنها لا تسمى الأبصار ، ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور) ، أى : ليس العى على البصر ،

ولأنما العى على البصيرة ، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فلأنها لا تنفذ إلى العبر ، ولا تفرى ما الحبر . وما أحسن

ما قاله بعض الشعراء فى هذا المعنى ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة (٨) الأندلسى الشنفرى ، وقد كانت

وفاته سنة سبع وخمسة وخمسة مائة .

(١) سورة هود : آية : ١٠٢ .

(٢) فى المخطوطة : « حدثنا سيار بن جعفر » . والمصواب ما أثبتناه . وسيار هو ابن سالم الكندى أبو سلمة ، يروى عن

جعفر بن سليمان . مرجع فى المرح والصدى لآبى سالم : ٢٥٧/١٢٢ .

(٣) انظر هذه الموصلة فى نهج البلاغة المنسوب إلى الإمام جيل ، القوسية الحادية والإثني : ٣٠٨ بتحقيقنا .

(٤) فى المخطوطة : « وقده بالقرب » . والمثبت من الطبعات السابقة : « وفى نهج البلاغة » . « وقده بذكر الموت » .

(٥) فى المخطوطة : « وتذكره بالثناء » . والمثبت من نهج البلاغة : « والمعنى : « سكنه ونبه بذكر الموت » .

(٦) فى المخطوطة : « وبصره بججاج » . والمثبت مما سبق .

(٧) فى المخطوطة : « وذكره بأمر كتاب من كان ... » . والمثبت أيضاً مما سبق .

(٨) فى المخطوطة : « محمد بن جادة » . والمثبت من ترجمته فى المعبر للنسب : ٤٠٤ . والمغرب فى جيل المغرب :

٤١٩ ، والنظر فى الأعلام : ٢٦٨ .

بَا مَن يُصْبِحُ إِلَى دَاهِي الشَّقَاءِ ، وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاصِيَانِ : الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
 إِن كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى ، فَهِيَ تَرَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ : السَّمْعُ وَالْبَصَرُ ؟
 لَيْسَ الْأَصَمَ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ : السَّبِيلُ وَالْأَثَرُ
 لَا الدَّهْرُ يَهْتَمُّ وَلَا الدُّنْيَا ، وَلَا الْفَلَكَ أَهْلُ وَلَا النَّيِّرَانِ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 لَيَرْتَحِلْنَ عَنْ الدُّنْيَا ، وَإِنْ كَرِهَا فَرَاقَهَا ، الطَّوْيَانِ : الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ

وَيَسْتَجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴿٣٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا زِيًّا فَلَمَّا أَخَذَتْهَا إِلَى الْمَصِيرِ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى لئيه - صلوات الله وسلامه عليه - : (ويستجلبونك بالعذاب) ، أي : هؤلاء الكفار الملحقون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر ، كما قال تعالى : (وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمر علينا بحجارة من السماء أو ائتنا بطالب آية) (١) ، (وقالوا : ربنا ، حبل لنا قطنا قبل يوم الحساب) (٢) .
 وقوله : (ولن يخلف الله وعده) ، أي : الذي قد وعد ، من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه ، والإكرام لأولياءه .

قال الأصمعي : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه عمرو بن حبيد ، فقال : يا أبا عمرو ، وهل يخلف الله الأيمان ؟ فقال : لا ، فذكر آية - وعيد ، فقال له : أمن المجمع (٣) أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع من الوجد لوما ، وعن الإيما كما ، أو ما سمعت قول الشاعر (٤) :

لَا يُرْهِبُ ابْنَ الْعِمِّ مَنْتَى سَطَوَيْي وَلَا أَخْتَتَيْي مِنْ سَطَوَةٍ لِّلْقَهْدِ (٥)
 فَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَسَمُخِلْفُ إِسَادِي وَمُنْجِزُ مَرْعَدِي

وقوله : (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ، أي : هو تعالى لا يحسب ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عندنا بالنسبة إلى حكمه ، لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أجل وأنظر وأمل . ولما قال بعد هذا : (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، ثم أخذناها إلى المصير) ،

(١) سورة الأنفال ، آية : ٣٢ .

(٢) سورة ص ، آية : ١٦ .

(٣) اضطرب النص في غلظة الأثر من قوله : أمن المجمع أنت ؟ إل من الوجد لوما ، والمثبت عن الطبعات السابقة .

(٤) هو حارس بن الطفيل ، والبيتان في ديوانه ، ط . بيروت : ٥٨ ، واللسان (خأ) ، واللسان في اللسان (وعد) مع خلاف يسير .

(٥) في المخطوطة : «ابن المم والجلد» ، «ولا ذي من سعوة» ، والمثبت عن الديوان . واختار القميه : «لنخطه» واختارته : «لنخطه» واستمر عونا وسيدا . وفرك الحز عروسة : «أعني» .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن هرقة ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يدخل قراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، خميسة عام :
ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث الثوري ، عن محمد بن عمرو ، به : وقال الترمذي : حسن صحيح (١) .
وقد رواه ابن جرير ، عن أبي هريرة موقوفا ، فقال :

حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علكية ، حدثنا سعيد الجعفي ، عن أبي نضرة ، عن سمير بن بهار قال : قال أبو هريرة : يدخل قراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم : [قلت : وما نصف يوم ؟] قال : أو ما قرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال : (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) (٢) :

وقال أبو داود في آخر كتاب الملاحة من سننه : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو الفيرة ، حدثنا صفوان ، عن شريح بن صبيد ، عن صمد بن أبي وكاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنني لأرجو أن لا تعجز أي أحد رجا ، أن يرضخهم نصف يوم : قيل لسمد : وما نصف يوم ؟ قال : خميسة سنة (٣) »

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سمك ، عن حكيم ، عن ابن عباس : (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ، قال : من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

رواه ابن جرير ، عن ابن بشار ، عن ابن مهدي ، (٤) به قال مجاهد ، وعكرمة ، ولس عليه أحمد بن حنبل في كتاب « الرد على الجهمية » :

وقال مجاهد : هذه الآية كقوله : (يدير الأمر من السماء إلى الأرض) ثم يخرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون (٥) :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عارم - محمد (٦) بن الفضل - حدثنا حماد بن زيد ، عن يحيى بن عتيق ، عن محمد بن سيرين ، عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال : إن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ، وجعل أجل الدنيا ستة أيام ، وجعل الساعة في اليوم السابع ، (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ، قد مضت لسة الأيام ، وأنتم في اليوم السابع : فقل ذلك كمثل الحمل إذا دخلت شهرها ، في أية لحظة ولدت كان تمام (٧) .

(١) نسخة الأحرفي : أبراج الزهد ، باب : ما جاء في فضل القفر ، الحديث ٧٤٥٨ ، ٧١٩٧ ، ٧٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٢٩/١٢ .

(٣) سنن أبي حنبل ، كتاب الملاحة ، باب : قيام الساعة ، الحديث ٤٣٥٠ ، ١٢٠٪ .

(٤) صورة السجدة : آية ٥٠ .

(٥) في الخطوط : « علوم بن عبد بن الفضل . » وعلوم لقب عبد بن الفضل . انظر إجماع لابن أبي حاتم : ٨٨٪ ، ٨٨ .

(٦) وقاتيل : ٩٠٢/٩ .

(٧) الأثر في امر للمعبر : ٧٦٠٪ ، من عه بن حبه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ تَكُونَ نَذِيرٌ مِّنْ ۚ فَأَلَيْكَ أَتَمُّوهُ وَاتَّقُوا الصَّالِحِينَ لَمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجابه به (أَقْل) يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) ، أى : إنما أرسلني الله إليكم نذيراً ألقى بين يدي عذاب شديد ، وليس إلى من حسابكم من شيء ، وأمركم إلى الله ، إن شاء عجل لكم العذاب ، وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب على من يتوب إليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة ، وهو الفعل أى إنشاء ويريد ويختار ، (لا مغيب لحكمة) وهو سرع الحساب (١) و(إنما أنا لكم نذير مبين) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، أى : آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم ، لهم مغفرة ورزق كريم) ، أى : مغفرة لا سلف من سيئاتهم ، وعجازة أو حصنة على القليل من حسناتهم

قال محمد بن كعب القرظي : إذا سمعت الله تعالى يقول : (ووزق كريم) ، فهو الجنة ،

وقوله : (والذين سموا في آياتنا معاجزين) ، قال عجماد : يَتَّبِعُونَ النَّاسَ مِنْ مَتَابِعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧) •
 وكذا قال عبد الله بن الزبير : متطاع •

وقال ابن عباس (معاذرين) : مرانهم :

(أولئك أصحاب الجحيم) ، وهى النار الحارة الموجعة الشديدة. حللناها ونكلمها ، أجازنا الله منها ، قال الله تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ، زدناهم حطباً فوق العذاب ، بما كانوا يكسبون (٣)) .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّ إِلَى الشَّيْطَانِ فِي آمْنِهِمْ فَفَسَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَ الشَّيْطَانِ ثُمَّ هَمَّ بِحُكْمِ اللَّهِ وَأَتَيْهِمْ وَاللَّهُ يَلْعَلُ حَكِيمٌ ﴿٣١﴾ لِيَجْعَلَ مَا بَيْنَ الشَّيْطَانِ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٣٢﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٣﴾

قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة القرآن: (٤)، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، فلما ظنوا أنهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكننا من طرق كلها مرسلة (٥)، ولم أرها مستندة من وجه صحيح ، والله أعلم .

(١) سورة الرعد، آية ٤١.

(۲) تفسیر الطبری : ۱۷/۱۳۱، ص ۱۰۰.

(۳) سورة النحل ، آية : ۸۸ .

(٤) التفریق: الأصنام. وحی فی الأصل: الذکوة من علی الماء. وأصلها: حرکة - بهم - تسکون. فبضم التاء وحرکة الراء - بضم فسكون - ففتح التاء - حی الثائر - لبیانها. وقد کان العرب یزعمون أن الأصنام تقریهم من الله وتشفع لهم فیشتد بالطیور التي تلغو فی السماء وترتطم.

(۵) المرسل : ما سقط منه الصحابي ، كقولنا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، أو فعل كذا ، أو فعل كذا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبه ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ هذا الموضع : (أفأنتم اللات والعزى) ومناة الثالثة الأخرى) ، قال : فأتى الشيطان حل لسانه : « تلك الغرانيق العلى » وإن شفاعتهن ترجينى ، « قالوا : ما ذكرنا لكنا نجبر قبل اليوم » فمجدد وسجلوا ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أُميته) .

رواه ابن جرير ، عن يونس بن حبيب ، عن عبد الله بن مسعود ، عن شعبه ، به نحوه (١) : وهو مرسل ، وقد رواه أبو داود عنه . عن يوسف بن حماد ، عن أمية بن خالد ، عن شعبه ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - فيها أحسن ، الشك فى الحديث - أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم ، حتى انتهى إلى : (أفأنتم اللات والعزى) ، وذكر بقية . ثم قال أبو داود : لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد ، تفرد بوضعه أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور ، وإنما يروى هذا من طريق الكلبى ، عن أبي صالح ، [عن ابن عباس] (٢) .

ثم رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي العلاء ، وعن السدى ، مرسل ، وكلما رواه ابن جرير ، عن هبة بن كعب القزطلى ، وهبة بن نيس ، مرسل أيضا (٣) .

وقال قتادة : كان النبي صلى الله عليه وسلم عند المقام إذ تحس ، فأتى الشيطان حل لسانه : « وإن شفاعتهن ترجينى » وإنها لتسعى الغرانيق العلى ، فخطبها المشركون ، وأجروا للشيطان أن يبي الله قد قرأها ، فزكت بها أنفسهم ، فأنزل الله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول) الآية ، فحذر الله الشيطان .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفى ، حدثنا محمد بن إسحاق المسيبى (٤) : حدثنا محمد بن فضيل ، عن موسى بن عتبة ، عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم ، وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكرنا كذا خبر أقربنا وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكرنا كذا خبرنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذىهم وتكذيبهم ، ولجأه ضلالتهم ، فكان يحسنى حكاهم ، فلما أنزل الله سورة النجم قال : (أفأنتم اللات والعزى) ومناة الثالثة الأخرى ، ألهم للذكر وله الأُنثى) ، ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت ، فقال : « ولئن لم تكن الغرانيق العلى » وإن شفاعتهن نجى إلى ترجينى ، « وكان ذلك من صبح الشيطان وفسنه ، فوعظت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة ، وولت بها أنفسهم ، وباشروا بها ، وقالوا : إن هذا قد رجع إلى دينه الأول » وحين قومه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم (آخر النجم) (٥) : سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا ،

(١) التفسير الطبرى : ١٣٣/١٤ .

(٢) انظر التلخيص للقاصى ص ١٠٨٤ .

(٣) التفسير الطبرى : ١٣٩/١٧ .

(٤) انظر ترجمة محمد بن أسحاق ط ١ فى البحر لابن أبي حاتم : ١٩١/٢٣ .

(٥) ما بين قوسين عن قديم المفسر : ٣٦٦/٥ ، والعلامات السابقة .

فرغم على كفة ترابا ، فسجد عليه ، فسجد الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود ، لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما السلمون فسجدوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين... ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي أتى الشيطان في مصارع للمشركين - فاطمأت أنفسهم لما أتى الشيطان في أمنيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديثهم به الشيطان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها في السورة ، فسجدوا لتبظيم أنفسهم ، ففتت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان ، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين ، عثمان بن مظعون وأصحابه ، وتحذروا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغهم سجد الوليد بن المغيرة على التراب على كفة ، وحذروا أن المسلمين قد آمنوا بمكة ، فأقبلوا سريعا وقد نسخ الله ما أتى الشيطان ، وأحكم الله آياته ، وحفظه من القرية ، وقال : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) ، فلما بين الله قضاءه ، وبراءه من صبح الشيطان ، انقلب للمشركون بظلالهم وعدولهم للمسلمين ، واشتدوا عليهم ، وهذا أيضا مرسل :

وفي تفسير ابن جرير عن الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، نحوه (١) : وقد رواه الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » فلم يَجْزُ به موسى بن عقبة ، ساقه في مخازيه بنحوه ، قال : وقد روينا عن ابن إسحاق هذه القصة :

قلت : وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة (٢) بنحو من هذا ، وكلها مراسلات ومنقطعات ، والله أعلم ، وقد ساقها البخاري في تفسيره بجموعة من كلام ابن عباس ، وعمد بن كعب القرظي ، وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سأل هاهنا سوّالا : كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه ؟ ثم حكى أجوبة عن الناس ، من ألقاها : أن الشيطان أوقع في مصارع للمشركين ذلك ، فتوهموا أنه صلح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك في نفس الأمر ، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا من رسول الرحمن صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ١٧/١٣٣ .

(٢) لم يورد ابن هشام قصة الفريقين في روايته عن ابن إسحاق ، ونقل هنا ما علق به العلامة السبيل في الروض الأئتم ٢٢٩/١ منه حديث ابن هشام عن حوثة مهاجرة الحبشة ، قال السبيل : « وسببه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة التيمم ، فألقى الشيطان في أمنيته - أي : في تلاوته - عند ذكر الثلاث البزى ، وإنهم لم يترافقه العِل . وإن حديثهم لقرئني . » فلما ذلك بمكة ، فسر المشركون وقالوا : قد ذكر ألفتنا بغير ، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخرها وسجد المشركون والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) ... الآية . فن هنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قرئها قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق ، في غير رواية البكاله . وأمل الأصول يتحققون هذا الحديث بالحجة ، ومن سمعه قال فيه أمرا لا ، منها :

أن الشيطان قال ذلك وأخاه ، والرسول لم يعلق به . وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لهما : « ما أتيتكما بهذا . » ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قبل نفسه ، ومن بها ثلاثا أن شفاعتهم لترضى .

ومنها : أن النبي - عليه السلام - قاله ساكيا عن الكفرة وإنهم يقولون ذلك ، فقالها متجنبيا من كفرهم . والمحيط - على ما بعثت - غير مقطوع بصحة ، والله أعلم .

وهكذا تنوعت أجوبة للتكلمين من هذا بتقدير صحته . وقد تعرض القاضى عياض رحمه الله في كتاب « الشفاء » لهذا ، وأجاب عما حاصله (١) :

وقوله : (إلا إذا تبنى أئى الشيطان فى أميته) ، هذا فيه تسمية له - صلوات الله وسلامه عليه - أى : لا يهيجك (٢) ذلك ، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المسلمين والأنبياء :

قال البخارى : قال ابن عباس : (فى أميته) : إذا حدث أئى الشيطان فى حديثه ، فيطال الله ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته (٣) .

قال حلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (إذا تبنى [أئى الشيطان فى أميته) ، يقول : إذا حدث أئى الشيطان فى حديثه .

وقال مجاهد : (إذا تبنى) ، يعنى إذا قال (٤) :

ويقال : (أميته) : قراءته ، (إلا أمائى) ، يقولون ولا يكتبون (٥) .

قال البغوى : وأكثر المفسرين قالوا : معنى قوله : (تبنى) ، أى : تلاوفا كتاب الله ، (أئى الشيطان فى أميته) ، أى : فى تلاوه ، قال الشاعر فى عثمان حين كل (٦) :

تَمَنَّى كَتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ • وَآخِرَهَا لَأَقْبَىَ حِمَامٍ لِلْكَافِرِ

وقال القدحاك : (إذا تبنى) ، إذا تلا .

قال ابن جرير : هذا القول أشبه بتأويل الكلام (٧) :

وقوله : (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) ، حقيقة النسخ لغة : الإزالة والرفع .

قال حلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أى فيطال الله سبحانه وتعالى ما أئى الشيطان .

(١) كلما فى المخطوطة ، ويحذف فى الطبقات السابقة : « أنها كذلك لتبوتها » . ولا شك أنه متعمد من نص ابن كثير . ولقد تعرض القاضى عياض ١٠٧/٢ : « ... فاعلم - أكرمك الله - أن لنا فى الكلام على شكل هذا الحديث ماغلين ، أحدهما فى توهمين أسله ، والثانى على تسميته . أما المأخذ الأول فيكتفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل السنة ، ولا روى عنه بسند سليم متصل ، وإنما أوله به وبمنه المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ... » ثم قال ١١١/٢ : « وأما المأخذ الثانى فهو محمول على تسليم الحديث لوصح - وقد أعاننا الله من صحته - ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين ... » . انظر هذه الأجوبة فى الشفاء : ١١١/٢ - ١١٤ .

(٢) انظر تفسير هذه الكلمة فى : ٣٢١/١ .

(٣) البخارى : تفسير سورة الحج : ١٢٧/٦ .

(٤) تفسير البخارى : ١٧/١٣٣ .

(٥) انظر تفسير الآية ٣٨ من سورة البقرة : ١١٧/١ .

(٦) البيت فى السناد (مضى) غير مسطور .

(٧) تفسير البخارى : ١٧/١٢٤ .

وقال الضمك : لسبح جبريل بأمر الله ما أتى الشيطان ، وأحكم الله آياته ،

وقوله : (والله حليم) ، [أى : بما يكون من الأمور والمخارص ، لا تحق عليه غالبة] ، (حكيم) ، أى : في تقديره وحفظه وأمره ، له الحكمة البالغة ، والحجة البالغة ، ولهذا قال : (ليحمل ما بقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) ، أى : شك وشرك وكفر ونفاق ، كالمشركين حين فرحوا بذلك ، واعتزلوا أنه صحيح ، وإنما كان من الشيطان .

قال ابن جريج : (الذين في قلوبهم مرض) هم : المنافقون ، (والقاسية قلوبهم) : المشركون ،

وقال مقاتل بن حيان : هم اليهود .

(وإن الظلمين لفي شقاق بعيد) ، أى : في ضلال وغفلة وعناد بعيد ، أى : من الحق والصواب .

(ولعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) ، أى : ولعلم الذين أوتوا العلم النافع الذى يفرقون به بين الحق والباطل ، للذين آمنوا بالله ورسوله ، أن ما أوحىته إليك هو الحق من ربك ، الذى أوتله بعلمه وحفظه وحرسه أن يخطئ به غيره ، بل هو كتاب حكيم ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد) ،

وقوله : (فيؤمنوا به) ، أى : يصدقوه ويتقصدوا له ، (فتخفى له قلوبهم) ، أى : تخضع وتذل ، (وإن الله لماد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) ، أى : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فبرشدكم إلى الحق واتباعه ، ويوقظهم هفافة الباطل واجتنابه ، وفق الآخرة بجليهم الصراط المستقيم للوصول إلى درجات الجنات ، ويزحزحهم عن الملأب الأليم والمركبات .

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا
فِيهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ضرباً عن التكثار : أنهم لا يزالون في مرية ، أى : في شك وريب من هذا القرآن ، قاله ابن جريج ،

واختاره ابن جرير (١) .

وقال سعيد بن جبير ، وابن زيد : (منه) ، أى : ما أتى الشيطان .

(حتى تأتيهم الساعة بغتة) ، قال مجاهد : فجأة : وقال قتادة : (بغتة) ، بقت [القوم (٢)] أمر الله ، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وجرهم ونعمتهم ، فلا تفروا بالله ، إنه لا ينزى بالله إلا القوم الفاسقون .

وقوله : (أو تأتيهم عذاب يوم عقيم) ، قال مجاهد : قال أبى بن كعب : هو يوم بدر ، وكلما قال حكمة ، وسعيد بن جبير ، وقادة وغير واحد : واختره ابن جرير .

(١) تفسير الطبري : ١٧/١٣٥ .

(٢) في المصنف : « بقت الله » أمر الله . واخترت من الطبقات السابقة . ولم يقع لنا ذكر قتادة .

وقال حكيمه، وجاءه [في رواية منهما] : هو يوم القيامة لا ليلة له . وكلما قال الضحك ، والحسن البصري .
وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدها به ، لكن هذا هو المراد ، ولهذا قال : (الملك يومئذ يحكم بينهم) ، كقوله : (مالك يوم الدين) وقوله : (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين هيباً) (١) .
(فاللذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، أي : آمنت قلوبهم ، وصدقوا بالله ورسوله ، وعملوا بمقتضى ما علموا ، وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم .
(في جنات النعيم) ، أي : لم النعم المقيم ، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبدي .

(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) ، أي : كثرت قلوبهم بالحق ، وجحدوا به وكذبوا به ، وخافوا الرسل ، واستكبروا عن اتباعهم . (فاولئك لهم عذاب مهيب) ، أي : مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق ، كقوله تعالى : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٢) ، أي : صاغرين :

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِرِزْقِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عِزِّ الرَّازِقِينَ ﴿٥٠﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ لَيْسِرَتُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفِيفٌ غَفُورٌ ﴿٥٢﴾

يخبر تعالى حسن عجز مهاجر في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وطلباً للاحسنه ، وترك الأوطان والأهل والأولاد . وفارق بلاده في الله ورسوله ، ولعنة لدين الله ، (ثم قتلوا) ، أي : في الجهاد ، (أو ماتوا) ، أي : حن (٣) أنفسهم ، أي : من غير قتال على قُرُشهم ، فقد حصلوا على الأجر الجزيل ، والثناء الجميل ، كما قال تعالى : (ومن فزع من بينه مهاجرة إلى الله ورسوله ، ثم يدره الموت فقد وقع أجره على الله) (٤) .

وقوله : (ليرزقهم الله رزقا حسنا) ، أي : ليُجَرِّينَ عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تكثر به أعضهم . (وإن الله هو خير الرازقين) ليدخلهم مدخلا يرضونه ، أي : الجنة ، كما قال تعالى : (فإما إن كان من المقريين فروح ورجحان وجنة نعيم) (٥) ، فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة نعيم ، كما قال هاتين : (ليرزقهم الله رزقاً حسناً) ، ثم قال : (ليدخلهم مدخلا يرضونه ، وإن الله لعليم) ، أي : بمن يهاجر ويجاهد في سبيله ، ومن يستحق ذلك ، (حلیم) ، أي : يعلم ويصفح ويغفر لم اللئوب ويكفرها عنهم بجبرتهم إليه ، وتوكلهم عليه ، فإما

(١) سورة الفرقان آية ٦٦ .

(٢) سورة طه آية ٦٠ .

(٣) الحنف : الملاك ، كانوا يصليون أن يروح المريض فترج من الله ، فإن خرج خرج من جراحه .

(٤) سورة النساء آية ١٠٠ .

(٥) سورة لقمان آية ٨٨ ، ٨٩ .

من قُتِلَ في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حتى عند ربه يرزق، كما قال تعالى: (ولا تحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون (١)) والأحاديث في هذا كثيرة، كما تقدم (٢): وأما مَنْ تَوَقَّى في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة لإجراء الرزق عليه، وعظم إحسان الله إليه.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا السيب بن واضح، حدثنا ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن شريح، عن ابن الخثام - يعني عبد الكريم - عن ابن حبة - يعني أبا حيدة بن حبة - قال: حدثنا شرحبيل بن السمط: قال: كان يماثلنا وإمامنا على حصن بأرض الروم، فربى سلمان - يعني القارمي - رضي الله عنه فقال: إني سمعت رسول الله يقول: من مات مرابطاً، أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر، وأجرى عليه الرزق، وأمن من القسطين، وأقرموه إن شئتم. (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا، ليرزقهم الله رزقاً حسناً، وإن الله لم يخسر الرازيين، ليدخلهم مدخلًا يرصوه، وإن الله أعلم حليم).

وقال أيضاً: حدثنا أبو زرعة، حدثنا زيد بن بشر، أنبأني همام، أنه صنع أبا قبيل وريصة بن سيف الحنكاري قتلان: كتابي روضي، وسما فضالة بن حبيد الأنصاري - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فرب مجازين، أحدهما قتل والأخرى متوفى، قال الناس على القتل، قال فضالة: ما لي أرى الناس ماتوا مع هذا، وتركوا هذا؟! قالوا: هذا قتل في سبيل الله تعالى، قال: والله ما أبالي من أي حفرتهما يبعث، أصموا كتاب الله: (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) حتى آخر الآية.

وقال أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا حيدة بن سليمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا ابن حبة، [حدثنا] سلامان بن عامر الشعماني، أن عبد الرحمن بن جهمم القولاني حدثه: أنه حضر فضالة بن حبيد في البحر مع جندل بن، أحدهما أصيب بجندل بن والأخرى توفى، فجلس فضالة بن حبيد عند قبر الموتى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده؟ قال: ما أبالي من أي حفرتهما يبعث، إن الله يقول: (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) إلى قوله: (يرصوه)، فما يعني أبا العبد إذا أدخلت مدخلًا ترصاه ووزقت رزقاً حسناً، والله ما أبالي من أي حفرتهما يبعث.

ودواء ابن جرير، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، أنبأني عبد الرحمن بن شريح، عن سلامان (٣) ابن عامر قال: كان فضالة بروصاً لميراً على الأرباع، فخرج بجندل بن وجندل بن، أحدهما قتل والأخرى متوفى، فذكر نحو ما تقدم.

وقوله: (فذلك ومن عاقب بمنزل ما عوقب به ثم بئى عليه ليصره الله)، ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها أولت في سرية من الصحابة، قتلوا جميعاً من المشركين في شهر هرم، فنادى المسلمون لئلا يقاتلهم في الشهر الحرام، فأناب المشركون إلا قتالهم وبنا عليهم، فقاتلهم المسلمون، فصرهم الله عليهم، (إن الله لغفور).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٢) الظاهر منه الآية المفصلة في سورة آل عمران: ١٣٩/٢ - ١٤٤.

(٣) في المخطوطة: «أنبأني عبد الرحمن بن شريح وسلامان...». والكتاب من تفسير الطبري: ١٢٦/١٧.

ذَٰلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ أَنْ يُولِجَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجَ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ أَنْ يُولِجَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجَ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾

يقول تعالى منها على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء ، كما قال : ﴿ قل : اللهم مالك لليلة ، توفى الملك من نساء ، وتزج الملك من نساء ، وتزج من نساء ، وتلك من نساء ، يملك الخبر ، لك على كل شيء قدير . تولى الليل في النهار ، الآية ، ومعنى إيلاجه الليل في النهار ، والنهار في الليل : إدخاله من هذا في هذا ، ومن هذا في هذا ، فارة بطول الليل ويقتصر النهار ، كما في الشتاء ، وفارة بطول النهار ويقتصر الليل ، كما في الصيف .

وقوله : ﴿ وأن الله سميع بصير ﴾ ، أي : صبح بأفواه عباده ، بصير بهم ، لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحر كاتهم ومسكناتهم .

ولما بين أنه المتصرف في الوجود ، الحاكم الذي لا مضيق لحكمه ، قال : ﴿ ذلك يأن الله هو الحق ﴾ ، أي : الإله الحق الذي لا يتبني العبادة إلا له ، لأنه [ذو] السلطان العظيم ، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء قدير إليه ، ذليل لديه ، ﴿ وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد والأوثان ، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل ، لأنه لا علة ضرأ ولا قعأ .

وقوله : ﴿ وأن الله هو البلى الكبير ﴾ ، أي : كما قال : ﴿ وهو البلى العظيم ﴾ (١) ، وقال : ﴿ الكبير المتعال ﴾ (٢) ، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ، للبلى الذي لا أهل منه ، [الكبير] الذي لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتزه ، وهو وجل عما يحرك الظالمون حلوا كبيرا .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ مَتَّعْنَا السَّامِثَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهْوَالِغِي الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَاحُ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٦﴾

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظم سلطانه ، فإنه يرسل الرياح ، فتزج معها ، فيمطر على الأرض المحركة إلى لا نبات فيها ، وهي هامة بآسة سوحاء قحلة ، ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(٢) في الضمير : وهو الكبير المتعال . وانظر الآية ٩ من سورة الرعد .

(٣) سورة الحج ، آية : ٥٥ .

وقوله : «تصيح الأرض خضرة» ، «القاء» هاهنا للتصيق ، وتصيق كل شيء محسبه ، كما قال : «فخلطنا النطفة حلقه فخلطنا الحلقه مضغة ، فخلطنا المضغة عظاما» ، وقد ثبت في الصحيحين : «أن ابن كل شيطان أربعين (١) يوماً» ، ومع هذا هو مصقب بالقاء ، وهكلنا هاهنا قال : «تضيق الأرض خضرة» ، أى : خضراء بعد يَبَسِّها (٢) وجفائها .

وقد ذكر عن بعض [أهل] (٣) الحجاز : أنها تصبح عقب المطر خضراء ، فالله أعلم .
 وقوله : «إن الله لطيف خبير» ، أى : علم بما فى أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر ، لا يخفى عليه خافية ، فيوصل إلى كلِّ مئة قسطة من الماء فينبته به ، كما قال لقمان : (يا بى ، إنها إن لك مقال حبة من خردل ، فيكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير) (٤) ، وقال : «ألا يسجلوا لله الذى يخرج الخبئة فى السموات والأرض» (٥) ، وقال تعالى : «وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس ، إلا فى كتاب مبين» (٦) ، وقال : «وما يرب عن ربك من مقال ذرة» (٧) ... الآية ، ولهذا قال أمية بن [أب] الصلت - أو : زيد بن عمرو بن نُعَيْل - فى قصيدته :

وَكَلَّوْا لَهُ مَن يَنْبُتُ الْحَبَّ فِي التَّرَى
 فَيُصْبِحُ مِنْهُ الْبُكْلُ يَهْتَرُ رَابِئًا ؟
 وَيَخْرُجُ مِنْهُ حَبٌّ فِي رُؤُوسِهِ
 فَكَيْ ذَٰلِكَ آيَاتٍ لِّمَن كَانَ وَاعِيًا (٨)

وقوله : «له ما فى السموات وما فى الأرض وإن الله هو الذى الخמיד» ، أى : مُلكه جميع الأشياء ، وهو فىها سواه ، وكل شيء فقير إليه ، عبد لديه .

وقوله : «ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض» ، أى : من حيوان ، وجباد ، وزروع ، وثمار : كما قال : «وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه» (٩) ، أى : من إحصائه وفضله وامتنانه ، (والفلك تجري فى البحر بأمره) ، أى : بتسخيره وتسييره ، أى : فى البحر العجاج ، وتلاطم الأمواج ، تجري الفلك بأهلها ، بريح طيبة ، ووفقى وتؤدة ، فيحملون فيها ما شاءوا من تجار وبضائع ومنافع ، من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر ، وبأنون عما عند أولئك إلى هؤلاء ، كما ذهبوا عما عند هؤلاء إلى أولئك ، مما يحتاجون إليه ، ويطلبونه ويريدونه .

-
- (١) انظر لفظ الحديث عند الآية الخامسة من هذه السورة : ٣٩١ / ٥ .
 (٢) فى المخطوطة : «بعد يباسها» . ولم نجد فى المصادر . وفى اللسان : «يبس الشيء يابس [بكسر الباء] ويبس [بفتحها] يابس [بفتح فسكون] ويبسا [بضم فسكون] ، ومن ابن سيدة : «واليبس [بفتح فسكون] ، واليبس [بفتح] يابس» .
 (٣) فى المخطوطة : «من بعض أرض الحجاز» . واكتفت عن الطبقات السابقة .
 (٤) سورة لقمان : آية : ١٦ .
 (٥) سورة النمل : آية : ٢٥ .
 (٦) سورة الأنعام : آية : ٥٩ .
 (٧) سورة يونس : آية : ٦١ .
 (٨) قلعت أبيات زيد بن عمرو بن نُعَيْل فى سورة الرعد : ٣٥١ / ٤ ، وسورة طه : ٢٨٩ / ٥ . وخرجنا عما هناك .
 (٩) سورة البقرة : آية : ١٧ .

(وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) ، أى : لو شاء لأذن السماء فسقطت على الأرض؛ فهلك من فيها ، ولكن من أنعمه ورحمته وقدرته . بمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ولهذا قال : (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) ، أى : مع ظلمهم . كما قال فى الآية الأخرى : (وإن ربك للو مظهر للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب) (١) .

وقوله : « الذى أحاكم لم يمتكم لم يمتكم ، إن الإنسان لكفور » ، بقوله : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم . ثم يميتكم ثم يحييكم ، ثم إليه ترجعون) (٢) ، وقوله : (قل الله يمتكم لم يمتكم لم يمتكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) (٣) ، وقوله : (قالوا ربنا ، أمتنا للتبى وأحييتنا التثيب) (٤) ، ومعنى الكلام : كيف يجعلون لله أنداداً ويعبدون معه غيره ، وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف ، (وهو الذى أحياكم) ، أى : خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً يذكركم ، فأوجدكم ، (ثم يميتكم لم يمتكم) ، أى يوم القيامة ، (إن الإنسان لكفور) .
أى : جحود .

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْتَرَعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هدى مُسْتَقِيمٍ
(٥) وَإِنْ جَدَلْتَهُمْ فَقُلْ أَفَلَا تَعْمَلُونَ (٦) اللَّهُ يَخْتَرُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧)

يُضِرُّ لَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَنَسَكًا

قال ابن جرير : «بنى لكل أمة لبي منسكا» : قال : «وأصل المنسك فى كلام العرب هو الموضع الذى يعتاده الإنسان ، ويردد إليه ، إما لخبر أو شر» . قال : ولهذا سميت مناسك الحج بذلك ، لفرادى الناس إليها وحكوفهم عليها (٥) .

فإن كان كما قال من أن المراد : لكل أمة لبي جعلنا منسكا ، ليكون المراد بقوله : (فلا بنازعك فى الأمر) ، أى : هؤلاء المشركون ، وإن كان المراد : لكل أمة جعلنا منسكا جملاً قفرياً - كما قال : (ولكل وجهة هو موليها) (١) ، ولهذا قال هاتين (هم ناسكوه) ، أى : قائلوه - فالضمة هاتين حالت على هؤلاء الذين لم يناسكوا وطرائق ، أى : هؤلاء إما يعملون هدلاً عن قدر الله وإرادته ، فلا تتأثر عنائهم لك ، ولا بصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق . ولهذا قال : (وادع إلى ربك ؛ إنك لعل هدى مستقيم) ، أى : طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود .

(١) سورة الرعد ، آية : ٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة الجاثية ، آية : ٢٦ .

(٤) سورة طه ، آية : ١١ .

(٥) انظر لفظ التثيب : ١٣٨/١٧ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ١٤٨ .

وحنه كقوله : (ولا يهدلك من آيات الله بعد إذ أولئك إليك ، وادع إلى ربك (١)) .
 مبركة : (وإن جادلوك ، قل : الله أعلم بما تعملون) ، كقوله : (وإن كذبوك ، قل : لا حول لي عليكم عليكم ،
 أن يبرهنوا ما أقول وأنا بريء ما تعملون) (٢) .
 وقوله : (الله أعلم بما تعملون) تعيد شديد ، ووجهه أكيد ، كقوله : (هو أعلم بما تفيضون فيه ، كفى به
 شهيداً بيني وبينك (٣)) ، ولما قال : (الله حكم بينكم يوم القيامة فما كنتم فيه تفتقرون) .
 ووجهه كقوله : (فلذلك فادع واسمع كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، قل : أتدعوا الله أن يبعث لنا رسولا منكم ، لا يعلم ما كنا تعملون) (٤) .
 وأما قوله : (الله ربنا وربكم ، لا أمثالنا ولكم أمثالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله جمع بيننا وإليه المصير (٥)) ،

قَالَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الصَّخَرِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦﴾

ثم تعالى من كتاب علمه خلقه ، وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض ، فلا يربط عنه مقال ذروة في
 الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر - وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها ، وكتب ذلك في
 كتابه المرح المحفوظ ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 (إن الله قدور (٦)) مخاطر الخلاق قبل خلق السموات والأرض ضئضئ ألت سنة ، وكان عرشه على الماء (١) .
 وفي السنة ، مع ضئضئ جماعة من الصحابة : أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أول ما خلق الله القلم ، قال
 له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن . فجرى القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة (٢) .
 وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا أبو بكر ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن ديار ، حدثني
 سعيد بن جبلة قال : قال أبو حمزة : خلق الله المرح المحفوظ مسيركة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق -
 وهو على العرش يبارك وتعالى - : اكتب . فقال القلم : وما أكتب ؟ قال : اكتب في خطي إلى يوم تقوم الساعة .
 فجرى القلم ما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة ، فلذلك قوله تعالى لنبي صلى الله عليه وسلم : (ألم تعلم أن الله
 يعلم ما في الصخر والأرض) .

(١) سورة القصص : آية ٨٧ .

(٢) سورة يونس : آية ٤٦ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٨٠ .

(٤) سورة القصص : آية ١٠٠ .

(٥) الله تعالى ، وكتب الله مقاديرهم .

(٦) مسلم : كتاب القدر ، باب : حجاج لهم ومروني عليها السلام ، ٥١٨ .

(٧) سنن أبي خازم : كتاب السنة ، باب : في القدر ، الحديث ٤٧٠٠ ، ٢٢٠/٤ ، ٢٢٦ . ونسخة الأحرشي : أبواب

القدر ، الحديث ٢٢٤٤ ، ٢٢٤/٦ ، ٣٧٠ - ٣٧٠ ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب . ولفظ سورة : نون ، الحديث

٢٢٧٥ ، ٢٢٢/٩ ، ٢٢٧٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . ومسلم الإمام أحمد عن عباد بن الصامت ، ٢١٧/٥ .

وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها ، وقدرها وكتبها أيضاً ، فإلحاد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك ، على الوجه الذي يسلطونه ، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطبع باختياره ، وهذا يصنع باختياره ، وكتب ذلك عند ، وأحاط بكل شيء علماً ، وهو سهل عليه ، يسير لديه ، ولهذا قال تعالى : (إن ذلك في كتاب ، إن ذلك على الله يسير) :

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَيَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بِئِشْرَتِكُمْ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ بَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَسْتَوُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ يَسْتَرْشِدُونَ مَن ذَلِكُمُ الْيَتَامَىٰ وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الْمَوْتَ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ههنا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا ، وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً ، يعني : حجة وبرهاناً ، كقوله : (ومن يدع مع الله لما آتاه من برهان له به ، فإنما حسابه عند ربه ، إنه لا يفلح الكافرون) (١) ، ولهذا قال هاهنا : (ما لم ينزل به سلطاناً ، وما ليس لهم به علم) ، أي : ولا علم لهم فيما اختلقوه واتفكوه ، وإنما هو أمر يكذبونه عن آياتهم وأسلابهم ، بلا دليل ولا حجة ، وأصله مما سئلهم الشيطان وزينه لهم ، ولهذا توعدهم تعالى بقوله : (وما للظالمين من نصير) ، أي : من ناصر ينصرهم من الله ، فيما يحل بهم من العذاب والنكال . ثم قال : (وإذا نطق عليهم آياتنا بينات) ، أي : وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله ، وأنه لا إله إلا هو ، وأن رساله الكرام حق وصدق ، (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) ، أي : يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ، ويسطون إليهم بأيديهم وألسنتهم بالسوء : (قل) ، أي : يا عباد محمد هؤلاء : (أفأنيتكم بشر من ذلكم ، النار وعدنا الله الذين كفروا) ، أي : النار وعدنا بها ونكناها أشد وأشد وأظم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ، وعدنا الآخرة على صيغكم هذا أعظم مما تتلون منهم ، إن الله يزعجكم ولواذتكم . وقوله : (وبئس المصير) ، أي : وبئس النار منزلاً ومقيلاً ومرجحاً وموتلاً ومكثماً ، (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) (٢) .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۖ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِن يَسْتَنفِثُوا شَيْطَانًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَعَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

يقول تعالى منبهاً على حكمة الأصنام وسخافة عقول عابديها : (يا أيها الناس ، ضرب مثلاً ، أي : لا يعبده الجاهلون بالله المشركون به ، فاستمعوا له) ، أي : أنصتوا وتفهموا ، (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا له) ،

(١) سورة المؤمنين ، آية : ١١٧ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٦٦ .

ذباباً ، ولو اجتمعوا له) ، أى : لو اجتمع جميع ما تميلون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ، ما قدروا على ذلك . كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن ثعلبة بن القمطاع ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة - رفع الحديث - قال : « ومن أظلم من خلق [خلقاً] كخلقى ! فليخلقوا مثل خلقى ذرة ، أو ذبابة ، أو حبة » (٢) .

وأخرجه صاحبها الصحيح ، من طريق ثعلبة ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : ومن أظلم من ذهب يخلق خلقاً ؟ فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة » (٣) .

ثم قال تعالى أيضاً : (وإن يسألهم للذباب شيئاً لا يستنقلوه منه) ، أى : هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، لو سلبها (٤) شيئاً من الذى عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقله منه ، لما قدرت على ذلك . هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا [قال : (ضَعُف الطالب والمطلوب)] -

قال ابن عباس : الطالب : الصنم ، والمطلوب : الذباب . واختاره ابن جرير (٥) ، وهو ظاهر السياق . وقال السدي وغيره : الطالب : العابد ، والمطلوب : الصنم .

ثم قال : (ما قدروا الله حق قدره) ، أى : ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره ، من هذه التي لا تقاوم للذباب لضعفها وعجزها ، (إن الله لقوى عزيم) ، أى : هو القوى الذى بقدرة وقوته خسكت كل شيء ، (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه) (٦) ، (إن يعش ربك لشديد) . إنه هو يبدئ ويعيد (٧) ، (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٨) .

وقوله : (عزيز) ، أى : قد عزَّ كل شيء قهره وغلبه ، فلا يمانع ولا يخالف ، لعظمته وسلطانه ، وهو الواحد القهار .

(١) ما بين القوسين من مسند الإمام أحمد .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٩١/٢ .

(٣) أخرجه في كتابه ابن عباس . انظر البخاري ، باب « نفث الصور » : ٢١٥/٧ ، ومسلم ، باب « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة » : ١٦٢/٦ .

(٤) أى : الأصنام والأوثان والآلة .

(٥) تفسير الطبري : ١٤١/١٧ .

(٦) سورة الروم : آية : ٧٧ .

(٧) سورة البروج : آية : ١٢ ، ١٣ .

(٨) سورة التاويرات : آية : ٥٨ .

(٩) يقال : « عزه يزه هذا » قهره ، وغلبه ، وفى التنزيل العزيز : وعز في الخطاب ، أى : غلب في الاحتياج .

(لسان العرب) .

اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٦﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥٧﴾

يُخبر تعالى أنه يخار من الملائكة رسلا فبا يشاء من شرعه وقدره ، ومن الناس لإبلاغ رسالته ، (إن الله سميع بصير) ، أى : سميع لأقوال عباده ، بصير بهم ، عليم بمن يستحق ذلك منهم ، كما قال : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) .

وقوله : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وإلى الله ترجع الأمور) ، أى : يعلم ما يفعل يرسله فبا أرسلهم به ، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء ، كما قال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) ، إلى قوله : (وأصهى كل شيء عدا) (٢) ، فهو سبحانه رقيب عليهم ، شهيد على ما يقال لهم ، حافظ لهم ، ناصر لحقهم ، (يا أبا الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل لما بلغت رسالته ، والله يمسكك من الناس) (٣) الآية .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاعْبُدُوا وَابْتَكَرُوا وَأَقْعِلُوا أَكْثَرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَتَّى يُجَاهِدَهُ هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَوْ كِبْرًا بَرَّاهُمْ هُوَ مُمْسِكُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ هَذَا لَئِنْ أَرْسَلْنَا نُبِيًّا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٥٩﴾

اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه السجدة الثانية من سورة الحج : هل هى مشروع السجود فيها أم لا ؟ هل أولها • وقد قلنا عند الأولى حديث عقبه بن حامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فُضِّلَتْ سورة الحج بسجديين ، فمن لم يسجد بها فلا يقرأها (٤) ،

وقوله : (وجاهدوا في الله حتى يجاهد هـ) ، أى : بأموالكم وأنتكم وأنفسكم ، كما قال تعالى : (اقفوا الله حتى تقاته) (٥) •

وقوله : (هو اجتاكم) ، أى : يا هذه الأمة ، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم ، وفضلكم وشرركم وعصمكم بأكرم رسول ، وأكمل شرع •

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤ . وانظر ترميزنا هذه القراءة هناك •

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .

(٤) النظر : ٤٠٠ / ٥ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٠٢ .

(وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، أى : ما كلفكم ما لا تطيقون ، وما ألزمكم بشيء فتشقق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا ، فالصلاة - التى هى أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين - يجب في الحضر أربعاً ، وفي السفر تنقص إلى اثنتين ، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة ، كما ورد به الحديث ، وتصل رجالاً وركباناً ، مستقبل القبلة وغير مستقبلها . وكلنا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها ، والقيام فيها يسقط بعذر المرض ، فيصلها المريض جالساً ، فإن لم يستطع فعل جنبه ، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات ، في سائر القرائن والواجبات ، ولهذا قال عليه السلام : « بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ (١) » ، وقال لما ذاق موسى ، حين بعثهما أميرين إلى اليمن : « يَشْرَا وَلَا تَفْرَا ، وَيَسْرَا وَلَا تَعْسِرَا (٢) » . والأحاديث في هذا كثيرة . ولهذا قال ابن عباس في قوله : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، يعنى من ضيق (٣) .

وقوله : (ملة أبيكم إبراهيم) ، قال ابن جرير : نصب على تقدير : (ما جعل عليكم في الدين من حرج) ، أى ؛ من ضيق ، بل وسُمِّه عليكم كلمة أبيكم إبراهيم . [قال : ويحتمل أنه منصوب على تقدير : الزموا ملة أبيكم إبراهيم] (٤) ، قلت : وهذا المعنى في هذه الآية كقولها : (قل : إني هداى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قديماً ملة إبراهيم حنيفاً) (٥) الآية :

وقوله : (هو سياكم المسلمين من قبل وفى هذا) ، قال الإمام عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله : (هو سياكم المسلمين من قبل) ، قال : الله هو وجل . وكلنا قال بجاهد ، وعطاء ، والضحاك ، والسدى ، وقائدة ، ومقاتل بن حنبلان ،

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (هو سياكم المسلمين من قبل) ، يعنى : إبراهيم ، وذلك لقوله : (وبنا ، واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) (٦) .

قال ابن جرير : وهذا لا وجه له ، لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين ، وقد قال الله تعالى : (هو سياكم المسلمين من قبل وفى هذا) ، قال جاهد : الله سياكم المسلمين من قبل في الكتب المتضمنة ، وفى الذكر ، (وفى هذا) ، يعنى القرآن . وكلنا قال غيره (٧) .

قلت : وهذا هو الصواب ، لأنه تعالى قال : (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، ثم نهم وأغرام على ما جاء به الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ، ثم ذكر مته تعالى على

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة : ٢٦٦/٥ ، وعن عائشة : ١١٦/٦ ، ٢٣٣ .

(٢) البخارى ، كتاب الجهاد ، باب : ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ، وصقوة من عصى إمامه : ١٧٩/٤ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب : في الأمر بالتصير وترك التكفير : ١٤١/٥ .

(٣) تفسير الطبرى : ١٤٢/١٧ .

(٤) تفسير الطبرى : ١٤٣/١٧ . وانظر البحر المحيط لأبي حيان : ٣٩١/٦ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ١٦٦ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

(٧) تفسير الطبرى : ١٤٤/١٧ .

هذه الأمة بما تَزَوَّه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقدم الزمان ، في كتب الأنبياء ، ينل على الأحياء والرهبان ، فقال : (هو سيأتم المسلمين من قبل) ، أي : من قبل هذا القرآن (وفي هذا) ، وقد قال السائى عند تفسير هذه الآية :

أنبأنا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن شُعَيْب ، أنبأنا معاوية بن سلام ، أن أخاه زيد بن سلام أخبره ، عن أبي سلام أنه أخبره قال : أخبرني الحارث الأشعري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من دعا بدوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم . قال رجل : يا رسول الله ، وإن صام وصلى ؟ قال : نعم ، وإن صام وصلى . فادعوا بدعوة الله التي سيأتم بها المسلمين المؤمنين بصاد الله .

وقد قلنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله : (يا أيها الناس ، اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) من سورة البقرة (١) ، ولهذا قال : (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) ، أي : إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا عدولا خيارا ، مشهودا بعبادتكم عند جميع الأمم ، لتكونوا يوم القيامة (شهداء على الناس) لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أممساها ، فلذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة ، في أن الرسل بالنبوءة وسالطتهم ، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك . وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا (٢)) ، وذكرنا حديث نوح وأمه بما أغنى عن إعادته .

وقوله : (فأتقوا الصلاة وآتوا الزكاة) ، أي : قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها ، وأدوا حق الله عليكم في أداء ما افترض ، وطاعة ما أوجب ، وترك ما حرم . ومن أهم ذلك إقام الصلاة وإتاء الزكاة ، وهو الإحسان إلى خلق الله ، مما أوجب للتقير على الخلق ، من إخراج جزء نزر من ماله في السنة للضعفاء والمهاجرين ، كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من (سورة التوبة (٣)) .

وقوله : (واعتصموا بالله) ، أي : اعتصموا بالله ، واستعينوا به ، وتوكلوا عليه ، وتوابعوا به ، (هو مولاكم) ، أي : حافظكم وناصركم ومظفركم على أعدائكم ، (فتم لمولى ونعم النصير) ، يعني [نعم] المولى ونعم الناصر من الأعداء . قال وهيب بن الورد (٤) يقول الله تعالى : ابن آدم ، اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت ، فلا أعطك فيمن أحق ، وإذا ظلمت فاصبر ، وارضى ونصري ، فإن نصرتك لنفسك . رواه ابن حاتم .

والله تعالى أعلم وله الحمد والمنة ، والثناء الحسن والتممة ، وأسأله التوفيق والعصمة ، في سائر الأعمال والأحوال . هذا آخر تفسير سورة الحج ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وشرف وكرم ، ووصى الله تعالى عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (٥) .

(١) انظر تفسير الآية ٢١ من سورة البقرة : ٨٧/١ ، ٨٨ . فقد أورد ابن كثير هناك الحديث عن الإمام أحمد ، وهو في مسنده : ٢٠٢/٤ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٤٣ ، وانظر : ٢٧٥/١ - ٢٧٧ .

(٣) انظر تفسير الآية ٦٥ من سورة براءة : ١٠٥/٤ - ١١٠ .

(٤) هو أبو حنيفة وهيب بن الورد المكي ، ويقال : عبد الوهاب ... مترجم في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٤/٢/٤ . والتهذيب : ١٧٠/١١ - ١٧١ . قال ابن معين والنسائي : ثقة .

(٥) هذا وقد وقع في خطوطة الأزهر في حاشية الجليل الرابع : « وهذا آخر الجزء الرابع ، يتلوه في الخامس - إن شاء الله بعالم - سورة « المؤمنون » . والحمد لله وحده ، وصحينا الله ونعم الوكيل » .

تفسير سورة المؤمنون

مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِفِهِمْ مُعْزُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ لَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
بِهَا يَدْخُلُونَ ﴿١١﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني يونس بن سليم قال : أُمي علي بن يونس بن يزيد الأيلي ، عن ابن هب ،
عن حُرَّة بن الربيع ، عن عبد الرحمن بن عبيد القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا جاءني
رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، يسمع عند وجهه كدوي (١) التحل لمسكتنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ،
فقال : اللهم ، زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تنحرنا ، وآثرنا ولا تؤثر إلينا ، وأرض عنا (٢)
وأوفينا ، ثم قال : لقد أتوت على حشر آيات ، من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ : (قد أفلح المؤمنون) حتى
ختم العشر (٣) .

وكذا روى الترمذي في تفسيره ، والنسائي في الصلاة ، من حديث عبد الرزاق ، به : وقال الترمذي : « دحلر :
لا تعرف أحدا واه غير يونس بن سليم ، ويونس لا يعرفه » (٤) :

وقال النسائي في تفسيره : أنبأنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر ، عن أبي عمران عن يزيد بن بابنوس قال : قلنا
لماشة : يا أم المؤمنين ، كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم التواضع ، قد رأت : (قد أفلح المؤمنون) ، حتى انتهت إلى : (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ، قالت :
هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الكدوي : صوت لا يفهم منه شيء . وهذا الصوت إما صوت الوحي ، أو ما كانوا يسمونه من الذي صل الله عليه
وسلم من شدة تقواه ، من قلل الوحي . والأول أظهر ، لأنه قد وصف الوحي بأنه كان قارة مثل صلصلة الجرس .

(٢) ما بين القوسين من المستند ، ومكثله يضاف بقدر كليتين .

(٣) منه الإمام أحمد : ٣٤٩ .

(٤) لم نجد لهذا القول في نسخة الأخرى منه خلا الحديث في تفسير سورة « المؤمنون » . انظر الحديث ٣٢٢٢ ، ٣٢٢٣ .

وقد رَوَى عن كعب الأحبار ، ومجاهد ، وأبي العالية ، وغيرهم : ﴿ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ ، وَغَرَسَهَا بِيَدِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي . فَقَالَتْ : (قَدْ أَطْلَعَ الْمُؤْمِنُونَ) : قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ : لَمَّا أَعَدَّ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : فَأَنزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ (١) .

وقد رَوَى ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً ، فقال أبو بكر الزرار :
حدثنا محمد بن المنثري ، حدثنا المغيرة بن سلمة ، حدثنا وهيب ، عن الجريري ، عن أبي بصير ، عن أبي سعيد ، قال : خلق الله الجنة ليلة من ذهب وليلة من فضة ، وغرسها ، وقال لها : تكلمي ، فقالت : (قد أطلع المؤمنين) ، فدخلتها الملائكة فقالت : طوبى لك ، منزلة للملوك !

ثم قال : وحدثنا بشر بن آدم ، وحدثنا يونس بن عبيد الله العمري ، حدثنا عدي بن الفضل ، حدثنا الجريري ، عن أبي نصر ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله الجنة ليلة من ذهب وليلة من فضة ، وملاحظها المسك — قال أبو بكر : ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث — : [حافظ] الجنة ليلة ذهب وليلة فضة ، وملاحظها المسك (٢) . فقال لها : تكلمي . فقالت : (قد أطلع المؤمنين) ، فقالت للملائكة : طوبى لك ، منزلة للملوك !

ثم قال الزرار : لا نعلم أحداً رَفَعَهُ إِلَّا عَدِيَّ بْنَ الْفَضْلِ ، وليس هو بالحافظ ، وهو شيخ متقدم للموت (٣) .
وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن علي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا بقية ، عن ابن جريج ، عن حماد ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا خلق الله الجنة عَدْنٌ ، خلق فيها ملائكة رأت [ولا أذن سمعت] ، ولا خطر على قلب بشر . ثم قال لها : تكلمي . فقالت : (قد أطلع المؤمنين) .
بِكَيْفَةٍ : عن المجازين ضعيف .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا حماد بن عيسى العنبري ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس يرفعه : لا خلق الله الجنة عَدْنٌ بِيَدِهِ ، ودلّ فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال (٤) : (قد أطلع المؤمنين) — قال : وعزى لا يجاوزني فيك تحيّل .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن المنثري الزرار ، حدثنا محمد بن زياد الكوفي ، حدثنا يعقوب بن حمير ، عن سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله الجنة عَدْنٌ بِيَدِهِ ، ليلة من دُرَّةٍ بيضاء ، وليلة من ياقوتة حمراء ، وليلة من زبرجدة خضراء ، ملاحظها المسك ، وحسبواها اللؤلؤ ، وحشيها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : (قد أطلع المؤمنين) ، فقال الله : وعزى

(١) تفسير الطبري : ٢/١٨ .

(٢) انظر معنى هذه الكلمة في : ١١٧/٤ .

(٣) قال ابن أبي حاتم في الجرح ٤/٢٢٣ : « سئل يحيى بن معين عن علي بن الفضل : يكتب حديثه ؟ قال : لا ، ولا كرامة ، ليس به » . انظر ترجمته في التهذيب : ١٦٩/٧ - ١٧٠ .

(٤) كلما في ضلوة الأزهر والطلحات السابقة .

وجلاني لا يجاوز ليك ^{١٠}بجليل^٩ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن يؤق شئ نفسه وأولئك هم المفلحون) (١) :
إفقه هناك : (قد أطلع المؤمنين) ، أى : قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح ، وهم المؤمنون النصفون منهم
الأوصاف :

(الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (خاشعون) : خائفون ساكنون ،
وكلا (٢) [روى عن] جاهد ، والحسن ، وقتادة ، والزهري .

ومن علي بن أبي طالب رضى الله عنه : الخشوع : خشوع القلب . وكلا قال إبراهيم النخعي .
وقال الحسن البصري : كان خشوعهم في قلوبهم ، ففضوا بذلك أبصارهم ، وخشعوا الجناح .

وقال محمد بن سيرين : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ، فلما نزلت
هذه الآية : (قد أطلع المؤمنين . الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم .

قال ابن سيرين : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد احتاد النظر فكيف يغمض . رواه ابن جرير (٣)
وابن أبي حاتم .

ثم روى ابن جرير عنه ، وعن عطاء بن أبي رباح أيضاً مرسل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ،
حتى نزلت هذه الآية .

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن قرع قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها ، وآثرها على غيرها ، وحيداً تكون
رابعة له وقررة عين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي ، عن أنس .
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حبيب إلى الطبيب والناسم » (٤) ، وجعلت قررة عين في الصلاة » (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن رجل من أسلم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا بلال ، أرحنا بالصلاة » (٦) .

وقال الإمام أحمد أيضاً ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم
ابن أبي الجعد ، أن محمد بن الحنفية قال : دخلت مع أبي حل صهر لنا من الأنصار ، فحسرت الصلاة ، فقال :
يا جارية ، اتني بوضوء لى أصلى فأستريح . فرأنا أنكرنا عليه ذلك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : قم يا بلال ، فأرحنا بالصلاة » (٦) .

(١) سورة الحشر : آية : ٩

(٢) تفسير الطبري ٣/١٨٠ .

(٣) هذا الحب حب رغبة لا حب شهوة ولله : فإن النساء كن مبهضات الجناح في إيطاليا ، ويأخذن عن الرجال إذا وكن
روما وأدمن خشية النار ، فوقت الرسول إلى جوارهن ، رافة منه ورجة ، ورعى بين في حجة الزواج .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٢٨/٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٥ . وانظر تفسير الآية ١٤ من سورة آل عمران : ١٤/١٤ .
وللصالح ، كتابه مفردة للنساء : باب حب للنساء : ٩١/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٦٤/٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٧١/٥ .

وقال : (والذين هم عن اللزوم معرضون) ، أى : عن القابل ، وحر يشمل الشرك ، كما قاله بعضهم . والمطابق
 - كما قاله آخرون - ومالا فائتة فيه من الآثام والأعمال ، كما قاله بعض : (ولم يروا باللزوم كراما) (١) .
 قال قتادة : أنهم والله من أمر الله ما وكفههم (٢) عن ذلك .

وفيه : (والذين هم للزكاة فاعلون) - الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال ، مع أن حله [الآية]
 مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة التثاق مع الهجرة ، والظاهر أنه إلى فرضه بالمدينة إنما هي ذات التخصيص
 والمقادير الخاصة ، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا مكة ، كما قاله بعض في سورة الأنعام ، ومعى مكية :
 (وأتوا حقه يوم حسابه) (٣) .

وقد عتدل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس مع الشرك والفسق ، كقوله : (قد أطلع مع زكاه) وقد
 . خاب من حسابه (٤) ، وكقوله : (وويل للمستكرهين الذين لا يؤتوا الزكاة) (٥) ، على أحد القولين في تفسيرها .
 وقد عتدل أن يكون كلا الأمرين مرادا ، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال ، فإنه من جملة زكاة النفوس ،
 والمؤمن الكامل هو الذى يصلح لهذا وهذا ، والله أعلم .

وفيه : (والذين هم لمروجهم حافظون) - إلا على أزواجهم لو ما ملكه أيانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى
 ورواه ذلك فأولئك هم العادون) ، أى : والذين قد حفظوا مروجهم من الحرام ، فلا يقعون فيها حاكم الله عنه مع زكا
 أو لواط ، ولا يفرقون سوى أزواجهم التى أحلها الله لهم ، وما ملكه أيانهم من السراريح ، ومع تعالى ما أحله الله
 له فلا لوم عليه ولا خروج ، ولهذا قال : (فإنهم غير ملومين) فمن ابتغى ورواه ذلك ، أى : غير الأكرواج والإماء ،
 (فأولئك هم العادون) ، أى : للمعتون .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا سمير ، عن قتادة : أن امرأة انطلقت
 بمركبتها (٦) ، وقالت : تأوكت آية من كتاب الله : (لو ما ملكك أيانهم) ، فالتى جا عرض بين الخطاب فقال له الناس
 من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : تأوكت آية من كتاب الله على غير وجهها . قال : فخرّب الصهد وجر راسه (٧) ،
 وقال : أنت جلد حرام على كل مسلم .

هذا أثر غريب مقطوع ، ذكره ابن جرير في أول تفسير سورة التائفة (٨) ، وهو هاهنا ألق ، وإنما حرّمها على
 الرّجال معاملة لها بيقضى قصصها ، والله أعلم .

(١) سورة الفرقان : آية ٧٧ .

(٢) أى : ما حجبهم عن القابل ، وانظر الأثر في التمر للشمس : ٤٥ - .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٤١ .

(٤) سورة الشمس : آية ٩ - ١٠ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٦٦ - ٧٠ .

(٦) أى : لمكتة من نفسها ، وكثرت به كاته زوج لها .

(٧) التخرّب : التفت ، وجرّ راسه : فنى شعره .

(٨) للتفسير الطبري : الأثر ١١٢٧٧ و ١١٢٧٨ ط . دار المعرفه .

وقد استدل الإمام الشافعي - رحمه الله - ومن وافقه على تحريم الاستمئاء باليد هذه الآية الكريمة : (والذين هم قهروهم حافظون - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم) ، قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال : (في نهجى) رواه ذلك فأولئك هم العادون) . وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزمه المشهور حيث قاله :

حدثني علي بن ثابت الجعفي ، عن مسلمة بن جعفر ، عن حسان بن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولا يجمعهم مع العاملين ، ويدخلهم النار أول الداخلين ، إلا أن يزوجوا ، فمن تاب تاب الله عليه ، لا كعب يده ، والفاعل ، والمفعول به ، ومنهم الخمر ، والشارب والديه حتى يستغثا ، والمؤنتى جبر الله حتى يلمنوه ، والتاكيح حيلة جاره .
هذا حديث غريب ، وإسناده فيه من لا يخرق ، لجهالة ، والله أعلم .

وقوله : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) ، أى : إذا أؤتمنوا لم يخولوا ، بل يؤدونها إلى أهلها : وإذا هامدوا أو هانقوا أوفوا بذلك ، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » (١) .

وقوله : (وللذين هم على صلواتهم يحافظون) ، أى : يرايونهم عليها في مواقيتها ، كما قال ابن مسعود : سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أى ؟ قال : برّ القربين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد في سبيل الله .
أشرفاه في الصحيحين (٢) وفي مستدرک الحاكم قال : (الصلاة في أول وقتها) (٣) .

وقال ابن مسعود : ومسروق في قوله : (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ، يعنى : مواقيت الصلاة (٤) .
وكذا قال أبو الضحى ، وعلمقة بن قيس ، وسعيد بن جبيرة ، وهكرمة .
وقال قتادة : على مواقيتها وركوعها وسجودها .

وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلوة ، واختتمها بالصلوة ، فدل على أفضليتها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن (٥) .

(١) البخارى ، كتاب الشهادات ، باب « من أمر بانجاز العهد » : ٢٣٦/٣ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان خصال المنافق » : ٥٦/١ .

(٢) البخارى ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب « فضل الصلاة لوقتها » : ١٤٠/١ . وكتاب الجهاد ، باب « فضل الجهاد والسير » : ١٧/٤ . وكتاب الأدب ، باب « قول الله تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه) : ٢/٨ . وكتاب التوحيد ، باب « موسى الذى حبلى الله عليه وسلم الصلاة صلاة » : ٢٩١/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « وكون الإيمان بالله تامة أصل الأعمال » : ٦٣/١ .

(٣) المستدرک ، كتاب الصلاة ، باب « في مواقيت الصلاة » : ١٨٨/١ ، وقال الحاكم : « قلده صحت هذه القطة بائناك الفقهاء » .
(٤) بغداد بن بشر والحنين بن سكرم كل رواههما عن الحسن بن عمر . وهو صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .
(٥) تفسير الطبري : ٨/١٨ .

(٥) من ابن ماجه ، كتاب الشهادة وستنها ، باب « المحافظة على الوضوء » : ٢٧٨ : ١٠٢/١ . ومسنه الإمام أحمد من ثوبان : ٢٧٦/١ - ٢٧٧ : ٢٨٢ . وصححه استقيموا ولن تحصوا ، استقيموا في كل شيء حتى لا يعيلا ، ولن تليقوا الاستقامة .

١٢٩: وصنهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال : (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس ، فإنه أهل الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تَجَسَّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله : (أولئك هم الوارثون) (٢) .

وقال ابن جريج ، عن ليث ، عن مجاهد : (أولئك هم الوارثون) ، قال : ما من عبد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فأما المؤمن فيُبتى بيته الذي في الجنة ، ويُهدم بيته الذي في النار ، وأما الكافر فيُهدم بيته الذي في الجنة ، ويُنشأ بيته الذي في النار . وروى عن سعيد بن جبّير نحو ذلك .

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ، لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة ، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له — أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا وجههم من وجعل ، بل أبلغ من هذا أبشأ ، وهو ما ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي بردة ، عن (٣) أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ويحيى يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضعها على اليهود والنصارى (٤) .

وفي لفظ له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة دُفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً ، فيقال : هذا فكّاكك من النار : فاستحلف حمر بن عبد طمير أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو ، ثلاث مرات ، أن أباه حدّله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحلف له (٥) . قلت : وهذه الآية كقوله تعالى : (تلك الجنة التي لو رث من عبادة من كان نبياً) (٦) ، وكقوله : (وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) (٧) : وقد قال مجاهد ، وسعيد بن جبّير : الجنة بالرومية هي الفردوس .

وقال بعض السلف : لا يسمى البستان فردوساً إلا إذا كان فيه حطب (٨) قاله أهل .

- (١) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب : درجات الجهادين في سبيل الله : ١٩/٤ - ٢٠ . وكتاب الزحني : ١٥٣/٩ .
- (٢) ورواه ابن ماجه في آخر كتاب الزهد من سننه ، باب : صفة الجنة ، الحديث ٤٣٤١ من هذه الطريق فيها : انظر : ١٤٥٣/٢ . وكذلك أخرجه ابن جرير الطبري من أبي السائب . عن أبي معاوية بإسناده : ٥/١٨ .
- (٣) في ضلوة الأثر : من أبي بردة ، عن أبي موسى ، عن أبيه . وجملة الزيادة : وهي : (من أبي موسى) . فغير ثابتة في صحيح مسلم . ولعل موضعها في الحديث الذي يليه ، فهو في الصحيح : (من أبي بردة) عن أبي موسى .
- (٤) مسلم ، كتاب التوبة ، باب : (قول قوي لقتال وإن كثرت قتله) : ١٥٥/٨ .
- (٥) مسلم ، في الكتاب والباب المتفقين : ١٥٤/٨ ، ١٥٥ .
- (٦) سورة مريم : آية : ٦٣ .
- (٧) سورة الزمر : آية : ٧٢ .
- (٨) انظر المحرر الجليل : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْسًا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْسَ طَافَةً ﴿١٨﴾ فَنَلَقْنَاهُ مَضْغَةً فَلَبَّغْنَا الْمِضْغَةَ عَلَاقًا فَنَسَوْنَا أَمْسَانَهُ عَلَاقًا ۖ وَاتَّخَذَ قَبْرًا لَكَ طَافَةً ۖ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّا كُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ لَمِيتُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَبَعُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى مخبرا عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين ، وهو آدم عليه السلام ، خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون ۖ

وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي يحيى ، عن ابن عباس (من سلالة من طين) ، قال صفوة الماء (١) ، وقال مجاهد (من سلالة) ، أى : من ماء آدم ،

قال ابن جرير : ولما صي آدم طينا لأنه مخلوق منه (٢) ۖ

وقال قتادة : أشكل آدم من الطين ، وهذا أظهر فى المعنى ، وأقرب إلى السياق ، فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب (٣) ، وهو الصلصال من لحم المسنون ، وذلك مخلوق من التراب ، كما قال تعالى : (ومن آياته أن خلقكم من تراب) ثم إذا أنتم بشر متضرعون (٤) ،

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا حوف ، حدثنا قسامة بن زهير ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، وجاء منهم الأحمر والأودود والأبيض ، وبني ذلك ، والنحيث والطيب ، وبني ذلك » (٥) ۖ

وقد رواه أبو داود والترمذى ، من طرق ، عن عوف الأحرار ، به نحوه ، وقال الترمذى : حسن صحيح (٦) ۖ (ثم جعلناه نطفة) : هذا الضمير حاله على جنس الإنسان ، كما قال فى الآية الأخرى : (وبدأ خلق الإنسان من طين) ثم جعل له من سلالة من ماء مهين (٧) ، أى : ضميت ، كما قال : (ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكث) ، بنى : الرحم معدة لذلك مهيا له ، (إلى قدر معلوم) قلنا : فتم القادرون (٨) ، أى : مدة معلومة وأجل معين حتى تستحكم وتنقل من حال إلى حال ، وصفة إلى صفة ، ولهذا قال هانئا : (ثم خلقنا النطفة حلقة) ، أى : ثم صيرنا النطفة ، وهى لئلا الدائق الذى يخرج من صلب الرجل - وهو ظهروه - وترابا للرائة - وهى عظام صدرها ما بين الرقبة إلى التندرة (٩) ، فصارت حلقة حمراء على شكل الحلقة مستطيلة - قال حكرمة : وهى دم ۖ

(١) تفسير الطبرى : ٧/١٨ ۖ

(٢) اللادب : للاتص الصلب ۖ

(٣) سورة الروم : آية ٢٠ ۖ

(٤) صفة الإمام أحمد : ٤٠٠/٤ : ٤٠٦ ۖ

(٥) سنن أبي داود ، كتاب السنن ، باب : فى القدر ، : ٤٩٩٣ : ٢٢٢/٤ ۖ ونسفة الأحول : فى تفسير سورة

البقرة : الحديث ٤٠٣١ : ٢٩٠/٨ : ٢٩١ ۖ

(٦) سورة السجدة : آية ٧ : ٨٠ ۖ

(٧) سورة المرحات : آية ٢٠ : ٢١ ۖ

(٨) التندرة - بنى الله ونسجها - : فى القدر ۖ

(فخلقنا العانة مضغة) ، وهي قطعة كاليتعة من اللحم ، لا شكل فيها ولا تحيطيط ، (فخلقنا المضغة عظاما)
 يعني : شكلناها ذات رأس ودينين ورجلين بنظامها وعصبيها وعروتها ،
 وقرأ آخرون : (فخلقنا المضغة عظماً (١)) ،
 قال ابن عباس : وهو عظم الصلب ،
 وفي الصحيح ، من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 كل جسد ابن آدم يلى إلا عَجَبُ (٢) الذَنَبُ ، منه خلق ومنه يركب (٣) .
 (فكسونا العظام لحماً) ، أى : وجعلنا على ذلك ما يستر ويشده ويقويه ، (ثم أنشأناه خلقاً آخر) ، (أى :
 لم نفخنا فيه الروح ، فتحرك وصار خلقاً آخر) ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب (فنفخنا فيه الروح)
 وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيى بن حسان ، حدثنا
 النضر - يعني ابن كثر - ، مولى بني هاشم - حدثنا زيد بن علي ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :
 إذا نمت النملة أربعة أشهر ، يبعث إليها ملك فتفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله : (ثم أنشأناه خلقاً
 آخر) ، يعني : نفخنا فيه الروح .
 وروى عن أبي سعيد الخدري أنه تَفَخَّ الروح .
 قال ابن عباس : (ثم أنشأناه خلقاً آخر) ، يعني به الروح ، وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، والحسن ،
 وأبو العالية ، والضحاك ، والريث بن أنس ، والسدي ، وابن زيد ، واختاره ابن جرير (٤) .
 وقال الحنفى ، عن ابن عباس : (ثم أنشأناه خلقاً آخر) ، يعني : لنقله من حال إلى حال ، إلى أن خرج طفلاً ،
 ثم نشأ صغيراً ، ثم احطم ، ثم صار شاباً ، ثم كهلاً ، ثم شيخاً ، [ثم] ، هـ ما .
 وعن قتادة ، والضحاك نحو ذلك . ولا منافاة ، فإنه من ابتداء نفخ الروح شرح في هذه التثنيات والأحوال ،
 والله أعلم .

قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله - هو ابن مسعود -
 قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم ليمجم [خلفه] في بطن أمه في
 أربعين يوماً ، ثم يكون حلقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر
 بأربع كلمات : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وهل هو شقي أو سعيد (٥) . فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليميل بعمل

(١) قال الطبري ٨/١٨ : « وكان حاتم وعبد الله بن حاتم يقرآن ذلك (عظماً) في الحرفين ، كل التوحيد .

(٢) حب اللب ، أصله .

(٣) البخاري ، تفسير سورة « هم يسألون » : ٢٠٥/٦ . ومسلم ، كتاب اللين ، باب « ما بين التفتين » : ٢١٠/٨ .
 وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « ذكر القبر والليل » ، الحديث ٤٢٦٩ : ٤٢٥/٢ . ومسنده الإمام أحمد : ٣١٥/٢ .

٤٩٩ ، ٤٢٨ .

(٤) الدر المنثور من ابن أبي حاتم : ٧/٥ .

(٥) انظر تفسير الطبري : ٨/١٨ - ٩ .

(٦) لفك الحسنة : « وشفى أم سيد » .

أهل الجنة حتى ما يكره بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها ؛ وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختم له بعمل أهل الجنة ، فيدخلها . (١)

أخرجاه من حديث سليمان بن مهران الأعمش (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن ستان حدثنا أبو حمزة عن الأعمش ، عن عبيدة قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - إن النطفة إذا وقعت في الرحم ، طارت في كل شعر وطفر ، فتمكث أربعين يوماً ، ثم تتحد في الرحم فتكون حلقة ، وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا حسين بن الحسن ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : مرّ يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه ، فقالت [يهودى] : يا يهودى ، إن هذا يزعم أنه نبي : فقال : لأمرأته عن شيء لا يعلمه إلا نبي . قال : فجاءه حتى جلس فقال : يا محمد ، ممّ يأتى الإنسان ؟ فقال : يا يهودى ، من كلّ يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فاما نطفة الرجل فنطفة خليقة منها العظم والعصب ، واما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم . [فقام اليهودى] فقال : هكذا كان يقول من قبلك [(٣)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عمار ، عن أبي العباس ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدخل الملك حل النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة ، فيقول : يارب ، ماذا ؟ أنشئ أم سعيد ؟ أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله : فيكتب . [فيقولان : ماذا ؟ أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله عز وجل ، فيكتب (٤)] . ويكتب عمله ، وأثره ، ومصيبته ، وورقه ، ثم تلوّى الصحيفة ، فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص (٥) .

وقد رواه مسلم في صحيحه ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو - وهو ابن دينار - به نحوه ، ومن طرق أخرى ، عن أبي الطفيل عامر بن واثله ، عن حذيفة بن أسيد بن سريح الغفاري بنحوه ، والله أعلم (٦) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أحمد بن عبيدة ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا حبيب الله بن أبي بكر ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله وكل بالرحم ملكاً فيقول : أي رب ، نطفة . أي رب ، حلقة . أي رب ، مضغة . فإذا أراد الله خلقها قال : يارب ، ذكر أو أنثى ؟ حتى أوسيد ؟ لما الرزق والأجل ؟ قال : فذلك يكتب في بطن أمه .

أخرجاه من حديث حماد بن زيد (٧) به .

- (١) مسند الإمام أحمد : ٣٨٢/١ ، وانظر أيضاً : ٤١٤/١ ، ٤٣٠ .
- (٢) البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وإذا قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة ...) : ١٦١/٤ - ١٦٢ . وكتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة : ١٣٥/٤ . وكتاب التوحيد ، باب (وولده سبقت كل منة لبعثنا المرسلين) : ١٦٥/٩ - ١٦٦ . ومسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدم في بطن أمه : ٤٤/٨ .
- (٣) مسند الإمام أحمد : ٤٦٥/١ . وما بين القوسين المتطرفين عنه .
- (٤) في المخطوطة : سفيان بن عمرو . وهو خطأ . وسفيان هو ابن عيينة يروى عن عمرو بن دينار .
- (٥) ما بين القوسين من المسند ، وهو سقط نظر .
- (٦) مسند الإمام أحمد : ٦/٤ - ٧ .
- (٧) مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدم في بطن أمه : ٤٥/٨ - ٤٦ .
- (٨) البخاري ، كتاب الحيض ، باب خلقه ونحو خلقه : ٨٧/١ . وكتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وإذا قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة) : ١٦٢/٤ . ومسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدم في بطن أمه : ٤٦/٨ .

وقوله : (فَبَارِكْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ خَلَقَ هَذِهِ السَّمْعَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَشَكَلَ إِلَى شَكْلٍ ، حَتَّى تَصَوَّرَ إِلَى مَا صَارَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْسَانِ السَّوَّى الْكَامِلِ الْخَلْقَ ، قَالَ : (فَبَارِكْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ خَلَقَ) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا علي بن زيد ، عن أنس ، قال : قال عمر - يعني ابن الخطاب رضي الله عنه - : وافقت ربي ووافقني في أربع : نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) الآية ، قلت أنا : فبارك الله أحسن الخالقين : فترثت : (فبارك الله أحسن الخالقين) (١) .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شيبان ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي ، عن زيد بن ثابت الأنصاري قال : أُمِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةُ : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) إِلَى قَوْلِهِ : (خَلْقًا آخَرَ) ، فقال معاذ : (فبارك الله أحسن الخالقين) ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له معاذ : ثم صحتك يارسول الله ؟ قال : بها ختمت (فبارك الله أحسن الخالقين) .

جابر بن يزيد الجعفي ضعيف جداً ، وفي خبره هذا تكرار شديد ، وذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد ابن ثابت إنما كتب الوحى بالمدينة ، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً ، فالحق أعلم : وقوله : (ثم إنكم بعد ذلك لموتون) ، يعني بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت ، (ثم إنكم يوم القيامة تموتون) ، يعني النشأة الآخرة - (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) ، يعني يوم الماد ، وقيام الأرواح والأجساد ، فيعاسب الخلاق ، ويورث كل حامل عمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ (١٧)

لما ذكر تعالى خلق الإنسان ، حطف بذكر خلق السموات السبع . وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان ، كما قال تعالى : (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ (٢)) : وهكذا في أول (آلِم) السجدة ، التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة ، في أولها خلق السموات والأرض ، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين ، وفيها أمر للمعاد والجزاء ، وغير ذلك من المقاصد (٣) .

قوله : (سبع طرائق) - قال مجاهد : يعني السموات السبع . وهذه كقوله تعالى : (تسبيح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) (٤) ، (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) (٥) ، (والله الذي خلق سبع سموات ومن

(١) انظر الأثر بجملة في القدر المشهور : ٧/٥ .

(٢) سورة طه ، آية : ٥٧ .

(٣) انظر سورة السجدة ، الآيات : ٤ - ١٢ ، ١٧ - ٢٢ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٥) سورة نوح ، الآية : ١٥ .

الأرض مملوئهم ، ينزل الأمر بينهم ، لتعلموا أن الله حل كل شيء قدير ، وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً (١) ،
 ركبنا قال هاتنا ، (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) ، أى : ويعلم ما يليق بالأرض
 وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يرعى فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير : وهو — سبحانه —
 لا يحسب عنه ماء ماء ، ولا أرضه أرضاً ، ولا جبل إلا يعلم ما فى وصّره ، ولا بحر إلا يعلم ما فى قعره ، يعلم
 عدد ما فى الجبال والتلال وقرومها ، والبحار والقفار والأشجار ، (وما ننسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات
 الأرض) ، ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين (٢) ،

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُفِيتُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٠﴾ فَأَنشَأْنَا لَكَ بِهِمْ جَبَابًا ﴿١١﴾ فَجَاءَ مِنْ جِبَالٍ لَکُمْ فِيهَا مِثْرَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٢﴾ وَجَبْرًا تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَغُلَابٍ رِابٍ هَدَّيْنَاكَ لَکَ فِي الْأَنْفُسِ لَیْلَةً تَأْسِي بِهَا فِي بُغُوتِهَا وَکَرِهَا مُنْتَفِعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمَلَأِ الْأُولَىٰ

يذكر تعالى نعمه على عبده التي لا تعد ولا تحصى ، في إزالة القسطن من السياه (بقر) ، أى ، بحسب الحاجة ، لا كثيراً فيهدد الأرض والعمران ، ولا قليلاً فلا يكتفى الزروع والثمار ، بل بقدر الحاجة إليه من السقى والشرب والانتفاع به ، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيراً لزروعها ولا تحصل دميتها(٢) إزاله المطر عليها ، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى ، كما في أرض مصر ، ويقال لها « الأرض الجرز » يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يخرقه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها ، فيأت الماء بطيناً أحمر ، فيسقى أرض مصر ، وبقدر الطين على أرضهم ليذروها فيه ، لأن أرضهم سباح يندب عليها الرمال ، فسبحان الطيف الخبير الرحيم الغفور ، وقوله (فاستكان في الأرض) ، أى جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا في الأرض قابلية له ، وتشربه وينفذ به ما فيها من الحب والنوى .

وقوله : (وإنا على ذهاب به لقادرون) ، أي : لو شئنا أن لا تمطر لقلنا ، ولو شئنا لعرفناه عنكم إلى السباح والبراري والقفار لقلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاجاً لا يتضح به لشرب ولا لشفق لقلنا ، ولو شئنا لجعلناه لا يترق في الأرض ، بل ينجرّ على وجهها لقلنا : ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها ينقر إلى مدى لا تصلون إليه ولا تنضون به لقلنا ، ولكن بلفظه ورحمته يترك عليكم الماء من السحاب علماً قرأنا زلالاً ، فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض ، فيفتح البيون والأهبار ، فيسقى به الزروع والثمار ، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم ، وتصلون منه وتطعمون وتتظفون ، فله الحمد والمنة :

(١) سورة الطلاق ، الآية : ١٢ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٥٩ .

(٢) يريد بها هنا التربة ، واللجنة في الأصل ، ما تلعبه الإبل والتمر بأبوابها وأبوابها ، أى : تلبيد في مراتبها .

وقوله : (فأتاناكم به جنات من نخيل وأعناب) ، يعني فأنعرجنا لكم بها أولنا مع الماء (جنات) ، أى :
 سائين وحدايق ذات حجة ، أى : ذات منظر حسن .
 وقوله : (من نخيل وأعناب) ، أى : فيها نخيل وأعناب ، وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ، ولا فرق بين الشيء
 وبين نظيره ، وكذلك في حق كل أهل إقليم ، عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يمتجزون عن القيام بشكره .
 وقوله : (لكم فيها فواكه كثيرة) ، أى : من جميع الثمار ، كما قال : (يبتك لكم به الزرع والزيتون والنخيل
 والأعناب ، ومن كل الثمرات) (١) .

وقوله : (ومنها تأكلون) كأنه معطوف على شيء مقدر ، تقديره : تنظرون إلى حسنه وتضجيه ، ومنه تأكلون .
 وقوله : (وشجرة تخرج من طور سيناء) ، يعني الزيتون ، والطور : هو الجبل ، وقال بعضهم : إنما يسمى
 طوراً إذا كان فيه شجر ، فإن حرسى عنها سمى جبلاً لا طوراً ، والله أعلم ، وطور سيناء : هو طور سيناء ، وهو
 الجبل الذى كلم عليه موسى بن عمران عليه السلام ، وما حوله من الجبال التى فيها شجر الزيتون .
 وقوله : (تثبت بالأمر) - قال بعضهم : الباء واللام ، وتقديره : تثبت الأمر ، كما في قول العرب : ألتى
 فلان بيده ، أى : يده ، وأما على قول من يضمن لفعل فتصيره : تخرج بالأمر ، أو ألتى بالأمر (٢) ، ولهذا قال :
 (وصيب) ، أى : أذى ، قاله قتادة (للأكلين) ، أى : فيها ما ينشعب به من اللحم والاصطياف ، كما قال الإمام أحمد :
 حدثنا وكيع ، عن عبد الله بن غيس ، عن عطاء الشافى ، عن أبي أسيد - وصلى الله عليه وسلم - أنه خرج من مكة إلى
 الأنصار - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلوا زيت وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة » (٣) ،
 وقال عبد بن حميد فى مسنده وتفسيره : حدثنا عبد قزاق ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن
 عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتكلموا بالزيت وادهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة » .
 ورواه الترمذى وابن ماجه من غير وجه ، عن عبد الرزاق ، قال الترمذى : ولا يروى إلا من حديثه ، وكان
 يضطرب فيه ، فربما ذكر فيه عمر ، وربما لم يذكر (٤) .

قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا
 الضحى بن حكيم بن شريك بن غلة (٥) ، عن أبيه عن حماد قال : ضيفت عمر (٦) بن الخطاب ليلة عاشوراء ، فأطعمنى
 من رأسه بغير بارد ، وأطعمنا زيتاً ، وقال : هذا الزيت المبارك الذى قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .
 وقوله : (وإن لكم فى الأنعام لعبرة لنفسيكم مما فى بطونها ، ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) وعليها وحل
 تلك تعملون) ، يذكر تعالى ما جعل خلقه فى الأنعام من المنافع ، وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين

(١) سورة النحل : آية ١١ .

(٢) انظر تعليقنا فيما سبق على الآية ٢٥ من سورة الحج : ٤٠٦/٥ . والبحر المحيط لأبي حيان : ٤٠١/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٩٧/٣ .

(٤) إعرابه فى الألفية ، انظر تحفة الأحرف : باب ما جاء فى أكل الزيت . الحديث ١٩١١ : ٥٨٤/٥٠ . وابن ماجه .

باب « الزيت » ، الحديث ٣٣١٩ : ١١٠٣/٢ .

(٥) الخطوط : « نبيلة » ، والمكتب من البحر لابن أبي حاتم : ٤٥٥/١٢٢ . وميزان الاعتدال : ٢١٥/٢ .

(٦) أى : نزلت به ضيقاً .

والنباتات والثمار ، وغير ذلك ، وأن يجعل فيها أهله ، إلا من سبق عليه التوك منهم) ، أى : سبق فيه التوك من الله بالهلاك ، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله ، كإبته وزوجه ، والله أعلم .

وقوله : (ولا تخافينى فى الذين ظلموا إنهم مغفرون) ، أى : عند معاينة إزراك المطر العظيم ، لا تأخذلك رعدة بقومك ، وشفقة عليهم ، وطمأنينة على من ظلموا إنهم مغفرون ، لأنى قد قضيت أنهم مغفرون على ما هم عليه من الكفر والطغيان : وقد نقلت القصة مبسوحة فى « سورة هود » (١) ، بما ينسب عن إعادة ذلك هاهنا .

وقوله : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ، قل : الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) ، (٢) « الله » (وجعل لكم من الفلك والاعتام مراكيب) لتستروا على ظهوره ، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ، وتقرئوا : سبحان الذى سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين . ولنا إلى ربنا لمقبلون (٣) . وقد امتثل نوح عليه السلام هذا ، كما قال تعالى : (وقال : اركبوا فيها ، بسم الله مجراها ومرساها) (٤) . فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهاءه ، وقال تعالى : (وقل رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المُنزِلين) .

وفوله : (إن فى ذلك لآيات) . أى : إن فى هذا الصنيع — وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين — (لآيات) ، أى : لجبجبا ودلالات واضحات على صدق الأنبياء فيما جاءوا به من الله تعالى ، وأنه تعالى فاعل لما يشاء ، وقادر على كل شيء ، عليم بكل شيء .

وقوله : (وإن كنا لبطين) ، أى : لخبيرين فعاد بإرسال للرسل »

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخَرَ ۖ ﴿١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ ﴿٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ الْآخِرَةُ أَتَرْفِقُنَّهُمْ فِي الْخَيْرِ الدُّنْيَا مَا هُنَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ بَأْ كُلٍّ مَّا إِنَّا كُونُ مِنْهُ وَنَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۚ ﴿٣﴾ وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكَ إِنَّاكَ لَنُحْسِرُونَ ۚ ﴿٤﴾ أَيْحَدُكُمْ أَتُكَرَّ إِذَا مِتَّ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتُمْ تُخْرِجُونَ ۚ ﴿٥﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تَعْبُدُونَ ۚ ﴿٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۚ ﴿٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۚ ﴿٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ دُونَ ۚ ﴿٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّبُصِيحُنْ نَّيْدِينَ ۚ ﴿١٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ فَأَلْقَوْا فِي الْفُلُوفِ الظَّالِمِينَ ۚ ﴿١١﴾

ينبرى تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرآنًا آخرين — ج ١ : الماد سم عاد : فلهم كانوا مستغفلين بعدهم : وقيل : لراد جزاء نوح ، لقوله : (فأخذتهم الصيحة بالحق) (٤) — وأنه تعالى أرسل فيهم رسولاً صاهم ، فدعاهم إلى عبادة

(١) النظرها فى : ٢٤٩/٤ - ٢٦١ .

(٢) سورة الزخرف ، الآيات : ١٢ - ١٤ .

(٣) سورة هود ، آية : ٤١ .

(٤) هذان احتمالان ، والآية أهم من ذلك : فإن الله لم يدع أمة إلا وأرسل فيها رسولا ، وهو لم يقص علينا فى كتابه غير أخبار بعض الأنبياء . وهذه الآية تتصلح عن أسلمهم الذين لم يصرح القرآن بأسمائهم . ولو كان المراد به هوداً أو صالحاً . لصرحت الآية بذلك ، والله أعلم .

الله وحده لا شريك له ، فكلبوه وحالتوه ، وأبوا من اتباعه (١) لكونه بشراً مثلهم ، واستنكفوا عن اتباع رسوله
يشرى ، فكلبوا بقاء الله في القيامة ، وأنكروا للمعاد الجماعات ، وقالوا : (أبعلمكم أنكم إذا ممت تراباً وعظاماً
أنكم شرجون ؟) ههناك ههناك لا موعود ، أى بعيد بعيد ذلك . (إن هو إلا جمل افترى على الله تلبساً) ، أى : فيما
جاءكم به من الرسالة والنذارة والإنذار بالمعاد ، (وما نحن له بمؤمنين) ، قال : رب انصرف عما كذبون ، أى :
استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم ، فأجاب دعاه ، (قال : عما قليل ليصبحن نادمين) ، أى : بمخافتك
وعناذك فيما جنتهم به ، (لأعلمنهم الصبغة بالحق) ، أى : وكانوا يستحقون ذلك من الله لكفرهم وطغيانهم .
والظاهر أنه اجتمع عليهم صبغة مع الريح الصرصر الماصفة القوي الباردة ، (لئلا يرى شيء بأمر ربها ،
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم (٢))

وقوله : (فجعلناهم خثاء) ، أى : صرغهم هلكنى كخثاء الليل ، وهو : الشيء المحترق الخافض المائل [الذى]
لا ينضج بشيء منه : (لئلا تقوم الظالمين) ، كقوله : (وما ظلمناهم ، ولكن كانوا هم الظالمين (٣)) ، أى : بكفرهم
وعنادهم وهاتفة رسول الله ، فليحذر المسلمون أن يكلبوا رسولهم ،

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاثِرِينَ ۖ مَا قَلْبٌ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَاهَا ۖ وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا قَلِيلًا
كُلِّ مَاجَاةٍ ءَلَمَّا رَسُوهُمَا كُتِبَوه فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بِعَصَابٍ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى : (ثم أنشأنا من بعدهم قرونًا آثرين) ، أى : أمما وخلائق : (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) ،
بعض : بل يؤخرون حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم ، أمة بعد أمة ، وقولنا بعد قرن ،
وجيلاً بعد جيل ، وخلفاً بعد سلف .

(ثم أرسلنا رسلنا نرى) ، قال ابن عباس : بعض جمع بعضهم بعضاً (٤) : وهذه كقوله تعالى : (ولقد بعثنا في
كل أمة رسولا أن أشهدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حفت عليه الضلالة (٥)) ، وقوله :
(كلما جاء أمة رسوله كلبوه) ، أى : جموعهم وأكثرهم ، كقوله تعالى : (يا حسرة على العباد ! ما بأنبييهم من
رسول إلا كانوا به يستهزئون (٦)) .

وقوله : (فأبغنا بعضهم بعضاً) ، أى : أهلكناهم كقولهم : (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح (٧)) .

(١) كلما : وانقلب بعضه بآخره . تقول : أبيت الشيء : إذا كرهته .

(٢) سورة الأحقاف ، آية : ٢٥ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٧٦ .

(٤) تفسير الطبري : ١٨ / ١٨ .

(٥) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٦) سورة يس ، آية : ٢٠ .

(٧) سورة الإسراء ، آية : ١٧ .

(وجعلناهم أحاديث) ، أي : أخباراً وأحاديث للناس ، قوله : (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (١) .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مِّنَ ٱللَّهِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿١١﴾ فَقَالُوا أَأَتُومِن لِّبَشَرٍ مِّثْلًا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿١٢﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَآبَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤﴾

يُخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملئه ، بالآيات والحجج الباطنة والبراهين القاطعات ، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما ، والافتقار لأمرهما ، لكونهما بشرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر ، تشابه قلوبهم ، فأهلك الله فرعون وملأه ، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين ، وأنزل على موسى الكتاب ، وهو التوراة — فيها أحكامه وأوامره ونواهيه ، وذلك بعد ما قسم الله فرعون والقيبط ، وأجملهم أجمل جزئ مقتدر . وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بحمامة ، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين ، كما قال تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ، بصالوات الناس وحلى ورحمة لعلمهم يتذكرون) (٢) .

ثم قال تعالى :

وَجَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِن مَّا رَزَقْنَاهُمْ ءَايَةً وَأَنذَرْنَاهُمْ يَوْمَ ٱلْقَرَارِ ﴿١٥﴾

يقول تعالى خبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام ، أنه جعلهما آية للناس ، أي : حجة ظاهرة على قدرته على ما يشاء ، لأنه خلق آدم من غير أب ولا أم ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى .

وقوله : (وآتيناهم آية ربه ذات قرار ومبين) — قال الضحاك ، عن ابن عباس : الآية : للكاثر المرفوع مع الأرضين . وهو أحسن ما يكون فيه لثباته . وكلما قاله جاهد ، وحكمة ، وسعيد بن جبير ، وقادة . قال ابن عباس : وقوله : (ذات قرار) ، يقول : ذات نصب (ومبين) ، يعني ما ظهر . وقال مجاهد : آية ربه مستوية .

وقال سعيد بن جبير : (ذات قرار ومبين) ، استوى للماء فيها ، وقال مجاهد : وقادة . (ومبين) : الماء الجاري .

ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الآية في أي أرض هي ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لاسي الرطب إلا بعصر ، ولما حزن يرمى يكون الربيع عليها القري ، ولولا الرطب غرقت القري (٣) ،

(١) في المخطوطة : « إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » . والآية من سورة سبأ : ١٩ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٤٣ .

(٣) هذا الأمر في تفسير الطبري مروى عن سعيد بن المسيب . انظر ٢٥٦/١٨ .

وروي عن وهب بن مكيبة نحو هذا ، وهو بعيد جداً :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد ابن المسيب ، في قوله تعالى : (وآتيناهم إلى ربوة ذات قرار ومعين) ، قال : هي دمشق .

قال : وروى عن عبد الله بن سلام ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وحالد بن محمدان نحو ذلك ؟

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سفيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (ذات قرار ومعين) ، قال : أنها دمشق .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : (وآتيناهم إلى ربوة) ، قال : عيسى ابن مريم وأمه ، حين أوريا إلى غولمة دمشق وما حولها :

وقال عبد الرزاق ، عن بشر بن رافع ، عن أبي عبد الله بن عمر أبي هريرة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : في قوله : (إلى ربوة ذات قرار ومعين) ، قال : هي الرملة من فلسطين .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف القبرياني ، حدثنا رواد بن الجراح ، حدثنا هناد بن حماد الخراساني ، حدثنا أبو حنيفة ، حدثنا السياقي (١) ، عن ابن وهبة (٢) ، عن كريب السحولي (٣) ، عن مرة البهزي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لرجل : إنك ميت بالربوة . فأت بالرملة . وهذا حديث قريب جداً .

وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (وآتيناهم إلى ربوة ذات قرار ومعين) ، قال : للملجأ الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال الله تعالى : (قد جعل ربك نحتك سرياً) (٤) .

وكذا قال الضحاك ، وبتدئة : (إلى ربوة ذات قرار ومعين) هو بيت المقدس . فهذا والله أعلم هو الأظهر ؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً . وهو أولى ما يفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة ، ثم الآثار .

يُنَايَا أَرْسَلْ كُلًّا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنَّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا وَبَكْرٌ فَأَتَقُونَ ﴿٥٦﴾ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَئِيمٌ فَرِحُونَ ﴿٥٧﴾ فَلَزَمَهُمْ فِي عُثْرَتِهِمْ حَتَّى جِئَ بِهِمُ الْمُتَحْسِبُونَ أَمَّا كَيْدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٌ ﴿٥٨﴾ فَسَارِعَ لَهُمْ فِي التَّخِيرِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٩﴾

يأمر تعالى عباده بالمسارعة عليهم الصلاة والسلام اجتمعين بالاكل من الخلال ، والقيام بالصالح من الأعمال ، فذلك هلما على أن الخلال حثون على العمل الصالح ، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أم نقيام ، وجهموا بين كل خير ، فولا وحلا ودلالة ونصحا ، فجزاهم الله عن العباد غيراً .

(١) السجاني - بالمهمله - : هو يحيى بن أبي عمرو . انظر البحر لابن أبي حاتم : ٨٢/١/٣ ، ١٧٧/٢/٤ .

(٢) هو عبد الرحمن بن وهبة المصري ، مترجم في البحر لابن أبي حاتم : ٢٩٦/٢/٢ .

(٣) هو كريب بن أبرهة أبو رزيق ، مترجم في البحر : ١٦٨/٢/٤ .

(٤) التفسير الطبري : ٢١/١٨ .

قال الحسن البصري في قوله : (يا أيها الرسل ، كلوا من الطيبات) ، قال : أما والله ما أمروا بأصغرهم ولا أنجرهم ، ولا حلوكم ولا حمامكم ، ولكن قال : انتهوا إلى الحلال منه .

وقال سعيد بن جبير ، والفسحاك : (كلوا من الطيبات) ، يعني : الحلال .

وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن ابن مسرّة عمرو بن شرحبيل : كان عدي بن مريم يأكل من خبز أمه (١) .

وفي الصحيح : ما من نبي إلا رعى الغنم ، وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم ، كنت أرحاها على قراريط لأهل مكة (٢) .

وفي الصحيح : إن داود عليه السلام كان يأكل من كسبه يده (٣) .

وفي الصحيحين : إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان يتم نصف الليل ، ويقوم ثلثه وينام ستمته ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يتغر إذا لائى (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليان الحكم بن نافع ، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن حميرة بن حبيب : أن أم عبد الله ، أخت (٥) شداد بن أوس بهتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقترح لبن عند فطره وهو صائم ، وذلك في أول النهار وشدة الحر ، فرد إليها رسوغاً : أتئى كانت لك الشاة (٦) ؟ فقالت : اشتريتها من مالي : فشرب منه ، فلما كان من الغد أتته أم عبد الله أخت (٥) شداد فقالت : يا رسول الله ، بهتت إليك بلبن مرتبة (٧) لك من طول النهار وشدة الحر ، فرددت إلى الرسول فيه . فقال لها : بذلك أمرت الرسل . [أن لا تأكل إلا طيباً ولا تعمل إلا صالحاً (٨)] .

وقد ثبت في صحيح مسلم ، وجامع الرملى ، ومسنّد الإمام أحمد - واللفظ أه - من حديث فضيل بن مرزوق : عن عدي بن ثابت عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس .

(١) تفسير الطبري : ٢٢/١٨ .

(٢) البخارى ، كتاب الإجارة ، باب : روى الغنم حل قراريط . ١١٥/٣ ، ١١٦ .

(٣) البخارى ، كتاب البيوع ، باب : كسب الرجل وعمله يده . ٧٤/٣ .

(٤) البخارى ، كتاب الصوم ، باب : صوم داود عليه السلام : ٥٢/٣ ، ٥٣ . وكتاب الآتياء ، باب : أحب الصلاة إلى الله صلى الله عليه وآله : ١٩٥/٤ ، ١٩٦ . ومسلم ، كتاب الصوم ، باب : الذى عن صوم الفهر لن تقصروه به ١٦٤/٣ ، ١٦٥ .

(٥) في المخطوطة : وأم عبد الله بنت شداد . والمثبت عن ترجمتها في أسد الغابة : ٥٩٨/٥ ، والرواية . والده المشهور لسيرى : ١٠/٥ .

(٦) أى : حل أية حالة تملكها .

(٧) أى : توجماً لك وإشفاقاً ، من روى له إذا وق وتوجع .

(٨) في مخطوطة الأزهر : لا يأكل إلا طيباً ، ولا يعمل إلا صالحاً . وهو استعمال لم يجد من أجازة من أهل العربية . والمعروف أنه يماثل جمع التكسير لغير المعامل معاملة جمع النسوة ، فيقال : الجمال تسير ، والجمال يسرن . وأما جمع التكسير للمعالم فلا يكون بهذه المناسبة ، بل يقال : الرجال تعمل ، ويعملون . وانظر المختضب للمبرد : ١٨٥/٢ . هذا وقد أخرج الحديث ابن الأثير في أسد الغابة ، عن مسند المعلى بن عرآن : ٩٨/٥ .

إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، واملأوا صناديقكم بما تعملون حليم) ، وقال : (يا أيها الذين آمنوا ، كلوا من طيبات ما رزقناكم) ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، يندبه إلى السماء : يا ربه يا رب فأنتى يستجاب لك (١) .

وقال الترمذى : « حسن غريب ، لا تعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق »

وقوله : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) ، أى : دينكم - يا معشر الأنبياء - دين واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ولهذا قال : (وأنا ربكم فاتقون) ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الأنبياء ، وأن قوله (أمة واحدة) منصوب على الحال (٢) .

وقوله : (فتقسطوا أمرهم بينهم ذبيرا) ، أى : الأمم الذين يُبحث إليهم الأنبياء ، (كل حزب بما لديهم فرحون) ، أى : يفرحون بحاكم فيه من الضلال لأنهم يصيرون أنهم مهتدون ولهذا قال متبداً لهم ومتوعداً (فذرهم فى غمرتهم) أى : فى ضلالهم وضلالهم (حتى حين) ، أى : إلى حين حينهم وهلاكهم ، كما قال تعالى : (لعل الكافرين أمهلهم ووبداً) (٣) ، وقال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وبليهم الأمل ، فسوف يعلمون) (٤) .

وقوله : (يصيبون أمتاً تخضع به من مال وبينين : تسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) ، - يعنى : أيقظ هؤلاء المغرورون أن ما تعططهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا وموئنتهم عندنا ؟ كلا ، ليس الأمر كما يزعمون فى قولهم : (نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بعملين) (٥) ، لقد أخطأوا فى ذلك وخاب رجائهم ، بل إنما يفعل بهم ذلك استعراجاً وانتظاراً وإملاء ، ولهذا قال : (بل لا يشعرون) ، كما قال تعالى : (فلا تصيبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليبلغهم بها فى الحياة الدنيا وترفع أنفُسهم وهم كافرون) (٦) . وقال تعالى : (إنما نلهم ليزدادوا إلماً) (٧) ، وقال تعالى : (فلترى ومن بكلب هذا الحديث ، سنستدرجهم من حيث لا يملعون ، ولعل لهم إن كيدى متين) (٨) ، وقال : (فترى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا مملوداً . وبينين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يجمع أن أزيد : كلا إنه كان لا يأتينا حيناً) (٩) ، وقال تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالئى تقربكم عندنا زلفى ، إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزء المضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون) (١٠) ، والآيات فى هذا كثيرة .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٢٨/٢ ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب : قبول الصدقة من الكسب الطيب ، ٨٦/٣ ، ٨٥/٣ ، ٨٦ ، وفتح الأعراف ، تفسير سورة البقرة : الحديث ٤٠٧٤ : ٣٣٣/٨ - ٣٣٥ .

(٢) انظر تفسير الآية ٩٢ من سورة الأنبياء : ٣٩٦/٥ .

(٣) سورة الطارق ، آية : ١٧ .

(٤) سورة الحجر ، آية : ٣ .

(٥) سورة سبأ ، آية : ٣٠ .

(٦) سورة التوبة ، آية : ٥٥ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ١٧٨ .

(٨) سورة النمل ، آية : ٤٤ ، ٤٥ .

(٩) سورة المائدة ، الآيات : ١١ - ١٦ .

(١٠) سورة سبأ ، الآية : ٣٧ .

قال قتادة في قوله : (أُنصِبُونَ أَمَا نَحْمَدُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ - صَارِعٌ لَمْ يَلِ الْكِبَرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) ، قال : مكر ، والله بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا ابن آدم ، فلا تتعب الناس بأموالهم وأولادهم ، ولكن احتجهم بالإيمان والعمل الصالح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن حبيب ، حدثنا أبيان بن إسماعيل ، عن الصبياح بن محمد ، عن صرة المحدثاني ، حدثنا عبد الله (١) بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم بينكم أئلافكم . كما قسم بينكم أرزاقكم . وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسى بيده ، لا يسلم أحد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائه - قالوا : وما بوائه يا نبي الله ؟ قال : غشمه وظلمه - ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيأرك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يحسن إلى المؤمن باليسر ، ولكن يحسن إلى المؤمن باليسر ، إن الخبيث لا يحسن الحديث . (٢) .

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعِبَادَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٢٣﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُهُمْ فِي الْغَنِيمَاتِ وَهُمْ هُمْ سَارِقُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى : (إن الذين هم من خشية ربهم متفقون) ، أى : هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح ، متفقون من الله خائفون منه ، وجلون من مكرههم ، كما قال الحسن البصري : إن المؤمن جميع إحسانا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمن .

(والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) ، أى : يؤمنون بآياته الكونية والشرعية ، كقوله تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام : (وصدقت بكلمات ربها وكتبه (٣)) ، أى : أيقنت أن ما كان فلما هو عن قدر الله وقضائه ، وما شرعه الله فهو إن كان أمراً فما يحبه ويرضاه ، وإن كان نبأ فهو مما يكرهه ويأباه ، وإن كان خبراً فهو حق ، كما قال الله تعالى : (والذين هم بربهم لا يشركون أى : لا يعملون معه غيره ، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحد - صمداً ، لم يخلد صاحبه ولا ولد ، وأنه لا نظير له ولا كفء له .

وقوله : (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجيلَةٌ أنهم إلى ربهم راجعون) ، أى : يعطون العطاء وهم خائفون أن لا يتقبل منهم ، لغيرهم أن يكونوا قد قصروا في التيام بشروط الإعطاء . وهذا من باب الإشفاق والاحتياط ، كما قال الإمام أحمد :

(١) ما بين القوسين من مستد الإمام أحمد .

(٢) مستد الإمام أحمد : ٣٨٧/١ .

(٣) سورة الصبح ، آية : ١٢ .

حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مالك بن مغول ، حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ، (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) ، هو الذى يسرق ويزنى ويشر بالخير ، وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : لا يا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله عز وجل (١) وهكذا رواه الترمذى وابن أبي حاتم ، من حديث مالك بن مغول ، به نحوه : وقال : لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم ، (أولئك يسارعون فى الخيرات) - قال الترمذى : « وروى هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا (٢) » .

وهكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القُرطبي ، والحسن البصري فى تفسير هذه الآية . وقد قرأ آخرون هذه الآية : (والذين يأتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (٣)) ، أى : يفعلون ما يفعلون وهم خائفون . وروى هذا ، مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ كذلك : قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا صفخر بن جويرية ، حدثنا إسماعيل المكي ، حدثني أبو خلف مولى أبي جهم ، أنه دخل مع عبيد بن حمير على عائشة - رضى الله عنها - فقالت : مرحباً بأبي حاتم ، ما يمنعك أن تزودنا لو : تكلم (٤) يا ؟ قال : أهدى أن أمكك ؟ قالت : ما كنت لتعمل ؟ قال : جئت لأسأل عن آية فى كتاب الله عز وجل ، فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ؟ قالت : آية آية ؟ فقال : (الذين يؤتون ما آتوا) أو (الذين يأتون ما آتوا) ؟ قالت أيها أحب إليك ؟ قلت : والذى نفسى بيده ، لإحداها أحب إلى من الدنيا جميعاً - أو : الدنيا وما فيها - قالت : وما هي ؟ قلت : (الذين يأتون ما آتوا) . فقالت : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن المجاء حرف (٥) .

إسماعيل بن مسلم المكي ، وهو ضعيف :

والمنى على القراءة الأولى - وهى قراءة الجمهور السبعة وغيرهم - أظهر ، لأنه قال : (أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لما سابقون) ، فجعلهم من السابقين . ولو كان المنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين . بل من المتأخرين أو القصرين ، والله تعالى أعلم .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٥٩/٦ . وانظر أيضاً : ٢٠٥/٦ .

(٢) تحفة الأوسى ، تفسير سورة المؤمنون ، الحديث ٣٢٢٥ : ١٩/٩ ، ٢٠ .

(٣) قال أبو حيان فى البحر المحيط ٤١٠/٦ : « وقرأ الجمهور (يؤتون ما آتوا) ... وقرأت عائشة ، وابن عباس ، وقتادة ، والأعشى ، والحسن ، والنعشى : (يأتون ما آتوا) ، من الإتيان ، أى : يفعلون ما فعلوا » . وانظر تفسير الطبرى : ٢٩/١٨ .

(٤) أى : تكثر بنا .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٩٥/٦ . وقد اختصر ابن كثير عنه .

ثم ذكر أكبر ذلومهم هناك : (قد كانت آياتي تتلى عليكم ، فكنتم على أعقابكم تكفون) ، أي : إذا دُعيتهم أينم ، وإن طلبتهم امتنعتم ، (ذلکم بانه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحاكم لله العلى الكبير (١)) .

وقوله : (مستكبرين به سامراً (٢) تهجرون) ، في تفسيره قولان ، أحدهما : أن مستكبرين حال منهم حين تكوصهم عن الحق وإيمانهم إياه ، استكباراً عليه واحتقاراً له ولأهله ، فعل هذا الضمير في (به) فيه ثلاثة أقوال ؛ أحدها أنه الحزب عمكة ، فموا لأهم كانوا يسمرون به بالمجتر من الكلام .

والثاني : أنه ضمير القرآن ، كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالمجتر من الكلام : إنه سحر ، إنه شعر ، إنه كهانة : إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة .

والثالث : أنه محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا يذكرونه في مستمرهم بالأقوال الفاسدة ، ويفسرون له الأمثال الباطلة ، من أنه شاعر ، أو كاهن ، أو ساحر ، أو كذاب ، أو مجنون ، وكل ذلك باطل ، بل هو عبد الله ورسوله ، الذى أظهره الله عليهم ، وأخرجهم من أفراسهم صاغرين أذلاء .

وقيل : المراد بقوله : (مستكبرين به) ، أي : بالبيت ، ينتفخون به ويعتقدون أنهم أولياؤه ، وليسوا بهم . كما قاله السائق في التفسير من منته .

أخبرنا أحمد بن سليمان ، أخبرنا حميد الله ، عن إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال : إنما كره السر حين نزلت هذه الآية : (مستكبرين به سامراً تهجرون) ، فقال : مستكبرين بالبيت ، يقولون : نحن أهله ، (سامراً) ، قال : يتكبرون [ويسرون فيه ولا] يعمرونه ، ويهجرونه (٣) . وقد ألتفت ابن أبي حاتم ها هنا بما ذا حاصله .

(١) سورة طه ، آية : ١٢ .

(٢) قال ابن جرير ٣٠/١٨ : وقوله (سامراً) ، يقول : تسمرون بالليل . وحده قوله (سامراً) ؛ لأنه ونحى موضع الوقت . ومعنى الكلام : تهجرون ليلا ، فوضع « السامر » موضع الليل ، فوجد ذلك . وقد كان بعض البصريين يقول : وحده ومعناه الجمع ، كما قيل : طفل في موضع أطفال . وما يبين من صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوجد ذلك ، قول الشاعر :

من دوتهم إن جنتهم مسمرأ • عزف القيسان وجلس شعر

فقال : مسمرأ ، لأن مناه : إن جنتهم ليلا وهم يسمرون . وكذلك قوله : (سامراً) .

هذا و (سامراً) هي قراءة الجمهور . وقرأ بعضهم (مسمرأ) ، يضم السين وتشديد الميم مفتوحة ، جمع سامر . انظر البحر المحيط ٤/١٣٦ ، ولسان العرب (مسر) .

(٣) في المخطوطة : « ولستم بهم » . وفي الطبعات السابقة : « وليسوا به » .

(٤) الأثر في الرد المحتور عن السائق وابن أبي حاتم ، والحاكم ومصححه ، وابن مردويه : ١٣/١٠ .

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَا يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ سَكِرُونَ ﴿٥٧﴾
 أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَذِبُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ أَهْوَأَ أَهْمًا لَفَسَدَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَقْسَلْهُمْ نَحْرًا
 نَخْرُجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦١﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّتَنَّ ﴿٦٢﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَاءُ فِي طَغْيِهِمْ يَمْهَرُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه ، مع أنهم قد حصروا بها الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول آكل منه ولا أشرف ، لا سبيا وآبائهم للذي ماتوا في الجاهلية ، حيث لم يكن لهم كتاب ولا أتايم تدبر ، فكان اللائق بولاء أن يقابلوا النعمة التي أسلها الله إليهم بقبولها ، والقيام بشكرها وتفهيمها ، والعمل بمقتضاها أثناء الليل وأطراف النهار ، كما فعله النجاة منهم ممن أسلم واتبع الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — ورضي عنهم ،

وقال قتادة : (أفلم يدبروا القول) : إذا والله يتجددون في القرآن زاجرا عن معصية الله لو للهيبه القوم وعكسوه ، ولكنهم أخذوا عما تنهيه ، فهلكوا عند ذلك .

ثم قال منكرا على الكافرين من قريش : (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ سَكِرُونَ) : أي : أنهم لا يعرفون صدقاً وصدقه وأمانته وصباته التي نشأ بها فيهم ، أفيدون على إنكار ذلك والمباينة فيه ؟ ، ولما قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة : أيها الملك : إن الله بعث إلينا رسولا لعرف نسبه وصدقه وأمانته . وهكذا قال المغيرة بن شعبه لثائب كسرى حين بارزهم ، وكللك قال أبو صفيان صخر بن حرب ملك الروم هرقل ، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفاراً لم يسلموا ، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصلح فاعترفوا بذلك .

وقوله : (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) ، يحكي قول المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول القرآن ، أي : افراء من عنده أو أن به جنونا لا يدري ما يقول . وأخبر عنهم أن قولهم لا تؤمن به ، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن ، فإنه قد أتاهم من كلام الله ما لا يطلق ولا يدافع ، وقد تحداهم بجميع أهل الأرض أن يأتوا بعقله ، لما استعصموا ولا يستطيعون أبداً الأبدن ، ولهذا قال : (بل جاءهم بالحق ، وأكثرهم للحق كارهون) : بضل أن تكون هذه جملة حالية ، أي : في حال كراهة أكثرهم للحق ، ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة ، والله أعلم .

وقال قتادة : ذكر لي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً قال له : أسلم : فقال الرجل : إنك تدعوني إلى أمر أنا له كاره . فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : وإن كنت كارهاً . وذكر لنا أنه لقي رجلاً قال له : أسلم فتصمت له ذلك وكبر عليه ، فقال له نبي الله : أرايت لو كنت في طريق وعرة وحشت ، فلقيت رجلاً تعرف وجهه ، وتعرف نسبه ،

فقدناك إلى طريق واسع سهل ، أكنت متعبه ؟ قال : نعم . فقال : هو الذي نفس محمد بيده ، إنك لفي أوعر من ذلك الطريق لو قد كنت عليه ، ولئن لأوصي إلى أسهل من ذلك لو دعيت إليه وذُكر لثاني نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلا ، فقال له : أسلم ، فتصعلك ذلك ، فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت فتيتك ، أحدهما إذا حدّثك صديقك ، وإذا التمتته أدنى إليك أحرأ إليك ، أم هناك الذي إذا حدّثك كذبتك وإذا التمتته خائفك ؟ قال بل فتأى الذي إذا حدّثني صدقي ، وإذا التمتته أدنى إلى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كلّاكم [أنتم] عند ربكم (١) .

وقوله : (ولو ألبح الحق أهوامهم ، لتسلدت السموات والأرض ومن فيهن) - قال مجاهد ، وأبو صالح والسدّي : الحق هو الله عز وجل ، والمراد لو ألبسهم الله إلى ما في أنفسهم من الخوى ، وشرّع الأمور على وفق ذلك ، (لتسلدت السموات والأرض ومن فيهن) ، أي : لتفسد أهوائهم واختلافها ، كما أخبر عنهم في قولهم : (لو لا ترك هذا القرآن على وجل من الثريتين عظيم) ، ثم قال : (ألهم يقسمون رحمة ربك (٢)) ، وقال تعالى : (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي إذا أمسكنم خشية لافاض وكان الإنسان تنورا (٣)) . وقال : (ألهم نصيب من الملك فإذا لا يؤثون الناس نقيرا (٤)) ، ففى هذا كله نبيّ عظيم عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، وتديره تحلقه - تعالى وتعالى - فلا إله غيره ، ولا رب سواه .

ثم قال : (بل أتيناكم بالكريم) ، يعنى القرآن ، (فلهم عن ذكرهم معرضون) .

وقوله : (أم تسألهم خرجا) - قال الحسن الجرا . وقال قتادة : جملا - (فخرج ربك خبر) ، أي : أنت لا تسألهم أجرة ولا جملا ولا شيئا على دعوتك إياهم إلى الهدى ، بل أنت في ذلك محتسب عند الله جزيل ثوابه ، كما قال : (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله (٥)) ، وقال : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (٦)) ، وقال : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى (٧)) ، وقال تعالى : (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون (٨)) .

وقوله : (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لتاكبون) ، قال الأمام

أحمد :

حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه - فيما يرى النائم - ملكان ، فقام أحدهما عند رجليه ، والآخر عند رأسه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : اضرب مكمل هذا ومثل أمته . فقال : إن مكملته ومثل أمته ، كمثل قوم سقتر

(١) الأثر في البلد المنصور عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم : ١٣/٥ .

(٢) سورة الزمر ع آية : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة الإسراء ع آية : ١٥٠ .

(٤) سورة القصص ع آية : ٥٣ .

(٥) سورة سبأ ع آية : ٤٧ .

(٦) سورة ص ع آية : ٨٦ .

(٧) سورة الشورى ع آية : ٢٣ .

(٨) سورة يس ع آية : ٢٠ ، ٢١ .

النار ، هَالُوا يا ليتنا كُذِّبَ وَلَا نُكَلِّبَ بآيَاتِ رَبِّنَا ، ونكون من المؤمنين . بل بدلنا ما كانوا يحسون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون : وقالوا : إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ، وما نحن بجمعين (١) ، فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون ، لو كان كيف يكون .

قال الله سبحانه ، من ابن عباس : كل ما فيه «لو» فهو مما لا يكون أبداً .

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٥﴾ حَقَّ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا أَأَفْءَاتُنَا وَكَافَرَاتُ آبَائِنَا لَعْنَةُ اللَّهِ لَمَجْعُونَ ﴿٢١﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا بَحْمَنٍ وَآبَاءَنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّا سَمِعْنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى : (ولقد أخذناهم بالعذاب ، أي : ابتليناهم بالمصائب والشدائد ، لما استكبروا لربهم وما يتضرعون) ، أي : فإدهم ذلك مما كانوا في الكفر والمخالفة ، بل استمروا على ضلالتهم وغيهم . (لما استكبروا) أي : ما خشعوا ، (وما يتضرعون) ، أي : ما دعوا ، كما قال تعالى : (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم ، ودينهم الشيطان ما كانوا يعقلون (٢)) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن حمزة المروزي ، حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبي ، عن يزيد - يعني النحوي - عن حكيم ، عن ابن عباس أنه قال : جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أنشدك الله والرحم ، لقد أكلنا العلهز (٣) - يعني الزهر والدم - فأنزل الله : (ولقد أخذناهم بالعذاب لما استكبروا لربهم وما يتضرعون) .

وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عتيق ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه : به : وأصل هذا الحديث في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استمصوا فقال : اللهم ، أعني عليهم بسبع كسيع يوسف (٤) . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان ، عن وهب بن عمر بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه ، فقال له رجل من الأنبياء : ألا أنشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله ، والله تعالى يقول : (ولقد أخذناهم بالعذاب ، لما استكبروا لربهم وما يتضرعون) .

(١) سورة الأنعام : الآيات : ٢٧ - ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ٤٣ .

(٣) انظر : ٢٧/٤ .

(٤) البخاري ، كتاب الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين : ١٠٤/٨ . وانظر فيما تقدم لتفسير الآية ١٢٨ من سورة آل عمران : ٩٦/٢ ، ٩٧ . والحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب : استيعاب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة : ١٣٤/٢ .

قال : وصام ولبث ثلاثا متواصلة ، فقيل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال : أحدث لنا فأحدثنا ، يعني أحدث لنا الحبس ، فأحدثنا زيادة عبادة .

وقوله : (حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد : إذا هم فيه مبسوثون) ، أى : حتى إذا جعلهم أمر الله ورجاءهم الساعة بفتنة وأغلغهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحسبون ، فعند ذلك ابتسوا (١) من كل خير ، وأيسوا من كل راحة ، وانقطعت آمالهم ورجائهم .

ثم ذكر تعالى نعمته على عباده في أن جعل لهم السمع والبصائر والأفئدة ، وهى العقول والفهوم ، التى يدركون بها الأشياء ، ويعتبرون بها في الكون من الآيات الفالقة على وحدانية الله تعالى ، وأنه القاهر المختار لما يشاء .

وقوله : (قليلا ما تشكرون) ، أى : وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم ، كقوله : (وما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين) (٢) .

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر ، في برئه الخليقة وذرئه (٣) لهم في سائر أنظار الأرض ، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين ليقات يوم معلوم ، فلا يترك منهم صغيراً ولا كبيراً ، ولا ذكراً ولا أنثى ، ولا جليلاً ولا حقيراً ، إلا أعاده كما أباده (٤) ، ولهذا قال : (وهو الذى يحيى ويميت) ، أى : يحيى الرمم ويميت الأمم ، (وله اختلاف الليل والنهار) ، أى : وعن أمره فسيفر الليل والنهار ، كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ، يتمتقان لا يفتران ، ولا يفترقان بزمان غيرهما ، كقوله تعالى : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (٥) .

وقوله : (أفلا تعقلون) ، أى : أفليس لكم عقول تدلّكم على العزيز العليم ، الذى قد قهر كل شئ ، وهز كل شئ (٦) ، وخضع له كل شئ .

ثم قال خبراً عن منكري البعث ، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين : (بل قالوا مثل ما قال الأولون : قالوا إذا أتونا ميتاً أو كنا تراباً وعظاماً ، أئنا لمبعوثون) ؟ أى : يستعملون وقوع ذلك بعد صيورهم إلى البلى ، (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ، إن هذا إلا أساطير الأولين) ، يعنون : الإعادة حالاً ، إنما خبر بها من تلقاها عن كسب الأولين واختلاقهم . وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخباراً عنهم : (أئنا كنا عظاماً تحخرة : قالوا : تلك إذا كرة خاسرة . فإئنا هي زجرة واحدة . فلذا هم بالهامة (٧)) ، وقال تعالى : (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فلذا

(١) أى : يشعوا .

(٢) سورة يوسف : آية : ١٠٣ .

(٣) البرء : الخلق ، وفى أماء الله تعالى « الباري » ، وهو الذى خلق الخلق لا من مثال . وهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوانات ما ليس لها بديها من المخلوقات ، ولعلها تستعمل في غير الحيوان ، فيقال : « برأ الله النملة » ، وه خلق الله السموات والأرض .

وأما « البرء » - بفتح فسكون ، فيقول ابن الأثير في النهاية : « وكأن البرء يخص بخلق البرية » .

(٤) يقال : « بدأ وأبدأ » ، أى : خلق . وفى التنزيل : (الله يبدؤ الخلق) . وفيه : (كيف يبدؤ الله الخلق) .

(٥) سورة يس : آية : ٤٠ .

(٦) أى : عليه .

(٧) سورة النازعات : الآيات : ١٦ - ١٤ .

هو خصم مبين : وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال : من يحيى العظام وهي رميم . قل : يحييها الذي أنشأنا أول مرة ، وهو بكل خلق حليم (١) .

قُلْ لَّيْنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ . قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٥٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ . قُلْ أَفَلَا نُنَبِّئُكَ ﴿٥٩﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَتُ كُلِّ فَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ . قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٦١﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَلَهُمْ لَكُذُوبٌ ﴿٦٢﴾

يقرر تعالى وحدانيته ، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ، له عبد إلى أنه الذي لا إله إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين الماعدين معه غيره ، المعترفين له بالربوبية ، وأنه لا شريك له فيها ، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية ، فعبدوا غيره معه ، مع اعترافهم أن الذين يهدوهم لا يخلقون شيئاً ، ولا يملكون شيئاً ، ولا يستبدون بشيء ، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلي : (ما تنبئهم إلا ليقرَّبوا إلى الله زلي (٢)) - فقال : (قل : إن الأرض ومن فيها) ؟ أى : من مالكاها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والجمرات ، وسائر صنف المخلوقات (إن كنتم تعلمون . سيقولون لله) ، أى : فيعرفون لك بأن خلقه وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك (قل : أفلا تذكرون) أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره .

(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) ؟ أى : من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب الثيرات ، وللائكة الحاضرين له في سائر الأقطار منها والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم ، يعنى الذى هو سقف المخلوقات ، كما جاء في الحديث الذى رواه أبو داود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : شأن الله أعظم من ذلك ، إن عرشه على سماواته هكذا . وأشار بيده مثل القبة (٣) .

وفي الحديث الآخر : ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض للاة ، وإن الكرسي عظمي بالنسبة إلى العرش كذلك الحلقة في تلك القلاة . ولهذا قال بعض السلف : إن مسافة ما بين فطرى العرش من جانب إلى جانب مسيرة خمسين ألف سنة ، [وارتفاعها عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة (٤)] ،

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : إنما سمى عرشاً لارتفاعه ،

(١) سورة يس ، الآيات ٧٧ - ٧٩ .

(٢) سورة الزمر ، آية ٣ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب ٥ في الجهمية .

(٤) تقدم هذا الحديث في سورة الرعد ، عنه تفسير الآية الثالثة منها ، انظر ٢٥١/٤ . وانظر أيضاً لتفسير الآية

الخامسة من سورة طه ٢٦٨/٥ ، ٢٦٩ .

(٥) انظر أيضاً هذا الأثر في الموضوعين المتقدمين .

وقال الأعمش من كعب الأحبار : إن السموات والأرض في العرش ، كالتشتيل الملق بين السماء والأرض ؛ وقال : جاهد : ما السموات والأرض في العرش إلا كحقل في أرض فلاة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العلاء بن سالم ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان الثوري ، عن عمار الذهبي ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : العرش لا يقدر أحد قلدته - وفي رواية : إلا الله عز وجل ؛ وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء .

ولهذا قال هاهنا : (ورب العرش العظيم) ، يعني الكبير . وقال في آخر السورة : (وب العرش الكريم) ، أي : الحسن البهي . فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو ، والحسن الباهر . ولهذا قال من قال : إنه من ياقوتة حمراء .

وقال ابن مسعود : إن ربكم ليس مثله ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه .

وقوله : (سيفواون لله قل أفلا تتقون) ، أي : إذا كنتم تترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم ، أفلا تتقون عذابه وعلمونه عذابه ، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به ؟ .

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القُرَظِيُّ في كتاب « التفكير والاعتبار » : حدثنا إصحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدث عن امرأته كانت في الجاهلية حل رأس جبل ، معها ابن لها يرعى شياً ، فقال لها ابنها : يا أمّاه ، من خذتك ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقني ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق السماء ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق هذه النعم ؟ قالت : الله . قال : فإني أسمع الله شأنا . ثم ألقى نفسه من الجبل فتقطع .

قال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدثنا هذا الحديث ؛

قال عبد الله بن دينار : كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا الحديث .

قلت : في إسناده عبد الله بن جعفر المدني ، والد الإمام علي بن المدني ، وقد تكلموا فيه ، فافقه أعلم ؛

(قل : من بيده ملكوت كل شيء) : أي : بيده الملك ، (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) : أي : مصترقة فيها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا ، والذي نفسي بيده » ، وكان إذا اجتهد في البين قال : « لا ، ومقلب القلوب » ، فهو سبحانه الخالق المالك المنصرف ، (وهو يجير ولا يُجَار عليه ، إن كنتم تعلمون) - كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأنجز أحداً ، لا يُخَفَّر (١) في جواره ، وليس لمن دونه أن يجير عليه ، لئلا يفئات عليه (٢) ،

(١) أي لا ينقص عهده .

(٢) أي : يحكم عليه ، يقال : « افتات عليه في الأمر » حكم ، وكل من أحدث دونك شيئاً فقد تارك به ؛ وافتات عليك فيه .

ولهذا قال الله : (وهو يجير ولا يجار عليه) ، أى : ذو السيد العظيم الذى لا أعظم منه ، الذى له الخلق والأمر ، ولا مقب لحكمه ، الذى لا يُستأخَر ولا يُخالَف ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وقال الله : (لا يستل عما يفعل وهم يسئلون (١)) ، أى : لا يستل عما يفعل ، ولطفته وكبريائه ، وقهره وغلبته ، وعزته وحكمته ، والخلق كلهم يسئلون عن أفعالهم ، كما قال تعالى : (فوريك لنساءنهم أجمعين . عما كانوا يعملون (٢)) .

وقوله : (يقولون لله) ، أى : سيعترفون أن السيد العظيم الذى يجير ولا يجار عليه ، هو الله تعالى ، وحده لا شريك له . (قل : فأنى تسبحون) أى : فكيف تلهب عقولكم فى عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك .

ثم قال تعالى : (بل أنبئهم بالحق) ، وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله ، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة الفاطمة على ذلك ، (وأنهم لكاذبون) ، أى : فى عبادتهم مع الله غيره ، ولا دليل لهم على ذلك ، كما قال فى آخر السورة (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ، فإنما حسابه عند ربّه ، إنه لا يفلح الكافرون) ، فالشركون لا يفعلون ذلك [عن دليل قاطع إلى ما هم فيه من الإلحاد والضللال ، وإنما يفعلون ذلك] اتباعاً لأبائهم وأسلافهم الجاهليين ، كما قالوا : (إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتلون (٣)) .

مَا اخْتَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبِيحٌ
اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامَةُ فَتَعَلَّى عَمَّا يَسْرُونَ ﴿٢﴾

يتزهى تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك فى الملك ، فقال : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا أذهب كل إله بما خلق ، ولعل بعضهم على بعض) ، أى : لو قُدِّرَ تعدّد الآلهة ، لانفرد كل منهم بما خلق ، فما كان ينتظم الوجود . ولشاهد أن الوجود منتظم متسق ، كل من العالم العلوى والسفلى مرتبط ببعضه بعض ، فى غاية الكمال ، (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت (٤)) . ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافته ، فيعمل بعضهم على بعض . ولتلكمونا ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل الباطن ، وهو أنه لو فرض صانعان لصاعداً ، فأراد واحد تحريك جسم وأراد الآخر سكونه ، فإذن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين ، والواجب لا يكون عاجزاً ، ويحتاج اجتماع مراديهما للتضاد . وما جاء هذا الحال إلا من فرض التعدد ، فيكون محالاً ، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان الغالب هو الواجب ، والآخر المظلوم ممكناً ، لأنه لا يلبق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً ، ولهذا قال : (ولعل بعضهم على بعض ، سبحانه الله عما يصفون) ، أى : عما يقول الظالمون للعتون فى دعوهم الولد أو الشريك علواً كبيراً .

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٣ .

(٢) سورة الحجر : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) سورة الزمر : آية ٢٤ .

(٤) سورة الملك : آية ٣ .

(عالم الغيب والشهادة) ، أى : يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه ، (فعلى ما بشر كون) ، أى : قدسى وتقره وتعالى وعز وجل [عما يقول الظالمون والجاحلون] .

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي أَفَرِّقُوا بَيْنَ رَبِّ فَلَا يَجْعَلُنِي فِي الْقَوْمِ الْفَاطِلِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّا عَلَيْنَا أَنْ تُرِيدَ مَا نَمْنَعُهُمْ لَتَقْدِرُونَ ﴿١١﴾ أَذْفَعُ بَالِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٢﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٣﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوا ﴿١٤﴾

يقول تعالى آمرا [ليه عبدا صلى الله عليه وسلم] أن يدعو بهذا الدعاء عند حلول التيمم : (رب ، إِمَّا تُرِيدُنِي أَفَرِّقُوا بَيْنَ رَبِّ) أى : إِنْ عَاقِبْتَهُمْ - وَإِنِّي شَهِدْتُ ذَلِكَ - فَلَا تَجْعَلْنِي فِيهِمْ ، كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والترمذى - وصححه - : « وَإِذَا أُرِدْتَ بِقَوْمٍ فَتَقَرَّبْتَ إِلَيْهِمْ فَهَبْ مَقْنُونًا (١) » .

وقوله : (وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرِيدَ مَا نَمْنَعُهُمْ لَتَقْدِرُونَ) ، أى : لو شئنا لأريناك ما نمنل بهم من التيمم والبلاء والضرر . ثم قال مرشداً له إلى التبريق التابع (٢) فى مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يسئ ، ليستجلب عافيه ، فتعود عداوته صداقة وينضج عبه ، فقال : (أذفع بالي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ) . وهذا كما قال فى الآية الأخرى : (أذفع بالي هِيَ أَحْسَنُ) ، فإذا الذى يترك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣) ، أى : ما يلهم هذه الرصية أو الخصلة أو الصفة (إلا الذين صبروا) ، أى : على أذى الناس ، فماتكمهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القريب ، (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) ، أى : فى الدنيا والآخرة ، وقوله : (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) ، فمره أن يستعيذ من الشياطين ، لأنهم لا تنفع معهم الحيلة ، ولا يقدرون بالمعروف .

وقد قلنا عند الاستعاذة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، مِنْ هَمَزِهِ وَكَلْبِهِ وَنَفْسِهِ (٤) » .

وقوله : (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوا) ، أى : فى شيء من أمرى - ولعلنا أشر بذكر الله فى ابتلاء الأمور - وذلك منظر دة الشياطين - عند الأكل والجماع واللبس ، وغير ذلك من الأمور - ولعلنا رؤى أبو داود أن رسول الله

(١) تحفة الأشراف ، تفسير سورة ص ، الحديث ٣٢٨٨ : ١٠٦/٩ - ١٠٩ . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح . ومسنود الإمام أحمد من محمد بن جبل : ٢٤٣/٥ .

(٢) التبريق : ما يستعمل لدفع النسم ، من الأدوية والملايين . ويقال فيه : « ذريق » ، بالهال . وفى المرحمة للجوالين ٩٩٥ أنه روى مخرجه .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) انظر : ٢٨/٦ . وأخذت أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة ، باب « ما يستفتح به الصلاة » من الدعاء . والترمذى فى أبواب الصلاة ، باب « ما يقول عند افتتاح الصلاة » ، الحديث ٢٤٢ : ٧/٢ - ٥٠ . والإمام أحمد من عباد الله بن مسعود : ٤٠٣/١ ، ٤٠٤ ، وعن أبي سعيد الخدرى : ٥٠٣/٣ ، وعن أبي أسامة البعلل : ٢٥٣/٥ ، وعن عائشة رضى الله عنها : ١٥٦/٦ .

صلى الله عليه وسلم كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من المفرم ، وأعوذ بك من المندم ومن الفترق ، وأعوذ بك أن يتخطفني الشيطان عند الموت (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّمنا كلمات يقولن عند النوم ، من الفزع ، باسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن هزات الشياطين وأن يحضرون . قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلّمها من بلغ لله ولكم أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها ، كتبها له ، فمات في حلقه (٢) .
ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث محمد بن إسحاق ، قال : الترمذي حسن غريب (٣) .

حَقِّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَثِهِمْ صَفَرٌ إِلَى أَبِيهِمْ يَرْوِيهِمْ

عن علي بن محمد بن صالح بن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن الكافرين أو المرتدين في أمر الله تعالى ، وقيلهم عند ذلك ، وسوالم
الرجعة إلى الدنيا ، ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ، ولهذا قال : (رب ، ارجعون) لعل أعمل صالحاً فيها تركت
كلاماً ، كما قاله الله تعالى : (وانفقوا بما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب ، لولا أنرني إلى
أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) ولما يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون (٤) ، وقال تعالى :
(وأنزلنا الناصي يوم يأتيهم الملاك فيقول ألقوا ، ربنا ، أنعزنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك فنتبع الرسل
لو لم نكنوا أنفسهم من قبل ما كن من ذوات (٥)) ، وقال تعالى : (يوم يأتي تأويله يقول للذين أسؤوا من قبل :
قد جئناكم ونسئل منكم بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو نردّ فتعمل غير الذي كنتم تعملون (٦)) ، وقال تعالى :
(ولو لم يدر إلى المرجع لا كسار وعوسهم عند ربهم ، ربنا ، أبصرنا وسمعنا ، فارجعنا لعملنا صالِحاً ، إنا موقنون (٧)) ،
وقال تعالى : (ولو لم يدر إلى المرجع لا غفوا عن النار ، فقالوا ، يا ليتنا فردّ ولا نكلب بأيام ربنا ولكون من المؤمنين = بل
بل لم ما كانوا يقولون من قبل ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون (٨)) ، وقال تعالى : (وترى الظالمين
لما جاءوا لعذابهم يقولون هـ قال إلى حشره من قبل (٩)) ، وقال تعالى : (قالوا ، ربنا ، أمتنا النضير وأحييتنا النضير ،

(١) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب في الاستعاذة .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ١٨١/٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب كيف الرق ، وخفة الأحوص ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٩٠ ، ٥٠٧/٩ .

(٤) سورة المائدة ، آية ١٠ ، ١١ .

(٥) سورة البقرة ، آية ٤٤ .

(٦) سورة الأعراف ، آية ٥٣ .

(٧) سورة النجدة ، آية ١٢ .

(٨) سورة الأنعام ، آية ٢٧ ، ٢٨ .

(٩) سورة النضير ، آية ٤٤ .

فاعترفنا بلذوننا ، فهل إلى خروج من سعيل . ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتهم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم الله العمل الكبير (١) وقال تعالى : (وهم يصطرون فيها) رينا ، أخرجنا لعمل صالح غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فلو قوا لالظالمين من نصير (٢) - فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة - فلا يجابون ، عند الاحتضار ، ويوم النشور . وقت العرض على الجبار ، وحيث يعرضون على النار ، وهم في نعمات عذاب الجحيم .

وقوله : هاتنا ، (كلا) إنها كلمة هو قائلها) ، كلا : حرف ردع وزجر . أي : لا نجيبه إلى ما طلب ، ولا نقبل منه .

وقوله : (إنها كلمة هو قائلها) ، قال : صالح بن زيد بن أسلم : أي لا بد أن يقولوا بحالة كل متضرط الم (٣) ، ويحتمل أن يكون ذلك حلة لقوله : كلا ، أي : لأنها كلمة ، أي : سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه ، وقول لا عمل معه ، ولو رد لأعمل صالحا ، وكان يكتب في مقاله هذه ، كما قال تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون) .

وقال محمد بن كعب القرظي : (حتى إذا جاء أحدم الموت قال : رب ، أرجعون : لعل أعمل صالحا فيما تركت) ، قال : فيقول الجبار : (كلا ، إنها كلمة هو قائلها) .

وقال حنبل بن عبد المولى غمرة : إذا سمعت الله يقول : (كلا) ، فاعلم يقول : كذاب .

وقال قتادة في نوله تعالى : (حتى إذا جاء أحدم الموت) ، قال : كان العلاء بن زياد يقول : لَيْتُنْزِلُ أَحَدَكُمْ نَفْسَةً أَنَّهُ قَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، فاستقل به فأقاه : () فليعمل بطاعة الله عز وجل .

وقال قتادة : والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمانة الكافر المفرط فاعملوا بها ، ولا قوة إلا بالله . وعن محمد بن كعب القرظي نحوه .

وقال محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يوسف ، حدثنا فضيل - يعني ابن عياض - عن ليث ، بن جريح طلمجة بن مصرف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : إذا وضع - يعني الكافر - في قبره ، فبصر مقعده من النار - قال : فيقول : رب ، أرجعون أتوب وأعمل صالحا - قال : فيقال : قد عَمَرْتَ ما كنت مُعَمِّراً - قال : فيضيق عليه قبره ، قال : فهو كالمشوش ، ينأم ويفزع ، تنهى إليه هَوَامُ الأرض وحياتها وعقاربها (٥) .

وقال أيضا : حدثنا أبي ، حدثنا عُمَرُو بن علي ، حدثني سلمة بن تمام ، حدثنا علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن حاشية أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور ! لا تدخل عليهم في قبورهم حيات سُرود - أو : دُهم (٦) حية

(١) سورة خافر : آية ١١ و ١٢ .

(٢) سورة طاهر : آية ٣٧ .

(٣) تفسير الطبري : ١٨ ٪ ٤١ .

(٤) استغله : طلب إليه أن يقبله ، والمضى هنا : أنه يطلب منه تعالى أن يمهده إلى الدنيا لعمل الصالح ، فأجابه الله إلى طلبه .

(٥) الأول في الدار المنظور من ابن أبي الدنيا في ذكر الموت : وابن أبي حاتم : ١٤٤ .

(٦) الدهم - يغم فسكون - جمع آدمي ، وهو الأسود .

عند رأسه ، وحية عند رجله ، يترصد حتى يقتر في وسطه ، فذلك المذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى :
(ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) .

وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى : (ومن ورائهم) : يعني أعلمهم ،

وقال مجاهد : البرزخ : المجرى ما بين الدنيا والآخرة ،

وقال محمد بن كعب : البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة ، يسوا مع أهل الدنيا ياكلون ويشربون ، ولا مع أهل الآخرة
يجازون بأعمالهم .

وقال أبو صخر : البرزخ : المقابر ، لأهم في الدنيا ، ولا هم في الآخرة ، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون .

وفي قوله : (ومن ورائهم برزخ) : تهيئة لحواله للضارين من الظلمة بمذاب البرزخ ، كما قال : (من ورائهم

جهنم) (١) ، وقال : (ومن ورائه حطب غليظ (٢)) .

وقوله : (إلى يوم يبعثون) ، أي : يستمر به المذاب إلى يوم البعث ، كما جاء في الحديث : « فلا يزال مُعَذَّبًا (٣)

فيها » ، أي : في الأرض .

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ (١) قُلْ نَقَلْتُمُ مَوْزِنَهُمْ فَلَوْ كُنْكُمْ هُمْ الْمُضْلَحُونَ
(٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوْزِنُهُ فَاُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٣) تَلْقَهُمْ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا
كَالْمُحْرَقِينَ (٤)

غير تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة التشور ، وقام الناس من القبور ، (فلا أنساب بينهم) ، أي : لا تنقطع الأكساب
يومئذ ، ولا يتربى والد لولده ، ولا يتكوى عليه ، قال الله تعالى : (ولا يسأل حميم حمياً : يُبْصَرُونَهُمْ (٤)) ، أي :
لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره ، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أقل ظهره ، وهو أمر الناس عليه - كان - في الدنيا ،
مالفت إلى له ولا حمل عنه - وزن جناح بعوضة ، قال الله تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته
وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُخفيه (٥)) .

وقال ابن مسعود : إذا كان يوم القيامة جمّعت الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليجيئ
فلينفذ حقه ، قال : فيفرح المرء أن يكون له الحق حل والله أو ولده أو زوجة وإن كان صغيراً ، ومصدق ذلك في كتاب
الله : (فإذا نفخ في الصور ، فلا أنساب بينهم يومئذ ، ولا يتساءلون) : رواه ابن أبي حاتم .

(١) سورة الباقية : آية : ١٥ .

(٢) سورة الباقية : آية : ١٤ .

(٣) تحفة الأحوي : أبواب الجنائز ، باب « ما جاء في حديث التبر » : الحديث ١٠٧٧ من أبي هريرة : ١٨٩ - ١٨٤ .

وقال الترمذي : « حديث أبي هريرة حديث حسن غريب » .

(٤) سورة الماعج : آية : ١٥ ، ١٦ .

(٥) سورة عبس : الآيات : ٣٤ - ٣٧ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد - مولى بني هاشم - حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أم بكر بنت المسور ابن غزفة ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن المسور - هو ابن مسخرمة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاطمة بضعة مني ، يقتبضني ما يقتبضها ، ويبتسطني ما يبتسطها (١) ، وإن الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي (٢) وصهرى (٣) .

هذا الحديث له أصل في الصحيحين عن المسور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قاطمة بضعة مني ، يربطني ما رابها ، ويؤتني ما آذاها (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو حاتم ، حدثنا زهير ، عن عبد الله بن محمد ، عن حمزة بن أبي سمبلان عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر : ما بال رجال يقولون : إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفخ قومه ؟ بل ، والله إن رحمى موصولة في الدنيا والآخرة ، وإنى - أبأ الناس - قرط (٥) لكم ، إذا جئتم (٦) قال رجل : يا رسول الله ، أنا فلان بن فلان ، [وقال أخوه : أنا فلان بن فلان (٧)] فأقول لهم (٨) : أما النسب فقد هرفط ، ولكنكم أحلتم بعلد وارتدتم القهرى (٩) .

وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، من طرق متعددة عنه - رضي الله عنه - : أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : أما - والله - ما إن (١٠) أتت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل صبي ونسب فإنه متقطع يوم القيامة ، إلا سببي ونسبي .

رواه الطبراني ، والبرز ، والهيثم (١١) بن كتيب ، والبيهقي ، والمحقق الضياء في «اختار» وذكرنا أنه أحدها

(١) في المغطلة ، ويبتسطني ما يبتسطها . والمثبت عن المسند . وفي النهاية لابن الأثير : يقتبض ما قبضها ، أي : أكره ما تكرهه ، وأتجمع ما تجتمع له . وقال في «بسط» : يبسطني ما يبسطها ، أي : يبرئ ما يبرئها ، لأن الإنسان إذا برأ البسط وجهه واستبره .

(٢) اللبس بالولادة ، واللبس بالزواج .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٢٣/٤ .

(٤) البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب «متلق قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم» ومنتبة لاطمة عليها السلام بنت النبي : ٢٦/٥ . وباب «ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم» ٢٨/٥ . وباب «مناقبة لاطمة عليها السلام» : ٣٦/٥ . وكتاب النكاح ، باب «ذب الرجل عن ابنته في الليرة والإنصاف» : ٤٧/٧ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب «فضائل قاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام» : ١٤٥/٧ - ١٤٣ .

ومنه : يربني ما رابها ، يورثني ما ساءها ، ويزحني ما أزعجها ، يقال : رابني هذا الأمر ، وأرابني : إذا رأيت منه ما تكره .

(٥) تقدم تفسير «القرط» من قريب .

(٦) لفظ المسند : «فلذا جئتم» .

(٧) ما بين القوسين سقط من تفسير ابن كثير ، وقد أئبتاه من المسند الإمام أحمد ، وهو سقط نظر .

(٨) في المسند : «قال لم» . وموافق تفسير ابن كثير يوافق رواية أخرى في المسند : ٢٩/٢ .

(٩) مسند الإمام أحمد : ١٨٠/٣ .

(١٠) أي : ما بين حبلتي إلى الزواج .

(١١) هو الحافظ أبو سعيد الخدري بن كليب الشامي ، صاحب المسند ، وعنه ما رواه الترمذي ، وروى عن عيسى بن أحمد

الجلي . لغة : توفي سنة ٢٣٥ . انظر المعجم للجلي : ٢٤٧/٢ .

أربعين ألفاً ، إعظاماً وإكراماً رضى الله عنه ، فقد روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة أبي العاصم بن الربيع - زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - من طريق أبي القاسم اليعقوبي : حدثنا سليمان بن عمر بن الأكفح ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل نسب وصهر يقطع يوم القيامة إلا نسي وصهرى » . وروى فيها من طريق حماد بن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : سألت ربي عز وجل أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ، ولا يتزوج إلى أحد منهم ، إلا كان مني في الجنة ، فأعطاني ذلك ، ومن حديث حماد بن سيف ، عن إسماعيل ، عن عبد الله بن عمرو] ،

وقوله (فمن قلت موازينه فأولئك هم المفلحون) ، أي : من رجحت حسنة على سيئته ولو بواحدة ، قاله ابن عباس :

(فأولئك هم المفلحون) ، أي : الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة .

وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما هم فيه .

(ومن خفت موازينه) ، أي : ثقلت سيئاته على حسنة ، (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ، أي : خابوا وهلكوا ، وباعوا بالصفة الخاسرة)

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إسماعيل بن [أبي] الحارث حدثنا داود بن الجبير ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان ، عن أنس بن مالك يرفعه قال : [إن الله] ملكاً موكلاً باليزان ، فيوزن بين آدم ، فيوفى بين كفتي الميزان ، فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلاق : سعد فلان سعادة لا يشني بعدها أبداً ، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلاق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ،

إسناده ضعيف ، فإن داود بن الجبير متروك :

ولما قال : (في جهنم خالدون) ، أي : ما تكون فيها ، دائمون مقيمون لا يظعنون :

(تلتع وجوههم النار) ، كما قال تعالى : (وتشتى وجوههم النار (١)) ، وقال : (لو يعلم اللين كفروا حين لا يذكرون وجوههم النار ولا هم ظهورهم ولا هم ينعرون (٢)) :

وقال أبو نعيم حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا محمد بن سليمان بن الأصمعي ، عن أبي سنان همرار بن مرة ، عن عبد الله بن أبي الحليل ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن جهنم لا سبيق لها [لها] أهلها ، يلقاها فيها ، ثم تلتعهم لتحة ، فلم يبق [لهم] سلم إلا سقط على الرقوب » :

وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى التزاز ، حدثنا الخضر بن علي بن يونس القطان ، حدثنا عمر ابن أبي الحارث بن الخضر القطان ، حدثنا سعد بن سعيد القنبري ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء رضى الله

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٥٠ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٢٩ .

هذه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : (تلفح وجوههم النار) ، قال : تلفحهم لفحة ، فسيل لهمهم على أعقابهم .

وقوله : (وهم فيها كالخون) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعنى حابسون (١) .

وقال الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود : (وهم فيها كالخون) ، قال : لم تر إلى الرأس المشيت (٢) الذي قد بدأ أسنانه وقلعت (٣) شفته (٤) :

وقال الإمام أحمد رحمه الله : أخبرنا علي بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله — هو ابن المبارك ، رحمه الله — أخبرنا سعيد بن يزيد (٥) ، عن أبي السرح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وهم فيها كالخون) ، قال : تشويه النار فتتكس (٦) شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتشويخ شفته السفلى حتى تضرب سرتة (٧) ،

ورواه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك ، به : وقال : حسن هريبه (٨) :

أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْتُ نَارَ عَلَيَّكَ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَلِّبُونَ ﴿١٩﴾ قَالُوا رَيْنَا ظَلَبْتَ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٢٠﴾
وَبَنَّا أَخْرَجْنَاهَا فَإِنَّ عَذَابَنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢١﴾

هذا تفرع من الله تعالى لأهل النار وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والماكر والمخارم والمظالم ، التي أوبة عنهم في ذلك ، فقال : ألم تكن أتيت ناري عليك فكنتم بها تكلبون ، ؟ أي : قد أرسلت إليكم الرسل ، وأنزلت الكتب ، وأنزلت شيبهم ، ولم يبق لكم حجة تدلون بها كما قال : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (٩)) ، وقال : (وما كنا معذبين حتى نبشع رسولاً (١٠)) ، وقال : (كلنا ألقى فيها فوج سالم خزيها ألم بأنكم نذير ! قالوا : بلى ، قد جاءنا نذير ، فكذبنا وقلنا : مازلل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير ، وقالوا : لو كنا نسمع

(١) تفسير الطبري : ٤٣/١٨ .

(٢) أي : المرق بشفه . من قولهم : شيط الهم — يتضميت العين — إذا أسرق بشفه .

(٣) أي : اجتمعا .

(٤) تفسير الطبري : ٤٣/١٨ .

(٥) في المسند : أنا سعيد بن يزيد ، أنا شعيب . وهو خطأ ، فسيح بن يزيد يكنى أبا شعيب ، وهو مترجم في كتب الرجال .

(٦) أي : تفتش . وأصله تنقلص . فطابت إحدى التامين .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٨٨/٣ .

(٨) ثقة الأحوصي ، أبواب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة طعام أهل النار ، الحديث ٢٧١٣ : ٣١٢/٧ .

وكتاب التفسير . تفسير سورة المؤمنون ، الحديث ٣٢٢٦ : ٢٠/٩ . وللفظ الترمذي : هذا حديث حسن صحيح هريبه .

(٩) سورة النساء : آية ١٦٥ .

(١٠) سورة الإسراء : آية ١٥ .

أو نعل، ما كنا في أصحاب السبع : فاعترفوا بدينهم فسحقاً لأصحاب السبع (١) ، ولهذا قالوا : (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) ، أي : قد قامت علينا الحجة ، ولكن كنا نشقى من أن نقاد لها ونتبعها ، ففعلنا ما كنا نرؤونها .
ثم قالوا : (ربنا ، أخرجنا منها ، فإن عدنا فإننا ظالمون) ، أي : رُدُّنا إلى الدار الدنيا ، فإن عدنا إلى ما سلف منا ، فمن ظالمون مستحقون العقوبة ، كما قالوا : (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) . ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (٢) ، أي : لاسبيل إلى الخروج ، لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون :

قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ۖ إِنَّكُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَبِيرٌ
الرَّاحِمِينَ ۖ فَأَعْلَجْنَا لَهُمْ مَوْتَهُمْ بِرِجَالٍ فَأَسْوَدَ لَوْنُهُمْ وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۖ إِلَىٰ جَزَائِهِمَ الْيَوْمَ عَمَّا صَبَرُوا ۖ وَهُمْ
فِيهَا ۖ فَالْمُتَّعُونَ ۖ

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار ، يقول : (اخسأوا فيها) ، أي : امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء : (ولا تكلمون) ، أي : لا تعودوا إلى سؤالكم هذا ، فإنه لأجواب لكم عندي .
قال المتوفى ، من أين عباس : (اخسأوا فيها ولا تكلمون) ، قال : هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان المروزي ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالكا ، فلا يجيبهم أربعين عاما ، ثم يرد عليهم : إنكم ما كنتم - قال : هانت دعوتهم - والله - هل مالك ورب مالك . ثم يدعون ربهم فيقولون : (ربنا ، غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإننا ظالمون) ، قال : فبسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، ثم يرد عليهم : (اخسأوا فيها ولا تكلمون) - قال : والله ما تبس القوم بعدها بكلمة واحدة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم - قال : فشبَّهت أصواتهم بأصوات الحمير ، أوها زفير وآخرها شهيق .

وقال أيضاً : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، حدثنا أبو الزاهر قال : قال عبد الله بن مسعود : إذا أراد الله أن لا يخرج منهم أحداً - يعني من جهنم - غيَّرَ وجوههم وألوانهم ، فيجىء الرجل من المؤمنين ، فيشفع فيقول : يارب . فيقول : من عرف أحداً فليخرجه . فيجىء الرجل فينظر فلا يعرف أحداً فيقول : أنا فلان . فيقول : ما أعرفك . قال : فعند ذلك يقول : (ربنا ، أخرجنا منها ، فإن عدنا فإننا ظالمون) ، فعند ذلك يقول : (اخسأوا فيها ولا تكلمون) : وإذا قال ذلك ، أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشيء .

ثم قال تعالى ملوكاً لهم يدعونهم في الدنيا ، وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه ، فقال : (إنه كان فريق من عبادي يقولون : ربنا ، آمنا فاعفُ لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) فاعلقتهم سحرة ، أي : فسخرهم منهم

(١) سورة الملك ، الآيات : ٨ - ١١ .

(٢) سورة طه ، آية : ١١ - ١٢ .

في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ ، (حتى أسروكم ذكرى) ، أى : حملكم بغضهم على أن تسميهم معاملي (وكنتم منهم تضحكون) ، أى : من ضيعهم وعبادتهم ، كما قال تعالى : (لأن الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون : وإذا مروا بهم يتغامزون) (١) ، أى : يلحزونهم استهزاء .

ثم أخبر عما جازي به أوليائه وعباده الصالحين ، فقال : (إلى جزيتهم اليوم بما صبروا) ، أى : على أذاكم لهم واستهزأكم منهم ، (أنهم هم الفائزون) ، أى : جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة ، للناجين من النار .

قُلْ كَلِّمْتُ فِي الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴿١١﴾ فَلَا أَلْبِثُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٣﴾ لَوْ أَنْتَكُمُ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ الْحَسِبْتُمْ أَنْ تُخَلِّقُوا نَفْسًا وَأَنْتُمْ لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١٦﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٧﴾

يقول تعالى منها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده ، ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أوليائه المتقون ، (قال : كم لبثتم في الأرض عدد سنين) ؟ أى : كم كانت إقامتكم في الدنيا ؟ (قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، فأسألكم العادين) ، أى : الحاسبين : (قال : إن لبثتم إلا قليلاً) ، أى : مدة يسيرة على كل تقدير (أو أنكم كنتم تعلمون) ، أى : لا أنكرتم القائل على الباقي ، ولا تصرعتم لأنفسكم هذا التصرف السيئ ، ولا استحققتن من الله سطوته في تلك المدة اليسيرة ، ولو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته — كما فعل المؤمنون — لفزتم كما فازوا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوكيل ، حدثنا الوليد ، حدثنا صفوان ، عن أبيه عن عبد الكلاعي أنه سمعه يعطى الناس فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قال : يا أهل الجنة ، كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم . قال : لنتم ما أنجزتم في يوم أو بعض يوم : رحمتي ورضواني وحنني ، أمكنوا فيها خالدين مخلدين ؟ ثم يقول : يا أهل النار ، كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم . فيقول : بهن ما أنجزتم في يوم أو بعض يوم : نارتي وسخطي ، أمكنوا فيها خالدين مخلدين .

وقوله : (أخصبتن أماً خلقناكم حبثاً) ، أى : أفضلتن أنكم مخلوقين حبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ، (وأنتم إلينا لا ترجعون) ، أى : لا تعودون في الدار الآخرة ، كما قال : (يحسب الإنسان أن يترك سدى) (٢) ، أى : يضي هباءً .

(١) سورة المطففين : آية ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) سورة التوبة : آية ٣٦ .

وقوله : ﴿ فَمَالِيَ اللَّهُ الْمَالِكُ الْخَلْقَ ﴾ ، أي : تقدّس أن يخلق شيئا حيئا ، فإنه الملك الحق المتّوه من ذلك ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ ، فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم ، أي : حسن النظر بهي الشكل ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١ ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق بن سليمان — شيخ من أهل العراق — أنبأنا شعيب بن صفوان ، عن رجل من آل سعيد بن العاصي قال : كان آخر خطبة خطب عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تخلقوا حيئا ، وإن تتركوا سدى ، وإن لكم معادا يتزل الله فيه الحكيم بينكم والصلب بينكم ، فخاب وخسر من يخرج من رحمة الله ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن خدا إلا من حله هذا اليوم وخلافه ، وباع نافله بياق ، وقليل بكثير ، وخوفا بأمان ، ألا ترون أنكم من أصلاب المالكين ، وسيكون من بعدكم الباقين ، حتى تردون إلى خبر الوارثين ؟ ثم إنكم في كل يوم تُشَيِّعُونَ غاديا وراحا إلى الله عز وجل ، قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، حتى تقيوه في صدع من الأرض ، في يطن صدع غير ممد ولا موسد ، قد فارق الأحباب وباشر التراب ، وولج الحساب ، مُرْتَهِنٌ بعمله ، غنى عما ترك ، فقير إلى ما قدم . فالتقوا الله عباد الله قبل انقضاء مواليقهم ، ونزول الموت بهم ، ثم جعل طرف رداه على وجهه ، فبكى وأبكى من حوله :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يحيى بن نصر الخولاني ، حدثنا ابن وهيب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي هيرة عن حنبل بن عبد الله : أن رجلا مصابا مر به عبد الله بن مسعود ، فقرأ في أذنه هذه الآية : ﴿ أَنْصِتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ حَيًّا وَأَنْتُمْ إِلَيَّا لَاتَرْجِعُونَ ﴾ فمالي الله الملك الحق ، حتى ختم السورة قتيلا ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بماذا قرأت في أذنه ؟ فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لو أن رجلا مؤمنا قرأها على جيبك لوال .

وروى أبو ثعلبة عن طريق خالد بن زبارة ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن النكسر ، عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث ، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ، وأمرنا أن نقول إذا نحن أقمنا وأصبحتنا : ﴿ أَنْصِتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ حَيًّا وَأَنْتُمْ إِلَيَّا لَاتَرْجِعُونَ ﴾ ، قال : فقرأناها فغنمنا وسلمنا (٢) :

وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي ، حدثنا أبو السليب سلمة بن سلام ، حدثنا بكر ابن شبيب ، عن شبل بن سعيد ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمَانٌ لَأُمَّتِي مِنَ الْفِرْقِ إِذَا رَكِبُوا فِي السَّفَنِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْمَالِكِ الْخَلْقِ ﴾ (وما قلروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون) ، (بأمر الله مجراها ومرساها ، إن ربنا لفتور رحيم) .

(١) سورة ق : آية ٧ .

(٢) انظر أسد الغابة : ترجمة إبراهيم بن الحارث : ١٠١٦ هـ . بحقيقته .

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾
وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره ، وعبد معه سواه ، ومخبراً أن من أشرك بالله (لا بُرْهَانَ لَهُ) ، أى :
لأدليل له حل قوله - فقال : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) ، وهذه جملة معترضة ، وجواب الشرط
في قوله : (فإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) ، أى : الله يحاسبه على ذلك .

ثم انصرف : (إنه لا يفلح الكافرون) ، أى : لديه يوم القيامة ، لا فلاح لهم ولا نجات .

قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : ماتريد ؟ قال : أعبداً لله ، وكلاركنا - حتى حد أصنامنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأَيُّهم إذا أصابك شرٌ فدعوته ، كشفه عنك ؟ قال : الله عز وجل : قال :
[فأَيُّهم إذا كانت لك حاجة فدعوته أعطاكها ؟ قال : الله عز وجل : قال : [فما يحملك حل أن تعبد هؤلاء معه ؟ قال :
أردت شكره بعبادة هؤلاء معه أم حسبت أن يطلب عليه (١) : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعلوون ولا يعلمون)
قال الرجل بعد ما سلم : لقيت رجلاً خصمى .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى أبو عيسى الترمذى في جامعه مستنداً من عمران بن الحصين ، عن أبيه ، عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك .

وقوله : (وقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) ، هذا إرشاد من الله إلى هذا الدعاء ، فالغفر - إذا
أطلق - معناه نحو اللين وستره عن الناس ، والرحمة معناه أن يسدده ويوقفه في الأقوال والأفعال .

[آخر تفسير سورة المؤمنون]

(١) وقت هذه الفقرة التي بين القوسين المتوفين في الطبقات السابقة به ، ولا يصح أن تبه هؤلاء به ؟ . ولم نجده
أمر فتادة هكذا .

أعلام المفسرين والفقهاء

(1)

إبراهيم التتحي : ٨٩ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ٢١٩ ، ٣٢٩ ،
 ٣٨٤ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٣٢٣ ، ٤٢٧ ،
 أبي بن كعب : ٤٢١ ، ٢١٤ ، ٤٢٧ ،
 أحمد بن حنبل : ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٨ ،
 ٤٢٩ ، ٤٣٧ ،
 إسحاق بن راهويه : ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،
 الأسود : ١٠٠ ،
 أبو الأئمة الطراد : ٢٤٠ ،
 أبو أمامة بن سهل : ١٩٩ ، ٤١٦ ،
 ثونس بن مالك : ١٦٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٣٩٢ ،
 لأوزاعي : ٢٩٧ ، ٤٢٩ ،
 زياصي بن معاوية : ٣٥٠ ،
 أبو أنس : ٢٧١ ، ٤٢٩ ،

(四)

الباقى (أبو جعفر) : ٣٦٦، ٩٩
 البخارى : ١٣٦
 البخارى للعابد : ٤٨
 الراى : ٢٢٠
 أبو بكر الصديق : ٣٦٥
 أبو بكر الملقب : ٣٧٦
 الباقى (أبو بكر) : ٥٤

101

ثابت البناني : ٢٢٣
أبو ثعلبة : ٢٩٦
الثوري (سفبان) : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥٧ ،
٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٢ ، ٣٦٧ ، ٣٨٠ ، ٤١٠ ،
٤٢١ ، ٤٢٨

(五)

ابن جریر : ۶۷ ، ۸۷ ، ۱۴۰ ، ۱۸۱ ، ۱۸۹ ، ۲۱۲ ،
 ۲۱۴ ، ۲۲۵ ، ۲۳۰ ، ۲۳۳ ، ۲۴۵ ، ۲۵۱ ، ۲۵۹ ،
 ۳۷۶ ، ۳۹۰ ، ۳۹۶ ، ۴۴۲ ، ۴۴۴

(7)

الجنون (أبو هرمان) : ٢٧٨
 أبو حامد : ٤٢٣
 ابن حبان : ٥٨
 حبيبة بن أبي ثابت : ٤٠٨
 الحسن البصري : ٤١ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،
 ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٥٨ ،
 ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ،
 ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ،
 ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
 ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨

الحكماء في الطب : ٢٤٨

أبو حنيفة : ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨

(2)

تصنيف : 114 : 132

103

أبي القاسم ج ٢ : ٢٨٠

134

۲۷۱ : ۳

121

الربيع يوم السبت ١٠٨١هـ ٢٩٤٥م ٧٩٦٣

(5)

الرمز : ٤٠:٤٥:٥٧:١٥٥:١٤٩:٣٤٩:٤٢٤:٤٢٩

٧٤٧ : ١٤٥٥ هـ

[illegible]

100-317127-470-417

٩٩ ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٩٤ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٨٦ ، ٨٢

١٢٥ ، ١٢٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠١ ، ١٠٠

١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦

١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠

١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠

٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠

٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥١

٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٤

٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩

٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٠

٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥

٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧

٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١

٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢

٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧

٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٩

٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨

محمد بن إسحاق : ٤١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢١٤

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٧٥

محمد بن جرير الطبري : ٤١ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٤

٧٩ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٠٩

١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧

٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣

٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠

٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

محمد بن الحنفية : ٥٨ ، ٧٢

محمد بن سيرين : ١٧٨ ، ٥٦

محمد بن عباد بن جعفر : ٢١٩

محمد بن علي بن الحسين (أبو جعفر) : ٣٧٧

محمد بن كعب القرظي : ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٥٩ ، ١٧٠

٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٧٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٠

٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٤١٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٧ ، ٤٨٨

محمد بن أبي موسى : ٤١٩

مسروق : ٨٩ ، ٩٠ ، ٣٣٩ ، ٣٥٨

مطر : ١٨٧

مطرف بن عبد الله : ١٤٧

معاذ بن جبل : ٣٩٤

(ق)

القاسم بن سلام (أبو حيد) : ٥٩

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق : ٥٨

القاسم بن خزيمة : ٢٣٨

قاعدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٦

٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٧

٨٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٠٩

١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤

١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥

١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٢

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠

٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥

٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦

٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨

٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢

٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣

٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤١٠

٤١١ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٣٢ ، ٤٤٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠

٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٧ ، ٤٩٥

أبو قتية : ١٨٢

القرطبي (أبو عبد الله) : ٥٧

(ك)

كعب الأحبار : ١٨٦ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦

٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩٦ ، ٣٣٠ ، ٣٤٦

٢٤٧ ، ٣٧١ ، ٤٠٣ ، ٤٥٥ ، ٤٨٣

أبو الكعب : ٤٢٥

(ل)

أبو لابة : ٢٢٢

الليث بن سعد : ٤١٢

(م)

مالك بن أنس : ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٦١ ، ٢٧٣

٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨

أبو مالك : ٩٠ ، ٣٩٠

مجاهد بن جبر : ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧١

النهدي (أبو حنّان) : ٣٥٢ ، ٣٧٣

أبو نبيك : ٢٧٠ ، ٢٥٧ ، ٣٠٧

توفّ اليكالي : ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧

النزوي : ١٨٤

(هـ)

هرم بن حيان : ٢٦٤

أبو هريرة : ٢٥٩ ، ٤٣٧ ، ٤٧٠ ، ٤٨٧

(جـ)

أبو وائل : ٢١٤

وهب بن منبه : ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩

٢١٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٤٧٠

وهيب بن الورد : ٤٥٣

(ي)

يحيى بن يعمر : ٢٥٠

يزيد بن يسرة : ٣٥٤

يوسف بن عبد الله الحمري (أبو عمر) : ٥٤ ، ٥٧

معاوية بن أبي سفيان : ٤١ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤

معمر : ٢١٠

معمر بن المثنى : ٢٧٨

مغيرة بن مقسم : ٣٢٩

مقاتل بن حيان : ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٧٥

أبو الملبّح : ٤٣٥

ابن منده : ١١٤

المنهال بن عمرو : ٣٤٦

أبو موسى الأشعري : ٣٥٩ ، ٤١١

أبو ميسرة : ٢٤٧ ، ٤٧١

ميمون بن مهران : ٢٢٢

(ن)

نافع بن الأزرق : ٢٤٨

النعمان بن بشير : ٣٧٣

نضج الأحمي (أبو حارود) : ٢١٩

فهرس القبائل والطوائف

- (غ)
 بنو عامر : ١٢٠
 (ق)
 أريش : ٣٧ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ،
 ١٣٢ ، ٣٢٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٩ ، ٤٣٨ ، ٤٨٠ ،
 القبط : ٤٦٩ ،
 (ك)
 بنو كعب بن لوى : ٢٧ ،
 (م)
 الخوس : ١٢٩ ، ٣٩٨ ، ٤٣٢ ،
 مضر : ٢٢١ ،
 بنو ماء الساء : ٣٤٤ ،
 (ن)
 النسطورية : ٢٢٥ ،
 بنو نصر بن قس : ٣٨ ،
 النصارى : ١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٩٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ ،
 ٢٥٣ ، ٣٢٧ ، ٣٩٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩ ،
 (هـ)
 مديل : ١٤٨ ،
 (ي)
 ياجوج وماجوج : ٢٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ،
 ٣٨٧ ،
 اليمصوية : ٢٢٥ ،
 اليهود : ٩٧ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ،
 ١٥٥ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٨٥ ،
 ١٩٧ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣ ، ٣٢٧ ، ٣٩٨ ، ٤٣٢ ،
 ٤٣٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ،

- (ا)
 أزد شنودة : ٣٩ ، ٢٩ ،
 الاسرايلية : ٢٢٥ ،
 بنو أمية : ٩٠ ،
 الأوس : ٣٨١ ،
 (ت)
 ترك : ٣٥٧ ،
 بنو تميم : ١٣٨ ، ٢٢١ ،
 (ث)
 تمود : ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
 (ج)
 اجهمية : ٤٣٧ ،
 (ح)
 الحرورية : ١٩٧ ،
 الحواريون : ٢٣٢ ،
 (خ)
 الخرج : ٣٨١ ، ٤٠٣ ،
 الخولرج : ١٩٧ ،
 (د)
 الروم : ٤٧٧ ،
 (ز)
 بنو زهرة : ٨١ ،
 (ش)
 شنومة : ٣٧ ، ٢٦ ،
 (ص)
 الصابون : ١٢٩ ، ٣٩٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ،
 (ع)
 بنو عبد مناف : ٨١ ، ٨٨ ،
 بنو عبد الدار : ١١٥ ،

فهرس الأماكن والفروات

(ح)	(ا)
<p>الحبشة : ٤٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٦٤ . الحجر : ١٣ ، ١٩ ، ٣٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٦٤ . حران : ٣٤٧ . الحطيم : ص ١٣ . حين : ١٦١ . الحطينة : ٢٥٠ .</p>	<p>أبو قيس : ٨٨ ، ٤١٠ . أحد : ١٢٩ . الأريكين : ٢٧٢ . الأسكترية : ١٨٥ . أصبهان : ١٤١ . إيلام : ٤٢ ، ٣ . أيلة : ١٨٠ ، ١٣٥ .</p>
(خ)	(ب)
<p>الحنديق : ٤٣٢ . خمير : ٦٦ . الحليف : ٤٠٥ .</p>	<p>بوزمزم : ٣٠ ، ٤ ، ٧٦ . باجرما : ٣٠٦ . البثينة : ٣٥٧ . بلر : ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٤٨ ، ٤٤٢ ، ٤٠١ ، ٢٥٠ . بصري : ١٠٧ . بنجلوس : ١٣٥ .</p>
(د)	<p>بيت المقدس : ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٩٨ ، ٢١٧ . بيت لحم : ١٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢١٧ . البيت الحقيق : ٢٠ ، ٣٧١ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ .</p>
(ر)	<p>البيت المعمور : ٢٢ ، ٤٠ . بروك : ٩٨ ، ٢٦٨ .</p>
(س)	(ج)
<p>سامرا : ٣٠٦ . سكرة المتهى : ١٠ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٤٠ . سدوم : ٣٤٨ .</p>	<p>الجابية : ٣٠ ، ٢٠٦ ، ٤٠٠ . جلده : ١٤١ . الجزيرة : ٧٢٦ .</p>
(ش)	(ص)
<p>الشام : ١٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨ . شمشاط : ٢٤٣ .</p>	(ط)
(ص)	<p>الصفاء : ٨٧ ، ٨٨ ، ٤١٠ . الطائف : ١٦٠ ، ١٨٢ .</p>

طوى	٢٧١ ، ٢٧٠
طور سيناء	٢٣٣ ، ١٠ ، ٣٠١ ، ٣٦٩ ، ٤٦٥
طيبة	٢٤ ، ١٠
(ع)	
حنان	٧٠٤
المراق	١٤٣ ، ٣٠٤ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨
العقبة	٢٣ ، ٤٣١
عين الحياة	١٧١
(ف)	
فلك	٦٥
الفرما	٢٩٨
فلسطين	٣٤٧ ، ٤٧٠
(ق)	
القدس	٣٠
(ك)	
كرمائن	٣٠٦
الكعبة	٤١٠ ، ٢٧١ ، ٤
الكوفة	٨٩
(م)	
موتة	٩٨
جمع البحرين	١٧٠ ، ١٧٣
مدين	٢٨٧ ، ٢٤
المسجد الأقصى	٣٠ ، ١٩ ، ٣٠٤ ، ٣١
	٣٨ ، ٧٦
المنيرة	٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٣٣
	٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣
المسجد الحرام	٣ ، ٤ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥
	٤٠٩
مصر	١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٤٦٤
المقام	٣٠ ، ٧٦ ، ٤٠٩
مكة	١٧ ، ١٩ ، ٣٩ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٨٧ ، ٩٨
	١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٢٤ ، ١٨٢ ، ١٨٥
	١٨٥ ، ٣٤٧ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦
	٤٠٩ ، ٤١٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٣٩ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣
منى	٤١٣ ، ٤٣١
المنازة البيضاء	٣٦٩
(ن)	
النيل	٤٦٤
نيتوى	١٣٩ ، ٣٦٠
(هـ)	
هجر	١٠٧
هندان	٣٨
الهند	١٤١
(ي)	
يثرمد	٢٤ ، ٣٨١ ، ٤٣١
يبرموك	١٨٨
الجامعة	١١٦

طوى	٢٧١ ، ٢٧٠
طور سيناء	٢٣٣ ، ١٠ ، ٣٠١ ، ٣٦٩ ، ٤٦٥
طيبة	٢٤ ، ١٠
(ع)	
حنان	٧٠٤
المراق	١٤٣ ، ٣٠٤ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨
العقبة	٢٣ ، ٤٣١
عين الحياة	١٧١
(ف)	
فلك	٦٥
الفرما	٢٩٨
فلسطين	٣٤٧ ، ٤٧٠
(ق)	
القدس	٣٠
(ك)	
كرمائن	٣٠٦
الكعبة	٤١٠ ، ٢٧١ ، ٤
الكوفة	٨٩
(م)	
موتة	٩٨
جمع البحرين	١٧٠ ، ١٧٣
مدين	٢٨٧ ، ٢٤

فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية	الصفحة	الشاعر	القافية
٤٣٦	عبد الله بن محمد بن سارة	والخضر	(ج)		
٣٣٦	عبد الله بن محمد بن سارة	بور	٨٠	لمرو القيس	وبالشرايب
٣٣٦، ١٧٤	—	مبور	١٧٦	أبو النخاعة	لباب
٣٦١	—	الأمر	١٤٢	—	وأطبيب
٣٠٠	أبو النجم	شعري	(د)		
٢٧٢	كعب بن زهير	خمير			
٢٥٥	—	حار	٤٣٦	عاصم بن القليل	المشهد
١١٤	الأعطل	سطار	٤٣٦	—	موحلي
٨٠	ليد	للسحر	٤٠٦	الاصمعي	بالاجردا
٢١١	طرفة	من بعض	٣٨١	أبو صفوان بن الحارث	وبعد
(ح)			٣٨١	—	بعد جده
٤٢٥	الشيخ	القنوع	٣٣٥	—	بأوجد
(ف)			٣٣٥	—	فكان قد
١٥٥	—	صفونا	٧٥	أبو النخاعة	واحد
(ق)			٢٦١	—	د
٧٣	وذة	المشوق	٣٣٢	—	د
٥٦	—	الورق	٢٥٥	الحارث بن حذرة	ولدا
٣٣٨	أبو نجيعة	القسفا	٢٥٥	رذة	ولدا
(U)			٢٠٦	—	للقالدا
١٤٢	—	رجاءه	١٣٦	القائمة للبيان	الأمم
١٩٩	القائمة للمعاني	أعز	١٨٩	أمية لوزيع	مرشد
٢٠٦	أبو تمام	مقتضى	١٨٩	—	سرمه
٢١١	الحليمة	مقالا	(Z)		
(G)					
٧٢	جند	الإمام	٤٤١	—	للقادر
٦٧	زهير بن أبي سلمى	ويلم	٤٣٦	عبد الله بن محمد بن سارة	والكرم
٤٨	أحمد بن حنبل	الحياة	د	—	والنيسر
٢٦٥	ليد	مقامها	د	—	والأكر
٣٤٥	عبد الله بن زهير	للم	د	—	والقمر

الصفحة	الشاعر	الثقافة	الصفحة	الشاعر	الثقافة
٢٨٩	لريد بن عمرو بن نضيل	مناذيا	١٧٠	الفرزدق	الطاليم
٢٨٩	د د د	باخيا	١٢٦	-	الزردحم
٢٨٩	د د د	سكاها	(ن)		
٢٨٩	د د د	بانبا	٤٣٢	حاصر بن سنان الأحموع	صليبا
٢٨٩	د د د	هاديا	٤٣٢	د د د	لاقيبا
٢٨٩	د د د	ضاحيا	٤٣٢	د د د	أبيبا
٤٤٦ ، ٢٨٩	د د د	راييا	٤٠٧	الأحوك المشكري	الليمان
٤٤٦ ، ٢٨٩	د د د	واصيا	٣٢٤	أبو النخاعة	نيلجيم
٢٠٦	أبو حديد	الديج			
٢٠٦	د د	الفضا			

فهرس اللغة

(١)

آن : من حين آنية : ١٥١
 أبر : للابورة : ٥٩
 أثت : هم الحسن أثتاً ووثيا : ٢٥٢ ، ٢٥٣
 أثر : رأى أثراً : ٢٨٤ ، ٣٠٦
 آدم : سقاء مع آدم : ٤٧٩
 آذن : آذنتكم على سواء : ٢٨٣
 إذفر : ٤
 أرب : إلى إرب منه : ٢٦
 أرك : متكئين فيها على الأركاء : ١٥٧
 أرق : ترقهم : ٩١ ، ٢٥٦
 أركنة : ٨٤
 أشب : فلما تآشبهوا حوله : ٣٨٦
 أصل : المستأصلة : ٤١٨
 أطلط : إلى لأسمع أطلط السياه وما تلام أن تخط : ٣٢٩
 ألو : لا تلو : ٢٨٠
 ألو : حين ألى منهم : ٣٢٠
 ألو : وجماعهم الألو : ٢٤٢
 أمت : حوجا ولا أمتك : ١٦١ ، ٣٠٩
 أمر : للأسورة : ٥٩
 أمر : شينا إمرأ : ١٧٩
 أمم : بإمامهم : ٩٦
 أمت : استأنف النهار : ٢٧٩
 أحب : وأحب معلقة : ٣٢٠
 (ب)
 بجم : كتابها ببخنيكم : ٢٧
 بجم : أو فلكك بانجم نفسك : ١٣٣
 بعت : والبخفاء : ٤١٨
 بلل : وإمرأة فرعون بارزة متبذلة : ٢٨٣
 برجل : ولا يرتبط ولا مزمرا : ٣٥٢
 برجم : ولا تفرون برجمكم : ٢٤٤
 برق : واستشرق : ١٥٢
 برز : غير المتبرزة ولا المستكرهة : ٤٣٤

بسط : يسطى ما يسطوا : ٤٨٩
 بضع : من كل بطة بضعمة : ٤١٧
 بطل : دخل عليه بطله : ٢٩٠
 بطن : مبطن الخلق : ٢٦
 بطن : بطنوا الأرض : ١٩٥
 بكر : صاحب البكر الأحمر : ٢٦٩
 بلس : فابلس أصحابه : ٢٨٦
 بلس : أبلسوا : ٤٨١
 بول : لم يبتسبل : ٢٥٣
 (ت)

تبع : تبعها : ٩٤
 ترق : الترقى : ٦٧
 ترق : ترقى : ٤٨٥
 تله : ومن تلاتي : ٣١
 تم : التميم : ٣٠
 تبع : صار تميمياً : ٢٩٦
 تور : فيه تور : ٤
 تورم : وورعاه التورم : ١٥٥
 (ث)

ثار : وأنا لثاقر لهم : ٢٧٦
 ثاط : وثقاط حرمته : ١٨٩
 ثبع : لم ألتبعها : ٣٧
 ثبع : مع ثبع الملعع : ٢٠١
 ثور : فيهمون بالثور : ٤٠٣
 ثور : لأظنك يا فرعون متشهوراً : ١٧٢ ، ١٧٤
 ثرى : في مكان ثريان : ١٧٤
 ثند : ثندة : ٤٦٠
 تبع : التبع مع الإبل : ٤٢٩

(ج)

جبع : قرعه به جبعيني : ٢٤
 جتا : لنحضرهم حرك جهنم جتياً : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧
 جلع : جلع جاء : ٥٣
 جد : فجلعهم جلعاً : ٣٤٣

قطع : قطعاً جلتك مع الداء : ٢٩
 جزء : والصرح الأخرى : ٤٠٦
 جزر : إلى الأرض الجزر : ١٣٨
 حرك : فيجتره : ٢٩
 جزو : صارت جزواً : ٧٨٣
 جمده : جعلته الراس : ٢٦
 جلب : مع الأنجب : ٩١
 جلجل : بوجهة جبل : ٧٣ ، ٢٤٥
 جمع : جهنمها : ٥٣
 جم : إلى الجنان القصى : ١٦٣ ، ٢٦١
 جمل : جاهر من ثمر الجنات : ١٢
 جنب : والجنب : ٩١
 جنبت : ابتعدت : ٤٧٩
 جنيد : جنيده الأول : ١٧ ، ١٨
 جنى : كاد وجرحهم الجنان : ٣٧٠
 جوب : في جزيرة الأرض : ٣٤٥
 جوب : ما الجبابرة : ١٧١
 جوب : كالجواب : ٣٣
 جويل : فاجتناعهم : ٩٢
 جـ :
 جر : الفرد للجرير : .
 جر : خروجه قهر : ٢٥٧
 حك : حقوا طين : ٢٨٦
 حج : لخرج آدم موسى : ٢٨٧ ، ٣١٥
 حبل : ضيقه : ١٠٦
 حجب : للحجب في الصق : ٢٧٧
 حجب : مع كل حدة يسار : ٣٢٧
 حكة : في حلقه : ٥٠١
 حرك : بعد الله على حركه : ٣٩٥ ، ٣٩٦
 حرمه : وقاطع حرمة : ١٨٩
 حسب : ليكثر التحصيص : ٢٠١ ، ٢٧٥
 حـ :
 حسبي : لا يسمو حسبنا : ٢٧٣
 حشيت : علي حشيتك كحشيت الغداة : ٢٤٩
 حـ :
 حله : لا يحل حله : ٢٠٢

وعد	لَوَعَدْتُ وَبَكَت : ٣٥٩ .
وعى	الرَّعَاء : ٢٨٢ .
رفض	فَارْفَضْنِ عِرْقًا : ٨ .
رفض	فَرَفَضْنِي جَبْرِيلُ : ١٢ .
رقم	الرَّقِيم : ١٣٥ .
رقم	أَو الرَّقْمَةُ فِي ذَوَاعِ الدَّابَّةِ : ٣٨٦ .
ركز	أَو تَمَع لَمْ رَكُزًا : ٢٦٥ .
رهج	فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ : ٣٧ .
روز	فَرَاكَزَهَا : ٢٤ .
روح	قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي : ١١١ ، ١١٧ ، ١١٣ ، ١١٤ .
روج	لَيْسَ فِيهِ غِثَاءٌ وَلَا تَرُوجُ : ٢٩٣ .
ريب	مَا وَكَيْتُمْ لَهُ : ١١١ .
ريب	يَرْيَبُنِي مَا يَرْيَبُهَا : ٤٨٩ .
ريث	لَقَدْ رِثْتُ عَلَى : ٢٤٤ .
ريط	بِرِيطَتَيْنِ : ١٠٥ .
(ز)	
زجا	يُزْجِيهِ : ٩٣ .
زحرفت	بَيْتٌ مَعَ زُحْرُفٍ : ١١٥ .
زرب	وَزَّرِيَّةٌ : ٣٧٦ .
زقم	الرَّقِيم : ٣٦ .
زقم	فَزَقَمُوا : ٢٦ .
زكا	أَلَمْ أَرْكَبْ طُلُوعًا : ١٤١ ، ١٤٢ .
زلى	فَصَبِيحٌ صَبِيحًا زَلَكًا : ١٥٤ ، ١٥٥ .
زمل	مَنْ زَامِلَتْنِي : ١٨٨ .
زمن	وَأَزْدَهَا : ١٦٠ .
زمن	هُوَ الزَّمِينُ : ٤١٣ .
زوى	وَأَزْوَاهُ حَتَّى : ٢٧٥ .
(س)	
سبط	سَبَطَ شَمْرَهُ مَعَ أَفْنِيهِ : ٢٥ .
سته	عَنْدَ اسْتِهِ : ١٦٢ .
سجل	سَجَّلَ : ٩٤ .
سجل	كَلِمَةُ السَّجْلِ لِلْكَتَابِ : ٣٧٧ ، ٣٧٨ .
سجى	فَإِذَا رَجُلٌ مَسْجِيٌّ : ١٧٢ .
صحح	سَحَّاهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ : ١٢٢ .

حصر	لَا يَحْصُرُ فِيهَا وَلَا غِيَابَةٌ : ١٦١ .
خون	فَإِذَا أَنَا بِأَخْوَتِهِ : ٢١ .
خيل	الْخَيْلَةُ : ٩١ .
(د)	
دير	وَلَا مَذْكَابَةً : ٤١٧ .
دحر	مَذْخُورًا : ٥٩ ، ٧٤ .
دحض	لَيْدًا حَضُوا بِهِ الْخَلْقَ : ١٦٨ .
دحض	وَالصَّرَاطُ دَحَضَ مَرْثَةً : ٢٤٩ .
دشر	أَجْهَمَ دَاشِرِينَ : ٤٤٣ .
دعج	مَذْجَةً مِنْ صَوْفٍ : ٢٧٤ .
دفع	فَدَفَعْنَا إِلَيْهِ : ٢٩ .
دك	جَعَلَهُ دَكَاةً : ١٩٥ .
دلس	تَقَرُّوا عَلَيْهِ تَدْلِيْسَةً : ٤٠٠ .
ذلك	لَدَوْلُكِ الشَّمْسِ : ٩٨ .
دمنس	دَمْنَسُ : ٣٧ .
دمنع	دَمْنَعَهُ قَطْلَهُ : ١٧٦ .
دملك	أَشْهَرًا دَمِيكًَا : ٢٧٢ .
دهم	دُهِمَ : ٤٨٧ .
دور	الْمَذْكُورَةُ مِنْهُ بِقُلُوبِ السَّمَوَاتِ : ٣٠٩ .
دوى	الدَّوَى : ٤٥٤ .
(ذ)	
ذهر	تَدَهَّرَ : ٣٣٧ .
ذود	لَا ذُودَ مِنْ نَحْيِهَا : ٢٧٦ .
(ز)	
زلى	يَأْتِيكَ زَلِيًّا تَرَاهُ : ١١٦ .
زلى	فَرَوَا فِي رَأْيِكُمْ : ١٣٣ .
زيع	زَيْعَةً : ٣٧ .
زلى	مَرْثِيَّةً لَكَ : ٤٧١ .
زجب	وَلَا تَقُونِ رَوَاجِبِيكُمْ : ٢٤٤ .
زجل	زَجَلٌ : ٣٧ .
زجل	رَجَلُكَ : ٩١ .
زجل	الرَّجَائِلُ : ٤٠٦ .
زستق	الرَّسَائِلُ : ١٨٦ ، ٣٠٠ .
زضج	رَضَخَتْ بِحَجَرٍ : ١٧٩ .
زضج	عَلَى رَغَرَأْسٍ مِنَ الْيَالِقَاتِ : ١٢ ، ١٥٥ .
زضج	تَلْهَلُ كُلُّ مَرْضُجَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ : ٣٨٩ .
زضض	الَّذَانِ رَضَى خَصْمَيْهِمَا : ٤١٧ .

شمر : وإلا التَّشْمَرُ : ٣٩٥ .
 شيط : التَّشْيِطُ : ٣٤ .
 شيط : الرأس المشيَّط : ٤٩١ .
 شيع : والتَّشْيِيعَةُ : ٤١٨ :
 شيم : ما أُنْمِ قِ النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ : ٢٨٦ .

(ص)

صبر : صَبْرٌ مِنْ قَرظٍ : ٣٢٥ .
 صعب : وَلَا هُمْ مِنْهُ يُصْعَبُونَ : ٣٢٨ .
 صلع : قَدْ أُنْصِلَ صِدْحَتَيْنِ : ٤٣٥ .
 صرح : صَرْحَةُ الْمَسْجِدِ : ١١ .
 صرخ : مُصْرَخِيكُمْ : ٩٣ .
 صرد : فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مِنْ اللَّهِ هُوَ وَجِلٌ صَبْرِي : ١١ .
 صرف : كَانَتْ صَرْفَانِي : ٢١٩ .
 صطر : إِمَّا مُصْطَلِراً أَوْ خِيراً : ١١٤ .
 صفر : كَانَ صَفْرًا مَعَ قَوْمِهِ : ٢٨١ .
 صفح : عَلَى صِفَاحِهِمَا : ٤٢٥ .
 صفر : نَهَى عَنْ الْمُصَفَّرَةِ : ٤١٨ .
 صلفص : فَأَمَّا صَفْصَفًا : ٣٥٩ .
 صفد : صَوَاتٍ : ٤٢٤ .
 صهب : صُهَيْبُ الشَّعَائِفِ : ٣٧٥ .
 صهر : وَهُوَ صَهْرٌ : ٤٥٢ .
 صفن : صَوَافِرُ : ٤٢٤ .
 صفا : صَوَافِي : ٤٢٤ .
 صلي : يُصَلِّاهَا : ٥٩ .
 صلي : أَلَمْ يَكُنْ تَصْطَلِكُونَ : ٢٧٥ .
 صنج : مَا صَمَعْتُ صَوْتِ صَنْجٍ : ٣٥٢ .
 صوب : لَا يَكُونُ صُوبٌ : ٢٩٣ .
 صوب : صُوبَتِ رَأْسُهُ : ٢٨٢ .
 صوت : وَالصَّوْتُ مِنَ الْمَاءِ : ٣٧٢ .

(ض)

ضبر : ضَبْرٌ ضَبْرًا : ٢٩٩ .
 ضحك : حَتَّى مَا أَوْضَحُوا بِهَا حَكَّةً : ٣٨٦ .
 ضدد : وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا : ٢٥٧ .
 ضرب : وَرَجُلٌ ضَرْبٌ : ٣٧ .

سحر : السَّحَرُ : ٨٥ .
 سحل : سَحَلَهُ بِالْيَارِدِ : ٣٥٧ .
 سحم : اسْتَحْمَ : ٢٦ .
 سد : وَسَدُّوا : ٢٨٦ .
 سدك : مَدَقَّةُ النَّهَارِ : ٤٧ .
 سرب : فِي السَّرْبِ : ٣٤١ .
 سرج : كَانَ لَعْمُهَا السَّرَجُ : ٢٩ .
 صرح : كَانَ لَعْمُهَا السَّرَجُ : ٢٩ .
 سردق : أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا : ١٥٥ .
 سرد : وَلَقَدْ فِي السُّرْدِ : ٣٥٢ .
 صرى : تَحَنَّنْكَ سَرِيًّا : ٢١٨ ، ٢١٩ .
 صرى : فَتَسَرَّى عَنْهُمْ : ٣٨٦ .
 سفد : فَيَتَسَاكَلُونَ كَمَا تَسَاكَلُ : ٣٧١ .
 سلك : وَالسَّكَّةُ الطَّرِيقَةُ لِلصَّلَافَةِ : ٥٩ .
 سلت : فَيَسْلُبُ مَا فِي جَوْفِهِ : ٤٥٢ .
 صلو : وَالسَّلْوَى : ٣٥١ .
 صلو : وَأَلْبَانًا وَسِلَاحًا : ٣٤٩ .
 صبر : (سَامِرًا) : ٤٧٦ .
 صعط : بَيْنَ سَمَاطَتَيْنِ : ١٥٣ ، ٢٥١ .
 صنعى : مِنْ سُنْدُوسٍ : ١٥٢ .
 سنق : لَا تَلْبَسُوا إِلَّا مَسِيكَةً : ٤٢٩ .
 سوا : عَنِ الْمَلِكَةِ : ٢٢٤ .
 سود : عَلَى عَيْنِهِ أَسْوَدَةٌ : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .
 سوف : لِلصَّوْفِ قَتِينٌ يَرِيدُهُ : ٣٧١ .

(ش)

شه : بِالْمَرْخِ وَالشَّهْبَانِ : ٤٥٧ .
 شفت : بَنِيَتِ الشَّفْتُ : ٤٥٧ .
 شرف : فِي عَطِيئَتِهَا الشَّارَفُ : ١٢٥ .
 شرق : وَلَا شَرْقَاقَهُ : ٤١٧ ، ٤١٨ .
 شرى : إِلَّا رَجُلٌ يَشْرَى : ٣٦٧ .
 شطط : إِذْنٌ شَطَطًا : ١٣٨ .
 شفر : مَعَهُمُ الشُّفَرُ : ٢٧٩ .
 شفر : اثْنَا بِالشُّفَرَةِ : ١٥٩ .
 شكر : فَتَشْكُرُ شُكْرًا : ١٩٣ ، ٣٦٨ .
 شغل : فَتُغْلِبُهُمْ إِغْلَابًا : ٢٥٧ .

ضرب	الضرب : ٣١ .	عصب	بأعصبه القرن : ٤١٧ .
ضفي	تضافهم : ٥٦ .	عصر	والضفر له البيضاء : ٤١٦ .
ضمم	لا تضامون في رؤيته : ٣١٩ .	حفا	تَعْفُو : ٦٧ .
ضيفت	ضيفت حمر : ٤٦٥ .	حلل	أولاد حلات : ٣٦٦ .
ضنك	أفان له مبيشة ضنكا : ٣١٦ .	حلو	حليين : ٦٠ .
ضيفت	وضيفناهم فلم يضيفونا : ١٧٦ .	عنصر	عنصرها : ٤ .
ضم	لا تضامون في رؤيته : ٣١٩ .	حق	حق من النار : ٥١ ، ٣٨٨ .
	(ط)	عنو	وعنت الوجوه : ٣١١ .
طرد	يطردان : ٤ .	عور	العورى : ٢٨٤ .
طرف	والناس عليه كالطريف : ٣٨٨ .	مري	ولم يمتى خلقهن : ١٢١ .
طلس	بلاط طلس : ٣١ .		(غ)
طمس	الطمس : ١٢٢ .	غبر	الغابر : ٦٠ .
طنفس	طنفسه غضراه : ١٧٤ .	غدر	يقدر غدره : ١٦٢ .
طود	كالطود العظيم : ٣٠٠ .	غدر	هم غدر : ١٠٦ .
طيش	تطاشته السجلات : ٣٣٩ .	غرك	عراة غركا : ١٠٥ ، ١٦٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٨ .
	(ظ)	غرتق	الغرائق : ٤٢٨ ، ٤٣٩ .
ظار	له ظفرا : ٢٨٠ .	غسق	إلى غسق الليل : ٩٨ ، ٩٩ .
ظلم	البيّن ظلمها : ٤١٨ .	غسق	دلوا من غسقا : ٤٠٣ .
	(ع)	غمر	غفيا غميرا : ٢٧٢ .
عقر	العقري : ٣٢ .	غور	حلي أن لا يغورها : ٣٤٧ .
عز	أعصاة وعقير : ٤٢٩ .	غور	مساحتهم الغيران : ١٩٠ .
عتق	مع العتاق : ٣ .	غريض	لا يغريضا : ١٢٢ .
عتو	قد كبر عتوا : ٢٠٩ .		(ف)
عجب	عجبه اللذبة : ٤٦١ .	فأم	القسم من الناس : ٣٦٩ .
عجب	لم يمتى عجاج الناس : ٣٧١ .	فقل	القتيل : ٩٦ ، ١٦١ .
عجز	في آياتنا معاجزين : ٤٣٨ .	فحل	أقرن فحيل : ٤١٧ .
عذل	فمدككت بينهما : ٢٤ .	فرق	فرقتاه فقرأه : ١٢٥ .
عدن	جنات عدن : ١٥٢ .	فرق	انتفضي جبريل قرنا : ٢١٥ .
عذر	قيل أن أعذر إليه : ٢٨٨ .	فردمن	الفرود من نولا : ١٩٩ .
عور	مبارك المعرة : ١٧٦ .	فرس	فيكرس رقابهم : ٣٧١ .
عور	القاع والمعسر : ٤٢٥ ، ٤٢٦ .	فرض	فرضه النهر : ٢٧٩ .
عوز	عزّه : ٤٠٥ .	فرط	أنا فرطكم : ٤٧٩ .
عص	وهو منكى على عصيب : ١١١ .	فرط	فرط لكم : ٤٨٩ .
عصو	وعسرا في دين الباطل : ١٣٦ .	فرز	يستغزولك : ٩٧ ، ١٢٢ .
عصو	عسا عظمه : ٢٠٩ .	فسر	فسر ذلك : ٢٨٩ .
عشو	ومن يعش عن ذكر الرحمن : ١٩٧ .		
عصفر	عصافير : ٨٠ .		

قلل ١ : قَلَّلَ عَنْ أَمْرٍ بِهِ : ١٦٥
 قلل ٢ : قَلَّلَ لَهَا : ٢١٧
 قمر ١ : يَقْعَطُونَ مِنْهُ : ٢٦١
 قمع ١ : قَطَعَ : ١٧٦
 قمع ٢ : فَاقْتَضَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ : ٤٠١
 قمع ٣ : مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فَكَلَجَ : ١٩
 قمع ٤ : رَأَيْتُهُ فَيَلْتَمِسَانِي : ٢٦
 قمع ٥ : وَلِي يَدُهُ لِيَهْرَ : ٧٩
 قوت ١ : تَكَوَّنَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ السَّيَرُ : ٢٨٥
 قوت ٢ : وَاقِفْتُمْ حُلًى فِي ذَلِكَ : ٢٩٧
 قوت ٣ : يَكُونُ عَلَيْهِ : ٤٨٣
 قوت ٤ : (ق)
 قيل ١ : أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيُكَلِّلُ : ١٦٨
 قيل ٢ : لَا تَضْحَى بِمُكَايَلَةٍ : ٤١٧
 قتب ١ : ذَاتُ الْقَتَبِ : ١٢٠
 قتر ١ : قَتُّورًا : ١٧١ ، ١٧٢
 قحط ١ : فَإِذَا قَحِطَ رَأْسُهُ سَاقَطَ : ٣٩٠
 قرب ١ : قَارِبُوا وَاسْدُدُوا : ٣٨٦
 قرد ١ : لَقِيَهُمْ نَفَى الْقُرْدَانِ : ٣٨١
 قرد ٢ : وَفَرَزَهُ بِالْقَتَادِ : ٤٣٥
 قرد ٣ : قُرَّةٌ حِينَ لِيَ : ٢٨٠
 قروض ١ : قَضَرُضُهُمْ : ١٣٩
 قرط ١ : كَانَ فِي آذَانِ بَعْضِهِمُ الْقِرْطَةُ : ١٣٦
 قرطس ١ : أَمَّا الْقِرْطَاطِسُ : ٣٤
 قرط ١ : صَبْرَةٌ مِنْ قِرْطَ : ٣٢٠
 قرن ١ : الْقِرْنَاءُ : ١٦٣ ، ٣١١
 قرن ٢ : مُتَكَبِّرٌ قِرْنَهُ : ٢٨٧
 قرن ٣ : أَمْلَحَنَ أَقْرَنَيْنِ : ٤١٦ ، ٤١٧
 قصص ١ : مَنْ قَصَصْتَهُ إِلَى شَعْرَةٍ : ١٣
 قصص ٢ : حَتَّى أَقْصَبَ مِنْهُ : ١٦٣
 قصص ٣ : الْقَاصِيفُ : ٩٤
 قصص ٤ : وَلَهُ قَصِيفٌ : ٢٨٤
 قاطر ١ : وَالْقَتِيلُ وَالْقَطِيسِيرُ : ١٦١
 قطر ١ : عَلَيْهِ قِطْرًا : ١٩٢
 قنق ١ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ٢ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ٣ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١

قنق ٤ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ٥ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ٦ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ٧ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ٨ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ٩ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ١٠ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ١١ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ١٢ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ١٣ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ١٤ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ١٥ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ١٦ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ١٧ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ١٨ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ١٩ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ٢٠ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ٢١ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ٢٢ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ٢٣ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ٢٤ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ٢٥ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ٢٦ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ٢٧ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١
 قنق ٢٨ : قَنَقَمَتِ الدِّبَاءُ قَنَقَمَةً : ٣٩٠
 قنق ٢٩ : مِثْلُ الْقَلْبِيبِ : ٢٧٤
 قنق ٣٠ : فَكَلَسَتْ شَفْطَهُ : ٤٩١

٢٧٤	مثل التَّيَّارِك	تَزَك
٦١	فَأَزَلَّهَا بِالنَّاسِ	تَزَل
٤٢٠	جِئْنَا مَسْكًا	نَسَك
٢٨١	عَنِ النَّاسِ	نَسِم
١٨ ، ١٦	وَعَنِ هَاهُا نَسَمُ بَيْنَهُ	نَسِم
٩	فَنَشَأَتْ	نَشَأ
١٩٣	فَيَنْشَفُونَ الْمَاءَ	نَشَف
١٠٩	مَتَوْنَ وَتَلَامَاةَ تَصُبُّ	نَصَب
٢٣٥	فَإِنْ أَبَتْ نَضِيعٌ فِي وَجْهَيْهَا لَاءَ	نَضِيع
٩٣	كَأَيُّ نَضِيعٍ أَحَدَكُمْ بِهِ	نَضِر
١٩٦	كَيْفَ أَنْتُمْ	نَعِم
٨٣	يَنْغُصُونَ	نَغَض
٨٣	وَتَغْصَتُ مِنْ هَرَمِ أَسْنَانِهَا	نَغَض
٣٦٧ ، ١٩٣	لَيْسَتْ لَهِ اللهُ عَلَيْهِمْ نَقَمًا	نَغَف
١٠٩	وَيَنْقُذُ هُمُ الْيَمْرَ	نَقَلَ
٧٩ ، ٨٠	نَقُورًا	نَقَر
١٧٦	أُخْرِجْ مِنْقَرًا	نَقَر
١٧٢	لَا يَزُونُ النَّاسَ تَكِيرًا	نَقَر
٢٨٦	فَلَا يَرْمَلُونَ مِنْ مَنَقَلَةٍ	نَقَلَ
٢٤٤	وَلَا تُنْقَنُونَ بِرَأْسِكُمْ	نَقَى
١١	لَكُنُوا ظَمَّ يَلُونَا	نَقَى
٤١٨	وَالْكَسْرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي	نَقَى
٣٧٦	وَمِمَّا تُمَرِّقُهُ	نَمَرَق
١٠٦	فَتَهَسَّ مِنْهَا تَهَسَّةٌ	نَهَس
٢١٤	إِنْ التَّقِيْ ذُرُّ نُهَيْجَةٍ	نَهَى
١٧٢	بِغَيْرِ تَوَكُّ	نَوَلَ
٢٩٣	تَوَرَّوْزُومُ	نَوَرَز
١٩١	جِبِلَانٌ مَّتَّوَحَّحَانِ	نَوَح
٢٠١	وَأَهْلُ النَّوْبِ	نَوَب

(هـ)

٣٨	أَهْبَنَّا	هَبَب
٩٨ ، ١٠٠	فَتَهَبَّدَ بِهِ	هَبَّد
٣٧٨	هَجَرًا هُمُ	هَجَر
١٠	وَالِإِذَا الْمُهَاجِرُ	هَجَر

(٢)

٢٧٥	وَتَتَشَكَّلُ بِهِ	مَثَل
٣٨٢	يَسْجَى اللهُ فِي الْكُفْرِ	عَمَى
١٥٨	سَيَكُونُ فِيهِ مَدَدٌ	مَدَد
١٠٤	مِنْ شَجَرَةٍ وَمَدْرَةٍ	مَدَر
٤٠٧	وَأَسْفَلَ بِالْمَرْخِ	مَرْخ
٩	فَكَأَنَّهُ أَسْرَتْ بِأَنْبِيَاءِ	مَوَر
٢٢٥	فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّقِينَ	مَرَى
٣٠٧	لَا مَسَاسَ	مَسَس
٧٤	لِلْمُطَيِّطَةِ	مَطَط
١١٧	أَنْ يَجْرِيَ لَمْ حِينًا مَعِينًا	مَعَن
١٢٥	عَلَى مَكْنَتٍ	مَكْت
٣٠٣	يَمْلِكُنَا	مَلَك
١٧٥	أَحْوَتْ مَكْبَحٌ	مَلَح
٣٠١	وَتَزَلَّ عَلَيْكَ الْمَنَ	مَنَ
٤٤١	إِذَا تَمَتَّنِي	مَنَى
٣٨٥ ، ١٥٠	كَالْمُهْلُ يَشْرِي الْوَجْهَ	مَهَل
٣٤٣	فَيَقُولُونَ مَهْ ؟	مَه
٣٤٤ ، ١٢٩	قَالَ : مَهَيْمٌ ؟	مَهِيَم
١٦٠	تَمُورُ السَّمَاءِ مَوْرًا	مَوَر

(ن)

١١٠	وَتَأَى بِجَانِبِهِ	نَأَى
١١٧	مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُتُهَا	نَبَعَ
٥٣	تَنْتَجُ	نَتَج
٢٨٥	فَتَنْتَقِ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجِبِلَ	نَتَق
٤١٩	أَعْلَى مَرِّ تَجِيٍّ	نَجَب
٢٨٧	وَهُوَ مَنَاجِزُ قَرْفِهِ	نَجَز
٢٩٣	أَمَرْتُ بِمَنَاجِزِكَ	نَجَز
٤٢	سَقَطَ عَلَيْهِ النَّجَافُ	نَجَف
٣٥٧	أَبْعَدُ الشَّجَمَةِ	نَجِم
٣٠١	لَمْ أَهْجُكَ عَنِ الشَّجْوَى	نَجُو
٢٨٠	ظَلَمَ تَزَلُّ الْمَلَايَا وَالْمَحَلَّ	نَحَلَ
٢٥٢ ، ٢٥٣	وَأَحْسَنَ تَدْيًا	تَدَى
٨٤	يَتَنَوَّرُ فِي يَدِهِ	تَزَع

مجن	١ هجئاً ٢٦ .
هرق	١ أحب إلى الله من هزاة دم ٤٢٢
هشش	١ وأهش بها ٧٧٣ .
مهم	١ فنهسهم أفضي ٢٤٢
هين	١ عيون على هيتتهم ٢٨١
هيد	١ يهيدك ٤٤١
هيا شراهميا	١ ٢٨٩
(و)	
وين	١ كالسقية للوينك ٣٨٥
وين	١ وجعلنا بينهم موبقات ١٦٦
وئن	١ مه للوكين ١١٩ .
وجأ	١ موجهين ٤١٧
وجج	١ وججتها ٢٩
وجس	١ لسمع في جانيها وجسا ٢٥٠
ورد	١ إلى جهنم وردا ٢٥٨ .
ورق	١ يورقكم هله ١٤١ ، ١٤٤ ، ٤٢٣
وزد	١ الزود ٤٧٥
وزع	١ لولا ما يترعها ١٨٨
وزع	١ ليرع بالسلطان ١٠٩
وزغ	١ إلا الورغ ٣٤٦ .
وسق	١ واستوسق له جيشه ٣٠٠
وسن	١ وأوقف الوستان ١٢٧
وصب	١ من الوصبه والنوم ٢١٧
وصد	١ بالوصيد ١٤٠
وضع	١ وضع الورق ١٤٤
وطئ	١ يوطئ لي القراش ٣٥٤
وحى	١ ولا توحى ٦٨
وقرت	١ ٦٧
وفر	١ في آذانهم وكر ١١٠
وفى	١ ولا تفيها في ذكرى ٢٨٧
ومن	١ إن للفة من الله ٢٦٣
ومن	١ ومن العظم ٢٠٦ .
وحى	١ نشق فيه السماء ونهى ١١٨

فهرس الموضوعات

(ع)

هجرة الإنسان : ٤٥ - ٤٦
عصمة الله محمد صلى الله عليه وسلم : ٨٩ ، ٩٧ - ٩٨ .

(غ)

المفطرة : ٦٤ - ٦٥ ، ٧٨ .

(ف)

إفساد بين إسرائيل : ٤٣ - ٤٥ ،

(ق)

القتل : ٧٠ - ٧١ .

قتل الأولاد : ٦٩ .

القرآن : ٤٥ ، ٧٩ - ٨١ ، ١١٠ ، ١٢٥ - ١٢٦ .

الاقتصاد في العبث : ٦٧ - ٦٩ .

قصة موسى عليه السلام : ٤٢ ، ١٢٢ - ١٢٤ ،

تقوى الحسن : ٨٤ .

تقوى بلا علم : ٧٢ ، ٧٤ - ٧٥ .

لقام الحمود : ١٠١ - ١٠٨ .

(ك)

كتاب الأعمال : ٤٧ - ٤٩ ، ٩٦ - ٩٧ .

تكريم الله لنبي آدم : ٩٤ - ٩٥ .

(ل)

لطف الله : ٩٣ .

الليل : ٤٦ .

(ن)

الإنفاق : ٦٥ - ٦٦ .

إنكار للمشركين المعاد : ٨١ - ٨٤ .

نوح القرآن : ٧٥ .

النهار : ٤٦ .

(هـ)

الحجرة : ١٠٨ .

المنابة : ٤٩ ، ١٢٠ .

إهلاك القرية : ٥٨ - ٥٩ ، ٨٧ .

سورة الاسراء

(ب)

التبختر : ٧٣ - ٧٤ .

التبذير : ٦٦ .

بعت الكفار : ١٢٢ .

إبليس : ٩٠ - ٩٣ .

(د)

الدعاء : ١٠٨ ، ١٢٦ - ١٢٩ .

(ر)

إرساء الآيات : ٨٧ - ٨٩ ، ١١٩ .

إرساء الرسل : ٥٠ .

الرسول : ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٩ .

الروح : ١١١ - ١١٤ .

(ز)

الزنى : ٦٩ .

(س)

التسبيح : ٧٥ - ٧٨ .

الاسراء (أحاديثه ورواياته) : ١ - ٤١ .

(ش)

الشرك وهاتبه : ٦٠ - ٦١ ، ٧٤ - ٧٥ .

الشكر : ٤٣ .

(ص)

الصلاة وإقامتها : ٩٨ - ١٠٠ .

الأصنام : ٨٦ .

(ط)

طبيعة الإنسان : ٤٥ - ٤٦ ، ٩٣ - ٩٤ ، ١١٠ - ١١١ .

١٢١ - ١٢٢ .

طلب الآخرة : ٥٩ - ٦٠ .

طلب الدنيا : ٥٩ - ٦٠ .

(و)

الوحدانية : ٧٤ - ٧٨ .

التوراة : ٤١ - ٤٢ .

الوصية بالوالدين : ٦١ - ٦٤ .

موقف المشركين من القرآن والرسول : ٧٩ - ٨١ ،

١١٥ - ١١٨ .

الولدان إذا ماتوا صغراً ، يحكمهم يوم القيامة : ٥٠ - ٥٨ .

(ي)

اليوم

: ٧١ .

سورة الكهف

(١)

الامر بالإيات : ١٦٥ .

الملائكة : ١٣٢ ،

الآيات : ١٦٨ ،

(ب)

بشرية للرسول : ٢٠٠ .

إبليس : ١٦٣ - ١٦٥ ،

(ح)

الحسد : ١٣٢ .

(د)

ذكر الله : ١٤٦ ، ١٤٨ ،

(ر)

الرسالة : ١٦٨ .

(س)

تسليية الله لرسوله : ١٣٣ - ١٣٤ .

(ش)

الشركاء : ١٦٥ - ١٦٧ ،

مشيئة الله : ١٤٥ .

(ص)

الصبر : ١٤٨ .

(ع)

العذاب : ١٥١ - ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،

العمل فصالح : ٢٠٠ - ٢٠٤ .

(ف)

فضل سورة الكهف : ١٣٠ - ١٣١ .

(ك)

القرآن : ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٧٦ .

قصة أصحاب الكهف : ١٣٤ - ١٤٤ ، ١٤٦ - ١٤٧ ،

قصة موسى مع الخضر : ١٧٠ - ١٨٥ .

قصة ذي القرنين : ١٨٥ - ١٩٦ .

القيامة : ١٦٠ - ١٦٣ ، ١٩٦ - ١٩٧ ،

(ك)

التكليم : ١٦٨ .

كلمات الله : ٢٠٠ .

(م)

الأمثال : ١٥٣ - ١٦٠ ، ١٦٧ ،

(ن)

نعم الجنة : ١٥٢ ، ١٩٩ - ٢٠٠ ،

(و)

الوحيد : ١٥٠ - ١٥١ ،

سورة مريم

(ي)

اليوم : ٢٤٥ - ٢٤٦ ،

المباحة : ٢٥٣ .

(ت)

التوبة : ٢٣٨ .

(ج)

الجنة : ٢٤١ - ٢٤٣ ،

(ح)

الحشر : ٢٥٨ - ٢٦٠ ،

(ش)

الشرك : ٢٦١ - ٢٦٢ .

(ص)

الصلاة : ٢٣٨ - ٢٤١ .

(ض)

إيضاح الصلاة : ٢٣٨ - ٢٤١ .

(ع)

العذاب : ٢٥٤ - ٢٥٨ ،

(ق)

القرآن : ٢٦٤ - ٢٦٥ .

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام : ٢٠٥ - ٢١٣ ،

قصة موسى عليه السلام : ٢٧٠ - ٣٠٤ .

القيامة : ٣٠٩ - ٣٢٧ .

(د)

نعم الحياة : ٣٢٠ .

(هـ)

إملاك القرى : ٣١٨ ، ٣٢٧ .

(و)

وحد الله : ٣١٦ - ٣١٨ .

سورة الأنبياء

(١)

للأنبياء : ٣٢١ .

(خ)

خلق السموات والأرض : ٣٢٨ - ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(د)

إرسال الرسل : ٣٢٦ - ٣٢٧ .

الرموك رحمة : ٣٨٠ - ٣٨٢ .

(س)

الساعة : ٣٢٤ .

(ش)

الشرك : ٣٢٠ - ٣٣١ ، ٣٨٢ .

(ع)

حدك الله : ٣٢٨ - ٣٢٩ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ .

الغضب : ٣٣٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ .

علم الله : ٣٨٣ .

(ف)

فناء الخلق : ٣٣٥ ، ٣٦٦ .

(ق)

القرآن : ٣٢٧ ، ٣٨٠ .

قصة موسى عليه السلام : ٣٤٠ - ٣٤١ .

قصة إبراهيم عليه السلام : ٣٤١ - ٣٤٨ .

قصة نوح عليه السلام : ٣٤٨ .

قصة طوف وسليمان عليهما السلام : ٣٤٩ ، ٣٥٣ .

قصة أيوب عليه السلام : ٣٥٣ - ٣٥٧ .

قصة نوح الكليل : ٣٥٨ - ٣٦٠ .

قصة نوح الترن عليه السلام : ٣٦٠ - ٣٦٤ .

قصة مريم وجميع عليهما السلام : ٢١٣ - ٢٢٦ .

قصة إبراهيم عليه السلام : ٢٢٩ - ٢٣٢ .

قصة موسى عليه السلام : ٢٢٧ - ٢٣٣ .

قصة إدريس : ٢٣٦ .

القيامة : ٢٢٧ - ٢٢٩ .

(ن)

لنعم عليهم : ٢٣٧ .

(هـ)

الهداية : ٢٥٤ .

إملاك القرى : ٢٦٥ .

(و)

الوحي : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

الورود على النار : ٢٤٧ - ٢٥٢ .

وحد الله : ٢٤١ ، ٢٦٢ - ٢٦٤ .

موقف المشركين مع القرآن : ٢٥٢ .

المتنون : ٢٤١ ، ٢٦٢ - ٢٦٤ .

سورة طه

(١١١)

العث : ٢٩٢ .

إبليس : ٣١٦ - ٣١٧ .

(خ)

خلق الإنسان : ٢٦٢ .

(د)

ذكر الله : ٣١٦ .

(س)

الصبر : ٣١٨ - ٣٢٠ .

الصلاة : ٣٢١ .

الصود : ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(ش)

ضبطك الحياة : ٣١٦ .

(ع)

المرش : ٣١٨ .

علم الله : ٣١٩ .

(ق)

القرآن : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٧ .

القصص : ٣٠٨ .

قصيدة ذكرى عليه السلام : ٣٦٤ - ٣٦٥

قصيدة بأبي جريح وأبي جريح : ٣٦٧ - ٣٦٨

القبيلة : ٣٦٧ - ٣٦٨

(هـ)

إعلاء القرى : ٣٦٨ ، ٣٦٩

(و)

التوحيد : ٣٨٢

الوحى : ٣٨٢ ، ٣٨٣

وعد الله : ٣٧٩

الوحيد : ٣٣٧

موقف المشركين من الوحى والرسول : ٣٢٥ - ٣٢٦

٣٣٦ - ٣٣٧

سورة الحج

(ب)

البحر : ٣٨٩ - ٣٩٥

(ج)

الجداد : ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤٤٨

الجنة : ٣٩٧ ، ٤٠٣ - ٤٠٤

(ح)

الحج : ٤٠٩ - ٤١٦

(خ)

اختصاص المسلمين وأهل الكتاب : ٤٠١

(د)

رسد الله : ٤٥٦

الراضون : ٤٧١

(س)

السجود : ٤٥٦

تسليمة القرآن سورة : ٤٢٤

الساعة : ٣٨٤ - ٣٨٩ ، ٤٤٢

(ش)

الشرك : ٤٠٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠

الشعائر : ٤١٦ - ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٧٧

(ص)

صد المؤمنين عن المسجد الحرام : ٤٠٤ - ٤٠٩

(ض)

الأضيحة : ٤١٦ - ٤٢٠

الضلال : ٣٩٥ - ٣٩٦

(ع)

العذاب : ٤٠١ - ٤٠٣ ، ٤٠٤

علم الله : ٤٤٨

(غ)

الغرائق : ٤٣٨ - ٤٤١

(ف)

فضل سورة الحج : ٤٠٠

(ق)

قادرة الله : ٤٥٩ - ٤٧٧

(ن)

نصر الله لرسوله : ٣٩٧

نصر الله للمؤمنين : ٤٣٠ - ٤٣٤

(هـ)

الهجرة : ٤٤٣

(و)

التوحيد : ٣٩٨ - ٣٩٩

وعد الله : ٣٩٧ ، ٤٠٣ - ٤٠٤

موقف المشركين من القرآن : ٤٤٧ - ٤٤٨

(ي)

يسر الدين : ٤٥٧ - ٤٥٨

(ع)

الملاب : ٤٨٠ .

(ق)

قصة نوح : ٤٦٦ - ٤٦٧ .

قصة موسى وهارون : ٤٦٩ - ٤٧٠ .

القيامة : ٤٨٨ .

(د)

التكليف : ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(ن)

الفتح في الصور : ٤٨٨ .

(هـ)

الوحدانية : ٤٨٧ - ٤٨٥ .

موقف المفكرين من القرآن والرسول : ٤٧٧ .

سورة المؤمنون

(أ)

الأكل : ٤٧٠ - ٤٧٣ .

الأمم بعد نوح : ٤٦٧ - ٤٦٩ .

المؤمنون : ٤٥٤ - ٤٦٠ ، ٤٧٣ - ٤٧٥ .

(ح)

الحساب : ٤٨٨ - ٤٩٥ .

الاحتضار : ٤٨٦ - ٤٨٨ .

(خ)

خلق الإنسان : ٤٦٠ - ٤٦٣ .

خلق السموات والأرض : ٤٦٣ - ٤٦٦ .

(د)

الدعاء : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(ش)

الشكر : ٤٨١ .

تصويبات

الصفحة	المطر	الخطأ	صوابه
٣	١٢	هو إيلياء	هو بابلياء
٢٩	٤ من التعليق	والسبع الساكنة	والراء الساكنة
٧٢	١٣ من التعليق	شواهد الكافية	شواهد الشافية
٨١	١٩	ازفلة	أزفلة
٩٠	٨	ربالة	ربالة
١٢٠	١٢	أقرشي ، مع أبيه ، حدثنا أبو العليل	أقرشي ، حدثنا أبو العليل
١٨٢	١٢	عن حنيفة	عن ابن حنيفة
٢٣٨	٦	فبا	فبا
٢٦٣	١٥	يحيى ، يحيى	يحيى ، يحيى
٢٦٣	٥ من التعليق	لاين كنبر	لاين كنبر
٢٧١	١٠	إلى اصطفتك	إلى اصطفتك
٢٩٤	١٦	إن هذا لساحران	(إن هذا لساحران)
٣٢٠	الثاني من التعليق	يقول ابن أبي حاتم	ويقول ابن أبي حاتم
٣٢٠	د د د	في الجرح والتعديل	في الجرح والتعديل
٣٤٣	الأول	مع !	مع ؟
٣٤٤	٩	منهم	منهم ؟
٣٤٩	١٨	سليان (٣)	سليان (٢)
٣٤٩	٢٤	وسلاهما (٤)	وسلاهما (٣)
٣٥٦	٧	وهما يسمعان : اللهم بذكرك	وهما يسمعان : ثم قال : اللهم بذكرك
٣٦٠	١٢ من التعليق	لفظ الخطيئة	لفظ الخطيئة
٣٦١	٢١	صعيد بن الحسن	صعيد بن أبي الحسن
٣٦١	٢١	ابن جبر	ابن جبر
٣٦١	الثالث من التعليق	بن قال : وأشهد	بن قال القرطبي : وأشهد
٣٦٢	١٤	حدثنا أبو عبد الله	حدثنا أبو عبد الله
٣٦٤	الثالث	المخبر بن قيس	المخبر بن قيس
٣٦٥	آخر الصفحة	صوره طه	صوره طه
٣٦٤	الثاني من التعليق	ابن أبي شريح	ابن أبي شريح
٣٨٦	الثالث	فلما تأشبهوا	فلما تأشبهوا
٣٩٢	المطر الأول	مع بعد قوة ضمت	(من بعد قوة ضمت)

